البداية والنهاية

للحافظ عماد الدّين أبى الفداء إسماعيل
ابن عمر بن كثير القُرَشيّ الدِّمَشْقيّ
٧٠١ - ٧٧٤ هـ

تحقيق

الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي

بالتعاون مع
مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية
بدار هجر

الجزء الثالث

هجر
للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

الطبعة الأولى
١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧ م

المكتب : ٤ ش ترعة الزمر - المهندسين - جيزة
☎ ٣٤٥٢٥٧٩ - فاكس ٣٤٥١٧٥٦
المطبعة : ٢ ، ٦ ش عبد الفتاح الطويل
أرض اللواء - ☎ ٣٤٥٢٩٦٣
ص . ب ٦٣ إمبابة

البداية والنهاية



بسم الله الرحمن الرحيم

قصة لقمان

قال تعالى[1]: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ

---

(١) التفسير ٣٣٦/٦ - ٣٤٩.

مِن صَوْتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾ [لقمان: ١٢- ١٩]. هو لُقْمانُ ابنُ عنقاءَ بنِ سدونَ. ويقالُ: لُقمانُ بنُ ثارانَ[١]. حكاه السُّهَيْلِيُّ[٢] عن ابنِ جريرٍ والقُتَيْبِيِّ[٣].

قال السُّهَيْلِيُّ[٤]: وكان نُوبِيًّا مِن أَهْلِ أَيْلَةَ. قلتُ: وكان رَجُلًا صالحًا، ذا عِبادةٍ وعبارَةٍ وحِكْمَةٍ عظيمةٍ. ويُقالُ: كان قاضِيًا فى زَمَنِ داودَ، عليه السَّلامُ[٥]. فاللَّهُ أعلمُ.

وقال سفيانُ الثَّوْرِيُّ عن الأَشْعَثِ، عن عِكرمةَ، عن ابنِ عباسٍ، قال: كان لُقمانُ عَبْدًا حَبَشِيًّا نجَّارًا[٦]. وقالَ قَتادةُ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الزُّبَيْرِ: قلتُ لجابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ: ما انتهى إليكم فى شَأْنِ لُقمانَ؟ قال: كان قصيرًا أَفْطَسَ، مِن النُّوبَةِ[٧].

وقالَ يحيىَ بنُ سعيدٍ الأَنْصارِيُّ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ، قال: كان لُقمانُ مِن سُودَانِ مِصْرَ، ذا مَشافِرَ، أَعْطاهُ اللَّهُ الحِكمةَ، ومَنَعَه النُّبُوَّةَ[٨].

---

(١) فى ص: «ساران».
(٢) فى التعريف والإعلام ص ٢٤٩. والذى عنده: «اسم ابنه ثاران». وكذا عند المصنف فى تفسيره ٣٣٨/٦، وقد عزاه للسهيلى حكايةً.
(٣) فى كتابه: المعارف ص ٥٥.
(٤) التعريف والإعلام ص ٢٤٩.
(٥) المعارف ص ٥٥.
(٦) تفسير الطبرى ٢١/ ٦٧، دون قوله: «نجارًا». والتفسير ٦/ ٣٣٦.
(٧) التفسير ٦/ ٣٣٦. والدر المنثور ٥/ ١٦٠.
(٨) أخرجه الطبرى فى تفسيره ٦٧/٢١ بنحوه. وانظر التفسير ٦/ ٣٣٦.

وقال الأَوْزَاعِيُّ : حَدَّثَنِى عبدُ الرحمنِ بنُ حَرْمَلَةَ ، قال : جاءَ أَسْوَدُ إلى سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ يَسْأَلُه ، فقال له سعيدٌ : لَا تَحْزَنْ مِن أجْلِ أَنَّكَ أَسْوَدُ ؛ فإنَّه كان مِن أَخْيَرِ النَّاسِ ثلاثةٌ مِن السُّودانِ ؛ بلالٌ ، ومِهْجَعٌ ، مَوْلَى عُمَرَ ، ولُقمانُ الحكيمُ ، كان أسْودَ نُوبِيًّا ذا مَشافِرَ[1] .

وقالَ الأَعْمشُ[2] ، عن مجاهدٍ : كان لقمانُ عبدًا أسودَ ، عظيمَ الشَّفَتَيْنِ ، مشَقَّقَ القَدَمَيْنِ . وفى روايةٍ[3] : مُصَفَّحَ القدمَيْنِ . وقال عَمْرُو[4] بنُ قيسٍ : كان عبدًا أسودَ ، غليظَ الشَّفَتَيْنِ ، [٢٨٨/١ ظ] مُصَفَّحَ القدمَيْنِ ، فأتاه رجلٌ وهو فى مجلسِ أُنَاسٍ يُحَدِّثُهم ، فقال له : ألستَ الذى كنتَ تَرْعَى معى الغنمَ فى مكانِ كذَا وكذَا ؟ قال : نعم . قال : فما بَلَغَ بِكَ ما أرَى ؟ قال : صِدْقُ الحديثِ ، والصَّمْتُ عمَّا لَا يَعْنِينِى . رَواه ابنُ جريرٍ ، عن ابنِ حُمَيْدٍ ، عن الحَكَمِ عنه به[5] .

وقال ابنُ أبى حاتمٍ[6] : حَدَّثنا أبو زُرْعَةَ ، حَدَّثنا صَفْوانُ ، حَدَّثَنا الوليدُ ،

---

(١) تفسير الطبرى ٢١/ ٦٧. والتفسير ٦/ ٣٣٦.
(٢) تفسير الطبرى ٢١/ ٦٧. ومصنف ابن أبى شيبة ١٣/ ٢١٣. وانظر التفسير ٦/ ٣٣٦.
(٣) تفسير الطبرى ٢١/ ٦٧. والزهد للإمام أحمد ص ٤٨. وانظر التفسير ٦/ ٣٣٦.
(٤) فى الأصل، م: «عمر».
(٥) تفسير الطبرى ٢١/ ٦٨.
(٦) التفسير ٦/ ٣٣٧.

حَدَّثَنا عبدُ الرحمنِ بنُ[1] يزيدَ بنِ جابرٍ ، قال : إنَّ اللَّهَ رَفَعَ لُقمانَ الحكيمَ بحِكْمَتِه ، فرآهُ رجلٌ كان يَعْرِفُه قبلَ ذلك ، فقال : ألستَ [2]عَبْدَ بنى[2] فلانٍ ، الذى كنتَ تَرْعَى[3] بالأمسِ ؟ قال : بلَى . قال : فما بَلَغَ بكَ ما أرَى ؟ قال : قَدَرُ اللَّهِ ، وأداءُ الأمانةِ ، وصِدْقُ الحديثِ ، وتَرْكُ ما لا يَعْنِينى .

وقال ابنُ وَهْبٍ[4] : أخْبَرَنى عبدُ اللَّهِ بنُ عَيَّاشٍ القِتْبانِىُّ[5] ، عن عُمَرَ مَوْلَى غُفْرَةَ[6] قال : وَقَف رجُلٌ على لقمانَ الحكيمِ فقال : أنتَ لقمانُ ؟ أنتَ عبدُ بنى الحَسْحَاسِ[7] ؟ قال : نعم . قال : فأنت راعِى الغَنَمِ الأَسْودُ ! قال : أمَّا سَوادِى فظاهِرٌ ، فما الذى يُعْجِبُك مِن أَمْرِى ؟ قال : وَطْءُ الناسِ بِساطَك ، وغَشْيُهم بابَك ، ورِضاهم بقولِك . قال : يابنَ أخى ، إن صَنَعْتَ ما أقولُ لكَ ، كُنْتَ كذلكَ . قال لقمانُ : غَضِّى بَصَرِى ، وكَفِّى لسانى ، وعِفَّةُ مَطْعَمِى[8] ، وحِفْظِى فَرْجِى ، وقيامِى بِعُدَّتى ، ووفائى بعَهْدِى ، وَتَكْرِمَتى ضَيْفى ، وحِفْظى جارِى ، وتَرْكِى ما لَا يَعْنِينى ، فَذَاكَ الذى صَيَّرنى كما تَرَى .

---

(1) بعده فى م : « أبى » .

(٢ - ٢) فى ح ، م : « عبد بن » . وفى ص : « عبدى » .

(3) بعده فى م ، ص : « غنمى » .

(4) التفسير ٦/ ٣٣٧ .

(5) فى الأصل ، م ، ص : « الفتيانى » . وانظر تهذيب الكمال ١٥/ ٤١٠، ٤١١ .

(6) فى الأصل ، م ، ص : « عفرة » .

(7) فى م ، ص : « النحاس » .

(8) فى م : « مطمعى » .

وقال ابنُ أبى حاتمٍ[(١)] : حَدَّثنا أبى ، حَدَّثنا ابنُ نُفَيْلٍ[(٢)] ، حَدَّثنا عَمْرُو بنُ واقِدٍ ، عن عَبْدَةَ[(٣)] بنِ رَبَاحٍ ، عن رَبِيعَةَ ، عن أبى الدَّرْداءِ ، أنَّه قال يومًا ، وذَكَرَ لقمانَ الحكيمَ فقال : [(٤]ما أُوتِىَ[٤)] ما أُوتِىَ عن أهلٍ ولا مالٍ ، ولا حَسَبٍ ولا خِصَالٍ ، ولكنَّه كانَ رَجُلًا صَمْصَامَةً[(٥)] ، سِكِّيتًا ، طويلَ التَّفَكُّرِ ، عميقَ النَّظَرِ ، لم يَنَمْ نهارًا قَطُّ ، ولم يَرَه أحدٌ يَبْزُقُ ولا يَتَنَخَّعُ[(٦)] ، ولا يَبُولُ ولا يَتَغَوَّطُ ، ولا يَغْتَسِلُ ، ولا يَعْبَثُ ولا يَضْحَكُ ، وكان لا يُعِيدُ مَنْطِقًا نَطَقَه ، إلَّا أن يَقُولَ حِكْمَةً يَسْتَعِيدُها إيَّاه أحدٌ ، وكان قد تَزَوَّجَ ، ووُلِدَ له أولادٌ فماتُوا فلم يَبْكِ عليهم ، وكان يَغْشَى السُّلطانَ ويَأْتِى الحُكَّامَ ؛ لِيَنْظُرَ ويَتَفَكَّرَ وَيَعْتَبِرَ ، فبذلكَ أُوتِىَ ما أُوتِىَ . ومنهم مَن زَعَمَ أنَّه عُرِضَتْ عليه النُّبُوَّةُ ، فخافَ أَن لا يَقُومَ بأَعْبائِها ، فاخْتارَ الحِكْمَةَ ؛ لأَنَّها أسْهَلُ عليه . وفى هذا نظرٌ . واللَّهُ أعلمُ . وهذا مَرْوِىٌّ عن قَتادةَ ، كما سَنَذْكُرُه[(٧)] . وروَى ابنُ أَبِى حاتمٍ ، وابنُ جريرٍ[(٨)] ، مِن طريقِ وَكِيعٍ ، عن إسْرائيلَ ، عن جابرٍ الجُعْفِىِّ ، عن عِكْرِمَةَ أَنَّه قال : كان لقمانُ نَبِيًّا . وهذا ضعيفٌ ؛ لحالِ الجُعْفِىِّ .

---

(١) ذكره المصنف فى التفسير ٦/ ٣٣٧. والسيوطى فى الدر المنثور ٥/ ١٦٢، وعزياه إلى ابن أبى حاتم .

(٢) فى النسخ : « فضيل » . والمثبت من التفسير ، وابن نفيل هو عبد الله بن محمد بن علي ، أبو جعفر النُّفَيلى . انظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٢٨٦، ٢٨٧.

(٣) فى الأصل : « عبيدة » .

(٤ - ٤) سقط من : ح ، م . وفى ص : « أوتى » .

(٥) فى م : « ضمضامة » . وفى ص : « صمصام » . ورَجُلٌ صَمْصامةٌ : مصَمّم . وقيل : هو الشَّدِيد الصُّلْب . وقيل : المجْتَمِع الخَلْق . اللسان (ص م م) .

(٦) فى م : « يتنحنح » . وفى ص : « تنخم » .

(٧) يأتى فى صفحة ٢١.

(٨) عزاه فى الدر المنثور ٥/ ١٦١، ١٦٢ إلى ابن أبى حاتم . ورواه الطبرى فى تفسيره ٢١/ ٦٨.

والمشهورُ عن الجمهورِ، أنَّه كان حكيمًا وَلِيًّا، ولم يكنْ نبيًّا[1]. وقدْ ذَكَرَه اللَّهُ تعالى فى القرآنِ، فأثْنى عليه، وحَكَى مِن كلامِه فيما وَعَظَ به وَلَدَه، الذى [٢٨٩/١و] هو أحَبُّ الخَلْقِ إليه، وهو أَشْفَقُ النَّاسِ عليه، فكان مِن أَوَّلِ ما وَعَظَه به أن قال: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾. فنَهاه عنه وحَذَّرَه منه.

وقد قال البخارىُّ[2]: حَدَّثَنا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنا جريرٌ، عن الأَعْمَشِ، عن إبراهيمَ، عن عَلْقَمَةَ، عن عبدِ اللَّهِ قال: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ [الأنعام: ٨٢]. شَقَّ ذلكَ على أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وقالوا: أَيُّنا لم يَلْبِسْ إيمانَهُ بِظُلْمٍ. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهُ لَيْسَ بِذَاكَ، أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾». ورَواه مسلمٌ، مِن حديثِ سليمانَ بنِ مِهرانَ الأعمشِ بِه[3]. ثُم اعْتَرَضَ تعالى بالوَصِيَّةِ بالوالِدَيْنِ، وبيانِ حَقِّهِما على الوَلَدِ، وتَأَكُّدِه، وأَمَرَ بالإِحْسانِ إليهما، حتى ولو كانا مُشْرِكَيْنِ، ولكنْ لا يُطاعانِ علَى الدُّخولِ فى دِينِهما، إلى أن قالَ مُخْبِرًا عن لُقمانَ فيما وَعَظ به وَلَدَهُ: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٖ مِّنْ خَرْدَلٖ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ يَنْهاه عن ظُلْمِ النَّاسِ ولو بِحَبَّةِ خَرْدَلٍ؛ فإنَّ اللَّهَ يَسألُ عنها ويُحْضِرُها حَوْزَةَ الحسابِ، ويَضَعُها فى الميزانِ، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٖ ﴾ [النساء: ٤٠]. وقال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ

---

(١) انظر تفسير القرطبى ٥٩/١٤ .

(٢) البخارى (٤٧٧٦، ٦٩١٨).

(٣) سقط من: الأصل. والحديث أخرجه مسلم (١٢٤).

ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧]. وأَخْبَرَه أَنَّ هذا الظُّلْمَ لو كان في الحَقارَةِ كالخَرْدَلَةِ، ولو كان في جَوْفِ صَخْرَةٍ صَمَّاءَ، لا بابَ لها ولا كُوَّةَ، أَوْ لو كانت ساقِطَةً في شَيْءٍ مِن ظُلُماتِ الأَرَضِينَ أو السَّماواتِ، في اتِّساعِهِما وامتدادِ أَرْجائِهِما، لَعَلِمَ اللَّهُ مَكانَها. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ أي؛ عِلْمُه دَقِيقٌ، فلا يَخْفَى عليه الذَّرُّ مِمَّا تَراءى للنَّوَاظِرِ أو تَوارَى، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩]. وقال: ﴿ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [النمل: ٧٥]. وقال: ﴿ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ: ٣]. وقد زَعَم السُّدِّيُّ[(١)] في خَبَرِه عن الصَّحابةِ، أَنَّ المُرادَ بهذه الصَّخْرَةِ، الصخرةُ التي تحتَ الأَرَضِينَ السَّبْعِ. وهكذا حُكِي عن عطيَّةَ العَوْفِيِّ، وأبي مالكٍ، والثَّوْرِيِّ، والمِنْهالِ بنِ عَمْرٍو[(٢)]، وغيرِهم[(٣)]. وفي صِحَّةِ هذا القَوْلِ مِن أَصلِه نَظَرٌ، ثُمَّ في أَنَّ هذا هو المرادُ، نَظَرٌ آخرُ؛ فإنَّ هذه الآيةَ[(٤)] نَكِرَةٌ غيرُ مُعَرَّفَةٍ، فلو كان [١/٢٨٩ظ] المرادُ بها ما قالوه، لَقالَ: فَتَكُنْ في الصَّخْرَةِ. وإنَّما المرادُ: فَتَكُنْ في صَخْرَةٍ، أَيَّ صخرةٍ كانتْ، كما قال الإمامُ أَحمد[(٥)]: حَدَّثنا حسنُ بنُ موسى، حَدَّثنا ابنُ لَهِيعَة، حَدَّثنا

---

(١) تفسير الطبرى ٢١/ ٧٢، والتفسير ٦/ ٣٤٠.

(٢) في م، ص: «عمر».

(٣) تفسير الطبرى ٢١/ ٧٢. وتفسير عبد الرزاق ٢/ ١٠٥، ١٠٦. والتفسير ٦/ ٣٤٠.

(٤) كذا بالنسخ. ولعل المراد بالآية الكلمة وهى: ﴿صخرة﴾.

(٥) فى المسند ٣/ ٢٨.

دَرَّاجٌ ، عن أبى الهَيْثَم ، عن أبى سعيدٍ الخُدْرِىِّ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أنَّه قالَ : « لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ يَعْمَلُ فِى صَخْرَةٍ صَمَّاءَ ، لَيْسَ لَهَا بَابٌ وَلا كُوَّةٌ ، لَخَرَجَ عَمَلُهُ لِلنَّاسِ كَائِنًا مَا كَانَ » . ثُمَّ قَالَ : ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أى ؛ أدِّها بجميعِ واجباتِها ؛ مِن حُدودِها وأوْقاتِها ورُكوعِها وسُجودِها وطُمَأْنينتِها وخُشوعِها ، وما شُرِعَ فيها ، واجْتَنِبْ ما نُهِىَ عنه فيها . ثم قال : ﴿ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ أى ؛ بجُهْدِك وطاقَتِك ، إن اسْتَطَعْتَ باليَدِ فباليدِ ، وإلَّا فبلِسانِك ، فإن لم تَسْتَطِعْ فبقَلْبِكَ . ثم أمَرَه بالصَّبْرِ فقال : ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ﴾ وذلك أنَّ الآمِرَ بالمعروفِ والنَّاهِىَ عن المُنْكَرِ ، فى مَظِنَّةِ أن يُعادَى ويُنالَ منه ، ولكنْ له العاقِبَةُ ، ولهذا أمَرَه بالصَّبْرِ على ذلك ، ومعلومٌ أنَّ عاقبةَ الصَّبْرِ الفَرَجُ . وقولُه : ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [(1] أى ؛ إنَّ أمرَكَ بالمعروفِ ، ونَهْيَكَ عن المنكرِ ، وصَبْرَك على الأذى من عزائمِ الأمورِ [1)] التى لا بُدَّ منها ، ولا مَحِيدَ عنها . وقولُه : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ . قال ابنُ عباسٍ ، ومجاهدٌ ، وعِكْرِمَةُ ، وسعيدُ بنُ جُبَيْرٍ ، والضَّحاكُ ، ويزيدُ بنُ الأَصَمِّ ، وأبو الجَوْزاءِ ، وغيرُ واحدٍ[2] : معناه لا تَتَكَبَّرْ على النَّاسِ وتُميلُ خَدَّكَ حالَ كلامِك لهم وكلامِهم لكَ ، على وجهِ التَّكَبُّرِ عليهم والازْدِراءِ لهم . قال أهلُ اللغةِ : وأصلُ الصَّعَرِ داءٌ يأخُذُ الإبِلَ فى أعْناقِها ، فتَلْتَوِى رُءُوسُها ، فشُبِّه به الرجُلُ المُتَكَبِّرُ الذى يُمِيلُ وَجْهَه إذا كَلَّم النَّاسَ أو كلَّمُوه ، على وَجْهِ التَّعاظُمِ عليهم .

قال أبو طالبٍ فى شِعْرِه[3] :

(١ - ١) سقط من : م ، ص .

(٢) تفسير الطبرى ٢١/ ٧٤، ٧٥. والتفسير ٦/ ٣٤١.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٢٦٩.

وكُنَّا قديمًا لا نُقِرُّ ظُلامَةً إذا ما ثَنَوْا صُعْرَ الخُدُودِ نُقِيمُها

وقال عمرو بن حُنَيٍّ[1] التَّغْلِبِيُّ[2]:

وكُنَّا إذا الجَبَّارُ صَعَّر خَدَّهُ أَقَمْنا لَهُ مِنْ مَيْلِهِ فتَقَوَّمَا[3]

وقوله: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ يَنهاهُ عن التَّبَخْتُرِ في المِشْيَةِ على وَجْهِ العَظَمَةِ والفَخْرِ على النَّاسِ، كما قالَ تعالى: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٧]. يَعْنى لستَ بِسُرْعَةِ مَشْيِك، تقْطَعُ البلادَ في مِشْيَتِك هذه، ولستَ بِدَقِّك الأرضَ برِجْلِك، تَخْسِفُ[4] الأرضَ بوَطْئِك عليها، ولستَ بِتَشامُخِك وتَعاظُمِك وتَرَفُّعِك، تَبْلُغُ الجبالَ طُولًا، فاتَّئِدْ [١/٢٩٠و] على نَفْسِك، فلستَ تَعْدُو قَدْرَك.

وقد ثَبَت في الحديثِ[5]: «بَيْنَما رَجُلٌ يَمْشِي في بُرْدَيْهِ، يَتَبَخْتَرُ فِيهِمَا، إذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ الأرْضَ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيها إِلَى يَوْمِ الْقِيامَةِ». وفي الحديثِ الآخرِ[6]: «وإيَّاكَ وَإِسْبَالَ الإِزَارِ؛ فَإِنَّهَا مِنَ المَخِيلَةِ، والمَخِيلَةُ[7] لا يُحِبُّها اللَّهُ».

---

(١) في الأصل، م، ص: «حيى». وفي ح: «حي». والتصحيح من معجم الشعراء ص ١٣.

(٢) في الأصل: «الثعلبي». وذكر البيت المرزباني في معجم الشعراء ص ١٣، ونسبه إلى عمرو بن حني.

(٣) في معجم الشعراء للمرزباني: «فتقوم». وما أثبتناه من النسخ موافق لما في ديوان المتلمس ص ٢٤. وانظر حاشية (٣) من الديوان ص ٢٤، ٢٥.

(٤) في م: «تخرق».

(٥) رواه مسلم (٢٠٨٨)، من حديث أبي هريرة.

(٦) رواه أبو داود (٤٠٨٤). صحيح (صحيح أبي داود ٣٤٤٢).

(٧) سقط من: م.

كما قال فى هذه الآيةِ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ ولمَّا نَهاه عن الاخْتيالِ فى المَشْيِ ، أَمَرَهُ بالقَصْدِ فيه ؛ فإنَّه لا بُدَّ له أَنْ يَمْشِىَ ، فنَهاه عن الشَّرِّ وأَمَرَه بالخيرِ ، فقال : ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ ﴾ أى ؛ لا تَتَباطَأْ مُفرِّطًا ، ولا تُسْرِعْ إسْرَاعًا مُفرِطًا ، ولكِنْ بيْنَ ذلكَ قَوَامًا ، كما قال تعالى : ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ [الفرقان : ٦٣] . ثُمَّ قال : ﴿ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ﴾ يَعْنِى إذا تَكَلَّمْتَ ، فلا تَتَكَلَّفْ رَفْعَ صَوْتِكَ ؛ فإنَّ أَرْفَعَ الأَصواتِ وأَنْكَرَها ، صوتُ الحميرِ .

وقد ثَبَتَ فى « الصَّحيحَيْنِ » الأمْرُ بالاسْتِعاذَةِ عندَ سماعِ صوتِ الحَميرِ بالليلِ[1] ؛ فإنَّها رَأَتْ شيطانًا ، ولهذا نُهِىَ عن رفْعِ الصَّوتِ حيثُ لا حاجةَ إليهِ ، ولا سِيَّما عندَ العُطاسِ ، فيُسْتَحَبُّ خَفْضُ الصوتِ وتَخْمِيرُ الوَجْهِ ، كما ثَبَتَ به الحديثُ[2] مِن صَنِيعِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فأمَّا رَفْعُ الصَّوْتِ بالأذانِ ، وعندَ الدعاءِ إلى الفئةِ لِلقتالِ ، وعندَ الإهلالِ[3] ، ونحوِ ذلك ، فذلك مشروعٌ . فهذا ممَّا قَصَّه اللَّهُ تعالى عن لُقمانَ ، عليه السَّلامُ ، فى القرآنِ من الحِكَمِ والمَواعِظِ ، والوَصايا النَّافِعَةِ الجامعةِ للخيرِ ، المانعةِ مِن الشَّرِّ ، وقد ورَدَتْ آثارٌ كثيرةٌ فى أخبارِه ومواعِظِه ، وقد كان له كتابٌ يُؤْثَرُ عنه ، يُسَمَّى بـ « حِكْمَةِ[4] لقمانَ » ، ونحنُ نذكرُ مِن ذلك ما تَيَسَّرَ ، إن شاءَ اللَّهُ تعالى .

---

(١) الذى ثبت فى الصحيحين هو الأمر بالاستعاذة عند سماع صوت الحمير مطلقا ، وموضعه فى البخارى (٣٣٠٣) ، ومسلم (٢٧٢٩) . أما ما ثبت بقيد الليل فهو فى سنن أبى داود (٥١٠٣) . ومسند أحمد ٣/ ٣٠٦، ٣٥٥. صحيح (صحيح أبى داود ٤٢٥٦).

(٢) أخرجه الترمذى (٢٧٤٥) . وأبو داود (٥٠٢٩) . حسن صحيح (صحيح أبى داود ٤٢٠٧) .

(٣) فى م ، ص : « الإهلاك » .

(٤) الأصل ، ح ، ص : « مجلة » .

قال الإمامُ أحمدُ[1] : حَدَّثنا عليُّ بنُ إسحاقَ ، أنبأَنا ابنُ المباركِ ، أنبأَنا سفيانُ ، أخبرنى نَهْشَلُ[2] بنُ مُجَمِّعٍ[3] الضَّبِّيُّ ، عن قَزَعَةَ ، عن ابنِ عُمرَ ، قال : أَخْبَرَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ ، قالَ : « إِنَّ لُقْمانَ الحَكِيمَ كَانَ يَقُولُ : إِنَّ اللَّهَ إِذَا اسْتُودِعَ شَيْئًا حَفِظَهُ » .

وقال ابنُ أبى حاتمٍ[4] : حَدَّثَنا أبو سعيدٍ الأَشَجُّ ، حَدَّثنا عيسى بنُ يونسَ ، عن الأَوْزَاعِيِّ ، عن موسى بنِ سليمانَ ، عن القاسمِ بنِ مُخَيْمِرَةَ ، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، قال : « قَالَ لُقْمَانُ لابْنِه وَهُوَ يَعِظُهُ : يَا بُنَيَّ ، إِيَّاكَ والتَّقَنُّعَ ؛ فَإِنَّهُ مَخُوفَةٌ[5] بِاللَّيْلِ ، مَذَلَّةٌ[6] بالنَّهَارِ » .

وقال أيضًا[7] : حَدَّثَنا أبى ، حَدَّثنا عَمرُو بنُ عثمانَ[8] ، حَدَّثَنا ضَمْرَةُ ، حَدَّثَنا السَّرِيُّ[9] بنُ يحيى قال : قال لُقْمانُ لابْنِهِ : يا بُنَيَّ ، إِنَّ الحِكمةَ أَجْلَسَتِ المساكينَ مجالسَ الملُوكِ . وحَدَّثَنا أبى[10] ، حدَّثنا عَبْدَةُ بنُ [١/٢٩٠ظ] سليمانَ ، أَنْبَأَنا ابنُ المُبارَكِ ، أنبأَنا عبدُ الرحمنِ المَسْعُودِىُّ ، عن عَوْنِ بنِ عبدِ اللَّهِ قال : قالَ لُقْمانُ لابنِه : يا بُنَيَّ ، إذا أَتَيْتَ نادِىَ قومٍ ، فارْمِهم بسَهْمِ الإسلامِ -

(١) فى المسند ٢/ ٨٧. (إسناده صحيح).

(٢) فى ح ، م : « نهيك » .

(٣) فى م : « يجمع » .

(٤) ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٥/ ١٦٢. وعزاه لابن أبى حاتم .

(٥) فى ح ، م : « مخونة » .

(٦) فى م : « مذمة » .

(٧) التفسير ٦/ ٣٤٣.

(٨) فى م : « عمارة » .

(٩) فى الأصل : « السدى » .

(١٠) التفسير ٦/ ٣٤٣.

يَعْنِى السّلامَ – ثُمَّ اجْلِسْ فى ناحِيَتِهِمْ ، فلا تَنْطِقْ حتى تَرَاهم قد نَطَقُوا ، فإنْ أَفاضُوا فى ذِكْرِ اللَّهِ ، فَأَجِلْ سَهْمَكَ معهم ، وإن أَفاضُوا فى غيرِ ذلك ، فتَحَوَّلْ عنهم إلى غيرِهم. وحَدَّثَنا أبى[1] ، حَدَّثَنا عَمرُو بنُ عثمانَ ، حَدَّثنا ضَمْرَةُ ، عن حَفْصِ بنِ عمرَ قال : وَضَعَ لقمانُ جِرابًا مِن خَرْدَلٍ إلى جانِبِه ، وجَعَلَ يَعِظُ ابْنَه وَعْظَةً ، ويُخْرِجُ خَرْدَلَةً ، حتى نَفِدَ الخَرْدَلُ ، فقال : يا بُنَيَّ ، لقد وَعَظْتُك مَوْعِظَةً ، لو وُعِظَها جَبَلٌ ، لَتَفَطَّرَ. قال : فَتَفَطَّرَ ابنُه .

وقال أبو القاسمِ الطَّبَرَانِيُّ[2] : حَدَّثَنا يحيى بنُ عبد الباقى المِصِّيصِيُّ ، حَدَّثنا أحمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ الحَرَّانِيُّ ، حدَّثنا عثمانُ بنُ عبدِ الرحمنِ الطَّرَائِفِيُّ [3]حَدَّثَنا أَيْمَنُ[3] بنُ سُفْيانَ المَقْدِسِيُّ ، عن خَلِيفَةَ بنِ سَلَّامٍ ، عن عطاءِ بنِ أبى رَباحٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اتَّخِذُوا السُّودَانَ ، فَإِنَّ ثَلاثَةً مِنْهُمْ مِنْ ساداتِ[4] أَهْلِ الْجَنَّةِ ؛ لُقْمانُ الْحَكِيمُ ، والنَّجَاشِيُّ ، وَبِلَالٌ الْمُؤَذِّنُ » . قال الطَّبَرَانِيُّ : يَعْنِى الحَبَشَةَ . وهذا حديثٌ غريبٌ ، بل مُنْكَرٌ .

وقد ذَكَرَ له الإمامُ أحمدُ ترجمةً فى كتابِ « الزُّهْدِ » ، ذَكَر فيها فوائدَ مُهِمَّةً وفَرائِدَ جَمَّةً ، فقال[5] : حَدَّثَنا وَكِيعٌ ، حَدَّثَنا سُفيانُ ، عن رجُلٍ ، عن مُجاهِدٍ : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ ﴾ . قال : الفِقْهُ[6] والإِصابةُ فى غيرِ

---

(١) التفسير ٦/ ٣٤٣.

(٢) فى المعجم الكبير (١١٤٨٢) . وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٤/ ٢٣٦: وفيه أيمن بن سفيان وهو ضعيف . والحديث فى السلسلة الضعيفة (٦٨٧) .

(٣ - ٣) فى الأصل، ص: « حدثنا أنس » . وفى ح : « حدثنا اس » غير منقوطة . وفى م : « عن » .

(٤) سقط من: م .

(٥) الزهد ص ٤٨، ٤٩.

(٦) فى الأصل : « الفقر » .

نُبُوَّةٍ . وكَذا رُوِىَ عَنْ[(١)] وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ .

وحَدَّثَنا وكيعٌ ، حدَّثنا سفيانُ ، عن أَشْعَثَ ، عن عِكْرِمَةَ ، عن ابنِ عباسٍ قال : كان لُقمانُ عبدًا حَبَشِيًّا[(٢)] .

وحَدَّثَنا أَسْوَدُ ، حَدَّثنا حَمَّادٌ ، عن علىِّ بنِ زيدٍ[(٣)] ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ ، أَنَّ لقمانَ كان خَيَّاطًا .

وحَدَّثَنا سَيَّارٌ ، حَدَّثنا جعفرٌ ، حَدَّثنا مالكٌ - يَعْنِى ابنَ دِينارٍ - قال : قال لقمانُ لابنِه : يا بُنَىَّ ، اتَّخِذْ طاعةَ اللَّهِ تجارةً ؛ تَأْتِكَ الأَرْباحُ مِن غيرِ بِضاعةٍ[(٤)] .

وحَدَّثَنا يزيدُ ، حَدَّثَنا أبو الأَشْهَبِ ، عن محمدِ بنِ واسِعٍ ، قال : كان لقمانُ يقولُ لابنِه : يا بُنَىَّ ، اتَّقِ اللَّهَ ولا تُرِ[(٥)] النَّاسَ أَنَّك تَخْشَى اللَّهَ لِيُكْرِمُوك بذلك ، وقلبُك فاجِرٌ[(٦)] .

وحَدَّثَنا يزيدُ بنُ هارونَ ووَكِيعٌ ، قالا : حَدَّثَنا أبو الأَشْهَبِ ، عن خالدٍ الرَّبَعِىِّ[(٧)] قال : كان لقمانُ عبدًا حَبَشِيًّا نَجَّارًا ، فقال له سيِّدُه : اذْبَحْ لى شاةً . فذَبَحَ له شاةً ، فقال له : ائْتِنى بأَطْيَبِ مُضْغَتَيْنِ فِيها . فأَتاه باللِّسانِ والقَلْبِ ، فقال : أَمَا كان فيها شَىْءٌ أَطْيَبَ مِن هَذَيْن؟ قال : لا . قال : فسَكَتَ عنه ما

---

(١) سقط من : الأصل .
(٢) الزهد ص ٤٩ .
(٣) فى م : « يزيد » .
(٤) الزهد ص ٤٩ .
(٥) فى الأصل : « تروى » .
(٦) الزهد ص ٤٩ .
(٧) فى الأصل : « الذبعى » .

سَكَت ، ثُمَّ قال له : اذْبَحْ لى شاةً . فذَبَحَ له شاةً ، فقالَ له : أَلْقِ أَخْبثَها مُضْغَتَيْنِ . فرَمَى باللِّسانِ والقَلْبِ [٢٩١/١و] ، فقال : أَمَرْتُك أَنْ تأْتِيَنى بأَطْيَبِها مُضْغَتَيْنِ ؛ فأَتَيْتَنى باللِّسانِ والقَلْبِ ، وأَمَرْتُك أن تُلْقِىَ أَخْبثَها مُضْغَتَيْنِ ؛ فأَلْقَيْتَ اللِّسَانَ والقَلْبَ . فقال : إنَّه ليس شَىْءٌ أَطْيَبَ منهما إذا طابا ، ولا أَخْبَثَ منهما إذا خَبُثَا[1] .

وحَدَّثَنا داودُ بنُ رُشَيْدٍ ، حَدَّثَنا ابنُ المُبارَكِ ، حَدَّثَنا مَعْمَرٌ ، عن أبى عثمانَ ؛ رَجُلٍ مِن أهلِ البَصْرَةِ يُقالُ له : الجَعْدُ أبو عثمانَ . قال : قال لقمانُ لابْنِه : لا تَرْغَبْ فى وُدِّ الجاهِلِ ؛ فيَرَى أَنَّك تَرْضَى عَمَلَه ، ولا تَهَاوَنْ بِمَقْتِ الحكيمِ فيَزْهَدَ فيك[2].

وحَدَّثنا داودُ بنُ رُشَيْدٍ[3] ، حَدَّثَنا إسماعيلُ بنُ عَيَّاشٍ ، عن ضَمْضَمِ بنِ زُرْعَةَ ، عن شُرَيْحِ بنِ عُبَيْدٍ الحَضْرَمِىِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ زَيْدٍ ، قال : قال لقمانُ : أَلَا إنَّ يدَ اللَّهِ على أفْواهِ الحُكَماءِ ، لا يَتَكَلَّمُ أَحَدُهم إلَّا ما هَيَّأَ اللَّهُ له .

وحَدَّثَنا عبدُ الرَّزَّاقِ ، سَمِعْتُ ابنَ جُرَيْجٍ قال : كنتُ أُقَنِّعُ رَأْسِى باللَّيْلِ ، فقال لى عَمْرٌو[4] : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ لُقمانَ قال : القِناعُ بالنَّهار مَذَلَّةٌ ، مَعْذِرَةٌ - أو قال : مَعْجَزَةٌ - باللَّيْلِ ، فَلِمَ تُقَنِّعُ رَأْسَك بالليلِ ؟ قالَ : قلتُ له : إنَّ لقمانَ لم يَكُنْ عليه دَيْنٌ[5] . وحَدَّثَنى حسنُ بنُ الجُنَيْدِ ، حَدَّثنا سفيانُ ، قال : قال لقمانُ

---

(١) الزهد ص ٤٩.

(٢) ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٥/ ١٦٣، وعزاه لأحمد فى الزهد.

(٣) فى م: «أسيد».

(٤) فى م: «عمر».

(٥) ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٥/ ١٦٤، وعزاه لعبد الله بن أحمد فى زوائده.

لابْنِه : يا بُنَيَّ ، ما نَدِمْتُ على الصَّمْتِ قَطُّ ، وإن كان الكلامُ مِن فِضَّةٍ ، فالسُّكُوتُ مِن ذَهَبٍ[1] .

وحَدَّثَنا عبدُ الصَّمَدِ ووكيعٌ ، قالَا : حَدَّثَنا أبو الأشْهَبِ ، عن قَتادَةَ ، أَنَّ لقمانَ قال لابْنِهِ : يا بُنَيَّ ، اعْتَزِلِ الشَّرَّ يَعْتَزِلْك ؛ فإنَّ الشَّرَّ للشَّرِّ خُلِقَ[2] .

وحَدَّثَنا أبو معاوِيَةَ ، حَدَّثنا هشامُ بنُ عُرْوَةَ ، عن أبيه قال : مكتوبٌ فى الحِكمةِ : يا بُنَيَّ ، إيَّاكَ والرَّغَبَ ؛ فإنَّ الرَّغَبَ كُلَّ الرَّغَبِ يُبْعِدُ القَرِيبَ مِن القريبِ ، ويُزِيلُ الحِلْمَ[3] كما يُزِيلُ الطَّرَبَ ، يا بُنَيَّ ، إيَّاكَ وشِدَّةَ الغَضَبِ ؛ فإنَّ شِدَّةَ الغَضَبِ مَمْحَقَةٌ [4]لفؤادِ الحكيمِ[4][5] .

قال الإمامُ أحمدُ[6] : حدَّثنا عبدُ الرَّحمنِ بنُ مَهْدِيٍّ ، حَدَّثنا نافعُ بنُ عمرَ ، عن ابنِ أبى مُلَيْكَةَ ، عن عُبَيْدِ بنِ عُمَيْرٍ ، قال : قال لقمانُ لابنِه وهو يَعِظُه : يا بُنَيَّ ، اخْتَرِ المَجالِسَ على عَيْنِكَ ، فإذا رَأَيْتَ المجْلِسَ يُذْكَرُ فيه اللَّهُ ، عَزَّ وجَلَّ ، فاجْلِسْ معهم ؛ فإنَّك إن تَكُ عَالِمًا يَنْفَعْكَ عِلْمُكَ ، وإن تَكُ غَبِيًّا[7] يُعَلِّموك ، وإن يَطَّلِعِ اللَّهُ عليهم بِرَحْمَةٍ تُصِبْك معهم ، يا بُنَيَّ ، لا تَجْلِسْ فى المجْلِسِ الذى لا يُذْكَرُ اللَّهُ فيه ؛ فإنَّكَ إن تَكُ عالِمًا لا يَنْفَعْك عِلْمُك ، وإن تَكُ غَبِيًّا يَزِيدُوكَ

---

(1) الزهد ص ٤٩.

(2) ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٥/ ١٦٤، وعزاه لأحمد. وانظر الزهد ص ٤٩.

(3) فى م: «الحكم».

(٤ - ٤) فى الأصل: «لفرائد الحكمة».

(5) وجدتُ الإسناد فى الزهد، لا المتن. وذكره - ببعض اختلاف - فى الدر المنثور ٥/ ١٦٤، وعزاه لأحمد.

(6) ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٥/ ١٦٤، وعزاه لأحمد.

(7) فى الأصل: «عيا». فى ح: «عبيا». فى م: «عييا». فى ص: «غبيا».

غَبَاءً[1] ، وإن يَطَّلِعِ اللَّهُ إليهم بعدَ ذلكَ بِسَخَطٍ ، يُصِبْك معهم ، يا بُنَيَّ ، لا تَغْبِطَنَّ امْرَأً رَحْبَ الذِّراعَيْنِ يَسْفِكُ دِمَاءَ المؤمنين ، فإنَّ له عندَ اللَّهِ قاتِلًا لا يَمُوتُ .

وحَدَّثَنا أبو مُعاوِيةَ ، حَدَّثَنا هشامُ بنُ عُروةَ ، عن أبيه ، قال : مَكْتُوبٌ في الحكمةِ : بُنَيَّ ، لِتَكُنْ كَلِمَتُك طَيِّبَةً ، ولْيَكُنْ وَجْهُك بَسْطًا ، [١/٢٩١ظ] تَكُنْ أَحَبَّ إلى النَّاسِ مِمَّنْ يُعطِيهم العَطَاءَ . وقال : مَكْتوبٌ في الحِكْمةِ أوْ في التَّوْراةِ : الرِّفْقُ رَأْسُ الحكْمَةِ . وقال : مكتوبٌ في التَّوْراةِ : كما تَرْحَمون تُرْحَمُون . وقال : مكتوبٌ في الحِكْمَةِ : كما تَزْرَعُون تَحْصُدُونَ . وقال : مكتوبٌ في الحكمةِ : أَحِبَّ خَلِيلَكَ وخَلِيلَ أبيك[2] .

وحَدَّثَنا عبدُ الرَّزَّاقِ ، عن مَعْمَرٍ ، عن أيوبَ ، عن أبي قِلَابَةَ قال : قِيل لِلُقْمانَ : أَيُّ النَّاسِ أَصْبَرُ ؟ قال : صَبْرٌ لا يَتْبَعُه أَذًى . قيل : فأَيُّ النَّاسِ أعْلَمُ ؟ قال : مَن ازْدادَ مِن عِلْمِ النَّاسِ إلى عِلْمِه . قيل : فَأَيُّ النَّاسِ خيرٌ ؟ قال : الغَنِيُّ . قيل : الغَنِيُّ مِن المالِ ؟ قال : لا ، ولكن الغَنِيُّ الذي إذا الْتُمِسَ عندَه خَيْرٌ ، وُجِدَ ، وإلَّا أَغْنَى نَفْسَه عن النَّاسِ[3] .

وحَدَّثَنا سفيانُ - هو ابنُ عُيَيْنَةَ - قال : قيل لِلُقْمانَ : أَيُّ النَّاسِ شَرٌّ ؟ قال : الذي لا يُبالِي أَنْ يَرَاه النَّاسُ مُسِيئًا[4] . وحَدَّثَنا أبو عبدِ الصَّمَدِ ، عن مالِكِ بنِ

---

(١) في الأصل : « عيا » . في ح : « عبيا » . في م : « غبيا » . في ص : « غيبا » .

(٢) الزهد ٤٩، ٥٠، وعنده : « بسيطا » ، مكان : « بسطًا » . وحلية الأولياء ٢/ ١٧٨، من طريق أبي معاوية الضرير مختصرًا .

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/ ١٦٤، وعزاه لأحمد .

(٤) الزهد ص ٥٠ .

دِينارٍ قال: وَجَدْتُ فى بعضِ الحِكْمَةِ: يُبَدِّدُ اللَّهُ عِظامَ الذينَ يَتَكَلَّمُون بأَهواءِ النَّاسِ. وَوَجَدْتُ فيها: لا خيرَ لك فى أَنْ تَعْلَمَ ما لَمْ تَعْلَمْ، ولَمَّا تَعْمَلْ بما قد عَلِمْتَ؛ فإنَّ مَثَلَ ذلك، مَثَلُ رَجُلٍ احْتَطَبَ حَطبًا، فحَزَمَ حُزْمَةً، ثُمَّ ذَهَبَ يَحْمِلُها فعَجَزَ عنها، فضَمَّ إليها أُخْرَى[1].

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ[2]: حَدَّثَنا الحَكَمُ بنُ أبى زُهَيرٍ، وهو الحكمُ بنُ موسى، حَدَّثنا الفَرَجُ بنُ فَضَالَةَ، عن أبى سعيدٍ، قال: قال لُقمانُ لابْنِه: يا بُنَىَّ، لا يَأْكُلْ طَعامَكَ إلَّا الأَتْقِياءُ، وشاوِرْ فى أَمْرِك العُلَماءَ.

وهذا مجموعُ ما ذَكَره الإمامُ أحمدُ فى هذا المَوْضِعِ، وقد قَدَّمْنا مِن الآثارِ كثيرًا لم يَرْوِها، كما أَنَّه ذَكَرَ أشياءَ ليستْ عِندَنا. واللَّهُ أعلمُ.

وقال ابنُ أبى حاتمٍ[3]: حَدَّثَنا أبى، حَدَّثَنا العَبَّاسُ بنُ الوليدِ، حَدَّثنا زيدُ بنُ يحيى بنِ[4] عُبَيْدٍ الخُزاعِىُّ، حَدَّثَنا سعيدُ بنُ بَشِيرٍ، عن قَتادَةَ قال: خَيَّرَ اللَّهُ لُقمانَ الحكيمَ بينَ النُّبُوَّةِ والحِكْمَةِ، فاختارَ الحكمةَ على النُّبُوَّةِ. قال: فأتاه جِبْرِيلُ وهو نائمٌ، فذَرَّ عليه الحِكمةَ. قال: فأَصْبَحَ يَنْطِقُ بها. قال سعيدٌ[5]: فسَمِعْتُ قَتادَةَ يقول: قِيل لِلُقْمانَ: كيف اخْتَرْتَ الحِكمةَ على النُّبُوَّةِ وقد خَيَّرَك رَبُّكَ؟ فقال: إِنَّه لو أُرْسِلَ إِلَىَّ بالنُّبُوَّةِ عَزْمَةً، لَرَجَوْتُ فيه الفَوْزَ منه، ولَكُنْتُ

---

(١) الزهد ص ٥٠.

(٢) ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٥/ ١٦٤، وعزاه لعبد الله بن أحمد فى زوائده.

(٣) ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٥/ ١٦٤، والمصنف فى التفسير ٣/ ٣٣٧، ٣٣٨، وعزياه إلى ابن أبى حاتم.

(٤) فى الأصل: «عن».

(٥) فى م: «سعد».

أَرْجُو أَنْ أَقُومَ بها، ولكِنَّه خَيَّرَنى، فخِفْتُ أَنْ أَضْعُفَ عن النُّبُوَّةِ، فكانتِ الحِكْمةُ أَحَبَّ إِلَيَّ. وهذا فيه نظرٌ؛ لأَنَّ سعيدَ بنَ بَشِيرٍ عن قَتادَةَ، قد تَكَلَّمُوا فيه. والذى رَواه سعيدُ بنُ أبى عَرُوبَةَ[1]، عن قَتادَةَ، فى قولِه: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ ﴾، قال: يَعْنى الفِقْهَ فى الإِسْلامِ، ولم يَكُنْ نَبِيًّا، ولم يُوحَ إليه. وهكذا نَصَّ على هذا غيرُ واحِدٍ مِن السَّلَفِ؛ منهم مُجاهِدٌ، وسعيدُ بنُ المُسَيَّبِ، [١/٢٩٢و] وابنُ عباسٍ[2] واللَّهُ أعلمُ.

---

(١) التفسير ٣/ ٣٣٨. تفسير الطبرى ٢١/ ٦٧، حيث ساقه ابن جرير بإسناده إلى قتادة. الدر المنثور ٥/ ١٦٤، وعزاه لابن أبى حاتم.

(٢) انظر تفسير الطبرى ٢١/ ٦٧، ٦٨. والتفسير ٦/ ٣٣٦.

قصَّةُ أَصْحابِ الأُخْدُودِ

قال اللَّه تعالى[1] : ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [البروج: ١- ١٠] . قد تَكَلَّمْنا على ذلكَ مُسْتَقْصًى فى تفسيرِ هذه السُّورةِ وللَّهِ الحمدُ. وقد زعَم محمدُ بنُ إسحاقَ أنَّهم كانوا بعدَ مَبْعَثِ المسيحِ[2] ، وخالفَه غيرُه، فزعَموا أنَّهم كانوا قبْلَه[2] . وقد ذَكَرَ[3] غيرُ واحدٍ أنَّ هذا الصَّنيعَ تَكَرَّرَ فى العالَمِ مِرارًا فى حَقِّ المؤمنينَ مِن الجبّارينَ الكافرينَ، ولكنْ هؤلاءِ المذْكورون فى القرآنِ قد وَرَدَ فيهم حديثٌ مَرْفُوعٌ وأَثَرٌ أَوْرَدَه ابنُ إسحاقَ، وهما متعارِضان، وها نحن نورِدُهما لتقِفَ عليهما.

قال الإمامُ أحمدُ[4] : [٥]حدَّثنا عَفَّانُ[٥] ، حدَّثنا حَمَّادُ بنُ سَلَمَةَ، عن ثابتٍ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى لَيْلَى، عن صُهَيْبٍ، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «كان مَلِكٌ فيمَن كان قَبْلَكم، وكان له ساحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ السَّاحِرُ قال للمَلِكِ: إنِّى

---

(١) التفسير ٨/ ٣٨٤ - ٣٩٣.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٣٤.

(٣) فى ص: «زعم».

(٤) فى المسند ٦/ ١٦، ١٧.

(٥ - ٥) سقط من: م.

قد كَبِرَتْ سِنِّى ، وحَضَر أَجَلِى ، فَادْفَعْ إِلَىَّ غلامًا فَلِأُعَلِّمَه السِّحْرَ . فدفَع إليه غلامًا ، فكان يُعَلِّمُه السِّحْرَ ، وكان بَيْنَ السَّاحِرِ وبينَ المَلِكِ راهِبٌ ، فَأَتَى الغلامُ على الرَّاهبِ فسَمِعَ مِن كلامِه ، فَأَعْجَبَه نَحْوُه وكلامُه ، وكان إذا أَتَى السَّاحِرَ ضربَه ، وقال : ما حبَسَكَ ؟ وإذا أَتَى أَهْلَه ضَرَبُوه ، وقالوا : ما حَبَسَك ؟ فشَكَا ذلك إلى الرَّاهِبِ ، فقال : إذا أَرَاد السَّاحرُ أَنْ يَضْرِبَك فقُلْ : حَبَسَنى أَهْلِى . وإذا أَرَاد أَهْلُك أَنْ يَضْرِبُوك فقُلْ : حَبَسَنى السَّاحِرُ » . قال : « فبَيْنَما هو ذاتَ يومٍ ، إِذْ أَتَى على[1] دَابَّةٍ فَظِيعَةٍ عَظِيمَةٍ قد حَبَسَتِ النَّاسَ ، فلا يَسْتطِيعون أَنْ يَجُوزُوا ، فقالَ : اليومَ أعلمُ أَمْرُ السّاحرِ أحبُّ إلى اللَّهِ أَمْ أَمْرُ الرَّاهِبِ » . قال : « فأخَذ حَجَرًا ، فقال : اللهمَّ إِنْ كانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إليك وأَرْضَى مِن أَمْرِ السَّاحِرِ ، فاقْتُلْ هذه الدَّابَّةَ حتى يَجُوزَ النَّاسُ . ورَمَاها فَقَتَلَها ، ومَضَى النَّاسُ[2] ، فأَخْبَرَ الرَّاهبَ بذلك ، فقال : أَىْ بُنَىَّ ، أَنْتَ أَفْضَلُ مِنِّى ، وإنَّك سَتُبْتَلَى ، فإنِ ابْتُلِيتَ فلا تَدُلَّ علىَّ . فكان الغُلامُ يُبْرِئُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ وسائِرَ الأَدْوَاءِ ويَشْفِيهم[3] ، وكان جَلِيسٌ للمَلِكِ فعَمِىَ ، فسَمِعَ به ، فأَتَاه بهَدايَا كثيرةٍ ، فقال : اشْفِنِى ولَكَ ما هَهُنا أَجْمَعُ . فقال : ما أنا أَشْفِى أحدًا ، إِنَّما يَشْفِى [١/ ٢٩٢ظ] اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، فإنْ آمَنْتَ به ، دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ . فآمَنَ ، فدَعَا اللَّهَ فشَفَاه ، ثُمَّ أَتَى المَلِكَ ، فجلَس منه نَحْوَ ما كان يَجْلِسُ ، فقال له المَلِكُ : يا فلانُ ، مَنْ رَدَّ عليكَ بَصَرَك ؟ فقال : رَبِّى . قال : أنا ؟ قال : لا ، رَبِّى ورَبُّك اللَّهُ . قال : ولكَ رَبٌّ غَيْرِى ؟ قال : نَعَم ، رَبِّى ورَبُّك اللَّهُ . فلم يَزَلْ يُعَذِّبُه حتى

---

(١) بعده فى الأصل : « الناس » .

(٢) سقط من : ح ، م .

(٣) بعده فى ح ، م : « الله على يديه » .

دَلَّ على الغُلَامِ ، فأُتِيَ به ، فقال : أَىْ بُنَيَّ ، بلَغ مِن سِحْرِكَ أنْ تُبْرِئَ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ وهذه الأَدْواءَ ؟! قال : ما أَشْفِى أنا أَحَدًا ، إنَّما يَشْفِى اللَّهُ ، عزَّ وجَلَّ . قال : أنا ؟ قال : لا . قال : أَوَلَكَ رَبٌّ غَيْرِى ؟ قال : رَبِّى ورَبُّكَ اللَّهُ » . قال : « فأَخذَه أيضًا بالعذابِ ، ولم يَزَلْ به حتى دَلَّ على الرَّاهِبِ ، فأُتِيَ بالرَّاهبِ ، فقال : ارْجِعْ عن دِينِكَ . فأَبَى ، فوَضَعَ المِنْشارَ فى مَفْرِقِ رَأْسِه حتى وقَع شِقَّاه ، وقال للأَعْمَى : ارْجِعْ عن دِينِك . فأَبَى ، فوضَعَ المِنْشارَ فى مَفْرِقِ رأْسِه حتى وقَع شِقَّاه ، وقال للغلامِ : ارْجِعْ عن دِينِكَ . فأَبَى ، فبَعث به مع نَفَرٍ إلى جَبَلِ كذا وكذا ، وقال : إذا بَلَغْتُمْ ذِرْوَتَه ، فإنْ رجَع عن دِينِه ، وإلَّا فدَهْدِهُوه . فذهَبُوا به ، فلمَّا عَلَوُا الجبلَ قال : اللهمَّ اكْفِنِيهِمْ بما شِئْتَ . فرَجَفَ بهم الجبَلُ ، فدُهْدِهُوا أَجْمَعون ، وجاءَ الغلامُ يَتَلَمَّسُ ، حتى دخَل على المَلِكِ ، فقال : ما فَعَل أصحابُك ؟ فقال : كَفَانِيهِمُ اللَّهُ . فبعَث به مع نَفَرٍ فى قُرْقُورٍ[1] فقال : إذا لَجَجْتُم البَحْرَ ، فإنْ رجَع عن دِينِه ، وإلَّا فغَرِّقُوه فى البَحْرِ . فلَجَجُوا به البحْرَ ، فقال الغُلامُ : اللهمَّ اكْفِنِيهِم بما شِئْتَ . فَغَرِقُوا أَجْمَعُون ، وجاء الغُلامُ [يَتَلَمَّسُ][2] حتى دخَل على المَلِكِ ، فقال : ما فَعَل أَصحابُك ؟ فقال : كَفَانِيهِمُ اللَّهُ . ثم قال للمَلِكِ : إنَّكَ لسْتَ بقاتِلِى حتى تَفْعَلَ ما آمُرُك به ، فإنْ أنت فعلْتَ ما آمُرُك به قَتَلْتَنى ، وإلَّا فإنَّكَ لا تستطيعُ قَتْلى . قال : وما هو ؟ قال : تَجْمَعُ النَّاسَ فى صَعِيدٍ واحدٍ ، ثُم تَصْلِبُنى على جِذْعٍ ، وتَأْخُذُ سَهْمًا مِن كِنَانَتِى ، ثُم قُلْ : بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ الغُلامِ . فإنَّك إذا فعلْتَ ذلك قَتَلْتَنى . ففَعَلَ

---

(١) فى الأصل : « قرقورة » ، وفى ح ، م : « قرقرة » . والقرقور : ضرب من السفن ، وقيل : هى السفينة العظيمة أو الطويلة . اللسان (ق ر ر) .

(٢) ما بين المعكوفين سقط من النسخ ، والمثبت من المسند .

ووضَعَ السَّهْمَ فى كَبِدِ القَوْسِ، ثُمَّ رَمَاه وقال: بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ الغلامِ. فوقَع السَّهْمُ فى صُدْغِه، فوضَع الغلامُ يدَه على موضِعِ السَّهْمِ ومَاتَ، فقال النَّاسُ: آمنَّا بربِّ الغلامِ. فقيل للمَلِكِ: أرأيتَ ما كُنْتَ تحْذَرُ، فقَدْ واللَّهِ نزَل بك، قد آمَن النَّاسُ كلُّهم. فأمَر بأفْوَاهِ السِّكَكِ، فَخُدِّدَتْ[1] فيها الأَخاديدُ، وأُضْرِمَتْ فيها النيرانُ، وقال: مَن رجَع عن دينِه فدَعُوه، وإلَّا فأَقْحِمُوه فيها». قال: «فكانوا يَتَعادَوْنَ فيها ويَتَدافَعُون[2]، فجاءتِ امرأةٌ بابنٍ لها تُرْضِعُه، فكأنَّها تَقاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فى النَّارِ، فقال الصَّبِيُّ: اصْبِرِى يا أُمَّاهُ، فإنَّكِ على الحقِّ». كَذَا رَوَاه الإمامُ أحمدُ. ورواه [٢٩٣/١و] مُسْلِمٌ، والنَّسائىُّ من حديثِ حَمَّادِ ابنِ سَلَمَةَ[3]. زادَ النَّسائىُّ: وحَمَّادُ بنُ زَيْدٍ. كلاهما عن ثابتٍ به[4]. ورَواه التِّرْمِذِىُّ[5] من طريقِ عبدِ الرَّزَّاقِ، عن مَعْمَرٍ، عن ثابتٍ بإسنادِه، نَحْوَه، وحَرَّرَ[6] إيرادَه، كما بَسَطْنا ذلك فى «التفسيرِ»[7].

---

(١) فى الأصل، ح: «فخدت»، وفى م: «فحفر». وفى ص: «فخد»، والمثبت من المسند.

(٢) فى النسخ: «يتواقعون»، والمثبت من المسند.

(٣) مسلم (٣٠٠٥). والنسائى فى الكبرى (١١٦٦١).

(٤) لم نجد طريق حماد بن زيد عند النسائى لا فى المجتبى ولا فى السنن الكبرى. وقد عزاه الحافظ المزى من هذا الطريق إلى النسائى فى الكبرى فى كتاب عمل اليوم والليلة من رواية ابن الأحمر. والذى فى الكبرى فى كتاب عمل اليوم والليلة برقم (١٠٤٥٠) عن سليمان بن المغيرة عن ثابت به.

وقد تعقب الحافظ ابن حجر الحافظ المزى فى النكت الظراف ٤/ ١٩٩، ٢٠٠، فقال:.. وفى اليوم والليلة من رواية ابن الأحمر عن «سليمان بن المغيرة» لا عن حماد بن زيد ولا عن حماد بن سلمة. انظر تحفة الأشراف ٤/ ١٩٩، ٢٠٠.

(٥) الترمذى (٣٣٤٠). صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٦٦١).

(٦) فى ح، م: «جرد»، وفى ص: «جوز».

(٧) التفسير ٣٨٧/٨ - ٣٨٩.

وقد أَوْرَدَ محمدُ بنُ إسحاقَ هذه القصَّةَ على وجهٍ آخرَ[1] ، فقال : حدَّثنى يَزِيدُ بنُ زيادٍ ، عن محمدِ بنِ كَعْبٍ ، وحدَّثنى أيْضًا بعضُ أَهْلِ نَجْرانَ عن أَهْلِها ، أَنَّ أَهْلَ نَجْرَانَ كانوا أَهْلَ شِرْكٍ يَعْبُدون الأَوْثانَ ، وكان فى قريةٍ مِن قُراها قريبًا مِن نَجْرانَ - ونَجْرَانُ هى القريةُ العُظْمَى التى إليها جِمَاعُ أهلِ تلكَ البلادِ - ساحرٌ يُعَلِّمُ غِلْمانَ أهلِ نَجْرَانَ السِّحرَ ، فلَمَّا نَزَلَهَا فَيْمَيُونُ[2] - ولم يُسَمُّوه لى بالاسْمِ الذى سَمَّاهُ لى ابنُ مُنَبِّهٍ ، قالوا : رَجلٌ نزَلَها - فابْتَنَى خَيْمَةً بينَ نَجْرانَ وبينَ تلك القَرْيةِ التى فيها السَّاحرُ ، وجعَل أهلُ نَجْرانَ يُرْسِلون غِلْمَانَهم إلى ذلك السَّاحرِ يُعَلِّمُهم السِّحْرَ ، فبعَث الثَّامِرُ[3] ابنَه عبدَ اللَّهِ بنَ الثَّامِرِ مع غِلْمَانِ أهلِ نَجْرانَ ، فكان إذا مَرَّ بصاحبِ الخَيْمَةِ أَعْجَبَه ما يَرَى مِن عِبادَتِه وصَلاتِه ، فجَعَلَ يَجْلِسُ إليه ويَسْمَعُ منه حتى أَسْلَمَ ، فوَحَّدَ اللَّهَ وعَبَدَه ، وجعَل يَسْأَلُه عن شرائعِ الإسلامِ ، حتى إذا فَقُهَ فيه ، جعَلَ يَسْأَلُه عنْ الاسمِ الأَعْظَمِ ، وكان يَعْلَمُه فكَتَمَه إيّاه ، وقال له : يا ابنَ أخى ، إنَّك لن تَحْمِلَه ، أَخْشَى ضَعْفَك عنه . والثَّامِرُ [4]أبو عبدِ اللَّهِ[4] لا يَظُنُّ إلَّا أَنَّ ابنَه يَخْتَلِفُ إلى السَّاحرِ كما يَخْتَلِفُ الغِلْمانُ ، فلَمَّا رأَى عبدُ اللَّهِ أَنَّ صاحبَه قد ضَنَّ[5] به عنه ، وتَخَوَّفَ ضَعْفَه فيه ، عَمَدَ إلى قِدَاحٍ فجمَعَها ثُم لم يُبْقِ للَّهِ اسْمًا يَعْلَمُه إلَّا كَتَبَه فى قِدْحٍ ، لكلِّ اسمٍ قِدْحٌ ، حتى إذا أَحْصَاها أَوْقَدَ نارًا ثم جَعَلَ يقذِفُها فيها قِدْحًا قِدْحًا ، حتى إذا مَرَّ بالاِسْمِ الأَعْظَمِ ، قَذَفَ فيها بقِدْحِه ، فوَثَبَ القِدْحُ حتى خرَج منها لم تَضُرَّه

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٣٤.
(٢) فى الأصل ، م : « فيمون » .
(٣) فى م فى هذا الموضع وفيما يأتى بعد : « التامر » .
(٤ - ٤) سقط من : م .
(٥) فى الأصل ، ص : « ظن » .

شيئًا ، فأخَذَه ثم أتَى به صاحبَه ، فأخْبَرَه أنّه قد عَلِمَ الاسمَ الأعظمَ الذى قد كَتَمَه ، فقال : وما هو؟ قال : كذا وكذا . قال : وكيف عَلِمْتَه؟ فأخْبَرَه بما صنعَ ، قال : أيِ ابنَ أخِى ، قد أَصَبْتَه ، فأَمْسِكْ على نَفْسِك ، وما أظنُّ أنْ تَفْعَلَ[1] . فجعَل عبدُ اللَّهِ بنُ الثامرِ إذا دخَل نَجْرانَ ، لم يَلْقَ أحَدًا به ضُرٌّ إلّا قال : يا عبدَ اللَّهِ ، أتُوَحِّدُ اللَّهَ وَتَدْخُلُ فى دِينى ، وأَدْعُو اللَّهَ لك فيُعافِيَك مِمّا أنتَ فيه من البَلاءِ؟ [2]فيقولُ : نَعَم . فيُوَحِّدُ اللَّهَ ويُسْلِمُ ، ويَدْعو له فيُشْفَى ، حتى لم يَبْقَ بنَجْرانَ أحدٌ به ضُرٌّ إلّا أتَاه فاتَّبَعه على أمْرِه[2] ودَعَا له فعُوفِيَ ، حتى رُفِعَ شَأْنُه إلى مَلِكِ نَجْرانَ ، فدَعاه فقال : أَفْسَدْتَ علىَّ أهْلَ قَرْيَتى ، وخَالَفْتَ دِينى ودِينَ آبائى ، لَأُمَثِّلَنَّ بك . [١/٢٩٣ظ] قال : لا تَقْدِرُ على ذلك . فجعَل يُرْسِلُ به إلى الجبلِ الطَّويلِ ، فيُطْرَحُ على رأسِه ، فيَقَعُ إلى الأرضِ ما به بَأْسٌ ، وجعَل يَبْعَثُ به إلى مياهٍ بنَجْرَانَ ؛ بُحُورٍ لا يُلْقَى فيها شىءٌ إلّا هَلَكَ ، فيُلْقَى به فيها ، فيَخْرُجُ ليس به بَأْسٌ ، فلمّا غلَبَه ، قال له عبدُ اللَّهِ بنُ الثامرِ : إنك واللَّهِ لا تَقْدِرُ على قَتْلى حتى تُوَحِّدَ اللَّهَ فتُؤْمِنَ بما آمَنْتُ به ، فإنّك إنْ فَعَلْتَ ، سُلِّطْتَ علىَّ فقَتَلْتَنى . قال : فوَحَّدَ اللَّهَ ذلك المَلِكُ ، وشَهِدَ شَهادةَ عبدِ اللَّهِ بنِ الثامرِ ، ثم ضَرَبَه بِعَصًا فى يَدِه ، فشَجَّه شَجَّةً غيرَ كبيرةٍ فقَتَلَه ، وهَلَكَ المَلِكُ مكانَه ، واسْتَجْمَعَ أهلُ نَجْرانَ على دِينِ عبدِ اللَّهِ بنِ الثَّامرِ ، وكان على ما جاء به عيسَى ابنُ مريمَ مِن الإنجيلِ وحُكْمِه ، ثم أَصَابهم ما أَصابَ أهلَ دينِهم مِن الأحْداثِ[3] ، فَمِنْ هُنَالِكَ كان أَصْلُ[4] دينِ النَّصْرانِيَّةِ بِنَجْرَانَ .

---

(١) فى الأصل : « ينفعك » .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) فى ح ، م : « الأحزاب » .

(٤) سقط من : الأصل .

قال ابنُ إسحاقَ : فهذا حديثُ محمدِ بنِ كعبٍ وبعضِ أهْلِ نجرانَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الثَّامرِ ، فاللَّهُ أعْلمُ أىُّ ذَلكَ كان . قال : فسارَ إليهم ذُو نُوَاسٍ بجُنْدِهِ ، فدَعاهُم إلى اليهوديَّةِ ، وخيَّرَهم بينَ ذلك أو القتلِ ، فاخْتاروا القتلَ ، فَخَدَّ الأُخْدودَ ، وحرَّق بالنَّارِ ، وقتَل بالسيفِ ، ومَثَّلَ بهم ، فَقَتَلَ منهم قريبًا من عشرينَ ألفًا ، ففى ذِى نُوَاسٍ وجُنْدِه أَنْزَلَ اللَّهُ على رسولِه ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴾ الآيات . وهذا يَقْتَضِى أَنَّ هذه القصّةَ غيرُ ما وقَع فى سياقِ مُسْلِمٍ .

وقد زعَم بعضُهم أنَّ الأُخْدودَ وقَع فى العالَمِ كثيرًا ، كما قال ابنُ أبى حاتمٍ[1] : حدّثنا أبى ، حدّثنا أبو اليَمَانِ ، أنبأنا صَفْوانُ ، عن عبدِ الرَّحمنِ بنِ جُبَيْرٍ ، قال : كانت الأُخْدودُ فى اليَمَنِ زمانَ تُبَّعٍ ، وفى القُسْطَنْطِينيَّةِ زمانَ قُسْطَنْطِينَ ، حينَ[2] صرَف النَّصارَى قِبْلتَهم[3] عن دينِ المسيحِ والتَّوْحيدِ ، واتَّخَذَ أَتُّونًا ، وأَلْقَى فيه النَّصارَى الذين كانوا على دِينِ المسيحِ والتَّوْحيدِ ، وفى العراقِ فى أَرْضِ بابلَ فى زمانِ بُخْتُ نَصَّرَ ، حينَ صنَعَ الصَّنَمَ ، وأَمَرَ النَّاسَ فَسجدُوا له ، فامْتَنَعَ دانيالُ وصاحِباهُ عَزريا ومشايلُ ، فَأَوْقَدَ لهم أَتُّونًا وأَلْقَى فيها الحَطَبَ والنَّارَ ، ثُمَّ أَلْقاهُم فيها ، فجَعَلَها اللَّهُ عليهم بَرْدًا وسلَامًا ، وأنقذَهُم منها ، وأَلْقَى فيها الذينَ بَغَوْا عليه ، وهم تسعةُ رَهْطٍ ، فأَكَلَتْهم النارُ .

وقال أسباطٌ ، عن السُّدِّىِّ ، فى قولِه : ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴾ قال :

---

(١) ذكره المصنف فى تفسيره ٨/ ٣٩٣. وعزاه لابن أبى حاتم .

(٢) فى الأصل ، ص : « حتى » .

(٣) فى الأصل : « فقتلهم » .

كان الأُخْدودُ ثلاثةً ، خَدٌّ بالشامِ ، وخَدٌّ بالعراقِ ، وخَدٌّ باليمنِ . رَواه ابنُ أبى حاتمٍ .

وقد اسْتَقصَيْتُ ذِكْرَ أصحابِ الأخدودِ ، والكلامَ على تفسيرِها فى تفسيرِ سورةِ « البُرُوجِ » من كتابِنا « التفسيرِ » ، ولِلّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

باب بيان الإذن في الرواية

(1)والتحديث(1) عن أخبار بنى إسرائيل

[٢٩٤/١و] قال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنا عبدُ الصَّمَدِ ، حدَّثنا هَمَّامٌ ، حدَّثنا زيدٌ ، عن عطاءِ بنِ يَسَارٍ ، عن أبى سعيدٍ الخُدْرِىِّ ، رضى اللَّه عنه ، عن النبىِّ ﷺ ، أنَّه قال : « حَدِّثُوا عنِّى ولا تَكْذِبُوا علىَّ ، ومَن كذَب علىَّ مُتَعَمِّدًا ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَه مِن النَّارِ ، وحَدِّثُوا عن بنى إسرائيلَ ولا حَرَجَ » .

وقال أيضًا[3] : حدَّثنا عَفَّانُ ، حدَّثنا هَمَّامٌ ، أنبأنا زيدُ بنُ أَسْلَمَ ، عن عطاءِ ابنِ يَسَارٍ ، عن أبى سعيدٍ الخُدْرِىِّ ، عن النَّبىِّ ﷺ ، قال : « لا تَكْتُبُوا عنِّى شَيْئًا غيرَ القرآنِ ، فمَن كتَب عنِّى شيئًا غيرَ القرآنِ فلْيَمْحُه » . وقال : « حَدِّثُوا عن بنى إسرائيلَ ولا حَرَجَ ، حَدِّثُوا عنِّى ولا تَكْذِبوا علىَّ » . قال : « ومَن كذَب علىَّ - قال همّامٌ : أَحْسَبُه قال : مُتَعَمِّدًا - فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَه مِنَ النَّارِ » . وهكذا رواهُ مسلمٌ ، والنَّسائىُّ ، من حديثِ هَمّامٍ[4] . ورَوَاه أبو عَوَانةَ الإسْفِرَايينىُّ[5] ، عن أبى داودَ السِّجِسْتانىِّ ، عن هُدْبَةَ ، عن هَمَّامٍ ، عن زيدِ بنِ أَسْلَمَ به ، ثُم

(١ - ١) سقط من : م ، وفى الأصل : « والتحدث » .

(٢) فى المسند ٣/ ٤٦.

(٣) فى المسند ٣/ ٥٦. (صحيح الجامع الصغير ٧٣١١).

(٤) مسلم (٣٠٠٤) ، والنسائى فى الكبرى (٨٠٠٨ ، ٥٨٤٨).

(٥) وقد عزاه صاحب التحفة إلى أبى عوانة عن أبى داود به ، كما ذكره المصنف . تحفة الأشراف ٣/ ٤٠٨.

قال : قال أبو داودَ : أَخطَأَ فيه هَمَّامٌ ، هو مِن قولِ أبي سعيدٍ . كذا قال . وقد رَواه التِّرمِذِيُّ ، عن سفيانَ بنِ[1] وكيعٍ ، عن سفيانَ بنِ عُيَيْنَةَ ، عن زيدِ بنِ أَسْلَمَ بيعضِه مرفوعًا[2] . فاللَّهُ أعلمُ .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا الوليدُ بنُ مسلم ، أنبأنا الأَوْزَاعِيُّ ، حدَّثنا حَسّانُ بنُ عطيةَ ، حدّثني أبو كَبْشَةَ السَّلُولِيُّ ، أَنَّ عبدَ اللَّهِ بنَ عَمْرِو بنِ العَاصِ ، حَدَّثَه أنّه سَمِعَ رسولَ اللَّهِ ﷺ - يعني يقولُ -: « بَلِّغُوا عنِّي ولوْ آيةً ، وحدِّثُوا عن بني إسرائيلَ ولا حَرَجَ ، ومَن كذَب عليَّ مُتعَمِّدًا ، فلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَه مِن النَّارِ » . ورواه أحمدُ أيضًا ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ نُمَيْرٍ وعبدِ الرَّزَّاقِ ، كِلاهما عن الأَوْزاعِيِّ به[4] . وهكذا رواه البخاريُّ ، عن أبي عاصمٍ النَّبيلِ ، عن الأَوْزَاعِيِّ به[5] . وكذا رواه التِّرمذيُّ ، عن بُنْدَارٍ ، عن أبي عاصمٍ[6] . ثُم رواه عن محمدِ ابنِ يحيى الذُّهْليِّ ، عن محمدِ بنِ يوسُفَ الفِرْيَابِيِّ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ ثابتِ ابنِ ثَوْبانَ ، عن حسّانَ بنِ عطيةَ به[6] ، وقال : حَسَنٌ صحيحٌ .

وقال أبو بكرٍ البَزّارُ[7] : حدَّثَنا محمدُ بنُ المُثَنَّى أبو موسى ، حدَّثنا [8]مُعاذُ بنُ هِشامٍ[8] ، حدَّثنا أبي ، عن قَتَادَةَ ، عن أبي حَسّانَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عَمْرٍو قال :

---

(١) في ح ، م : « عن » .

(٢) الترمذى (٢٦٦٥) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢١٤٧) .

(٣) أحمد فى المسند ٢/ ١٥٩. (إسناده صحيح) .

(٤) أحمد فى المسند ٢/ ٢٠٢. (إسناده صحيح) .

(٥) البخارى (٣٤٦١) .

(٦) سنن الترمذى (٢٦٦٩) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢١٥٠) .

(٧) انظر كلام البزار فى كشف الأستار ، تحت حديث رقم (٢٣٠) .

(٨ - ٨) فى ح : « هشام بن معاذ » ، وفى م : « هشام بن معاوية » . وانظر التقريب ٢/ ٢٥٧.

كان نبيُّ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُنا عامَّةَ ليْلِه عن بَنى إسرائيلَ حتى [(١] يُصْبحَ ، ما يَقُومُ [١)] فيها إلَّا لعُظْمِ [(٢)] صَلاةٍ . [(٣] ورواه أبو داودَ ، عن محمدِ بنِ المُثَنَّى [(٤)] . ثم قال البَزَّارُ [(٥)] : حَدَّثنا محمدُ بنُ المُثَنَّى ، حدَّثنا عفَّانُ ، حدَّثنا أبو هلالٍ ، عن قَتادَةَ ، عن أبى حَسّانَ ، عن عِمْرانَ بنِ حُصَيْنٍ ، قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُنا عامَّةَ لَيْلِه عن بنى إسرائيلَ لا يقومُ إلَّا لعُظْمِ [(٦)] صلاةٍ [٣)] . قال البزَّارُ : وهشامٌ أحْفَظُ من أبى هِلالٍ . يعنى ، أَنَّ الصَّوابَ عن عبدِ اللَّهِ بنِ عَمْرٍو ، لا عن عِمرانَ ابنِ حُصَيْنٍ . واللَّهُ أعلمُ .

وقال الإمامُ أحمدُ [(٧)] : حَدَّثنا يحيى [١/٢٩٤ظ] ، هو القَطَّانُ ، عن محمدِ ابنِ عَمْرٍو ، حدَّثنا أبو سَلَمَةَ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبيِّ ﷺ قال : « حَدِّثُوا عن بنى إسرائيلَ ولا حَرَجَ » إسنادٌ صحيحٌ ولم يُخَرِّجُوه .

وقال الحافظُ أبو يَعْلَى [(٨)] : حَدَّثَنا أبو خَيْثَمَةَ ، حدّثنا وَكِيعٌ ، حدَّثنا رَبيعُ بنُ

(١ - ١) فى الأصل ، ح ، م : « نصبح ما نقوم » .

(٢) فى النسخ : « لمعظم » ، والتصويب من كشف الأستار ، ومعناه ، أنه لا يقوم إلا إلى الفريضة ، وانظر سنن أبى داود (٣٦٦٣) .

(٣ - ٣) سقط من : ح .

(٤) أبو داود (٣٦٦٣) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣١١١) .

(٥) كشف الأستار (٢٢٣) . قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ١/ ١٩١: رواه البزار وأحمد والطبرانى فى الكبير ، وإسناده صحيح .

(٦) فى النسخ : « لمعظم » . والمثبت من كشف الأستار .

(٧) أحمد فى المسند ٢/ ٤٧٤.

(٨) ذكره الحافظ ابن حجر فى المطالب العالية (٦٨٧) ، وعزاه لأبى بكر البزار . وقد عزاه البوصيرى في إتحاف السادة المهرة إلى أبى يعلى وقال : بسند رجاله ثقات . كما فى حاشية المطالب العالية ١/ ١٩٢. كما أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف ٩/ ٦٢. من طريق وكيع به مختصرًا .

سعدٍ الجُعْفِىِّ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ سابِطٍ ، عن جابرٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « حَدِّثُوا عن بنى إسرائيلَ ، فإنَّه قد كان فيهم الأعاجيبُ » . ثُمَّ أَنْشَأَ يُحدِّثُ ﷺ قال : « خرَجَتْ طائفةٌ من بنى إسرائيلَ ، حتى أَتَوْا مَقبَرةً مِن مقابِرِهم ، فقالوا : لو صَلَّينا رَكْعَتَيْنِ ودَعَوْنا اللَّهَ ، عَزَّ وجَلَّ ، فيُخْرِجُ لنا رَجُلًا قد ماتَ نُسائِلُه ، يُحَدِّثُنا عن الموتِ . ففعلوا ، فبينَما هم كذلك ، إذْ أَطْلَعَ رجلٌ رَأْسَه مِن قبرٍ مِن تلك القبورِ ، رجلٌ[1] بينَ عَيْنَيْه أَثَرُ السُّجودِ ، فقال : يا هؤلاءِ ، ما أردتُم إلىَّ ، فقد مِتُّ منذُ مِائةِ عامٍ ، فما سَكَنَتْ عنِّى حرارةُ الموتِ حتى الآنَ ، فادْعوا اللَّهَ أنْ يُعيدَنى كما كُنْتُ » . وهذا حديثٌ غريبٌ .

إذا تَقَرَّرَ جوازُ الرِّوايةِ عنهم ، فهو محمولٌ على ما يمكنُ أنْ يكونَ صحيحًا ، فأمَّا ما يُعْلَمُ أو يُظَنُّ بُطْلانُه ؛ لمخالَفَتِه الحقَّ الذى بأيدينا عن المعصومِ ، فذاك متروكٌ مرْدُودٌ لا يُعَرَّجُ عليه ، ثم مع هذا كلِّه ، لا يلزمُ مِن جوازِ روايتِه أَنْ يُعْتَقَدَ صِحَّتُه ؛ لما رواه البخارىُّ قائلًا[2] : حدَّثَنا محمدُ بنُ بَشَّارٍ[3] ، حدَّثَنا عثمانُ بنُ عُمَرَ ، حدَّثَنا علىُّ بنُ المبارَكِ ، عن يحيى بنِ أبى كثيرٍ ، عن أبى سَلَمَةَ ، عن أبى هريرةَ قال : كان أهلُ الكتابِ يَقْرَءُون التوراةَ بالعِبْرَانيّةِ ويُفَسِّرُونها بالعربيةِ لأهلِ الإسلامِ ، فقالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا تُصَدِّقُوا أهلَ الكتابِ ولا تُكَذِّبُوهم ، وقُولُوا : ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا ﴾[4] » [البقرة : ١٣٦] . تَفَرَّدَ به

---

(١) سقط من : م ، ص .

(٢) البخارى (٤٤٨٥ ، ٧٣٦٢ ، ٧٥٤٢) .

(٣) فى الأصل غير منقوطة ، وفى ح ، م ، ص : « يسار » .

(٤) بعده فى الأصل ، ح ، م : « وما أنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون » . وهذا اللفظ ليس فى كتاب اللَّه ، فالجزء المثبت جزء من آية ١٣٦ من سورة البقرة . =

البُخاريُّ مِن هذا الوجْهِ .

ورَوَى الإمامُ أحمدُ[1] من طريقِ الزُّهْرِيِّ ، عن ابنِ[2] أبى نَمْلَةَ الأنصاريِّ ، عن أبيه ، أنه كان جالسًا عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، إِذْ جاء رجلٌ مِن اليهودِ ، فقال : يا محمدُ ، هل تَتَكَلَّمُ هذه الجِنازةُ ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اللَّهُ أَعْلَمُ » . فقال اليهودِىُّ : أنا أَشْهَدُ أَنَّها تَتَكَلَّمُ ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إذا حَدَّثَكُمْ أهلُ الكتابِ ، فَلَا تُصَدِّقُوهُم ولا تُكَذِّبوهم ، وقُولوا : آمَنَّا باللَّهِ وكُتُبِه وَرُسُلِه . فإن كان حَقًّا ، لَمْ تُكَذِّبُوهم ، وإنْ كانَ باطلًا ، لَمْ تُصَدِّقُوهم » . تَفَرَّدَ به أحمدُ .

وقال الإمامُ أَحمدُ[3] : حَدَّثَنا سُرَيْجُ[4] بنُ النُّعْمانِ ، حدَّثَنا هُشَيْمٌ ، أَنْبأنا مُجالِدٌ ، عن الشَّعْبِيِّ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، أَنَّ عُمَرَ بنَ الخطَّابِ أَتَى النبيَّ ﷺ ، بكتابٍ أَصَابَه مِن بعضِ أهلِ الكتابِ ، فقَرَأَه [٢٩٥/١و] على النبيِّ ﷺ . قال : فغَضِبَ وقال : « أَمُتَهَوِّكُون فيها يا بنَ الخَطَّابِ ؟ والذى نَفْسِى بيَدِه ، لقد جِئْتُكُم بِها بيضاءَ نَقِيَّةً ، لا تَسْأَلُوهم عن شيءٍ ، فيُخْبِروكم بحَقٍّ فتُكَذِّبُوا به ، أَوْ بباطِلٍ فتُصَدِّقُوا به ، والذى نَفْسِى بيَدِه ، لو أَنَّ موسى كان حَيًّا ، ما وَسِعَه إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِى » . تَفَرَّدَ به أحمدُ ، وإسنادُه على شَرْطِ مسلمٍ .

= وقد ذكر الحافظ فى الفتح ٨/ ١٧٠، ١٧١ عن مستخرج الإسماعيلى هذه الزيادة . وأما ص ففيها : ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٤٦] .

(١) أحمد فى المسند ٤/ ١٣٦. (ضعيف الجامع الصغير ٤٦٣، ٥٠٥٢).

(٢) سقط من : م .

(٣) تقدم فى ١/ ٤٥٧.

(٤) فى الأصل، م : « شريح » .

فهذه الأَحاديثُ دليلٌ على أنَّهم قد بَدَّلوا ما بأيديهِم مِن الكتبِ السماويةِ، وحَرَّفُوها، وأَوَّلُوها، ووضَعُوها على غيرِ مواضِعِها، ولاسِيَّما ما يُبْدونه من المُعَرَّبَاتِ، التى لم يُحِيطوا بها عِلمًا وهى بِلُغَتِهم، فكيفَ يُعَبِّرون عنها بغيرِها؟ ولِأَجْلِ هذا وقَع فى تَعْرِيبِهم خطأٌ كبيرٌ ووَهْمٌ كثيرٌ مع ما لَهم مِن المقاصِدِ الفاسدةِ، والآراءِ البارِدَةِ، وهذا يَتَحَقَّقُه مَن نظَر فى كُتُبِهم التى بأيديهِم، وتَأَمَّلَ ما فيها من سُوءِ التَّعبيرِ، وقبيحِ التَّبْديلِ والتَّغييرِ، واللَّهُ المستعانُ، وهو نِعْمَ المَوْلَى ونِعْمَ النَّصيرُ.

هذه التوراةُ التى يُبْدُونَها ويُخْفُون منها كثيرًا فيما ذكَرُوه، فيها تَحْريفٌ وتَبْديلٌ وتغييرٌ وسوءُ تَعبيرٍ، يَعْلَمُه مَن نظَر فيها، وتَأَمَّلَ ما قالوه وما أَبْدَوه وما أَخْفَوه، (١)وكيف يَصُوغُون(١) عبارةً فاسدةَ البناءِ والتَّركيبِ، باطلةً من حيثُ معناها وألفاظُها. وهذا كعبُ الأَحْبارِ، مِن أَجْودِ مَن يَنْقُلُ عنهم، وقد أَسْلَمَ فى زمنِ عُمَرَ، وكان يَنْقُلُ شيئًا عن كُتُبِ[٢] أهلِ الكتابِ، فكان عُمَرُ، رَضِىَ اللَّهُ عنه، يَسْتَحْسِنُ بعضَ ما يَنْقُلُه؛ لِمَا يُصَدِّقُه من الحقِّ، وتَأْليفًا لقلبِه، فَتَوَسَّع كثيرٌ مِن النَّاسِ فى أَخْذِ ما عندَه، وبالغَ أيضًا هو فى نَقْلِ تلك الأَشْياءِ، التى كثيرٌ منها لا يُساوِى مِدادَه، ومنها ما هو باطلٌ لا مَحالةَ، ومنها ما هو صحيحٌ، لِمَا يَشْهَدُ له مِن الحقِّ الذى بأيدينا.

وقد قال البخارىُّ[٣]: وقال أبو اليمانِ: حدّثنا شُعَيبٌ، عن الزُّهْرِىِّ،

(١ - ١) فى ح، م: «كيف يسوغون»، وفى ص: «كانوا يضفون».

(٢) سقط من: ح، م.

(٣) البخارى (٧٣٦١).

أَخْبَرَنى حميدُ بنُ عبدِ الرحمنِ، أنّه سَمِعَ معاويةَ يُحَدِّثُ رَهْطًا مِن قُرَيْشٍ بالمدينةِ، وذكَرَ كَعْبَ الأحْبَارِ، فقال: إنْ كان مِن أَصْدَقِ هؤلاءِ المحَدِّثين الذين يُحَدِّثُون عن أهلِ الكتابِ، وإنْ كُنَّا - مع ذلك - لَنَبْلُو عليه الكَذِبَ. يَعْنى، مِن غيرِ قَصْدٍ منه.

وروَى البخاريُّ[1] مِن حديثِ الزُّهرِيِّ، عن عبيدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ، عن ابنِ عبَّاسٍ، أنَّه قال: كيفَ تَسْألون أَهْلَ الكتابِ عن شيءٍ، وكتابُكم الذى أَنْزَلَ اللَّهُ علَى رسولِه أحدثُ الكُتُبِ[2] باللَّهِ، تَقْرَءُونَه مَحْضًا لم يُشَبْ؟ وقد حَدَّثَكم أَنَّ أهلَ الكتابِ بَدَّلُوا كتابَ اللَّهِ وغَيَّرُوه، وكَتَبُوا بأيديهِم الكتابَ، وقالوا: هو مِن عندِ اللَّهِ. لِيَشْتَرُوا به ثمنًا قليلًا، أَلَا يَنْهاكم ما جاءَكم مِن العِلْمِ عن مَسْأَلَتِهِم، لَا واللَّهِ، ما رأَيْنا منهم رجلًا يَسْأَلُكم عن الذى أُنْزِلَ عليكم.

وروَى ابنُ جَريرٍ[3]، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ، أنه قال: [١/٢٩٥ظ] لا تَسْأَلُوا أهلَ الكتابِ عن شيءٍ؛ فإنَّهم لن يَهْدُوكم وقد ضَلُّوا، إمَّا أن تُكَذِّبُوا[4] بحقٍّ، أو تُصَدِّقُوا[4] بباطلٍ. واللَّهُ أعلمُ.

---

(١) البخارى (٢٦٨٥، ٧٣٦٣، ٧٥٢٣).

(٢) كذا فى النسخ، وفى البخارى: «الأخبار».

(٣) تفسير الطبرى ٢١/ ٣.

(٤ - ٤) فى الأصل: «الحق أو تصدوا».

قِصَّةُ جُرَيْجٍ، أحَدِ عُبّادِ بَنِى إسرائيلَ

قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثَنا وَهْبُ بنُ جَريرٍ ، حدَّثنى أَبِى ، سمِعتُ محمدَ ابنَ سِيرِينَ ، يُحَدِّثُ عن أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لم يَتَكَلَّمْ فى المَهْدِ إلَّا ثلاثةٌ ؛ عيسَى ابنُ مريمَ » . قال : « وكان فى بنى إسرائيلَ رجلٌ عابدٌ يُقالُ له : جُرَيْجٌ . فابْتنَى صَوْمَعَةً وتَعبَّدَ فيها » . قال : « فذكَر بنو إسرائيلَ عِبادةَ جُرَيْجٍ ، فقالتْ بَغِيٌّ مِنهم : لَئِنْ شِئْتُم لأَفْتِنَنَّه . فقالوا : قد شِئْنا ذلك » . قال : « فأَتَتْه فتَعَرَّضَتْ له ، فلَمْ يَلْتَفِتْ إليها ، فأَمْكَنَتْ نَفْسَها مِن راعٍ كان يَأْوِى غَنَمَه إلى أَصلِ صَوْمَعَةِ جُرَيْجٍ ، فحَمَلَتْ ، فوَلَدَتْ[2] غلامًا ، فقالوا : مِمَّنْ ؟ قالتْ : مِن جُرَيْجٍ . فأَتَوْه فاسْتَنْزَلُوه ، فشَتَمُوه وضَرَبُوه وهَدَمُوا صَوْمَعَتَه ، فقال : ما شَأْنُكم ؟ قالوا : إنَّكَ زَنَيْتَ بهذه البَغِيِّ ، فوَلَدَتْ غُلامًا . قال : وأينَ هو ؟ قالوا : هو ذا » . قال : « فقام فصَلَّى ودَعَا ، ثُم انصرَفَ إلى الغُلامِ ، فطَعَنَه بأُصْبُعِه ، فقال : باللَّهِ يا غُلامُ ، مَن أبوك ؟ فقال : أنا[3] ابنُ الرَّاعِى . فوَثَبُوا إلى جُرَيْجٍ فجَعَلُوا يُقَبِّلُونَه ، وقالوا : نَبْنِى صَوْمَعَتَك مِن ذَهَبٍ . قال : لَا حاجَةَ لى فى ذلكَ ، ابْنُوها مِن طِينٍ كما كانت » . قال : « وبيْنَما امْرَأَةٌ فى حِجْرِها ابنٌ لها تُرْضِعُه إذْ مَرَّ بها راكبٌ ذُو شَارَةٍ[4] ، فقالتْ : اللهمَّ اجْعَلِ ابْنِى مثلَ هذا » . قال : « فتَرَكَ ثَدْيَها

---

(١) فى المسند ٢/ ٣٠٧. (إسناده صحيح) .

(٢) فى ص : « فوضعت » .

(٣) سقط من : ح .

(٤) قال الحافظ فى الفتح ٦/ ٤٨٣ : أى ؛ صاحب حُسن . وقيل : صاحب هيئة ومنظر وملبس حسن ،=

وأَقْبَل على الراكبِ ، فقال : اللهمَّ لا تجْعَلْنِى مِثْلَه » . قال : « ثُم عادَ إلى ثَدْيِها فَمَصَّه » . قال أبو هريرةَ : فكَأَنِّى أَنْظُرُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، يَحْكِى[١] صَنِيعَ الصَّبِىِّ ، ووَضَعَ أُصْبُعِه فى فَمِه يَمُصُّها . « ثم مُرَّ[٢] بأَمَةٍ تُضْرَبُ ، فقالت : اللهمَّ لا تجْعلِ ابنِى مِثْلَها » . قال : « فترَكَ ثَدْيَها وأقْبلَ على الأَمَةِ ، فقال : اللهمَّ اجْعلْنِى مِثْلَها » . قال : « فذاك حينَ تَرَاجَعا الحديثَ ، فقالت : حَلْقَى[٣] ! مَرَّ الرَّاكِبُ ذو الشَّارَةِ فقلتُ : اللهمَّ اجْعَلِ ابْنِى مِثْلَه . فقلتَ : اللهمَّ لا تَجْعلْنِى مِثْلَه . وَمُرَّ[٤] بهذه الأَمَةِ ، فقلتُ : اللهمَّ لَا تَجعلِ ابنى مِثْلَها . فقلْتَ : اللهمَّ اجْعلْنِى مِثْلَها ؟ ! فقال : يا أُمَّتَاه ، إنّ الرّاكبَ ذُو[٥] الشَّارةِ جَبَّارٌ مِن الجبابرةِ ، وإنَّ هذه الأَمَةَ يقولون : زَنَتْ . ولَمْ تَزْنِ ، و : سَرَقَتْ . ولَمْ تَسْرِقْ ، وهى تقولُ : حَسْبِىَ اللَّهُ » . وهكذا رواه البخارىُّ فى أحاديثِ الأَنبياءِ ، وفى المظالِمِ عن مسلمِ بنِ إبراهيمَ ، ومسلمٌ فى كتابِ الأدبِ ، عن زُهَيْرِ بنِ حَرْبٍ ، عن يَزيدَ بنِ هارونَ ، كِلاهُما عن جَرِيرِ بنِ حازمٍ به[٦] .

= يتعجب منه ويشار إليه .

(١) بعده فى المسند : « علىّ » .

(٢) فى م : « مرت » .

(٣) فى م : « خلفى » ، وفى ح غير منقوطة . قال الشيخ أحمد شاكر فى شرح المسند ١٥/ ٢١١: حلقى بوزن غَضْبَى ، أصل معناها ؛ الدعاء عليها أن تئيم من زوجها فتحلق شعرها . ثم استعملت بمعنى التعجب ، ولا يقصد بها الدعاء .

(٤) فى م : « مررت » .

(٥) فى الأصل : « ذا » . والمثبت كما فى المسند . قال الحافظ فى الفتح ٦/ ٤٨٣: فى رواية أحمد : « فقال : يا أمتاه ، أما الراكب ذو الشارة فجبار من الجبابرة » .

(٦) البخارى فى الأنبياء ، تقدم تخريجه فى ٢/ ٥٢٣، ٥٢٤، وفى المظالم (٢٤٨٢) مختصرا . ومسلم (٢٥٥٠) .

طريقٌ أُخرى وسياقٌ آخرُ ؛ قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا يَحيى بنُ سعيدٍ ، حدّثَنا سليمانُ بنُ المغيرةِ ، [٢٩٦/١و] حدّثنا حُميدُ بنُ هلالٍ ، عن أبي رافِعٍ ، عن أبي هريرةَ ، عن النبيِّ ﷺ ، قال : « كان جُرَيْجٌ يتعَبَّدُ في صَوْمَعَتِه » . قال : « فأَتَتْه أُمُّه فقالت : يا جُرَيْجُ ، أنَا أُمُّك فكَلِّمْنِي » . قال : وكان أبو هريرةَ يَصِفُ [2]كما كان رسولُ اللَّهِ ﷺ ، يَصِفُها ، وَضَعَ[2] يدَه على حاجِبِه الأيمنِ ، قال : « فصادَفَتْه يُصَلِّي ، قال : يا ربِّ ، أُمِّي وصَلاتِي . فاخْتارَ صَلاتَه ، فرَجَعَتْ ثُم أَتَتْه فصادَفَتْه يُصَلِّي ، فقالَتْ : يا جُرَيْجُ ، أنَا أُمُّك فكَلِّمْنِي . فقال : يا رَبِّ ، أُمِّي وصَلاتِي . فاخْتارَ صَلاتَه فقالتْ : اللهمَّ هذا جُرَيْجٌ ، وإنَّه ابني ، وإنِّي كَلَّمْتُه فأَبَى أنْ يُكَلِّمَنِي ، اللهمَّ فلا تُمِتْه حتَّى تُرِيَه المُومِساتِ[3] . ولو دَعَتْ عليه أَنْ يُفْتَتَنَ ، لَافْتُتِنَ » . قال : « وكان راعٍ يَأْوِي إلى دَيْرِه ، فخرَجَتِ امرأةٌ فوقَع عليها الراعِي ، فوَلَدَتْ غُلامًا ، فقيلَ : مِمَّن هذا ؟ فقالتْ : هو مِن صاحبِ الدَّيْرِ . فأَقْبَلوا بفُؤُوسِهم ومَسَاحِيهِمْ ، وأَقْبَلُوا إلى الدَّيْرِ فنادَوْه ، فلم يُكَلِّمْهم ، فأَقْبَلوا يَهْدِمُون دَيْرَه ، فنزَلَ إليهم ، فقالُوا : سَلْ هذه المرأةَ » . قال : « أُرَاهُ تَبَسَّمَ » . قال : « ثُم مسَح رأسَ الصَّبِيِّ ، فقال : مَن أبوك ؟ قال : راعِي الضَّأْنِ . قالوا : يا جُرَيْجُ ، نَبْنِي ما هَدَمْنا مِن دَيْرِك بالذَّهَبِ والفِضَّةِ . قال : لَا ، ولكنْ أَعِيدُوه كما كان . ففعَلوا » .

ورَواه مسلمٌ في الاسْتِئْذانِ ، عن شيبانَ بنِ فَرُّوخَ ، عن سليمانَ بنِ المُغيرةِ به[4] .

---

(١) المسند ٢/ ٤٣٣.

(٢ - ٢) في الأصل : « كيف كان رسول الله ﷺ ووضع » ، وفي ح ، م ، ص : « كيف كان رسول الله ﷺ وضع » . والمثبت من المسند.

(٣) المومسات : الزواني البغايا المتجاهرات بذلك . ومفردها مومسة .

(٤) مسلم (٢٥٥٠) في كتاب البر والصلة ، وليس في كتاب الاستئذان كما قال المصنف - رحمه =

سِيَاقٌ آخَرُ؛ قال الإِمامُ أحمدُ[1] : حدَّثَنا عفّانُ ، حدَّثَنا حَمّادٌ ، أنبأَنا ثابتٌ ، عن أبى رافعٍ ، عن أبى هريرةَ ، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ، قال : « كان فى بنى إسرائيلَ رجلٌ يُقَالُ له : جُرَيْجٌ . كان يَتَعَبَّدُ فى صَوْمَعَتِه ، فأَتَتْه أُمُّه ذاتَ يومٍ فنادَتْه ، فقالتْ : أَىْ جُرَيْجُ ، أَىْ بُنَىَّ ، أَشْرِفْ عَلَىَّ أُكَلِّمْكَ ، أنا أُمُّكَ ، أَشْرِفْ عَلَىَّ . فقال : أَىْ رَبِّ ، صَلَاتِى وأُمِّى . فأَقْبَلَ على صَلاتِه ، ثُم عادَت فنادَتْه مِرَارًا ، فقالت : أَىْ جُرَيْجُ ، أَىْ بُنَىَّ ، أَشْرِفْ عَلَىَّ . فقال : أَىْ رَبِّ ، صَلَاتِى وأُمِّى . فأَقْبَلَ على صَلاتِه ، فقالتْ : اللهمَّ لا تُمِتْه حتى تُرِيَه المُومِسَةَ . وكانت راعيةٌ تَرْعَى غَنَمًا لأَهْلِها ، ثُمَّ تَأْوِى إلى ظِلِّ صَوْمَعَتِه فأصابَتْ فَاحِشَةً فحَمَلَتْ فَأُخِذَتْ ، وكان مَن زَنَى مِنهم قُتِلَ ، فقالُوا : مِمَّنْ ؟ قالتْ : مِن جُرَيْجٍ صاحبِ الصَّوْمَعَةِ . فجاءُوا بالفُئُوسِ والمُرُورِ[2] فقالوا : أَىْ جُرَيْجُ ، أَىْ مُرَاءٍ ، انْزِلْ . [3]فَأَبَى ، وأَقْبَلَ[3] على صَلاتِه يُصَلِّى ، فأخذوا فى هَدْمِ صَوْمَعَتِه ، فلمَّا رأَى ذلك نزَل فجعَلُوا فى عُنُقِه وعُنُقِها حَبْلًا ، فجعَلوا يَطُوفُون بهما فى النَّاسِ ، فوضَع أُصْبُعَه على بَطْنِها ، فقال : أَىْ غُلامُ ، مَن أبوكَ ؟ فقال : أبى فُلانٌ رَاعِى الضَّأْنِ . فقَبَّلُوه ، وقالوا : إنْ شِئْتَ بَنَيْنَا لكَ صَوْمَعَتَكَ مِن ذَهَبٍ وفِضَّةٍ . قال : أعيدُوها [١/٢٩٦ظ] كما كانت » . وهذا سِياقٌ غريبٌ ، وإسنادُه على شَرْطِ

= الله - فإنه قد تابع الحافظ المزى فى عزوه لمسلم فى الاستئذان فى تحفة الأشراف ١٠/ ٣٨٨. وانظر تعليق الحافظ ابن حجر فى النكت الظراف . تحفة الأشراف ١٠/ ٣٨٨، ٣٨٩.

(١) فى المسند ٢/ ٣٨٥. قال الهيثمى فى المجمع ٨/ ١٤٥: قلت : هو فى الصحيح بغير هذا السياق ، رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

(٢) المرور : واحدها المر : وهو المسحاة . والمسحاة : المجرفة إلا أنها من حديد . اللسان (م ر ر) ، (س ح و) . أو لعله أراد به الحبال إذ المَر - بالفتح - الحبل . والجمع مرائر ، مِرار . ولم تذكر القواميس التى بين أيدينا هذا الجمع «مرور» - بمعنى الحبال - وإن كان هذا الجمع صحيحا قياسيًا ، فـ « مر » تجمع على مرور ، مثل فأس وفئوس . وكعب وكعوب .

(٣ - ٣) فى الأصل : « فأتى يقبل » ، وفى ص : « فأبى يقبل » .

مسلمٍ، ولم يُخَرِّجه أحدٌ مِن أصحابِ الكتبِ مِن هذا الوَجْهِ.

فهؤلاءِ ثلاثةٌ تَكَلَّمُوا فى المَهْدِ؛ عيسى ابنُ مريمَ، عليه السلامُ، وقد تقدَّمَ الكلامُ على قِصَّتِه[1]، وصاحبُ جُرَيْجٍ ابنُ البَغِيِّ مِنَ الراعى كما سَمِعْتَ[2]، والثالثُ، ابنُ المرأةِ التى كانتْ تُرْضِعُه، فتَمَنَّتْ له أن يكونَ كصاحبِ الشارَةِ الحَسنةِ، فتَمَنَّى أنْ يكونَ كتلكَ الأَمَةِ المُتَّهُومَةِ بما هى بريئةٌ منه، وهى تقولُ: حَسْبِىَ اللَّهُ ونِعْمَ الوكيلُ. كما تَقَدَّم فى روايةِ محمدِ بنِ سِيرِينَ، عن أبى هريرةَ مرفوعًا. وقد رواه الإمامُ أحمدُ[3]، عن هَوْذَةَ، عن عَوْفٍ الأعرابىِّ، عن خِلَاسٍ، عن أبى هريرةَ، عن النبىِّ ﷺ، بقصَّةِ هذا الغلامِ الرَّضيعِ، وهو إسنادٌ حسنٌ.

وقال البخارىُّ[4]: حَدَّثَنا أبو اليَمَانِ، أخبرَنا شُعَيْبٌ، حدَّثَنا أبو الزِّنَادِ، عن عبدِ الرحمنِ الأَعْرَجِ، حدَّثَه أنَّه سَمِعَ أبا هريرةَ، أنَّه سَمِعَ رسولَ اللَّهِ ﷺ، قال: «بينَما امرأةٌ تُرْضِعُ ابْنَها، إذْ مَرَّ بها راكبٌ وهى تُرْضِعُه، فقالت: اللهمَّ لا تُمِتِ ابْنِى حتى يَكونَ مِثْلَ هذا. فقال: اللهمَّ لا تَجْعَلْنِى مِثْلَه. ثم رجَع فى[5] الثَّدْىِ، ومُرَّ بامْرأةٍ تُجَرُّ ويُلْعَبُ بها، فقالت: اللهمَّ لا تَجْعَلِ ابْنِى مِثْلَ هذه. فقال: اللهُمَّ اجْعَلْنِى مِثْلَها. فقالَ: أَمَّا الراكبُ فإنَّه كافرٌ، وأمَّا المرأةُ

---

(١) فى الأصل، ص: «كلامه». وتقدم ذلك فى ٢/٤١٦ - ٤٧١.

(٢) بعده فى ح، م: «واسمه يابوس، كما ورد مصرحا به فى صحيح البخارى». ورد نحوه فى كتاب العمل فى الصلاة، باب إذا دعت الأم ولدها فى الصلاة. انظر الفتح ٣/ ٧٨، ٧٩.

(٣) فى المسند ٢/ ٣٩٥.

(٤) البخارى (٣٤٦٦).

(٥) فى الأصل: «إلى». والمثبت موافق لما فى البخارى.

فإنَّهم يَقُولون لها[1] : تَزْنِى . وتَقُولُ : حَسْبِىَ اللَّهُ . ويَقُولون : تَسْرِقُ . وتَقُولُ : حَسْبِىَ اللَّهُ » . [2]وقَدْ ورَد فى مَن تَكَلَّمَ فى المَهْدِ أيْضًا شاهدُ يوسفَ كما تَقدَّم[3] ، وابنُ ماشِطَةِ آلِ فرعونَ[4] . فاللَّهُ أعلمُ[2] .

---

(١) فى ح ، م : «إنها» .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) تقدم فى ١/ ٤٧٠.

(٤) تقدم فى صفحة ٢٦.

قِصَّةُ بَرْصِيصَا

وهى عكسُ قصةِ جُرَيْجٍ، فإنّ جُرَيْجًا عُصِمَ، وذلك فُتِنَ.

قال ابنُ جريرٍ[1]: حَدَّثنى يحيى بنُ إبراهيمَ المسعوديُّ، حدَّثنا أبى، عن أبيه، عن جَدِّه، عن الأعْمَشِ، عن عُمَارةَ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ يَزِيدَ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ فى هذه الآيةِ: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الحشر: ١٦، ١٧]. قال ابنُ مسعودٍ: كانتِ امرأةٌ تَرْعَى الغنمَ، وكان لها إخوةٌ أربعةٌ، وكانت تَأْوِى بالليلِ إلى صَوْمَعةِ راهبٍ. قال: فنَزَل الراهبُ ففَجَرَ بها فحَمَلَتْ، فأَتَاه الشيطانُ، فقال له: اقْتُلْها ثم ادْفِنْها، فإنَّك رجلٌ مُصَدَّقٌ يُسْمَعُ قَوْلُكَ. فقتَلَها ثُمَّ دَفَنها. قال: فأتَى الشيطانُ إخْوَتَها فى المنامِ، فقال لهم: إنَّ الرَّاهبَ صاحبَ الصومعةِ فَجَرَ بأُخْتِكم، فلمَّا أَحْبَلَها، قَتَلَها ثم دَفَنها فى مكانِ كذا وكذا. فلمّا أصْبحوا، قال رجلٌ منهم: واللَّهِ لقدْ رأيتُ البارحةَ رؤْيَا ما أَدْرِى [١/٢٩٧و] أَقُصُّها عليكم أَمْ أَتْرُكُ؟ قالوا: لا، بل قُصَّها علَيْنا. قال: فقَصَّها، فقال الآخرُ: وأنا واللَّهِ لقد رأيتُ ذلك. فقال الآخرُ: وأنا واللَّهِ

---

(١) تفسير الطبرى ٤٩/٢٨. ووقع فى سند الطبرى: «عبد الرحمن بن زيد». وهو تحريف. والصواب: عبد الرحمن بن يزيد بن قيس النخعى، كما وقع فى كتابنا البداية. وانظر تهذيب الكمال ١٢/١٨.

لقدْ رأيتُ ذلك . قالوا : فواللَّهِ ما هذا إلَّا لِشىءٍ . فانْطَلَقُوا فاسْتَعْدَوْا مَلِكَهم على ذلك الراهبِ ، فأَتَوْه[1] فأَنْزَلُوه ، ثُمَّ انْطلَقُوا به ، فأتاهُ الشَّيطانُ فقالَ : إنِّى أنا الذى أَوْقَعْتُك فى هذا ، ولن يُنَجِّيَك منه غيرى ، فاسجُدْ لى سجدَةً واحدةً وأُنَجِّيك مِمَّا أَوْقَعْتُك فيه . قال : فسجَد له ، فلَمَّا أَتَوْا به مَلِكَهُم ، تَبَرَّأَ منه ، وأُخِذَ فقُتِلَ . [2]وهكذا رُوِىَ عن ابنِ عبَّاسٍ ، وطاوُسٍ ، ومقاتلِ بنِ حَيّانَ نحوُ ذلك[2] .

وقد رُوِىَ عن أميرِ المؤمنين عَلِىِّ بنِ أبى طالبٍ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، بسياقٍ آخرَ ، فقال ابنُ جريرٍ[3] : حدَّثَنا خَلّادُ[4] بنُ أَسْلَمَ ، حدَّثنا النَّضْرُ بنُ شُمَيْلٍ ، أنبأنا شُعْبةُ ، عن أبى[5] إسحاقَ ، سَمِعْتُ عبدَ اللَّهِ بنَ نَهِيكٍ ، سمعتُ عليًّا يقولُ : إنّ راهبًا تَعَبَّدَ سِتِّينَ سنةً ، وإن الشيطانَ أرادَه فأَعْيَاه ، فعَمَد إلى امرأةٍ فأَجَنَّها ، ولها إخوةٌ ، فقال لإِخْوَتِها : عليكم بهذا القَسِّ فيُدَاوِيَها . قال : فجاءُوا بها إليه فداوَاها ، وكانت عندَه ، فبينَما هو يومًا عندَها ، إذْ أَعْجَبَتْه ، فأَتَاها فحَمَلَتْ ، فعمَدَ إليها فقَتَلَها ، فجاءَ إخْوَتُها ، فقال الشيطانُ للراهبِ : أنا صاحبُك ، إنَّك أَعْيَيْتَنِى ، أنا صَنَعْتُ بك هذا فأَطِعْنِى أُنَجِّك مِمّا صَنَعْتُ بك ، اسجُدْ لى سجدةً . فسَجَد له ، [6]فلَمّا سَجَد له[6] قال : إنى بَرِىءٌ منك ، إنِّى أخافُ اللَّهَ رَبَّ العالمينَ . فذلك قولُه : ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَـٰنِ

---

(1) فى الأصل : « فأمرهم » .

(2 - 2) سقط من : ح .

(3) تفسير الطبرى 28/ 49.

(4) فى ص : « خالد » . وانظر ترجمته فى الثقات لابن حبان 8/ 229.

(5) سقط من : ص . وهو أبو إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعى .

(6 - 6) سقط من : ح ، م .

ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾.

قِصَّةُ الثلاثةِ الذِين أَوَوْا إِلى الغَارِ فانْطَبَق عليهم، فتَوَسَّلوا إلى اللّهِ تعالَى بصالحِ أعمالِهم، ففَرَّج عنهم

قال الإمامُ البخاريُّ[1] : حدَّثَنا إسماعيلُ بنُ خَلِيلٍ، أخبَرَنا عَلِيُّ بنُ مُسْهِرٍ، عن عبيدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ، عن نافعٍ، عن ابنِ عُمَرَ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ، قال: «بَيْنَما ثلاثةُ نَفَرٍ ممَّن كان قَبْلَكم يَمْشُون إذ أَصابَهم مطرٌ، فأَوَوْا إلى غارٍ فانْطَبَق عليهم، فقال بعضُهم لِبَعْضٍ: إنّه واللَّهِ يا هؤلاءِ لا يُنَجِّيكمْ إلَّا الصِّدْقُ، فلْيَدْعُ كُلُّ رَجُلٍ منكم بما يَعْلَمُ أنَّه قَدْ صدَق فيه. فقال [2]واحِدٌ منهم[2]: اللهُمَّ إنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أنّه كان لى أَجِيرٌ، عَمِلَ لى على فَرَقٍ[3] من أَرُزٍّ فذهَب وترَكه، وأنّى عَمَدْتُ إلى ذلك الفَرَقِ، فزرَعْتُه فصَارَ مِن أَمْرِه أنّى اشتريتُ منه بَقَرًا، وأنّه أتانى يَطْلُبُ أَجْرَه، فقلتُ: اعْمِدْ إلى تلكَ البَقَرِ فَسُقْها. فقالَ لِى: إنَّما لِى عندَك فَرَقٌ مِن أَرُزٍّ. فقلتُ له: اعْمِدْ إلى تلك البقرِ فإنَّها مِن ذلكَ الفَرَقِ. فسَاقَها، فإنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أنّى فَعَلْتُ ذلك مِن خَشْيَتِك ففَرِّجْ عَنّا. فانْسَاخَتْ[4]

---

(١) البخارى (٣٤٦٥).

(٢ - ٢) فى الأصل، ح، ص: «أحدهم».

(٣) الفرق: مكيال بالمدينة يسع ثلاثة آصع، أو يسع ستة عشر رطلا. يُجمع على فُرْقان. القاموس المحيط (ف ر ق).

(٤) أى: انشقت.

عنهم الصَّخْرَةُ، فقال الآخَرُ: اللهُمَّ إنْ كنتَ تَعْلَمُ أنّه[1] كان لى أبَوانِ شَيْخَانِ كَبيرانِ، وكُنْتُ آتِيهما كلَّ ليلةٍ بلبَنِ غَنَمٍ لى فأَبْطَأْتُ عنهما [١/٢٩٧ظ] ليلةً، فجئتُ وقد رَقَدَا، وأَهْلِى وعِيَالى يَتَضاغَونَ مِن الجوعِ، وكنتُ لا أسْقِيهم حتى يَشْرَبَ أبَوَاىَ، فكَرِهْتُ أنْ أُوقِظَهما، وكَرِهْتُ أنْ أَدَعَهما فَيَسْتَكِنَّا[2] لِشَرْبَتِهما، فلَمْ أَزَلْ أَنْتَظِرُ حتى طَلَعَ الفجرُ، فإنْ كنتَ تَعْلَمُ أَنّى فعلتُ ذلك مِن خَشْيَتِك ففَرِّجْ عنا. فانْسَاخَت عنهم[3] الصخرةُ حتى نَظَرُوا إلى السَّماءِ، فقال الآخَرُ: اللهُمَّ إنْ كنتَ تَعْلَمُ أَنَّه كان لِىَ ابْنَةُ عمٍّ مِن أَحَبِّ الناسِ إلىَّ، وأنّى راوَدْتُها عن نَفْسِها، فأَبَتْ إلَّا أنْ آتِيَها بِمائَةِ دينارٍ، فطَلبتُها حتى قَدَرْتُ، فأَتَيْتُها بها فدفَعْتُها إليها، فأَمْكَنَتْنِى مِن نفْسِها، فلمَّا قَعَدْتُ بينَ رِجْلَيْها فقالتِ: اتَّقِ اللَّهَ ولا تَفُضَّ الخاتَمَ إلَّا بحَقِّه. فقُمْتُ وتركْتُ المِائَةَ دينارٍ، فإنْ كُنتَ تَعْلَمُ أنّى فعلتُ ذلكَ مِن خَشْيَتِك، ففَرِّجْ عنا. ففرَّجَ اللَّهُ عنهم فخَرَجُوا». ورواه مسلمٌ، عن سُوَيدِ بنِ سعيدٍ، عن علىِّ بنِ مُسْهِرٍ به[4]. وقد رواه الإمامُ أحمدُ منفردًا به[5]، عن مَرْوَانَ بنِ معاويةَ، عن عُمَرَ[6] بنِ حمزةَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ، عن سالمٍ، عن أبيه، عن النبىِّ ﷺ، بنحوِه. [7]ورواه الإمامُ أحمدُ[8]، مِن[7]

(١) سقط من: م.

(٢) فى الأصل، ص: «فيسكنا»، وفى ح: «فيشتكيا». ومعنى: فيستكنا لشربتهما: يستكينان لعدم شربتهما فيصيران ضعيفين مستكينين.

(٣) سقط من: الأصل، ح، وفى ص: «تلك».

(٤) مسلم (٢٧٤٣).

(٥) فى المسند ٢/ ١١٦. (إسناده صحيح).

(٦) فى ح، م: «عمرو».

(٧ - ٧) سقط من: الأصل، ص.

(٨) أحمد فى المسند ٤/ ٢٧٤. قال الهيثمى فى المجمع ٨/ ١٤٢: رواه أحمد... ورجال أحمد ثقات.

(1) حديثِ وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ، عن النُّعْمانِ بنِ بَشِيرٍ، عن النَّبىِّ ﷺ، بنحْوٍ مِن هذا السياقِ، وفيه زياداتٌ. ورَوَاه البزَّارُ[2] مِن طريقِ أبى إسحاقَ، عن رجلٍ مِن بَجِيلَةَ، عن النُّعْمانِ بنِ بَشِيرٍ، مرفوعًا مِثْلَه (1). ورواهُ البزَّارُ فى «مُسْنَدِه»[3] من حديثِ أبى حَنَشٍ[4]، عن علىِّ بنِ أبى طالبٍ، عن النبىِّ ﷺ، بنحوِه.

(1 - 1) سقط من: الأصل، ص.

(2) أورده المصنف، رحمه الله، فى جامع المسانيد ١٢/١٨٣ - ١٨٥، ١٩٦. من الطريق المذكور، وعزاه للبزار. وقال الهيثمى فى المجمع ٨/ ١٤٢: رواه أحمد، والطبرانى فى الأوسط والكبير، والبزار بنحوه من طرق، ورجال أحمد ثقات.

(3) كشف الأستار (١٨٦٧). قال الهيثمى فى المجمع ٨/١٤٣: رواه البزار، ورجاله ثقات.

(4) فى الأصل: «خفس»، وفى ص: «حنيش». وهو الحارث بن لقيط النخعى الكوفى. انظر تهذيب الكمال ٥/ ٢٧٥.

خَبرُ الثلاثةِ ؛ الأعْمَى والأبْرَصِ وَالأَقْرَعِ

رَوَى البخاريُّ ومسلِمٌ مِن غيرِ وجهٍ[1] ، عن همّامِ بنِ يَحْيى ، عن إسحاقَ ابنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى طلحةَ ، حدَّثنى عبدُ الرحمنِ بنُ أبى عَمْرَةَ ، أنّ أبا هريرةَ حدَّثَه ، أنَّه سَمِعَ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، يقولُ : « إنَّ ثلاثةً فى بَنِى إسْرائيلَ ؛ أَبْرَصَ وأَقْرَعَ وأَعْمَى ، بَدَا[2] للَّهِ أنْ يَبْتَلِيَهُم ، فبعثَ إليهم مَلَكًا ، فَأَتَى الأَبْرَصَ ، فقال : أَىُّ شَىءٍ أَحَبُّ إلَيْكَ ؟ فقال : لونٌ حَسَنٌ وجِلْدٌ حسنٌ ، قد قَذِرَنِى الناسُ » . قال : « فمَسَحَه فذهَب [3]عنه ، فأُعْطِىَ[3] لَوْنًا حَسَنًا وجِلْدًا حَسَنًا ، فقال : أىُّ المالِ أَحَبُّ إليك ؟ قال : الإِبِلُ » - أو قال : « البَقَرُ » . هو[4] شَكَّ فى ذلكَ ، أنّ الأَبْرَصَ والأَقْرَعَ قال أحدُهما : الإبلُ . وقال الآخرُ : البَقَرُ - « فأُعْطِىَ ناقةً عُشَرَاءَ ، فقال : يُبَارَكُ لك فيها » . قال : « وأَتَى الأَقْرَعَ فقال : أَىُّ شىءٍ[5] أَحَبُّ إليك ؟ قال : شَعْرٌ حسنٌ ويَذْهَبُ عنى هذا ، قد قَذِرَنِى الناسُ . فمَسَحَه فذهبَ ، وأُعْطِىَ شَعْرًا حَسَنًا ، قال : فأَىُّ المالِ[6] أَحَبُّ إليك ؟ قال : البقرُ . فأعطاه بقرةً حاملًا ، وقال : يُبَارَكُ لك فيها[7] . وأَتَى الأَعْمَى فقال : أَىُّ شَىءٍ

---

(1) البخارى (٣٤٦٤، ٦٦٥٣) . ومسلم (٢٩٦٤) .

(2) فى الأصل ، ح ، ص : « أراد » ، وهو لفظ مسلم .

(3 - 3) فى الأصل ، ح ، ص : « وأعطى » .

(4) سقط من : الأصل ، ح ، ص . والضمير عائد إلى إسحاق بن عبد اللَّه كما هو مصرح به فى رواية مسلم .

(5) فى م : « المال » .

(6) فى الأصل ، ح ، ص : « شىء » .

(7) بعده فى الأصل ، ح ، م : « قال » .

أَحَبُّ إليك ؟ قال : [1]يَرُدُّ اللَّهُ إلىَّ بَصَرِى فأُبْصِرُ به الناسَ » . قال : « فَمَسَحَه ، فرَدَّ اللَّهُ إليه بَصَرَه ، قال : فأَىُّ المالِ أَحَبُّ إليكَ [1] . قال : الغَنَمُ . فأعطاه شاةً والدًا ، فأُنْتِجَ[2] هذان وَوَلَّدَ هذا ، فكان لهذا وادٍ مِن الإبلِ ، ولهذا وادٍ مِن البقرِ ، ولهذا وادٍ مِن الغَنَمِ ، ثُم إنَّه أَتَى الأبرصَ [٢٩٨/١و] فى صورتِه وهَيْئَتِه ، فقال : رجلٌ مسكينٌ تَقَطَّعَتْ بِىَ الحِبَالُ[3] فى سَفَرِى ، فلا بَلَاغَ اليومَ إلَّا باللَّهِ ، ثُم بك ، أَسْأَلُك بالذى أعْطَاك اللَّوْنَ الحسنَ والجِلْدَ الحسنَ والمالَ ، بعيرًا أَتَبَلَّغُ عليه فى سَفَرِى . فقال له : إنَّ الحقوقَ كثيرةٌ . فقال له : كأَنِّى أَعْرِفُك ، أَلَمْ تَكُنْ أبْرَصَ يَقْذَرُك الناسُ ؟ فقيرًا فأعْطَاك اللَّهُ ؟ فقال : لقد [4]وَرِثْتُ لِكَابِرٍ[4] عن كَابِرٍ . فقال : إنْ كنتَ كاذِبًا ، فصَيَّرَك اللَّهُ إلى ما كنتَ . وأَتَى الأَقْرَعَ فى صورتِه وهَيْئَتِه ، فقال له مِثْلَ ما قال لهذا ، فَرَدَّ عليه مِثْلَ ما رَدَّ عليه هذا ، فقال : إنْ كنتَ كاذِبًا ، فصَيَّرَكَ اللَّهُ إلى ما كنتَ . وأَتَى الأَعْمَى فى صورَتِه ، فقال : رجلٌ مسكينٌ وابنُ سبيلٍ ، وتَقَطَّعَتْ بِىَ الحِبَالُ[3] فى سَفَرِى ، فلا بَلَاغَ اليومَ إلَّا باللَّهِ ، ثُم بك ، أسْأَلُك بالذى رَدَّ عليك بَصَرَك ، شاةً أَتَبَلَّغُ بها فى

(١ - ١) سقط من : ح .

(٢) قال الإمام النووى فى شرح مسلم ٩٨/١٨: هكذا الرواية ؛ فأنتج - رباعى - وهى لغة قليلة الاستعمال ، والمشهور نتج ثلاثى ، وممن حكى اللغتين الأخفش . ومعناه تولى الولادة ، وهى النتج والإنتاج . ومعنى ولّد هذا - بتشديد اللام - معنى أنتج . والناتج للإبل ، والمولد للغنم وغيرها ، هو كالقابلة للنساء .

(٣) فى ح : « الجبال » . والحبال : الأسباب ، وقيل : الطرق .

(٤ - ٤) فى الأصل : « ورثته كما ترى كابرا » .

سَفَرِى . فقال : قد كُنْتُ أعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ بَصَرى ، وفقيرًا[(1] فقد أَغْنَانِى[1)] ، فَخُذْ ما شِئْتَ ، فوَاللَّهِ لا أَجْهَدُك اليومَ بشىءٍ أَخَذْتَه للَّهِ . فقال : أَمْسِكْ مالَك ، فَإِنَّما ابتُلِيتُم ، فقد رَضِىَ اللَّهُ عنك ، وسَخِطَ على صاحِبَيْك . هذا لَفْظُ البخارىِّ فى أحاديثِ بنى إسرائيلَ .

(1 - 1) سقط من : الأصل ، ح ، ص .

حديثُ الذى اسْتَسْلَفَ

مِن صَاحبِه أَلْفَ دينارٍ فأَدَّاها

قال الإمامُ أحمدُ[(١)] : حدَّثَنا يونسُ بنُ محمدٍ ، حدَّثَنا لَيْثٌ ، عن جعفرِ بنِ ربيعةَ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ هُرْمُزَ ، عن أبى هريرةَ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أنَّه ذكَر أنَّ رجلًا مِن بنى إسرائيلَ سأَل بعضَ بنى إسرائيلَ أنْ يُسْلِفَه أَلْفَ دِينارٍ ، فقال : ائْتِنِى بشُهَدَاءَ أُشْهِدُهم . قال : كَفَى باللَّهِ شَهِيدًا . قال : ائْتِنِى بكَفِيلٍ . قال : كَفَى باللَّهِ كَفِيلًا . قال : صَدَقْتَ . فدَفَعَها إليه إلى أجلٍ مُسَمًّى ، فخرَجَ فى البحرِ فقَضَى[(٢)] حاجَتَه ، ثُم الْتَمَس مَرْكَبًا يَقْدَمُ عليه ؛ للأَجَلِ الذى كان[(٣)] أجَّلَه ، فلَم يَجِدْ مَرْكَبًا ، فأَخَذَ خَشَبَةً فنقَرَها ، وأَدْخَلَ فيها أَلْفَ دِينارٍ وصَحِيفَةً معها إلى صاحِبِها ، ثُم زَجَّجَ[(٤)] مَوْضِعَها ، ثُم أَتَى بها البحرَ ، ثُم قال : اللهمَّ إنَّكَ قد عَلِمْتَ أنِّى اسْتَلَفْتُ مِن فلانٍ ألفَ دِينارٍ فسأَلنى كَفِيلًا ، قلتُ : كَفَى باللَّهِ كفيلًا . فرَضِىَ بذلك ، وسأَلِنِى شهيدًا فقلتُ : كَفَى باللَّهِ شهيدًا . فرَضِىَ بذلك ، وإنِّى قد جَهَدْتُ أنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إليه بالذى له[(٥)] ، فلَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا ، وإنِّى اسْتَوْدَعْتُكَهَا . فرَمَى بها فى البَحْرِ حتَّى وَلَجَتْ فيه ، ثُمّ انْصرَفَ

---

(١) فى المسند ٢/ ٣٤٨. (إسناده صحيح).

(٢) فى الأصل : « يقضى ».

(٣) سقط من النسخ ، والمثبت من المسند .

(٤) زجج موضعها : أى سوى موضع النقر وأصلحه .

(٥) فى النسخ : « أعطانى » ، والمثبت من المسند .

يَنْظُرُ، وهو فى ذلك يَطْلُبُ مَرْكَبًا إلى بَلَدِه، فخرَجَ الرجلُ الذى كان أَسْلَفَه، يَنْظُرُ لَعلَّ مَرْكَبًا يَجِىءُ بمالِه، فإذا بالخشبةِ [١/٢٩٨ظ] التى فيها المالُ، فأَخَذَها لأَهْلِه حَطَبًا، فلمّا كسَرَها وجَد المالَ والصحيفةَ، ثُم قَدِمَ الرجلُ الذى كان تَسَلَّفَ منه، فأتَاهُ بألفِ دينارٍ وقال: واللَّهِ ما زلتُ جاهِدًا فى طَلَبِ مَرْكَبٍ لآتِيَك بمالِك، فما وجَدْتُ مَرْكَبًا قبلَ الذى أتيتُ فيه. قال: هل كنتَ بعثْتَ إلىَّ بشىءٍ؟ قال: أَلَمْ أُخْبِرْك أنِّى لم أَجِدْ مَرْكَبًا قبلَ هذا الذى جئتُ فيه؟! قال: فإنَّ اللَّهَ أَدَّى عنك الذى بَعَثْتَ به فى الخَشَبةِ، فانْصَرِفْ بِأَلْفِكَ راشِدًا».

هكذا رواه الإمامُ أحمدُ مُسنَدًا. وقد عَلَّقَه البخاريُّ فى غيرِ مَوْضِعٍ مِن «صحيحِه» بصيغةِ الجزْمِ عن اللَّيْثِ بنِ سعدٍ[1]، وأَسْنَدَه فى بعضِها عن عبدِ اللَّهِ بنِ صالحٍ كاتِبِ اللَّيْثِ، عنه[2]. والعَجَبُ مِن الحافظِ أبى بكرٍ البَزَّارِ[3] كيف رواهُ فى «مُسندِه»[4] عن الحَسَنِ بنِ مُدْرِكٍ، عن يَحْيَى بنِ حَمَّادٍ، عن أبى عَوَانةَ، عن عُمَرَ بنِ أبى[5] سَلَمَةَ، عن أبيه، عن أبى هريرةَ، عن النبىِّ ﷺ، بنحوِه، ثُم قال: لا يُرْوَى إلَّا مِن هذا الوَجْهِ بهذا الإسْنادِ.

---

(١) البخارى معلقا (١٤٩٨، ٢٢٩١، ٢٤٠٤، ٢٤٣٠، ٢٧٣٤، ٦٢٦١).

(٢) البخارى مسندا (٢٠٦٣).

(٣) سقط من: ح.

(٤) انظر تغليق التعليق ٥/ ١٢٧، ١٢٨.
فقد ساقه الحافظ من هذا الطريق من مسند أبى بكر بن أبى عمر.

(٥) سقط من: الأصل، ص. وهو عمر بن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف.

قِصّةٌ أُخْرَى شَبِيهَةٌ

بهذه القصةِ فى الصّدقِ فى[1] الأمانةِ

قال البخاريُّ[2] : حدَّثَنا إسحاقُ بنُ نَصْرٍ ، أخبَرَنا عبدُ الرَّزَّاقِ ، عن مَعْمَرٍ ، عن همّامِ بنِ مُنَبِّهٍ ، عن أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اشترى رجلٌ مِن رجلٍ عَقَارًا له ، فوجَدَ الرَّجلُ الذى اشْتَرَى العَقَارَ فى عَقَارِه جَرَّةً فيها ذَهَبٌ ، فقال له[3] الذى اشْتَرَى العَقَارَ : خُذْ ذَهَبَك مِنِّى ، إنَّما اشْتَرَيْتُ منك الأرضَ ، ولَمْ أَبْتَعْ منك[4] الذَّهَبَ . وقال الذى له الأرضُ : إنّما بِعْتُكَ الأرضَ وما فيها . فتحاكَما إلى رجلٍ ، فقال الذى تحاكَما إليه : أَلَكُما وَلَدٌ ؟ قال أحدُهما : لى غُلامٌ . وقال الآخرُ : لى جارِيةٌ . قال : أَنْكِحُوا الغلامَ الجاريةَ ، وأَنفِقُوا على أنْفُسِهِما منه ، وتَصَدَّقا » . هكذا روَى البخاريُّ هذا الحديثَ فى أخبارِ بنى إسرائيلَ . وأخْرَجَه مسلمٌ عن محمدِ بنِ رافِعٍ ، عن عبدِ الرّزّاقِ به[5] .

وقد رُوِىَ أنَّ هذه القصةَ[6] وَقَعَتْ فى زمنِ ذِى القرْنَيْنِ ، وقد كان قبلَ بنى إسرائيلَ بدُهُورٍ مُتَطَاوِلَةٍ . فاللَّهُ أعلمُ .

---

(١) فى م ، ص : « و » .

(٢) البخارى (٣٤٧٢) .

(٣) سقط من : ح .

(٤) زيادة من : م .

(٥) مسلم (١٧٢١) .

(٦) سقط من : ح .

قال إسحاقُ بنُ بِشْرٍ فى كتابِه «المبتدأ»[(١)]، عن سعيدِ بنِ أبى عَرُوبَةَ، عن قَتادةَ، عن الحَسَنِ: «إنَّ ذَا القرْنَيْنِ كان يتَفَقَّدُ أُمُورَ مُلوكِه وعُمَّالِه بنفسِه، وكان لا يَطَّلِعُ على أحدٍ منهم خيانةً إلَّا أنْكَرَ ذلك عليه، وكان لا يَقْبَلُ ذلك حتى يَطَّلِعَ هو بنفسِه. قال: فبَيْنَما هو يَسِيرُ مُتَنَكِّرًا فى بعضِ المدائنِ، فجلَس إلى قاضٍ مِن قُضَاتِهم أيامًا لا يَخْتَلِفُ إليه أحدٌ فى خُصومةٍ، فلَمّا أنْ طالَ ذلك بِذِى القرْنَيْنِ، [١/٢٩٩و] ولم يَطَّلِعْ على شَىْءٍ مِن أمْرِ ذلك القاضى وهَمَّ بالانْصرافِ، إذا هو برجُلَيْنِ قد اخْتَصما إليه، فادَّعَى أحدُهما فقال: أيُّها القاضى، إنِّى اشْتَرَيْتُ مِن هذا دارًا عَمَّرْتُها، ووجَدْتُ فيها كَنْزًا، وإنِّى دَعَوْتُه إلى أخْذِه فأَبَى عَلَىَّ. فقال له القاضى: ما تقولُ؟ قال: ما دفَنْتُ ولا عَلِمْتُ به، فليس هو لى، ولا أَقْبِضُه منه. قال المُدَّعِى: أيُّها القاضى، مُرْ مَن يَقْبِضُه فيَضَعُه[(٢)] حيثُ أَحْبَبْتَ. فقال القاضى: تَفِرُّ مِن الشَّرِّ وتُدْخِلُنِى فيه! ما أنْصَفْتَنِى، وما أَظُنُّ هذا فى قضاءِ المَلِكِ. فقال القاضى: هل لكما فى[(٣)] أَمْرٍ أنْصَفَ مِمَّا دَعَوْتُمانِى إليه؟ قالَا: نعم. قال للمُدَّعِى: أَلَكَ ابنٌ؟ قال: نَعَمْ. وقال للآخَرِ: أَلَكَ ابنةٌ؟ قال: نَعَمْ. قال: اذْهَبَا فزَوِّجِ ابنَتَكَ مِن ابنِ هذا، وجَهِّزُوهما[(٤)] مِن هذا المالِ، وادْفَعُوا فَضْلَ ما بَقِىَ إليهما يَعِيشَانِ به، [(٥)]فتكُونَا قد صَلَيْتُما[(٥)] بخيرِه وشرِّه. فعَجِبَ ذُو القَرْنَيْنِ حينَ سَمِعَ ذلك، ثُم

---

(١) رواه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٧/٣٥٧، من طريق إسحاق بن بشر به.

(٢) فى الأصل، ح، م: «فتضعه».

(٣) سقط من: م.

(٤) فى م: «جهزهما».

(٥ - ٥) فى الأصل: «فيكونا قد صليا»، وفى ح: «فتكونا قد صليا»، وفى م: «فتكونا مليا»، وفى ص: «ليكونا قد صليا». والمثبت من تاريخ ابن عساكر. =

قال للقاضى : ما ظننتُ أنَّ فى الأرضِ أحَدًا يَفْعَلُ مِثْلَ هذا ، أوَقاضٍ يَقْضِى بمِثْلِ هذا ؟! فقال القاضى وهو لا يَعْرِفُه : وهل أحدٌ يَفْعَلُ غيرَ هذا ؟ قال ذُو القَرْنَين : نَعَمْ . قال القاضى : فهل يُمْطَرُونَ فى بلادِهم ؟ فعَجِبَ ذُو القَرْنَين مِن ذلك ، وقال : بمِثْلِ هذا قامتِ السماواتُ والأرضُ .

= ومعنى : قد صليتما بخيره وشره ؛ قد عانيتما شدته وتعبه . الوسيط (ص ل ى) .

قِصّةٌ أخرَى

قال البخاريُّ[(١)] : حدَّثَنا محمدُ بنُ بَشَّارٍ ، حدَّثنا محمدُ بنُ أبي عَدِيٍّ ، عن شُعْبَةَ ، عن قَتادةَ ، عن أبي الصِّدِّيقِ النَّاجِي ، عن أبي سعيدِ الخُدْرِيِّ ، عن النبيِّ ﷺ ، قال : « كان في بني إسرائيلَ رجلٌ قتلَ تسعةً وتِسْعينَ إنسانًا ، ثُم خرَج يَسْأَلُ ، فأَتَى راهبًا فسَأَلَه فقال له : هل مِن تَوْبَةٍ ؟ قال : لا . فقَتَلَه ، فجعَلَ يَسْأَلُ ، فقال له رجلٌ : ائْتِ قريةَ كذا وكذا . فأَدْرَكَه الموتُ ، فَنَاءَ بصَدْرِه نَحْوَها ، فاخْتَصَمَتْ فيه ملائكةُ الرحمةِ وملائكةُ العذابِ ، فأَوْحَى اللَّهُ إلى هذه أنْ تَقَرَّبي ، وأَوْحَى اللَّهُ إلى هذه أنْ تَبَاعَدِي ، وقال : قِيسُوا ما بينَهما . فوُجِدَ إلى هذه أَقْرَبَ بشِبْرٍ ، فغُفِرَ له » . هكذا رواه ههُنا مُخْتَصَرًا . وقد روَاه مسلمٌ عن بُنْدَارٍ به ، ومِن حديثِ شعبةَ مِن وجهٍ آخرَ عن قَتادَةَ به مُطَوَّلًا[(٢)] .

حديثٌ آخرُ : قال البخاريُّ[(٣)] : حدَّثنا عليُّ بنُ عبدِ اللَّهِ ، حدَّثَنا سفيانُ ، حدَّثَنا أبو الزِّنادِ ، عن الأَعْرَجِ ، عن أبي سَلَمَةَ ، عن أبي هريرةَ ، قال : صَلَّى[(٤)] رسولُ اللَّهِ ﷺ ، صلاةَ الصبحِ ، ثُم أَقْبَلَ على الناسِ[(٥)] فقال : « بَيْنَا رجلٌ يَسُوقُ بقَرةً ، إذْ رَكِبَها فضَرَبَها ، فقالت : إنَّا لَمْ نُخْلَقْ لهذا ، [١/٢٩٩ظ] إنَّما

---

(١) البخارى (٣٤٧٠) .

(٢) مسلم (٢٧٦٦) .

(٣) البخارى (٣٤٧١) .

(٤) بعده فى الأصل ، ح ، ص : « بنا » .

(٥) بعده فى الأصل ، ح ، ص : « بوجهه » .

خُلِقْنا للحَرْثِ » . فقال الناسُ : سبحانَ اللَّهِ ، بقَرةٌ تَكَلَّمُ ! فقال : « فإنِّى أُومِنُ بهذا أنا وأبو بكرٍ وعُمَرُ – (1) وما هما (1) ثَمَّ – وبَيْنَما رجلٌ فى غَنَمِه إذْ عَدَا الذئبُ فذهَب منها بشَاةٍ ، فطَلَبَ ، حتى كأَنَّه اسْتَنْقَذَها منه ، فقال له الذئبُ : هذا ، اسْتَنْقَذْتَها مِنِّى ! فمَن لها يومَ السَّبُعِ ، يومَ لا راعِىَ لها غيرِى ؟ » فقال النّاسُ : سُبْحانَ اللَّهِ ، ذئبٌ يَتَكَلَّمُ ! قال : « فإنِّى أُومِنُ بهذا أنا وأبو بكرٍ وعُمَرُ » – ومَا هُما ثَمَّ .

قال[2] : وحدّثَنا (3) عليٌّ قال : حدّثنا (3) سفيانُ ، عن مِسْعَرٍ ، عن سَعْدِ[4] بنِ إبراهيمَ ، عن أبى سَلَمَةَ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ ، بمثلِه . وقد أَسْنَدَه البخارىُّ فى المُزارَعَةِ عن (5) محمدِ بنِ بشَّارٍ (5) . ومسلمٌ ، عن محمدِ بنِ عبَّادٍ[6] ، عن سفيانَ بنِ عُيَيْنَةَ[7] . وأخرجاه من طريقِ شعبةَ كلاهُما عن سَعْدٍ[8] به . وقال التِّرْمِذِىُّ : حَسَنٌ صحيحٌ[9] . وأَخْرَجَ مسلمٌ الطريقَ الأولَ من حديثِ سفيانَ بنِ

(1 – 1) فى ح : « وهاهما » .
وعبارة « وما هما ثم » من كلام الراوى ، والمقصود أنهما لم يكونا حاضرين .
(2) أى البخارى .
(3 – 3) سقط من : الأصل ، ح ، ص .
(4) فى الأصل : « سعيد » .
(5 – 5) فى النسخ : « على بن المدينى » . وهو خطأ . والمثبت من صحيح البخارى (3471) ، وتحفة الأشراف 10/ 459.
(6) بعده فى النسخ : « كلاهما » . وهو خطأ بتصحيح اسم شيخ البخارى فى الحاشية السابقة .
(7) مسلم (2388) .
(8) فى النسخ : « مسعر » . وهو خطأ . والمثبت من تحفة الأشراف 10/ 459.
وقد أخرجه البخارى (2324) . ومسلم (2388) .
(9) الترمذى (3677) .

عُيَيْنَةَ وسفيانَ الثَّوْرِىِّ ، كلاهما عن أبى الزِّنَادِ به[1] .

حديثٌ آخرُ : قال البخارىُّ[2] : حدَّثَنا عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ اللَّهِ ، حدَّثَنا إبراهيمُ بنُ[3] سعدٍ ، عن أبيه ، عن أبى سَلَمَةَ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ ، قال : « إنَّه قد كان فيما مضَى قَبْلَكم مِن الأُمَمِ مُحَدَّثُون ، وإنه إنْ كان فى أُمَّتِى هذه منهم ، فإنَّه عُمَرُ بنُ الخطَّابِ » . لَم يُخْرِجْه مسلمٌ مِن هذا الوجْهِ ، وقد رَوَى عن إبراهيمَ بنِ سعدٍ ، [4]عن أبيه سعد بن إبراهيمَ[4] ، عن أبى سَلَمَةَ ، عن عائشةَ ، رَضِىَ اللَّهُ عنها[5] .

حديثٌ آخرُ : قال البخارىُّ[6] : حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ مَسْلَمَةَ[7] ، عن مالكٍ ، عن ابنِ شِهَابٍ ، عن حُمَيْدِ[8] بنِ عبدِ الرحمنِ ، أنَّه سَمِعَ معاويةَ بنَ أبى سفيانَ ، عامَ حَجَّ ، على المِنْبَرِ ، فتَناوَلَ قُصَّةً مِن شَعْرٍ ، وكانتْ فى يَدَىْ حَرَسِىٍّ ، فقال : يا أهلَ المدينةِ ، أيْنَ علماؤُكم؟ سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، يَنْهَى عن مِثْلِ هذه ويقولُ : « إنَّما هَلَكَتْ بنو إسرائيلَ حينَ اتَّخَذَها نِساؤُهم » . وهكذا رواهُ مسلمٌ ، وأبو داودَ من حديثِ مالكٍ[9] . وكذا رواه مَعْمَرٌ ،

---

(1) سقط من : م . والطريقان فى مسلم (٢٣٢٤) .

(2) البخارى (٣٤٦٩) .

(3) فى م : « عن » .

(٤ - ٤) سقط من النسخ . والمثبت من صحيح مسلم .

(5) مسلم (٢٣٩٨) .

(6) البخارى (٣٤٦٨) .

(7) فى الأصل : « مسلم » .

(8) فى ص : « محمد » .

(9) مسلم (٢١٢٧) ، وأبو داود (٤١٦٧) .

ويونُسُ ، وسفيانُ بنُ عُيَيْنَةَ ، عن الزُّهْرِيِّ بنحوِه . وقال التِّرْمِذِيُّ[1] : حديثٌ حَسَنٌ[2] صحيحٌ .

وقال البخاريُّ[3] : حدَّثَنا آدمُ ، حدَّثَنا شُعْبَةُ ، حدَّثَنا عَمْرُو بنُ مُرَّةَ قال : سَمِعْتُ سعيدَ بنَ المُسَيَّبِ قال : قَدِمَ معاويةُ بنُ أبى سفيانَ المدينةَ آخِرَ قَدْمَةٍ قَدِمَها ، فَخَطَبَنا ، فأَخْرَج[4] كُبَّةَ شَعْرٍ فقال : ما كنتُ أرَى أنَّ أحدًا يَفْعَلُ هذا غيرَ اليهودِ ؛ إنَّ النبيَّ ﷺ ، سَمّاهُ الزُّورَ . يعنِى الوِصَالَ فى الشَّعْرِ . تابَعَه غُنْدَرٌ ، عن شُعْبَةَ[5] . والعَجَبُ أنَّ مُسْلِمًا[6] رَوَاه مِن غيرِ وجهٍ عن غُنْدَرٍ ، عن شُعْبَةَ به[7] ، ومِن حديثِ قتادةَ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ[8] .

حديثٌ آخرُ : قال البخاريُّ[9] : حدَّثَنا سعيدُ بنُ تَلِيدٍ ، حدَّثنا ابنُ وَهْبٍ ، قال : أَخْبَرَنِى جريرُ بنُ حازِمٍ ، عن [١/٣٠٠و] أيوبَ ، عن محمدِ بنِ سِيرِينَ ، عن أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « بَيْنَما كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ[10] كاد يَقْتُلُه العَطَشُ ، إذْ رَأَتْه بَغِيٌّ مِن بَغَايَا بنى إسرائيلَ ، فنَزَعَتْ مُوقَها[11] فسَقَتْه ،

---

(١) الترمذى (٢٧٨١) .

(٢) سقط من : ح ، م .

(٣) البخارى (٣٤٨٨، ٥٩٣٨) .

(٤) بعده فى النسخ : « من كمه » .

(٥) القائل الإمام البخارى ، فى الموضع السابق .

(٦) بياض فى الأصل .

(٧) سقط من : م . مسلم (١٢٣، ٢١٢٧) .

(٨) مسلم (١٢٤، ٢١٢٧) .

(٩) البخارى (٣٤٦٧) .

(١٠) الركية : البئر .

(١١) الموق : الخف .

فَغُفِرَ لها به » . ورَوَاه مسلمٌ ، عن أبى الطَّاهِرِ بنِ السَّرْحِ ، عن ابنِ وَهْبٍ به[1] .

حديثٌ آخرُ : قال البخاريُّ[2] : حدَّثَنا[3] عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ أَسْماءَ[3] ، حدَّثَنا جُوَيْرِيَةُ[4] ، عن نافِعٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ ، أنّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، قال : « عُذِّبَتِ امرأةٌ فى هِرَّةٍ سَجَنَتْها حتى ماتَتْ ، فدَخَلَتْ فيها النَّارَ ، لا هى أَطْعَمَتْها ولا سَقَتْها إذْ حَبَسَتْها ، ولا هى تَرَكَتْها تأْكُلُ مِن خَشاشِ الأرضِ » . وكذا رَوَاه مسلمٌ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ أَسْمَاءَ به[5] .

حديثٌ آخرُ : قال الإمامُ أحمدُ[6] : حدَّثَنا عثمانُ بنُ عُمَرَ ، حدَّثَنا المُسْتَمِرُّ ابنُ الرَّيَّانِ ، حدَّثَنا أبو نَضْرَةَ ، عن أبى سعيدٍ ، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، قال : « كان فى بنى إسرائيلَ امرأةٌ قَصِيرةٌ ، فصَنَعَتْ رِجْلَيْنِ مِن خَشَبٍ ، فكانت تَمْشِى بينَ امرأتَيْنِ قَصِيرتَيْنِ ، واتَّخَذَتْ خاتَمًا مِن ذَهَبٍ ، وحَشَتْ تحتَ فَصِّه أَطْيَبَ الطِّيبِ ؛ المِسْكَ ، فكانت إذا مَرَّتْ بالمجْلِسِ ، حَرَّكَتْه ، فنَفَحَ رِيحُه » . ورَوَاه مسلمٌ مِن حديثِ المُسْتَمِرِّ وخُلَيدِ بنِ جعفرٍ ، كِلَاهما عن أبى نَضْرَةَ ، عن أبى سعيدٍ مرفوعًا قريبًا منه[7] . وقال التِّرْمِذِىُّ[8] : حديثٌ حَسَنٌ[9] صحيحٌ .

---

(١) مسلم (٢٢٤٥) .

(٢) البخارى (٣٤٨٢) .

(٣ - ٣) فى م : « عبد اللَّه بن أسماء » ، وفى ص : « محمد بن عبد اللَّه بن أسماء » .

(٤) فى ص : « جرير » . وجويرية هو ابن أسماء .

(٥) مسلم (٢٢٤٢) .

(٦) فى المسند ٣/ ٤٠ . صحيح (السلسلة الصحيحة ٤٨٦) .

(٧) مسلم (٢٢٥٢) .

(٨) الترمذى (٩٩١) مختصرا .

(٩) سقط من : ح ، م .

حديثٌ آخرُ: قال البخاريُّ[1]: حدثنا آدمُ، حَدّثنا شعبةُ، عن منصورٍ، سمِعتُ رِبْعِيَّ بنَ حِرَاشٍ، يُحَدِّثُ عن أبي مسعودٍ[2] قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إنَّ مِمَّا أَدْرَكَ الناسُ مِن كلامِ النُّبُوَّةِ: إذا لم تَسْتَحِ فاصْنَعْ ما شِئْتَ». تَفَرَّدَ به البخاريُّ دُونَ مسلمٍ. وقد رَوَاه بعضُهم عن رِبْعِيِّ بنِ حِرَاشٍ، عن حُذَيْفَةَ مرفوعًا ومَوْقوفًا أيضًا[3]. واللَّهُ أعلمُ.

حديثٌ آخرُ: قال الإمامُ أحمدُ[4]: حدثنا هاشمُ بنُ القاسِمِ، حدَّثنا عبدُ الحميدِ، يَعْنِي ابنَ بَهْرَامٍ، حدَّثنا شهرُ بنُ حَوْشَبٍ قال: قال أبو هريرةَ[5]: «بينما رجلٌ وامرأةٌ له، في السَّلَفِ الخالِي، لا يَقْدِرَان على شيءٍ، فجاء الرجلُ مِن سَفَرِهِ، فدخَل على امرأتِه جائِعًا، قد أَصَابَتْه مَسْغَبَةٌ شديدةٌ، فقال لامرأتِه: أَعندَكِ شيءٌ؟. قالت: نَعَمْ أَبْشِرْ، أَتَاكَ رزقُ اللَّهِ. فاسْتَحَثَّها فقال: وَيْحَكِ، ابْتَغِي إنْ كان عندَكِ شيءٌ. قالت: نَعَمْ، هُنَيَّةً[6] نَرْجُو رحمةَ اللَّهِ. حتى إذا طالَ عليه الطَّوَى[7]، قال: وَيْحَكِ، قُومي، فابْتَغِي إنْ كان عِنْدَكِ خُبْزٌ[8] فائْتِينِي به، فإنِّي قد بَلَغْتُ وجَهَدْتُ. فقالتْ: نَعَمْ، الآنَ يُنْضِجُ التَّنُّورُ فلا تَعْجَلْ. فلَمَّا أَنْ سكَت عنها ساعةً، وتَحَيَّنَتْ أيضًا أَنْ يقولَ لها، قالت هي مِن

---

(١) البخاري (٣٤٨٣، ٣٤٨٤، ٦١٢٠).

(٢) في الأصل، ح، م: «ابن مسعود». وأبو مسعود هو: عقبة بن عمرو بن ثعلبة الصحابي البدري.

(٣) الإمام أحمد في المسند ٣٨٣/٥ مرفوعا، وأبو نعيم في الحلية ٣٧٠/٤ موقوفا على حذيفة.

(٤) في المسند ٢/ ٤٢١. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٢٥٧: رواه أحمد، ورجاله وُثِّقوا.

(٥) بعده في م، ص: «قال: قال رسول اللَّه ﷺ».

(٦) في م: «هنيئة». وهنية مصغرة هَنَةٍ، ومعناها: انتظر قليلا. القاموس المحيط (هـ ن و).

(٧) في الأصل، ح، ص: «الطول». وفي م: «المطال». والمثبت من المسند. والطوى: شدة الجوع.

(٨) في النسخ: «شيء». والمثبت من المسند.

عندِ نَفْسِها : لو قُمْتُ فنَظَرْتُ إلى تَنُّورِى ، فقامت فوجَدَتْ تَنُّورَها [١/٣٠٠ظ] مَلْآنَ مِن جُنُوبِ الغَنَمِ ، (١ورَحْيَيْها تَطْحَنانِ١) ، فقامتْ إلى الرَّحَى فنَفَضَتْها ، وأخْرَجَتْ ما فى تَنُّورِها مِن جُنُوبِ الغَنَمِ » . قال أبو هريرةَ : فوالذى نَفْسُ أبى القاسِمِ بيدِه ، عن قولِ محمدٍ ﷺ : « لو أَخَذَت ما فى رَحْيَيْها ولم تَنْفُضْها ، لَطَحَنَتْها[٢] إلى يومِ القيامةِ » .

وقال أحمدُ[٣] : حدّثنا (٤ابنُ عامرٍ٤) ، حدَّثنا أبو بكرٍ ، عن[٥] هشامٍ ، عن محمدٍ ، عن أبى هريرةَ ، قال : دخَل رجلٌ على أهلِه ، فلَمّا رأى ما بهم مِن الحاجةِ خرَج إلى البَرِّيَّةِ ، فَلَمَّا رَأَتِ امْرَأَتُه[٦] قَامَتْ إلى الرَّحَى فَوَضَعَتْها ، وإلى التَّنُّورِ فَسَجَرَتْه ، ثُم قالت : اللهمَّ ارْزُقْنا . فَنَظَرَتْ ، فإذا الجَفْنَةُ قدِ امْتَلأَتْ . قال : وذَهَبت إلى التَّنُّورِ فوجَدَتْه مُمْتَلِئًا . قال : فرجَع الزوجُ ، قال : أَصَبْتُم بَعْدِى شيئًا ؟ قالت امرأتُه : نِعَمٌ مِن ربِّنا . (٧قامَ إلى الرَّحَى فرَفَعَها٧) ، فذُكِرَ للنبىِّ ﷺ ، فقال : « أَمَا إنه لو لم يَرْفَعْها ، لَمْ تَزَلْ تَدُورُ إلى يومِ القيامةِ » . شَهِدْتُ

(١ - ١) فى م : « رحاها تطحن » .

(٢) فى م : « لطحنت » . وطحنتها ، أى طحنت للمرأة .

(٣) فى المسند ٢/ ٥١٣. قال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ٢٥٦، ٢٥٧: رواه أحمد والبزار... ورواه الطبرانى فى الأوسط بنحوه ، ورجالهم رجال الصحيح غير شيخ البزار وشيخ الطبرانى ، وهما ثقتان .

(٤ - ٤) فى النسخ : « أبو عامر » . وهو خطأ ، والمثبت من المسند . وابن عامر ، هو الأسود بن عامر ، أبو عبد الرحمن الشامى . انظر تهذيب الكمال ٣/ ٢٢٦.

(٥) فى الأصل : « بن » . وأبو بكر هو ابن عياش ، وهشام هو ابن حسان .

(٦) بعده فى م : « ما لقى » .

(٧ - ٧) فى م : « فرفعتها إلى الرحى ثم قامت » . وفى المسند : « قام إلى الرحا » . والمثبت من باقى النسخ ومجمع الزوائد ، ليستقيم السياق . ولعل فى رواية المسند سقطا كما صرح بذلك صاحب الفتح الربانى ١٩/ ١٢٣.

النَّبيَّ ﷺ ، وهو يقولُ : « واللَّهِ لأَنْ يَأْتِيَ أَحدُكُم صَبِيرًا[1] ثُمَّ يَحْمِلَه فيَبيعَه فيَسْتَعِفَّ منه ، خَيْرٌ له مِن أنْ يَأْتِيَ رجلًا فيَسْأَلَهُ » .

(١) سقط من : ص . وفى الأصل : « بحطبه » ، وفى ح ، م : « بحزمة حطب » . والمثبت من المسند . وصبيرا ، أى جبلا . وقوله : ثم يحمله . أى يحمل حطبا منه يبيعه . انظر الفتح الربانى ١٩/ ١٢٣.

قِصَّةُ المَلِكَيْنِ التائِبَيْنِ

[1]قال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثَنا يزيدُ بنُ هارونَ ، حدَّثَنا المسعودِىُّ ، عن سِمَاكِ ابنِ حَرْبٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، عن أبيهِ قال : بينَما رجلٌ ، فيمَن كان قَبْلَكم ، كان فى مَمْلَكَتِه ، فتَفَكَّرَ ، فعَلِمَ أنَّ ذلك مُنْقَطِعٌ عنه ، وأنَّ ما هو فيه قد شَغَلَه عن عبادةِ ربِّه ، فتَسَرَّبَ[3] ، فانْسابَ ذاتَ ليلةٍ مِن قَصْرِه ، فأَصْبَحَ فى مَمْلَكَةِ غيرِه ، وأَتَى ساحلَ البحرِ ، وكان به يَضْرِبُ اللَّبِنَ بالأَجْرِ[4] ، فيَأْكُلُ ويَتَصَدَّقُ بالفَضْلِ ، فلم يَزَلْ كذلك حتى رَقِىَ أَمْرُه إلى مَلِكِهم [5]وعبادتُه وفضلُهُ[5] ، فأَرْسَلَ مَلِكُهم[6] إليه [5]أنْ يَأْتِيَه[5] ، فأَبَى أنْ يَأْتِيَه ، [5]فأَعاد ، ثُم أَعاد إليه ، فأَبَى أنْ يَأْتِيَه ، وقال : ما له وما لى ؟ ! قال[5] : فرَكِبَ إليه المَلِكُ ، فلَمّا رَآه الرجلُ وَلَّى هارِبًا ، [5]فلَمّا رأَى ذلك المَلِكُ[5] رَكَضَ فى أَثَرِه فلم يُدْرِكْه . قال : فناداه : يا عبدَ اللَّهِ ، إنَّه ليس عليك مِنِّى بَأْسٌ . فأَقام حتى أَدْرَكَه ، فقال له : مَن أنتَ ، رَحِمَكَ اللَّهُ ؟ فقال : أنا فلانُ بنُ فلانٍ ، صاحبُ مُلْكِ كذا وكذا ، تَفَكَّرْتُ فى أَمْرِى ، فعَلِمْتُ أنَّ ما أنَا فيه مُنْقَطِعٌ ، فإنه قد[1]

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص .

(٢) فى المسند ١/ ٤٥١ . (إسناده حسن) .

(٣) سقط من : ح ، م ، والمثبت من المسند .

(٤) فى م : « بالآجر » .

(٥ - ٥) سقط من : ح ، م ، والمثبت من المسند .

(٦) سقط من : ح ، م . والمثبت من المسند .

(1)شَغَلَنِى عن عبادةِ ربِّى ، فتَرَكْتُه وجِئْتُ هلهنا أَعْبُدُ رَبِّى ، عزَّ وجلَّ . فقال له : ما أنت بأَحْوَجَ إلى ما صَنَعْتَ منِّى . قال : ثُم نَزَل عن دابَّتِه فسَيَّبَها ، ثُمَّ تَبِعَه ، فكانا جميعًا يَعْبُدَانِ اللَّهَ ، عزَّ وجلَّ ، فدَعَوا اللَّهَ أن يُمِيتَهما جميعًا . قال : فماتا . قال عبدُ اللَّهِ : فلو كُنتُ برُمَيْلَةِ[2] مِصْرَ ، لأَرَيْتُكم قبورَهُما ، بالنَّعْتِ الذى نَعَت لنا رسولُ اللَّهِ ﷺ(1) .

حديثٌ آخرُ : قال البخاريُّ[3] : حدَّثَنا أبو الوليدِ ، حدَّثَنا أبو عَوَانَةَ ، عن قتادةَ ، عن عُقْبَةَ بنِ عبدِ الغافرِ ، عن أبى سعيدٍ ، عن النبيِّ ﷺ : « إنَّ رجلًا كان قَبْلَكم رَغَسَه اللَّهُ ، مالًا[4] ، فقال لبَنِيه لَمَّا حُضِرَ : أَىَّ أَبٍ كنتُ لكم ؟ قالوا : خَيْرَ أَبٍ . قال : فإنِّى لَمْ أَعْمَلْ خيرًا قَطُّ ، فإذا مِتُّ فأحْرِقُونِى ، ثُم اسْحَقُونى ، ثُم اذْرُونى فى يومٍ عاصِفٍ . ففعلوا ، فجمَعَه اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، فقال : ما حَمَلَك ؟ قال : مَخَافَتُك . فتَلَقَّاه برَحْمَتِه » . ورَواه فى مواضعَ أُخَرَ ، ومسلمٌ مِن طُرُقٍ ، عن قتادةَ به[5] . ثم رَوَاه البخاريُّ ومسلمٌ مِن حديثِ رِبْعِيِّ ابنِ حِرَاشٍ ، عن حُذَيْفَةَ ، عن النبيِّ ﷺ ، بنحوِه[6] . (7)ومِن حـديثِ

(1 - 1) سقط من : الأصل ، ص .

(2) فى ح ، م : « بالرملية » وهو خطأ . قال الشيخ أحمد شاكر فى شرح المسند ٦/ ١٥١ : ورميلة مصر : هى ميدان تحت قلعة الجبل ، كانت ميدان أحمد بن طولون ، وبها كانت قصوره وبساتينه ، وهى المعروفة الآن باسم « ميدان صلاح الدين » ، وباسم « المنشية » بالقاهرة . وانظر النجوم الزاهرة ٤/ ٤٩.

(3) البخارى (٣٤٧٨) .

(4) رغسه اللَّه مالا : أى أكثر له وبارك له فيه . مختار الصحاح (ر غ س) .

(5) البخارى (٦٤٨١، ٧٥٠٨) ، ومسلم (٢٧٥٧) .

(6) البخارى (٣٤٥٢، ٣٤٧٩، ٦٤٨٠) ولم يروه مسلم من هذا الوجه . وانظر تحفة الأشراف ٣/ ٩٢٥.

(7 - 7) سقط من : ح .

(1) الزُّهْرِىِّ ، عن حُمَيْدِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ ، بنحوِه(1)(2) .

(3) **حديثٌ آخرُ** : قال البخارىُّ(4) : حدَّثَنا عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ اللَّهِ ، حدثنا إبراهيمُ بنُ سَعْدٍ ، عن ابنِ شِهَابٍ ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عُتْبَةَ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ ، قال : « كان رجلٌ يُدَايِنُ الناسَ ، فكان يقولُ لفَتَاهُ : إذا أَتَيْتَ مُعْسِرًا فتجاوزْ عنه ، لَعَلَّ اللَّهَ أنْ يَتَجَاوَزَ عنا » . قال : « فلَقِىَ اللَّهَ فتَجَاوَزَ عنه » . وقد رواه فى مواضعَ أُخَرَ ، ومسلمٌ مِن طريقِ الزُّهْرِىِّ به(5)(3) .

حديثٌ آخرُ : (6) قال البخارىُّ(6)(7) : حدَّثَنا عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ اللَّهِ ، حدَّثَنى مالكٌ ، عن محمدِ بنِ المُنْكَدِرِ ، و(8) عن أبى النَّضْرِ مولَى عُمَرَ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، عن عامرِ بنِ سعدِ بنِ أبى وقَّاصٍ ، عن أبيه ، أنَّه سَمِعَه يَسْأَلُ أسامةَ بنَ زيدٍ : ماذا سَمِعْتَ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فى الطاعُونِ ؟ فقال أسامةُ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « الطاعُونُ رِجْسٌ أُرْسِلَ على طائفَةٍ من بنى إسرائيلَ – أو(9) على مَن كان قَبْلَكم – فإذا سَمِعْتُم به بأرضٍ ، فلا تَقْدَمُوا عليه ، وإذا وقَع بأرضٍ وأنتم

(1 – 1) سقط من : ح .
(2) البخارى (3481) ، ومسلم (2756) .
(3 – 3) سقط من : الأصل .
(4) البخارى (3480) .
(5) البخارى (2078) ، ومسلم (1562) .
(6 – 6) سقط من : ح .
(7) البخارى (3473) .
(8) سقط من النسخ . والمثبت من الصحيح .
(9) فى م : « و » .

بها ، فلا تَخْرُجُوا فِرَارًا منه » . قال أبو النَّضْرِ : « لا يُخْرِجُكم إلَّا فِرَارًا منه » . ورَوَاه مسلمٌ مِن حديثِ مالكٍ ، ومِن طُرُقٍ أُخَرَ عن عامرِ بنِ سعدٍ به[1] .

حدَّثَنا موسى بنُ [٣٠١/١و] إسماعيلَ ، حدَّثَنا داودُ بنُ أبى الفُرَاتِ ، حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ بُرَيْدَةَ ، عن يَحْيَى بنِ يَعْمَرَ ، عن عائشةَ قالت : سألتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، عن الطاعونِ فأَخْبَرَنِى أنَّه عذابٌ يَبْعَثُه اللَّهُ على مَن يَشاءُ مِن عبادِه ، وأنَّ اللَّهَ جعَلَه رحمةً[2] للمؤمنين ، ليس مِن أحدٍ يَقَعُ الطاعونُ ، فيَمْكُثُ فى بَلَدِه صابرًا مُحْتَسِبًا ، يَعْلَمُ أنَّه لا يُصيبُه إلَّا ما كتَب اللَّهُ له ، إلَّا كان له مِثْلُ أَجْرِ شهيدٍ » . تَفَرَّدَ به البخاريُّ عن مسلمٍ مِن هذا الوجهِ[3] .

حديثٌ آخَرُ : قال البخاريُّ[4] : حدَّثَنا قُتَيْبَةُ ، حدَّثَنا ليثٌ ، عن ابنِ شِهَابٍ ، عن عُرْوَةَ ، عن عائشةَ ، أنَّ قريشًا أَهَمَّهم شَأْنُ المرأةِ المَخْزُومِيَّةِ التى سَرَقَتْ ، فقالوا : مَن يُكَلِّمُ فيها رسولَ اللَّهِ ﷺ ؟ فقالوا : ومَن يَجْتَرِئُ عليه إلَّا أسامةُ بنُ زيدٍ ، حِبُّ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فكَلَّمَه أسامةُ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أتَشْفَعُ فى حَدٍّ مِن حُدُودِ اللَّهِ ؟ » . ثُم قامَ فاخْتَطَبَ[5] . ثم قال : « إنَّما أَهْلَكَ الذِينَ مِن قَبْلِكُم أنَّهم كانوا إذا سرَق فيهم الشَّرِيفُ ترَكُوه ، وإذا سَرَق فيهم الضعيفُ أَقامُوا عليه الحَدَّ ، وايْمُ اللَّهِ ، لو أنَّ فاطمةَ بنتَ محمدٍ سَرَقَتْ ، لَقَطَعْتُ يَدَها » . وأَخْرَجَه بَقِيَّةُ الجماعةِ مِن طُرُقٍ ، عن

---

(١) مسلم (٢٢١٨) .

(٢) سقط من : ح .

(٣) البخارى (٣٤٧٤) .

(٤) البخارى (٣٤٧٥) .

(٥) فى م : « فخطب » .

اللَّيْثِ بنِ سعدٍ به[1].

حديثٌ آخَرُ: قال البخاريُّ[2]: حدَّثَنا آدَمُ، حدَّثَنا شُعْبَةُ، حدَّثَنا عبدُ الملكِ ابنُ ميسرةَ، سَمِعْتُ النَّزَّالَ بنَ سَبْرَةَ[3] الهِلَالِيَّ، عن ابنِ مسعودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عنه، قال: سَمِعْتُ رجلًا قرَأ آيةً[4]، وسَمِعْتُ النبيَّ ﷺ، يَقْرَأُ خِلَافَها، فجِئْتُ به النبيَّ ﷺ، فأَخْبَرْتُه، فعَرَفْتُ فى وَجْهِه الكَرَاهِيَةَ، وقال: «كِلاكُما مُحْسِنٌ، ولا تَخْتَلِفوا، فإنَّ مَنْ كان قَبْلَكم اخْتَلَفُوا فهَلَكُوا». تَفَرَّدَ به البخاريُّ دُونَ مسلمٍ.

حديثٌ آخَرُ: قال البخاريُّ[5]: حدّثنا عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ اللَّهِ، حدَّثَنا إبراهيمُ بنُ سعدٍ، عن صالحٍ، عن ابنِ شِهابٍ قال: قال أبو سَلَمَةَ بنُ عبدِ الرحمنِ: إنَّ أبا هريرةَ، رَضِيَ اللَّهُ عنه، قال: إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ، قال: «إنَّ اليَهودَ والنَّصارَى لا يَصْبُغُونَ[6]، فخَالِفُوهم». تفرَّدَ به دونَ مسلمٍ. وفى «سُنَنِ أبى داودَ»[7]: «صَلُّوا فى نِعالِكم، خالِفوا اليهودَ».

حديثٌ آخَرُ: قال البخاريُّ[8]: حدَّثَنا علىُّ بنُ عبدِ اللَّهِ، حدَّثَنا سفيانُ،

---

(١) مسلم (١٦٨٨)، وأبو داود (٤٣٧٣)، والترمذى (١٤٣٠)، والنسائى (٤٩١٤)، وابن ماجه (٢٥٤٧).

(٢) البخارى (٣٤٧٦).

(٣) فى ح: «ميسرة».

(٤) سقط من: ح، م، ص.

(٥) البخارى (٣٤٦٢).

(٦) فى الأصل: «يصنعون خيرا».

(٧) أبو داود (٦٥٢) (صحيح سنن أبى داود ٦٠٧).

(٨) البخارى (٣٤٦٠).

عن عَمْرٍو، عن[1] طاوُسٍ، عن ابنِ عبّاسٍ، سَمِعْتُ عُمَرَ، رَضِىَ اللَّهُ عنه، يقولُ: قاتَلَ اللَّهُ فلانًا، أَلَمْ يَعْلَمْ أنّ رسولَ اللَّهِ ﷺ، قال: «لَعَنَ اللَّهُ اليهودَ، حُرِّمَتْ عليهم الشُّحُومُ، فجَمَلُوها[2]، فباعُوها». ورواه مسلمٌ مِن حديثِ ابنِ عُيَيْنَةَ، ومِن حديثِ عَمْرِو بنِ دينارٍ به[3]. ثم قال البخارىُّ: تابَعَه جابرٌ، وأبو هريرةَ، عن [١/٣٠١ظ] النبىِّ ﷺ[4]. ولهذا الحديثِ طُرُقٌ كثيرةٌ، ستَأْتِى فى بابِ الحِيَلِ، مِن كتابِ «الأَحْكامِ» إن شاءَ اللَّهُ، وبه الثِّقَةُ.

حديثٌ آخرُ: قال البخارىُّ[5]: حدَّثَنا عِمْرانُ بنُ مَيْسَرَةَ، حدَّثَنا عبدُ الوارثِ، حدَّثَنا خالدٌ، عن أبى قِلَابَةَ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: ذَكَرُوا النارَ والناقُوسَ، فذَكَرُوا اليهودَ والنَّصارَى، فأُمِرَ بلالٌ أَنْ يَشْفَعَ الأَذانَ، وأَنْ يُوتِرَ الإِقَامَةَ. وأَخْرَجَه بَقِيَّةُ الجماعةِ مِن حديثِ أبى قِلابةَ عبدِ اللَّهِ بنِ زيدٍ الجَرْمِىِّ به[6].

والمقصودُ مِن هذا مُخَالَفَةُ أهلِ الكتابِ فى جميعِ شِعَارِهم، فإنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ، لَمّا قَدِمَ المدينةَ، كان المسلمون يَتَحَيَّنُون وقتَ الصلاةِ بغيرِ دعوةٍ إليها، ثم أَمَرَ مَن يُنَادِى فيهم وقتَ الصلاةِ: الصلاةُ جامعةٌ. ثُم أرادوا أنْ يَدْعُوا إليها

---

(١) فى ص: «بن».

(٢) أى، أذابوها.

(٣) مسلم (١٥٨٢) من حديث ابن عيينة وعمرو بن دينار به.

(٤) قال الحافظ فى الفتح: قوله: تابعه جابر وأبو هريرة عن النبى ﷺ. يعنى فى تحريم شحوم الميتة دون القصة. فتح البارى ٦/ ٤٩٨.

(٥) البخارى (٦٠٣، ٣٤٥٧).

(٦) مسلم (٣٧٨)، وأبو داود (٥٠٨، ٥٠٩)، والترمذى (١٩٣)، والنسائى (٦٢٦)، وابن ماجه (٧٢٩، ٧٣٠).

بشىءٍ يَعْرِفُه الناسُ، فقال قائلون: نَضْرِبُ بالناقُوسِ. وقال آخرُون[1]: نُورِى نارًا[2]. فكَرِهُوا ذلك؛ لمُشابَهَتِه أهلَ الكِتابَيْنِ، فأُرِىَ عبدُ اللَّهِ بنُ زيدِ بنِ عبدِ ربِّه الأنصارىُّ فى مَنَامِه الأذانَ فقَصَّها[3] على رسولِ اللَّهِ ﷺ، فأَمَرَ بلالًا فنادى به[4]، كما هو مَبْسُوطٌ فى مَوْضِعِه مِن بابِ الأذانِ مِن كتابِ «الأحْكَامِ».

حديثٌ آخَرُ: قال البخارىُّ[5]: حدَّثَنا بِشْرُ بنُ محمدٍ، أَخْبَرَنا عبدُ اللَّهِ، أَخْبَرَنى مَعْمَرٌ ويونُسُ، عن الزُّهْرِىِّ قال: أَخْبَرَنى عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ عبدِ اللَّهِ، أنّ عائشةَ وابنَ عباسٍ قالا: لمّا نُزِلَ برسولِ اللَّهِ ﷺ، طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً على وجهِه، فإذا اغْتَمَّ كشَفَها عن وجهِه، فقال وهو كذلك: «لَعْنَةُ اللَّهِ على اليهودِ (6والنَّصارَى6)، اتَّخَذُوا قُبورَ أَنْبيائِهم مساجدَ». يُحَذِّرُ ما صَنَعُوا. وهكذا رَوَاه فى غيرِ مَوْضِعٍ، (6ومسلمٌ6) مِن طُرُقٍ عن الزُّهْرِىِّ به[7].

حديثٌ آخَرُ: قال البخارىُّ[8]: حدَّثَنا سعيدُ بنُ أبى مريمَ، حدثنا أبو غَسّانَ قال: حَدَّثَنى زيدُ بنُ أَسْلَمَ، عن عَطَاءِ بنِ يَسَارٍ، عن أبى سعيدٍ، أنَّ النَّبِىَّ ﷺ قال: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن قَبْلَكم شِبْرًا بشِبْرٍ، وذِرَاعًا بذِرَاعٍ، حتى لو سَلَكُوا جُحْرَ

---

(١) فى م: «آخر».
(٢) فى الأصل، ح، ص: «بالنار».
(٣) أى الرؤيا.
(٤) سقط من: م.
(٥) البخارى (٣٤٥٣، ٣٤٥٤).
(٦ - ٦) سقط من: الأصل.
(٧) البخارى (٤٣٥، ٤٣٦، ٥٨١٥ - ٥٨١٧). مسلم (٥٣١).
(٨) البخارى (٣٤٥٦).

ضَبٍّ لَسَلَكْتُموه » . قلنا : يا رسولَ اللَّهِ : اليهودَ والنَّصارَى ؟ قال النبيُّ ﷺ : « فمَن ؟ ! » وهكذا رواه مسلمٌ مِن حديثِ زيدِ بنِ أَسْلَمَ به[1] .

والمقصودُ مِن هذا ، الإِخْبَارُ عَمّا يَقَعُ مِن الأَقْوالِ والأفعالِ المَنْهِيِّ عنها شَرْعًا ، مِمّا يُشَابِهُ أهلَ الكتابِ قَبْلَنا ، فإنَّ اللَّهَ ورسولَه يَنْهَيَانِ عن مُشَابَهَتِهم فى أقوالِهم وأفْعالِهم ، حتى ولو كان قَصْدُ المؤمنِ خيرًا ، لكنّه [2]تَشَبَّهٌ بفعلِه فى الظاهرِ مِن فِعْلِهم[2] . كما نُهِىَ عن الصلاةِ عندَ طُلُوعِ الشمسِ وعِندَ غروبِها ؛ لِئَلَّا يُشَابِهَ المُشْرِكِينَ الذين يَسْجُدونَ [٣٠٢/١و] للشمسِ حينَئِذٍ ، وإنْ كان المؤمنُ لا يَخْطُرُ ببالِه شيءٌ مِن ذلك بالكُلِّيَّةِ . وهكذا قولُه تعالَى[3] : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٠٤] . فكان الكفارُ يقولون للنبيِّ ﷺ ، فى كلامِهم معه : راعِ نَا . أَىْ ؛ انظُرْ إلينا ببَصَرِك واسْمَعْ كلامَنا . ويَقْصِدُون بقولِهم : راعِنا . من الرُّعُونَةِ ، فنُهِىَ المؤمنون أَنْ يقولوا ذلك ، وإنْ كان لا يَخْطُرُ ببالِ أحدٍ منهم هذا أَبَدًا .

وقد روَى الإمامُ أحمدُ والتِّرمِذِىُّ[4] مِن حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ ، عن النبيِّ ﷺ ، أنَّه قال : « بُعِثْتُ بالسيفِ بينَ يَدَيِ الساعةِ حتى يُعْبَدَ اللَّهُ وحدَه لا

---

(١) مسلم (٢٦٦٩) .

(٢ - ٢) فى ح ، م : « تشبه ففعله فى الظاهر فعلهم » . وفى ص : « بسببه يفعل فى الظاهر فعلهم » .

(٣) التفسير ١/ ٢١٣، ٢١٤.

(٤) أحمد فى المسند ٢/ ٥٠. (إسناده صحيح) .
والحديث بهذا اللفظ لم يخرجه الترمذى . وربما قصد المصنف أن يعزو الحديث إلى أبى داود ، فقد رواه عن ابن عمر (٤٠٣١) .

شريكَ له ، وجُعِلَ رِزْقى تحتَ ظِلِّ رُمْحِى ، وجُعِلَ الذِّلَّةُ والصَّغَارُ على مَن خالَفَ أَمْرِى ، ومَن تَشَبَّهَ بقومٍ فهو منهم » . فليس للمُسْلِمِ أنْ يَتَشَبَّهَ بهم ؛ لا فى عباداتِهم ، ولا فى مَواسِمِهم ، ولا فى أعيادِهم ؛ لأنَّ اللَّهَ تعالَى شَرَّفَ هذه الأمَّةَ بخاتَمِ الأنبياءِ ، الذى شرعَ له الدينَ العظيمَ القَوِيمَ ، الشّامِلَ الكاملَ ، الذى لو كان موسى بنُ عمرانَ الذى أُنزِلَتْ عليه التوراةُ ، وعيسى ابنُ مريمَ الذى أُنْزِلَ عليه الإنجيلُ حَيَّيْنِ ، لم يَكُنْ لهما شَرْعٌ مُتَّبَعٌ ، بل لو كانا مَوْجُودَيْن ، بل وكُلُّ الأنبياءِ ، لَمَا ساغَ[1] لواحدٍ منهم[2] أَن يَكُونَ على غيرِ هذه الشريعةِ المُطَهَّرَةِ ، المُشَرَّفَةِ ، المُكَرَّمَةِ ، المُعَظَّمَةِ ، فإذا كان اللَّهُ تعالى قد مَنَّ علينا ، بأَنْ جَعَلَنا مِن أَتْباعِ محمدٍ ﷺ ، فكيف يَلِيقُ بنا أنْ نَتَشَبَّهَ بقومٍ قد ضَلُّوا مِن قبلُ ، وأَضَلُّوا كثيرًا ، وضَلُّوا عن سَواءِ السبيلِ ، قد بَدَّلُوا دينَهم ، وحَرَّفُوه ، وأَوَّلُوه ، حتى صارَ كأنَّه غيرُ ما شُرِعَ لهم أَوَّلًا ، ثُمَّ هو بعدَ ذلك كلُّه مَنْسُوخٌ ، والتَّمَسُّكُ بالمنسوخِ حرامٌ ، لا يَقْبَلُ اللَّهُ منه قليلًا ولا كثيرًا ، ولا فَرْقَ بينَه وبينَ ما لم يُشْرَعْ بالكُلِّيَّةِ . واللَّهُ يَهْدِى مَن يشاءُ إلى صراطٍ مستقيمٍ .

حديثٌ آخرُ : قال البخارىُّ[3] : حدَّثنا قُتَيْبَةُ ، حدَّثَنا اللَّيْثُ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عُمَرَ ، رَضِىَ اللَّهُ عنهما ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال : « إنَّما أَجَلُكم فى أَجَلِ مَن خَلَا مِن الأُمَمِ ما بينَ صلاةِ العصرِ إلى مَغْرِبِ الشمسِ ، وإنما مَثَلُكم ومَثَلُ اليهودِ والنصارَى ، كرجُلٍ اسْتَعْمَلَ عُمّالًا فقال : مَن يَعْمَلُ لى إلى نِصْفِ النهارِ

---

(١) فى الأصل : « شرع » .

(٢) فى ص : « منهما » .

(٣) البخارى (٣٤٥٩) .

على قِيرَاطٍ قيراطٍ ؟ فعَمِلَتِ اليهودُ إلى نصفِ النهارِ على قيراطٍ قيراطٍ ، ثم قال : مَن يَعْمَلُ لى مِن نصفِ النهارِ إلى صلاةِ العصرِ على قيراطٍ قيراطٍ ؟ فعَمِلَتِ النصارَى مِن نِصْفِ النهارِ إلى صلاةِ العصرِ على قيراطٍ قيراطٍ ، ثم قال : مَن يَعْمَلُ لى مِن صلاةِ العصرِ إلى مَغْرِبِ الشمسِ على قيراطَيْنِ قيراطَيْنِ ؟ أَلَا فأَنتم الذين تعمَلون [٣٠٢/١ظ] مِن صلاةِ العصرِ إلى (١ مَغْرِبِ الشمسِ ١) على قيراطَيْنِ قيراطَيْنِ ، أَلَا لكم الأَجْرُ مرَّتَيْنِ . فغَضِبَتِ اليهودُ والنصارَى ، فقالوا : نحنُ أكثرُ عَمَلًا وأقلُّ عطاءً ! قال اللَّهُ : هل ظَلَمْتُكم مِنْ حَقِّكم شيئًا ؟ قالوا : لا . قال : فإنَّه فَضْلِى أُوتِيه[٢] مَنْ شِئْتُ » . وهذا الحديثُ فيه دَلِيلٌ على أنَّ مُدَّةَ هذه الأُمَّةِ قصيرةٌ ، بالنسبةِ إلى ما مضَى مِن مُدَدِ الأُمَمِ قَبْلَها ؛ لقولِه : « إنَّما أَجَلُكم فى أَجَلِ مَن خَلَا مِن الأُمَمِ[٣] ما بينَ صلاةِ العصْرِ إلى مَغْرِبِ الشمسِ » . فالماضِى لا يَعْلَمُه إلَّا اللَّهُ ، كما أَنَّ الآتِىَ لا يَعْلَمُه إلَّا هو ، ولكنَّه قَصيرٌ بالنسبةِ إلى ما سَبَق ، ولا اطِّلَاعَ لأَحدٍ على تَحْدِيدِ ما بَقِىَ إلَّا اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، كما قال اللَّهُ تعالى : ﴿ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ﴾ [الأعراف : ١٨٧] . وقال : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴾ [النازعات ٤٢- ٤٤] . وما يَذْكُرُه بعضُ الناسِ مِن الحديثِ المشهورِ عندَ العامَّةِ مِن أنَّه ، عليه السلامُ ، لا يؤلِّفُ تحتَ الأرضِ ، فليس له أصلٌ فى كُتُبِ الحديثِ ، ووَرَدَ فيه حديثٌ : « أنَّ الدنيا جُمُعَةٌ مِن جُمَعِ الآخِرَةِ »[٤] .

(١ - ١) فى م : « المغرب » .

(٢) كذا فى النسخ . وفى صحيح البخارى : « أعطيه » .

(٣) بعده فى النسخ : « قبلكم » .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٦٥/٤ لابن أبى حاتم عن ابن عباس موقوفا ، ولابن أبى الدنيا عن سعيد بن جبير .

وفى صحتِه نَظَرٌ. والمرادُ مِن هذا التَّشْبيهِ بالعُمَّالِ، تفاوتُ أجورِهم، وأن ذلك ليس مَنُوطًا بكثرةِ العملِ ولا قِلَّتِه، بل بأمورٍ أُخَرَ مُعْتَبَرَةٍ عندَ اللَّهِ تعالَى، وكم مِن عملٍ قليلٍ أَجْدَى ما لا يُجْدِيه العملُ الكثيرُ؛ هذه ليلةُ القَدْرِ، العملُ فيها أفضلُ مِن عبادةِ ألفِ شَهْرٍ سواها، وهؤلاء أصحابُ محمدٍ ﷺ، أَنْفَقُوا فى أوقاتٍ، لو أَنْفَقَ غيرُهم مِن الذهبِ مِثْلَ أُحُدٍ، ما بلَغ مُدَّ[1] أحدِهم، ولا نَصِيفَه [2]مِنْ تَمْرٍ[2]، وهذا رسولُ اللَّهِ ﷺ، بعثَه اللَّهُ على رأسِ أربعين سنةً مِن عُمْرِه، وقبَضَه وهو ابنُ ثلاثٍ وستين سنةً على المشهورِ، وقد برَز فى هذه المدَّةِ - التى هى ثلاثٌ وعشرون سنةً - فى العلومِ النافعةِ، والأعمالِ الصَّالحةِ، على سائرِ الأنبياءِ قَبْلَه؛ حتى على نوحٍ، الذى لَبِثَ فى قومِه ألفَ سنةٍ إلَّا خمسين عامًا، يَدْعُوهم إلى عبادةِ اللَّهِ وحدَه لا شريكَ له، ويَعْمَلُ بطاعةِ اللَّهِ ليلًا ونهارًا، وصباحًا ومَساءً، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه وعلى سائرِ الأنبياءِ أَجْمَعِينَ. فهذه الأُمَّةُ إنَّما شُرِّفَتْ وتَضاعَفَ ثَوابُها، ببَرَكَةِ سيادةِ[3] نبيِّها وشَرَفِه وعَظَمَتِه، كما قال اللَّهُ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الحديد: ٢٨، ٢٩].

---

(١) فى م: «من».

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، ص.

(٣) فى الأصل، ص: «سفارة».

فصلٌ

وأخبارُ بنى إسرائيلَ كثيرةٌ [٣٠٣/١و] جدًّا فى الكتابِ وفى السُّنَّةِ النبويةِ ، ولو ذهَبْنا نتَقَصَّى ذلك لَطَالَ الكتابُ ، ولكن ذكَرْنا ما ذكَرَه الإمامُ أبو عبدِ اللَّهِ البخاريُّ فى هذا البابِ ، ففيه مَقْنَعٌ وكِفايَةٌ ، وهو تَذْكِرَةٌ وأُنْمُوذَجٌ لهذا البابِ . واللَّهُ أعلمُ .

وأمّا الأخبارُ الإسرائيليةُ ، مِمّا[1] يَذْكُرُه كثيرٌ مِن المُفَسِّرين والمُؤَرِّخِين ، فكثيرةٌ جِدًّا ، ومنها ما هو صحيحٌ مُوَافِقٌ لِمَا وقَع ، وكثيرٌ منها - بل أَكْثَرُها - مِمّا يَذْكُرُه القُصّاصُ مَكْذُوبٌ مُفْتَرًى ، وضَعَه زَنادِقَتُهم وضُلَّالُهم ، وهى ثلاثةُ أقسامٍ ؛ منها ما هو صحيحٌ ؛ لِمُوَافَقَتِه ما قَصَّه اللَّهُ فى كتابِه أو أَخْبَرَ به رسولُ اللَّهِ ﷺ ، ومنها ما هو معلومُ البُطْلانِ ؛ لمخالفتِه كتابَ اللَّهِ وسُنَّةَ رسولِه ، ومنها ما يَحْتَمِلُ الصدقَ والكَذِبَ ، فهذا الذى أُمِرْنا بالتَّوَقُّفِ فيه ، فلا نُصَدِّقُه ولا نُكَذِّبُه ؛ لِمَا ثبَت فى « الصّحيحِ »[2] : « إذا حَدَّثَكم أهلُ الكتابِ ، فلا تُصَدِّقُوهم ولا تُكَذِّبُوهم ، وقُولوا : آمَنّا بالذى أُنْزِلَ إلينا وأُنْزِلَ إليكم » . وتَجُوزُ روايتُه مع هذا الحديثِ المتقدِّمِ : « وحدِّثُوا عن بنى إسرائيلَ ولا حَرَجَ »[3] .

---

(١) فى الأصل : « فيما » .

(٢) تقدم تخريجه فى صفحة ٣٤.

(٣) تقدم تخريجه فى صفحة ٣٢.

ذِكْرُ[1] تَحْرِيفِ أهلِ الكتابِ، وتَبْدِيلِهم أَدْيَانَهم

أما اليهودُ فقد أَنْزَلَ اللَّهُ عليهم التوراةَ على يَدَىْ موسى بنِ عِمْرَانَ، عليه السلامُ، وكانت كما قال اللَّهُ تعالى: ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٤]. وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ﴾ [الأنعام: ٩١]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٨]. [2]وقال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾[2] [الصافات: ١١٧، ١١٨]. وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]. فكانوا يَحكُمونَ بها وهم مُتَمَسِّكون بها، بُرْهَةً مِن الزمانِ، ثُم شَرَعُوا في تَحْرِيفِها، وتَبْدِيلِها، وتَغْيِيرِها، وتَأْوِيلِها[3]، وإبْدَاءِ ما ليس منها، كما قال

---

(١) سقط من: م.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل.

(٣) سقط من: ص.

اللَّهُ تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران : ٧٨] . فأَخبَرَ تعالى أنَّهم يُفَسِّرُونَها ويُؤَوِّلُونَها ويَضَعُونَها على غيرِ مَواضِعِها ، وهذا ما لا خِلَافَ فيه بينَ العلماءِ ؛ وهو أنَّهم يَتَصَرَّفُونَ فى مَعَانِيها ، ويَحْمِلُونها على غيرِ المرادِ ، كما بَدَّلُوا حُكْمَ الرَّجْمِ والتَّحْمِيمِ[1] ، مع بقاءِ لفظِ الرَّجْمِ فيها ، وكما أنَّهم [١/ ٣٠٣ظ] كانوا إذا سرَق فيهم الشريفُ تَرَكُوه ، وإذا سرَق فيهم الضعيفُ أَقَامُوا عليه الحدَّ ، مع أنَّهم مَأْمُورون بإقامةِ الحدِّ والقَطْعِ على الشريفِ والوَضِيعِ .

فأمّا تبديلُ ألفاظِها ، فقال قائلون بأنَّها جميعَها بُدِّلَتْ . وقال آخرون : لَمْ تُبدَّلْ . واحْتَجُّوا بقولِه تعالى : ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ﴾ [المائدة : ٤٣] . وقولِه : ﴿ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ الآية [الأعراف : ١٥٧] . وبقولِه : ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٣] . وبقصَّةِ الرَّجْمِ ، فإنَّهم - كما ثبَت فى « الصحيحَيْنِ »[2] ، عن ابنِ عُمَرَ ، وفى « صحيحِ مسلمٍ »[3] ، عن البَرَاءِ بنِ عازِبٍ وجابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، وفى « السُّنَنِ »[4] عن أبى هريرةَ وغيرِه : لَمّا تحاكَمُوا

---

(١) التحميم : تسويد الوجه .

(٢) البخارى (١٣٢٩، ٣٦٣٥، ٤٥٥٦، ٦٨١٩، ٦٨٤١، ٧٣٣٢، ٧٥٤٣). مسلم (١٦٩٩).

(٣) حديث البراء عند مسلم (١٧٠٠)، وحديث جابر (١٧٠١).

(٤) أبو داود (٤٤٥٠، ٤٤٥١).

إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، فى قِصَّةِ اليهوديِّ واليهوديَّةِ الَّذَيْنِ زَنَيَا، فقال لهم: «ما تَجِدُون فى التوراةِ فى شَأْنِ الرَّجْمِ؟» فقالوا: نَفْضَحُهم، ويُجْلَدُون. فأَمَرَهم رسولُ اللَّهِ ﷺ، بإحْضَارِ التوراةِ، فلَمَّا جاءُوا بها، وجَعَلوا يَقْرءُونَها ويَكْتُمُون آيةَ الرَّجْمِ التى فيها، ووضَع عبدُ اللَّهِ بنُ صُورِيا يَدَه على آيةِ الرَّجْمِ، وقرأ ما قَبْلَها وما بعدَها، فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ: «ارْفَعْ يَدَك يا أَعْوَرُ». فرَفَع يَدَه، فإذا فيها آيةُ الرَّجْمِ، فأَمَرَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، برَجْمِهما، وقال: «اللهُمَّ إنِّى أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَك إذْ أَمَاتُوهُ». وعندَ أبى داودَ[1]: أنَّهم لما جاءُوا بها[2]، نزَع الوِسَادَةَ مِن تَحْتِه، فوضَعَها تَحْتَها، وقال: «آمَنْتُ بكِ وبمَن أَنْزَلَكِ». وذكَر بعضُهم أنَّه قامَ لها. ولَمْ أَقِفْ على إسنادِه. واللَّهُ أعلمُ.

وهذا كلُّه يُشْكِلُ على ما يقولُه كثيرٌ مِن المتكلِّمين وغيرِهم: إنَّ التوراةَ انْقَطَعَ تَوَاتُرُها فى زمنِ بُخْتُ نَصَّرَ، ولَمْ يَبْقَ مَن يَحْفَظُها إلَّا العُزَيْرُ. ثُم إنَّ العُزَيْرَ إنْ كان نبيًّا فهو معصومٌ، [3]والتواتُرُ إلى المعصومِ يَكْفِى[3]، اللهُمَّ إلَّا أن يُقَالَ: إنَّها لم تَتَوَاتَرْ إليه. لكنْ بعدَه زكريا ويَحْيَى وعيسى، وكُلُّهم كانوا مُتَمَسِّكِين بالتَّوراةِ، فلو لَمْ تَكُنْ صحيحةً معمولًا بها، لَمَا اعْتَمَدُوا عليها، وهم أنبياءُ مَعْصُومون، ثُم قد قال اللَّهُ تعالى، فيما أَنْزَلَ على رسولِه محمدٍ، خاتَمِ الأنبياءِ، صلوَاتُ اللَّهِ وسلامُه عليه وعلى جَمِيعِ الأنبياءِ، مُنْكِرًا على اليهودِ فى

---

(١) أبو داود (٤٤٤٩). حسن (صحيح سنن أبى داود ٤٧٣٩).

(٢) سقط من: ص. والضمير عائد إلى التوراة.

(٣ - ٣) فى الأصل: «والرواية إلى المعصوم تكفى».

قَصْدِهِم الفاسدِ، إذْ عَدَلُوا عَمّا يَعْتَقِدُون صحتَه عندَهم - وأنَّهم مَأْمُورون به حَتْمًا - إلى التَّحاكُم إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، وهم يُعَانِدون ما جاءَ به، لكنْ لَمَّا كان - في زَعْمِهم[1] - قد يُوافِقُهم على ما ابْتَدَعُوه؛ مِن الجَلْدِ والتَّحْمِيمِ، المُصادِمِ لِمَا أمَرَ اللَّهُ به حَتْمًا، قالوا: إنْ حكَم لكم بالجلدِ والتحميمِ فاقْبَلُوه، وتَكُونون قد اعْتَذَرْتُم بحُكْمِ نبيٍّ لكم عندَ اللَّهِ يومَ القيامةِ، [١/٣٠٤و] وإنْ لم يَحْكُمْ لكم بهذا، بل بالرَّجْمِ، فاحْذَرُوا أنْ تَقْبَلُوا منه. فأنْكَرَ اللَّهُ تعالى عليهم في هذا القَصْدِ الفاسدِ، الذي إنَّما حَمَلَهم عليه الغَرَضُ الفاسدُ، وموافقةُ الهَوَى، لا الدينُ الحقُّ، فقال: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ الآية [المائدة: ٤٣، ٤٤]. ولهذا لَمَّا[2] حكَم بالرَّجْمِ، قال: «اللهُمَّ إنِّي أوَّلُ مَنْ أحْيَا أمْرَك إذْ أمَاتُوه». وسَأَلَهم؛ ما حمَلَهم على هذا؟ ولِمَ تَرَكُوا أمْرَ اللَّهِ الذي بأيديهم؟ فقالوا: إنَّ الزِّنا قد كثُرَ في أشْرَافِنا، ولَمْ يُمْكِنَّا أنْ نُقِيمَه عليهم، وكنا نَرْجُمُ مَن زنَى مِن ضعفائِنا، فقُلْنا: تعالَوْا إلى أمْرٍ نِصْفٍ، نَفْعَلُه مع الشريفِ والوضيعِ، فاصْطَلَحْنا على الجَلْدِ والتَّحْمِيمِ. فهذا مِن جُمْلَةِ تَحْرِيفِهم، وتَبْدِيلِهم، وتغييرِهم، وتَأْوِيلِهم الباطلِ، وهذا إنما فعَلوه في المعانِي، مع بَقَاءِ لَفْظِ الرَّجْمِ في كتابِهم، كما دَلَّ عليه الحديثُ المتَّفَقُ عليه[3]، فلهذا قال مَن قال هذا مِن الناسِ: إنّه لم

---

(١) بعده في ح، م: «ما».

(٢) سقط من: م.

(٣) تقدم تخريجه في صفحة ٧٩.

يَقَعْ تبديلُهم إلَّا في المعانِي ، وإنَّ الألفاظَ باقيةٌ ، وهي حُجَّةٌ عليهم ؛ إذ لو أقاموا ما في كتابِهم جميعَه ، لقادَهم ذلك إلى اتِّباعِ الحقِّ ، ومُتابَعَةِ الرسولِ محمدٍ ﷺ ، كما قال اللَّهُ تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ الآية [الأعراف: ١٥٧]. وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ﴾ الآية [المائدة: ٦٦]. وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ الآية [المائدة: ٦٨]. وهذا المذهبُ - وهو القولُ بأنَّ التبديلَ إنَّما وقَع في معانِيها لا في ألفاظِها - حكاه البخاريُّ عن ابنِ عباسٍ ، في آخرِ كتابِه « الصحيحِ »(١) وقرَّر عليه ، ولم يَرُدَّه ، وحكاه العَلَّامةُ الإمامُ فخرُ الدينِ الرّازيُّ في « تَفْسِيرِه »(٢) عن أكثرِ المُتَكلِّمين(٣) .

وذهَب فقهاءُ الحَنَفِيَّةِ إلى أنَّه لا يَجُوزُ للجُنُبِ مَسُّ التوراةِ ، وهو مُحْدِثٌ ، وحَكَاه الحَنَّاطِيُّ في « فتاويه » عن بعضِ أصحابِ الشافعيِّ ، وهو غريبٌ جدًّا .

وذهَب آخرون مِن العلماءِ إلى التَّوسُّطِ في هذين القولين ؛ منهم شيخُنا

---

(١) البخاري (٧٥٤١) .

(٢) التفسير الكبير ٣/ ١٣٤، ١٣٥.

(٣) بعده في هامش ح : « ليس للجنب أن يمس التوراة » . وهو عنوان في م : « ليس للجنب لمس التوراة » . ومن الواضح أن المصنف لم يقر ذلك ، وإنما قاله على سبيل الحكاية .

الإمامُ العَلّامَةُ أبو العباسِ ابنُ تيْمِيةَ ، رَحِمَه اللَّهُ ، فقال[1] : أَمّا مَن ذَهَب إلى أنَّها كلَّها مُبَدَّلَةٌ مِن أَوَّلِها إلى آخِرِها [٣٠٤/١ظ] ، ولم يَبْقَ منها حَرْفٌ إلَّا بَدَّلُوه ، فهذا بعيدٌ ، وكذا مَن قال : لم يُبَدَّلْ شيءٌ منها بالكلِّيَّةِ . بعيدٌ أيضًا . والحقُّ أنَّه دخَلَها تَبْدِيلٌ وتغييرٌ ، وتَصَرَّفُوا فى بعضِ أَلْفاظِها بالزيادةِ والنقصِ ، كما تَصَرَّفوا فى معانيها ، وهذا معلومٌ عندَ التَّأمُّلِ ، ولبَسْطِه موضعٌ آخرُ . واللَّهُ أعلمُ . كما فى قولِهم[2] فى قصةِ الذبيحِ[3] : اذْبَحِ ابنَكَ وحيدَك . وفى نسخةٍ : بِكْرَك إسحاقَ . فلَفْظَةُ « إسحاقَ » مُقْحَمَةٌ مَزِيدَةٌ بلا مِرْيةٍ ؛ لأنَّ الوحيدَ - وهو البِكْرُ - إسماعيلُ ؛ لأنَّه وُلِدَ قبلَ إسحاقَ بأربعَ عَشْرَةَ سنةً ، فكيف يَكُونُ الوحيدُ البِكْرُ إسحاقَ ؟ ! ، وإنما حَمَلَهم على ذلك حَسَدُ العَرَبِ ؛ أنْ يكونَ [4]أبوهم هو[4] الذبيحَ ، فأَرادُوا أنْ يَذْهَبوا بهذه الفضيلةِ لهم ، فزادوا ذلك فى كتابِ اللَّهِ ، افتراءً على اللَّهِ وعلى رسولِه ، وقد اغْتَرَّ بهذه الزيادةِ خَلْقٌ كثيرٌ مِن السَّلَفِ والخَلَفِ ، ووافقوهم على أنَّ الذبيحَ إسحاقُ ، والصحيحُ أنّ الذبيحَ إسماعيلُ ، كما قَدَّمْنا[5] . واللَّهُ أعلمُ .

وهكذا فى تَوْراةِ السّامِرَةِ ، فى العَشْرِ الكلماتِ زيادةُ الأَمْرِ بالتَّوَجُّهِ إلى الطُّورِ فى الصلاةِ ، وليس ذلك فى سائِرِ نُسَخِ اليهودِ والنصارَى . وهكذا يُوجَدُ

---

(١) انظر تفصيل ذلك فى الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٣٦٧/١ - ٤٩٥، ٣/٢ - ٢٠. ومجموع الفتاوى ١٠٣/١٣، ١٠٤.

(٢) فى ح ، م : « قوله » .

(٣) سفر التكوين ، الأصحاح ٢/٢٢ .

(٤ - ٤) فى ح ، م : « إسماعيل غير » .

(٥) انظر ما تقدم فى ٣٦٣/١ - ٣٧٠.

الزَّبُورُ المأثورُ عن داودَ ، عليه السَّلامُ ، مختلِفًا كثيرًا ، وفيه أشياءُ مَزِيدَةٌ مُلْحَقَةٌ فيه وليست منه . واللَّهُ أعلمُ .

قلتُ : وأَمّا ما بأيدِيهم مِن التوراةِ المُعَرَّبَةِ ، فلا يَشُكُّ عاقلٌ فى تَبْدِيلِها وتحريفِ كثيرٍ من ألفاظِها ، وتغييرِ القَصَصِ والألفاظِ ، والزياداتِ ، والنقصِ البَيِّنِ الواضحِ ، وفيها مِن الكذبِ البَيِّنِ ، والخطأُ الفاحشِ شىءٌ كثيرٌ جدًّا ، فأمّا ما يَتْلُونَه بلسانِهم ، ويَكْتُبُونَه بأقلامِهم ، فلا اطِّلَاعَ لنا عليه ، والمَظْنُونُ بهم أَنَّهم كَذَبَةٌ خَوَنَةٌ ، يُكْثِرُون الفِرْيَةَ على اللَّهِ ورُسُلِه وكتبِه .

وأَمَّا النصارَى ، فأَناجيلُهم الأربعةُ مِن طُرُقِ ؛ مُرْقُسَ[(1)] ، ولُوقَا ، ومَتَّى ، ويُوحَنَّا ، أَشَدُّ اختلافًا ، وأكثرُ زِيادةً ونقصًا ، وأَفْحَشُ تَفَاوُتًا من التوراةِ ، وقد خالَفُوا أحكامَ التوراةِ والإنجيلِ ، فى غيرِ ما شىءٍ قد شَرَّعُوه لأنفسِهم ؛ فَمِن ذلك ، صلاتُهم إلى الشرقِ ليست مَنْصوصًا عليها ، ولا مَأْمورًا بها فى شىءٍ مِن الأناجيلِ الأربعةِ ، وهكذا تصويرُهم كنائسَهم ، وتَرْكُهم الخِتانَ ، ونَقْلُهم صيامَهم إلى زمنِ الربيعِ ، وزيادتُهم فيه إلى خمسين يومًا ، [(2)]وأَكْلُهم الخِنزيرَ[(2)] ، ووضْعُهم الأمانةَ الكبيرةَ ، وإنّما هى الخيانةُ الصغيرةُ[(3)] الحقيرةُ ، والرهبانيةُ ؛ وهى تركُ التَّزْويجِ لِمَن أراد التَّعَبُّدَ ، وتحريمُه عليه ، وكَتْبُهم القوانينَ التى وضَعَتْها لهم الأساقِفةُ الثلاثُمائةِ والثمانيةَ عَشَرَ . فكلُّ هذه الأشياءِ ابتدعوها ، ووضَعُوها فى [١/٣٠٥و] أيامِ قُسْطَنْطِينَ بنِ قسطسَ بَانِى القُسْطَنْطِينِيَّةِ ، وكان زمنُه بعدَ المسيحِ

---

(١) فى ح : « ملقس » .

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) سقط من : ح ، م .

بثلاثِمائةِ سنةٍ، وكان أبوه أحدَ مُلوكِ الرومِ، وتَزَوَّجَ أُمَّه هِيلَانَةَ فى بعضِ أسْفارِه للصَّيْدِ مِن بلادِ حَرَّانَ، وكانت نَصْرَانِيَّةً على دينِ الرَّهَابِينِ المُتقدِّمين، فلما وُلِدَ لها منه قُسْطَنْطِينُ المذكورُ، تَعَلَّمَ الفلسفةَ ومَهَرَ[1] فيها، وصار فيه مَيْلٌ بعضُ الشىءِ إلى النصرانيةِ، التى أُمُّه عليها، فعَظَّمَ القائِمِين بها بعضَ الشىءِ، وهو على اعتقادِ الفلاسفةِ، فلمّا مات أبوه واسْتَقَلَّ هو فى المَمْلَكَةِ، سار فى رَعِيَّتِه سِيرةً عادلةً؛ فأَحَبَّه الناسُ، وسادَ فيهم، وغلَب على مُلْكِ الشّامِ بأَسْرِه مع الجزيرةِ، وعَظُمَ شَأْنُه، وكان أولَ القياصرةِ، ثُم اتَّفَقَ اختلافٌ فى زمانِه بينَ النَّصارَى، ومُنَازَعَةٌ وَقَعَتْ[2] بينَ بِطْرِيقِ[3] الإِسكندريةِ إِكْصَنْدَرُوسَ، وبينَ رَجلٍ مِن علمائِهم يُقالُ له: عبدُ اللَّهِ بنُ أَرْيُوسَ. فذهَب إِكْصَنْدَرُوسُ إلى أَنَّ عيسى ابنُ اللَّهِ، تعالى اللَّهُ عن قولِه، وذهَب ابنُ أرْيوسَ إلى أنَّ عيسى عبدُ اللَّهِ ورسولُه، واتَّبعه على هذا طائفةٌ مِن النصارَى، وأَصْفَقَ[4] الأكثرون الأَخسرون[5] على قولِ بَطْرِيقِهم[6]، ومُنِعَ ابنُ أَرْيُوسَ مِن دخولِ الكنيسةِ هو وأصحابُه، فذهَب يَسْتَعْدِى على إِكْصَنْدَرُوسَ وأصحابِه إلى المَلِكِ قُسْطَنْطِينَ، فسأَله المَلِكُ عن مَقَالَتِه، فعَرَض عليه عبدُ اللَّهِ ابنُ أَرْيُوسَ ما يقولُ فى المسيحِ؛ مِن أَنَّه عبدُ اللَّهِ ورسولُه، واحْتَجَّ على

---

(١) فى ح، م، ص: «بهر».
(٢) سقط من: م.
(٣) فى النسخ: «بترك». وانظر ما تقدم فى ٢/ ١١.
(٤) فى م: اتفق. وأصفقوا على الأمر: اجتمعوا عليه. اللسان (ص ف ق).
(٥) سقط من: الأصل.
(٦) فى النسخ: «بتركهم».

ذلك، فمالَ[1] إليه، وجنَح إلى قولِه، فقال له قائلون: فيَنْبَغِى أنْ تَبْعَثَ إلى خَصْمِه فتَسْمَعَ كلامَه. فأَمَرَ المَلِكُ بإحضارِه، وطلَب مِن سائرِ الأقاليمِ كلَّ أُسْقُفٍ، وكلَّ مَن عندَه عِلْمٌ[2] فى دينِ النصرانيةِ، وجمَع البَطَارِقَةَ[3] الأربعةَ، مِن القُدْسِ وأَنْطَاكِيَةَ ورُومِيَّةَ والإسكندريةِ، فيُقالُ: إنَّهم اجْتَمَعُوا فى مُدَّةِ سنةٍ وشهرَين ما يَزِيدُ على أَلْفَىْ[4] أُسْقُفٍ، فجَمَعَهم فى مجلسٍ واحدٍ، وهو المَجْمَعُ الأوَّلُ من مَجَامِعِهم الثلاثةِ المشهورةِ، وهم مختلفون اخْتلافًا مُتَبَايِنًا منتِشرًا جدًّا؛ فمنهم الشِّرْذِمَةُ على المقالةِ التى لا يُوَافِقُهم أحدٌ مِن الباقِين عليها، فهؤلاء خَمسون[5] على مقالةٍ، وهؤلاء ثمانون على مقالةٍ أُخْرَى، وهؤلاء عَشَرَةٌ على مقالةٍ، وأربعون على أُخْرَى، ومِائةٌ على مقالةٍ، ومائتان على مقالةٍ، وطائفةٌ على مقالةِ ابنِ أَرْيُوسَ، وجماعةٌ على مقالةٍ أُخْرَى، فلَمّا تفاقَمَ أَمْرُهم وانْتَشَرَ اختلافُهم، حارَ فيهم المَلِكُ قُسْطَنْطِينُ، مع أنَّه سَيِّئُ الظنِّ بما عـدَا دينَ الصَّابِئِينَ مِن أسْلَافِه اليونانيين، [١/٣٠٥ظ] فعمَد إلى أكثرِ جماعةٍ منهم على مقالةٍ مِن مقالاتِهم، فوجَدَهم ثلاثَمائةٍ وثمانيةَ عَشَرَ أُسْقُفًا، قد اجْتَمَعوا على مقالةِ إِكْصَنْدَرُوسَ، ولمْ يَجِدْ طائفةً بَلَغَتْ عِدَّتَهم، فقال: هؤلاء أَوْلَى بِنَصْرِ قولِهم؛ لأنَّهم أكثرُ الفِرَقِ. فاجْتَمَعَ بهم خصوصًا، ووضَع سيفَه وخاتَمَه إليهم، وقال: إنِّى رَأَيْتُكم أكثرَ الفِرقِ، قد اجتمعْتم على مقالَتِكم هذه، فأنا أَنْصُرُها

---

(١) فى م: «فحال».

(٢) سقط من: م.

(٣) فى النسخ: «البتاركة».

(٤) فى ص: «ألف».

(٥) فى ص: «خمسة».

وأَذْهَبُ إليها . فسَجَدُوا له ، وطلب منهم أن يَضَعُوا له كتابًا[1] فى الأحكامِ ، وأن تكونَ الصلاةُ إلى الشرقِ ؛ لأنَّها مَطْلِعُ الكواكبِ النَّيِّرَةِ ، وأنْ يُصَوِّرُوا فى كنائِسِهم صُوَرًا لها جُثَثٌ ، فصَالَحُوه[2] على أن تكونَ فى الحِيطانِ ، فلَمّا تَوَافَقُوا على ذلك ، أخَذ فى نَصْرِهم ، وإظْهَارِ كلمتِهم ، وإقامةِ مقالَتِهم ، وإبعادِ مَن خالَفَهم ، وتَضْعِيفِ رأيِه وقولِه ، فظهَر أصحابُه بِجَاهِه على مُخالِفِهم ، وانتصروا عليهم ، وأمَر ببناءِ الكنائسِ على دينِهم ، وهم المَلَكِيَّةُ ؛ نِسْبَةً إلى دينِ المَلِكِ ، فبُنِيَ فى أيامِ قُسْطَنطِينَ ، بالشامِ وغيرِها فى المدائنِ والقُرَى ، أَزْيَدُ مِن ثِنْتَىْ عَشْرَةَ أَلْفَ كَنيسةٍ ، واعْتَنَى المِلِكُ ببناءِ بيتِ لَحْمٍ ، يَعْنِى على مكانِ مَولدِ المسيحِ ، وبَنَتْ أُمُّه هِيلَانَةُ قُمَامَةَ بيتِ المَقْدِسِ على مكانِ المصلوبِ ، الذى زَعَمَتِ اليهودُ والنصارَى ، بجهلِهم وقِلَّةِ عَقْلِهم[3] ، أنَّه المسيحُ ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، ويقالُ : إنَّه قتَل مَن عَدَا أولئِكَ ، وخَدَّ لهم الأخاديدَ فى الأرضِ ، وأَجَّجَ فيها النارَ ، وأَحْرَقَهم بها . كما ذكَرْناه فى تَفْسِيرِ سورةِ « البروجِ »[4] ، وعَظُمَ دينُ النصرانيةِ ، وظَهَر أَمْرُه جدًّا ؛ بسببِ الملكِ قُسْطَنْطِينَ ، وقد أَفْسَدَه عليهم فسادًا لا صَلَاحَ له ، ولا نجاحَ معه ، ولا فلاحَ عندَه ، وكَثُرَتْ أعيادُهم بسببِ عُظَمائِهم[5] ، وكَثُرَتْ كنائسُهم على أسماءِ عُبّادِهم ، وتَفَاقَمَ كفرُهم ، وغَلُظَتْ مُصيبتُهم ، وتَخَلَّدَ ضَلَالُهم وعَظُمَ وَبَالُهم ، ولم يَهْدِ اللَّهُ قلوبَهم ، ولا

---

(١) فى الأصل ، ص : « كتبا » .
(٢) فى ح : « فصالحوهم » .
(٣) فى ح ، م : « علمهم » .
(٤) التفسير ٨/ ٣٩٢.
(٥) فى ص : « عطائهم » .

أَصْلَحَ بالَهم ، بل صرَف قلوبَهم عن الحقِّ ، وأَمَالَ عن الاستقامةِ حالَهم[1] ، ثُم اجْتَمَعُوا بعدَ ذلك مَجْمَعَيْنِ في قضيةِ النُّسْطُورِيَّةِ واليَعْقوبِيَّةِ ، وكلُّ فِرْقَةٍ مِن هؤلاء تُكَفِّرُ الأُخْرى ، وتَعْتَقِدُ تَخْلِيدَهم في نارِ جهنمَ ، ولا ترَى مُجَامَعتَهم في المعابدِ والكنائسِ ، وكلُّهم يقولُ بالأَقَانِيمِ الثلاثةِ ؛ أُقْنُومِ الأبِ ، وأُقْنومِ الابْنِ ، وأُقْنومِ الكلِمةِ ، ولكن بيْنَهما اخْتِلافٌ في الحُلولِ والاتِّحادِ ، فيما بينَ اللَّاهوتِ والنَّاسُوتِ ؛ هل تَدَرَّعَه[2] ، أو حَلَّ فيه ، أو اتَّحَدَ به ، واختلافُهم في ذلك شديدٌ ، وكفرُهم بسببِه غليظٌ ، وكلُّهم على الباطلِ ، إلَّا مَن قال مِن الأَرْيُوسِيَّةِ[3] ، أصحابِ عبدِ اللَّهِ بنِ أَرْيُوسَ : إنَّ المسيحَ عبدُ اللَّهِ ورسولُه ، وابنُ أمَتِه ، وكلمتُه أَلْقَاها إلى [١/٣٠٦و] مريمَ ، وروحٌ منه . كما يقولُه المسلمون فيه سواءً ، ولكنْ لَمَّا استقرَّ أمرُ الأَرْيُوسِيَّةِ على هذه المقالةِ ، تَسَلَّطَ عليهم الفِرَقُ الثلاثةُ بالإِبعادِ والطَّرْدِ حتى[4] قَلُّوا فلا يُعْرَفُ اليومَ منهم أحدٌ فيما نَعْلَمُ . واللَّهُ سبحانَه وتعالى أعلمُ .

---

(١) سقط من : ح ، م .

(٢) تدرعه : لبسه .

(٣) في ص : « الأريسية » .

(٤) في ص : « حين » .

كتاب الجامع لأخبار الأنبياء المُتقدمين[*]

قال اللهُ تعالى[1] : ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ الآية [البقرة: ٢٥٣]. وقال تعالى[2] : ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٣- ١٦٥]. وقد روَى ابنُ حِبّانَ فى «صحيحِه» وابنُ مَرْدَوَيْهِ فى «تفسيرِه»[3] وغيرُهما، مِن طريقِ إبراهيمَ بنِ هشامِ [4]بنِ يَحْيَى بنِ يحيى[4] الغَسّانِيِّ الشّامِيِّ - وقد تكلَّمُوا فيه - حَدَّثنى أبى، عن جَدِّى، عن أبى إدْريسَ، عن أبى ذَرٍّ قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ، كم الأنبياءُ؟ قال: «مِائةُ ألفٍ وأربعةٌ وعشرون ألفًا». قلتُ: يا

(*) من هنا بداية النسخة الثانية من الجزء الرابع، من نسخة أحمد الثالث، ويشار إليها بـ (ا ٩).

(١) التفسير ١/ ٤٤٨، ٤٤٩.

(٢) التفسير ٢/ ٤٢١ - ٤٢٨.

(٣) تقدم تخريجه فى ١/ ٢٢٦.

وقال السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٢٤٦ عقب إيراده الحديث: أخرجه ابن حبان فى صحيحه، وابن الجوزى فى الموضوعات، وهما فى طرفى نقيض، والصواب أنه ضعيف، لا صحيح ولا موضوع.

(٤ - ٤) فى ح، م: «عن يحيى بن محمد». وفى ص: «ابن يحيى بن فخر».

رسولَ اللَّهِ، كمِ الرسلُ منهم؟ قال: «ثلاثُمائةٍ وثلاثةَ عَشَرَ، جَمٌّ غفيرٌ». قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، مَن كان أوَّلَهم؟ قال: «آدمُ». قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، نبيٌّ مُرْسَلٌ؟ قال: «نَعَمْ، خلَقَه اللَّهُ بيَدِه، ونفَخ فيه مِن رُوحِه، ثُم سَوَّاه قِبَلًا». ثم قال: «يا أبا ذَرٍّ، أربعةٌ سُرْيَانِيُّون؛ آدمُ، وشِيثٌ، ونوحٌ، وخَنُوخُ، وهو إدْريسُ، وهو أوَّلُ مَن خَطَّ بالقلمِ، وأربعةٌ مِن العربِ؛ هودٌ، وصالحٌ، وشعيبٌ، ونبيُّك يا أبا ذَرٍّ، وأوَّلُ نبيٍّ مِن بنى إسرائيلَ موسى، وآخِرُهم عيسى، وأوَلُ النَّبِيِّين آدمُ، وآخِرُهم نَبِيُّك».

وقد أَوْرَدَ هذا الحديثَ أبو الفَرَجِ ابنُ الجَوْزِيِّ فى «المَوْضُوعاتِ»[1]. وقد رواه ابنُ أبى حاتمٍ[2] من وجهٍ آخرَ، فقال: حدَّثَنا محمدُ بنُ عَوْفٍ، حدَّثَنا أبو المغيرةِ، حدَّثَنا مُعَانُ بنُ رِفاعةَ، عن عليِّ بنِ يزيدَ[3]، عن القاسمِ، عن أبى أُمامَةَ، قال: قلت: يا رسولَ اللَّهِ، كم الأنبياءُ؟ قال: «مِائةُ ألفٍ وأربعةٌ وعشرون ألفًا، الرسلُ[4] مِن ذلك ثلاثُمائةٍ وخمسةَ عَشَرَ، جَمًّا غفيرًا». وهذا أيضًا مِن هذا الوجهِ ضعيفٌ، فيه ثلاثةٌ مِن الضعفاءِ؛ مُعَانٌ، وشيخُه، وشيخُ شيخِه.

وقد قال الحافظُ أبو يَعْلَى المَوْصِلِيُّ[5]: [١/٣٠٦ظ] حدثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ أبو عبدِ اللَّهِ الجَوْهَرِيُّ البَصْرِيُّ، حدثنا مَكِّيُّ بنُ إبراهيمَ، حدَّثَنا موسى بنُ

---

(١) لم نجده فى موضوعات ابن الجوزى. وقد عزاه السيوطى له فى الدر المنثور ٢/ ٢٤٦.

(٢) ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٢٤٦. وعزاه إلى ابن أبى حاتم.

(٣) فى الأصل، م: «زيد».

(٤) سقط من: الأصل، ص.

(٥) مسند أبى يعلى (٤١٣٢). قال الهيثمى فى المجمع ٨/ ٢١٠: وفيه موسى بن عبيدة الربذى، وهو ضعيف جدا.

عُبيدةَ الرَّبَذِىُّ[1] ، عن يَزِيدَ الرَّقَاشِىِّ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « بعَث اللَّهُ ثمانيةَ آلافِ نَبِىٍّ ؛ أرْبعةَ آلافٍ إلى بنى إسْرائيلَ ، وأرْبعةَ آلافٍ إلى سائرِ الناسِ » . موسى وشيخُه ضعيفان .

وقال أبو يَعْلَى أيضًا[2] : حدَّثَنا أبو الربيعِ ، حدَّثَنا محمدُ بنُ ثابتٍ العَبْدِىُّ ، حدَّثَنا مَعْبَدُ بنُ خالدٍ الأنْصارِىُّ ، عن يَزِيدَ الرَّقَاشِىِّ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « كان فيمَن خَلَا مِن إخوانى مِن الأنبياءِ ثمانيةُ آلافِ نبىٍّ ، ثُم كان عيسى ابنُ مريمَ ، ثُم كُنْتُ أنا » . يَزِيدُ الرَّقَاشِىُّ ضعيفٌ . وقد رَواه الحافظُ أبو بكرٍ الإسماعيلىُّ[3] ، عن محمدِ بنِ عثمانَ بنِ أبى شَيْبَةَ ، حدَّثَنا أحمدُ بنُ طارقٍ ، حدَّثَنا مسلمُ بنُ خالدٍ ، حدَّثَنا زيادُ بنُ سعدٍ ، عن محمدِ بنِ المُنْكَدِرِ ، عن صفوانَ بنِ سُلَيْمٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « بُعِثْتُ على إثْرِ ثَمانيةِ آلافِ نبىٍّ ، منهم أربعةُ آلافٍ من بنى إسرائيلَ » . وهذا إسنادٌ لا بأسَ به ، لكنِّى لا أعرفُ حالَ أحمدَ بنِ طارقٍ هذا ، فاللَّهُ أعلمُ .

حديثٌ آخرُ : قال عبدُ اللَّهِ بنُ الإمامِ أحمدَ[4] : وجدتُ فى كتابِ أبى

---

(1) فى الأصل ، م ، ص : « اليزيدى » ، وفى ح : « الزيدى » . وانظر تهذيب الكمال ٢٩/ ١٠٤.

(2) مسند أبى يعلى (٤٠٩٢) . قال الهيثمى فى المجمع ٨/ ٢١١: فيه محمد بن ثابت ، وهو ضعيف .

(3) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ١٦٢/٣ فى ترجمة صفوان بن سليم من طريق مسلم بن خالد به ، وقال عقبه : غريب من حديث زياد . وأخرجه المصنف فى تفسيره ٤٢٥/٢ بسنده من طريق أبى بكر الإسماعيلى به ، وقال عقبه : وهذا غريب من هذا الوجه ، وإسناده لا بأس به ، رجاله كلهم معروفون إلا أحمد بن طارق هذا ؛ فإنى لا أعرفه بعدالة ولا جرح .

(4) أحمد فى المسند ٣/ ٧٩. قال الهيثمى فى المجمع ٧/ ٣٤٦: فيه مجالد بن سعيد ، وثقه النسائى فى رواية ، وقال فى أخرى : ليس بالقوى . وضعفه جماعة .

بِخَطِّه[1] : حدَّثنى عبدُ المُتَعَالِ بنُ عبدِ الوَهَّابِ، حدَّثَنا يَحْيَى بنُ سعيدٍ الأُمَوِىُّ، حدَّثَنا مُجَالِدٌ، عن أبى الوَدَّاكِ، قال: قال أبو سعيدٍ: هل تُقِرُّ الخوارجُ بالدَّجَّالِ؟ قال: قلتُ: لا. فقال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّى خاتَمُ أَلْفِ نبيٍّ، أو[2] أكْثَرَ، ما بُعِث نبيٌّ يُتَّبَعُ إِلَّا وحَذَّرَ أُمَّتَه الدَّجَّالَ[3]، وإِنِّى قد بُيِّنَ لى[4] من أَمْرِه[4] ما لمْ يُبَيَّنْ لأحدٍ[5]، وإنَّه أَعْوَرُ، وإنَّ رَبَّكم ليس بأَعْوَرَ، وعَيْنُه اليُمْنَى عَوْرَاءُ جاحِظَةٌ لا تَخْفَى، كأنَّها نُخَامَةٌ فى حائِطٍ مُجَصَّصٍ، وعَيْنُه اليُسْرَى كأنَّها كوكبٌ دُرِّىٌّ، معه مِن كلِّ لسانٍ، ومعه صورةُ الجَنَةِ خضراءُ، يَجْرِى فيها الماءُ، وصورةُ النارِ سوداءُ تَدْخَنُ». وهذا حديثٌ غريبٌ.

وقد رُوِىَ عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ، فقال الحافظُ أبو بكرٍ البَزّارُ[6] : حدَّثَنا عَمْرُو بنُ علىٍّ، حدَّثَنا يَحْيَى بنُ سعيدٍ، حدَّثنا مُجالِدٌ، عن الشَّعْبِىِّ، عن جابرٍ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّى لخَاتَمُ ألفِ نبىٍّ أو أكثرَ، وإنَّه ليس منهم نبىٌّ إلَّا وقد أَنْذَرَ قوْمَه الدَّجَّالَ، وإنه قد تَبَيَّنَ لى فيه ما لم يَتَبَيَّنْ لأحدٍ منهم، وإنَّه أَعْوَرُ، وإن رَبَّكم ليس بأَعْوَرَ». وهذا إسنادٌ حَسَنٌ، وهو محمولٌ على ذِكْرِ عددِ مَن أَنْذَرَ قوْمَه الدَّجَّالَ مِن الأنبياءِ، لكنْ فى الحديثِ الآخَرِ[7] :

---

(١) هذه العبارة وردت فى المسند فى آخر الحديث الذى قبل هذا، وهو خطأ، وأورده الحافظ ابن حجر على الصواب، فى أطراف مسند الإمام أحمد (٨٦٥١) مثل ما أورده المصنف هنا.

(٢) كذا فى النسخ، وفى أطراف المسند ٦/ ٣٨٣. وفى المسند: «و».

(٣) فى النسخ: «منه». والمثبت من المسند.

(٤ - ٤) فى النسخ: «فيه». والمثبت من المسند.

(٥) سقط من: الأصل، ص.

(٦) كشف الأستار (٣٣٨٠). قال الهيثمى فى المجمع ٧/ ٣٤٧: رواه البزار وفيه مجالد بن سعيد، وقد ضعفه الجمهور، وفيه توثيق.

(٧) أخرجه ابن حبان فى صحيحه، الإحسان (٦٧٨٠) من حديث ابن عمر، ومسلم (٢٩٣٣)، =

« ما مِن نبيٍّ إلَّا وقد أَنْذَرَ أُمَّتَه الدَّجَّالَ » . فاللَّهُ أعلمُ .

وقال البخاريُّ[1] : حدَّثَنا محمدُ بنُ بَشَّارٍ ، حدثنا محمدُ بنُ جَعْفَرٍ ، حدَّثَنا شُعْبَةُ ، عن فُرَاتٍ قال : [١/٣٠٧و] سَمِعْتُ أبا حازِمٍ قال : قاعَدْتُ أبا هريرةَ خمسَ سنينَ ، فسَمِعْتُه يُحَدِّثُ عن النبيِّ ﷺ ، قال : « كانت بنو إسرائيلَ تَسُوسُهم الأنبياءُ ، كلَّما هلَك نبيٌّ خلَفَه نبيٌّ ، وإنَّه لا نبيَّ بعْدِى ، وسيكونُ خُلَفَاءُ فيَكْثُرُون » . قالوا : فما تَأْمُرُنا يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « فُوا ببَيْعَةِ الأوَّلِ فالأوَّلِ ، أَعْطُوهم حَقَّهم ، فإنَّ اللَّهَ سائلُهم عما اسْتَرْعَاهُم » . وكذا رواه مسلمٌ عن بُنْدَارٍ[2] ، ومِن وجهٍ آخرَ عن فراتٍ به نحوَه[2] .

وقال البخاريُّ[3] : حدَّثَنا عُمَرُ[4] بنُ حَفْصٍ ، حدَّثَنا أَبِى ، حدَّثَنى الأَعْمَشُ ، حدَّثَنى شَقِيقٌ قال : قال عبدُ اللَّهِ - هو ابنُ مسعودٍ - : كأنِّى أَنْظُرُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، يَحْكِى نبيًّا مِن الأنبياءِ ، ضَرَبَه قَوْمُه فأَدْمَوه ، وهو يَمْسَحُ الدَّمَ عن وجهِه ويقولُ : « اللهُمَّ اغْفِرْ لقَوْمِى ، فإنَّهم لا يَعْلَمون » . وكذا رَوَاه مسلمٌ من حديثِ الأَعْمَشِ به نحوَه[5] .

وقال الإمامُ أحمدُ[6] : حدَّثَنا عبدُ الرَّزَّاقِ ، أَنْبَأَنا مَعْمَرٌ ، عن زيدِ بنِ أَسْلَمَ ،

= والترمذى (٢٢٤٥) ، وأحمد فى المسند ٣/ ١٧٣، ٢٧٦ من حديث أنس ، وعندهم : « الأعور » بدل « الدجال » .

(١) البخارى (٣٤٥٥) .

(٢) مسلم (١٨٤٢) .

(٣) البخارى (٣٤٧٧، ٦٩٢٩) .

(٤) فى م ، ص : « عمرو » .

(٥) مسلم (١٧٩٢) .

(٦) فى المسند ٣/ ٩٤.

عن رَجُلٍ، عن أبى سعيدٍ الخُدْرِىِّ قال: وضَع رجُلٌ يدَه[1] على النَّبىِّ ﷺ، فقال: واللَّهِ ما أُطِيقُ أَنْ أَضَعَ يَدِى عليك مِن شِدَّةِ حُمّاكَ. فقال النبىُّ ﷺ: «إنّا مَعْشَرَ الأنْبِياءِ يُضَاعَفُ لنا البَلَاءُ، كما يُضَاعَفُ لنا الأَجْرُ، إنْ كان النبىُّ مِن الأنبياءِ يُبْتَلَى بالقَمْلِ حتى يَقْتُلَه، وإنْ كان النبىُّ مِن الأنبياءِ لَيُبْتَلى بالفقرِ حتى يَأْخُذَ العَبَاءَةَ فيُحَوِّيَها[2]، وإنْ كانوا لَيَفْرَحُون بالبَلاءِ كما تَفْرَحُون[3] بالرَّخاءِ». هكذا رَوَاه الإمامُ أحمدُ مِن طريقِ زَيْدِ بنِ أسْلَمَ، عن رَجُلٍ، عن أبى سعيدٍ. وقد رَوَاه ابنُ ماجه[4]، عن دُحَيْمٍ، عن ابنِ أبى فُدَيْكٍ، عن هشامِ ابنِ سعدٍ، عن زيدِ بنِ أَسْلَمَ، عن عطاءِ بنِ يَسَارٍ، عن أبى سعيدٍ، فذَكَرَه.

وقال الإمامُ أحمدُ[5]: حدَّثَنا وَكِيعٌ، حدَّثَنا سفيانُ عن[6] عاصمِ بنِ أبى النَّجُودِ، عن مُصْعَبِ بنِ سعدٍ، عن أبيه قال: قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، أَىُّ الناسِ أَشَدُّ بلاءً؟ قال: «الأنبياءُ، ثُمَّ الصالِحون، ثُمَّ الأَمْثَلُ فالأَمْثَلُ مِن الناسِ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ على حَسَبِ دِينِه، فإنْ كان فى دِينِه صَلابَةٌ، زِيدَ فى بَلائِه، وإنْ كان فى دِينِه رِقَّةٌ، خُفِّفَ عنه، وما يَزَالُ البلاءُ بالعَبْدِ حتى يَمْشِىَ على ظَهْرِ

---

(١) بعده فى ح، م، ص: «اليمنى».

(٢) فى م: «فيجوبها». وفى المسند: «فيخونها» وهو تصحيف. وفى سنن ابن ماجه كما هو مثبت. والتحوية: أن يدير كساءً حول سنام البعير فيركبه. النهاية (ح و ى). ووقع عند الحاكم فى المستدرك ٣٠٧/٤: «فيحويها ويلبسها».

(٣) فى م، ص: «يفرحون».

(٤) ابن ماجه (٤٠٢٤). صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٣٢٥٠). وانظر السلسلة الصحيحة (١٤٤).

(٥) فى المسند ١/ ١٧٢. (إسناده صحيح).

(٦) فى م: «بن».

الأرضِ وما عليه خَطِيئَةٌ » . ورَوَاه التِّرمِذِىُّ والنَّسائِىُّ وابنُ ماجَه ، مِن حديثِ عاصمِ بنِ أبى النَّجُودِ به[1] . وقال التِّرمِذِىُّ : حَسَنٌ صحيحٌ . وتَقَدَّمَ فى الحديثِ[2] : « نحنُ مَعْشَرَ الأنبياءِ أولادُ عَلَّاتٍ ، دينُنا واحدٌ ، وأُمَّهاتُنا شَتَّى » .

والمَعْنَى ، أنَّ شرائِعَهم وإنِ اختلَفَتْ فى الفروعِ ، ونَسَخ بعضُها بعضًا ، حتى انْتَهَى الجميعُ إلى ما شرَع اللَّهُ لمحمدٍ ، صلوَاتُ اللَّهِ وسلامُه عليه وعليهم أَجْمَعِين ، [٣٠٧/١ظ] إلَّا أنَّ كلَّ نبىٍّ بعَثَه اللَّهُ ، فإنَّما دينُه الإسلامُ ، وهو التَّوحيدُ ، أنْ يُعْبَدَ اللَّهُ وحدَه لا شريكَ له ، كما قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٢٥] . وقال تعالى : ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [الزخرف : ٤٥] . وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ ﴾ الآية [النحل : ٣٦] . فأولادُ العَلَّاتِ أنْ يكونَ الأبُ واحدًا والأُمَّهاتُ مُتَفرِّقَاتٍ ، فالأبُ بمنزلةِ الدِّينِ ، وهو التوحيدُ ، والأُمَّهاتُ بمنزلةِ الشرائعِ فى اختلافِ أحكامِها ، كما قال تعالى : ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ ﴾ [المائدة : ٤٨] . وقال : ﴿ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ ﴾ [الحج : ٦٧] . وقال ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ ﴾ [البقرة : ١٤٨] على أحدِ القولَين فى تفسيرِها .

---

(١) الترمذى (٢٣٩٨) ، النسائى فى الكبرى (٧٤٨١) ، ابن ماجه (٤٠٢٣) . حسن صحيح (صحيح سنن الترمذى ١٩٥٦) . وانظر (السلسلة الصحيحة ١٤٣) .

(٢) تقدم تخريجه فى ٢/ ٥٢٤، ٥٢٥.

والمقصودُ أنَّ الشرائعَ وإنْ تنوَّعَتْ فى أَوْقاتِها ، إلَّا أنَّ الجميعَ آمِرَةٌ بعبادةِ اللَّهِ وحدَه لا شريكَ له ، وهو دينُ الإسلامِ ، الذى شَرَعَه اللَّهُ لجميعِ الأنبياءِ ، وهو الدِّينُ الذى لا يَقْبَلُ اللَّهُ غيرَه يومَ القيامةِ ، كما قال تعالى : ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران : ٨٥] . وقال تعالى : ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة : ١٣٠- ١٣٢] . وقال تعالى : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ الآية [المائدة : ٤٤] . فدينُ الإسلامِ هو عبادةُ اللَّهِ وحدَه لا شريكَ له ، وهو الإخلاصُ له وحدَه دونَ ما سِوَاه ، والإحسانُ أن يكونَ على الوَجْهِ المشروعِ فى ذلك الوقتِ المأمورِ به ؛ ولهذا لا يَقْبَلُ اللَّهُ من أَحدٍ عَمَلًا بعدَ أنْ بَعَث محمدًا ﷺ ، إلَّا[(1)] على ما شَرَعَه له ، كما قال تعالى : ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف : ١٥٨] . وقال تعالى : ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام : ١٩] . وقال تعالى : ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ [هود : ١٧] . وقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « بُعِثْتُ إلى الأحمرِ والأسودِ »[(2)] . قيلَ : أرادَ العربَ والعَجَمَ . وقيل : الإنسَ والجنَّ . وقال ﷺ : « وَالَّذى نَفْسِى بيدِه لَوْ أَصْبَحَ فيكُمْ مُوسَى ،

(١) سقط من : م .

(٢) أخرجه مسلم (٥٢١) من حديث جابر بن عبد اللّه .

ثُمَّ اتَّبَعْتُمُوهُ وتَرَكْتُمُونِى لَضَلَلْتُمْ »[1] . والأحاديثُ فى هذا كثيرةٌ جدًّا .

والمقصودُ أَنَّ إِخْوَةَ العَلَّاتِ ، أَنْ يَكُونوا مِن أَبٍ واحدٍ وأُمَّهاتُهم شَتَّى ، مأخوذٌ[2] مِن شُرْبِ العَلَلِ بعدَ النَّهَلِ . [٣٠٨/١و] وأَمّا إِخْوَةُ الأَخْيَافِ ، فعَكْسُ هذا ؛ أَنْ تَكُونَ أُمُّهُم واحدةً مِن آباءٍ شَتَّى . وإِخْوَةُ الأَعْيَانِ ، فهم الأَشِقَّاءُ مِن أَبٍ واحدٍ وأُمٍّ واحدةٍ . واللَّهُ سبحانَه وتعالى أعلمُ .

وفى الحديثِ الآخرِ[3] « نحنُ مَعْشَرَ الأنبياءِ لا نُورَثُ ، ما تَرَكْنَا فهو صَدَقَةٌ » . وهذا مِن خصائصِ الأنبياءِ ؛ أَنَّهم لا يُورَثُون ، وما ذاك إِلَّا لأَنَّ الدُّنْيا أَحْقَرُ عندَهم مِن أَنْ تَكُونَ مُخَلَّفَةً عنهم ، ولأَنَّ تَوَكُّلَهم على اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، فى ذَرَارِيِّهم أَعظمُ[4] وأشدُّ ، وآكَدُ مِن أَنْ يَحْتَاجُوا معه إلى أَنْ يَتْرُكُوا لوَرَثَتِهم - مِن بعدِهم - مالًا يَسْتَأْثِرون به عن النّاسِ ، بل يكونُ جميعُ ما تَرَكُوه صدقةً لفقراءِ النَّاسِ ومَحَاوِيجِهم وذَوِى خَلَّتِهم[5] . وسَنَذْكُرُ جميعَ ما يَخْتَصُّ بالأنبياءِ ، عليهم السلامُ ، مع خصائصِ نبيِّنا محمدٍ ، صلى اللَّه عليهم وسلم أَجْمَعِين ، فى أَوَّلِ كتابِ النِّكاحِ ، مِن كتابِ « الأحكامِ الكبيرِ »[6] ، حيثُ ذكَرَه الأَئِمَّةُ مِن المُصَنِّفِين ؛ اقْتِدَاءً بالإمامِ أبى عبدِ اللَّهِ الشافعىِّ ، رحمةُ اللَّهِ عليه وعليهم أجمعين .

---

(١) تقدم تخريجه فى ١/ ٤٥٨.
(٢) فى الأصل : « فأخوة العلات » .
(٣) تقدم تخريجه فى ٢/ ٣٢٣، ٣٢٤.
(٤) سقط من : ح .
(٥) الخلة : الحاجة والفقر . المعجم الوسيط (خ ل ل) .
(٦) وهو مصنف كبير للإمام ابن كثير لم يكمله ، ووصل فيه إلى كتاب الحج . انظر : ذيل تذكرة الحفاظ ص ٣٦١.

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثَنا أبو[2] معاوِيَةَ، عن الأَعْمَشِ، عن زَيْدِ بنِ وَهْبٍ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ[3] عبدِ رَبِّ الكَعْبَةِ قال : انْتَهَيْتُ إلى عبدِ اللَّهِ بنِ عَمْرٍو وهو جالسٌ فى ظِلِّ الكعبةِ، فسَمِعْتُه يقولُ : بَيْنَا نحن مع رسولِ اللَّهِ ﷺ، فى سَفَرٍ، إذْ نزَل مَنْزِلًا، فمِنّا مَن يَضْرِبُ خِبَاءَه، ومنّا مَن هو فى جَشَرِه[4]، ومنّا مَن يَنْتَضِلُ[5]، إذْ نادَى مُنَادِيه : الصلاةُ جامعةٌ. قال : فاجْتَمَعْنا. قال : فقامَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، فخَطَبَنا، فقال : «إنَّه لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إلَّا دَلَّ أُمَّتَه على [6]ما يَعْلَمُه خيرًا[6] لهم، ويُحَذِّرُهم ما يَعْلَمُه شَرًّا لهم، وإن أُمَّتَكم هذه جُعِلَتْ عافِيَتُها[7] فى أَوَّلِها، وإنَّ آخِرَها سيُصِيبُهم بلاءٌ شديدٌ وأمورٌ تُنْكِرُونها[8]، تَجِيءُ فِتَنٌ يُرَقِّقُ[9] بعضُها لبعضٍ، تَجِيءُ الفتنةُ، فيقولُ المؤمنُ : هذه مُهلِكَتِي. ثم تَنْكَشِفُ، ثُم تَجِيءُ الفتنةُ، فيقولُ المؤمنُ : هذه. ثُم تَنْكَشِفُ، فمَن سَرَّه منكم أنْ يُزَحْزَحَ عن النَّارِ وأنْ يُدْخَلَ الجَنَّةَ، فلْتُدْرِكْه مَوْتَتُه وهو مؤمِنٌ باللَّهِ واليومِ الآخِرِ، ولْيأْتِ إلى النَّاسِ الذى يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إليه، ومَن بايَعَ[10]

---

(١) فى المسند ٢/ ١٦١. (إسناده صحيح).

(٢) فى م : «أن».

(٣) فى م : «أن».

(٤) الجشر : الدواب التى ترعى وتبيت فى مكانها.

(٥) فى الأصل : «يتصلل» من الصليل وهو المقارعة بالسيوف. وينتضل : من المناضلة، وهى المراماة بالسهام.

(٦ - ٦) فى النسخ : «خير ما يعلمه». والمثبت من المسند.

(٧) فى ص : «عاقبتها».

(٨) فى النسخ : «ينكرونها». والمثبت من المسند.

(٩) فى م : «يريق».

(١٠) فى الأصل : «تابع».

إمامًا فأعْطَاه صَفْقَةَ يَدِه وثَمَرَةَ قَلْبِه ، فلْيُطِعْه ما استطاع ، فإن جاءَ آخَرُ يُنَازِعُه ، فاضْرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ » . قال : فأَدْخَلْتُ رأْسِى مِن بينِ النّاسِ ، فقلتُ : أَنْشُدُكَ باللَّهِ آنْتَ سَمِعْتَ هذا مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ؟ قال : فأشارَ بيَدِه إلى أُذُنَيْه وقال : سَمِعَتْه أُذُنَاىَ ، ووَعَاهُ قَلْبِى . قال : فقلتُ : هذا ابنُ عَمِّك - [(1)] يَعْنِى معاويةَ [(1)] - يَأْمُرُنا بأَكْلِ أَمْوَالِنا بيْنَنَا بالباطلِ ، وأَنْ [١/٣٠٨ظ] نَقْتُلَ أَنْفُسَنَا ، وقد قال اللَّهُ تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ ﴾ [النساء: ٢٩] . قال : فجمَع يَدَيْه فوَضَعَهما على جَبْهَتِه ، ثُمَّ نَكَسَ هُنَيَّةً ، ثُمَّ رفَع رَأْسَه فقال : أَطِعْه فى طاعةِ اللَّهِ ، واعْصِه فى مَعْصِيَةِ اللَّهِ ، عَزَّ وجَلَّ » . ورواه أحمدُ أيضًا ، عن وَكِيعٍ ، عن الأَعْمَشِ به [(2)] ، وقال فيه : « أَيُّها النَّاسُ ، إنَّه لَمْ يَكُنْ نبىٌّ قَبْلِى إلَّا كان حَقًّا عليه أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَه على ما يَعْلَمُه خيرًا لهم ، ويُنْذِرَهم ما يَعْلَمُه شَرًّا لهم » . وذَكَرَ تَمَامَه بنحوِه . وهكذا رواه مسلمٌ وأبو داودَ والنَّسائىُّ وابنُ ماجه ، مِن طُرُقٍ عن الأَعْمَشِ به [(3)] . ورواه مسلمٌ أيضًا مِن حديثِ الشَّعْبِىِّ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ ربِّ الكعبةِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عَمْرٍو [(4)] ، عن النبىِّ ﷺ ، بنحوِه [(5)] [(*)] .

(١ - ١) كذا بالنسخ . وفى المسند : « معاوية يعنى » .

(٢) فى المسند ١/ ١٩١.

(٣) مسلم (١٨٤٤)، أبو داود (٤٢٤٨)، والنسائى (٤٢٠٢)، وابن ماجه (٣٩٥٦) .

(٤) فى الأصل، م: « عمر » .

(٥) مسلم (١٨٤٤) .

(*) إلى هنا تنتهى النسخة الثانية من الجزء الأول من نسخة أحمد الثالث ، والمشار إليها بـ « الأصل » .

ذِكْرُ أخبارِ العربِ (*)

قيل : إنَّ جميعَ العربِ يَنْتَسِبُون إلى إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ ، عليهما السلامُ والتَّحيةُ والإكرامُ . والصَّحيحُ المشهورُ ، أنَّ العربَ العارِبةَ قبلَ (١) إسماعيلَ ، وقد قَدَّمْنا(٢) أنَّ العربَ العارِبةَ(١) مِنهم ؛ عادٌ وثَمُودُ وطَسْمٌ وجَدِيسٌ وأُمَيْمٌ(٣) وجُرْهُمٌ والعماليقُ ، وأُمَمٌ آخَرونَ ، لا يعلمُهم إلَّا اللَّهُ ، (٤) وكُلُّ هؤلاءِ(٤) كانوا قبلَ الخليلِ ، عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ، وفي زمانِه أيضًا . فأمَّا العربُ المُسْتَعْرِبةُ ، وهم عربُ الحجازِ فمِن ذُرِّيَّةِ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ ، عليهما السَّلامُ ، وأمَّا عربُ اليمنِ ، وهم حِمْيَرُ ، فالمشهورُ أنَّهم مِن قَحْطَانَ ، واسمُه مُهَزِّمٌ(٥) . قاله ابنُ ماكولا(٦) . وذَكَروا أنَّهم كانوا أربعةَ إخوةٍ ؛ قحطانُ وقاحِطٌ ومِقْحَطٌ وفالِغٌ ، وقحطانُ بنُ هودٍ ، وقيل : هو هودٌ . وقيل : هودٌ أخوه . وقيل : مِن ذُرِّيتِه . وقيل : إنَّ قَحْطانَ مِن سُلالةِ إسماعيلَ ، عليه الصَّلاةُ والسَّلام . حكاه ابنُ إسحاقَ(٧) ،

(*) من هنا اعتمدت النسخة الأحمدية المشار لها بـ (ح) أصلا . ويشار إليها في الحواشي بـ « الأصل » .

(١ - ١) سقط من : ا ٩.

(٢) تقدم في ١/ ٢٨٣.

(٣) في ا ٩: « وكان أميم ملكا يقال : إنه أول من سقف البيوت بالخشب المنشور ، وكانت الفرس تسميه آدم الأصغر ، وبنوه قبيلة يقال لها : وبار . هلكوا بالرمل انثال عليهم فأهلكهم ، وطم مناهلهم فهلكوا ومنهم » .

(٤ - ٤) سقط من الأصل ، م ، ص .

(٥) في الأصل ، م ، ص: « مهزم » ، وفي ا ٩: « بهرم » . والمثبت من الإكمال لابن ماكولا ٧/ ٣٠٥.

(٦) الإكمال ٧/ ٣٠٥.

(٧) سيرة ابن هشام ١/ ٧، جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٧.

وغيرُه ، فقال بعضُهم : هو قحطانُ بنُ [(1] الهَمَيْسَعِ بنِ [1)] تَيْمَنَ بنِ قَيْذَرَ بنِ [(2] نَبْتِ ابنِ [2)] إسماعيلَ. وقيل غيرُ ذلك فى نَسَبِه إلى إسماعيلَ. واللَّهُ أعلمُ.

وقد ترجَمَ البخاريُّ[3] فى « صحيحِه » على ذلك ، فقال : بابُ نِسْبَةِ اليمنِ إلى إسماعيلَ، عليه السلامُ؛ حدَّثنا مُسَدَّدٌ ، حدَّثنا يَحْيَى ، عن يَزِيدَ بنِ أبى عُبَيْدٍ ، حدَّثنا سَلَمَةُ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، قال : خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ ، على قومٍ [(4] مِن أَسْلَمَ [4)] يَتَنَاضلون بالسُّوقِ[5] ، فقال : « ارْمُوا بَنِى إسماعِيلَ ، وَأنا مع بنى فُلانٍ » . لأحدِ الفريقَيْنِ ، فأَمْسَكوا بأَيْديهم . فقال : « ما لكمْ » . قالوا : وكَيْف نَرْمِى ، وأنتَ مع بنى فلانٍ ؟! . فقال : « ارْمُوا وأنا معكم كُلُّكُمْ » . انفرد به البخاريُّ . وفى بعضِ أَلْفاظِه : « ارْمُوا بنى إسماعيلَ ، فإنَّ أباكُم كان رامِيًا ، ارْمُوا وأنا مع ابنِ الأَدْرَعِ » . فأَمْسَكَ القومُ ، فقال : « ارْمُوا وأنا معكم كلِّكم »[6] . قال البخاريُّ : وأسلمُ بنُ أَفْصَى بنِ حارثَةَ بنِ عَمْرِو بنِ عامرٍ مِن خُزَاعَةَ ، يعنى ؛ وخُزاعةُ فِرْقَةٌ مِمن كان تَمَزَّق مِن قبائلِ سبأ ، حينَ أرسَلَ اللَّهُ عليهم سَيْلَ العَرِمِ ، كما سيأتى بيانُه ، وكانت الأَوْسُ والخَزْرَجُ مِنهم . وقد قال لهم ، عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ . [٢١٣/١و] : « ارْمُوا بنى إسماعيلَ » . فدَلَّ على أنَّهم مِن سُلالَتِه ، وَتَأَوَّله آخرون على أنَّ المرادَ بذلك جِنْسُ العربِ ، لكنَّه تأويلٌ

(١ - ١) سقط من : ٩١ ، م .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) البخارى (٣٥٠٧) .

(٤ - ٤) سقط من: ا ٩.

(٥) فى م : « بالسيوف » ، وسقط من : ص .

(٦) الإحسان (٤٦٩٥) . قال الشيخ شعيب : إسناده حسن.

بعيدٌ؛ إذ هو خلافُ الظَّاهرِ بلا دليلٍ، لكنَّ الجمهورَ على أنَّ العربَ القحطانيَّةَ مِن عربِ اليمنِ وغيرِهم، ليسوا [(١)] مِن سُلالةِ إسماعيلَ، وعندَهم أنَّ جميعَ العربِ يَنْقَسِمون إلى قِسْمَين؛ قحطانيَّةٍ، وعَدْنانيَّةٍ، فالقحطانيَّةُ شَعْبَانِ؛ سَبأ، وحَضْرَمَوْتُ، والعَدْنانيَّةُ شَعْبَانِ أيضًا؛ ربيعةُ ومُضَرُ ابنا نِزارِ بنِ مَعَدِّ بنِ عَدْنانَ. والشَّعبُ الخامسُ؛ وهم قُضَاعَةُ، مُخْتَلَفٌ فيهم، فقيل: إنَّهم عَدْنانيُّون. قال ابنُ عبدِ البَرِّ [(٢)]: وعليه الأكثرون، ويُرْوَى هذا عن ابنِ عَبَّاسٍ وابنِ عُمَرَ وجُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ، وهو اختيارُ الزُّبيرِ بنِ بَكَّارٍ، وعَمِّه مُصْعبٍ الزُّبَيْرِيِّ، وابنِ هشامٍ. وقد وَرَد في حديثٍ: «قُضَاعةُ بنُ مَعَدٍّ». ولكنْ لا يَصِحُّ. قاله ابنُ عبدِ البَرِّ، وغيرُه [(٣)]. ويُقالُ: إنَّهم لم [(٤)] يزالوا في جاهِليَّتِهم وصَدْرٍ مِن الإسلامِ يَنْتَسِبون إلى عَدْنانَ، فلمَّا كان في زمنِ خالدِ بنِ [(٥] يزيدَ ابنِ [٥)] معاويةَ، وكانوا أخوالَه انتسبوا إلى قَحْطانَ، فقال في ذلك أعْشَى بنُ ثعلبةَ في قصيدةٍ له:

أبلِغْ قُضاعةَ في القِرطاسِ أنَّهمُ ... لولا خلائفُ آلِ [(٦)] اللَّهِ ما عُتِقوا

قالت قضاعةُ إنا من ذَوِي يمنٍ ... واللَّهُ يَعلمُ ما بَرّوا وما [(٧)] صَدَقوا

---

(١) سقط من: ا ٩.

(٢) الإنباه على قبائل الرواه ص ٥٩، وفيه عمر بدلا من ابن عمر.

(٣) الإنباه ص ٥٩.

(٤) في م: «لن».

(٥ - ٥) سقط من: الأصل، ص.

(٦) سقط من: الأصل، ص. وفي الإنباه ص ٦٢: «دين».

(٧) في الأصل، ص: «لا».

قدِ ادّعَوا والدّا ما نالَ[1] أُمَّهُمُ	قَدْ يَعْلمونَ ولكنْ ذلكَ الفَرَقُ

وقد ذكَر أبو عَمْرٍو السُّهَيْلِيُّ أيضًا مِن شِعْرِ العربِ ما فيه إبداعٌ، فى تفسيرِ قُضَاعةَ فى انتسابِهم إلى اليمنِ. واللَّهُ أعلمُ.

والقولُ الثانى: إنَّهم مِن قَحْطانَ. وهو قولُ ابنِ إسحاقَ والكَلْبيِّ وطائفةٍ مِن أهلِ النَّسَبِ[2]. قال ابنُ إسحاقَ[3]: وهو قُضاعةُ بنُ مالكِ بنِ حِميرَ بنِ سَبَأَ ابنِ يَشْجُبَ بنِ يَعْرُبَ بنِ قَحْطانَ. [4]وقد قال بعضُ شعرائِهم، وهو عمرُو بنُ مُرَّةَ - صحابىٌّ له حديثانِ -:

يا أيُّها الداعى ادْعُنا وأَبْشِرِ	وكُنْ قُضاعيًّا ولا تَنَزَّرِ

نحنُ بنو الشيخِ الهِجانِ الأَزْهَرِ	قُضَاعَةَ بنِ مالكِ بنِ حِمْيَرِ

النسَبُ المعروفُ غيرُ المنكَرِ	[5]فى الحجَرِ المنقوشِ تحتَ المِنْبَرِ[5]

قال بعضُ أهلِ النَّسَبِ[6]: هو قُضاعةُ بنُ مالكِ بنِ عَمْرٍو[7] بنِ مُرَّةَ بنِ زَيْدِ ابنِ حِمْيَرَ. وقال[4] ابنُ لهيعةَ، عن معروفِ بنِ سُوَيْدٍ، عن أبى عُشَّانةَ حَيِّ بنِ يُؤْمِنَ[8]، عن عُقْبَةَ بنِ عامرٍ، قال: قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، أمَا نحن مِن مَعَدٍّ؟

---

(1) فى الإنباه ص ٦٢: «مس».
(2) انظر الإنباه ٦١. وسيرة ابن هشام ١/ ١٠.
(3) سيرة ابن هشام ١/ ١٠.
(٤ - ٤) سقط من: ا ٩.
(٥ - ٥) سقط من: الأصل، ص.
(6) الإنباه ص ٦١.
(7) فى م: «عمر».
(8) فى الأصل، ص، م: «عشابة محمد بن موسى». وفى ا ٩: «عشانة حجى بن يومن». وانظر تهذيب الكمال ٧/ ٤٨٥.

قال : « لا » . قلتُ : فممَّن نحن؟ قال : « أنتم قُضاعةُ بنُ مالكِ بنِ حميرَ »[1] .

قال أبو عُمَرَ ابنُ عبدِ البَرِّ[2] : ولا يَخْتَلِفونَ أنَّ جُهَيْنَةَ بنَ زيدِ بنِ سَوْدِ[3] بنِ أسْلَمَ بنِ عمرانَ بنِ إلحافِ بنِ قُضاعةَ ، قبيلةُ عُقْبةَ[4] بنِ عامرٍ الجُهَنِيِّ . فعلى هذا قُضاعةُ فى اليمنِ فى حِمْيَرَ بنِ سَبَأ . وقد جَمَع بعضُهم بينَ هذين القولَيْن بما ذَكَره الزُّبَيْرُ بنُ بَكَّارٍ وغيرُه[5] ؛ مِن أنَّ قُضاعةَ امرأةٌ مِن جُرْهُمٍ تزوَّجَها مالكُ ابنُ حِمْيَرَ ، فوَلَدتْ له قَضاعةُ ، ثُم خلَف عليها مَعَدُّ بنُ عَدْنانَ ، وابنُها صغيرٌ . وزعَم بعضُهم أنَّه كان حَمْلًا فنُسِبَ إلى زَوْجِ أُمِّه ، كما كانت عادةُ كثيرٍ منهم ؛ يَنْسِبون الرجلَ إلى زوجِ أُمِّه . واللَّهُ أعلمُ .

وقال محمدُ بنُ سلامٍ البصريُّ النَّسَّابةُ[6] : العربُ ثلاثةُ جراثيمَ ؛ العَدْنانيَّةُ ، والقَحْطانيَّةُ ، وقُضاعةُ . قيل له : فأَيُّهما أكثرُ ، العدنانيَّةُ أو القَحْطانيَّةُ؟ فقال : ما شاءت قُضاعةُ ؛ إن تيامَنَت ، فالقحطانيَّةُ أكثرُ ، وإنْ تَمَعْدَدَتْ[7] ، فالعدنانيَّةُ أكثرُ . وهذا يدلُّ على أنَّهم يتلوَّمونَ[8] فى نسبِهم ،

---

(١) أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير ١٧/ ٣٠٤. قال الهيثمى فى المجمع ١/ ١٩٥: فيه ابن لهيعة وهو ضعيف ، وشيخه معروف بن سويد ، لم أر من ترجمه .

قلت : ومعروف بن سويد ذكره الحافظ فى التقريب ٢/٢٦٤ وقال : مقبول .

(٢) الإنباه ص ٦٠.

(٣) فى الأصل ، م ، ص : « أسود » .

وانظر الإنباه ص ٦٠، والروض الأنف ١/ ١١٨.

(٤) فى الأصل : « عتبة » .

(٥) انظر الإنباه ص ٦١، والروض الأنف ١/ ١٢١.

(٦) انظر الإنباه ص ٦٣.

(٧) فى م : « تعددت » .

(٨) فى ا ٩: « يتلونون » .

فإن صَحَّ حديثُ ابنِ لهيعةَ المقدَّمُ، فهو دليلٌ على أنَّهم مِن القَحْطانيَّةِ. واللَّهُ أعلمُ. وقد قال اللَّهُ تعالى[(1)]: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣]. قال علماءُ النَّسَبِ[(2)]: يقالُ: شعوبٌ، ثم قبائلُ، ثم عمائرُ، ثم بطونٌ، ثم أفخاذٌ، ثم فصائلُ، ثم عشائرُ. والعشيرةُ أقربُ النَّاسِ إلى الرَّجُلِ، وليس بعدَها شيءٌ. ولْنبدأْ أوَّلًا بذِكْرِ القَحْطانيَّةِ، ثمَّ نَذْكُرُ بعدَهم عربَ الحجازِ، وهم العدنانيَّةُ، وما كان من أمرِ الجاهليةِ؛ ليكونَ ذلك متَّصِلًا بسيرةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، إن شاء اللَّهُ تعالى، وبه الثِّقةُ.

وقد قال البخاريُّ[(3)]: بابُ ذِكْرِ قَحْطانَ، حَدَّثنا عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ اللَّهِ، حَدَّثنا سليمانُ بنُ بلالٍ، عن ثَوْرِ بنِ زيدٍ، عن أبي الغَيْثِ[(4)]، عن أبي هُرَيْرَةَ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «لا تقومُ السَّاعةُ حتى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِن قَحْطانَ يسوقُ النَّاسَ بعصاه». وكذا رواه مُسْلِمٌ، عن قُتَيْبَةَ، عن الدَّراوَرْدِيِّ، عن ثَوْرِ بنِ زيدٍ به[(5)]. قال السُّهَيْليُّ[(6)]: وقحطانُ أوَّلُ مَن قِيلَ له: أَبَيْتَ اللَّعْنَ[(7)]، وأوَّلُ مَن [١/٢١٣ظ] قيل له: أَنْعِمْ صباحًا.

---

(١) التفسير ٧/ ٣٦٤.

(٢) الإنباه ص ٤٥.

(٣) البخاري (٣٥١٧).

(٤) في م: «المغيث».

(٥) مسلم (٢٩١٠).

(٦) الروض الأنف ١/ ١٠٠.

(٧) أبيت اللعن أي، أبيت أن تفعل شيئا تلعن به.

وقال الإمامُ أحمدُ[(١)] : حَدَّثنا أبو المُغِيرةِ ، عن حَرِيزٍ[(٢)] ، حَدَّثنى راشدُ بنُ سعدٍ المَقْرائىُّ ، عن أبى حَىٍّ ، عن ذِى مِخْبَرٍ[(٣)] ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، قال : « كان هذا الأمرُ فى حِمْيرَ ، فنزَعه اللَّهُ منهم ، فجعله فى قُرَيشٍ (و س ى ع و د إ ل ى هـ م) » قال عبدُ اللَّهِ : [(٤)]وكذا كان[(٤)] فى كتابِ أبى مُقَطَّعٌ[(٥)] ، وحيث حدَّثنا به تكَلَّم به على الاستواءِ . يعنى ، « وسيعود إليهم » .

---

(١) فى المسند ٤/ ٩١. قال الهيثمى فى المجمع ٥/ ١٩٣: رواه أحمد والطبرانى باختصار الحروف ، ورجالهم ثقات .

(٢) فى النسخ : « جرير » . وانظر تهذيب الكمال ٥/ ٥٦٨.

(٣) فى الأصل ، ص : « فجر » . وفى المسند : « مخمر » . وانظر تهذيب الكمال ٨/ ٥٣١.

(٤ - ٤) فى الأصل ، م ، ص : « كان هذا » . وفى ا ٩ : « هكذا كان » . والمثبت من المسند ٤/ ٩١.

(٥) سقط من النسخ . والمثبت من المسند .

قِصَّةُ سَبأ

قال اللَّهُ تعالى[1] : ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [سبأ: ١٥- ١٩].

قال علماءُ النَّسَبِ ؛ منهم محمدُ بنُ إسحاقَ[2] : اسْمُ سَبَأ عبدُ شَمْسِ بنُ يَشْجُبَ بنِ يَعْرُبَ بنِ قَحْطانَ ، قالوا : وكان أَوَّلَ مَن سَبَى فى[3] العربِ ، فَسُمِّىَ سَبَأً لذلك . وكان يقالُ له : الرَّائِشُ . لأنَّه كان يُعطِى النَّاسَ الأموالَ مِن متاعِه . قال السُّهَيْلِىُّ[4] : ويقالُ : إنَّه أوَّلُ مَن تَتَوَّجَ . وذكَر بعضُهم أنَّه كان مُسْلِمًا ، وكان له شِعْرٌ بَشَّرَ فيه بوجودِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فمِن ذلك قولُه :

سيَمْلِكُ بعدَنا مُلْكًا عظيمًا ... نبىٌّ لا يُرخِّصُ فى الحَرامِ

---

(١) التفسير ٦/٤٩١ - ٥٠٠.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ١٠.

(٣) فى ا ٩، م، ص: «من».

(٤) الروض الأنف ١/١٠٣.

وَيَمْلِكُ بعدَه منهم مُلُوكٌ   يَدينون العبادَ بغيرِ ذامِ

ويَمْلِكُ بعدَهم مِنَّا مُلُوكٌ   يَصيرُ المُلكُ فينا باقْتسامِ

ويَمْلِكُ بعدَ قحطانٍ نبيٌّ   تقيٌّ[1] خَبْتَةٌ[2] خيرُ الأنامِ

يُسَمَّى أحمدًا يا لَيْتَ أنِّى   أُعَمَّرُ بعدَ مبعثِه بعامِ

فأعضُدَه وأحبُوَه بنَصْرى   بكُلِّ مُدَجَّجٍ وبكلِّ رامِ

متى يَظهرْ فكونوا نَاصِريه   ومَنْ يلقاهُ يُبْلِغْه سَلامى

حكاه ابنُ دِحيةَ فى كتابِه «التَّنويرُ فى مَوْلِدِ البَشيرِ النَّذِيرِ»[3] .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثنا أبو عبدِ الرحمنِ، حدَّثنا ابنُ لَهِيعَةَ، [5]عن عبدِ اللَّهِ بنِ هُبَيْرَةَ السَّبائىِّ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ وَعْلَةَ[5]، سَمِعْتُ عبدَ اللَّهِ بنَ عبَّاسٍ يقولُ: إنَّ رَجُلًا سأَل النبىَّ ﷺ، عن سَبأ، ما هو؟ أَرَجُلٌ أم امْرَأَةٌ أَم أَرْضٌ؟ قال: «بل هو رجلٌ، وَلَدَ عشَرَةً؛ فَسَكَن اليمنَ منهم سِتَّةٌ، وبالشَّامِ منهم أربعةٌ، فأمَّا اليمانيُّونَ؛ فمَذحِجٌ وكِنْدَةُ والأَزْدُ والأَشْعَرِيُّون وأَنْمارٌ وحِمْيرُ، وأمَّا الشَّاميَّةُ؛ فلَخْمٌ وجُذامٌ وعامِلةُ وغَسَّانُ». وقد ذكرْنا فى «التفسيرِ» أنَّ

---

(١) فى الأصل: «نقى».

(٢) فى النسخ: «جبينه». ولا معنى لها هنا، ولا يستقيم عليها وزن البيت. والمثبت من التفسير ٦/ ٤٩٣. والخبتة: التواضع.

(٣) وقد ذكر هذه الأبيات المصنف فى التفسير ٦/ ٤٩٣.

(٤) المسند ١/ ٣١٦. (إسناده صحيح).

(٥ - ٥) فى النسخ: «عن عبد اللَّه بن دعلة». والمثبت من المسند على الصواب. انظر أطراف ابن حجر ٣/ ١٥٤.

فَرْوَةَ بنَ مُسَيْكٍ الغُطَيْفِيَّ هو السَّائِلُ عن ذلك، كما اسْتَقْصَيْنا طُرُقَ هذا الحديثِ وألفاظَهن هناك[1]. ولِلّهِ الحمدُ.

والمقصودُ أنَّ سَبَأً يَجْمَعُ هذه القبائلَ كُلَّها، وقد كان فيهم التَّبابِعةُ بأرضِ اليمنِ، واحدُهم تُبَّعٌ، وكان لِمُلوكِهم تيجانٌ يَلْبَسُونَها وقتَ الحُكْمِ، كما كانت الأكاسِرَةُ مُلوكُ الفُرْسِ يَفعَلُون ذلك، وكانت العربُ تُسَمِّى كُلَّ مَن مَلَك اليمنَ مع الشِّحْرِ[2] وحَضْرَمَوْتَ تُبَّعًا، كما يُسَمُّون مَن مَلَك الشَّامَ مع الجزيرةِ قَيْصَرَ، ومَن مَلَك الفُرْسَ كِسْرَى، ومَن مَلَك مِصْرَ فِرْعَوْنَ، ومَن مَلَك الحَبَشَةَ النَّجاشِيَّ، ومَنْ مَلَك الهِنْدَ بَطْلَيْمُوسَ. وقد كان مِن جُمْلَةِ مُلُوكِ حِمْيَرَ بأرضِ اليَمَنِ بِلْقِيسُ، وقَدْ قَدَّمنا[3] قِصَّتَها مع سُلَيْمانَ، عليه السَّلامُ، وقد كانوا فى غِبْطَةٍ عظيمةٍ، وأَرْزاقٍ دارَّةٍ[4] وثمارٍ وزُروعٍ كثيرةٍ، وكانوا مع ذلك على الاستقامةِ والسَّدادِ وطريقِ الرَّشادِ، فلمَّا بدَّلوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا، أحَلُّوا قومَهم دارَ البَوارِ.

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[5]، عن وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ: أرْسَل اللَّهُ إليهم ثلاثةَ عشَرَ نَبِيًّا. وزَعَم السُّدِّىُّ أنَّه أَرْسَلَ إليهم اثْنَىْ عشَرَ ألفَ نبىٍّ[6]. فاللَّهُ أعلمُ.

---

(١) التفسير ٦/ ٤٩٢، ٤٩٣. وفيه استقصاء الطرق كما ذكر.

(٢) الشحر - بكسر أوله وسكون ثانيه -: هو صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن، قال الأصمعى: هو بين عَدَن وعُمَان. معجم البلدان ٣/ ٢٦٣.

(٣) تقدمت فى ٢/ ٣٢٨، وما بعدها.

(٤) يقال: رزق دار. أى دائم لا ينقطع.

(٥) تفسير الطبرى ٢٢/ ٧٨.

(٦) التفسير ٦/ ٤٩٥. الدر المنثور ٥/ ١٠٥.

والمقصودُ أنَّهم لمَّا عَدَلوا عن الهُدَى إلى الضَّلالِ، وسجَدوا للشَّمْسِ مِن دونِ اللَّهِ، وكان ذلك فى زمانِ بِلْقِيسَ وقبلَها أيضًا، واستمر ذلك فيهم حتى أَرْسَل اللَّهُ عليهم سَيْلَ العَرِمِ، كما قال تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ۝١٦ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٦، ١٧]. ذكَر غيرُ واحدٍ مِن علماءِ السَّلَفِ والخَلَفِ مِن المفسِّرين وغيرِهم[(١)] أنَّ سَدَّ مَأْرِبَ كان صنْعَته أنَّ المياهَ تجْرِى مِن بين جَبَلَيْنِ، فعَمَدوا فى قديمِ الزَّمانِ فَسَدُّوا ما بينَهما ببناءٍ مُحْكَم جدًّا، حتَّى ارْتَفَع الماءُ فحكم على أعالِى الجَبَلَيْنِ، وغرَسوا فيهما البَساتِينَ والأَشجارَ المُثْمِرَةَ الأَنيقةَ، وزرَعوا الزُّروعَ الكثيرةَ، ويقالُ: كان أوَّلَ مَن بَناه سَبَأُ بنُ يَعْرُبَ، وسَلَّط إليه سبعينَ وادِيًا يَفِدُ إليه، وجعَل له ثلاثين فُرْضَةً يخرجُ منها الماءُ، ومات [١/٢١٤و] ولم يَكْمُلْ بناؤُه، فَكَمَّلَتْه حِمْيَرُ بعدَه، وكان اتِّساعُه فَرْسَخًا فى فَرْسَخٍ، وكانوا فى غِبْطَةٍ عظيمةٍ وعَيْشٍ رَغِيدٍ، وأيامٍ طيبةٍ، حتى ذكَر قتادةُ وغيرُه أنَّ المرأةَ كانت تَمُرُّ بالمِكْتَلِ على رَأْسِها فيَمْتَلِئُ مِن الثِّمارِ مِمَّا يتساقطُ فيه مِن نُضْجِه وكَثْرتِه، وذكَروا أنَّه لم يَكُنْ فى بلادِهم شىءٌ مِن البَراغِيثِ، ولا الدَّوابِّ المُؤْذِيَةِ لصحَّةِ هوائِهم وطِيبِ فِنائِهم[(٢)]. كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: ١٥]. وكما قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ

---

(١) انظر تفسير الطبرى ٢٢/ ٧٩، ٨٠. والبغوى ٥/ ٢٨٧. والقرطبى ١٤/ ٢٨٤.
(٢) تفسير الطبرى ٢٢/ ٧٧.

وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧]. فلمَّا عبَدوا غيرَ اللَّهِ، وبطَروا نِعْمَتَه، وسألوا، بَعْدَ تقارُبِ ما بينَ قُراهم، وطيبِ ما بينَها مِن البَساتِينِ، وأَمْنِ الطُّرُقاتِ، سألوا أن يُباعَدَ بينَ أَسْفارِهم، وأن يكونَ سَفَرُهم فى مشاقٍّ وتعبٍ، وطلَبوا أن يُبَدَّلوا بالخيرِ شرًّا، كما سأل بنو إسرائيلَ بَدَلَ المَنِّ والسَّلْوَى البُقُولَ والقِثَّاءَ والفُومَ[1] والعَدْسَ والبَصَلَ، فسُلِبوا تلك النعمةَ العظيمةَ والحسَنةَ العميمةَ بتخريبِ البلادِ والشَّتاتِ على وجوهِ العبادِ، كما قال تعالى: ﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ ﴾ [سبأ: ١٦]. قال غيرُ واحدٍ[2]: أرسلَ اللَّهُ على أصْلِ السَّدِّ الفارَ، وهو الجُرَذُ[3]. ويقالُ: الخُلْدُ[4]. فلمَّا فَطَنوا لذلك أَرْصَدُوا عندَها السَّنانيرَ، فلم تُغْنِ شيئًا إذ قد حُمَّ[5] القَدَرُ ولم يَنْفَعِ الحذَرُ، كَلَّا لا وزَرَ، فلمَّا تحكَّم فى أصلِه الفسادُ سقَطَ وانهارَ، فسلَك الماءُ القَرارَ، فقُطِّعت تلك الجداولُ والأنهارُ، وانْقَطَعت تلك الثمارُ، وبادَت تلك الزُّروعُ والأشجارُ، وتبَدَّلوا بعدَها برديءِ الأَشجارِ والأَثْمارِ، كما قال العزيزُ الجبَّارُ: ﴿ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ ﴾ [سبأ: ١٦]. قال ابنُ عبَّاسٍ، ومجاهدٌ، وغيرُ واحدٍ: هو الأَرَاكُ وثَمَرُه البَرِيرُ[6]، وأَثْلٌ وهو الطَّرْفاءُ[7].

---

(١) الفوم: الثوم والحنطة والحمص والخبز وسائر الحبوب التى تخبز، وكل عقدة من بصلة أو ثومة أو لقمة عظيمة.

(٢) تفسير الطبرى ٢٢/ ٨٠. والبغوى ٥/ ٢٨٧.

(٣) فى ا ٩، ص: «الجراد».

(٤) الخلد: الفأرة العمياء.

(٥) حم الأمر بالضم: قضى.

(٦) البرير: الأول من ثمر الأراك.

(٧) الطرفاء: شجر، وهى أربعة أصناف منها الأثل. والأثر فى تفسير الطبرى ٢٢/ ٨١، ٨٢.

وقيل: يُشْبِهُه. وهو حَطَبٌ لا ثَمَرَ له ﴿ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴾ [سبأ: ١٦]. وذلك لأنَّه لمَّا كان يُثْمِرُ النَّبْقُ كان قليلًا مع أنَّه ذو شوكٍ كثيرٍ، وثمرُه بالنسبةِ إليه كما يقالُ فى المَثَلِ: لحمُ جَمَلٍ غَثٌّ على رَأْسِ جبَلٍ وَعْرٍ، لا سَهْلٍ فَيُرْتَقَى، ولا سَمينٍ فَيُنْتَقَى[1]، ولهذا قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾ [سبأ: ١٧]. أى؛ إنَّما نعاقبُ هذه العقوبةَ الشديدةَ مَن كفَرَ بنا وكَذَّب رُسُلَنا وخالفَ أَمْرَنا، وانْتَهَكَ محارِمَنَا. وقال تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾ [سبأ: ١٩]. وذلك أنَّهم لمَّا هَلَكَتْ أموالُهم وخُرِّبَتْ بلادُهم احتاجوا أن يَرْتَحِلُوا منها ويَنْتَقِلُوا عنها فتَفَرَّقُوا فى غَوْرِ البلادِ ونَجْدِها؛ أيدىَ سَبأ، شَذَرَ مَذَرَ. فنزلت طوائفُ منهم الحجازَ وهم[2] خزاعةُ، نَزَلُوا ظاهرَ مَكَّةَ، وكان مِن أَمْرِهم ما سنذكُرُه، ومنهم المدينةَ النَبَوِيَّةَ[3] اليومَ، فكانوا أوَّلَ مَن سَكنَها، ثم نَزَلَت عندَهم ثلاثُ قبائلَ مِن اليهودِ؛ بنو قَيْنُقاعَ، وبنو قُرَيْظَةَ، وبنو النَّضِيرِ، فحالفوا الأَوْسَ والخَزْرَجَ، وأقاموا عندَهم، وكان مِن أَمْرِهم ما سنذكُرُه، ونَزَلَت طائفةٌ أخرى منهم الشَّامَ، وهم الذين تَنَصَّرُوا فيما بعدُ، وهم؛ غسَّانُ وعامِلَةُ وبهراءُ ولَخْمٌ وجُذامٌ[4] وتنوخُ وتَغْلِبُ وغيرُهم، وسنذكُرُهم عندَ ذِكْرِ فُتُوحِ الشَّامِ فى زَمَنِ الشَّيْخَيْنِ، رضى اللَّهُ عنهما.

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[5]: حدَّثنى أبو عُبَيْدَةَ قال: قال الأَعْشَى بنُ قيسٍ

---

(١) فى الأصل، ص: «فينتقل».

(٢) فى م: «ومنهم».

(٣) فى الأصل: «المنورة».

(٤) سقط من: ص.

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ١٤. والتفسير ٦/ ٤٩٩.

ابنِ ثعلبةَ ، وهو ميمونُ بنُ قيسٍ[1] :

وفـى ذاكَ لـلـمـؤْتَـسِـى أُسْـوةٌ ... ومأرِبُ[2] عفَّى[3] عليها العَرِمْ

رُخـامٌ بَـنَـتْـه لـهـم حِـمْـيـرُ ... إذا جـاءَ مَـوَّارُه[4] لم يَـرِمْ

فـأَرْوَى الـزُّروعَ[5] وأعـنـابَـهـا ... عـلـى سَـعَـةٍ ماؤُهم إذ قُسِمْ

فـصـاروا أيـادِىَ لا يَـقْـدِرو ... نَ منه[6] على شُربِ طفلٍ[7] فُطِمْ

وقد ذَكَر محمدُ بنُ إسحاقَ[8] فى كتابِ « السِّيرَةِ » أَنَّ أوَّلَ مَنْ خَرَج مِن اليمنِ قبلَ سيلِ العَرِمِ عمرُو بنُ عامرٍ اللَّخْمِىُّ . ولَخْمٌ هو ابنُ عَدِىِّ بنِ[9] الحارثِ ابنِ مرَّةَ بنِ أُدَدَ[10] بنِ زيدِ بنِ هَمَيْسَعَ[11] بنِ عَمْرِو بنِ عَرِيبِ بنِ يَشْجُبَ بنِ زيدِ بنِ كهلانَ بنِ سَبَأَ . ويقالُ : لَخْمُ بنُ عَدِىِّ بنِ عَمْرِو بنِ سبأ . قاله ابنُ هشامٍ[12] . قال ابنُ إسحاقَ[13] : وكان سببُ خروجِه مِن اليمنِ ، فيما حدَّثنى أبو زيدٍ الأنصارىُّ ، أنَّه رأى جُرَذًا يَحْفِرُ فى سَدِّ مَأْرِبٍ ؛ الذى كان يحبِسُ

---

(١) ديوان الأعشى الكبير ص ٤٣ .

(٢) فى م : « مأرم » .

(٣) طمسها وأذهب معالمها .

(٤) الموار : الشديد المور ، يقال : مار الشىء يمور مورا ، إذا جعل يذهب ويجىء ويتردد .

(٥) فى م : « الزرع » .

(٦) سقط من : م .

(٧) بعده فى م : « إذا ما » .

(٨) سيرة ابن هشام ١/ ١٣.

(٩) سقط من : الأصل .

(١٠) فى النسخ : « أزد » . والمثبت من سيرة ابن هشام . وانظر الفتح ٦/ ٥٣٨.

(١١) فى النسخ : « مهع » . والمثبت من سيرة ابن هشام . وانظر الفتح ٦/ ٥٣٨.

(١٢) سيرة ابن هشام ١/ ١٢.

(١٣) سيرة ابن هشام١/ ١٣.

عليهم[1] الماءَ، فيَصْرِفونه حيثُ شاءُوا مِن أرضِهم، فعَلِمَ أنَّه لا بقاءَ للسَّدِّ على ذلك، فاعْتَزَم على النُّقلةِ عن اليمنِ فكادَ قومَه، فأَمَرَ أَصْغرَ وَلَدِه إذا أَغْلَظَ له[2] ولَطَمَه، أن يقومَ إليه فيَلْطِمَه، ففعلَ ابنُه ما أمَرَه به، فقال عمرٌو: لا أُقِيمُ ببلدٍ لَطَم وَجْهى فيه أصغرُ وَلَدِى. وعَرَضَ أموالَه، فقال أشرافٌ مِن أشرافِ اليمنِ: اغْتَنِمُوا غَضْبَةَ عَمْرٍو. فاشْتَرَوْا منه أموالَه، وانتقَل فى ولدِه وولَدِ وَلَدِه، وقالتِ الأَزْدُ: لا نتخلَّفُ عن عَمْرِو بنِ عامرٍ. فباعوا أموالَهم وخَرَجُوا معه فساروا حتى نَزَلُوا بلادَ عَكٍّ مجتازين [١/٢١٤ظ] [3]يرتادون البُلْدانَ[3]، فحاربَتْهُم عَكٌّ، فكانت حَرْبُهم سِجَالًا، ففى ذلك قال عباسُ بنُ مِرْدَاسٍ:

وعكُّ بنُ عدنانَ الذين تلعَّبوا[4] بغسّانَ حتى طُرِّدوا كلَّ مَطْرَدِ

قال: فارْتَحَلُوا عنهم فتَفَرَّقوا فى البلادِ، فنزلَ آلُ جَفْنَةَ بنِ عَمْرِو بنِ عامرٍ الشَّامَ، ونزل الأَوْسُ والخَزْرَجُ يَثْرِبَ، ونزلتْ خُزاعةُ مَرًّا، ونزلَتْ أَزْدُ السَّراةِ السَّراةَ، ونزلت أَزْدُ عُمانَ عُمانَ، ثُم أرسلَ اللَّهُ تعالى على السَّدِّ السَّيْلَ، فهَدَمَه، وفى ذلك أنْزَلَ اللَّهُ هذه الآياتِ، وقد رُوِى عن السُّدِّىِّ[5] قريبٌ مِن هذا، وعن محمدِ بنِ إسحاقَ[6] فى روايةٍ[7] أنَّ عَمْرَو بنَ عامرٍ كان كاهِنًا.

---

(١) فى الأصل، ص: «عنهم».

(٢) فى م: «عليه».

(٣ - ٣) سقط من: الأصل، ص.

(٤) فى سيرة ابن هشام ١/ ٩: «تلقبوا».

(٥) الدر المنثور ٥/ ٢٣١، ٢٣٢.

(٦) تفسير الطبرى ٢٢/ ٨٦. وفيه: عمران بن عامر بدلا من عمرو بن عامر.

(٧) فى م: «روايته».

وقال غيرُه[١] : كانتِ امرأتُه طريفةُ بنتُ الخَيْرِ الحِمْيَرِيَّةُ كاهنةً ، فأُخْبِرَتْ بقُرْبِ هَلَاكِ بلادِهم ، وكأنَّهم رَأَوْا شاهِدَ ذلك فى الفَأْرِ الذى سُلِّطَ على سَدِّهِم ، ففعلوا ما فعلوا . واللَّهُ أعلمُ . [٢]وقد ذكرْتُ قِصَّتَه مُطَوَّلةً عن عِكْرِمَةَ فيما رواه ابنُ أبى حاتمٍ فى « التَّفسيرِ »[٢] .

(١) تفسير الطبرى ٢٢/٨٦.

(٢ - ٢) سقط من ص. والقصة فى الدر المنثور ٥/ ٢٣٢. والتفسير ٦/٤٩٧، ٤٩٨.

فَصْــلٌ

وليس جميعُ سَبَأ خَرجوا مِن اليمنِ لَمَّا أُصِيبوا بسيلِ العَرِمِ ، بل أقام أكثرُهم بها ، وذهبَ أهلُ مأرِبِ الذين كان لهم السَّدُّ ، فتفرَّقُوا فى البلادِ ، وهو مُقْتَضَى الحديثِ المتقدِّمِ عن ابنِ عباسٍ[1] ، أنَّ جميعَ قبائِلِ سَبَأ لم يَخْرُجوا مِن اليمنِ بل إنَّما تَشَاءمَ مِنهم أرْبَعَةٌ ، وبَقِىَ باليمنِ سِتّةٌ وهم؛ مَذْحِجٌ وكِنْدَةُ وأَنمارٌ والأَشْعَرِيُّون ، وأنمارٌ هو أبو خَثْعَمٍ وبَجِيلةَ وحِمْيَرُ ، فهؤلاء سِتُّ قبائلَ مِن سَبَأ أقاموا باليمنِ واستمرَّ فيهم المُلْكُ والتبابعةُ حتى سَلَبَهُم ذلكَ مَلِكُ الحبشةِ بالجيشِ الذى بَعَثَه صُحْبَةَ أمِيرَيْه أَبْرَهَةَ وأَرْياطٍ ، نحوًا مِن سبعين سنةً ، ثُمَّ اسْتَرْجَعَه سيفُ بنُ ذى يَزَنَ الحِمْيَرِىُّ ، وكان ذلك قبلَ مولدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ بقليلٍ ، كما سنذكُرُه مفصَّلًا قريبًا إن شاء اللَّهُ تعالى ، وبه الثِّقةُ ، وعليه التُّكْلانُ . ثُم أَرْسَلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، إلى أهلِ اليمنِ عليًّا ، وخالدَ بنَ الوليدِ ، ثُمَّ أبا موسى الأَشْعَرِىَّ ، ومعاذَ بنَ جبلٍ ، وكانوا يَدْعُون إلى اللَّهِ تعالى ، ويُبَيِّنُون لهم الحُجَجَ ، ثُمَّ تَغَلَّبَ على اليمنِ الأَسْودُ العَنْسِىُّ ، وأَخْرَجَ نُوّابَ رسولِ اللَّهِ ﷺ منها فلمَّا قُتِل الأسودُ اسْتَقَرَّتِ اليَدُ الإِسلاميةُ عليها فى أيامِ أبى بكرٍ الصِّدِّيقِ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، كما سنُبَيِّنُ ذلك بعدَ البِعْثَةِ ، إن شاء اللَّهُ تعالى .

---

(١) تقدم تخريجه فى صفحة ١٠٨ .

قِصّةُ رَبيعةَ بنِ نصرِ
ابنِ أبِى حَارثةَ بنِ عمرِو بنِ عامِرٍ، المتقدّمِ ذكْرُه، اللَّخْمِىّ

كذا ذَكَره ابنُ إسحاقَ[(1)] . وقال السُّهَيْلِىُّ[(2)] : ونُسّابُ اليمنِ تقولُ : نصرُ ابنُ ربيعةَ . [(3)]وهو ربيعةُ[(3)] بنُ نصرِ بنِ الحارثِ بنِ [(4)]نُمارةَ بنِ لَخْمٍ[(4)] . وقال الزُّبَيْرُ ابنُ بَكَّارٍ : [(5)]ربيعةُ بنُ[(5)] نصرِ بنِ مالكِ بنِ شَعْوَذِ بنِ مالكِ بنِ عَجْمِ بنِ عَمْرِو ابنِ نُمارةَ بنِ لَخْمٍ ، ولَخْمٌ أخو جُذامٍ ، وسُمِّىَ لَخْمًا ؛ لأنَّه لَخَمَ أخاه أَىْ لَطَمَه ؛ فعضّه الآخرُ فى يدِه فجذَمَها ؛ فسُمِّى جُذامًا[(6)] . وكان ربيعةُ أحدَ ملوكِ حِمْيَرَ التبابعةِ ، وخَبَرُه مع شِقٍّ وسَطِيحٍ الكاهِنَيْنِ ، وإنذارُهما بوجودِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ أما سَطِيحٌ ، فاسمُه ربيعُ بنُ ربيعةَ بنِ مسعودِ بنِ مازنِ بنِ ذِئبِ بنِ عَدِىِّ بنِ مازنِ[(7)] بنِ غَسّانَ ، وأما شِقٌّ فهو ابنُ صَعْبِ بنِ يَشْكُرَ بنِ رُهْمِ بنِ أَفْرَكَ بنِ قَسْرِ[(8)]

---

(1) انظر تاريخ الطبرى ٢/ ١١١.

(2) الروض الأنف ١/ ١٣٠.

(٣ - ٣) سقط من : م.

(٤ - ٤) فى الأصل ، ص : « ربيعة بن نصر ».

(٥ - ٥) غير موجودة فى الروض الأنف ١/ ١٣١.

(٦) الروض الأنف ١/ ١٣١. وجذمها أى ؛ قطعها.

(٧) سقط من : ح ، م .

(٨) فى م : « قيس ».

ابنِ عَبْقَرَ بنِ أنْمارِ بنِ نِزارٍ . ومنهم مَن يقولُ : أَنْمارُ بنُ إراشِ بنِ لَحْيانَ بنِ عمْرِو ابنِ الغَوْثِ بنِ نَبْتِ[1] بنِ مالكِ بنِ زيدِ بنِ كهْلانَ بنِ سَبَأ . ويقالُ : إنَّ سَطِيحًا كان لا أعضاءَ له ، وإنَّما كان مثلَ السَّطِيحةِ ، ووجهُه فى صَدْرِه ، وكان إذا غَضِبَ انتفخَ وجَلَسَ ، وكان شِقٌّ نصفَ إنسانٍ . ويُقالُ : إنَّ خالدَ بنَ عبدِ اللَّهِ القَسْرِيَّ كان مِن[2] سُلالَتِه . وذكر السُّهَيْلِيُّ[3] أنَّهما وُلِدا فى يومٍ واحدٍ ، وكان يومَ ماتتْ طريفَةُ بنتُ الخَيْرِ الحِمْيَرِيَّةُ . ويقالُ : إنَّها تَفَلَتْ فى فَمِ كلٍّ منهما ، فوَرِثَ الكِهانةَ عنها . وهى امرأةُ عَمْرِو بنِ عامرٍ المتقدِّمِ ذِكْرُه . واللَّهُ أعلمُ . قال محمدُ بنُ إسحاقَ[4] : وكان ربيعةُ بنُ نَصْرٍ ملِكَ اليمنِ بينَ أَضْعَافِ ملوكِ التَّبابعةِ ، فرأى رؤيا[5] هالَتْه وفَظِع بها ، فلم يَدَعْ كاهِنًا ولا ساحِرًا ولا عائِفًا[6] ولا مُنَجِّمًا مِن أهلِ مملَكَتِه إلَّا جَمَعه إليه ، فقال لهم : إنِّى قد رأيتُ رؤيا هالَتْنِى وفَظِعْتُ بها ، فأَخْبِرُونى بها وبتأويلِها . فقالُوا : اقْصُصْها علينا ، نُخْبِرْكَ بتأْويلِها . فقال : إنِّى إنْ أَخبَرْتُكم بها ، لم أَطْمَئِنَّ إلى خبَرِكم بتأويلِها ؛ لأنَّه لا يعرِفُ تأويلَها إلَّا مَنْ عَرَفَها قبلَ أن أُخْبِرَه بها . فقال له رَجلٌ [١/٢١٥و] منهم : فإن كان المِلكُ يريدُ هذا فَلْيَبْعَثْ إلى شِقٍّ وسَطِيحٍ ؛ فإنَّه ليس أحدٌ أعلمَ منهما ، فهما يُخْبِرانِه بما سَأَلَ عنه . فبعثَ إليهما ، فقَدِمَ إليه سَطِيحٌ قبلَ شِقٍّ ، فقال له : إنِّى قد رأيتُ رُؤْيا هالَتْنِى وَفَظِعْتُ بها ، فأَخْبِرْنى بها ، فإنَّك إنْ أَصَبْتَها أصبْتَ

---

(١) فى م : « نابت » .

(٢) سقط من : م .

(٣) الروض الأنف ١/ ١٣٥.

(٤) سيرة ابن هشام ١/١٥ - ١٨.

(٥) بعده فى م : « هائلة » .

(٦) العائف : هو المتكهن بالطير أو غيرها .

تأويلَها . فقال : أفْعلُ . رأيتَ حُمَمَةً[1] خرَجَتْ مِن ظُلْمَةٍ ، فوقَعَتْ بأَرْضِ تَهَمَةٍ[2] ، فأكلَتْ منها كلَّ ذاتِ جُمْجُمَةٍ . فقال له الملِكُ : ما أخطأتَ منها شيئًا يا سَطِيحُ ، فما عندَك فى تأويلِها ؟ قال : أحْلِفُ بما بينَ الحرَّتَيْنِ مِن حَنَشٍ ، لتَهْبِطَنَّ أَرْضَكم الحبَشُ ، فلَيَمْلِكُنَّ مَا بينَ أَبْيَنَ إلى جُرَشَ . فقال له الملِكُ : وأبيك[3] يا سَطِيحُ ، إنَّ هذا لنا لَغائظٌ مُوجِعٌ ، فمتى هو كائنٌ ؟ أفى[4] زمانِى أَمْ بَعْدَه ؟ فقال : لا ، بل بعدَه بحينٍ ، أكْثَرَ مِن سِتِّينَ أو سَبْعينَ ، يَمْضِينَ مِن السنينَ . قال : أَفَيَدُومُ ذلك مِن سُلْطانِهم[5] أم ينقطعُ ؟ قال : بل يَنْقَطِعُ لبِضْعٍ وسبعينَ مِن السنينَ ، ثُم يُقْتَلون ، ويَخْرجون منها هارِبين . قال : ومَنْ يَلِى ذلك مِن قَتْلِهم وإخراجِهم ؟ قال : يليه[6] إرَمُ ذى يَزَنَ ، يَخرجُ عليهم مِن عَدَنٍ ، فلا يَترُكُ منهم أحَدًا باليمنِ . قال : أفيدومُ ذلك مِن سلطانِه أم يَنْقَطِعُ ؟ قال : بل يَنقطعُ . قال : ومَن يَقْطَعُه ؟ قال : نَبِىٌّ زَكِىٌّ ، يأتيه الوحىُ من قِبَلِ العَلِىِّ . قال : وممَّنْ هذا النبىُّ ؟ قال : رَجلٌ مِن وَلَدِ غالبِ بنِ فِهْرِ بنِ مالكِ بنِ النَّضْرِ ، يكونُ المُلْكُ فى قومِه إلى آخرِ الدَّهرِ . قال : وهل للدَّهْرِ مِن آخِرٍ ؟ قال : نَعَمْ ، يومٌ[7] يُجْمَعُ فيه الأوَّلون والآخِرون ، يَسْعَدُ فيه المحسِنُون ، ويَشْقَى فيه المُسِيئُون . قال : أحقٌّ ما تُخْبِرُنى ؟ قال : نعم ، والشَّفَقِ والغَسَقِ ، والفَلَقِ إذا

---

(١) الحممة : هى الفحمة ، وإنما أراد فحمة فيها نار .

(٢) تهمة : متصوِّبة نحو البحر .

(٣) سقط من : م .

(٤) فى الأصل ، ص : « إلى » .

(٥) فى الأصل ، ا ٩ ، ص : « سلطانه » .

(٦) فى م : « لا يليهم » .

(٧) سقط من : الأصل ، ص .

اتَّسَقَ ، إنَّ ما أنبأْتُك به لَحَقٌّ . قال : ثُمَّ قَدِمَ عليه شِقٌّ ، فقال له كقولِه لسَطِيح ، وكَتَمَه ما قال سَطِيحٌ ؛ لِيَنْظُرَ أيَتَّفِقان أم يَخْتَلِفان ، قال : نعم ، رأيتَ حُمَمَةً[1] خرجَتْ مِن ظُلْمَةٍ ، فوقعتْ بينَ رَوْضَةٍ وأَكَمَةٍ ، فأكلَتْ منها كُلَّ ذاتِ نَسَمَةٍ . فلمّا قال له ذلك عَرَفَ أنَّهُما قد اتَّفَقا ، وأنّ قَوْلَهما واحدٌ ، إلَّا أن سَطِيحًا ، قال : وقعتْ بأرضِ تَهَمَةٍ ، فأكَلَتْ منها كلَّ ذاتِ جُمْجُمَةٍ . وقال شِقٌّ : وقعتْ بينَ رَوْضَةٍ وأَكَمَةٍ ، فأكلتْ منها كلَّ ذاتِ نَسَمَةٍ ، فقال له الملِكُ : ما أَخْطَأْتَ يا شِقُّ منها شيئًا ، فما عندَكَ فى تأويلِها ؟ فقال : أَحْلِفُ بما بينَ الحرَّتَيْنِ مِن إنسانٍ ، لَيَنْزِلَنَّ أرضَكم السُّودانُ ، فلَيَغْلِبُنَّ على كلِّ طَفْلَةِ[2] البنانِ، ولَيَمْلِكُنَّ ما بينَ أَبْيَنَ إلى نَجْرانَ . فقال له الملِكُ : وأبيك يا شِقُّ ، إنَّ هذا لنا لغائظٌ مُوجِعٌ ، فمتى هو كائنٌ ؟ أفى زمانى أم بعدَه ؟ قال : لا ، بل بعدَه بزمانٍ ، ثُم يَستنقِذُكم منهم عظيمٌ ذو شانٍ ، ويُذِيقُهم أَشَدَّ الهوانِ . قال : ومَنْ هذا العظيمُ الشانِ ؟ قال : غلامٌ ليس بِدَنِيٍّ ولا مُدَنٍّ[3] ، يَخْرُجُ عليهم مِن بيتِ ذى يَزَنَ . قال : أفيَدُومُ سُلْطانُه أمْ يَنقطعُ ؟ قال : بل يَنْقَطِعُ برسولٍ مُرْسَلٍ ، يَأتى بالحقِّ والعَدْلِ ، مِن أهلِ الدِّينِ والفَضْلِ ، يكونُ المُلْكُ فى قَوْمِه إلى يومِ الفَصْلِ . قال : وما يومُ الفَصْلِ ؟ قال : يومٌ تُجْزَى فيه الوُلاةُ ، يُدْعَى فيه من السماءِ بدَعَواتٍ يَسْمَعُ منها الأحياءُ والأمواتُ ، ويُجْمَعُ الناسُ فيه للمِيقاتِ ، يكونُ فيه لمَن اتَّقَى الفوزُ والخيراتُ . قال : أَحَقٌّ ما تقولُ ؟ قال : إِىْ ، وربِّ السَّماءِ والأرضِ ، وما بينَهما

---

(١) فى الأصل : « جمجمة » .

(٢) الطفلة : الناعمة اللينة .

(٣) المدنى : المقصر فى الأمور ، أو الذى يتبع خسيسها .

مِن رَفْعٍ وخَفْضٍ ، إنَّ ما أنبأْتُك به لحَقٌّ ، ما فيه أَمْضٌ[1] . قال ابنُ إسحاقَ[2] : فوقَعَ فى نفسِ ربيعةَ بنِ نصرٍ ما قالا ، فجهَّزَ بَنيه وأهلَ بَيْتِه إلى العراقِ ، وكتبَ لهم إلى مَلِكٍ مِن ملوكِ فارسَ ، يقالُ له : سابورُ بنُ خُرَّزاذَ[3] . فأسْكَنَهُم الحِيرَةَ . قال ابنُ إسحاقَ[4] : فمِنْ بقيَّةِ وَلَدِ ربيعةَ بنِ نَصْرٍ ، النُّعمانُ بنُ المنذرِ بنِ النُّعمانِ بنِ المنذرِ بنِ عَمْرِو بنِ عَدِىِّ بنِ ربيعةَ بنِ نَصْرٍ ، يَعْنِى الذى كان نائبًا على الحِيرةِ لملوكِ الأكاسِرَةِ ، وكانت العربُ تَفِدُ إليه وتَمْتَدِحُه . وهذا الذى قاله محمدُ بنُ إسحاقَ مِن أنَّ النُّعْمانَ بنَ المُنْذِرِ مِن سُلالَةِ ربيعةَ بنِ نصْرٍ ، قاله أكثرُ النَّاسِ . وقد رَوى ابنُ إسحاقَ[5] أنَّ أميرَ المؤمنينَ عُمَرَ بنَ الخطّابِ ، لمّا جِيءَ بسيفِ النُّعْمانِ بنِ المنذرِ ، سأل جُبَيْرَ بنَ مُطْعِمٍ عنه : مِمَّن كان ؟ فقال : مِن أَشْلاءِ قُنُصِ بنِ مَعَدِّ بنِ عَدْنانَ . قال ابنُ إسحاقَ : فاللَّهُ أعلمُ أىُّ ذلك كان .

---

(١) قال ابن هشام : أمض يعنى شكًّا بلغة حمير . سيرة ابن هشام ١/ ١٨. وانظر اللسان : (أ م ض) .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ١٨.

(٣) فى الأصل : « حزّاد » .

(٤) فى سيرة ابن هشام ١/ ١٩.

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ١٢.

قِصّةُ تُبَّعٍ أبى كَرِبٍ

(١)تُبَّانِ أَسْعَدَ ملِكِ اليمنِ(١)

مع أهلِ المدينةِ وكيفَ

أرادَ غَزْوَ البيتِ الحرامِ، ثُمَّ شرَّفه

وعَظَّمه وكساه الحُلَلَ، فكان أَوَّلَ مَنْ كساه

قال ابنُ إسحاقَ[٢] : فلمَّا هلكَ ربيعةُ بنُ نصرٍ رجَع مُلْكُ اليمنِ كلُّه إلى حسَّانَ بنِ تُبَّانِ أسعدَ أبى كَرِبٍ ، [١/٢١٥ظ] وتُبَّانُ أسعدَ تُبَّعٌ الآخِرُ ، ابنُ كُلْكِيكَرِبَ بنِ زيدٍ ، وزيدٌ تُبَّعٌ الأوّلُ ابنُ عمْرِو ذى الأذْعارِ بنِ أبْرَهةَ ذِى المنارِ ابنِ الرَّائشِ بنِ عَدِىِّ بنِ صَيْفِىِّ بنِ سبأ الأصغرِ بنِ كَعْبٍ - كَهْفِ الظُّلْمِ - بنِ زيدِ بنِ سَهْلِ بنِ عَمْرِو بنِ قيسِ بنِ معاويةَ بنِ جُشَمَ بنِ عبدِ شمسِ بنِ وائلِ بنِ الغَوْثِ بنِ قطَنِ بنِ عَرِيبِ بنِ زهَيرِ بنِ أنسٍ[٣] بنِ الهَمَيْسَعِ بنِ العَرَنْجَجِ ، والعَرَنْجَجُ هو حِمْيَرُ بنُ سبأ الأكبرِ بنِ يَعْرُبَ بنِ يَشْجُبَ بنِ قَحْطَانَ . قال عبدُ الملكِ بنُ هشامٍ : سبأُ بنُ يَشْجُبَ بنِ يَعْرُبَ بنِ قَحْطَانَ .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ١٩، ٢٠.

(٣) كذا فى النسخ ، وفى سيرة ابن هشام ١/ ٢٠، وفى الروض الأنف ١/ ١٥٦: «أيمن» .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وتُبَّانُ أسعدَ أبو كَرِبٍ ، هو الذى قَدِمَ المدينةَ وساق الحَبْرَيْن[2] من اليهودِ إلى اليمنِ ، وعَمَّرَ البيتَ الحرامَ ، وكساه ، وكان مُلْكُه قبلَ مُلْكِ[3] ربيعةَ بنِ نَصْرٍ ، وكان قد جعل طريقَه حينَ رَجَع مِن غزوةِ بلادِ المشرِقِ على المدينةِ ، وكان قد مَرَّ بها فى بَدْأَتِه فلم يَهِجْ أهْلَها ، وخَلَّفَ بينَ أَظْهُرِهم ابْنًا له ، فقُتِلَ غِيلةً ، فَقَدِمَها وهو مُجْمِعٌ لإخْرَابِها واستِئْصَالِ أهْلِهَا وقَطْعِ نَخْلِها ، فجُمِعَ له هذا الحىُّ مِن الأنصارِ ، ورئيسُهُم عَمْرُو بنُ طَلَّةَ[4] أخو بنى النَّجَّارِ ، ثُم أحَدُ بنى عَمْرِو بنِ مَبْذولٍ ، واسمُ مَبْذولٍ ، عامرُ بنُ مالكِ بنِ النَّجّارِ ، واسمُ النَّجّارِ ، تَيْمُ اللَّهِ بنُ ثعلبةَ بنِ عَمْرِو بنِ الخزرجِ بنِ حارِثَةَ بنِ ثعلبةَ بنِ[5] عمرِو بنِ عامرٍ .

وقال ابنُ هشامٍ[6] : عمْرُو بنُ طَلَّةَ[7] ، هو عَمْرُو بنُ معاويةَ بنِ عمرِو بنِ عامرِ بنِ مالكِ بنِ النَّجّارِ ، وطَلَّةُ أُمُّه ، وهى بنتُ عامرِ بنِ زُرَيقٍ الخزرجيّةُ .

قال ابنُ إسحاقَ[8] : وقد كان رَجُلٌ مِن بنى عَدِىِّ بنِ النَّجّارِ ، يُقَالُ له : أحمرُ ، عَدَا على رَجُلٍ مِن أصحابِ تُبَّعٍ ، وَجَدَه يَجُدُّ عَذْقًا له فَضَرَبَهُ بِمِنْجَلِه فقتَلَه ، وقال : إنما التَّمرُ لمَنْ أَبَّرَه . فزاد ذلك تُبَّعًا حَنَقًا عليهم ، فاقْتَتلُوا ، فتَزْعُمُ

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٢٠.
(٢) فى الأصل، ص: «الحرير».
(٣) زيادة من: ا ٩، م.
(٤) فى النسخ: «طلحة». انظر سيرة ابن هشام ١/ ٢٠.
(٥) سقط من: م.
(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٢١.
(٧) فى م: «طلحة».
(٨) سيرة ابن هشام ١/ ٢١.

الأنصارُ أنَّهم كانوا يُقَاتِلونه بالنَّهارِ، ويَقْرونَه بالليلِ، فيُعْجِبُه ذلك منهم، ويقول: واللَّهِ، إنَّ قَوْمَنا لَكِرامٌ. وحَكَى ابنُ إسحاقَ[1] عن الأَنصارِ أَنَّ تُبَّعًا، إنَّما كان حَنَقُه على اليهودِ، أنَّهم مَنَعُوهم مِنْه.

قال السُّهَيْلِيُّ[2]: ويُقالُ: إنَّه إنَّما جاء لنُصْرَةِ الأنصارِ - أبناءِ عمِّه - على اليهودِ، الذين نَزَلوا عندَهم في المدينةِ على شروطٍ، فَلَمْ يَفُوا بِها واستَطَالوا عَلَيْهم. واللَّهُ أعلمُ.

قال ابنُ إسحاقَ[3]: فَبَيْنَا تُبَّعٌ على ذلك مِن قِتَالِهم، إذْ جاءَه حَبْرَان مِن أَحْبارِ اليهودِ من بنى قُرَيْظَةَ، عَالِمَانِ رَاسِخَانِ، حين سَمِعا بما يُرِيدُ مِنْ إهْلاكِ المدينةِ وأَهْلِها، فقالا له: أَيُّها الملِكُ، لا تفعلْ، فإنَّكَ إنْ أبَيْتَ إلَّا ما تريدُ، حِيلَ بينَكَ وبَيْنَها، ولم نأمَنْ عليكَ عاجلَ[4] العقوبةِ. فقال لهما: ولِمَ ذلك؟ قالا: هى مُهَاجَرُ نَبِيٍّ، يَخْرُجُ مِن هذا الحَرَمِ؛ مِن قُرَيْشٍ، فى آخِرِ الزَّمَانِ، تكونُ دارَه وقَرارَه. فتَناهى، ورأى أنَّ لهما عِلْمًا، وأَعْجَبَه ما سَمِعَ مِنْهُما، فانْصَرَفَ عن المدينةِ، واتَّبَعَهما[5] على دِينِهِمَا. قال ابنُ إسحاقَ[6]: وكان تُبَّعٌ وقومُه أصحابَ أَوْثَانٍ يَعْبُدُونَها، فَتَوَجَّه إلى مَكَّةَ، وهى طريقُه إلى اليمنِ، حتى إذا كان بينَ عُسْفانَ وأَمَجٍ، أتاه نَفَرٌ من هُذَيْلِ بنِ مُدْرِكَةَ بنِ إلياسَ بنِ مُضَرَ بنِ

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٢٣.

(٢) الروض الأنف ١/ ١٦١.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٢١.

(٤) فى م: «جل».

(٥) فى الأصل: «أثبتهما».

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٢١.

نِزارِ بن مَعَدِّ بنِ عَدْنانَ، فقالوا له: أيُّها المَلِكُ، أَلَا نَدُلُّك على بيتِ مَالٍ دَاثرٍ أَغْفَلَتْه المُلُوكُ قَبْلَكَ، فيه اللؤلؤُ والزَّبَرْجَدُ والياقوتُ والذَّهَبُ والفِضَّةُ؟ قال: بَلَى. قالوا: بَيتٌ بِمَكَّةَ يَعْبُدُه أهلُه ويُصَلُّون عندَه. وإنَّما أراد الهُذَلِيُّون هلاكَه بذلك؛ لِمَا عَرَفوا مِن هلاكِ مَن أرادَه مِن الملوكِ وبَغَى عندَه، فلمّا أَجْمَعَ لِمَا قالوا أَرْسَلَ إلى الحَبْرَيْن فسأَلَهما عن ذلك، فقالا له: ما أراد القومُ إلَّا هلاكَك وهلاكَ جُنْدِك، ما نعلمُ بيتًا للَّهِ، عزَّ وجلَّ، اتّخذَه فى الأرضِ لنفسِه غيرَه، ولَئِنْ فَعَلْتَ ما دَعَوْك إليه، لَتَهْلِكَنَّ، ولَيَهْلِكَنَّ مَن مَعَك جميعًا. قال: فماذا تأْمُرانِنِى أن أصنعَ إذا أنا قَدِمْتُ عليه؟ قالا: تَصْنَعُ عندَه ما يصنعُ أهلُه؛ تَطُوفُ به وتُعَظِّمُه وتُكَرِّمُه، وتَحْلِقُ رَأْسَكَ عندَه، وتَذِلُّ[1] له حتى تَخْرُجَ مِن عندِه. قال: فما يَمْنَعُكما أنتما مِن ذلك؟ قالا: أمَا واللَّهِ، إنَّه لَبَيْتُ أبينا إبراهيمَ[2]، عليه السَّلامُ، وإنَّه لَكَما أَخْبَرْناك، ولكنَّ أهلَه حالُوا بينَنا وبينَه بالأَوْثانِ التى نَصَبُوها حَوْلَه، [٢١٦/١و] وبالدِّماءِ التى يُهَرِيقُون عندَه، وهم نَجَسٌ، أهلُ شِرْكٍ. أو كما قالا له، فعَرَفَ نُصْحَهما، وصَدَّقَ حديثَهما، وقَرَّبَ النَّفَرَ مِن هُذَيْلٍ، فقطَّعَ أيديَهم وأرجُلَهُم، ثُمَّ مضَى حتى قَدِمَ مَكَّةَ، فطاف بالبَيْتِ ونَحَرَ عندَه، وحَلَقَ رأسَه وأقام بمكةَ ستَّةَ أيامٍ، فيما يذكُرون، يَنْحَرُ بها للنّاسِ، ويُطْعِمُ أهلَها، ويَسْقِيهم العَسَلَ، وأُرِىَ فى المنامِ أن يَكْسُوَ البيتَ، فكساه الخَصَفَ[3]، ثم أُرِىَ فى المنامِ أنْ يَكْسُوَه أحسَنَ مِن ذلك، فكساه المَعافرَ[4]، ثُمَّ

---

(١) فى النسخ: «تذلل». وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٢٤.

(٢) سقط من: الأصل.

(٣) الخصف: جمع الخصفة وهى الثوب الغليظ جدا.

(٤) المعافر: ثياب تنسب إلى قبيلة من اليمن.

أُرِىَ أن يَكْسُوَه أحسنَ مِن ذلك فكساه المُلاءَ والوصائِلَ[1] ، فكان تُبَّعٌ ، فيما يَزعمون ، أولَّ مَن كَسَا البيتَ ، وأَوْصَى به وُلَاتَهُ مِن جُرْهُمٍ ، وأَمَرَهُم بتطهيرِه ، وأن لا يُقَرِّبوه دَمًا ولا مَيْتَةً ولا مِئْلاةً ، وهى المحايضُ ، وجَعَل له بابًا ومِفْتاحًا .
ففى ذلك قالتْ سُبَيْعَةُ بنتُ الأَحَبِّ - تُذَكِّرُ ابنَها خالدَ بنَ[2] عبدِ منافِ بنِ كعبِ بنِ سعدِ بنِ تَيْمِ بنِ مُرَّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَىِّ بنِ غالبٍ ، وتَنْهاه عن البَغْىِ بمكَّةَ ، وتَذْكُرُ له ما كان من أَمرِ تُبَّعٍ فيها - :

أَبُنَىَّ لا تَظْلِمْ بِمَكَّةَ ... لا الصغيرَ ولَا الكَبيرْ
واحفَظْ محارِمَها بُنَىَّ ... ولا يَغُرَّنْكَ الغَرورْ
أَبُنَىَّ مَنْ يَظْلِمْ بمَكَّةَ ... يَلْقَ أطرافَ الشُّرورْ
أَبُنَىَّ يُضْرَبْ وجهُه ... ويَلُحْ[3] بخدَّيهِ السَّعيرْ
أَبُنَىَّ قد جَرَّبْتُها ... فوجدتُ ظالمَها يَبُورْ
اللَّهُ أمَّنَها وما ... بُنِيَتْ بِعَرْصَتِها قُصورْ
واللَّهُ أمَّنَ طَيرَها ... والعُصْمُ تأمَنُ فى ثَبِيرْ
ولقدْ غزَاها تُبَّعٌ ... فكَسا بَنِيَّتَها الحَبيرْ
وأَذَلَّ ربِّى مُلْكَه ... فيها فأوْفَى بالنُّذُورْ

(١) الوصائل : ثياب مخططة يمنية ، يوصل بعضها إلى بعض .
(٢) فى الأصل ، م : « به » . وانظر السيرة ١/ ٢٥ .
(٣) فى النسخ : « يلج » . المثبت من السيرة ١/ ٢٦، وانظر الروض الأنف ١/ ١٧٨ .

يَمْشِى إلَيهـا حافِيًا ... بِفِنائِها ألْفا بَعِيرْ

ويَظَلُّ يُطْعِمُ أهلَها ... لحمَ المَهارَى والجَزُورْ

يَسْقِيهُمُ العَسَلَ المُصَفَّى والرَّحِيضَ مِن الشَّعِيرْ

والفيلُ أُهلِكَ جَيْشُه ... يُرْمَوْن فيها بالصُّخورْ

والمُلْكُ فى أقصَى البِلادِ وفى الأعاجِمِ والخزيرْ[1]

فاسْمَعْ إذا حُدِّثْتَ وافْـ ... ـهَمْ كيفَ عاقبةُ الأُمورْ

قال ابنُ إسحاقَ[2] : ثُمَّ خَرَج تُبَّعٌ مُتَوَجِّهًا إلى اليمنِ بمَنْ معه مِن جنودِه وبالحَبْرَيْنِ، حتى إذا دَخَل اليمنَ دعا قومَه إلى الدُّخولِ فيما دَخَل فيه، فأَبَوْا عليه حتى يُحاكِموه إلى النّارِ التى كانت باليمنِ. قال ابنُ إسحاقَ[3] : حدَّثنى أبو مالكِ بنُ ثعْلبةَ بنِ أبى مالكٍ القُرَظِىُّ، قال: سَمِعْتُ إبراهيمَ بنَ محمدِ بنِ طلحةَ بنِ عُبيدِ اللَّهِ يحدِّثُ أَنَّ تُبَّعًا لمَّا دنا مِن اليمنِ ليَدْخُلَها حالت حِمْيَرُ بينَه وبينَ ذلك، وقالوا: لا تَدْخُلْها علينا وقد فارَقْتَ دينَنا. فدعَاهُم إلى دينِه، وقال: إنَّه خيرٌ مِن دِينِكم. قالوا: فَحاكِمْنا إلى النّارِ؟ قال: نعم. قال: وكانت باليمنِ، فيما يزعمُ أهلُ اليمنِ، نارٌ تَحْكُمُ بينَهم فيما يَخْتَلِفون فيه، تَأْكُلُ[4] الظالمَ ولا تَضُرُّ المَظْلومَ. فخرَج قومُه بأَوْثانِهم وما يَتَقَرَّبُون به فى

---

(١) فى الأصل: «الحرير»، وفى ص: «الجذور»، وفى م: «الخزور»، وفى ا ٩: «الجزير». والمثبت من سيرة ابن هشام ١/ ٢٦، وانظر الروض الأنف ١/ ١٧٨. والخزير: أُمة من الترك. وقيل: من العجم. تاج العروس (خ ز ر).

(٢) سيرة ابن هشام: ١/ ٢٦.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٢٧.

(٤) فى م: «تأخذ».

دِينِهم ، وخرج الحَبْرانِ بمصاحِفِهما فى أَعْناقِهما مُتَقَلِّدَيْها ، حتى قَعَدُوا للنّارِ عندَ مَخْرَجِها الذى تَخْرُجُ منه ، فخرجَتِ النّارُ إليهم ، فلَمّا أَقْبَلَت نحوَهم حادُوا عنها وهابُوها فذَمَرهم[(١)] مَن حَضَرَهم مِن الناسِ ، وأَمَروهم بالصَّبْرِ لها ، فصَبَرُوا حتى غَشِيَتْهم ، فأكَلَتِ الأَوْثانَ وما قَرَّبُوا معها ، ومَن حَمَل ذلك مِن رجالِ حِمْيَرَ ، وخرج الحَبْرانِ بمصاحِفِهما فى أعناقِهما تَعْرَقُ جِباهُهما ، ولم تَضُرَّهما ، فأَصْفَقَتْ[(٢)] عندَ ذلك حِمْيَرُ على دِينِه[(٣)] ، فمِن هُنالِكَ [(٤)]وعن ذلك[(٤)] كان أصلُ اليهودِيَّةِ باليمنِ .

قال ابنُ إسحاقَ[(٥)] : وقد حدَّثنى مُحَدِّثٌ أنَّ الحَبْرَيْن ومَنْ خَرَج مِن حِمْيَرَ إنَّما اتَّبَعُوا النَّارَ ليَرُدُّوها ، وقالوا : مَنْ رَدَّها فهو أَوْلَى بالحقِّ . فدنا منها رجالُ حِمْيَرَ بأَوْثانِهم ليَرُدُّوها ، فدَنَتْ منهم لِتَأْكُلَهم ، فحادوا عنها ولم يستطيعوا رَدَّها ، ودنا منها الحَبْران بعدَ ذلك ، وجَعَلَا يَتْلُوَانِ التَّوْراةَ ، وتَنْكُصُ[(٦)] عنهما[(٧)] ، حتى رَدَّاها إلى مَخرجِها الذى خَرَجَتْ منه ، فأَصْفَقَتْ عندَ ذلك حِمْيَرُ على دِينِهما . واللَّهُ أعلمُ أَىُّ ذلك كان .

قال ابنُ إسحاقَ[(٨)] : وكان رِئامٌ بيتًا لهم يُعَظِّمونَه ، ويَنْحَرونَ عندَه ،

---

(١) فى النسخ : « فزجرهم » . والمثبت من سيرة ابن هشام ١/ ٢٧ . وذمرهم : خصهم وشجعهم .
(٢) يقال : أصفقوا على الأمر ، إذا اجتمعوا عليه .
(٣) فى م : « دينهما » .
(٤ - ٤) سقط من : م .
(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٢٧ .
(٦) فى م : « وهى تنقص » .
(٧) زيادة من : ا ٩ ، م .
(٨) سيرة ابن هشام ١/ ٢٧ .

ويُكَلِّمون منه[1] ؛ إذ كانوا على شِرْكِهم ، فقال الحَبْران لِتُبَّعٍ : إنَّما هو شيطانٌ يَفْتِنُهم بذلك ، فَخَلِّ بيننا وبينَه . قال : فشأْنُكما به . فاستخرَجا منه ، فيما يَزْعُمُ أهلُ اليمنِ ، كلبًا أسودَ ، فذبحاه ، ثُمَّ هَدَما ذلك البيتَ ، فبقاياه اليومَ ، كما [٢١٦/١ظ] ذُكِر لى ، بها آثارُ الدِّماءِ التى كانت تُهَرَاقُ عليه . وقد ذَكَرْنا فى « التفسيرِ »[2] الحديثَ الذى وَرَدَ عن النبىِّ ﷺ « لا تَسُبُّوا تُبَّعًا ؛ فإنَّه قد كان أسلمَ »[3] .

قال السُّهَيْلِىُّ[4] : ورَوَى مَعْمَرٌ ، عن هَمَّامِ بنِ مُنَبِّهٍ ، عن أبى هريرةَ أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لا تَسُبُّوا أَسْعَدَ الحِمْيَرِىَّ ؛ فإنَّه أَوَّلُ مَن كَسا الكَعْبَةَ » .

قال السُّهَيْلِىُّ[5] : وقد قال تُبَّعٌ حينَ أَخْبَره الحَبْرَانِ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ شِعْرًا :

شَهِدْتُ على أحمدٍ أنَّه ... نَبِىٌّ[6] مِنَ اللَّهِ بارى النَّسَمْ
فلو مُدَّ عُمْرِى إلى عُمْرِه ... لكُنْتُ وزيرًا له وابنَ عَمّ
وجاهَدْتُ بالسَّيفِ أعداءَه ... وفَرَّجْتُ عن صَدْرِه كلَّ هَمّ

قال : ولم يَزَلْ هذا الشِّعْرُ تَتَوارَثُه الأنصارُ ويَحْفَظونَه بينَهم ، وكان عندَ أبى

---

(١) فى النسخ : « فيه » . والمثبت من السيرة لابن هشام ١/ ٢٨.
(٢) التفسير ٧/ ٢٤٤. بلفظ : « قد كان رجلا صالحًا » .
(٣) المسند ٥/ ٣٤٠. انظر (السلسلة الصحيحة ٢٤٢٣) .
(٤) الروض الأنف ١/ ١٦٤.
(٥) الروض الأنف ١/ ١٦٣.
(٦) فى النسخ : « رسول » . والمثبت من الروض الأنف .

أيوبَ الأَنْصارِىُّ، رَضِىَ اللَّهُ عنه وأرضاه. قال السُّهَيْلِىُّ[1]: وذَكَر ابنُ أبى الدُّنيا فى كتابِ «القُبورِ»، أنَّ قَبْرًا حُفِرَ بصَنْعاءَ، فوُجِدَ فيه امرأتانِ معهما لَوْحٌ مِن فِضَّةٍ، مَكْتُوبٌ بالذَّهَبِ، وفيه: هذا قَبْرُ لَمِيسِ وحُبَّى، ابْنَتَىْ تُبَّعٍ، ماتا وهما تَشْهدانِ أنْ لا إلٰه إلا اللَّهُ، [2]وحْدَه لا شريكَ له[2]، وعلى ذلك ماتَ الصالحونَ قبلَهما.

ثُم صار المُلْكُ فيما بعدُ إلى حسانَ بنِ تُبّانِ أسعدَ، وهو أخو اليَمامةِ الزَّرْقاءِ التى صُلِبَتْ على بابِ مدينةِ جَوٍّ، فسُمِّيَتْ مِن يومِئذٍ اليمامةَ. قال ابنُ إسحاقَ[3]: فلمّا مَلَك ابنُه حسّانُ بنُ أبى كَرِبٍ تُبّانِ أسعدَ، سارَ بأهلِ اليمنِ يُريدُ أن يَطَأَ بهم[4] أرضَ العربِ وأرضَ الأعاجِمِ، حتى إذا كانوا ببعضِ أَرْضِ العِراقِ، كَرِهَتْ حِمْيَرُ وقبائلُ اليمنِ السَّيْرَ معه، وأرادوا الرَّجْعَةَ إلى بلادِهم وأهلِيهم، فكَلَّموا أخًا له يُقالُ له: عمرٌو. وكان معه فى جيشِهِ، فقالوا له: اقْتُلْ أخاك حَسّانَ، ونُمَلِّكُكَ علينا، وتَرْجِعُ بِنا إلى بلادِنا. فأجابَهم فاجْتَمَعُوا على ذلك إلَّا ذا رُعَيْنٍ الحِمْيرِىَّ، فإنَّه نهَى عَمْرًا عن ذلك، فلمْ يَقْبَلْ منه، فكَتَبَ ذو رُعَيْنٍ رُقْعَةً فيها هذانِ البيتانِ:

أَلا مَن يَشْتَرِى [5]سَهَرًا بنومٍ[5] ... سعيدٌ مَن يَبِيتُ قَريرَ عَينِ

فأمّا حِمْيَرٌ غَدَرَتْ وخانَتْ ... فمَعْذِرَةُ الإلٰهِ لِذى رُعَينِ

---

(١) الروض الأنف ١/ ١٦٣.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، ١ ٩، ص.

(٣) ذكره ابن هشام فى سيرته ١/ ٢٨.

(٤) زيادة من: م.

(٥ - ٥) فى الأصل، ١ ٩: «شهرًا بيوم». وانظر سيرة ابن هشام.

ثُم اسْتَوْدَعَها عَمْرًا ، فلمّا قَتَلَ عمرٌو أخاه حسانَ ورجَعَ إلى اليمنِ ، مُنِعَ منه النومُ ، وسُلِّطَ عليه السَّهَرُ فسأَلَ الأطباءَ والحُزاةَ[1] مِن الكُهّانِ والعرّافينَ عمّا به ، فقيل له : إنّه واللّهِ ما قَتَلَ رجلٌ أخاه قَطُّ أو ذا رَحِمِه ، بَغْيًا ، إلّا ذهَب نَوْمُه وسُلِّطَ عليه السَّهَرُ[2] . فعندَ ذلك جَعلَ يَقْتُلُ كُلَّ مَن أَمَرَه بقَتْلِ أخيه ، فلمّا خَلَصَ إلى ذى رُعَيْنٍ قال له : إنَّ لى عندَك براءةً . قال : وما هى ؟ قال : الكِتابُ الذى دَفَعْتُه إليكَ . فأخْرَجَه فإذا فيه البيتانِ ، فترَكه ورأَى أنّه قد نَصَحه ، وهلَكَ[3] عمروٌ . فمَرَجَ[4] أمرُ حِمْيَرَ عندَ ذلك ، وتَفرَّقُوا .

---

(١) فى الأصل، ا ٩، ص: «الحراة»، وفى م: «الحذاق». والمثبت من سيرة ابن هشام. الحزاة واحدهم حاز؛ وهو الذى ينظر فى الأعضاء وفى خِيلان الوجه يتكهن. لسان العرب (ح ز ا).

(٢) سقط من: الأصل، ص.

(٣) فى الأصل، ص: «ملك».

(٤) مرج: التبس واختلط.

وُثوبُ لَخْنِيعَةَ ذِى شَنَاتِرَ[1]

على مُلْكِ اليَمَنِ

وقد مَلَكَها سَبْعًا وعِشْرين سنةً. قال ابنُ إسحاقَ[2]: فوَثَبَ عليهم رَجُلٌ مِن حِمْيَرَ لم يَكُنْ مِن بُيُوتِ المَلِكِ، يُقالُ له: لَخْنيعَةُ يَنُوفُ[3] ذُو شَنَاتِرَ. فقَتَلَ خِيارَهم، وعَبِث ببُيُوتِ أهلِ المَمْلَكَةِ منهم، وكان مع ذلك امْرَأً فاسِقًا يَعْمَلُ عَمَلَ قومِ لُوطٍ؛ فكان يُرْسِلُ إلى الغُلامِ مِن أبناءِ المُلُوكِ، فيَقَعُ عليه فى مَشْرَبَةٍ[4] له، قد صَنَعَها لذلك؛ لِئَلَّا يَمْلِكَ بعدَ ذلك، ثُمَّ[5] يَطَّلِعُ مِن مَشْرَبَتِه[6] تلك إلى حَرَسِه ومَن حَضَر مِن جُنْدِه، قد أخَذ مِسْواكًا فجَعَلَه فى فِيهِ؛ أىْ لِيُعْلِمَهم أنَّه قد فَرَغَ مِنه؛ حتى بَعَثَ إلى زرعةَ ذِى نُواسِ بنِ تُبَّانِ أسْعَدَ، أخى حَسَّانَ، وكان صبيًّا صغيرًا حينَ قُتِلَ أخوه حَسَّانُ، ثم شَبَّ غُلامًا جَميلًا وَسِيمًا ذا هَيْئَةٍ[7] وعَقْلٍ، فلمَّا أتاه رسولُه عَرَف ما يُرِيدُ منه، فأخَذَ

---

(١) الشناتر: جمع شُنْتُرَة - بضمّ الشين والتاء وبينهما نون ساكنة - وهى الأُصْبُع بالحِمْيَرِيَّة. تاج العروس (شنتر).

(٢) سيرة ابن هشام ٢٩/١ - ٣١. وتاريخ الطبرى ١١٧/٢ - ١١٩.

(٣) فى الأصل، ص: «بنون». وفى ا ٩: «ما نوف». والمثبت موافق لما فى السيرة لابن هشام. وهو كذلك فى تاريخ الطبرى.

(٤) المَشْرَبَة والمشرُبة - بالفتح والضمّ - الغُرْفة. اللسان (ش ر ب).

(٥) بعده فى الأصل، ص: «لم».

(٦) فى م: «شربته».

(٧) فى الأصل، ص: «هيبة».

سِكِّينًا حَدِيدًا[1] لَطِيفًا فخَبَّأَه[2] بين قَدَمَيْه ونَعْلِه ثُمَّ أتاه، فلمَّا خلا معه وَثَب إليه فواثَبَه ذُو نُواسٍ، فوَجَأَه[3] حتى قَتَلَه، ثُمَّ حَزَّ رَأْسَه، فوَضَعَه فى الكُوَّةِ التى كان يُشْرِفُ منها، ووَضَع مِسْواكَه فى فيه، ثُمَّ خَرَج على النَّاسِ فقالوا[4] له: ذا نواسٍ، أَرَطْبٌ أم يَبَاسٌ؟ فقال: سَلْ نَخْماسَ[5] اسْتُرْطُبان ذُو نُواسٍ اسْتُرْطُبان لا باس[6]. فنَظَرُوا إلى الكُوَّةِ، فإذا رأسُ لَخْنِيعَةَ مقطوعٌ، فخَرَجُوا فى أَثَرِ ذى نُواسٍ حتى أَدْرَكُوه، فقالوا: ما يَنْبَغِى أن يَمْلِكَنا غيرُك؛ إذ أَرَحْتَنا مِن هذا الخَبيثِ. فَمَلَّكُوه عليهم، واجْتَمَعَتْ عليه حِمْيَرُ وقبائلُ اليَمَنِ، فكان آخِرَ مُلُوكِ حِمْيَرَ، وتَسَمَّى يُوسُفَ، فأقامَ فى مُلْكِه زمانًا، وبنَجْرانَ بقايا مِن أهلِ دِينِ عيسى ابنِ مريمَ، عليه السَّلامُ، على الإنجيلِ، أهلُ فَضْلٍ واستقامةٍ مِن أهلِ دِينِهم، لهم رَأْسٌ يُقالُ له: عبدُ اللَّهِ [١/٢١٧و] بنُ الثَّامِرِ. ثُم ذَكَر ابنُ إسحاقَ[7] سَبَبَ دُخُولِ أهلِ نَجْرانَ فى دِينِ النَّصارَى، وأنَّ ذلك كان على يَدَىْ رَجُلٍ يُقالُ له: فَيْمَيُونُ. كان مِن عُبَّادِ النَّصارَى بأطرافِ الشَّامِ، وكان مُجابَ

---

(١) فى م: «جديدًا».

(٢) فى الأصل، ص: «فحثاها».

(٣) وَجَأَه باليد والسِّكين: ضربه. الوسيط (و ج أ).

(٤) فى الأصل، ا ٩، ص: «فقال».

(٥) قال ابن هشام فى السيرة ١/ ٣١: هذا كلام حمير، ونخماس: الرأس.

(٦) قال السهيلى فى الروض الأنف ١/ ١٩٠، ١٩١ موضِّحًا هذه العبارة: (وقوله: استرطبان ... إلى آخر الكلام، بمشكلٌ يفسره ما ذكره أبو الفرج فى الأغانى؛ قال: كان الغلام إذا خرج من عند لخنيعة وقد لاط به، قطعوا مَشافِر ناقته وذَنَبها، وصاحوا به: أَرَطب أم يَباس؟ فلما خرج ذو نواس من عنده، وركب ناقةً له، يُقال لها: السراب. قالوا: ذا نواس، أرطب أم يباس؟ فقال: «ستعلم الأحراسُ است ذى نواس، است رَطْبان أم يباس». فهذا اللفظ مفهوم. والذى وقع فى الأصل - أى سيرة ابن هشام - هذا معناه، ولفظه قريب من هذا، ولعلَّه تغيير فى اللفظ. واللَّه أعلم).

(٧) سيرة ابن هشام ٣١/١ - ٣٤. وتاريخ الطبرى ١١٩/٢ - ١٢١. وقد ساقه المصنف ههنا بمعناه.

الدَّعْوَةِ ، وصَحِبَه رجُلٌ يُقالُ له : صالحٌ . فكانا يَتَعَبَّدان يومَ الأحَدِ ، ويَعْمَلُ فَيْمَيُونُ بَقِيَّةَ الجُمُعَةِ فى البِناءِ ، وكان يَدْعُو للمَرْضَى والزَّمْنَى وأهْلِ العاهاتِ ، فَيُشْفَوْنَ ، ثُمَّ اسْتَأْسَرَه وصاحِبَه بعضُ الأعرابِ ، فباعُوهما بنَجْرانَ ، فكان الذى اشْتَرَى فَيْمَيُونَ ، يَراه إذا قام فى مُصَلَّاه بالبيتِ الذى هو فيه - فى اللَّيلِ - يَمْتَلِئُ عليه البيتُ نُورًا ، فأعْجَبَه ذلك مِن أمرِه ، وكان أهلُ نَجْرانَ يَعْبُدُون نخلةً طويلةً ، يُعَلِّقُونَ عليها حُلِيَّ نِسائِهم ، ويَعْكُفُون عندَها ، فقال فَيْمَيُونُ لسَيِّدِه : أرأيتَ إن دَعَوْتُ اللَّهَ على هذه الشَّجَرَةِ فهَلَكَتْ ، أتعلمون أنَّ الذى أنتم عليه باطِلٌ ؟ قال : نعم . فجَمَعَ له أهلَ نَجْرانَ ، وقام فَيْمَيُونُ إلى مُصَلَّاه ، فدعا اللَّهَ عليها ، فأرْسَلَ اللَّهُ عليها قاصِفًا ، فجَعَفَها مِن أصْلِها ورَماها إلى الأرضِ ، فاتَّبَعَه أهلُ نَجْرانَ على دِينِ النَّصْرانِيَّةِ ، وحَمَلَهم على شريعةِ الإنجيلِ ، حتى حَدَثَتْ فيهم الأحداثُ التى دَخَلَتْ على أهلِ دِينِهم بكُلِّ أرضٍ ، فمِن هُنالِك كانتِ النَّصْرانِيَّةُ بنَجْرانَ ، مِن أرضِ العربِ . ثُمَّ ذَكَر ابنُ إسحاقَ[1] قِصَّةَ عبدِ اللَّهِ بنِ الثَّامِرِ حينَ تَنَصَّر على يَدَىْ فَيْمَيُونَ ، وكيف قَتَلَه وأصحابَه ذُو نُواسٍ ، وخَدَّ لهم الأُخْدُودَ - وقال ابنُ هِشَامٍ[2] : وهو الحَفْرُ المُسْتَطِيلُ فى الأرضِ مِثْلُ الخَنْدَقِ - وأجَّجَ فيه النَّارَ وحَرَّقَهم بها ، وقَتَل آخَرِين ، حتى قَتَل قريبًا مِن عِشْرِين ألفًا ، كما قَدَّمْنا ذلك مَبْسُوطًا فى أخبارِ بنى إسْرائيلَ[3] ، وكما هو مُسْتَقْصًى فى تفسيرِ سُورةِ ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴾ [البروج : ١] من كتابِنا « التَّفْسِيرِ »[4] ، ولِلَّهِ الحمدُ .

---

(١) سيرة ابن هشام ٣٤/١ - ٣٦. وتاريخ الطبرى ١٢١/٢ - ١٢٣.

(٢) سيرة ابن هشام ٣٦/١.

(٣) انظر ما تقدم فى صفحة ٢٧ وما بعدها.

(٤) التفسير ٣٨٧/٨ - ٣٩٢.

ذِكْرُ[1] خُرُوجِ المُلْكِ بِاليمنِ مِن حِمْيَرَ ، وصَيْرُورَتِه[1] إلى الحَبَشَةِ السُّودَانِ

كما أَخْبَرَ بذلك شِقٌّ وسَطِيحٌ الكاهِنانِ[2] ؛ وذلك أَنَّه لم يَنْجُ مِن أهلِ نَجْرانَ إِلَّا رَجُلٌ واحدٌ ، يُقالُ له : دَوْسٌ ذُو ثُعْلُبانَ . على فَرَسٍ له[3] ، فسَلَكَ الرَّمْلَ[4] فأَعْجَزَهم ، فمَضَى على وَجْهِه ذلك حتى أتَى قَيْصَرَ مَلِكَ الرُّومِ ، فاسْتَنْصَرَه على ذِى نُواسٍ وجُنُودِه ، وأَخْبَرَه بما بَلَغ منهم ؛ وذلك لأَنَّه نَصْرانِيٌّ على دِينِهم ، فقال له : بَعُدَتْ بلادُك مِنَّا ، ولكنْ سأَكْتُبُ لك إلى مَلِكِ الحَبَشَةِ ، فإنَّه على هذا الدِّينِ ، وهو أَقْرَبُ إلى بلادِك . فكَتَبَ إليه يَأْمُرُه بنَصْرِه والطَّلَبِ بثَأْرِه . فقَدِمَ دَوْسٌ على النَّجاشِيِّ بكِتابِ قَيْصَرَ ، فبَعَثَ معه سبعين ألفًا مِن الحَبَشَةِ ، وأَمَّر عليهم رَجُلًا منهم ، يُقالُ له : أَرْيَاطُ . ومعه فى جندِه أَبْرَهَةُ الأَشْرَمُ ، فرَكِبَ أَرْياطُ البحرَ حتى نَزَل بساحِلِ اليمنِ ومعه دَوْسٌ ، وسار إليه ذُو نُواسٍ فى حِمْيَرَ ومَن أطاعَه مِن قبائلِ اليمنِ ، فلمَّا الْتَقَوْا انْهَزَمَ ذُو نُواسٍ

---

(١) سقط من : م .

(٢) تقدم فى صفحة ١١٧ - ١٢٠ .

(٣) قصة دوس هذا ، إلى دخول أرياط اليمن ، انظرها فى : سيرة ابن هشام ١/ ٣٧. وتاريخ الطبرى ٢/ ١٢٤، ١٢٥.

(٤) فى الأصل : « الرجل » .

وأصحابُه ، فلمَّا رَأَى ذُو نُواسٍ ما نَزَل به وبقَوْمِه ، وَجَّه[1] فَرَسَه فى البحرِ ثُمَّ ضَرَبَه ، فدَخَل فيه فَخاضَ به ضَحْضَاحَ البحرِ ، حتى أَفْضَى به إلى غَمْرَةٍ ، فأَدْخَلَه فيها ، فكان آخِرَ العَهْدِ به ، ودَخَل أَرْياطُ اليمنَ فمَلَكَها .

وقد ذَكَر ابنُ إسحاقَ هٰهنا أشعارًا للعربِ فيما وَقَع مِن هذه الكائِنَةِ الغريبةِ[2] ، وفيها فَصاحَةٌ وحَلاوَةٌ وبَلاغَةٌ وطَلاوَةٌ ، ولكنْ تَرَكْنا إيرادَها خَشْيَةَ الإِطالةِ وخَوفَ المَلالَةِ . وباللَّهِ المستعانُ .

---

(١) فى الأصل : «وجد» .

(٢) سيرة ابن هشام ٣٨/١ - ٤٠. وتاريخ الطبرى ١٢٥/٢ - ١٢٧.

ذِكْرُ[1] خُرُوجِ أبْرَهَةَ الأَشْرَمِ على أَرْيَاطَ، وَاخْتِلافِهِما

قال ابنُ إسحاقَ[2] ، فأقام أرْياطُ بأرضِ اليمنِ سنينَ[3] في سُلْطانِه ذلك ، ثُمَّ نازَعَه أبْرَهَةُ ، حتى تفَرَّقَتِ الحَبَشَةُ عليهما ، فانْحاز إلى كُلٍّ منهما طائفةٌ ، ثُمَّ سار أحَدُهما إلى الآخرِ ، فلمَّا تقارَبَ النّاسُ ، أرْسَلَ أبْرَهَةُ إلى أرْياطَ : إنَّك لا تَصْنَعُ بأن تُلْقِيَ الحَبَشَةَ بعضَها ببَعْضٍ ، حتى تُفْنِيَها ، شيئًا ، فابْرُزْ لى وأبْرُزُ لك ، فأيُّنا أصابَ صاحبَه ، انْصَرَفَ إليه جُنْدُه . فأرْسَل إليه أرْياطُ : أنْصَفْتَ . فخَرَجَ إليه أبْرَهَةُ ، وكان رَجُلًا قصيرًا لَحِيمًا ، وكان ذا دِينٍ في النَّصْرانِيَّةِ ، وخَرَج إليه أرْياطُ ، وكان رجُلًا جميلًا عظيمًا طويلًا ، وفي يَدِه حَرْبَةٌ له ، وخَلْفَ أبْرَهَةَ غُلامٌ ، يُقالُ له : عَتْوَدَةُ . يَمْنَعُ ظَهْرَه ، فرَفَعَ أرياطُ الحَرْبَةَ فضَرَبَ أبْرَهَةَ يُرِيدُ يافُوخَه ، فوَقَعَتِ الحَربةُ على جَبْهَةِ أبرهةَ ، فشَرَمَتْ حاجِبَه وعَيْنَه وأنْفَه وشَفَتَه ؛ فبذلك سُمِّىَ أبْرَهَةَ الأشْرَمَ ، وحَمَلَ عَتْوَدَةُ على أرْياطَ مِن خَلْفِ أبرهةَ ، [١/ ٢١٧ظ] فقتَلَه . وانْصَرَف جُنْدُ أرْياطَ إلى أبْرَهَةَ ، فاجْتَمَعَتْ عليه الحَبَشَةُ باليمنِ ، ووَدَى أبرهةُ أرْياطَ ، فلمَّا بَلَغ ذلك النَّجاشِيَّ - مَلِكَ الحَبَشَةِ الذى بَعَثَهم إلى

---

(١) سقط من : م .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٤١، ٤٢. وتاريخ الطبرى ٢/ ١٢٨ - ١٣٠.

(٣) فى الأصل ، ص ، ا ٩: « سنتين » . وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٤١. وتاريخ الطبرى ٢/ ١٢٨، ومروج الذهب ٢/ ٥٢.

اليمنِ – غَضِب غضبًا شديدًا على أبْرَهَةَ ، وقال : عدا على أمِيرِى ، فقَتَلَه بغيرِ أمْرِى . ثم حَلَف لا يَدَعُ أبرهةَ حتى يَطَأَ بِلادَه ، ويَجُزَّ ناصِيَتَه . فحَلَقَ أبرهةُ رَأْسَه ، ومَلأَ جِرابًا مِن تُرابِ اليمنِ ، ثُمَّ بَعَث به إلى النَّجاشِىِّ ، ثُمَّ كَتَب إليه : أيُّها المَلِكُ ، إنَّما كان أرياطُ عَبْدَك ، وأنا عبدُك ، فاخْتَلَفْنا فى أمرِك ، وكُلٌّ طاعَتُه لك ، إلَّا أنِّى كنتُ أقْوَى على أمرِ الحَبَشَةِ ، وأضْبَطَ لها ، وأسْوَسَ منه ، وقد حَلَقْتُ رَأْسِى كُلَّه ، حين بَلَغَنِى قَسَمُ المَلِكِ ، وبَعَثْتُ إليه بجِرابِ ترابٍ مِن أرْضِى ليَضَعَه تحتَ قَدَمَيْه ، فيَبَرَّ قَسَمَه فىَّ . فلمّا انْتَهَى ذلك إلى النَّجاشِىِّ ، رَضِىَ عنه ، وكَتَب إليه ؛ أن اثْبُتْ بأرضِ اليمنِ حتى يَأْتِيَك أمْرِى . فأقامَ أبْرَهَةُ باليمنِ .

ذِكْرُ[1] سَبَبِ قَصْدِ أبْرَهَةَ بالفيلِ مَكَّةَ ؛ ليُخْرِبَ الكَعْبَةَ

كما قال اللَّهُ تعالى[2] : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ [الفيل: ١- ٥].

قِيل : أوَّلُ مَن ذَلَّل الفِيَلَةَ أفْرِيدُونُ بنُ أثفيانَ[3] ، الذى قَتَل الضَّحَّاكَ . قاله[4] الطَّبَرِىُّ[5] . وهو أوَّلُ مَن اتَّخَذ للخَيْلِ السُّرُوجَ[5] . وأمَّا أولُ مَن سَخَّر الخيلَ ورَكِبَها فطهمورثُ ، وهو المَلِكُ الثالثُ مِن مُلُوكِ الدُّنيا[5] . ويُقالُ : إنَّ أولَ مَن رَكِبَها ، إسْماعيلُ بنُ إبْراهيمَ ، عليهما السَّلامُ[6] . ويَحْتَمِلُ أنَّه أولُ مَن رَكِبَها مِن العَرَبِ . واللَّهُ تعالى أعلمُ . ويُقالُ : إنَّ الفيلَ مع عِظَمِ خِلْقَتِه يَفْرَقُ مِن الهِرِّ[7] . وقد احْتَالَ بعضُ أُمَراءِ الحُرُوبِ فى قِتالِ الهُنُودِ ، بإحْضَارِ سَنانِيرَ إلى حَوْمَةِ الوَغَى فنَفَرَتِ الفِيَلَةُ[8] .

---

(١) سقط من : م .

(٢) التفسير ٨/٥٠٣ - ٥١١.

(٣) فى الأصل ، ا ٩، ص : « أسفيان » .

(٤) فى ا ٩: « ذكره » .

(٥) تاريخ الطبرى ١/ ٢١٤. وانظر الروض الأنف ١/ ٢٩١.

(٦) الروض الأنف ١/ ٢٩١.

(٧) الأوائل ، لأبى هلال العسكرى ٢/ ١٨٢.

(٨) الروض الأنف ١/ ٢٩١.

قال ابنُ إسحاقَ[1] : ثُمَّ إنَّ أبْرَهَةَ بَنَى القُلَّيْسَ بِصَنْعاءَ ، فبَنَى كَنِيسَةً لم يُرَ مِثْلُها - فى زَمانِها - بشىءٍ مِن الأرضِ ، ثُمَّ كَتَبَ إلى النَّجاشِيِّ : إنِّى قد بَنَيْتُ لك كنيسةً ، لم يُبْنَ مِثْلُها لمَلِكٍ كان قَبْلَك ، ولستُ بمُنْتَهٍ حتى أصْرِفَ إليها حَجَّ العَرَبِ .

فذَكَرَ السُّهَيْلِيُّ[2] ، أنَّ أبْرَهَةَ اسْتَذَلَّ أهلَ اليمنِ فى بِناءِ هذه الكنيسةِ الخَسِيسَةِ ، وسَخَّرَهم فيها أنْواعًا مِن السُّخَرِ ، وكان مَن تَأَخَّر عن العَمَلِ حتى تَطْلُعَ الشمسُ ، يَقْطَعُ يَدَه لا مَحالَةَ ، وجَعَل يَنْقُلُ إليها مِن قَصْرِ بِلْقِيسَ رُخامًا[3] وأحْجَارًا وأمْتِعَةً عظيمةً ، ورَكَّب فيها صُلْبانًا مِن ذهبٍ وفِضَّةٍ ، وجَعَل فيها مَنابِرَ مِن عاجٍ وآبِنُوسَ ، وجَعَل ارْتِفاعَها عظيمًا جدًّا ، واتِّساعَها باهِرًا ، فلمَّا هَلَكَ بعدَ ذلك أبْرَهَةُ ، وتَفَرَّقَتِ الحَبَشَةُ ، كان مَن تَعَرَّضَ لأَخْذِ شىءٍ مِن بِنائِها وأمْتِعَتِها ، أصابَتْه الجِنُّ بسُوءٍ ؛ وذلك لأنَّها كانت مَبْنِيَّةً على اسمِ صَنَمَيْن ؛ كُعَيْبٍ[4] وامْرَأَتِه ، وكان طُولُ كلٍّ منهما سِتِّين ذِراعًا ، فتَرَكَها أهلُ اليمنِ على حالِها ، فلم تَزَلْ كذلك إلى زمنِ السَّفَّاحِ ؛ أوَّلِ خُلَفاءِ بنى العَبَّاسِ ، فبَعَثَ إليها جماعةً مِن أهلِ العَزْمِ والحَزْمِ والعِلْمِ ، فنَقَضُوها حَجَرًا حجرًا ، ودَرَسَتْ آثارُها إلى يومِنا هذا .

قال ابنُ إسحاقَ[5] : فلمَّا تَحَدَّثَتِ العربُ بكتابِ أبْرَهَةَ إلى النَّجاشِيِّ ،

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٤٣. وتاريخ الطبرى ٢/ ١٣٠.

(٢) الروض الأنف ١/٢٤٥ - ٢٤٧.

(٣) فى الأصل : «ركاما».

(٤) فى الأصل ، ص : «لعيب».

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٤٣. وتاريخ الطبرى ٢/ ١٣٠.

غَضِب رجُلٌ مِن النَّسَأَةِ[1] مِن كِنانَةَ، الذين يَنْسَئُون[2] الشَّهْرَ الحرامَ إلى الحِلِّ، بمَكَّةَ أيامَ المَوْسِمِ، كما قَرَّرْنا ذلك عندَ قولِه تعالى[3] : ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾ [التوبة: ٣٧]. قال ابنُ إسحاقَ[4]. فخَرَجَ الكِنانِىُّ حتى أتَى القُلَّيْسَ، فقَعَدَ فيه؛ أىْ أحْدَثَ حيثُ لا يَراه أحدٌ، ثُمَّ خَرَج فلَحِق بأرضِه، فأُخبِرَ أبرهةُ بذلك، فقال: مَن صَنَع هذا؟ فقِيلَ له: صَنَعَه رجلٌ مِن أهلِ هذا البيتِ الذى تَحُجُّه العربُ بمكَّةَ؛ لمَّا سَمِع بقَوْلِك أنَّك تُرِيدُ أنْ تَصْرِفَ حَجَّ العربِ إلى بَيْتِك هذا، فغَضِبَ، فجاء فقَعَدَ فيه؛ أىْ أنَّه ليس لذلك بأهلٍ. فغَضِبَ أبرهةُ عندَ ذلك، وحَلَف ليَسِيرَنَّ إلى البيتِ حتى يَهْدِمَه، ثُمَّ أمَر الحَبَشَةَ فتَهَيَّأَتْ وتَجَهَّزَتْ، ثُمَّ سار وخَرَج معه بالفيلِ. وسَمِعَتْ بذلك العربُ، فأعْظَمُوه وفَظِعُوا[5] به، ورَأَوْا جِهادَه حقًّا عليهم حينَ سَمِعُوا بأنَّه يُرِيدَ هَدْمَ الكعبةِ؛ بيتِ اللَّهِ الحرامِ، فخَرَجَ إليه رجُلٌ كان مِن أشْرافِ أهلِ اليمنِ ومُلُوكِهم، يُقالُ له: ذو نَفْرٍ. فدعا قَوْمَه ومَن أجابَه مِن سائرِ العربِ، إلى حَرْبِ أبْرَهَةَ وجهادِه عن بيتِ اللَّهِ الحرامِ، وما يُرِيدُه مِن هَدْمِه وإخْرابِه، فأجابَه مَن أجابَه إلى ذلك، [٢١٨/١و] ثُمَّ عَرَضَ له فقاتَلَه، فهُزِمَ ذُو نَفْرٍ وأصحابُه، وأُخِذ له ذُو نفرٍ، فأُتِى به أسيرًا، فلمَّا أرادَ قَتْلَه، قال له ذُو نَفْرٍ: يا أيُّها المَلِكُ، لا تَقْتُلْنى؛ فإنَّه عسى أن يَكُونَ بَقائى معك خيرًا لك مِن القَتْلِ. فتَرَكَه مِن

(١) فى الأصل: «النشاءة».
(٢) فى الأصل: «ينشون».
(٣) التفسير ٤/ ٩١ - ٩٤.
(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٤٥ - ٤٧. وتاريخ الطبرى ٢/ ١٣٠ - ١٣٢.
(٥) فى الأصل: «قطعوا». وفظع بالأمر: استَعْظَمَه. الوسيط (ف ظ ع).

القتلِ ، وحَبَسه عندَه فى وَثاقٍ ، وكان أبْرَهَةُ رَجُلًا حليمًا ، ثُمَّ مَضَى أبْرَهَةُ على وجهِه ذلك ، يُرِيدُ ما خَرَج له ، حتى إذا كان بأرْضِ خَثْعَمٍ ، عَرَض له نُفَيْلُ بنُ حَبِيبٍ الخَثْعَمِيُّ فى قَبِيلَتَىْ خَثْعَمٍ ؛ وهما : شَهْرَانُ ونَاهِسٌ ، ومَن تَبِعَه مِن قبائلِ العربِ ، فقاتَلَه ، فهَزَمَه أبْرَهَـةُ وأُخِذ له نُفَيْلٌ أسيرًا ، فأُتِى به ، فلمَّا هَمَّ بقَتْلِه ، قال له نُفَيْلٌ : أيُّها المَلِكُ ، لا تَقْتُلْنِى ؛ فإنِّى دَلِيلُك بأرضِ العربِ ، وهاتانِ [1] يَدَاىَ لك [1] على قَبِيلَتَىْ خَثْعَمٍ - شَهْرَانَ ونَاهِسٍ - بالسَّمْعِ والطَّاعَةِ . فخلَّى سَبِيلَه ، وخَرَج به معه يَدُلُّه ، حتى إذا مَرَّ بالطَّائِفِ خَرَج إليه مَسْعُودُ بنُ مُعَتِّبِ [2] ابنِ مالكِ بنِ كَعْبِ بنِ عَمْرِو بنِ سعدِ بنِ عَوْفِ بنِ ثَقِيفٍ ، فى رِجالِ ثَقِيفٍ ، فقالوا له : أيُّها المَلِكُ ، إنَّما نحن عَبِيدُك ، سامِعُون لك ، مُطِيعُون ، ليس عندَنا لك خِلافٌ ، وليس بَيْتَنا [3] هذا البيتُ الذى تُرِيدُ - يَعْنُون اللَّاتَ - إنَّما تُرِيدُ البيتَ الذى بمَكَّةَ ، ونحن نَبْعَثُ معك مَن يَدُلُّك عليه . فتَجاوَزَ عنهم .

قال ابنُ إسحاقَ [4] : واللَّاتُ بَيْتٌ لهم بالطَّائِفِ ، كانوا يُعَظِّمُونَه نَحْوَ تعظيمِ الكعبةِ . قال [5] : فبَعَثُوا معه أبا رِغَالٍ يَدُلُّه على الطَّرِيقِ إلى مَكَّةَ ، فخَرَج أبرهةُ ومعه أبو رِغالٍ ، حتى أنْزَلَه بالمُغَمِّسِ ، فلمّا أنْزَلَه به مات أبو رِغالٍ هُنالِك ، فرَجَمَتْ قَبْرَه العربُ ، فهو القبرُ الذى يَرْجُمُ النّاسُ بالمُغَمِّسِ . وقد تَقَدَّم فى قِصَّةِ ثَمُودَ [6] ، أنَّ أبا رِغالٍ كان رَجُلًا منهم ، وكان يَمْتَنِعُ بالحَرَمِ ، فلمَّا خَرَج منه ،

(١ - ١) فى الأصل : « يراى ذلك » .

(٢) فى الأصل : « متعب » . وفى ص : « مصعب » .

(٣) فى الأصل : « بيننا » .

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٤٧.

(٥) أى ابن إسحاق ، انظر سيرة ابن هشام ١/ ٤٧، ٤٨. وتاريخ الطبرى ٢/ ١٣٢.

(٦) تقدم ١/ ٣١٨.

أصابَه حَجَرٌ فقَتَلَه ، وأنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، قال لأَصحابِه : « وآيَةُ ذَلِكَ أنَّه دُفِنَ مَعَهُ غُصْنَانِ مِنْ ذَهَبٍ »[1] . فحَفَرُوا فوَجَدُوهما ، قال : وهو أبو ثَقِيفٍ .

قلتُ : والجَمْعُ بينَ هذا وبينَ ما ذَكَر ابنُ إسحاقَ ، أنَّ أبا رِغالٍ هذا المُتَأَخِّرَ ، وافَقَ اسمُه اسمَ جَدِّه الأعْلَى ، ورَجَمَه النَّاسُ كما رَجَمُوا قبرَ الأوَّلِ أيضًا . واللَّهُ أعلمُ . وقد قال جَرِيرٌ[2] :

إذا ماتَ الفَرَزْدَقُ فارْجُمُوهُ كرَجْمِكُمْ لِقَبْرِ أبِى رِغَالِ

الظَّاهِرُ أنَّه الثَّانِى .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : فلمَّا نَزَل أبْرَهَةُ بالمُغَمِّسِ[4] ، بَعَث رجُلًا مِن[5] الحَبَشَةِ ، يُقالُ له : الأسْوَدُ بنُ مَقْصُودٍ[6] . على خَيْلٍ له ، حتى انْتَهَى إلى مكَّةَ ، فساقَ إليه أمْوالَ أهلِ تِهامَةَ ، مِن قُرَيْشٍ وغيرِهم ، وأصاب فيها مِائَتَىْ بعيرٍ لعبدِ المُطَّلِبِ بنِ هاشِمٍ ، وهو يومَئذٍ كبيرُ قريشٍ وسَيِّدُها ، فهَمَّتْ قريشٌ وكِنانَةُ وهُذَيْلٌ ومَن كان بذلك الحَرَمِ بقِتالِه ، ثُمَّ عَرَفُوا أنَّه لا طاقَةَ لهم به . فتَرَكُوا ذلك ، وبَعَث أبْرَهَةُ حُناطَةَ الحِمْيَرِىَّ إلى مكَّةَ ، وقال له : سَلْ عن سَيِّدِ أهلِ هذا

---

(١) تقدم تخريجه فى ١/ ٣١٨.

(٢) ديوان جرير ٢/ ٥٤٧. وعنده الشطر الثانى هكذا :

* كما تَرمُون قبرَ أبى رغالِ *

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٤٨ - ٥٠. وتاريخ الطبرى ٢/ ١٣٢ - ١٣٤.

(٤) فى الأصل : « المنغمس » .

(٥) فى الأصل : « إلى » .

(٦) فى الأصل، ص : « منصور » . وفى ا ٩، م : « مفصود » . والمثبت من سيرة ابن هشام ١/ ٤٨. وانظر تاريخ الطبرى ٢/ ١٣٢.

البلدِ وشريفِهم ، ثُمَّ قُل له : إنَّ المَلِكَ يَقُولُ : إنِّى لم آتِ لحَرْبِكم ، إنَّما جِئْتُ لهَدْمِ هذا البيتِ ، فإن لم تَعَرَّضُوا لنا دُونَه بحربٍ ، فلا حاجَةَ لى بدمائِكم ، فإن هو لم يُرِدْ حَربى فَأْتِنِى به . فلمَّا دَخَل حُناطَةُ مَكَّةَ سَأَل عن سَيِّدِ قُرَيْشٍ وشريفِها ، فقِيلَ له : عبدُ المُطَّلِبِ بنُ هاشمٍ . فجاءَه فقال له ما أمَرَه به أَبْرَهَةُ ، فقال له عبدُ المُطَّلِبِ : واللَّهِ ما نُرِيدُ حربَه ، وما لنا بذلك مِن طَاقةٍ ، هذا بيتُ اللَّهِ الحرامُ ، وبيتُ خَليلِه إبراهيمَ ، عليه السَّلامُ - أوْ كما قال - فإن يَمْنَعْه منه ، فهو حَرَمُه[1] وبيتُه ، وإن يُخَلِّ[2] بينَه وبينَه ، فواللَّهِ ما عندَنا دَفْعٌ عنه . فقال له حُناطَةُ : فانْطَلِقْ معى إليه ، فإنَّه قد أمَرَنى أن آتِيَه بك . فانْطَلَق معه عبدُ المُطَّلِبِ ، ومعه بعضُ بَنِيهِ ، حتى أَتَى العَسْكَرَ ، فسَأَل عن ذِى نَفْرٍ ، وكان له صديقًا ، حتى دَخَل عليه وهو فى مَحْبِسِه ، فقال له : يا ذا نَفْرٍ ، هل عندَك مِن غَنَاءٍ فيما نَزَل بنا ؟ فقال له ذُو نَفْرٍ : وما غَناءُ رجُلٍ أسيرٍ بيَدَىْ مَلِكٍ ، يَنْتَظِرُ أن يَقْتُلَه غُدُوًّا أو عَشِيًّا ؟ ما عندِى غَناءٌ فى شىءٍ ممَّا نَزَل بك ، إلَّا أنَّ أُنَيْسًا سائِسَ الفيلِ صديقٌ لى ، فسأُرْسِلُ إليه وأُوصِيه بك ، وأُعْظِمُ عليه حَقَّك ، وأسْأَلُه أن يَسْتَأْذِنَ لك على المَلِكِ ، فتُكَلِّمَه بما بَدا لك ، ويَشْفَعَ لك عندَه بخيرٍ ، إن قَدَر على ذلك . فقال : حَسْبِى . فبَعَثَ ذو نَفْرٍ إلى أُنَيْسٍ فقال له : إنَّ عبدَ المُطَّلِبِ سَيِّدُ قريشٍ ، وصاحبُ عِيرِ[3] مَكَّةَ ، يُطْعِمُ النَّاسَ بالسَّهْلِ ، والوُحُوشَ فى رُءُوسِ الجبالِ ، وقد أصابَ له المَلِكُ مائتَىْ بعيرٍ ، فاسْتَأْذِنْ له عليه ، وانْفَعْه[4] عندَه بما

---

(١) فى الأصل ، ص : « حرمته » .

(٢) فى الأصل : « يحل » .

(٣) فى النسخ كلها : « عين » . وكذا فيما سيأتى فى كلام المصنف . والمثبت من سيرة ابن هشام ١/ ٤٩ . وانظر تاريخ الطبرى ٢/ ١٣٣ .

(٤) فى الأصل : « وانفقه » .

[٢١٨/١ظ] اسْتَطَعْتَ . قال : أَفْعَلُ . فكَلَّمَ أُنَيْسٌ أبْرَهَةَ ، فقال له : أيُّها الملِكُ ، هذا سيِّدُ قُرَيشٍ ببابِك يَسْتَأْذِنُ عليك ، وهو صاحِبُ عِيرِ مكَّةَ ، وهو الذى يُطْعِمُ النَّاسَ بالسَّهْلِ ، والوُحُوشَ فى رُءُوسِ الجبالِ ، فَأْذَنْ له عليك ، فَلْيُكَلِّمْكَ فى حاجَتِه . فأَذِنَ له أبرهةُ . قال : وكان عبدُ المُطَّلِبِ أوْسَمَ النَّاسِ وأعْظَمَهم وأجْمَلَهم ، فلمَّا رآه أبرهةُ ، أجَلَّه وأكْرَمَه عن أن يُجْلِسَه تحته ، وكَرِه أن تَراه الحَبَشَةُ يُجْلِسُه معه على سريرِ مُلْكِه ، فنَزَل أبرهةُ عن سَريرِه ، فجَلَس على بِساطِه وأجْلَسَه معه عليه إلى جانِبِه ، ثُمَّ قال لتَرْجُمانِه : قُل له : حاجَتَك . فقال له ذلك التُّرْجُمانُ ، فقال : حاجَتِى أن يَرُدَّ عَلَىَّ الملِكُ مائَتَىْ بعيرٍ أصابَها لى . فلمَّا قال له ذلك ، قال أبرهةُ لتُرْجُمانِه : قُل له : لقد كُنتَ أعْجَبْتَنِى حينَ رَأَيْتُك ، ثُمَّ قد زَهِدْتُ فيك حينَ كَلَّمْتَنِى ، أتُكَلِّمُنى فى مائَتَىْ بعيرٍ أصَبْتُها لك ، وتَتْرُكُ بيْتًا هو دِينُك ودينُ آبائِك ، قد جِئْتُ لأَهْدِمَه ، لا تُكَلِّمُنى فيه ؟ فقال له عبدُ المُطَّلِبِ : إنِّى أنا رَبُّ الإبِلِ ، وإنَّ للبيتِ ربًّا سيَمْنَعُه . فقال : ما كان ليَمْتَنِعَ مِنِّى . قال : أنت وذاك . فرَدَّ على عبدِ المُطَّلِبِ إبِلَه . قال ابنُ إسحاقَ[(١)] : ويُقالُ : إنَّه كان قد دَخَل مع عبدِ المُطَّلِبِ على أبْرَهَةَ يَعْمَرُ بنُ نُفاثَةَ ابنِ عَدِىِّ بنِ الدُّئِلِ بنِ بكرِ بنِ عبدِ مَناةَ بنِ كِنانَةَ ، سَيِّدُ بنى بَكْرٍ ، وخُوَيْلِدُ بنُ واثِلَةَ[(٢)] ، سَيِّدُ هُذَيْلٍ ، فعَرَضُوا على أبرهةَ ثُلُثَ أموالِ تِهامَةَ ، على أن يَرْجِعَ عنهم ولا يَهْدِمَ البيتَ ، فأَبَى عليهم ذلك . فاللَّهُ أعلمُ أكان ذلك أم لا . فلمَّا انْصَرَفُوا عنه انْصَرَف عبدُ المُطَّلِبِ إلى قُرَيْشٍ فأخْبَرَهم الخَبَرَ ، وأمَرَهم بالخُرُوجِ

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٥٠، ٥١، وتاريخ الطبرى ٢/ ١٣٤، ١٣٥.

(٢) فى م: «وائلة».

مِن مكَّةَ والتَّحَرُّزِ فى رُءُوسِ الجبالِ، ثُمَّ قام عبدُ المُطَّلِبِ فأخَذَ بحَلْقَةِ بابِ الكعبةِ، وقام معه نَفَرٌ مِن قُرَيشٍ، يَدْعُون اللَّهَ ويَسْتَنْصِرُونَه على أبرهةَ وجُندِه. وقال عبدُ المُطَّلِبِ وهو آخِذٌ بحَلْقَةِ بابِ الكعبةِ:

لَاهُمَّ[1] إنَّ العَبْدَ[2] يَمْـ ـنَعُ رَحْلَهُ فَامْنَعْ حِلَالَكْ[3]

لا يَغْلِبَنَّ صَلِيبُهُمْ ومِحَالُهُمْ[4] غَدْوًا[5] مِحالَكْ

[6]إنْ كُنْتَ تارِكَهُمْ وقِبْـ ـلَتَنا فأَمْرٌ ما بَدَا لَكْ[6]

قال ابنُ هِشامٍ[7]: هذا ما صَحَّ له منها. قال ابنُ إسحاقَ[8]: ثُمَّ أرْسَلَ عبدُ المُطَّلِبِ حَلْقَةَ بابِ الكعبةِ، وانْطَلَق هو ومَن معه مِن قُرَيشٍ إلى شَعَفِ[9] الجبالِ، يَتَحَرَّزُون فيها، يَنْتَظِرون ما أبْرَهَةُ فاعِلٌ. فلمَّا أصْبَحَ أبرهةُ، تَهَيَّأَ لدُخُولِ مَكَّةَ، وهَيَّأَ فِيلَه، وعَبَّى جيشَه، وكان اسمُ الفيلِ محمودًا، فلمَّا وَجَّهُوا الفيلَ إلى مَكَّةَ، أقْبَلَ نُفَيْلُ بنُ حَبِيبٍ حتى قام إلى جَنْبِ الفيلِ، ثُمَّ أخَذ

---

(١) فى الأصل، ا ٩، ص: «اللهم».
(٢) فى الأصل، ا ٩، ص: «المرء».
(٣) فى ا ٩، م، ص: «رحالك». والحِلال: القوم النُّزُول. وجماعة بيوت الناس.
(٤) المحال: التدبير، والقُدرة، والقوة، والشِّدَّة. وله معان أخرى غير ذلك. انظر القاموس المحيط (م ح ل).
(٥) فى الأصل، ا ٩: «عدوا». والغَدْو: الغَدُ. ولم يستعمل تامًّا إلا فى الشعر.
(٦ - ٦) سقط من: الأصل، ا ٩، ص.
(٧) سيرة ابن هشام ١/ ٥١.
(٨) سيرة ابن هشام ١/ ٥٢، ٥٣. وانظر تاريخ الطبرى ٢/ ١٣٥، ١٣٦.
(٩) فى الأصل: «سقف». والشَّعَف: جمع شَعَفَة، بفتح الشين والعين والفاء؛ رأس الجبل. القاموس المحيط (ش ع ف).

بأُذُنِه فقال : ابْرُكْ محمودُ ، وارْجِعْ راشِدًا مِن حيثُ أَتَيْتَ ؛ فإِنَّك فى بلدِ اللَّهِ الحَرامِ . وأرْسَل أُذُنَه ، فبَرَكَ الفيلُ .

قال السُّهَيْلِىُّ[1] : أى سَقَط إلى الأرضِ ، وليس مِن شَأْنِ الفِيَلَةِ أن تَبْرُكَ ، وقد قِيل : إِنَّ منها ما يَبْرُكُ كالبعيرِ . فاللَّهُ أعلمُ .

وخَرَج نُفَيْلُ بنُ حَبِيبٍ يَشْتَدُّ حتى أَصْعَدَ[2] فى الجبلِ ، وضَرَبُوا الفيلَ ليَقُومَ ، فأَبَى ، فضَرَبوا فى رَأْسِه بالطَّبَرْزِينِ[3] ليَقُومَ ، فأَبَى ، فأَدْخَلُوا مَحَاجِنَ[4] لهم فى مَرَاقِّه[5] ، فبَزَغُوه[6] بها ليَقُومَ ، فأَبَى ، فوَجَّهُوه راجِعًا إلى اليمنِ ، فقام يُهَرْوِلُ ، ووَجَّهُوه إلى الشَّامِ ، ففَعَلَ مِثْلَ ذلك ، ووَجَّهُوه إلى المَشْرِقِ ، ففَعَلَ مثلَ ذلك ، ووَجَّهُوه إلى مَكَّةَ فبَرَكَ ، وأرْسَل اللَّهُ عليهم طَيْرًا مِن البَحْرِ أمْثَالَ الخَطَاطِيفِ[7] والبَلَسانِ[8] ، مع كلِّ طائرٍ منها ثلاثةُ أحْجارٍ يَحْمِلُها ؛ حَجَرٌ فى مِنْقارِه ، وحَجَرانِ فى رِجلَيْه ، أمْثالُ الحِمَّصِ والعَدَسِ ، لا تُصِيبُ منهم أحدًا إلَّا

---

(١) الروض الأنف ١/ ٢٦٩.

(٢) أصعد : ارتقى . الوسيط (ص ع د) .

(٣) الطَّبَرْزِين: فارسىٌّ . وتفسيره : فَاس السَّرْجِ . لأن فرسان العجم تحمله معها يُقاتلون به . المعرب للجواليقى ص ٢٧٦.

(٤) فى الأصل ، ص : « محاجز » . وفى ا ٩: « محاز » . والمحاجِن : جمع مِحْجَن ، وهو العصا المُعْوَجَّة . القاموس المحيط (ح ج ن) .

(٥) فى الأصل ، ص : « مراته » . والمَرَاقُّ : ما سَفَل من البطن عند الصِّفاق أسْفَل من السُّرَّة . اللسان (ر ق ق) .

(٦) فى الأصل : « فبرعنوه » . وفى ا ٩: « فنزعوه » . وفى ص : « فبرغوه » . وبَزَغ دَمَه : أساله . اللسان (ب ز غ) .

(٧) الخطاطيف : جمع خُطَّاف ، وهو طائرٌ أسود . القاموس المحيط (خ ط ف) .

(٨) فى الأصل ، ص : « اللسان » . والبَلَسان : « قال عباد بن موسى : أظنُّها الزرازير » . غريب الحديث لابن الأثير ١/ ١٥٢. والزرازير: جمع زُرْزُور؛ طائر من رُتبة العُصفوريّات . الوسيط (ز ر ز ر) .

هَلَك ، وليس كُلُّهم أصابَتْ ، وخَرَجُوا هارِبين ، يَبْتَدِرُون الطَّرِيقَ التى منها جاءوا ، ويسألون عن نُفَيْلِ بنِ حَبِيبٍ ؛ ليَدُلَّهم على الطريقِ إلى اليمنِ ، فقال نُفَيْلٌ فى ذلك :

أَلَا حُيِّيتِ عَنَّا يا رُدَيْنَا ... نَعِمْناكُم مَعَ الإِصْباحِ عَيْنَا

رُدَيْنَةُ لو رَأَيْتِ[1] ولا تَرَيْهِ ... لَدَى جَنْبِ المُحَصَّبِ[2] ما رَأَيْنا

إِذَنْ لَعَذَرْتِنى [3]وحَمِدْتِ أَمْرِى[3] ... ولم تَأْسَىْ على ما فاتَ بَيْنَا[4]

حَمِدْتُ اللَّهَ إِذْ أَبْصَرْتُ طَيْرًا ... وخِفْتُ حِجارَةً تُلْقَى[5] عَلَيْنا

وكُلُّ القَوْمِ يَسْأَلُ عن نُفَيْلٍ ... كأَنَّ عَلَىَّ لِلْحُبْشانِ دَيْنَا

قال ابنُ إسحاقَ[6] : فخَرَجُوا يَتَساقَطُون بكلِّ طَرِيقٍ ، ويَهْلِكُون بكلِّ مَهْلِكٍ ، على كلِّ مَنْهَلٍ ، وأُصِيبَ أَبْرَهَةُ فى جَسَدِه ، وخَرَجُوا به معهم ، تَسْقُطُ أنامِلُه أُنْمُلَةً أُنْمُلَةً ، كُلَّما سَقَطَتْ أُنْمُلَةٌ ، أَتْبَعَتْها منه مِدَّةٌ تَمِثُّ[7] قَيْحًا ودَمًا ، حتى قَدِمُوا به صَنْعاءَ ، وهو مِثْلُ فَرْخِ الطَّائِرِ ، فما مات حتى انْصَدَعَ صَدْرُه عن قَلْبِه ، فيما يَزْعُمُون .

---

(١) فى الأصل ، ص : « ترين » .
(٢) المحصَّب : موضع فيما بين مكة ومنى ، وهو إلى منى أقرب ، وهو بطحاء مكة . معجم البلدان .
(٣ - ٣) فى ص : « جهدت أمورى » .
(٤) البَيْن : الفِراق والفَوات .
(٥) فى الأصل ، ا ٩ ، ص : « ترمى » .
(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٥٤ ، وتاريخ الطبرى ٢/ ١٣٦ ، ١٣٧ .
(٧) فى النسخ : « تمت » . والتصحيح من سيرة ابن هشام . وتَمِثُّ : تَسِيل .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : حَدَّثَنى يعقوبُ بنُ عُتْبَةَ ، أنَّه حُدِّث [١/٢١٩و] أنَّ أوَّلَ ما رُئِيَتِ الحَصْبَةُ والجُدَرِيُّ بأرضِ العربِ ، ذلك العامُ ، وأنَّه أوَّلُ ما رُئِىَ بها مَرَائِرُ الشَّجَرِ الحَرْمَلِ والحَنْظَلِ والعُشَرِ[2] ، ذلك العامُ .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : فلمَّا بَعَث اللَّهُ محمَّدًا ﷺ ، كان مِمَّا يَعُدُّ اللَّهُ على قُرَيشٍ مِن نِعْمَتِه عليهم وفَضْلِه ، ما رَدَّ عنهم مِن أمرِ الحَبَشَةِ ، لبَقاءِ أمرِهم ومُدَّتِهم ، فقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ﴾ [الفيل : ١- ٥] .

ثُمَّ شَرَع ابنُ إسحاقَ وابنُ هِشامٍ يَتَكَلَّمان على تفسيرِ هذه السُّورةِ والتى بعدَها[4] ، وقد بَسَطْنا القولَ فى ذلك فى كتابِنا « التفسيرِ »[5] ، بما فيه كفايةٌ ، إن شاء اللَّهُ تعالى ، وله الحمدُ والمِنَّةُ .

قال ابنُ هِشامٍ[6] : الأبابِيلُ : الجَماعاتُ ، ولم تَتَكَلَّمْ لها العربُ بواحِدٍ عَلِمْناه . قال : وأمَّا السِّجِّيلُ ، فأخْبَرَنى يونسُ النَّحْوِىُّ وأبو عُبَيْدَةَ ، أنَّه عندَ العربِ : الشَّدِيدُ الصُّلْبُ . قال[6] : وزَعَم بعضُ المُفَسِّرين أنَّهما كَلِمَتان

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٥٤. وانظر تاريخ الطبرى ٢/ ١٣٦، ١٣٧. وتفسيره ٣٠/ ٣٠٣.
(٢) المرائر : جمع مُرَّة . والحَرْمَل : حبٌّ كالسمسم ، واحدته حَرْمَلَة . اللسان (حرمل) . والعشر : شجرٌ له صَمغٌ ، وفيه حُراقٌ مِثْل القُطن يُقتدَح به . اللسان (ع ش ر) .
(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٥٤، ٥٥.
(٤) سيرة ابن هشام ١/٥٥ - ٥٧.
(٥) التفسير ٨/٥٠٣ - ٥١٣.
(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٥٥.

بالفارِسيَّةِ ، جَعَلَتْهما العربُ كلمةً واحدةً ، وأنَّها « سِنْجٌ » و « جِلٌّ » ؛ فالسِّنْجُ : الحَجَرُ ، والجِلُّ : الطِّينُ . يقولُ[1] : الحِجارةُ[2] مِن هذَيْن الجِنْسَيْنِ ؛ الحَجَرِ والطِّينِ . قال : والعَصْفُ : وَرَقُ الزَّرْعِ الذى لم يُقْصَبْ[3] . وقال الكِسائيُّ[4] : سَمِعتُ بعضَ النَّحْويِّين يقولُ : واحدُ الأَبابِيلِ : إِبِّيلٌ . وقال كَثيرٌ مِن السَّلَفِ[5] : الأَبابِيلُ : الفِرَقُ مِن الطَّيْرِ التى يَتْبَعُ بعضُها بَعْضًا مِن هاهنا وهاهنا . وعن ابنِ عباسٍ[6] : كان لها خَراطِيمُ كخَراطِيمِ الطَّيْرِ ، وأَكُفٌّ كأَكُفِّ الكِلابِ . وعن عِكْرِمَةَ[7] : كانت رُءُوسُها كرُءُوسِ السِّباعِ ، خَرَجَتْ عليهم مِن البحرِ ، وكانت خُضْرًا . وقال عُبَيْدُ بنُ عُمَيْرٍ[8] : كانت سُودًا بَحْرِيَّةً ، فى مَناقِيرِها وأَكُفِّها الحِجارَةُ . وعن ابنِ عباسٍ[9] : كانت أشكالُها كعَنْقَاءِ مُغْرِبٍ[10] . وعن ابنِ عباسٍ[11] : كان أصْغَرُ حَجَرٍ منها كرأسِ الإنسانِ ، ومنها ما هو كالإِبِلِ . وهكذا ذَكَره يونسُ بنُ بُكَيْرٍ ، عن ابن إسحاقَ[11] . وقيل : كانت

---

(١) فى سيرة ابن هشام : « يعنى » .

(٢) سقط من : الأصل ، ا ٩ .

(٣) قَصَب الشىءَ : قَطَعَه . تاج العروس (ق ص ب) .

(٤) انظر التفسير ٨/ ٥٠٨ . وتفسير الطبرى ٣٠/ ٢٩٦ .

(٥) التفسير ٨/ ٥٠٨ . وتفسير الطبرى ٣٠/ ٢٩٧ . ودلائل النبوة للبيهقى ١/ ١٢٣ .

(٦) التفسير ٨/ ٥٠٨ . وتفسير الطبرى ٣٠/ ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، من طريقين عن ابن عباس . ودلائل النبوة للبيهقى ١/ ١٢٢ ، ١٢٣ .

(٧) التفسير ٨/ ٥٠٨ . وتفسير الطبرى ٣٠/ ٢٩٨ .

(٨) التفسير ٨/ ٥٠٨ . وتفسير الطبرى ٣٠/ ٢٩٨ .

(٩) التفسير ٨/ ٥٠٨ .

(١٠) عنقاءُ مُغرِبٌ ، ومُغرِبةٌ ، ومُغْرِبٍ - مضافةً - : طائر معروفُ الاسم لا الجسم ، أو طائر عظيم يُبعِد فى طيرانه . القاموس المحيط (غ ر ب) .

(١١) الروض الأنف ١/ ٢٧٠ .

صِغَارًا[1] . واللَّهُ أعلمُ .

وقال ابنُ أبى حاتمٍ[2] : حَدَّثَنا أبو زُرْعَةَ ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ أبى شَيْبَةَ ، حَدَّثنا أبو مُعاويةَ ، عن الأعْمَشِ ، عن أبى سُفيانَ ، عن عُبَيْدِ بنِ عُمَيْرٍ قال : لمَّا أراد اللَّهُ أن يُهْلِكَ أصحابَ الفيلِ ، بَعَث عليهم طَيْرًا أُنْشِئَتْ مِن البَحْرِ ، أمْثالَ الخَطاطِيفِ ، كلُّ طَيْرٍ منها يَحْمِلُ ثلاثةَ أحْجارٍ مُجَزَّعَةٍ[3] ، حَجَرَيْن فى رِجْلَيْه ، وحَجَرًا فى مِنْقارِه . قال : فجاءتْ حتى صَفَّتْ[4] على رُءُوسِهم ، ثُمَّ صاحَتْ وألْقَتْ ما فى رِجْلَيْها ومَناقِيرِها ، فما يَقَعُ حَجَرٌ على رأسِ رَجُلٍ ؛ إلَّا خَرَج مِن دُبُرِه ، ولا يَقَعُ على شىءٍ مِن جَسَدِه ، إلَّا خَرَج مِن الجانِبِ الآخَرِ ، وبَعَث اللَّهُ رِيحًا شديدةً فضَرَبَتِ الحِجارَةَ فزادَتْها شِدَّةً ؛ فأُهْلِكُوا جميعًا .

وقد تَقَدَّم أنَّ ابنَ إسحاقَ قال : وليس كُلُّهم أصابَتْه الحِجارةُ . يَعْنِى : بل رَجَع منهم راجِعُون إلى اليمنِ ، حتى أخْبَرُوا أهْلَهم بما حَلَّ بقَوْمِهم مِن النَّكالِ . وذَكَرُوا أنَّ أبْرَهَةَ رَجَع وهو يَتَساقَطُ أُنْمُلَةً أُنْمُلَةً ، فلمَّا وَصَل إلى اليمنِ ، انْصَدَع صَدْرُه فمات ، لَعَنَه اللَّهُ . (٥ورَوَى ابنُ إسحاقَ[6] قال : حَدَّثَنِى٥)

(١) أكبر من العَدَسة وأصغر من الحمصة ، كما روى الطبرى بإسناده إلى موسى بن أبى عائشة وغيره . انظر تفسيره ٣٠/ ٢٩٩.

(٢) التفسير ٨/ ٥٠٨، ٥٠٩. وذكره السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٣٩٥، وعزاه لابن أبى حاتم وغيره .

(٣) سقط من : م . وفى الأصل، ص : « فجرعه » . وفى ا ٩: « مجزأه » . والمجَزَّع : كل ما فيه سواد وبياض . القاموس المحيط (ج ز ع) .

(٤) فى الأصل : « صفقت » .

(٥ - ٥) سقط من : ا ٩.

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٥٧. ودلائل النبوة للبيهقى ١/ ١٢٥.

(١ عبدُ اللّهِ بنُ أبى بكرٍ، عن عَمْرَةَ[٢](١)، عن عائشةَ قالت: لقد رأيتُ قائِدَ الفيلِ وسائِسَه بمكَّةَ أعْمَيَيْنِ مُقْعَدَيْنِ يَسْتَطْعِمان. وتَقَدَّم أنَّ سائِسَ الفيلِ كان اسمُه أُنَيْسًا، فأمَّا قائِدُه فلم يُسَمَّ. واللّهُ أعلمُ.

وذَكَر النَّقَّاشُ فى «تفسيرِه»، أنَّ السَّيْلَ احْتَمَلَ جُثَثَهم، فألْقاها فى البحرِ[٣].

قال السُّهَيْلِىُّ[٤]: وكانت قِصَّةُ الفيلِ أوَّلَ المُحَرَّمِ مِن سَنَةِ سِتٍّ وثمانِين وثَمانِمائةٍ مِن تاريخِ[٥] ذِى القَرْنَيْنِ[٦].

قلتُ: وفى عامِها وُلِد رسولُ اللّهِ ﷺ، على المَشْهُورِ. وقيل: كان قبلَ مَوْلِدِه بِسِنِين[٧]، كما سَنَذْكُرُ، إن شاءَ اللّهُ تعالى، وبه الثِّقَةُ.

ثُمَّ ذَكَر ابنُ إسحاقَ ما قالَته العربُ مِن الأشعارِ[٨] فى هذه الكائِنَةِ العظيمةِ، التى نَصَر اللّهُ فيها بيتَه الحرامَ، الذى يُرِيدُ أن يُشَرِّفَه ويُعَظِّمَه ويُطَهِّرَه ويُوَقِّرَه بِبِعْثَةِ محمَّدٍ ﷺ، وما يَشْرَعُ له مِن الدِّينِ القويمِ، الذى أحدُ أرْكانِه

(١ - ١) سقط من: ١ ٩.

(٢) فى النسخ: «سمرة». والتصحيح من سيرة ابن هشام والدلائل للبيهقى.

(٣) انظر الروض الأنف ١/ ٢٧٠.

(٤) الروض الأنف ١/ ٢٧٠.

(٥) سقط من: الأصل، ١ ٩، ص.

(٦) كذا فى النسخ. والذى عند السهيلى، فى الروض: «من سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة من تاريخ ذى القرنين». والصواب ما أثبتناه من النسخ، وهو ما قرره المصنف نفسه فيما سيأتى فى صفحة ١٥٧.

(٧) انظر فى إيراد الأقوال المتعلقة بعام مولد النبى ﷺ، تفسير القرطبى ٢٠/ ١٩٤، ١٩٥.

(٨) سيرة ابن هشام ١/ ٥٧ - ٦١.

الصَّلاةُ، بل عِمادُ دِينِه، وسيَجْعَلُ قِبْلَتَه إلى هذه الكعبةِ المُطَهَّرَةِ، ولم يَكُنْ ما فَعَلَه بأصحابِ الفيلِ نُصْرَةً لقُرَيشٍ إذ ذاك على النَّصارَى، الذين هم الحَبَشَةُ؛ فإنَّ الحبشةَ [١/٢١٩ظ] إذ ذاك كانوا أقْرَبَ لها مِن مُشْرِكى قُرَيشٍ، وإنَّما كان النَّصْرُ للبيتِ الحرامِ، وإرْهاصًا وتَوْطِئَةً لبِعْثَةِ محمدٍ ﷺ. فمِن ذلك ما قاله عبدُ اللَّهِ بنُ الزِّبَعْرَى[1] السَّهْمِىُّ:

فَتَنَكَّلُوا[2] عن بَطْنِ مَكَّةَ إنَّها ... كانتْ قديمًا لا يُرامُ حَرِيمُها

لم تُخْلَقِ الشِّعْرَى[3] لَيالِىَ حُرِّمَتْ ... إذْ لا عَزِيزَ مِن الأنامِ يَرُومُها

سَائِلْ أميرَ الجَيْشِ[4] عنها ما رَأى ... فَلَسوْفَ يُنْبِى الجاهِلِينَ عَلِيمُها

سِتُّونَ ألْفًا لم يَئُوبُوا أرْضَهُمْ ... بل لم يَعِشْ بعدَ الإيابِ سَقِيمُها

كانتْ بها عادٌ وجُرْهُمُ قَبْلَهُمْ[5] ... واللَّهُ مِنْ فَوْقِ العِبادِ يُقِيمُها

ومِن ذلك قولُ أبى قيسِ بنِ الأسْلَتِ الأنصارِىِّ المَدَنِىِّ:

ومِنْ صُنْعِه يومَ فِيلِ الحُبُو ... شِ[6] إذْ كُلَّما بَعَثُوهُ رَزَمْ[7]

---

(١) في الأصل، ص: «الزهرى».

(٢) في م، ص: «تنكلوا». وكذا في سيرة ابن هشام. والوزن لا يستقيم بغير إثبات الفاء. وتنكلوا: تراجعوا.

(٣) الشِّعْرَى: كوكبٌ نيِّرٌ يطلع عند شدَّة الحرِّ. وهما شِعْرَيان: الشعرى العَبُور والشعرى الغُمَيصاء. الوسيط (ش ع ر).

(٤) في م: «الحبش».

(٥) في الأصل: «قبلة». وفي ص: «قبله».

(٦) في الأصل: «الجيوش».

(٧) رَزَم: ثبت على الأرض.

مَحَاجِنُهُمْ[1] تَحْتَ أَقْرابِهِ   وقد شَرَّمُوا[2] أَنْفَهُ فانْخَرَمْ
وقد جَعَلُوا سَوْطَه مِغْوَلًا   إذا يَمَّمُوهُ قَفاهُ كُلِمْ[3]
فَوَلَّى وأَدْبَرَ أَدْراجَهُ   وقد باءَ بالظُّلْمِ مَن كانَ ثَمّ
فأَرْسَلَ مِنْ فَوْقِهِمْ حاصِبًا   فَلَفَّهُمْ مِثْلَ لَفِّ القُزُمْ[4]
تَحُضُّ[5] على الصَّبْرِ أَحْبارُهُمْ   وقد ثَأَجُوا كثُؤَاجِ الغَنَمْ[6]

ومِن ذلك قولُ أبى الصَّلْتِ، رَبيعةَ بنِ أبى رَبيعةَ وهبِ بنِ عِلاجٍ الثَّقَفِىِّ - قال ابنُ هِشامٍ[7]: ويُرْوَى لأُمَيَّةَ[8] بنِ أبى الصَّلْتِ -:

إنَّ آياتِ رَبِّنا ثاقِباتٌ[9]   ما يُمارِى فِيهِنَّ إلَّا الكَفُورُ
خَلَقَ الليلَ والنَّهارَ فكُلٌّ   مُسْتَبِينٌ حِسابُهُ مَقْدُورُ
ثُمَّ يَجْلُو النَّهارَ رَبٌّ رَحِيمٌ   بِمَهَاةٍ[10] شُعاعُها مَنْشُورُ[11]

---

(١) فى الأصل: «محاجتهم».
(٢) شرَّموا أنفه: قطعوا من أعلاها شيئًا يسيرًا.
(٣) المِغْوَل: حَدِيدة تُجعَل فى السوط، فيكون لها غِلافًا. يمَّموه: وجَّهوه. كُلِم: جُرِح.
(٤) القُزُم: جمع قَزَم، وهو الصغير الجسم. والقُزُم - أيضًا -: صِغار الغَنَم.
(٥) فى الأصل، ص: «تحث».
(٦) الثُّؤاج: صياح الغنم.
(٧) سيرة ابن هشام ١/ ٦٠.
(٨) فى الأصل، ص: «لابنه أمية». والمثبت موافق لما فى سيرة ابن هشام.
(٩) فى الأصل، ا ٩، ص: «باقيات».
(١٠) المهاة: الشمس.
(١١) فى سيرة ابن هشام: «مبشور».

حَبَسَ الفيلَ[١] بالمُغَمَّسِ[٢] حتى ... صارَ يَحْبُو كأنَّهُ مَعْقُورُ

لازمًا حَلْقَةَ الجِرانِ[٣] كما قُطِّرَ[٤] مِنْ صَخْرِ[٥] كَبْكَبٍ مَحْدُورُ[٦]

حَوْلَه مِنْ مُلُوكِ كِنْدَةَ أبْطالٌ ... مَلَاوِيثُ[٧] فى الحُرُوبِ صُقُورُ[٨]

خَلَّفُوهُ ثُمَّ ابْذَعَرُّوا[٩] جَمِيعًا ... كُلُّهُمْ عَظْمُ ساقِهِ مَكْسُورُ

كلُّ دِينٍ يومَ القِيامةِ عِندَ اللَّهِ إلَّا دِينَ الحَنِيفَةِ[١٠] بُورُ[١١]

ومِن ذلك قولُ أبى قيسِ بنِ الأسْلَتِ أيضًا :

فقُومُوا فَصَلُّوا رَبَّكم وتَمَسَّحُوا ... بأرْكانِ هذا[١٢] البيتِ بَيْنَ[١٢] الأخاشِبِ[١٣]

فعِنْدَكُمُ منه بَلاءٌ مُصَدَّقٌ[١٤] ... غداةَ أبى يَكْسُومَ هادِى الكَتائِبِ

---

(١) فى الأصل، ص : « الليل » .

(٢) المُغَمَّس : موضع بطريق الطائف .

(٣) فى الأصل : « الحبران » . والجِران : باطن العنق من البعير وغيره .

(٤) فى م : « قد » . وقُطِّر : رُمِى وأُلقِى .

(٥) سقط من : ا ٩، وفى الأصل : « طهر » ، وفى ص : « ظهر » .

(٦) كبكب : جبل بعرفات . والمحدور : المُلْقَى من عُلوٍ إلى سُفل .

(٧) ملاويث : جمع مَلاث ومِلْوَث ؛ وهو الشريف .

(٨) فى الأصل : « وصقور » . وفى ا ٩: « صبور » .

(٩) فى الأصل، ص : « اندعروا » . وابْذَعَرُّوا : تَفَرَّقُوا .

(١٠) فى ص : « الحنيفية » .

(١١) فى الأصل، ص : « زور » .

(١٢ - ١٢) فى ص : « المبيت من » .

(١٣) الأخاشب : جبلا مكة ؛ أبو قُبَيْس والأحمر، وجبلا منى .

(١٤) فى الأصل، ص : « ومصدق » .

كَتِيبَتُه[1] بالسَّهْلِ تُمْسِى[2] ورَجْلُهُ[3] على القاذِفاتِ[4] فى رُءُوسِ المَناقِبِ[5]

فلمَّا أتاكُمْ نَصْرُ ذِى العَرْشِ رَدَّهُمْ جُنُودُ المَلِيكِ بينَ سَافٍ وحَاصِبِ[6]

فَوَلَّوْا سِراعًا هارِبِينَ ولَم يَؤُبْ إلى أهْلِهِ مِلْحَبْشِ[7] غيرُ عَصائِبِ

ومِن ذلك قولُ عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ[8] فى عَظَمَةِ البيتِ ، وحِمايتِه بهلاكِ مَن أرادَه بسُوءٍ :

كادَه[9] الأشْرَمُ الذى جاءَ بالفِيـ ـلِ فوَلَّى وجَيْشُهُ مَهْزُومُ

واسْتَهَلَّتْ عليهِمُ الطَّيْرُ بالجَنْـ ـدَلِ[10] حتى كأنَّهُ مَرْجُومُ

ذاك مَنْ يَغْزُهُ مِنَ النَّاسِ يَرْجِعْ وَهْوَ فَلٌّ[11] مِنَ الجُيُوشِ ذَمِيمُ

قال ابنُ إسحاقَ وغيرُه[12] : فلمَّا هَلَكَ أبْرَهَةُ ، مَلَكَ الحَبَشَةَ بعدَه ابنُه

---

(١) فى ص : « كتيبة » .

(٢) فى م : « تمشى » .

(٣) الرَّجْل : المُشاة على أرجلهم .

(٤) القاذفات : أعالى الجبال ونواحيها البعيدة .

(٥) فى الأصل ، ص : « المقانب » . والمناقب : جبل فيه ثنايا وطرق إلى اليمامة واليمن وغيرها . واسم طريق الطائف من مكة . القاموس المحيط (ن ق ب) .

(٦) السافى : هو من غطّاه السَّفَى ؛ أى التراب . والحاصب : من أصابته الحَصْبة ؛ أى الحجارة .

(٧) فى الأصل ، ص : « ملجيش » . وملحبش : من الأحباش .

(٨) ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ص ١٩٢ .

(٩) فى الأصل ، ص : « كمادة » .

(١٠) فى ص : « بالجند » . والجندل : بفتح الجيم وكسرها ؛ ما يُقِلُّه الرجل من الحجارة .

(١١) قوم فَلٌّ : منهزمون .

(١٢) سيرة ابن هشام ١/ ٦١، ٦٢. وتاريخ الطبرى ٢/ ١٣٩، ١٤٢.

يَكْسُومُ[1] ، ثُمَّ مِن بعدِه أخوه مسروقُ بنُ أبْرَهَةَ . وهو آخِرُ مُلُوكِهم ، وهو الذى انْتَزَعَ سيفُ بنُ ذِى يَزَنَ الحِمْيَرِىُّ المُلْكَ مِن يدِه ، بالجيشِ الذين قَدِم بهم مِن عندِ كِسْرَى أنُو شِرْوانَ ، كما سيأتى بيانُه .

وكانتْ قصَّةُ الفيلِ فى المُحَرَّمِ سنةَ سِتٍّ وثمانِين وثمانِمائةٍ مِن تاريخِ[2] ذِى القَرْنَيْنِ ، وهو الثَّانى إسكندرُ بنُ فِلِبسَ المَقْدُونِىُّ ، الذى يُؤَرِّخُ له الرُّومُ ، ولمَّا هَلَكَ أبْرَهَةُ وابناه ، وزال مُلْكُ الحَبَشَةِ عن اليمنِ ، هُجِرَ القُلَّيْسُ الذى كان بناه أبْرَهَةُ وأراد صَرْفَ حَجِّ العربِ إليه ، لجهْلِه وقِلَّةِ عَقْلِه ، وأصْبَح يَبابًا ، لا أنِيسَ به ، وكان قد بناه على صَنَمَيْنِ ؛ وهما كُعَيْبٌ وامْرأتُه ، وكانا مِن خَشَبٍ ، طُولُ كلٍّ منهما سِتُّون ذِراعًا فى السَّماءِ ، وكانا مَصْحُوبَيْن من الجانِّ ، ولهذا كان لا يَتعَرَّضُ أحدٌ إلى أخْذِ شىءٍ مِن بناءِ القُلَّيْسِ وأمْتِعَتِه ، إلَّا أصابُوه بسُوءٍ ، فلم يَزَلْ كذلك إلى أيامِ السَّفَّاحِ ، أوَّلِ خُلَفاءِ بنى العَبَّاسِ ، فذُكِرَ له أمرُه وما فيه مِن الأمْتِعَةِ ، والرُّخامِ الذى كان أبرهةُ نَقَلَه إليه مِن صَرْحِ بِلْقِيسَ الذى كان باليمنِ ، فبَعَثَ إليه مَن خرَّبَه حَجَرًا حجرًا ، وأخَذ جميعَ ما فيه مِن الأمتعةِ والحَواصِلِ . هكذا ذَكَرَه السُّهَيْلِىُّ[3] . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) فى الأصل ، ص : « يكشوم » . وفى ا ٩ : « مكسوم » .

(٢) سقط من : الأصل ، ا ٩ ، ص .

(٣) الروض الأنف ١/ ٢٤٦، ٢٤٧ .

ذِكْرُ[1] خُرُوجِ المُلْكِ عَنِ الحَبَشَةِ وَرُجُوعِهِ إلى سَيْفِ بنِ ذِى يَزَنَ

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[2] ، رحِمَه اللَّهُ : [١/٢٢٠و] فلمَّا هَلَك أَبْرَهَةُ ، مَلَكَ الحَبَشَةَ يَكْسُومُ بنُ أبرهةَ ، وبه كان يُكْنَى ، فلمَّا هَلَك يكسومُ ، مَلَك اليمنَ فى الحبشةِ أَخوه مَسْرُوقُ بنُ أبرهةَ . قال[2] : فلمَّا طالَ البَلاءُ على أهلِ اليمنِ ، خَرَج سيفُ بنُ ذى يَزَنَ الحِمْيَرِىُّ - وهو سيفُ بنُ ذى يَزَنَ بنِ ذى أَصْبَحَ بنِ مالِكِ ابنِ زيدِ بنِ سَهْلِ بنِ عَمْرِو بنِ قيسِ بنِ مُعاويةَ بنِ جُشَمَ بنِ عبدِ شمسِ بنِ وائلِ ابنِ الغَوْثِ بنِ قَطَنِ بنِ عَرِيبِ بنِ زُهَيْرِ بنِ أَيْمَنَ[3] بنِ الهَمَيْسَعِ بنِ العَرَنْجَجِ ، وهو حِمْيَرُ بنُ سَبَأٍ ، وكان سيفٌ يُكْنَى أبا مُرَّةَ[4] - حتى قَدِمَ على قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ ، فشَكَا إليه ما هم فيه ، وسَأَلَه أن يُخْرِجَهم (٥عنه ، ويَلِيَهم٥) هو ، ويُخْرِجَ إليهم مَن شاءَ مِن الرُّومِ ، فيَكُونَ له مُلْكُ اليمنِ ، فلم يُشْكِه ، فخَرَجَ حتى أَتَى النُّعْمانَ بنَ المُنْذِرِ ، وهو عاملُ كِسْرَى على الحِيرَةِ وما يَلِيها مِن أَرْضِ العِراقِ ، فشَكَا إليه أمْرَ الحَبَشَةِ ، فقال له النُّعْمانُ : إنَّ لى على كِسْرَى وِفادَةً فى كلِّ عامٍ ، فأَقِمْ عندِى حتى يَكُونَ ذلك . ففعَلَ ، ثُمَّ خرَج معه ، فأَدْخَلَه على

---

(١) سقط من : م .

(٢) سيرة ابن هشام ١/٦١ - ٦٥. وتاريخ الطبرى ٢/١٣٩ - ١٤٢.

(٣) فى الأصل، ص : «أهن» .

(٤) ما بين الحاصرتين من كلام ابن كثير، أخذه من السهيلى فى الروض ١/ ٢٢١، ٣٠٠.

(٥ - ٥) فى الأصل : «عن ويلهم» .

كِسْرَى ، وكان كِسْرَى يَجْلِسُ فى إيوانِ مَجْلِسِه الذى فيه تاجُه ، وكان تاجُه مِثْلَ القَنْقَلِ[1] العظيمِ ، فيما يَزْعُمون ، يُضْرَبُ فيه الياقُوتُ والزَّبَرْجَدُ واللُّؤْلُؤُ بالذهبِ والفضَّةِ ، مُعَلَّقًا بسلسلةٍ مِن ذهبٍ فى رأسِ طاقةٍ ، فى مَجْلِسِه ذلك ، وكانت عُنُقُه لا تَحمِلُ تاجَه ، إنَّما يُسْتَرُ بالثيابِ حتى يَجلِسَ فى مجْلِسِه ذلك ، ثُمَّ يُدْخِلُ رأسَه فى تاجِهِ ، فإذا استَوَى فى مجلِسِه ، كُشِفَ عنه الثِّيابُ ، فلا يَراه أحدٌ لم يَرَهُ قبْلَ ذلكَ إلَّا بَرَك هَيْبَةً له ، فلمَّا دَخَل عليه طَأْطأَ رأسَه ، فقال المَلِكُ : إنَّ هذا الأحْمَقَ يَدْخُلُ عَلَىَّ مِن هذا البابِ الطَّوِيلِ ، ثُمَّ يُطَأْطِئُ رأسَه ! فقِيلَ ذلك لسيفٍ ، فَقال : إنَّما فَعَلْتُ هذا لهمِّى[2] ؛ لأنَّه يَضِيقُ عنه كلُّ شيْءٍ . ثُمَّ قال : أيُّها المَلِكُ : غَلَبَتْنا على بلادِنا الأَغْرِبَةُ[3] . قال كِسْرى : أىُّ الأَغْرِبَةِ ؛ الحَبَشَةُ أم السِّنْدُ ؟ قال : بل الحَبَشَةُ ، فجِئْتُك لِتَنْصُرَنى ، ويَكُونُ مُلْكُ بِلادِى لك . فقال له كِسْرَى : بَعُدَتْ بلادُكَ مع قِلَّةِ خَيْرِها ، فلم أَكُنْ لِأُوَرِّطَ جيشًا مِنْ فارِسَ بأرضِ العربِ ، لا حاجَةَ لى بذلك . ثُمَّ أجازَه بعشَرَةِ آلافِ دِرْهَمٍ وافٍ ، وكَساه كُسْوَةً حَسَنَةً ، فلمَّا قَبَض ذلك منه سيفٌ ، خَرَج فجَعَلَ يَنْثُرُ ذلك الوَرِقَ للنَّاسِ ، فبَلَغَ ذلك المَلِكَ ، فقالَ : إنَّ لِهذا لَشَأْنًا . ثُمَّ بَعَث إليه فقال : عَمَدْتَ إلى حِباءِ[4] المَلِكِ تَنْثُرُه للنَّاسِ ! قال : وما أَصْنَعُ بهذا[5] ؟ ما

---

(١) القَنْقَل : مكيال عظيم ضخم . اللسان (قنقل) .

(٢) فى الأصل ، ص : « لهمتى » .

(٣) يعنى بالأَغْرِبَة : سُود البَشْرة . والأغربة جمع غُراب . وفى اللسان (غ ر ب) : أَغْرِبَة العرب : سُودانهم ؛ شُبهوا بالأَغْربة فى لونهم .

(٤) الحِباء : العطاء .

(٥) سقط من : الأصل . وفى م : « بحباك » . وفى ص : « باحباك » .

جبالُ أَرْضى التى جئتُ منها إلَّا ذهبٌ وفِضَّةٌ . يُرَغِّبُه فيها . فجَمَعَ كِسرَى مَرازِبَتَه ، فقال لهم : ما تَرَوْنَ فى أمْرِ هذا الرَّجُلِ ، وما جَاء له ؟ فقال قائِلٌ : أيُّها الملِكُ ، إنَّ فى سُجُونِكَ رجالًا قد حَبَسْتَهم للقَتْلِ ، فلو أنَّك بَعَثْتَهم معه ، فإن يَهْلِكُوا كان ذلك الذى أرَدْتَ بهم ، وإن ظَفِرُوا كان مُلْكًا ازْدَدْتَه . فبَعَثَ معه كِسْرَى مَن كان فى سُجُونِه ، وكانوا ثمانِمائةِ رَجُلٍ ، واسْتَعْمَل عليهم وَهْرِزَ ، وكان ذا سِنٍّ فيهم ، وأفضَلَهم حَسَبًا وبَيْتًا ، فخَرَجُوا فى ثمانِ سَفائِنَ ، فغَرِقَتْ سَفِينَتَانِ ، ووَصَل إلى ساحلِ عَدَنَ ستُّ سفائِنَ ، فجَمَعَ سيفٌ إلى وَهرِزَ مَن اسْتَطاعَ مِن قومِه ، وقالَ له : رِجْلى ورِجْلُك حتى نَمُوتَ جميعًا ، أو نَظْفَرَ جميعًا . فقالَ له وَهرِزُ : أنْصَفْتَ . وخَرَج إليه مَسْرُوقُ بنُ أَبْرَهَةَ ، مَلِكُ اليمنِ ، وجَمَع إليه جُنْدَه ، فأرْسَلَ إليهم وَهرِزُ ابنًا له ؛ لِيُقاتِلَهم فيَخْتَبِرَ قِتالَهم ، فقُتِلَ ابنُ وهرِزَ ، فزادَه ذلك حَنَقًا عليهم ، فلمَّا تَواقَفَ النَّاسُ على مَصافِّهِم ، قال وَهْرِزُ : أَرُونِى مَلِكَهم . فقالوا له : أتَرَى رَجُلًا على الفيلِ عاقِدًا تاجَه على رأسِه ، بينَ عَيْنَيْه ياقوتةٌ حَمْراءُ ؟ قال : نَعَم . قالوا : ذلك مَلِكُهم . فقال : اتْرُكُوه . قال : فوَقَفُوا طويلًا ، ثُمَّ قال : عَلامَ هو ؟ قالوا : قد تَحَوَّل على الفَرَسِ . قال : اتْرُكُوه . فتَرَكُوه طويلًا ، ثُمَّ قال : عَلامَ هو ؟ قالوا : على البَغْلَةِ . قال وَهرِزُ : بِنْتُ الحِمارِ ، ذَلَّ وذَلَّ مُلْكُه ، إنِّى سَأَرْمِيه ، فإنْ رأَيْتُم أصحابَه لم يَتَحَرَّكُوا ؛ فاثْبُتُوا حتى أُوذِنَكم ، فإنِّى قد أخْطَأْتُ الرَّجُلَ ، وإن رأَيْتُم القومَ قد اسْتَدارُوا به ولاثُوا[1] ، فقد أصَبْتُ الرجُلَ ؛ فاحْمِلُوا عليهم . ثُمَّ وَتَرَ[2] قَوْسَه ، وكانت -

---

(١) لاثُوا : أى التَفُّوا حولَه .

(٢) وَتَر القوسَ : شَدَّ وَتَرَها ؛ وهو مُعَلَّقُ القوس .

فيما يَزْعُمُون - لا يُوتِرُها غيرُه ؛ مِن شِدَّتِها ، وأمَرَ بحَاجِبَيْه فعُصِّبَا له ، ثُمَّ رماه فصَكَّ الياقُوتَةَ التى بينَ عَيْنَيْه ، وتَغَلْغَلَتِ النُّشَّابَةُ[1] فى رَأْسِه حتى خَرَجَتْ مِن قَفاه ، ونُكِسَ عن دابَّتِه ، واسْتَدارتِ الحَبَشَةُ ولاثَتْ به ، وحَمَلَتْ عليهم الفُرْسُ ، وانْهَزَمُوا ؛ فقُتِلُوا وهَرَبُوا فى كلِّ وَجْهٍ ، وأقْبَلَ وَهْرِزُ لِيَدْخُلَ صنعاءَ ، حتى إذا أَتَى بابَهَا قال : لا تَدْخُلُ رايَتِى مُنَكَّسَةً أبَدًا ، اهْدِمُوا هذا البابَ . [١/ ٢٢٠ظ] فهُدِمَ ، ثُمَّ دَخَلَها ناصِبًا رايَتَه ، فقال سيفُ بنُ ذى يَزَنَ الحِمْيَرِىُّ :

يَظُنُّ النَّاسُ بالمَلْكَيْـ ... ـنِ أَنَّهما قد الْتَأَمَا
ومَنْ يَسْمَعْ بِلَأْمِهِما[2] ... فإنَّ الخَطْبَ قد فَقُما[3]
قَتَلْنا القَيْلَ[4] مَسْرُوقًا ... ورَوَّيْنا الكَثِيبَ[5] دَمَا
وإنَّ القَيْلَ قَيْلَ النَّا ... سِ[6] وَهْرِزَ مُقْسِمٌ قَسَما
يَذُوقُ[7] مُشَعْشَعًا[8] حتى ... نُفِىءَ السَّبْىَ والنَّعَما[9]

ووَفَدَتِ العربُ مِنَ الحِجازِ وغيرِها[10] على سيفٍ يُهَنِّئُونَه بعَوْدِ المُلْكِ إليه ،

---

(١) النُّشّابة : النَّبْل .
(٢) فى الأصل ، ص : « ملامها » .
(٣) فى الأصل : « نقما » . وفَقُم : اسْتَفْحَل شرُّه .
(٤) القيل : المَلِك من ملوك حِمْيَر .
(٥) فى الأصل : « الكسيب » . والكثيب : التَّلُّ من الرمل .
(٦) فى الأصل : « للناس » .
(٧) فى الأصل ، ص : « يروق » .
(٨) المشعشع : الخمر التى أُرِقَّ مَزْجُها .
(٩) فى الأصل ، ص : « نعى » . ونُفِىء : نَغْنَم .
(١٠) فى الأصل : « وغيرهما » .

وامْتَدَحُوه، فكان مِن جُمْلَةِ مَن وفَدَ عليه قُرَيشٌ، وفيهم عبدُ المطَّلِبِ ابنُ هاشمٍ، فبَشَّرَه سَيْفٌ برسولِ اللَّهِ ﷺ، وأخْبَرَه بما يَعْلَمُ مِن أمْرِه[1]. وسيَأْتِي ذلك مُفَصَّلًا فى بابِ البِشاراتِ به، عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ.

قال ابنُ إسحاقَ[2]: وقال أبو الصَّلْتِ بنُ أبى رَبِيعةَ الثَّقَفِيُّ - قال ابنُ هِشَامٍ[3]: وتُرْوَى [4]لأُمَيَّةَ بنِ أبى الصَّلْتِ[4] -:

لِيَطْلُبِ الوِتْرَ أمْثالُ ابنِ ذِى يَزَنٍ ... رَيَّمَ[5] فى البحرِ للأعْداءِ أحْوالَا

يَمَّمَ قَيْصَرَ[6] لَمَّا حانَ رِحْلَتَهُ ... فلم يَجِدْ عِندَهُ بعضَ الذى سالَا

[7]ثُمَّ انْثَنَى نَحْوَ كِسْرَى بعدَ عاشِرَةٍ ... مِنَ السِّنِينَ يُهِينُ النَّفْسَ والمالَا[7]

حتى أَتَى بِبَنِى الأحْرارِ يَحْمِلُهُمْ ... إنَّكَ عَمْرِى لقد أسْرَعْتَ قِلْقالَا[8]

للَّهِ دَرُّهُمُ مِنْ عُصْبَةٍ خَرَجُوا ... ما إن أَرَى[9] لهم فى النَّاسِ أمْثالَا

---

(1) خبر وِفادةِ العرب على ابن ذى يزن، وتبشيرِه عبدَ المطلب بالنبى ﷺ، ساقه ابن كثير هنا مختصرًا جدًّا، وهو عند أبى نعيم فى الدلائل ١/٩٥ - ٩٩ مطولًا بإسناده.

(2) سيرة ابن هشام ١/ ٦٥، ٦٦.

(3) سيرة ابن هشام ١/ ٦٥.

(4 - 4) فى الأصل، ص: «لابن أمية».

(5) فى الأصل: «ديم». وريَّم: أقام.

(6) فى الأصل، ص: «لقيصر».

(7 - 7) سقط من: الأصل، ص.

(8) القِلْقال: الحركة.

(9) فى سيرة ابن هشام: «رأى».

(١غُلْبًا مَرَازِبَةً بِيضًا أَساوِرَةً١) أُسْدًا تُرَبِّبُ[٢] فى الغَيْضاتِ[٣] أشْبَالا

يَرْمُون عن شُدُفٍ[٤] كأنَّها غُبُطٌ[٥] بِزَمْخَرٍ[٦] يُعْجِلُ المَرْمِىَّ إعْجَالا

أرْسَلْتَ أُسْدًا على سُودِ الكِلابِ فقد أضْحَى شَرِيدُهُمُ فى الأرْضِ فُلَّالا[٧]

فاشْرَبْ هَنِيئًا عليكَ التّاجُ مُرْتَفِقًا[٨] فى رأسِ غُمْدانَ دارًا مِنْكَ مِحْلالا[٩]

واشْرَبْ هنيئًا فقد شَالتْ[١٠] نَعَامَتُهمْ وأَسْبِلِ اليومَ فى بُرْدَيْك إسْبالا

تلكَ المَكَارِمُ لا قَعْبانِ[١١] مِن لَبَنٍ شِيبَا[١٢] بماءٍ فعادا بَعْدُ أبْوَالا

يُقالُ: إنَّ غُمْدانَ قصرٌ باليمنِ[١٣]، بناه يَعْرُبُ بنُ قَحْطَانَ، وأكْمَلَه[١٤]

(١ - ١) فى سيرة ابن هشام:

* بيضًا مرازبةً غُلبًا أساورة *

والغُلْب: جمع أغْلَب؛ وهو غليظ العنق، يعنى أنهم أشدَّاء. والمَرَازِبَة جمع مَرْزُبان وهو رئيس الفُرس. والأساورة: جمع إسْوار؛ وهو قائد الفُرس، والجيد الرَّمْى بالسهام وغيرها. وكان أساورة الفرس رُماة الحدق.

(٢) تُرَبِّب: تُربِّى.

(٣) الغيضات: جمع غَيْضَة، وهى الموضع الذى يكثر فيه الشجر ويلتفّ.

(٤) فى الأصل، ص: «سدف». والشُّدُف هى الأقواس العُوج الفارسيَّة.

(٥) فى الأصل: «الغيط». والغُبُط؛ يعنى بها الأخشاب التى يُصنع منها الهودج.

(٦) الزَّمْخَر: السهام المُتَّخَذَة من القَصَب.

(٧) الفلال: المُنهزمون.

(٨) المُرتَفِق: المُتَّكِئ.

(٩) المحلال: المكان الكثير الرُّوَّاد. يعنى سكناه بها وعمرانه إياها.

(١٠) فى الأصل: «سالت». وشالت نعامتهم: هلكوا.

(١١) فى الأصل: «تعبان». والقَعْبان: مثنى القَعْب، وهو القَدَح الضخم الغليظ.

(١٢) شِيبا: مُزِجا وخُلِطا.

(١٣) انظر معجم البلدان ٣/ ٨١١.

(١٤) فى م: «وملكه».

بعدَه واحْتَلَّه وائِلَةُ[1] بنُ حِمْيَرَ بنِ سَبأٍ[2] . ويُقالُ : كان ارتفاعُه عِشْرِين طَبَقَةً[3] . فاللَّهُ أعلمُ .

قال ابنُ إسحاقَ[4] : وقال عَدِيُّ بنُ زيدٍ الحِيرِيُّ[5] ، وكان أحَدَ بنى تَمِيمٍ :

ما بَعْدَ صنعاءَ كان يَعْمُرُها وُلاةُ مُلْكٍ جَزْلٍ[6] مَواهِبُها

رَفَّعَها مَنْ بَنَى لِذِى[7] قَزَعِ الـ ـمُزْنِ[8] وتَنْدَى مِسْكًا مَحارِبُها[9]

مَحْفُوفَةٌ بالجبالِ دُونَ عُرَى الـ ـكائِدِ[10] ما يُرْتَقَى غَوارِبُها[11]

يَأْنَسُ فيها صَوْتُ النُّهامِ[12] إذا جَاوَبَها[13] بالعَشِيِّ قَاصِبُها[14]

ساقَتْ إليها الأسْبابُ جُنْدَ بَنِى الـ أحْرارِ فُرْسانُها مَواكِبُها[15]

---

(١) كذا فى النسخ ، وفى الروض الأنف : « وائل » .

(٢) انظر الروض الأنف ١/ ٣٠٦.

(٣) انظر معجم ما استعجم ، للبكرى ٣/ ١٠٠٢.

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٦٧، ٦٨.

(٥) فى النسخ : « الحميرى » وهو خطأ . والمثبت من سيرة ابن هشام ١/ ٦٧. وانظر طبقات فحول الشعراء ١/ ١٤٠.

(٦) الجَزْل : الكثير العظيم من كل شىء .

(٧) كذا فى النسخ . وفى سيرة ابن هشام : « لدى » .

(٨) قَزَع المُزْنِ : القِطَع المُتفرِّقة من السحاب .

(٩) مَحَارِبُها : المَحَارِب : الغُرَف المرتفعة .

(١٠) فى ص : « المكائد » .

(١١) غواربها : أعاليها .

(١٢) النهام : طائر شبه الهام . وقيل : البوم . وقيل : ذَكَر البوم .

(١٣) فى ص : « جاءوا بها » . وجاوبها : رد عليها .

(١٤) فى الأصل : « قاصيها » . والقاصِب : الزَّمَّار .

(١٥) فى الأصل : « كمواكبها » .

وفُوِّزَتْ[1] بالبِغالِ تُوسَقُ[2] بالْـ ـحَتْفِ وتَسْعَى بها تَوَالِبُها[3]

حتى رآها[4] الأقْوالُ[5] مِنْ طَرَفِ الْـ ـمَنْقَلِ[6] مُخْضَرَّةً كَتائِبُها

يومَ يُنادُون آلَ بَرْبَرَ[7] والْـ ـيَكْسُومَ لا يُفْلِحَنَّ هارِبُها

فكان يومًا باقى الحديثِ وزا لَتْ[8] إمَّةٌ[9] ثابِتٌ مَراتِبُها

وبُدِّلَ الفَيْجُ[10] بالزَّرَافَةِ[11] والأيَّا مُ خُونٌ[12] جَمٌّ عَجائِبُها

بَعْدَ بَنِى تُبَّعٍ نَخاوِرَةٌ[13] قد اطْمَأَنَّتْ بها مَرازِبُها

قال ابنُ هِشَامٍ[14]: وهذا الذى عَنَى سَطِيحٌ بقولِه: يليه إرَمُ ذى يَزَنْ، يَخْرُجُ عليهم مِن عَدَنْ، فلا يَتْرُكُ أحدًا منهم باليمنْ. والذى عَنَى شِقٌّ بقولِه: غلامٌ ليس بِدَنِيٍّ ولا مُدَنٍّ، يَخْرُجُ مِن بيتِ ذى يَزَنْ.

(١) فُوِّزت: يعنى قُطِعت المَفازَة، وهى الصحراء.
(٢) وَسَق: حَمل.
(٣) فى الأصل: «لواليها». والتوالب: جمع تَوْلَب، وهو ولد الحمار.
(٤) فى الأصل، م: «يراها».
(٥) فى ص: «الأفوال». والأقوال: الملوك، واحده قَيْل.
(٦) المَنْقَل: الطريق فى الجبل.
(٧) يقصد بهم الأحباش.
(٨) فى الأصل: «زالت». وفى ص: «نالت».
(٩) الإمَّة: النعمة.
(١٠) فى النسخ: الهيج، والمثبت من سيرة ابن هشام. والفيج: هو المنفرد فى مشيته.
(١١) فى الأصل، ص: «بالزراقة». والزرافة: الجماعة من الناس.
(١٢) كذا فى النسخ. وفى سيرة ابن هشام: «جون». والخُون: جمع خائنة.
(١٣) فى الأصل، ص: «نحاورة». والنخاورة: الأشراف، واحدهم نِخْوار ونَخْوَرِىّ، ويقال: هم المكبِّرون.
(١٤) سيرة ابن هشام ١/ ٦٨.

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وأقام وَهْرِزُ والفُرْسُ باليمنِ ، فَمِن بَقِيَّةِ ذلك الجيشِ مِن الفُرْسِ ، الأَبْناءُ الذين باليمنِ اليومَ . وكان مُلْكُ الحَبَشَةِ باليمنِ ، فيما بينَ أن دَخلَها أرْياطُ ، إلى أن قَتلَتِ الفُرْسُ مسروقَ بنَ أَبْرَهَةَ وأَخْرَجَتِ الحبشةَ ، اثْنَتَيْنِ وسَبْعِينَ سنةً ، تَوارَثَ ذلك منهم أربعةٌ ؛ أرياطُ ، ثُمَّ أبْرَهَةُ ، ثُمَّ يَكْسُومُ بنُ أبرهةَ ، ثُمَّ مسروقُ بنُ أبرهةَ .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٦٨، ٦٩.

ذِكْرُ[1] ما آلَ إليه أمرُ الفُرْسِ باليمنِ

قال ابنُ هِشَامٍ[2] : ثُمَّ مات وَهْرِزُ ، فأَمَّرَ كِسْرَى ابنَه المَرْزُبانَ بنَ وَهْرِزَ على اليمنِ ، ثُمَّ مات [٢٢١/١و] المرزبانُ ، فأَمَّرَ كسرى ابنَه التَّيْنُجانَ ، ثُمَّ مات فأَمَّرَ ابنَ التَّيْنُجانِ ، ثُمَّ عَزَلَه عَن اليمنِ ، وأَمَّرَ عليها باذانَ ، وفى زَمَنِه بُعِثَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، قال ابنُ هِشامٍ[2] : فبَلَغَنِى عن الزُّهْرِىِّ أنَّه قال : كَتَبَ كِسْرَى إلى باذانَ : إنَّه بَلَغَنى أَنَّ رجُلًا مِن قُرَيْشٍ خَرَجَ بمكَّةَ ، يَزْعُمُ أَنَّه نَبِىٌّ ، فَسِرْ إليه فاسْتَتِبْه ، فإن تابَ ، وإلَّا فابْعَثْ إلَىَّ برأْسِه . فبَعَثَ باذانُ بكِتابِ كِسْرَى إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فكَتَبَ إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَنِى أَنْ يُقْتَلَ كِسْرَى فى يَوْمِ كَذَا وَكَذَا ، مِنْ شَهْرِ كذَا » . فلمَّا أَتَى باذانَ الكتابُ ، [3]وَقَفَ لِيَنْتَظِرَ[3] ، وقال : إن كان نَبِيًّا فسَيَكُونُ ما قال . فقَتَلَ اللَّهُ كسرَى فى اليومِ الذى قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ . قال ابنُ هِشَامٍ[2] : على يَدَىْ ابنِه شِيرَوَيْهِ . قلتُ : وقال بعْضُهم : بَنُوه تَمالَئُوا على قَتْلِه . وكِسْرَى هذا هو أبْرَوِيزُ بنُ هُرْمُزَ بنِ أَنُو شِرْوَانَ ابنِ قُبازَ ، وهو الذى غَلَبَ الرُّومَ[4] ، فى قولِه تعالى : ﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الروم : ١- ٣] . كما سيأتى بيانُه .

قال السُّهَيْلِىُّ[5] : وكان قَتْلُه ليلةَ الثُّلاثاءِ لعَشْرٍ خَلَوْنَ مِن جُمَادَى الأُولى ،

---

(١) سقط من : م .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٦٩.

(٣ - ٣) كذا فى النسخ . وفى سيرة ابن هشام : « توقَّف لينظر » .

(٤) انظر الروض الأنف ١/ ٣٠٠، ٣١٥. وفيه : « قباذ » .

(٥) الروض الأنف ١/ ٣١٥. وعنده : « سنة سبع من الهجرة » .

سنةَ تِسْعٍ مِن الهجرةِ . وكان ، واللَّهُ أعلمُ ، لمَّا كَتَبَ إليه رسُولُ اللَّهِ ﷺ ، يَدْعُوه إلى الإِسْلامِ ، فغَضِبَ ومَزَّق كتابَه ، كَتَبَ إلى نائِبِه باليمنِ يَقُولُ له ما قال . وفى بَعْضِ الرِّوَاياتِ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، قال لرسولِ باذانَ : « إنَّ ربِّى قد قَتَلَ الليلةَ رَبَّكَ »[1] . فكان كما قال رسولُ اللَّهِ ﷺ ، قُتِلَ تلك الليلةَ بعَيْنِها ، قَتَلَه بنُوه لِظُلْمِه بعدَ عَدْلِه ، بعدَما خَلَعُوه وَوَلَّوْا ابنَه شِيرَوَيْهِ ، فلم يَعِشْ بعدَ قَتْلِه أباه إلَّا سِتَّةَ أشْهُرٍ أو دُونَها . وفى هذا يقولُ خالدُ بنُ حِقٍّ الشَّيْبَانِيُّ :

وكِسْرَى [2]إذ تَقَسَّمَهُ[2] بَنُوه ... بأسيافٍ كما اقْتُسِمَ اللِّحَامُ[3]

تَمَخَّضَتِ المَنُونُ له بيَوْمٍ ... أَنَى[4] وَلِكُلِّ حَامِلَةٍ تَمَامُ

قال الزُّهْرِيُّ : فلمَّا بلَغَ ذلك باذانَ ، بَعَث بإسْلامِه وإسلامِ مَن معه مِن الفُرْسِ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقالت الرُّسُلُ : إلى مَنْ نحنُ يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « أنْتُم مِنَّا وإلينا ، أهْلَ البيْتِ » . قال الزُّهْرِيُّ : ومِن ثَمَّ قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ البيْتِ »[5] . قلتُ : والظَّاهِرُ أنَّ هذا كان بعدَما هاجَرَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى المدينةِ ، ولهذا بعَثَ الأُمَرَاءَ إلى اليمنِ لتعليمِ النَّاسِ الخيرَ ودعوتِهم إلى اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، فبَعَثَ أَوَّلًا خالدَ بنَ الوليدِ ، وعليَّ بنَ أبى طالبٍ ، ثُمَّ

---

(١) أخرجها أحمد فى المسند ٥/ ٤٣. من حديث أبى بكرة، رضى اللَّه عنه (السلسلة الصحيحة ١٤٢٩).

(٢ - ٢) فى الأصل: «إذا تقاسمه». وفى ص: «إذ تقاسمه».

(٣) اللحام: جمع لحم.

(٤) فى الأصل: «إنى». وفى م: «ألا». وأنى: حان وجاء.

(٥) أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣/ ٥٩٨. والبيهقى فى الدلائل ٣/ ٤١٨. والطبرانى فى المعجم الكبير (٦٠٤٠). (ضعيف الجامع ٣٢٧٢).

أَتْبَعَهما أبا موسى الأَشْعَرِىَّ، ومُعاذَ بنَ جَبَلٍ، ودانَتِ اليمنُ وأَهْلُها للإِسْلامِ، وماتَ باذانُ، فقام بعدَه ولدُه شَهْرُ بنُ باذانَ، وهو الذى قَتَلَه الأَسْوَدُ العَنْسِىُّ، حين تَنَبَّأَ، وأَخَذَ زَوْجَتَه - كما سيأْتِى بيانُه - وأَجْلى عن اليمنِ نُوَّابَ رسولِ اللَّهِ، فلمَّا قُتِل الأسودُ عادَتِ اليدُ الإِسلاميَّةُ عليها. وقال ابنُ هِشامٍ[1]: وهذا هو الذى عَنَى به سَطِيحٌ بقولِه: نبىٌّ زَكِىٌّ، يَأْتِيهِ الوَحْىُ مِنْ قِبَلِ العَلِىِّ. والذى عَنَى شِقٌّ بقولِه: بل يَنْقَطِعُ برسولٍ مُرْسَلْ، يَأْتِى بالحقِّ والعَدْل، بينَ أهلِ الدِّينِ والفَضْل، يكونُ المُلْكُ فى قومِه إلى يومِ الفَصْل.

قال ابنُ إسحاقَ[2]: وكان فى حَجَرٍ باليمنِ، فيما يَزْعُمُون، كِتابٌ بالزَّبُورِ، كُتِب فى الزَّمانِ الأَوَّلِ: لَمَن مُلْكُ ذِمارْ؟ لحِمْيَرَ الأَخْيارْ، لَمَن مُلْكُ ذِمارْ؟ للحَبَشَةِ الأَشْرَارْ، لَمَن مُلْكُ ذِمارْ؟ لِفارِسَ الأحرارْ، لَمَن مُلْكُ ذِمارْ؟ لقُرَيشٍ التُّجَّارْ. وقد نَظَم بعضُ الشُّعَراءِ هذا المعنى، فيما ذَكَره المَسْعُودِىُّ[3]:

حِينَ شِيدَتْ[4] ذِمارُ قِيلَ: لِمَنْ أنتِ[5]؟ ... فقالتْ لحِمْيَرَ الأَخْيارِ

ثُمَّ سِيلَتْ: مَنْ بَعْدَ ذاك؟ فقالتْ: ... [6]أنا للحُبْشِ أَخْبَثِ الأَشْرارِ[6]

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٧٠.
(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٧٠.
(٣) مروج الذهب ٢/ ٦٣.
(٤) فى م: «شدت».
(٥) عند المسعودى:

* يوم شيدت ظفار قيل لمن أنت *

(٦ - ٦) عند المسعودى:

* إن ملكى للأحبش الأشرار *

(١ثُمَّ قالوا١) : مِنْ بعدِ ذاك (٢لِمَنْ أنْـ ـتِ؟ فقالتْ٢) : لفارِسَ الأحْرارِ

(٣ثم قالوا٣) : مِنْ بعدِ ذاك لِمَنْ أنْـ ـتِ؟ فقالتْ : (٤إلى قُرَيْشٍ٤) التُّجارِ[٥]

ويُقَالُ : إنَ هذا الكلامَ الذى ذكَرَه محمدُ بنُ إسحاقَ ، وُجِدَ مكتوبًا عندَ قبرِ هُودٍ ، عليه السَّلامُ ، حينَ كَشَفَتِ الرِّيحُ عن قبرِه بأرضِ اليمنِ ، وذلك قبلَ زمنِ بِلْقِيسَ بيسيرٍ ، فى أيَّامِ مالكِ بنِ ذى المَنارِ ، أخى عَمْرٍو ذِى الأذْعارِ بنِ ذى المنارِ[٦] . ويُقَالُ : كان مكْتوبًا على منبرِ[٧] هودٍ أيضًا ، وهو مِن كلامِه ، عليه السّلامُ . حَكاه السُّهَيْلِىُّ[٨] . واللَّهُ أعلمُ .

(١ - ١) عند المسعودى : ثم سيلت .

(٢ - ٢) عند المسعودى : فقالت إن ملكى ..

(٣ - ٣) فى الأصل ، ص : « ثم سئلت » .

(٤ - ٤) فى الأصل : « لقريش » .

(٥) جاء هذا البيت هكذا عند المسعودى :

ثم سيلت ما بعد ذاك فقالت إن ملكى إلى قريش التجار

وهناك ثلاثة أبيات أخرى بعده أوردها المسعودى فى المروج ٢/ ٦٣، ٦٤.

(٦) فى الأصل : « النار » .

(٧) فى الأصل ، م ، ص : « قبر » .

(٨) الروض الأنف ١/ ٣٢١.

قِصّةُ السَّاطِرُونِ [١/٢٢١ظ] صَاحِبِ الحَضْرِ

وقد ذَكَر قِصَّته هٰهنا عبدُ الملكِ بنُ هِشامٍ[(١)] ، لأجْلِ ما قاله بعضُ عُلماءِ النَّسَبِ ؛ أنَّ النُّعمانَ بنَ المُنْذِرِ ، الذى تَقَدَّم ذِكْرُه[(٢)] فى وُرُودِ سيفِ بنِ ذى يَزَنَ عليه ، وسُؤالِه فى مُساعَدَتِه فى ردِّ مُلْكِ اليمنِ إليه ، أنَّه مِن سُلالةِ السَّاطِرُونِ صاحِبِ الحَضْرِ ، وقد قَدَّمْنا عن ابنِ إسحاقَ[(٣)] ، أنَّ النُّعْمانَ بنَ المُنذِرِ مِن ذُرِّيَّةِ ربيعةَ بنِ نَصْرٍ ، وأنَّه رَوَى عن جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ ، أنَّه مِن أَشْلاءِ قُنُصٍ[(٤)] بنِ مَعَدِّ ابنِ عَدْنانَ[(٣)] ، فهذه ثلاثةُ أقوالٍ فى نَسَبِه . فاسْتَطْرَد ابنُ هِشامٍ فى ذِكْرِ صاحبِ الحَضْرِ . والحَضْرُ حِصْنٌ عظيمٌ ، بَناه هذا الملِكُ ، وهو السَّاطِرُونُ على حافَةِ الفُراتِ ، وهو مُنِيفٌ مُرتَفِعُ البناءِ ، واسِعُ الرَّحْبَةِ[(٥)] والفِناءِ ، دَوْرُه بقَدْرِ مدينةٍ عظيمةٍ ، وهو فى غايةِ الإحْكامِ والبَهاءِ ، والحُسْنِ وَالسَّناءِ ، وإليه يُجْبَى ما حولَه مِن الأقطارِ والأَرْجاءِ ، واسْمُ السَّاطِرُونِ : الضَّيْزَنُ بنُ مُعاويةَ بنِ عَبِيدِ بنِ [(٦)]أجْرَمَ ، مِن بَنِى[(٦)] سَلِيحِ بنِ حُلْوانَ بنِ الحافِ بنِ قُضَاعةَ . كذا نَسَبَه ابنُ الكَلْبِيِّ . وقال غيرُه : كان مِن الجَرَامِقَةِ[(٧)] ، وكان أَحَدَ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ ، وكان

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٧١ - ٧٣.

(٢) انظر ما تقدم صفحة ١٥٨.

(٣) تقدم فى صفحة ١٢١.

(٤) فى النسخ : « قيصر » . وانظر ما تقدم فى صفحة ١٢١، وسيرة ابن هشام ١/١٢.

(٥) الرَّحْبَة : ساحة المكان .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل ، ا ٩، ص .

(٧) فى الأصل ، ص : « الجرامعة » .

يَقْدُمُهم إذا اجْتَمَعُوا (١ لحربِ عدوٍّ مِن غيرِهم ١)، وكان حِصْنُه بينَ دِجْلَةَ والفُراتِ .

قال ابنُ هِشامٍ[٢] : وكان كِسْرَى سابورُ ذو الأكْتافِ ، غَزا السَّاطِرُونَ مَلِكَ الحَضْرِ . وقال غيرُ ابنِ هِشامٍ[٣] : إنَّما الذى غَزا صاحِبَ الحَضْرِ ، سابُورُ بنُ أَرْدَشِيرَ[٤] بنِ بابكَ ، أَوَّلُ مُلُوكِ بنى ساسانَ ، أَذَلَّ مُلُوكَ الطَّوائِفِ ، ورَدَّ المُلْكَ إلى الأكاسِرَةِ . وأَمَّا سابورُ ذُو الأكْتافِ بنُ هُرْمُزَ ، فبَعْدَ ذلك بدهرٍ طويلٍ . واللَّهُ أعلمُ . ذَكَرَه السُّهَيْلِىُّ[٥] .

قال ابنُ هِشامٍ[٦] : فحَصَرَهُ سنَتَيْنْ . وقال غيرُه : أربعَ سِنِين . وذلك لأنَّه كان أغارَ على بلادِ سابُورَ فى غَيْبَتِه بأَرْضِ العِراقِ ، فأَشْرَفَتْ بنتُ السَّاطِرُونِ ، وكان اسْمُها النَّضِيرَةَ ، فنَظَرَتْ إلى سابُورَ وعليه ثيابُ دِيباجٍ ، وعلى رَأْسِهِ تاجٌ مِن ذهبٍ ، مُكَلَّلٌ بالزَّبَرْجَدِ والياقُوتِ واللُّؤْلُؤِ ، وكان جميلًا ، فدَسَّتْ إليه : أَتتَزَوَّجُنِى إن فَتَحتُ لكَ بابَ الحَضْرِ ؟ فقالَ : نعم . فلمَّا أَمْسَى ساطرونُ ، شَرِبَ حتى سَكِرَ ، وكان لا يَبِيتُ إلَّا سَكْرانَ ، فأَخَذَتْ مَفاتِيحَ بابِ الحَضْرِ مِن تحتِ رَأْسِه ، وبَعَثَتْ بها مع مَوْلًى لها ، ففَتَحَ البابَ . ويُقالُ : بل دَلَّتْهُم على نهرٍ

(١ - ١) سقط من : الأصل، ا ٩، ص .
(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٧١.
(٣) انظر الروض الأنف ١/ ١٤٥، ٣٢٨.
(٤) فى م : «أردشير» .
(٥) الروض الأنف ١/ ٣٢٨.
(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٧١.

يَدْخُلُ منه الماءُ ، مُتَّسِعٍ ، فوَلَجُوا[1] منه إلى الحَضْرِ . ويُقالُ : بل دَلَّتْهم على طِلَّسْمٍ[2] كان في الحَضْرِ ، [3]وكان في عِلْمِهم[3] أنَّه لا يُفْتَحُ حتى تُؤْخَذَ حَمامةٌ وَرْقاءُ ، وتُخَضَّبَ رِجْلاها بحَيْضِ جاريةٍ بِكْرٍ زَرْقاءَ ، ثُمَّ تُرْسَلَ ، فإذا وَقَعَتْ على سُورِ الحَضْرِ ، سَقَطَ ذلك الطِّلَّسْمُ ، فيُفْتَحُ البابُ ، ففَعَلَ ذلك ، فانْفَتَحَ البابُ ، فدَخَلَ[4] سَابُورُ فقَتَلَ ساطِرُونَ ، واسْتَباحَ الحَضْرَ وخَرَّبَه ، وسارَ بها معه فتزَوَّجَها ، فبَيْنَا هي نائمةٌ على فِراشِها لَيْلًا ، إذ جَعَلَتْ تَمَلْمَلُ لا تَنامُ ، فدَعا لها بالشَّمْعِ ، ففَتَّشَ فِراشَها ، فوَجَدَ عليه وَرَقَةَ آسٍ ، فقالَ لها سَابُورُ : أهذا الذى أَسْهَرَكِ[5] ؟ قالتْ : نعم . قال : فما كانَ أبُوكِ يَصْنَعُ بكِ ؟ قالَتْ : كانَ يَفْرِشُ لى الدِّيباجَ ، ويُلْبِسُنِى الحَرِيرَ ، ويُطْعِمُنى المخَّ ، ويَسْقِينِى الخَمْرَ . قال : أفكانَ جَزاءُ أبِيكِ ما صَنَعْتِ به ؟ ! أنتِ إلىَّ بذلك أسْرَعُ . ثُمَّ أمَرَ بها ، فرُبِطَتْ قُرُونُ رَأْسِها بِذَنَبِ فَرَسٍ ، ثُمَّ رَكَضَ الفَرَسَ ، حتَّى قَتَلَها . ففيه يقولُ أَعْشَى بنُ قَيْسِ ابنِ ثَعْلَبَةَ[6] :

ألم تَـرَ لِـلْـحَـضْـرِ إذْ أَهْـلُـه ... بنُعْمَى وهل خالِدٌ مَنْ[7] نَعِمْ

---

(١) في الأصل ، ص : « فلجوا » .

(٢) الطِّلَّسم : خطوط وأعداد ، يزعم كاتبها أنه يربط بها روحانيات الكواكب العلوية بالطبائع السُّفلية ؛ لجلب محبوب أو دفع أذى ، وهو لفظ يونانى لكل ما هو غامض مبهم كالألغاز والأحاجى . الوسيط (طلسم) .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ا ٩، ص .

(٤) بعده فى الأصل : « على » .

(٥) فى الأصل : « أشهرك » .

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٧٢. والأبيات الثلاثة الأخيرة ليست فيه ، وهى فى الروض ١/ ٣٣٥. والأبيات فى ديوان الأعشى ص ٤٣ باختلاف فى الترتيب وبعض الألفاظ .

(٧) فى الأصل : « بن » .

أقَـامَ بِـهِ شَـاهْـبُـورُ الجُنُـو دَ حَوْلَيْـنِ تَضْرِبُ فيه القُدُمْ[1]

فَـلَـمَّـا دَعَـا رَبُّـهُ[2] دَعْـوَةً أنَـابَ إلَـيْـه فـلـم يَـنْـتَـقِـمْ

فَـهَـل زادَه رَبُّـهُ قُـوَّةً ومِـثْـلُ مُـجَـاوِرِهِ لم يُـقِـمْ

وكَـانَ دَعَـا قَـوْمَـهُ دَعْـوَةً هَلُمُّوا إلى أمْرِكُم قد صُرِمْ[3]

فَمُـوتُـوا كِـرامًـا بأسْيـافِـكُـمْ أرَى المَوْتَ يَجْشَمُه[4] مَنْ جَشِمْ

وقال عَدِيُّ بنُ زَيْدٍ فى ذلك[5]:

والحَضْرُ صَابَتْ[6] عليه داهِيَةٌ مِـنْ فَـوْقِـهِ أيِّـدٌ[7] مَـنـاكِـبُـهـا

رَبِـيَّـةٌ[8] لم تُـوَقِّ والِـدَهَـا لِحَيْنِهـا[9] إذ أضَـاعَ رَاقِـبُـهـا

إذ غَـبَـقَـتْـه[10] صَـهْـبَـاءَ صَـافِيَةً والخَمْرُ وَهْلٌ[11] يَهِيمُ شارِبُها

---

(١) القُدُم: جمع قَدُوم، وهى آلة للنَّجر والنَّحت.

(٢) يعنى به صاحب حِصنِ الحَضْر.

(٣) صُرم: قُطِع.

(٤) جَشِم الأمر يَجْشمه: تَكَلَّفه على مشقَّةٍ.

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٧٣.

(٦) صابت: سقطت.

(٧) الأيِّد: القوى الشديد.

(٨) الربيَّة: تحتمل أن تكون من ربيتُ أى من ربا؛ بمعنى نما وزاد ونشأ، أى التى رَبَتْ ونشأت فى نعمةٍ، فى كنف أبيها. أو من ربأ فيكون أصلها «الربيئة»، وسُهِّلت الهمزة: فصارت «الربية»، والربيئة الطليعة التى ترقُب العدوّ من مكانٍ عالٍ لئلَّا يفاجِئ قومه.

(٩) الحين: الهلاك، والمحنة.

(١٠) فى الأصل: «غنفته». وفى ص: «عنقته». وغَبَقَتْه: سَقَتْه الغَبُوق - وهو ما يُشرب أو يُحلب بالعَشِيّ - ويقصد هنا: سقته.

(١١) الوَهْل: السَّهو، وذَهاب وهْمِ الإنسان إلى غير ما يريده.

فأسْلَمَتْ أهْلَها بلَيْلَتِها تَظُنُّ أنَّ الرَّئِيسَ خاطِبُها

فكانَ حَظُّ العَرُوسِ إذ جَشَرَ[1] الـــــصُّبْحُ دِماءً تَجْرِى سَبائِبُها[2]

وخُرِّبَ الحَضْرُ واسْتُبِيحَ وقد أُحرِقَ فى خِدْرِها مَشَاجِبُها[3]

وقال عَدِىُّ بنُ زَيْدٍ[4] أيضا [١/٢٢٢و]:

أيُّها الشَّامِتُ المُعَيِّرُ بالدَّهْـ ـرِ أأنتَ المُبَرَّأُ المَوْفُورُ

أم لَدَيْكَ العَهْدُ الوَثِيقُ مِنَ الأَيَّـــــامِ بل أنتَ جاهِلٌ مَغْرُورُ

مَن رَأَيْتَ المَنُونُ خَلَّدْنَ أم مَنْ ذا عليه مِن أن يُضامَ خَفِيرُ[5]

أين كِسْرَى كسرَى المُلُوكِ أنُو شِرْ وَانَ أمْ أينَ قَبْلَه سابُورُ

وبَنُو الأَصْفَرِ الكِرامُ مُلُوكُ الرُّومِ لم يَبْقَ منهم مَذْكُورُ

وأخُو الحَضْرِ إذ بَناهُ وإذ دِجْـ ـلَةُ تُجْبَى إليه والخَابُورُ[6]

شادَهُ[7] مَرْمَرًا[8] وجَلَّلَهُ كِلْـ ـسًا[9] فَلِلطَّيْرِ فى ذُراه وُكُورُ

---

(١) فى الأصل: «جثر». وفى ا ٩: «حسر». وجَشَر: طَلَع.

(٢) سبائب الدماء: طرائِقُها. والمفرد: سَبِيبَة.

(٣) المشاجب: جمع مِشْجَب، وهو ما تُعلَّق عليه الثيابُ ونحوها.

(٤) الروض الأنف ١/ ٣٣٢. بزيادة بيتٍ عمّا أورده هنا.

(٥) فى الأصل، ص: «حقير».

(٦) الخابور: نهر بين رأس عين والفرات، وآخر شرقيّ دجلة الموصل، ووادٍ. القاموس المحيط (خ ب ر).

(٧) فى الأصل، ص: «ساده».

(٨) فى الأصل: «مزمرا».

(٩) الكِلْس: الجير.

لم يَهَبْهُ رَيْبُ المَنُونِ فبَانَ المُلْـ ... ـكُ عنه فبَابُهُ مَهْجُورُ

وتَذَكَّرْ رَبُّ الخَوَرْنَقِ إذ أشْـ ... ـرَفَ يَوْمًا وللهُدَى[1] تَفْكِيرُ[2]

سَرَّهُ مالُه وكَثْرَةُ ما يَمْـ ... ـلِكُ والبَحْرُ مُعْرِضًا[3] والسَّدِيرُ[4]

فارْعَوَى قَلْبُهُ وقالَ وما غِبْـ ... ـطَةُ حَيٍّ إلى المماتِ يَصِيرُ

ثُمَّ أضْحَوا كأنَّهُمْ وَرَقٌ جَـ ... ـفَّ فألْوَتْ[5] به الصَّبَا والدَّبُورُ[6]

قُلْتُ : ورَبُّ الخَوَرْنَقِ[7] الذى ذَكَرَه فى شِعْرِه ، رَجُلٌ مِن المُلُوكِ المُتَقَدِّمِين ، وَعَظَه بعضُ عُلماءِ زَمانِه فى أمْرِه الذى كان قد أَسْرَفَ فيه وعَتَا ، وَتَمَرَّدَ فيه ، وأَتْبَع نَفْسَه هَواها ، ولم يُراقِبْ فيها مَوْلاها ، فوعَظَه بمَن سَلَفَ قَبْلَه مِن المُلوكِ والدُّوَلِ ، وكيفَ بادُوا ولم يَبْقَ منهم أحدٌ ، وأنَّه ما صارَ إليه عن غيرِه إلَّا وهو مُنْتَقِلٌ عنه إلى مَن بَعْدَه ، فأَخَذَتْه مَوْعِظَتُه ، وبَلَغَتْ منه كُلَّ مَبْلَغٍ ، فارْعَوَى لنَفْسِه ، وفَكَّر فى يَوْمِه وأمْسِه ، وخافَ مِن ضِيقِ رَمْسِه ، فتابَ وأنابَ ، ونَزَعَ عَمَّا كان فيه ، وتَرَكَ المُلْكَ ولَبِسَ زِيَّ الفُقَراءِ ، وساحَ فى الفَلَواتِ ، وحَظِيَ بالخَلَواتِ ، وخَرَج عمَّا كانَ النَّاسُ فيه مِن اتِّباعِ الشَّهَواتِ ، وعِصْيانِ ربِّ

---

(١) فى الأصل : «للهدى» .
(٢) فى الأصل ، ص: «تذكير» .
(٣) فى الأصل ، ا ٩: «معرض» . ومُعرِضًا : مُتَّسِعًا .
(٤) السدير : نهر ، ويقال : قصر . اللسان (س د ر) .
(٥) فى الأصل : «نالوت» . وألوتْ به : ذهبتْ به .
(٦) الصَّبا والدَّبور : رِيح .
(٧) قال السهيلى : الخورنق نفسه ؛ اسمُ قصرٍ ، بناه النعمانُ الأكبر ملكُ الحيرة لسابور ؛ ليكون ولده فيه عنده ، وبناه بناءً أعجميًّا ، لم تر العرب مثله . الروض الأنف ١/ ٣٨٠.

السَّمـاواتِ ، وقد ذَكَرَ قِصَّتَه مَبْسوطةً الشَّيْخُ الإمامُ مُوَفَّقُ ابنُ قُدامةَ المَقْدِسِيُّ ، رحِمَه اللَّهُ ، فى كِتابِ « التَّوَّابِين »[1] ، وكذلك أوْرَدها بإسْنادٍ مَتِينٍ الحافظُ أبو القاسِمِ السُّهَيْلِىُّ فى كِتابِ « الرَّوْضِ الأُنفِ »[2] ، المُرَتَّبِ أحْسَنَ تَرْتِيبٍ وأوْضَحَ تَبْيِينٍ .

(١) التوابين ص ٣٩ - ٤٢ .
(٢) الروض ١/٣٢٩ - ٣٣٢.

خبرُ مُلوكِ الطَّوائِفِ

وأمَّا صاحبُ الحَضْرِ، وهو ساطِرُونُ، فقد تَقَدَّم أنَّه كان مُقَدَّمًا على سائرِ مُلُوكِ الطَّوائِفِ، وكان مِن زَمَنِ إسْكَنْدرَ بنِ فيلبسَ المَقْدُونِيِّ اليُونانيِّ، وذلك لأنَّه لمَّا غَلَبَ[1] على مَلِكِ الفُرْسِ دَارَا بنِ دَارَا، وأَذَلَّ مَمْلَكَتَه وخَرَّبَ بلادَه، واسْتَباح بَيْضَةَ قومِه ونَهَب حواصِلَه، ومَزَّق شَمْلَ الفُرْسِ شَذَرَ مَذَرَ، عَزَم أن لا يَجْتَمِعَ لهم بعدَ ذلك شَمْلٌ، ولا يَلْتَئِمَ لهم أمرٌ، فجَعَل يُقِرُّ كلَّ مَلِكٍ على طائفةٍ مِن النَّاسِ فى إقليمٍ مِن أقاليمِ الأرضِ، ما بينَ عَرَبِها وأعاجِمِها، فاسْتَمَرَّ كلُّ ملكٍ منهم يَحْمِى حَوْزَتَه، ويَحْفَظُ حِصَّتَه، وَيَسْتَغِلُّ مَحِلَّتَه، فإذا هَلَك، قام وَلَدُه مِن بعدِه، أو أَحَدُ قومِه، فاسْتَمَرَّ الأمرُ كذلك قريبًا مِن خمسِمائةِ سَنَةٍ، حتى كان أَرْدَشِيرُ بنُ بابَكَ مِن بنى سَاسانَ بنِ بَهْمَنَ بنِ إسفنديارَ بنِ يَشتاسبَ بنِ لهراسبَ، فأعادَ مُلْكَهم إلى ما كان عليه، ورَجَعَت المَمالِكُ برُمَّتِها إليه، وأزالَ ممالكَ مُلُوكِ الطَّوائِفِ، ولم يَبْقَ منهم تالِدٌ و لا طَارِفٌ، وكان تَأَخَّرَ عليه حِصارُ صَاحِبِ الحَضْرِ، الذى كان أَكْبَرَهم وأَشَدَّهم وأَعْظَمَهم، إذ كان رَئِيسَهم وَمُقَدَّمَهم، فلمَّا مات أزدشيرُ، تَصَدَّى له وَلَدُه سابورُ، فحاصَرَه حتى أَخَذَه، كما تَقَدَّمَ. واللَّهُ سبحانه وتعالى أعلمُ.

---

(١) الذى غَلَبَ ملِكَ الفُرس دارا بن دارا، هو إسكندرُ بن فيلبس المقدونىُّ، كما يبين من سياق القصة مفصّلًا عند السهيلى، فى الروض الأنف ١/ ١٤٤، ١٤٥.

بابُ[1] ذِكْرِ بنى إسماعيلَ
وما كان مِن أُمورِ الجاهِلِيَّةِ إلى زمانِ البِعْثَةِ

تَقَدَّم ذِكْرُ إسماعيلَ نَفْسِه، عليه السَّلامُ، مع ذِكْرِ الأنبياءِ[2]، وكيف كان مِن أمْرِه حينَ احْتَمَلَه أبوه إبراهيمُ الخليلُ، عليه الصلاةُ والسلامُ، مع أُمِّه هاجَرَ فأَسْكَنَهما بوادِى مَكَّةَ بينَ جبالِ فارَانَ، حيثُ لا أَنِيسَ به ولا حَسِيسَ، وكان إسْمَاعِيلُ رَضِيعًا، ثُم ذَهَب وتَرَكَهُما هُنالِك عن أمْرِ اللَّهِ له بذلك، ليس عندَ أُمِّه سوى جِرابٍ فيه تَمْرٌ، وَوِكَاءٍ فيه ماءٌ، فلمَّا نَفِدَ ذلك، أَنْبَعَ اللَّهُ لهاجَرَ زَمْزَمَ، التى هى طعامُ طُعْمٍ وشِفَاءُ سُقْمٍ، كما تَقَدَّم بَيانُه فى حديثِ ابنِ عباسٍ الطَّويلِ[3] الذى رَواه البُخارِىُّ، رَحِمَه اللَّهُ. ثُمَّ نَزَلَتْ جُرْهُمُ، وهم طائفةٌ مِن العَرَبِ العارِبةِ مِن أُمَمِ العربِ الأقْدَمِين، عندَ هَاجَرَ بمَكَّةَ، على أنْ ليس لَهم فى الماءِ شىءٌ، إلَّا ما يَشْرَبُون منه ويَنْتَفِعُون به، فَاسْتَأْنَسَتْ هَاجَرُ بهم [١/٢٢٢ظ]، وجَعَل الخليلُ، عليه السَّلامُ، يُطالِعُ أَمْرَهم فى كُلِّ حِينٍ؛ يُقالُ: إنَّه كان يَرْكَبُ البُرَاقَ مِن بلادِ بيتِ المَقْدِسِ فى ذَهابِه وإيَابِه، ثُمَّ لمَّا تَرَعْرَعَ الغُلامُ وشَبَّ، وبَلَغ مع أبيه السَّعْىَ، كانتْ قِصَّةُ الذَّبْحِ. كما تَقَدَّمَ بَيانُ أنَّ الذَّبِيحَ هو

---

(١) سقط من: م.

(٢) انظر ما تقدم فى ١/٣٥٤ - ٣٦٢، ٣٧٧ - ٣٨٣، ٤٤٢ - ٤٤٦.

(٣) تقدم تخريجه فى ١/٣٥٧.

إسماعيلُ ، على الصَّحِيحِ . ثُمَّ لمَّا كَبِرَ ، تَزَوَّجَ مِن جُرْهُمٍ امْرَأَةً ، ثُمَّ فارَقَها وَتَزَوَّجَ غَيْرَها ، وَتَزَوَّجَ بالسيِّدَةِ بنتِ مُضَاضِ بنِ عَمْرٍو الجُرْهُمِيِّ ، وجاءته بالبَنِينَ الاثْنَىْ عشَرَ ، كما تَقَدَّمَ ذِكْرُهم ، وهم : نابِتٌ ، وقَيْذَرُ ، ومِيشا ، ومِسْمَعٌ ، وماشى ، ودُمَا ، وأُدَرُ ، ويَطُورُ ، ونَبِشٌ ، وطيما ، وقَيْذُما . هكذا ذَكَرَهُ محمدُ بنُ إسحاقَ وغيرُه[1] عن كُتُبِ أهلِ الكتابِ ، وله ابنةٌ واحدةٌ اسمها نسمةٌ وهى التى زَوَّجَها مِن ابنِ أخِيه العِيصِ[2] بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ ، فوُلِدَ له منها الرُّومُ واليُونانُ[3] ، والأشبانُ أيضًا ، فى أَحَدِ القَوْلَيْنِ . ثُمَّ جميعُ عَرَبِ الحِجازِ على اختلافِ قبائلِهم ، يَرْجِعُون فى أَنْسابِهم إلى وَلَدَيْهِ نابِتٍ وقَيْذَرٍ . وكان الرئيسُ بعدَه والقائمُ بالأُمُورِ الحاكِمُ فى مكَّةَ ، والنّاظِرُ فى أمرِ البيتِ وزَمْزَمَ ، نابتَ بنَ إسماعيلَ[4] ، وهو ابنُ أُختِ الجُرْهُمِيِّينَ ، ثم تَغَلَّبَتْ جُرْهُمٌ على البيتِ ؛ طَمَعًا فى بنى أُخْتِهم ، فحَكَمُوا بمَكَّةَ وما والاها ، عِوَضًا عن بنى إسماعيلَ ، مُدَّةً طويلةً ، فكان أَوَّلُ مَنْ صارَ إليه أَمْرُ البَيْتِ بعدَ نابِتٍ مُضاضَ بنَ عَمْرِو بنِ سعدِ ابنِ الرَّقِيبِ بنِ هينٍ[5] بنِ نبتِ بنِ جُرْهُمٍ . وَجُرْهُمُ بنُ قَحْطَانَ ، ويقال : جُرْهُمُ ابْنُ يقطنَ بنِ عيبرِ بنِ شالخِ بنِ أَرْفَخْشَذَ بنِ سَامِ بنِ نُوحٍ الجُرْهُمِيُّ . وكان نازِلًا بأَعْلى مَكَّةَ بقُعَيْقِعانَ ، وكان السَّمَيْدَعُ ، سيِّدُ قَطُوراءَ ، نازِلًا بقومِه فى أسْفَلِ

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٤، ٥. وتاريخ الطبرى ١/ ٣١٤. وطبقات ابن سعد ١/ ٥١. والكامل لابن الأثير ١/ ١٢٥.

(٢) فى م : « العيصو » .

(٣) فى م : « فارس » .

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ١١١.

(٥) فى الأصل ، ص : « هبير » . وفى م : « عيبر » . وكذا فى الموضع الذى يأتى . وعند السهيلى : « هَىّ » . والمُثبت أقرب شىء إليه . انظر الروض ٢/ ١٩.

مَكَّةَ ، وكلٌّ منهما يَعْشُرُ[1] مَنْ مَرَّ به مُجتازًا إلى مَكَّةَ ، ثُمَّ وَقَع بين جُرْهُمٍ وقَطُوراءَ ، فاقْتَتَلُوا ، فقُتِل السَّمَيْدَعُ ، واسْتوثَق الأمرُ لِمُضاضٍ ، وهو الحاكمُ بمَكَّةَ والبيتِ ، لا يُنازِعُه فى ذلك وَلدُ إسْمَاعِيلَ ، مع كَثْرَتِهم وشَرَفِهِم وانْتِشَارِهم بِمَكَّةَ وبغيرِها ؛ وذلك لخُئُولَتِهم له ، ولعَظَمَةِ البيتِ الحرَامِ[2] ، ثُمَّ صارَ المُلْكُ بَعْدَه إلى ابنِه الحارِثِ ، ثُمَّ إلى عَمْرِو بنِ الحارِثِ . ثُمَّ بَغَتْ جُرْهُمٌ بِمَكَّةَ ، وأَكْثَرَتْ فيها الفسادَ ، وأَلْحَدُوا بالمسجدِ الحرامِ ، حتى ذُكِرَ أَنَّ رَجُلًا منهم ، يُقالُ له : إسَافُ ابنُ بَغْيٍ . وامْرَأَةً يُقالُ لها : نائِلةُ بنتُ وائِلٍ . اجْتَمَعَا فى الكعبةِ ، فكانَ منه إليْها الفاحِشةُ ؛ فمَسَخَهما اللَّهُ حَجَرَيْنِ[3] فنَصَبَهما النَّاسُ قريبًا مِن البيتِ ؛ ليَعْتَبِرُوا بِهِمَا ، فلمَّا طالَ المَطَالُ بعدَ ذلك بِمُدَدٍ ، عُبِدا مِن دُونِ اللَّهِ ، فى زَمَنِ خُزَاعَةَ ، كما سيَأْتِى بيانُه فى مَوْضِعِه ، فكانا صَنَمَيْنِ مَنْصُوبَيْن ، يقالُ لهما : إسَافٌ ونَائِلَةُ . فلمَّا أكْثَرَتْ جُرْهُمٌ البَغْىَ بالبلدِ الحرامِ ، تَمالأَتْ عليهم خُزاعَةُ الذين كانوا نَزَلُوا حَوْلَ الحَرَمِ[4] ، وكانوا مِن ذُرِّيَّةِ عَمْرِو بنِ عامِرٍ ، الذى خَرَج مِن اليَمَنِ لِأَجْلِ ما تَوَقَّعَ مِن سَيْلِ العَرِمِ ، كما تقَدَّمَ[5] . وقِيل : إنَّ خُزاعَةَ مِن بنى إسماعيلَ . فاللَّهُ أعلمُ .

والمقصودُ أنَّهم اجْتَمَعُوا لحَرْبِهم ، وآذَنُوهم بالحَرْبِ واقْتَتَلُوا ، واعْتَزَل بنو إسماعيلَ كِلَا الفَرِيقَيْنِ ، فغَلَبَتْ خُزاعَةُ ، وهم بنو بكرِ بنِ عبدِ مَناةَ وغُبْشَانُ ،

---

(١) يَعْشُر : يأخُذ عُشْر الأموال .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ١١٢، ١١٣.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٨٢. وعنده : « نائلة بنت ديك » . وانظر الأصنام للكلبى ص ٩ وعنده : « إساف ابن يعلى » و « نائلة بنت زيد » .

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ١١٣، ١١٤.

(٥) انظر ما تقدم فى صفحة ١١٣ .

وأَجْلَوهم عن البيتِ ، فعَمَدَ عَمرُو بنُ الحارِثِ بنِ مُضاضٍ الجُرْهُمِيُّ - وهو سيِّدُهُم - إلى غَزالَيِ الكعبةِ ، وهُما مِن ذَهَبٍ ، وحَجَرِ الرُّكْنِ - وهو الحَجَرُ الأَسْوَدُ - وإلى سُيُوفٍ مُحَلَّاةٍ وأَشْياءَ أُخَرَ ، فدَفَنَها فى زَمْزَمَ وعَلَّمَ زَمْزَمَ ، وارْتَحَلَ بقومِهِ فَرَجَعُوا إلى اليَمَنِ . وفى ذلك يقولُ عمرُو بنُ الحارِثِ بنِ مُضاضٍ :

(١)وَقَائِلَةٍ وَالدَّمْعُ سَكْبٌ مُبادِرٌ ... وقد شَرِقَتْ بِالدَّمْعِ مِنْهَا المَحَاجِرُ(١)

كأنْ لم يكُنْ بيْنَ الحَجُونِ إلى الصَّفَا ... أَنِيسٌ ولم يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ

(٢)فقُلتُ لها وَالْقَلْبُ مِنِّى كأنَّما ... يُلَجْلِجُهُ بَيْنَ الجَنَاحَيْنِ طَائِرُ(٢)

بلى نحنُ كُنَّا أَهْلَها فأزالَنا ... صُرُوفُ اللَّيالى وَالْجُدُودُ(٣) العَواثِرُ

وكُنّا وُلَاةَ البيتِ مِن بعدِ نابِتٍ ... نَطُوفُ بذاكَ البَيْتِ والخَيْرُ ظاهِرُ

ونحنُ وَلِينا البَيْتَ مِن بعدِ نابِتٍ ... بِعِزٍّ فما يَحْظَى لَدَيْنا المُكاثِرُ

مَلَكْنا فعَزَّزْنَا فأَعْظِمْ بِمُلْكِنا ... فليس لحَيٍّ غَيْرِنا(٤) ثَمَّ فاخِرُ

ألم تُنْكِحُوا مِن خَيْرِ شَخْصٍ عَلِمْتُهُ(٥) ... فأبْناؤُهُ مِنَّا ونحنُ الأَصاهِرُ

فَإِنْ تَنْثَنِ الدُّنْيا علينا بِحالِها ... فإنَّ لها حالًا وفيها التَّشاجُرُ

[١/٢٢٣و] فَأَخْرَجَنا مِنْهَا المَلِيكُ بِقُدْرَةٍ ... كذلك يا لَلنّاسُ تَجْرِى المَقَادِرُ

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ا ٩، ص .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ا ٩، ص .

(٣) فى الأصل : « والجذوذ » . والجدود : جمع جَدٍّ ، وهو الحَظُّ .

(٤) فى الأصل : « عزنا » .

(٥) فى الأصل ، ص : « علمتم » .

أقُولُ إذا نامَ الخَلِىُّ ولم أنَمْ أذا العَرْشِ لا يَبْعُدْ سُهَيْلٌ وعامِرُ

وَبُدِّلْتُ منها أوْجُهًا لا أُحِبُّها قَبائِلُ منها حِمْيَرٌ وَيَحابِرُ[1]

وصِرْنا أحادِيثًا وكُنَّا بِغِبْطَةٍ بذلك عَضَّتْنا السُّنُونَ الْغَوابِرُ

فسَحَّتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ تَبْكِى لِبَلْدَةٍ بِهَا حَرَمٌ أمْنٌ وفيها المَشَاعِرُ

وتَبْكِى لبيتٍ ليس يُؤْذَى حَمامُهُ يَظَلُّ به[2] أمْنًا وفيه العَصافِرُ

وَفِيه وُحُوشٌ لَا تُرامُ أنِيسَةٌ إذا خَرَجَتْ منه فَلَيْسَتْ تُغادِرُ

قال ابنُ إسحاقَ[3] : وقال عَمْرُو بنُ الحارِثِ بنِ مُضاضٍ - أيضًا - يَذْكُرُ بنى بكرٍ وغُبْشانَ، الذين خَلَفُوا بَعْدَهم بمكةَ :

يا أيُّها النَّاسُ سِيرُوا إنَّ قَصْرَكُمْ[4] أن تُصْبِحُوا ذاتَ يَوْمٍ لا تَسِيرُونا

حُثُّوا المَطِىَّ وأرْخُوا مِنْ أزِمَّتِها قَبْلَ المَماتِ وقَضُّوا ما تُقَضُّونا

كُنَّا أُناسًا كما كُنتُمْ فغَيَّرَنا دَهْرٌ فأنْتُمْ كما صِرْنا تَصِيرُونا

قال ابنُ هِشامٍ[3] : هذا ما صَحَّ له منها، وحَدَّثَنى بعضُ أهلِ العِلْمِ بالشِّعْرِ، أنَّ هذه الأبياتَ أوَّلُ شِعْرٍ قِيل فى العَرَبِ، وأنَّها وُجِدَتْ مكتوبةً فى حَجَرٍ باليمنِ، ولم يُسَمَّ قائِلَها. وذَكَرَ السُّهَيْلِىُّ[5] لهذه الأبياتِ إخوةً، وحَكَى

---

(١) فى الأصل: «ويحابر». ويحابر من قبائل اليمن. ويقال: هى مراد.

(٢) سقط من: الأصل، ص.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ١١٦.

(٤) فى م: «قصاركم». وقَصْرُكم: غايتكم.

(٥) الروض الأنف ٢/ ٢٦.

عندَها حِكايةً مُعْجِبَةً وإنْشاداتٍ مُغْرِبةً. قال: وزادَ أبو الوَلِيدِ الأَزْرَقِيُّ، فى كتابِه «فَضائلِ مَكَّةَ»، على هذه الأبياتِ المَذْكُورةِ المَنْسُوبةِ إلى عَمْرِو بنِ الحارِثِ بنِ مُضَاضٍ:

قد مالَ دَهْرٌ علينا ثُمَّ أهْلَكَنا ... بالبَغْيِ فينا[1] وبَزَّ[2] النَّاسَ ناسونا[3]

[4]إنَّ التَّفَكُّرَ لا يُجدِى[5] بِصاحِبِه ... عِندَ البَدِيهَةِ فى عِلْمٍ له دُونا

قَضُّوا أُمُورَكُم بالحزْمِ إنَّ لها ... أُمُورَ رُشْدٍ رَشَدْتُمْ ثمَّ مسنونا[6][4]

واسْتَخْبِرُوا فى صَنِيعِ النَّاسِ قَبْلَكُمْ ... كما اسْتَبانَ طَرِيقٌ عِندَهُ الْهُونا

كُنَّا زَمانًا مُلُوكَ النَّاسِ قَبْلَكُمْ ... بِمَسْكَنٍ فى حَرامِ اللَّهِ مَسْكُونا

---

(١) فى الأصل، ا ٩، ص: «فيه».

(٢) فى الأصل، ا ٩: «وفذ». وفى ص: «وفد». وبزَّ: غَلَب.

(٣) فى الأصل: «يأسونا».

(٤ - ٤) سقط من: الأصل، م، ص.

(٥) فى ا ٩: «يجرى». والمثبت من الروض.

(٦) فى ا ٩: «مسونا». والمثبت من الروض.

قِصَّةُ خُزاعَةَ وعَمْرِو بنِ لُحَيٍّ،

وَعِبادةِ العَرَبِ للأَصْنامِ

قال ابنُ إسحاقَ[1] : ثُم إنَّ غُبْشانَ مِن خُزاعَةَ، وَلِيَتِ البيتَ دونَ بنى بكرِ ابنِ عبدِ مَناةَ، وكان الذى يَلِيه مِنهم عَمْرَو بنَ الحارِثِ الغُبْشانِيَّ، وقُرَيْشٌ إذ ذاك حُلُولٌ وصِرْمٌ[2]، وبُيُوتاتٌ مُتَفَرِّقُون فى قومِهم مِن بنى كِنانَةَ. قالوا[3] : وإنَّما سُمِّيَتْ خُزَاعَةُ خُزاعةَ؛ لأَنَّهم تَخزَّعُوا[4] مِن وَلَدِ عَمْرِو بنِ عامرٍ، حِينَ أَقْبَلُوا مِن اليمنِ يُرِيدُونَ الشَّامَ، فنَزَلُوا بمَرِّ الظَّهْرانِ، فأقامُوا به. قال عونُ بنُ أَيُّوبَ الأنْصارِىُّ، ثُمَّ الخزْرَجِىُّ فى ذلك:

فلمَّا هَبَطْنا بَطْنَ مَرٍّ تَخَزَّعَتْ خُزاعَةُ مِنَّا فى حُلُولٍ[5] كَراكِرِ[6]

حَمَتْ كُلَّ وادٍ مِن تِهامَةَ واحْتَمَتْ بِصُمِّ القَنا[7] والمُرْهَفاتِ البَواتِرِ[8]

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ١١٧.

(٢) الحلول : النازلون بالمكان أو الساكنون بالبيت . والصرم : الجماعة المنعزلة ، والقطعة من كل شىء .

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٩١، ٩٢.

(٤) تخزعوا : تأخروا .

(٥) كذا فى النسخ . وفى سيرة ابن هشام : «الخيول» .

(٦) الكراكر : جمع كِرْكِرَة ، وهى الجماعة من الناس .

(٧ - ٧) فى الأصل ، ص : «بضم الفنا» . والقنا : جمع قَناة؛ وهى الرُّمح الأجوف . والصُّمّ جمع أصمّ وصمَّاء؛ والقناة الصمّاء : المكتنِز جَوْفُها .

(٨) المرهفات : رَهَفَ السيفَ : رقَّقه . والبواتر : القواطع .

وقال أبو المُطَهَّرِ إسماعيلُ بنُ رافِعٍ الأَنصارِيُّ الأَوْسِيُّ :

فلمَّا هَبَطْنا بَطْنَ مَكَّةَ أَحْمَدَتْ[1] خُزاعَةُ دارَ الآكِلِ المُتَحامِلِ

نَحلَتْ[2] أَكارِيسًا[3] وَشَتَّتْ[4] قَنابِلًا[5] عَلى كُلِّ حَيٍّ بَيْنَ نَجْدٍ وَساحِلِ

نَفَوْا جُرْهُمًا عن بَطْنِ مَكَّةَ وَاحْتَبَوْا بِعِزٍّ خُزاعِيٍّ شَدِيدِ الْكَواهِلِ

فَوَلِيَتْ خُزاعةُ البيتَ ، يَتَوارَثُون ذلكَ كابِرًا عن كابِرٍ ، حتى كان آخِرَهم حُلَيْلُ[6] بنُ حُبْشِيَّةَ بنِ سَلُولِ بنِ كَعْبِ بنِ عَمْرِو [١/٢٢٣ظ] بنِ رَبِيعَةَ الخُزاعِيُّ ، الذى تَزَوَّج قُصَيُّ بنُ كِلابٍ ابْنَتَه حُبَّى ، فوَلَدَتْ له بَنِيهِ الأربعةَ ؛ عبدَ الدّارِ ، وعبدَ مَنافٍ ، وعبدَ العُزَّى ، وعَبْدًا ، ثُمَّ صارَ أمرُ البيتِ إليه ، كما سيأتى بيانُه وتفصيلُه فى موضِعِه ، إن شاءَ اللَّهُ تعالى ، وبه الثِّقَةُ . واسْتَمَرَّتْ خُزاعَةُ على ولايةِ البيتِ نَحْوًا مِن ثَلَثِمائَةِ سنةٍ ، وقيل : خَمسِمائةِ سَنَةٍ . واللَّهُ أعْلَمُ . وكانوا مَشْئُومِين[7] فى وِلايتِهم ، وذلك لأنَّ فى زَمانِهم كان أوَّلُ عبادةِ الأوْثانِ بالحِجازِ ، وذلك بسببِ رئيسِهم عَمْرِو بنِ لُحَيٍّ ، لَعَنَهُ اللَّهُ ؛ فإنَّه أوَّلُ مَن دَعاهم إلى ذلك ، وكان ذا مالٍ جَزِيلٍ جِدًّا ؛ يُقالُ : إنَّه فَقَأَ أعْيُنَ عِشرينَ بعيرًا . وذلك عبارةٌ عن أنَّه مَلَكَ عِشْرِين ألفَ بعيرٍ ، وكان مِن عادةِ العربِ أنَّ مَن مَلَكَ ألفَ

---

(١) فى الأصل ، ص : « أخمدت » .

(٢) فى الأصل : « فحنت » . وفى ص : « فحنث » .

(٣) الأكاريس : جمع كِرْس ، وهو بيوت من الناس مجتمعة .

(٤) فى الأصل ، ا ٩ ، ص : « فشنت » . وشَتَّتْ : تَفَرَّقَتْ .

(٥) فى الأصل : « قبائلا » . وفى ا ٩ ، ص : « قبايلا » . والقنابل : جمع قَنْبَل ، وهو الطائفة من الناس والخيل .

(٦) فى الأصل ، ص : « خليل » . وفى ا ٩ : « شليد » .

(٧) فى الأصل ، ص : « مسوس » . وفى م : « سوس » .

بعيرٍ، فَقَأَ عينَ واحدٍ منها؛ لأنَّه يَدْفَعُ بذلك العينَ عنها. وممَّن ذَكَر ذلك الأَزْرَقِيُّ[1]. وذَكَر السُّهَيْلِيُّ[2] أنَّه رُبَّما ذَبَح أيَّامَ الحَجِيجِ عَشَرةَ آلافِ بَدَنَةٍ، وكَسَا عَشَرَةَ آلافِ حُلَّةٍ، فى كلِّ سَنَةٍ يُطعِمُ العَرَبَ، ويَحِيسُ لهم الحَيْسَ[3] بالسَّمْنِ والعَسَلِ، ويَلُتُّ لهم السَّوِيقَ[4]. قالوا: وكان قولُه وفِعْلُه فيهم كالشَّرْعِ المُتَّبَعِ؛ لشَرَفِه فيهم، ومَحِلَّتِه عندَهم وكَرَمِه عليهم.

قال ابنُ هِشامٍ[5]: حَدَّثَنى بعضُ أهلِ العلمِ، أنَّ عمرَو بنَ لُحَىٍّ خَرَج مِن مَكَّةَ إلى الشَّامِ فى بعضِ أُمُورِه، فلمَّا قَدِمَ مآبَ مِن أرضِ البَلْقاءِ، وبها يومَئذٍ العَمالِيقُ؛ وهم وَلَدُ عِمْلَاقٍ، ويقالُ: ولدُ عِمْليقِ بنِ لاوَذَ بنِ سامِ بنِ نُوحٍ، رآهم يَعْبُدُون الأَصْنامَ، فقال لهم: ما هذه الأصنامُ التى أراكم تَعْبُدُون؟ قالوا له: هذه أصنامٌ نَعْبُدُها؛ فنَسْتَمْطِرُها فتُمْطِرُنا، ونَسْتَنْصِرُها فتَنْصُرُنا. فقال لهم: ألا تُعْطُونَنى منها صَنَمًا، فأَسِيرَ به إلى أرضِ العربِ، فيَعْبُدُوه؟ فأعْطَوْه صنمًا يُقالُ له: هُبَلُ، فقَدِم به مكَّةَ فَنَصَبَه، وأَمَرَ النَّاسَ بعبادَتِه وتَعْظِيمِه.

قال ابنُ إسحاقَ[6]: ويَزْعُمُون أنَّ أوَّلَ ما كانتْ عبادةُ الحِجارَةِ فى بنى إسماعيلَ، عليه السَّلامُ؛ أنَّه كان لا يَظْعَنُ مِن مَكَّةَ ظاعِنٌ منهم، [7]حينَ ضاقَتْ عليهم والْتَمَسُوا الفُسَحَ فى البِلادِ[7]، إلَّا حَمَل معه حَجَرًا مِن حِجارَةِ

---

(1) فى أخبار مكة ص ٥٨.
(2) الروض الأنف ١/ ٣٥٧.
(3) فى الأصل: «الحسيس». والحَيْس: تمرٌ وأقِطٌ وسمنٌ، تُخلَط وتُعجَن وتُسوَّى كالثَّرِيد.
(4) السَّوِيق: طعامٌ يُتَّخذ من مدقوق الحِنطة والشعير.
(5) سيرة ابن هشام ١/ ٧٧.
(6) سيرة ابن هشام ١/ ٧٧.
(٧ - ٧) سقط من: الأصل، ا ٩، ص.

الحَرَمِ؛ تَعْظِيمًا للحَرَمِ، فحيثُما نَزَلُوا وضَعُوه، فطافُوا به كطَوافِهم بالكعبةِ، حتى سَلَخ[1] ذلك بهم إلى أن كانوا يَعْبُدُون ما اسْتَحْسَنُوا مِن الحجارَةِ وأَعْجَبَهم، حتى خَلَفَتِ الخُلُوفُ ونَسُوا ما كانوا عليه.

وفى «صحِيحِ البخاريِّ»[2]، عن أبى رَجاءٍ العُطارِدِيِّ، قال: كُنَّا فى الجاهِلِيَّةِ إذا لم نَجِدْ حَجَرًا، جَمَعْنا حَثْيَةً مِن التُّرابِ، وجِئْنا بالشَّاةِ فحَلَبْناها عليه، ثُمَّ طُفْنا بها.

قال ابنُ إسحاقَ[3]: واسْتَبْدَلُوا بِدِينِ إبراهيمَ وإسماعيلَ، عليهما السَّلامُ، غيرَه، فعَبَدُوا الأوثانَ، وصارُوا إلى ما كانتْ عليه الأُمَمُ قَبْلَهم مِن الضَّلالاتِ، وفيهم على ذلك بقايا مِن عهدِ إبراهيمَ، عليه السَّلامُ، يَتَمَسَّكُون بها؛ مِن تعظيمِ البيتِ والطَّوافِ به، والحَجِّ والعُمْرَةِ، والوُقُوفِ على عَرَفَاتٍ والمُزْدَلِفَةِ، وهَدْيِ البُدْنِ، والإهْلالِ بالحَجِّ والعُمْرَةِ، مع إدْخالِهم فيه ما ليس منه، فكانت كِنانةُ وقُرَيْشٌ، إذا أهَلُّوا قالوا: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْك، لَبَّيْك لا شريكَ لكَ، إلَّا شريكًا هو لك، تَمْلِكُه وما مَلَكَ. فيوحِّدُونَه بالتَّلْبِيَةِ، ثُمَّ يُدْخِلُون معه أصْنامَهم، ويَجْعَلُون مِلْكَها بيَدِه؛ يقولُ اللَّهُ تعالى لمحمدٍ ﷺ[4]: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]. أى؛ ما يُوَحِّدُونَنِى لمعرفةِ حَقِّى، إلَّا جَعَلُوا معى شَرِيكًا مِن خَلْقِى.

---

(١) سلخ: مضى.

(٢) البخارى (٤٣٧٦). وعنده: «جُثْوَة» بدل «حَثْيَة». والحثية: الغَرْفَة من التراب.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٧٧، ٧٨.

(٤) التفسير ٤/ ٣٤١.

وقد ذَكَر السُّهَيْلِىُّ وغيرُه[1] ؛ أَنَّ أَوَّلَ مَن لَبَّى هذه التَّلْبِيَةَ ، عَمْرُو بْنُ لُحَيٍّ ، وأَنَّ إبليسَ تَبَدَّى له فى صورةِ شَيْخٍ ، فجَعَلَ يُلَقِّنُه ذلك ، فيَسْمَعُ منه ، ويقولُ كما يقولُ ، واتَّبَعَه العَرَبُ فى ذلك . وثَبَت فى « الصحيحِ »[2] ، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كان إذا سَمِعَهم يَقُولُون : لَبَّيْكَ لا شريكَ لك . يقولُ : « قَدْ قَدْ » . أىْ ؛ حَسْبُ حَسْبُ .

وقد قالَ البُخارِىُّ[3] : ثنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ ، حَدَّثَنا يحيى بْنُ آدَمَ ، ثنا إسرائيلُ ، عن أبى حَصِينٍ[4] ، [5]عن أبى صالحٍ[5] ، عن أبى هُرَيرةَ ، عن النبىِّ ﷺ ، قال : [6]« عَمْرُو بْنُ لُحَىِّ بْنِ قَمَعَةَ بْنِ خِنْدِفَ أبُو خُزَاعَةَ » . تَفَرَّد به البخارىُّ مِن هذا الوجِه .

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ[7] : قرأتُ على أبى ؛ حدَّثَك عَمْرُو بنُ مُجَمِّعٍ ، حَدَّثنا إبراهيمُ الهَجَرِىُّ ، عن أبى الأَحْوَصِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، عن النبىِّ ﷺ ، قال[6] : « إِنَّ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ وَعَبَدَ الأَصْنَامَ ، أَبُو خُزَاعَةَ عَمْرُو بْنُ عَامِرٍ ، وَإِنِّى رَأَيْتُهُ يَجُرُّ أَمْعَاءَهُ فى النَّارِ » . تَفَرَّد به أحمدُ مِن هذا الوجهِ . وهذا

(١) الروض الأنف ١/ ٣٥٧، ٣٥٨.
(٢) مسلم (١١٨٥).
(٣) البخارى (٣٥٢٠).
(٤) فى الأصل، م، ص: «أبى حفص». وهو عثمان بن عاصم أبو حصين الأسدى الكوفى. انظر تهذيب الكمال ١٩/ ٤٠١.
(٥ - ٥) سقط من: الأصل، م، ص. وهو أبو صالح السمان الزيات المدنى، واسمه ذكوان. انظر تهذيب الكمال ٨/ ٥١٣.
(٦ - ٦) سقط من: الأصل، م، ص.
(٧) مسند أحمد ١/ ٤٤٦. (إسناده ضعيف).

يَقْتَضِى أنَّ عَمْرَو بنَ لُحَىٍّ ، هو أبو خُزاعَةَ الذى تُنْسَبُ إليه القبيلةُ بكَمالِها ، كما زَعَمَه [١/٢٢٤و] بعضُهم مِن أهلِ النَّسَبِ ، فيما حَكاه ابنُ إسحاقَ وغيْرُه[(١)] . ولو تَرَكْنَا مُجَرَّدَ هذا ، لكان ظاهرًا فى ذلك ، بل كالنَّصِّ ، ولكنْ قد جاءَ ما يُخالِفُه مِن بعضِ الوجوهِ ، فقال البخارىُّ[(٢)] : حَدَّثَنا[(٣)] أبو اليَمَانِ : أخبرنا شُعَيْبٌ ، عن الزُّهْرِىِّ ، قال : سَمِعْتُ سعيدَ بنَ المُسَيَّبِ قال : البَحِيرَةُ ؛ التى يُمْنَعُ دَرُّهَا[(٤)] للطَّوَاغِيتِ ، فلا يَحْلُبُها أحدٌ مِن النَّاسِ ، والسَّائِبَةُ ؛ التى كانوا يُسَيِّبُونَها لآلِهَتِهم[(٥)] ، لا يُحْمَلُ عليها شىءٌ . قال : وقال أبو هريرةَ : قال النبىُّ ﷺ : « رَأَيْتُ عَمْرَو بنَ [(٦)]عامِرِ بْنِ لُحَىٍّ[(٦)] الْخُزَاعِىَّ ، يَجُرُّ قُصْبَهُ فى النَّارِ ؛ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ » . وهكذا رَواه البخارىُّ أيضًا ومسلمٌ[(٧)] ، مِن حديثِ صالحِ بنِ كَيْسانَ ، عن الزُّهْرِىِّ ، عن سعيدٍ ، عن أبى هُرَيرةَ به . ثمَّ قال البُخارِىُّ : ورواه ابنُ الهادِ ، عن الزُّهْرِىِّ . قال الحاكمُ[(٨)] : أرادَ البُخارِىُّ : ورواه ابنُ الهادِ ، عن عبدِ الوهَّابِ بنِ بُخْتٍ ، عن الزُّهْرِىِّ . كذا قال .

وقد رواه أحمدُ[(٩)] ، عن عَمْرِو بنِ سَلَمَةَ الخُزاعِىِّ ، عنِ اللَّيْثِ بنِ سعدٍ ، عن

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٩١، والأصنام للكلبى ص ٨.

(٢) البخارى (٣٥٢١) .

(٣) فى م، ص: « وقال » .

(٤) فى الأصل : « ردها » . وفى ص : « بردها » .

(٥) فى الأصل ، ا ٩، ص: « لأهليهم » .

(٦ - ٦) فى الأصل ، ا ٩، ص: « لحى بن عامر » . وفى م : « عامر » . والتصحيح من البخارى .

(٧) البخارى (٤٦٢٣) . مسلم (٢٨٥٦) . وعند مسلم : « السيوب » ، بدل « السوائب » .

(٨) نقله المصنف من كلام شيخه المزى ، انظر تحفة الأشراف ١٠/ ٣٢، وقد تعقب الحافظ ابنُ حجر الحافظ المزى فى النكت الظراف ٣٢/١٠ فقال: بل رواه يزيد بن الهاد عن الزهرى بلا واسطة . ثم ذكر رواية أحمد الآتية ، رادًا بها كلام الحاكم ومتابعة المزى له . وانظر تغليق التعليق ٢٠٦/٤ - ٢٠٨.

(٩) فى المسند ٢/ ٣٦٦. (إسناده صحيح) .

يزيدَ بنِ الهادِ، عن الزُّهرِيِّ، عن سعيدٍ، عن أبى هريرةَ: سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ، يقولُ: «رَأَيْتُ عَمْرَو بنَ عَامِرٍ يَجُرُّ قُصْبَهُ فى النَّارِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ، وَبَحَرَ البَحِيرةَ». ولم يَذْكُرْ بَيْنَهُمَا عَبْدَ الوهَّابِ بنَ بُخْتٍ، كما قال الحاكمُ. فاللَّهُ أعلمُ.

وقال أَحمدُ أيضًا[1]: حَدَّثنا عبدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثنا مَعْمَرٌ، عن الزُّهْرِيِّ، عن أبى هُرَيرةَ قال: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «رَأَيْتُ عَمْرَو بنَ عَامِرٍ الخُزَاعِيَّ يَجُرُّ قُصْبَهُ فى النَّارِ، وهو أَوَّلُ مَنْ سَيَّبَ السَّوائِبَ». وهذا مُنْقَطِعٌ مِن هذا الوَجْهِ، والصَّحِيحُ: الزُّهْرِيُّ، عن سعيدٍ عنه، كما تَقَدَّم. وقولُه فى هذا الحديثِ، والذى قَبْلَه: «الخُزَاعِيَّ». يَدُلُّ على أنَّه ليس والِدَ القَبِيلَةِ، بل مُنْتَسِبٌ إليها، فلعلَّ[2] ما وَقَع فى الرِّوايةِ مِن قولِهِ: «أبو خُزاعَةَ». تصحيفٌ مِن الرَّاوِى مِن: أخِى خُزاعةَ، أو أنَّه كان يُكْنَى بأبى خُزاعةَ، ولا يكونُ ذلك مِن بابِ الإِخبارِ بأنَّه أبو خُزاعةَ كلِّهم. واللَّهُ أعلمُ.

وقال محمدُ بنُ إِسحاقَ[3]: حَدَّثَنى محمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ الحارِثِ التَّيْمِيُّ، أنَّ أبا صالحٍ، السَّمَّانَ حَدَّثَهُ أنَّه سَمِعَ أبا هُرَيْرَةَ يقولُ: سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ لأَكْثَمَ بنِ الجَوْنِ الخُزَاعِيِّ: «يا أَكْثَمُ، رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ لُحَيِّ بنِ قَمَعَةَ بنِ خِنْدِفَ يَجُرُّ قُصْبَه فى النَّارِ، فَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَشْبَهَ بِرَجُلٍ مِنْكَ بِهِ، وَلَا بِكَ مِنْهُ». فقال أَكْثَمُ: عسى أَنْ يَضُرَّنِى شَبَهُه يا رسولَ اللَّهِ؟ قال: «لا[4]، إنَّكَ

---

(١) فى المسند ٢/ ٢٧٥. (إسناده ضعيف).

(٢) فى م: «مع».

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٧٦. إسناده حسن. انظر (السلسلة الصحيحة ١٦٧٧).

(٤) سقط من: الأصل، ص.

مُؤْمِنٌ ، وهُوَ كَافِرٌ ، إِنَّه كَانَ أَوَّلَ مَنْ غَيَّرَ دِينَ إِسْمَاعِيلَ ، فَنَصَبَ الأَوْثَانَ ، وَبَحَرَ البَحِيرَةَ ، وَسَيَّبَ السَّائِبَةَ ، ووَصَلَ الْوَصِيلَةَ ، وَحَمَى الحَامِيَ » . ليسَ فى الكُتُبِ مِن هذا الوجْهِ ، وقد رَواه ابنُ جريرٍ[1] ، عن هَنَّادٍ ، عن[2] عَبْدَةَ ، عن محمدِ بنِ عَمْرٍو ، عن أبى سَلَمَةَ ، عن أبى هُرَيرةَ ، عن النَّبىِّ ﷺ بنَحْوِه ، أو مِثْلَه ، وليس فى الكُتُبِ أيضًا .

وقال البخارىُّ[3] : حَدَّثِنِى محمدُ بنُ أبى يعقوبَ أبو عبدِ اللَّهِ الْكِرْمانِىُّ ، حَدَّثنا حَسّانُ بنُ إبراهيمَ ، حَدَّثنا يونسُ ، عن الزُّهْرِىِّ ، عن عُرْوَةَ ، عن عائشةَ قالت : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَحْطِمُ بَعْضُها بَعْضًا ، ورَأَيْتُ عَمْرًا يَجُرُّ قُصْبَهُ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ » . تَفَرَّدَ به البخارىُّ . وَرَوَى الطَّبَرَانِىُّ[4] ، مِن طريقِ صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ مَرْفُوعًا ، فى ذلك .

والمقصودُ أَنَّ عَمْرَو بنَ لُحَىٍّ ، لَعَنَه اللَّهُ ، كان قد ابْتَدَع لهم أشياءَ فى الدِّينِ ، غَيَّرَ بها دِينَ الخليلِ ، فَاتَّبَعَهُ العَرَبُ فى ذلك ، فضَلُّوا بذلك ضلالًا بعيدًا ، بَيِّنًا فظيعًا شنيعًا ، وقد أَنْكَرَ اللَّهُ تعالى عليهم فى كتابِه العزيزِ ، فى غيرِ ما آيةٍ منه ، فقال تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴾ الآيـة [النحل: ١١٦] . وقال تعالى :

---

(١) تفسير الطبرى ٧/ ٨٧، وأخرجه أيضا من الطريق الأول به فى ٧/ ٨٦.

(٢) فى الأصل، م، ص: « بن » .

(٣) البخارى (٤٦٢٤) .

(٤) فى الكبير (١٠٨٠٨). وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ١/ ١١٦: رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط، وفيه صالح مولى التوأمة، وضعف بسبب اختلاطه، وابن أبى ذئب سمع منه قبل الاختلاط، وهذا من رواية ابن أبى ذئب عنه.

﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣]. وقد تكلَّمْنا على هذا كلِّه مبسوطًا، وبيَّنَّا اختلافَ السَّلَفِ في تفسيرِ ذلك[1]، فمَنْ أرَادَه فليأْخذْهُ مِن ثَمَّ، ولِلَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ. وقال تعالى[2]: ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبٗا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡۗ تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ﴾ [النحل: ٥٦]. وقال تعالى[3]: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۗ سَآءَ [١/ ٢٢٤ظ] مَا يَحۡكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ قَتۡلَ أَوۡلَٰدِهِمۡ شُرَكَآؤُهُمۡ لِيُرۡدُوهُمۡ وَلِيَلۡبِسُواْ عَلَيۡهِمۡ دِينَهُمۡۖ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعۡمِهِمۡ وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ سَيَجۡزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ وَإِن يَكُن مَّيۡتَةٗ فَهُمۡ فِيهِ شُرَكَآءُۚ سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿١٣٩﴾ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٦- ١٤٠].

---

(١) التفسير ٣/ ٢٠٣ - ٢٠٦، ٤/ ٥٢٩.

(٢) التفسير ٤/ ٤٩٦.

(٣) التفسير ٣/ ٣٣٦ - ٣٤٠.

قال البخاريُّ فى «صحيحِه»[1] : بابُ جهلِ العربِ : حَدَّثنا أبو النُّعمانِ ، حَدَّثنا أبو عَوَانَةَ ، عن أبى بِشرٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عَبَّاسٍ قال : إذا سَرَّك أن تَعْلَمَ جهلَ العربِ ، فاقْرَأْ ما فَوْقَ الثَّلاثِين ومِائَةٍ ، فى سورةِ «الأنعامِ» : ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهَۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾ [الأنعام: ١٤٠] . وقد ذَكَرْنا تفسيرَ هذه الآيَةِ[2] ، وما كانوا ابْتَدَعُوه مِن الشَّرائعِ الباطِلَةِ الفاسِدةِ ، التى ظَنَّها كبيرُهم عَمْرُو بنُ لُحَىٍّ ، قَبَّحَه اللَّهُ ، مصلحةً ورحمةً بالدَّوابِّ والبَهائِمِ ، وهو كاذِبٌ مُفْتَرٍ فى ذلك ، ومع هذا الجهلِ والضَّلالِ ، اتَّبَعَه هؤلاءِ الجَهَلَةُ الطَّغَامُ فيه ، بل قد تابَعُوه فيما هو أطَمُّ مِن ذلك وأَعْظَمُ بكثيرٍ ، وهو عبادةُ الأَوْثانِ مع اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، وبَدَّلُوا ما كان اللَّهُ بَعَثَ به إبراهيمَ خَليلَه مِن الدِّينِ القَويمِ والصِّراطِ المُستقيمِ ؛ مِن توحيدِ عبادةِ اللَّهِ وَحْدَه لا شَريكَ له ، وتحريمِ الشِّرْكِ ، وغَيَّرُوا شعائرَ الحَجِّ ومَعالِمَ الدِّينِ ، بغيرِ عِلْمٍ ولا بُرْهانٍ ، ولا دليلٍ صحيحٍ ولا ضعيفٍ ، واتَّبَعُوا فى ذلك مَن كان قَبْلَهم مِن الأُمَمِ المُشرِكِين ، وشابَهُوا قَوْمَ نُوحٍ ، وكانوا أوَّلَ مَنْ أَشْرَكَ باللَّهِ وعَبَدَ الأَصْنامَ ، ولهذا بَعَثَ اللَّهُ إليهم نُوحًا ، وكان أَوَّلَ رسولٍ بُعِثَ يَنْهَى عن عبادةِ الأَصْنامِ ، كما تَقَدَّمَ بيانُه فى قِصَّةِ نُوحٍ[3] : ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا ﴾ الآية [نوح: ٢٣، ٢٤] . قال ابنُ عبَّاسٍ[4] : كان هؤلاءِ قومًا صالحينَ فى

---

(١) البخارى (٣٥٢٣) .

(٢) التفسير ٣/ ٣٤٠.

(٣) انظر ما تقدم فى ١/ ٢٣٧ - ٢٥٠. وانظر التفسير ٨/ ٢٦١ - ٢٦٣.

(٤) البخارى (٤٩٢٠) .

قومِ نوحٍ، فلمَّا ماتُوا عَكَفُوا على قُبُورِهم، فلمَّا طالَ عليهم الأَمَدُ عَبَدُوهُم. وقد بَيَّنَّا كَيْفِيَّةَ ما كان مِن أَمْرِهم فى عِبادَتِهم بما أَغْنَى عن إعادَتِه هاهنا.

قال ابنُ إسحاقَ وغيرُه[1]: ثُمَّ صارَتْ هذه الأصنامُ فى العربِ، بعدَ تَبْدِيلِهم دِينَ إسماعيلَ، فكانَ وَدٌّ لبَنِى كَلْبِ بنِ وَبْرَةَ[2] بنِ تَغْلِبَ بنِ حُلْوانَ بنِ عِمْرانَ بنِ الحافِ بنِ قُضاعَةَ، وكان مَنْصُوبًا بدَوْمَةِ الجَنْدَلِ، وكان سُوَاعٌ لبنى هُذَيْلِ بنِ [3]مُدْرِكَةَ بنِ إلْيَاسَ[3] بنِ مُضَرَ، وكان مَنْصُوبًا بمكانٍ يقالُ له: رُهَاطٌ. وكان يَغُوثُ لبَنِى أَنْعُمٍ مِن طيِّئٍ ولأهلِ جُرَشَ مِن مَذْحِجٍ، وكان منصوبًا بجُرَشَ، وكان يَعُوقُ منصوبًا بأرضِ هَمْدَانَ مِنَ اليَمَنِ، لبنى خَيْوانَ؛ بَطْنٍ مِن هَمْدانَ، وكان نَسْرٌ منصوبًا بأَرضِ حِمْيَرَ لقبيلةٍ يُقالُ لهم: ذو الْكُلَاعِ.

قال ابنُ إسْحَاقَ[4]: وكان لخَوْلانَ بأَرْضِهم صَنَمٌ يُقالُ له: عُمْيانِسُ[5]. يَقْسِمُون له مِن أَنْعامِهم وحُرُوثِهم قِسْمًا بينَه وبينَ اللَّهِ، فيما يَزْعُمُون، فما دَخَل فى حقِّ عُمْيانِسَ مِن حقِّ اللَّهِ الذى قَسَمُوه له، تَرَكُوه له، وما دَخَل فى حقِّ اللَّهِ مِن حقِّ عُمْيانِسَ، رَدُّوه عليه، وفيهم أَنْزَلَ اللَّه: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ

---

(1) سيرة ابن هشام ١/٧٨ - ٨٠، والأصنام للكلبى ص ٩ - ١١ ، باختلافٍ يسير.

(2) فى الأصل، م، ص: «مرة».

(3 - 3) فى م: «إلياس بن مدركة».

(4) سيرة ابن هشام ١/٨٠ ، ٨١.

(5) الذى فى النسخ، هنا وفيما يأتى: «عم أنس». والمثبت من سيرة ابن هشام. وانظر الأصنام للكلبى ص ٤٣. والقاموس المحيط، وتاج العروس (عمينس).

مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا ﴾ [الأنعام: ١٣٦]. قال[1] : وكان لبنى مِلْكانَ بنِ كِنانَةَ بنِ خُزَيْمَةَ بنِ مُدْرِكَةَ صَنَمٌ، يُقالُ له: سَعْدٌ. صَخْرَةٌ بفَلاةٍ مِن أرْضِهم طويلةٌ، فأَقْبَل رجلٌ منهم بِإِبِلٍ له مُؤَبَّلَةٍ[2] ليَقِفَها عليه، التِماسَ بَرَكَتِه، فيما يَزْعُمُ، فلمَّا رَأَتْهُ الإِبِلُ، وكانت مَرْعِيَّةً لا تُرْكَبُ، وكان الصَّنَمُ يُهَراقُ عليه الدِّماءُ، نَفَرَتْ منه فذَهَبَتْ فى كُلِّ وَجْهٍ، وغَضِبَ رَبُّها وأَخَذ حَجرًا فرَماه به، ثُمَّ قال: لا بارَكَ اللَّهُ فيك، نَفَّرْتَ عَلَىَّ إِبِلى. ثُمَّ خَرَج فى طَلَبِها، فلمَّا اجْتَمَعَتْ له قال:

أَتَيْنا إِلَى سَعْدٍ ليَجْمَعَ شَمْلَنا[3] فشَتَّتَنا سَعْدٌ فلا نحنُ مِنْ سَعْدِ
وهل سَعْدُ إِلَّا صَخْرَةٌ بِتَنُوفَةٍ[4] مِنَ الأرضِ لا يَدْعُو[5] لغَىٍّ ولا رُشْدِ

قال ابنُ إسحاقَ[6] : وكان فى دَوْسٍ صَنَمٌ لعَمْرِو بنِ حُمَمَةَ[7] الدَّوْسِىِّ. قال: وكانت قُرَيْشٌ قد اتَّخَذَتْ صَنَمًا على بِئرٍ فى جوفِ الكعبةِ يُقالُ له: هُبلُ. وقد [١/٢٢٥و] تَقَدَّمَ فيما ذكَره ابنُ هِشامٍ، أنَّه أوَّلُ صَنَمٍ نَصَبه عَمْرُو بْنُ لُحَىٍّ، لَعَنَه اللَّهُ.

قال ابنُ إسْحَاقَ[8] : واتَّخذوا إِسافًا ونائِلَةَ على موضعِ زَمْزَمَ، يَنْحَرُون

---

(١) ابن إسحاق، انظر سيرة ابن هشام ١/ ٨١.
(٢) المُؤَبَّلة: التى تُتَّخذ للاقتناء.
(٣) فى الأصل، ا ٩، ص: «بيننا».
(٤) فى الأصل، ص: «تبنونة». والتنوفة: القَلاة لا ماءَ فيها ولا أنيس.
(٥) فى الأصل، ا ٩، ص: «يهدى».
(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٨١.
(٧) فى الأصل، ص: «جميمة».
(٨) سيرة ابن هشام ١/ ٨٢.

عندَهما . ثُمَّ ذَكَر أنَّهما كانا رجُلًا وامرأةً ، فوَقَعَ عليها في الكعبةِ ، فمَسَخَهما اللَّهُ حَجَرَيْن . ثُمَّ قال : حدَّثَنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبي بكرِ بنِ محمدِ بنِ عَمْرِو بنِ حَزْمٍ ، عن عَمْرَةَ أنَّها قالتْ : سَمِعْتُ عائشةَ تقولُ : مازِلْنا نَسْمَعُ أنَّ إِسافًا ونائِلَةَ كانا رجُلًا وامرأةً مِن جُرْهُم ، أَحْدَثا في الكعبةِ ، فمَسَخَهما اللَّهُ ، عزَّ وجَلَّ ، حَجَرَيْن . واللَّهُ أعلمُ . وقدْ قِيلَ[1] : إنَّ اللَّهَ لم يُمْهِلْهما حتى فَجَرا فيها ، بل مَسَخَهما قَبْلَ ذلك ؛ فعِندَ ذلكَ نُصِبا عند الصَّفا والمَرْوَةِ ، فلمَّا كان عَمْرُو بْنُ لُحَيٍّ ، نَقَلَهُما فوَضَعَهما على زمزمَ ، وطافَ النَّاسُ بِهِما . وفي ذلك يقولُ أبو طالبٍ[2] :

وحيثُ يُنِيخُ الأَشْعَرُونَ رِكابَهُمْ بمُفْضَى السُّيُولِ مِنْ إِسَافٍ ونَائِلِ

وقد ذَكَر الْواقِدِيُّ[3] ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ لمَّا أمَر بكَسْرِ نائِلَةَ يومَ الفَتْحِ ، خَرَجَتْ منها سَوْداءُ شَمْطاءُ ، تَخْمِشُ وجهَها وتَدْعُو بالوَيْلِ والثُّبُورِ . وقد ذَكَر السُّهَيْلِيُّ[4] : أنَّ أجَأً وسَلْمَى ، وهما جَبَلان بأرضِ الحِجازِ ، إنَّما سُمِّيا باسمِ رجُلٍ ، اسمُه أَجَأُ بنُ عبدِ الحيِّ ، فَجَر بسَلْمَى بنتِ حامٍ ، فصُلِبا في هذَيْن الجَبَلَيْن ، فعُرِفا بهما . قال : وكان بين أَجَإٍ وسَلْمَى صنمٌ لطَيِّئٍ يُقالُ له : فِلْسٌ[5] .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : واتَّخَذ أهلُ كلِّ دارٍ في دارِهم صنمًا يَعْبُدُونه ، فإذا

(١) الروض الأنف ١/ ٣٦٤.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٨٣.

(٣) في المغازي ١/ ٨٤١.

(٤) الروض الأنف ١/ ٣٧١، ٣٧٢.

(٥) هنا وفيما سيأتي ، في م : « قلس » . وكذا عند السهيلي . وانظر الأصنام للكلبي ص ١٥. والقاموس المحيط ، وتاج العروس (ف ل س) .

أرادَ الرَّجُلُ منهم سَفَرًا، تَمَسَّح به حينَ يَرْكَبُ، فكان ذلك آخِرَ ما يَصْنَعُ حينَ يَتَوَجَّهُ إلى سفرِه، وإذا قَدِمَ مِن سفرِه تَمَسَّحَ به، فكان ذلك أوَّلَ ما يَبْدأُ به قَبْلَ أنْ يَدْخُلَ على أهلِه. قال: فلمَّا بَعَثَ اللَّهُ محمَّدًا ﷺ، بالتَّوْحيدِ، قالتْ قُرَيشٌ: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

قال ابنُ إسْحاقَ[(١)]: وقد كانتِ العربُ اتَّخَذَتْ مع الكعبةِ طَواغِيتَ، وهى بيوتٌ تُعَظِّمُها كتعظيمِ الكعبةِ، لها سَدَنَةٌ وحُجَّابٌ، وتُهْدِى لها كما تُهْدِى للكعبةِ، وتَطُوفُ بها كطوافِها بها، وتَنْحَرُ عندَها، وهى مع ذلك تَعْرِفُ فضلَ الكعبةِ عليها؛ لأنَّها بناءُ إبراهيمَ الخليلِ، عليه السَّلامُ، ومَسجِدُه، فكانتْ لقُرَيْشٍ وبنى كِنانَةَ العُزَّى بِنَخْلَةَ، وكانتْ سَدَنَتُها وحُجَّابُها بنى شَيْبَانَ، مِن سُلَيْمٍ حُلَفاءِ بنى هاشمٍ. وقد خَرَّبها خالدُ بنُ الوليدِ زَمَنَ الفتْحِ، كما سيأْتِى.

قال[(٢)]: وكانتِ اللَّاتُ لثَقِيفٍ بالطَّائِفِ، وكانتْ سَدَنَتُها وَحُجَّابُها بنى مُعَتِّبٍ، مِن ثَقِيفٍ. وخَرَّبَها أبو سُفيانَ والمُغِيرَةُ بنُ شُعْبَةَ، بعدَ مَجِىءِ أهلِ الطَّائفِ، كما سيأْتِى.

قال[(٣)]: وكانت مَناةُ للأَوْسِ والخَزْرَجِ، ومَن دانَ بدِينِهم مِن أهلِ المدينةِ، على ساحلِ البحرِ مِن ناحيةِ المُشَلَّلِ[(٤)] بقُدَيْدٍ. وقد خَرَّبَها أبو سُفيانَ أيضًا، وقيل: علىُّ بنُ أبى طالبٍ. كما سيأْتِى.

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٨٣.
(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٨٣، ٨٤.
(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٨٥.
(٤) فى الأصل، ص: «الملل». وفى ا ٩: «المشكل».

قال[1] : وكان ذو الخَلَصَةِ لدَوْسٍ وخَثْعَمٍ وبَجِيلَةَ ، ومَن كان ببلادِهم مِن العربِ بتَبَالَةَ . وكان يُقالُ[2] له : الكعبةُ اليَمانيَّةُ . ولبيتِ مكَّةَ : الكعبةُ الشَّامِيَّةُ . وقد خرَّبَه جريرُ بنُ عبدِ اللَّهِ البَجَلِيُّ ، كما سيأْتِى .

قال[3] : وكان فِلْسٌ لطَيِّئٍ [4]ومَن يَلِيها بجَبَلَىْ طيِّئٍ[4] ، بينَ أَجَأٍ وسَلْمَى . وهما جَبَلانِ مشهورانِ كما تَقَدَّم .

قال[3] : وكان رِئامٌ بَيْتًا لحِمْيَرَ وأهلِ اليمنِ ، كما تَقَدَّمَ ذِكْرُه[5] فى قِصَّةِ تُبَّعٍ أَحَدِ مُلوكِ حِمْيَرَ ، وَقِصَّةِ الحَبْرَيْنِ حينَ خَرَّباه ، وقَتَلا منه كَلْبًا أَسْوَدَ . قال[6] : وكانتْ رُضَاءُ بَيْتًا لبنى رَبِيعَةَ بنِ كعبِ بنِ سعدِ بنِ زيدِ مَناةَ[7] بنِ تَمِيمٍ ، ولها يقولُ المُسْتَوْغِرُ ، واسمُه كَعْبُ بنُ رَبِيعَةَ بنِ كعبٍ :

ولقد شَدَدْتُ عَلى رُضاءٍ شَدَّةً ... فَتَرَكْتُها قَفْرًا بِقاعٍ أَسْحَما[8]

وأعانَ عبدُ اللَّهِ فى مَكْرُوهِها ... وبِمِثْلِ عبدِ اللَّهِ أَغْشَى المَحْرَمَا

ويُقالُ : إنَّ المُسْتَوْغِرَ هذا عاشَ ثلاثَمائةِ سنةٍ وثلاثينَ سنةً ، وكان أطْوَلَ مُضَرَ كُلِّها عُمْرًا ، وهو الذى يقولُ :

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٨٦.

(٢) الروض الأنف ١/ ٣٧٥.

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٨٧.

(٤ - ٤) سقط من : الأصل، ا ٩، ص .

(٥) تقدم فى صفحة ١٢٨.

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٨٧، ٨٨. وانظر البيت الثانى للمستوغر فى الروض ١/ ٣٧٩. ولم يورده فى السيرة .

(٧) سقط من : الأصل، ص .

(٨) الأسحم : سَحَّم الشىءَ : سَوَّدَه .

ولقد سَئِمْتُ مِنَ الحَيَاةِ وَطُولِها　　　وَعُمِرْتُ مِن عَدَدِ السِّنِينَ مِئِينا

مائةً حَدَتْها بَعْدَها مِائَتانِ لى　　　وازْدَدْتُ مِن عددِ الشُّهُورِ سِنِينا

هل ما بَقِى إلَّا كما قد فاتَنا　　　يَـوْمٌ يَمُـرُّ ولـيـلـةٌ تَحْـدُونـا

قال ابنُ هِشَامٍ[1] : ويُرْوَى لِزُهَيْرِ بنِ جَنَابِ بنِ هُبَلَ.

قال السُّهَيْلِىُّ[2] : وَمِنَ المُعَمَّرِين الَّذِينَ جاوَزُوا المِائَتَيْن والثلثَمائَةِ، زُهَيْرٌ هَذا، وعُبَيْدُ بنُ شَرِيَّةَ[3] ، ودَغْفَلُ بنُ حَنْظَلَةَ النَّسّابَةُ، والرَّبِيعُ بنُ ضُبَعَ الفَزارِىُّ، وَذُو الأُصْبُعِ العَدْوَانِىُّ، ونَصْرُ بنُ دُهْمانَ بنِ أَشْجَعَ بنِ رَيْثِ بنِ غَطَفانَ، وكان قد اسْوَدَّ شَعْرُه [١/٢٢٥ظ] بعدَ ابْيِضاضِه، وتَقَوَّمَ ظَهْرُه بعدَ انْحِنائِه. قال[4] : وكان ذو الكَعَباتِ لبَكْرٍ وتَغْلِبَ ابْنَىْ وائِلٍ وإيادٍ بِسَنْدادَ، وله يقولُ أَعْشَى بنى قَيْسِ بنِ ثَعْلَبَةَ:

بَيْـنَ الخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ وبارِقٍ　　　والبيتِ ذِى الشُّرُفاتِ مِن سَنْدَادِ

وَأَوَّلُ هَذِه القَصِيدةِ[5] :

ولقد عَلِمْتُ[6] وَإِنْ تَطاوَلَ بِى المَدَى　　　أَنَّ السَّبِيلَ سَبِيلُ ذِى الأَعْوادِ

مَـاذَا أُؤَمِّـلُ بـعـدَ آلِ مُـحَـرِّقٍ　　　تَـرَكُـوا مَـنـازِلَـهُـمْ وبـعـدَ إِيـادِ

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٨٨.

(٢) الروض الأنف ١/ ٣٧٨.

(٣) فى الأصل، م، ص: «شربة». وفى ا ٩: «سريه». والتصحيح من الروض. وانظر المعارف ص ٥٣٤.

(٤) أى ابن إسحاق، سيرة ابن هشام ١/ ٨٨.

(٥) انظر الروض الأنف ١/ ٣٨١.

(٦) فى الروض: «عمرت».

نَزَلُوا بَأَنْقِرَةٍ[1] يَسِيلُ عليهِمُ مَاءُ الفُرَاتِ يَجِيءُ مِن أَطوادِ
أرضُ الخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ وبارِقٍ والبيتِ ذِى الْكَعَبَاتِ مِن سَنْدادِ
جَرَتِ الرياحُ على مَحَلِّ دِيارِهِمْ فكأنَّما كَانُوا على مِيعادِ
وَأَرَى النَّعِيمَ وكُلَّ ما يُلْهَى به يَوْمًا يَصِيرُ إلى بِلًى ونَفادِ

قال السُّهَيْلِىُّ[2] : الخَوَرْنَقُ قَصْرٌ بَناه النُّعمانُ الأَكْبَرُ لسابُورَ ، لِيَكُونَ وَلَدُهُ فِيه عِندَه ، وَبَناه رَجُلٌ يُقالُ لَه : سِنِمَّارُ . فى عِشْرِين سنةً ، ولمْ يُرَ بِناءٌ أَعْجبُ منه ، فخَشِىَ النُّعْمانُ أن يَبْنِىَ لغيرِه مِثْلَه ، فألْقاه مِن أعْلاه ، فقَتَلَه ، ففى ذلك يقولُ الشَّاعِرُ :

جَزانِى جَزاهُ اللَّهُ شَرَّ جَزائِهِ جَزاءَ سِنِمَّارٍ وما كانَ ذَا ذَنْبِ
سِوَى رَصْفِهِ[3] البُنْيانَ عِشرِينَ حِجَّةً يَعُدُّ[4] عليه بالقَرَامِدِ[5] والسَّكْبِ[6]
فلمَّا انْتَهَى الْبُنْيانُ يَوْمًا تَمامَهُ وَآضَ كَمِثْلِ الطَّوْدِ وَالْبَاذِخِ الصَّعْبِ
رَمَى بسِنِمَّارٍ عَلَى حُقِّ رَأْسِهِ وذاكَ لَعَمْرُ اللَّهِ مِنْ أَقْبَحِ الخَطْبِ

---

(١) الأنقرة : جمع نَقِير ، وهو ما نُقِر من الحجر والخشب وغيرهما ، والجِذع يُنقر ويُجعل فيه كالمراقى يُصعد عليه إلى الغُرَف .
(٢) الروض الأنف ١/ ٣٨٠.
(٣) فى م : « رضفه » . وفى ص : « رصعه » . وعند السهيلى : « رصه » . والرصْف : ضمُّ الحجارة بعضها إلى بعضٍ فى البناء .
(٤) فى الأصل ، ا ٩، ص : « يغل » . وعند السهيلى : « يُعلِّى » .
(٥) القرامد : حجارة مصنوعة تُنضَج بالنار ويُبنى بها ، أو يُغطَّى بها وجه البناء .
(٦) السَّكْب : النحاس ، والرصاص .

قال السُّهَيْلِيُّ[1] : أَنْشَدَهُ الجاحِظُ فى كتابِ «الحَيَوانِ»[2] ، والسنِمَّارُ مِن أَسماءِ القَمَرِ .

والمقصودُ أنَّ هذه البُيُوتَ كُلَّهَا هُدِمَتْ ، لمَّا جاء الإِسلامُ ، جَهَّز رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى كُلِّ بيتٍ مِن هذه سَرايا تُخَرِّبُه ، وإلى تلك الأَصْنامِ مَن كَسَّرَها ، حتى لم يَبْقَ لِلْكَعْبَةِ ما يُضَاهِيها ، وعُبِدَ اللَّهُ وَحْدَه لا شريكَ له ، كما سيَأْتِى بيانُه وتفصيلُه فى مواضِعِه ، إن شاءَ اللَّهُ تعالى ، وبه الثِّقَةُ .

---

(١) الروض الأنف ١/ ٣٨١.

(٢) الحيوان للجاحظ ١/ ٢٣، ٢٤.

خَبَرُ عَدْنانَ جدّ عربِ الحِجازِ

لا خلافَ أنَّ عَدْنَانَ مِن سُلالةِ إسْماعيلَ بنِ إبراهيمَ الخليلِ، عليهما السَّلامُ، واخْتَلَفُوا فى عِدَّةِ الآباءِ بينَه وبينَ إسماعيلَ على أقوالٍ كثيرةٍ، فأكْثَرُ ما قِيلَ، أربعونَ أبًا، وهو الموجودُ عندَ أهلِ الكِتابِ، أخَذُوه من كِتابِ رخيا، كاتبِ أَرْمِيا بْنِ حَلْقِيا، على ما سنَذْكُرُه. وقيلَ: بينَهما ثلاثونَ. وقيل: عِشْرُونَ. وقيل: خمسةَ عَشَرَ. وقِيل: عَشَرَةٌ. وقِيل: تِسعةٌ. وقِيل: سبعةٌ. وقيل: إنَّ أقلَّ ما قِيلَ فى ذلك أرْبعةٌ؛ لِمَا رَوَاه موسى بنُ يعقوبَ[1]، عن عَبْدِ اللَّهِ بنِ وَهْبِ بنِ زَمْعَةَ الزَّمْعِىِّ، عن عَمَّتِه، عن أُمِّ سَلَمَةَ، عن النَّبِىِّ ﷺ، أنَّه قالَ: «مَعَدُّ بنُ عَدْنَانَ بنِ أُدَدَ بنِ زَنْدِ بنِ يَرَى بنِ أعْرَاقِ الثَّرَى». قالت أمُّ سلمةَ: فَزَنْدٌ هو الهَمَيْسَعُ، واليَرَى هو نبتٌ[2]، وأعْراقُ الثَّرَى هو إسماعيلُ؛ لأنَّه ابنُ إبراهيمَ، وإبراهيمُ لم تَأْكُلْه النَّارُ، كما أنَّ النَّارَ لا تأْكُلُ الثَّرَى. قال الدَّارَقُطْنِىُّ[3]: لا نَعرِفُ زَنْدًا إلَّا فى هذا الحديثِ، وزَنْدَ بنَ الجَوْنِ، وهو أبو دُلامَةَ الشَّاعِرُ.

---

(١) ومن طريق موسى بن يعقوب، أخرجه الحاكم فى المستدرك ٢/ ٤٦٥. وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبى. والطبرى فى تاريخه ٢/ ٢٧١. والبيهقى فى الدلائل ١/ ١٧٧، ١٧٨. وأورده السهيلى فى الروض ١/ ٦٦، ٦٧. وأورده ابنُ عبد البر فى الإنباه على قبائل الرواة ص ٤٧، وقال: فهذا أرفع ما رُوِى فى ذلك، وأولى ما قيل به فيه. واللَّه أعلم.

(٢) فى م: «نابت».

(٣) الروض الأنف ١/ ٦٧.

قال الحافظُ أبو القاسمِ السُّهَيْلِيُّ، وغيرُه مِن الأَئِمَّةِ[1]: مُدَّةُ ما بينَ عَدْنانَ إلى زمنِ إسماعيلَ، أكثرُ مِن أن يكُونَ بينَهما أربعةُ آباءٍ، أو عشَرةٌ، أو عِشرُونَ وذلك أنَّ مَعَدَّ بنَ عَدْنانَ كان عمرُه زَمَنَ بُخْتُ نَصَّرَ، ثِنْتَىْ عَشْرَةَ سنةً. وقد ذكَر أبو جَعْفَرٍ الطَّبَرِيُّ وغيرُه، أنَّ اللَّهَ تعالى أَوْحَى (٢ في ذلك الزَّمانِ ٢) إلى أرمياءَ بنِ حَلْقيا: أنِ اذْهَبْ إلى بُخْتُ نَصَّرَ، فأَعْلِمْهُ أنِّى قد سَلَّطْتُه على العَرَبِ. وأمَرَ اللَّهُ أرميا أن يحمِلَ معه مَعَدَّ بنَ عَدْنانَ على البُراقِ؛ كى لا تُصِيبَه النِّقْمَةُ فيهم، فإنِّى مُستَخْرِجٌ مِن صُلْبِه نَبِيًّا كريمًا أَخْتِمُ به الرُّسُلَ. ففَعَلَ أرميا ذلك، واحتمَلَ مَعَدًّا على البُراقِ إلى أرضِ الشَّامِ، فنَشَأَ مع بنى إسرائيلَ، ممَّن بَقِيَ منهم بعدَ خرابِ بيتِ المَقْدِسِ، وتَزَوَّجَ هناك امرأةً اسمُها مُعانَةُ بنتُ جَوْشَنَ، مِن بنى دُبِّ بنِ جُرْهُمٍ، قبلَ أن يَرْجِعَ إلى بلادِه، ثُمَّ عاد بعدَ أنْ هَدَأَتِ الفِتَنُ وتمحَّضَتْ جزيرةُ العَرَبِ، وكان رخيا كاتبُ أرمياءَ، قد كَتَب نَسَبَه فى كتابٍ عندَه، ليكونَ فى خَزانةِ أرمياءَ، فيَحْفَظَ نَسَبَ مَعَدٍّ كذلك. واللَّهُ أعلمُ. ولهذا كَرِه مالكٌ، رحِمَه اللَّهُ، رَفْعَ النَّسَبِ إلى ما بعدَ عَدْنانَ.

قال السُّهَيْلِيُّ[3]: وإنَّما تَكَلَّمْنا فى رفْعِ هذه الأَنْسابِ، على مذهبِ مَنْ يَرَى ذلك ولم يَكْرَهْه، كابنِ إسحاقَ والبُخاريِّ والزُّبَيْرِ [٢٢٦/١و] بنِ بَكَّارٍ والطَّبَرِيِّ، وغيرِهم مِن العُلماءِ، وأمَّا مالِكٌ، رحِمه اللَّهُ، فقد سُئِل عن الرَّجلِ يَرفَعُ نَسَبَه إلى آدمَ، فكَرِهَ ذلك، وقال له: مِن أينَ له عِلْمُ ذلك؟ فقيل له: فإلى

---

(١) الروض الأنف ٦٧/١ - ٦٩. وانظر ما ذكره الطبرى فى تاريخه ٥٥٩/١، ٥٦٠. وانظر أيضًا الإنباه على قبائل الرواة لابن عبد البر ص ٤٦، ٤٧.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، ا ٩، ص.

(٣) الروض الأنف ٨٣/١، ٨٤.

إسماعيلَ . فأنْكَرَ ذلك أيضًا ، وقال : ومَن يُخْبِرُه به ؟ وكَرِه أيضًا أن يُرْفَعَ فى نسبِ الأنبياءِ ، مثلَ أن يُقالَ : إبراهيمُ بنُ فلانِ بنِ فلانٍ . هكذا ذَكَره المُعِيطِىُّ فى كتابِه . قال[1] : وقولُ مالكٍ هذا نحوٌ مِمّا رُوِىَ عن [2]عُرْوَةَ بنِ الزُّبَيْرِ[3] ، أنَّه قال : ما وَجَدْنا أحدًا يَعرِفُ ما بينَ عَدْنانَ وإسماعيلَ . وعن[2] ابنِ عَبَّاسٍ ، أنَّه قال[4] : بينَ عَدْنانَ وإسماعيلَ ثلاثون أَبًا ، لا يُعْرَفون . ورُوِى عن ابنِ عباسٍ[5] أيضًا ، أنَّه كان إذا بَلَغ عَدْنانَ يقولُ : كَذَب النَّسَّابُون . مَرَّتَيْن أو ثلاثًا . والأَصَحُّ عن ابنِ مسعودٍ ، مِثْلُه[6] . وقال عمرُ بنُ الخطَّابِ[7] : إنَّما نَنْتَسِبُ[8] إلى عَدْنانَ . وقال أبو عُمَرَ ابنُ عبدِ البَرِّ ، فى كتابِه «الإنْباهُ فى معرفةِ قبائلِ الرُّواةِ»[9] : رَوَى ابنُ لَهِيعَةَ ، عن أبى الأَسْوَدِ ، أنَّه سَمِع عُرْوَةَ بنَ الزُّبَيْرِ يَقولُ : ما وَجَدْنا أحدًا يَعرِفُ ما وراءَ عَدْنانَ ، ولا ما وراءَ قَحْطانَ إلَّا تَخَرُّصًا . وقال أبو الأسودِ[10] : سمِعْتُ أبا بكرِ بنَ سُليمانَ بنِ أبى حَثْمَةَ[11] – وكان مِن أعْلَمِ قُرَيْشٍ بأشْعارِهم وأنْسابِهم – يَقولُ : ما وَجَدْنا أحدًا يَعرِفُ ما وراءَ مَعَدِّ بنِ

---

(١) أى السهيلى .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ا ٩ ، ص .

(٣) أخرجه ابن سعد فى طبقاته ١/ ٥٨ ، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٥٢ . وذكره الزرقانى فى شرح المواهب ١/ ٨١ .

(٤) ذكره الزرقانى فى شرح المواهب ١/ ٨١ . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/ ٧٢ إلى أبى عبيد وابن المنذر .

(٥) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ١/ ٥٦ . ضعيف . (انظر السلسلة الضعيفة ١١١) .

(٦) رواه الطبرى فى تفسيره ١٣/ ١٨٧ .

(٧) ذكره الزرقانى فى شرح المواهب ١/ ٨١ . وذكره أيضا فى الإنباه ص ٤٨ .

(٨) فى الأصل ، م ، ص : «تنتسب» .

(٩) الإنباه ص ٤٧ .

(١٠) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ١/ ٤٨ ، وابن عبد البر فى الإنباه ص ٤٨ .

(١١) فى الأصل : «خيثة» . وفى م ، ص : «خيثمة» .

عَدْنانَ فى شِعْرِ شاعرٍ، ولا عِلْمِ عالمٍ. قال أبو عُمَرَ[1]: وكان قومٌ من السَّلَفِ، منهم عبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ، وعَمْرُو بنُ مَيْمُونٍ الأَوْدِىُّ[2]، ومحمدُ بنُ كَعْبٍ القُرَظِىُّ إذا تَلَوْا: ﴿ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۛ لَا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا ٱللَّهُۚ ﴾ [إبراهيم: ٩]. قالوا: كَذَبَ النَّسَّابُون.

قال أبو عُمرَ، رحِمَه اللهُ[1]: والمعْنَى عندَنا فى هذا، غيرُ ما ذَهَبُوا، والمرادُ أنَّ مَن ادَّعَى إحْصاءَ بنى آدمَ، فإنَّهم لا يَعْلَمُهم إلَّا اللَّهُ الذى خَلَقَهم، وأمَّا أنْسابُ العربِ؛ فإنَّ أهلَ العِلْمِ بأيامِها وأَنْسابِها قد وَعَوْا وحَفِظُوا جماهيرَها وأُمَّهاتِ قبائِلها، واخْتَلَفُوا فى بعضِ فُرُوعِ ذلك.

قال أبو عُمرَ[1]: والذى عليه أئمَّةُ هذا الشَّأْنِ فى نسبِ عَدْنانَ، قالوا: عدنانُ بنُ أُدَدَ بنِ مُقَوَّمِ بنِ ناحورِ [3]بنِ تَيْرَحَ[3] بنِ يَعْرُبَ بنِ يَشْجُبَ بنِ نابتِ ابنِ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ الخليلِ، عليهما السَّلامُ، وهكذا ذَكَرَه محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ يَسَارٍ فى «السيرةِ»[4].

قال ابنُ هشامٍ[5]: ويُقالُ عَدْنانُ بنُ أُدٍّ يعنى: عَدْنانَ بنَ أُدِّ بنِ أُدَدَ. ثُمَّ ساقَ أبو عُمرَ[6] بَقِيَّةَ النَّسَبِ إلى آدمَ، كما قَدَّمْناه فى قِصَّةِ الخليلِ، عليه

---

(١) الإنباه ص ٤٩.
(٢) فى النسخ: «الأزدى»، والمثبت من الإنباه، وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٢٦١.
(٣ - ٣) سقط من: الأصل، ا ٩، ص.
(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٧، ٨.
(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٨.
(٦) الإنباه ص ٤٩، ٥٠.

السَّلامُ[1] ، وأمَّا الأنْسابُ إلى عَدْنانَ مِن سائرِ قبائلِ العربِ ، فمحفوظةٌ شهيرةٌ جدًّا ، لا يَتمارَى فيها اثنان ، والنَّسَبُ النَّبَوِىُّ إليه أظهرُ وأوضحُ مِن فَلَقِ الصُّبْحِ ، وقد وَرَد حديثٌ مرفوعٌ بالنَّصِّ عليه ، كما سنُورِدُه فى مَوْضِعِه بعدَ الكلامِ على قبائلِ العربِ ، وذِكْرِ أنْسابِها وانتظامِها فى سِلْكِ النسبِ الشَّرِيفِ والأصلِ المُنِيفِ ، إن شاءَ اللَّهُ تعالى ، وبه الثِّقَةُ وعليه التُّكْلانُ ، ولا حولَ ولا قوةَ إلَّا باللَّهِ العزيزِ الحكيمِ . وما أحْسَنَ ما نظَمَ النَّسَبَ النَّبَوِىَّ ، الإمامُ أبو العبَّاسِ عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ النَّاشِئُ ، فى قصيدَتِهِ المشهورةِ المنسوبةِ إليه[2] ، وهى قولُهُ :

مدَحْتُ رَسولَ اللَّهِ أَبْغِى بمَدْحِهِ ... وُفُورَ حُظُوظى مِن كريمِ المآرِبِ

مدَحْتُ امرءًا فاقَ المديحَ مُوَحَّدًا ... بأوصافِهِ عن مُبعِدٍ ومُقارِبِ

نبيًّا تَسامَى فى المَشارِقِ نورُهُ ... فَلاحَتْ هَوادِيهِ لأهلِ المغارِبِ

أَتَتْنا به الأنباءُ قبلَ مَجِيئِهِ ... وشاعتْ به الأخبارُ فى كلِّ جانبِ

وأَصْبحتِ الكُهَّانُ تَهْتِفُ باسمِه ... وتَنْفِى به رَجْمَ الظُّنُونِ الكواذِبِ

وأُنطِقَتِ الأَصنامُ نُطْقًا تَبَرَّأَتْ ... إلى اللَّهِ فيه مِن مقالِ الأكاذِبِ

وقالتْ[3] لأهلِ الكفرِ قولًا مُبَيَّنًا ... أتاكمْ نبيٌّ من لُؤَىِّ بنِ غالِبِ

ورامَ اسْتِراقَ السَّمْعِ جِنٌّ فزَيَّلَتْ ... مقاعدَهم منها رُجُومُ الكَواكِبِ

---

(١) تقدم فى ١/ ٣٢٤.

(٢) القصيدة فى الإنباه ص ٥٠ - ٥٥. وتهذيب الكمال ١/١٧٧ - ١٨٠.

(٣) فى الأصل : « وقال » .

هَدانا إلى ما لم نَكُنْ نَهْتَدِى له لطُولِ العَمَى مِن واضحاتِ المذاهبِ

وجـاء بـآيـاتٍ تُـبَـيِّـنُ أنّـهـا دلائـلُ جَبَّـارٍ مُثِيـبٍ مُعاقِـبِ

فمنها انشِقاقُ البدرِ حينَ تَعَمَّمَتْ[1] شُعُوبُ الضُّيا[2] منه رُءُوسَ الأخاشبِ[3]

ومنـهـا نُبُـوعُ الماءِ بينَ بَنانِـه وقد عَدِمَ الوُرَّادُ قُرْبَ المشاربِ

فرَوَّى به جَمًّا غَفِيرًا وأسْهَلَتْ بأعناقِه[4] طَوْعًا أَكُفُّ المَذَانِبِ[5]

وبئرٌ طغتْ بالماءِ مِن مسِّ[6] سَهْمِه ومِن قبلُ لم تسمحْ بمَذْقَةِ[7] شاربِ

وضَرْعٌ مَراهُ فاسْتَدَرَّ ولم يَكُنْ به دَرَّةٌ تُصغِى إلى كفِّ حالبِ[8]

ونُطْقٌ فَصِيحٌ مِن ذِراعٍ مُبِينَةٍ لكَيْدِ عَدُوٌّ للعَداوةِ ناصِبِ

وإخبارُه بالأمرِ مِن قبْلِ كَوْنِهِ وعندَ بَوادِيهِ بما فى العَواقِبِ

ومِن تِلْكُمُ الآياتِ وَحْىٌ أَتَى به قريبُ المَأتِى مُسْتَجِمٌّ[9] العَجائِبِ

---

(١) أى عمَّت.

(٢) شعوب الضُّيا: يعنى شعوب الضياء، وحُذفت الهمزة. والشعوب القِطَع من الشىء.

(٣) الأخاشِب: جَبَلا مكة؛ أبو قُبيس والأحمر، وجبلا مِنى.

(٤) أسهلت أى بلغت السهل من الأرض. والأعناق: جمع عنق - وهو أول كل شىء.

(٥) المذانب: جمع مِذْنَب؛ وهو مَسِيل الماء إلى الأرض.

(٦) فى الأصل: «بين».

(٧) المذقة: الطائفة من اللبن الممزوج بالماء. ويعنى بالمذقة هنا قَدْرها من الماء.

(٨) مراه: مسح ضرع الناقة لتدر. الدرة: اللبن، أو الكثير منه.

(٩) المستجمّ: الكثير.

[١/٢٢٦ظ] تَقاصَرَتِ الأفكارُ عنه فلم يُطِعْ بليغًا ولم يَخْطِرْ على قلبِ خاطِبِ

حوَى كلَّ عِلْمٍ واحْتَوَى كلَّ حِكمةٍ وفاتَ مَرامَ المُسْتَمِرِّ المُوارِبِ[١]

أتَانا به لا عن رَوِيَّةِ مُرْتَئٍ ولا صُحْفِ مُسْتَمْلٍ ولا وصْفِ كاتبِ

يُواتيه طَوْرًا فى إجابةِ سائلٍ وإفتاءِ مُسْتَفْتٍ ووَعْظِ مُخاطبِ

وإتيانِ بُرْهانٍ وفَرْضِ[٢] شَرائعٍ وقَصِّ أحاديثٍ ونَصِّ مآرِبِ

وتصريفِ أمثالٍ وتَثْبِيتِ حُجَّةٍ وتعريفِ ذِى جَحْدٍ وتَوقِيفِ كاذِبِ[٣]

وفى مَجْمَعِ النَّادِى وفى حَوْمَةِ الوَغَى وعندَ حُدُوثِ المُعْضِلاتِ الغَرائِبِ

فيأتى على ما شِئْتَ مِن طُرُقاتِهِ قَوِيمَ المعانى مُسْتَدِرَّ الضَّرائِبِ[٤]

يُصدِّقُ منه البعضُ بعضًا كأنَّما يُلاحَظُ معناه بعَيْنِ المُراقِبِ

وعجْزُ الوَرَى عن أن يَجِيئُوا بمِثْلِ ما وَصَفْناهُ معلومٌ بطُولِ التَّجارِبِ

تَأبَّى بعبدِ اللَّهِ أكْرَمِ والِدٍ تَبَلَّجَ منه عن كَرِيمِ المناسبِ[٥]

وشَيْبَةَ ذى الحَمْدِ الذى فَخَرَتْ به قُرَيشٌ على أهلِ العُلا والمناصبِ

ومَن كان يُسْتَسْقَى الغَمامُ بوجهِهِ ويُصْدَرُ عن آرائِه فى النَّوائبِ

---

(١) المستمر : القوى . الموارب : المخادع .

(٢) فى الأصل : « وفضل » .

(٣) فى الأصل ، ص : « كاتب » .

(٤) مستدرّ الضرائب : كثير الأمثال والأنواع .

(٥) كريم المناسب : أى كريم النسب ، والمناسب جمع مَنْسِب .

وهاشمِ البانى مَشِيدَ افتخارِهِ بغُرِّ[1] المَساعى وامْتِنانِ[2] المواهبِ

وعبدِ مَنافٍ وَهْوَ عَلَّمَ قومَه اشْـ تِطاطَ الأَمانِى[3] واحْتِكامَ الرَّغائبِ

وإنَّ قُصَيًّا مِن كريمِ غِراسِه لَفِى مَنْهَلٍ لم يَدْنُ مِن كَفِّ قاضِبِ[4]

به جَمَعَ اللّهُ القبائلَ بعدَما تَقَسَّمَها نَهْبُ الأَكُفِّ السَّوالِبِ

وحَلَّ كِلابٌ مِن ذُرَى المجدِ مَعْقِلًا تَقاصَرَ عنه كلُّ دانٍ وغائبِ[5]

ومُرَّةُ لم يَحْلُلْ مَرِيرَةَ عَزْمِهِ[6] سِفاهُ سفيهٍ أو مَحُوبةُ حائِبِ[7]

وكَعْبٌ عَلا عن طالبِ المجدِ كَعْبُهُ فنال بأَدْنَى السَّعْيِ أعلَى المراتبِ

وألْوَى لُؤَىٌّ بالعُداةِ[8] فطُوِّعَتْ له هِمَمُ الشُّمِّ الأُنوفِ الأغالِبِ

وفى غالبٍ بَأْسٌ أبَى البأسُ دُونَهمْ يُدافِعُ عنهم كلَّ قِرْنٍ مُغالِبِ

وكانتْ لفِهْرٍ فى قُرَيشٍ خَطابَةٌ يَعُوذُ بها عِندَ اشْتِجارِ المَخَاطِبِ[9]

وما زالَ منهم مالِكٌ خيرَ مالكٍ وأكْرَمَ مَصْحُوبٍ وأكرمَ صاحبِ

---

(١) فى الأصل: «بعز».

(٢) فى ص: «وامتهان».

(٣) اشتطاط الأمانى: أى الأمانى العالية الكبيرة. واشتطَّ: بَعُد.

(٤) قَضَب الشيء: قطعه.

(٥) فى ص: «راغب».

(٦) مريرة عزمه: مُحْكَم عزمه.

(٧) محوبة حائب: إثْم آثم.

(٨) ألوى بالعداة: غلبـ عليهم.

(٩) المخاطب: جمع مَخْطَبة، وهى الخُطْبة.

وللنَّضْرِ طَوْلٌ يَقْصُرُ الطَّرْفُ دونَه ... بحيثُ الْتَقَى ضَوءَ النُّجومِ الثَّواقِبِ

لَعَمْرِى لقد أَبْدَى كِنانَةُ قبْلَه[1] ... محاسِنَ تَأْبَى أن تَطُوعَ لغالِبِ

ومِن قبلِه[1] أبقى خُزَيْمَةُ حَمْدَهُ[2] ... تَلِيدَ تُراثٍ عن حَمِيدِ الأقارِبِ

ومُدْرِكَةٌ لم يُدْرِكِ النَّاسُ مِثْلَه ... أعَفَّ وأعْلَى عن دَنِيِّ المكاسِبِ

وإلياسُ كان اليأسُ منه مُقارِنًا ... لأعدائِهِ قَبْلَ اعْتدادِ الكتائبِ

[3]وفى مُضَرٍ يَسْتَجْمِعُ الفخرَ كلَّه ... إذا اعْتَرَكَتْ يومًا زُحُوفُ المقانبِ[3]

وحَلَّ نِزارٌ مِن رِياسةِ أهلِه[4] ... مَحَلًّا تَسامَى عن عُيُونِ الرَّواقِبِ

وكان مَعَدٌّ عُدَّةً لِوليِّه ... إذا خافَ مِن كيدِ العدوِّ المُحارِبِ

وما زالَ عَدْنانٌ إذا عُدَّ فَضْلُهُ ... تَوَحَّدَ فيه عن قَرِينٍ وصاحبِ

وأُدٌّ تَأَدَّى الفضلُ منه بِغايةٍ ... وإرْثٍ حَواهُ عن قُرُومٍ[5] أشايِبِ

وفى أُدَدٍ حِلْمٌ تَزَيَّنَ بالحِجا[6] ... إذا الحِلْمُ أزْهاهُ قُطوبُ[7] الحواجبِ

وما زالَ يَسْتَعْلِى هَمَيْسَعُ بالعُلى ... ويَتْبَعُ[8] آمالَ البعيدِ المراغبِ

---

(١) فى الأصل، ا ٩، ص: «بعده».

(٢) فى الأصل، ص: «بعده».

(٣ - ٣) سقط من: الأصل. والمقانب: جمع مِقْنَب؛ وهو جماعة من الفرسان والخيل دون المائة، تجتمع للغارة.

(٤) فى الأصل، ا ٩، ص: «قومه».

(٥) القُرُوم: جمع قَرْم؛ وهو السَّيِّد المُعظَّم.

(٦) الحِجا: العقل.

(٧) فى الأصل، ص: «قطرب». والقُطُوب: من قَطَب الرجل؛ إذا ضمَّ حاجبيه وعبس.

(٨) فى الأصل، ص: «ويبلغ». وفى ا ٩: «ويأمل».

وَنَبْتٌ بَنَتْهُ دَوحَةُ العِزِّ وابتنى ... معاقِلَه فى مُشْمَخِرِّ الأهاضبِ [1]

وحِيزَتْ لِقيدارٍ سَمَاحَةُ حاتِمٍ ... وحِكمةُ لُقْمانٍ وهِمَّةُ حاجِبِ

هُمُو نَسْلُ إسماعيلَ صادِقِ وَعْدِهِ ... فما بَعدَهُ فى الفخرِ مَسْعًى لِذاهِبِ

وكان خليلُ اللّهِ أكْرَمَ مَن عَنَتْ ... له الأرضُ مِن ماشٍ عليها وراكِبِ

وتارِخُ ما زالتْ له أرْيَحِيَّةٌ ... تُبَيِّنُ منه عن حَميدِ المَضارِبِ [2]

وناحُورُ نَحَّارُ العِدَى حُفِظَتْ له ... مَآثِرُ لَمَّا يُحْصِها عَدُّ حاسِبِ

وأَشرَعُ فى الهَيْجاءِ ضَيْغَمُ غابةٍ ... يَقُدُّ الطُّلَى بالمُرْهَفاتِ القواضِبِ [3]

وأرغُوُ نابٌ [4] فى الحروبِ مُحَكَّمٌ ... ضَنِينٌ على نَفْسِ المُشِحِّ [5] المُغالِبِ

وما فالِغٌ فى فَضْلِهِ تِلْوَ [6] قَوْمِهِ ... ولا عَابِرٌ مِن دُونِهِمْ [7] فى المراتبِ

وشالِخٌ وأَرْفَخْشَذْ وسامٌ سَمَتْ بهِمْ ... سَجايا حَمَتْهُمْ كلَّ زارٍ وعائبِ

وما زال نوحٌ عندَ ذى العرشِ فاضلًا ... يُعَدِّدُه فى المُصْطَفَيْنَ الأطايِبِ

ولَمْكٌ أبوهُ كان فى الرَّوْعِ رائعًا ... جريئًا على نفسِ الكَمِيِّ [8] المُضارِبِ

---

(١) مشمخِرّ الأهاضب : عالى الهضاب . والمشمَخِرّ : شديد الارتفاع .

(٢) فى الأصل، ا ٩، ص : « الضرائب » . والمضارب : السّجايا .

(٣) يَقُدّ الطُّلى : يقطع الأعناق ، والطُّلى جمع طُلَاة . المُرهَفات القواضِب : يعنى بها السيوف ، والمُرهف : المُرَقَّق المُحَدَّد . والقواضب : القواطع .

(٤) فى الأصل : « قباب » .

(٥) فى الأصل : « المشيح » . وفى ا ٩: « الشحيح » . والمشحّ : البخيل .

(٦) التِّلو : تلوُ كلِّ شيء : ما يَتلوه ويَتْبَعُه .

(٧) فى الأصل، ا ٩، ص : « دونه » .

(٨) الكَمِيّ : لابِس السلاحِ ، والشجاع الجرىء .

ومِن قَبْلِ لَمْكٍ لم يَزَلْ مُتَوَشْلِخٌ ... يَذُودُ العِدَى بالذَّائِداتِ الشَّوارِبِ[1]

وكانتْ لإدْرِيسَ النَّبيِّ منازِلٌ ... مِن اللَّهِ لم تُقْرَنْ بِهِمَّةِ راغبِ

ويارَدُ بحرٌ عندَ آلِ سَراتِهِ ... أَبِيُّ الخَزايا مُسْتَدِقُّ المآربِ

وكانتْ لمهلاييلَ فَهْمٌ فضائلٍ ... مُهَذَّبةٍ مِن فاحشاتِ المَثالِبِ

وقَيْنانُ مِن قَبْلُ اقْتَنَى مَجْدَ قومِهِ ... وفاتَ[2] بشَأْوِ الفضلِ وَخْدَ[3] الرَّكائِبِ

وكان أَنُوشٌ ناشَ[4] للمَجْدِ نَفْسَهُ ... ونَزَّهَها عن مُردِياتِ المَطالبِ

وما زال شِيثٌ بالفضائلِ فاضلًا ... شريفًا بريئًا مِن ذميمِ المعائبِ

وكلُّهمْ مِن نورِ آدمَ أُقْبِسُوا ... وعن عُودِهِ أجْنَوْا ثِمارَ المناقبِ

وكان رسولُ اللَّهِ أكرمَ مُنْجَبٍ ... جَرَى فى ظُهُورِ الطَّيِّبِين المَناجِبِ

مُقابَلَةً[5] آباؤُهُ أُمَّهاتِهِ[6] ... مُبَرَّأَةً مِنْ فاضِحاتِ المَثالبِ

عليه سَلامُ اللَّهِ فى كلِّ شارِقٍ ... ألاحَ لنا ضَوْءًا وفى كلِّ غاربِ [١/٢٢٧و]

هكذا أَوْرَد القصيدةَ الشيخُ أبو عُمرَ ابنُ عبدِ البرِّ[7]، وشيخُنا الحافظُ أبو

(١) فى م: «الشواذب». والشوارب: يعنى بها السيوف، والشاربان أنفان طويلان فى أسفل قائم السيف.

(٢) فى م، ص: «وفاد».

(٣) الوخد: سَعَةُ الخَطْو. ويعنى هنا الإسراع والسبق.

(٤) ناش: أى جَعَل نفسه لطلب المجد.

(٥) يعنى لأمهاته من الفَضْل ما لآبائه.

(٦) فى الإنباه: «وأمهاته».

(٧) الإنباه ص ٥٠ - ٥٥.

الحَجَّاجِ المِزِّيُّ فى «تَهذيبِه»[1] مِن شِعْرِ الأُستاذِ أبى العبَّاسِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدٍ النَّاشِئَ، المعروفِ بابنِ شِرْشِيرِ، أصْلُه مِن الأَنْبارِ، وَرَد بَغْدادَ، ثُم ارْتَحَل إلى مِصْرَ، فأقام بها حتى مات سنةَ ثلاثٍ وتِسعِين ومائتَين، وكان مُتَكَلِّمًا مُعْتَزِليًّا، يَحْكِى عنه الشيخُ أبو الحسنِ الأَشْعَرِىُّ فى كِتابِه «المقالاتِ» فيما يَحْكِى عن المُعْتَزِلَةِ، وكان شاعِرًا مُطَبِّقًا[2]، حتّى إنَّ مِن جملةِ اقْتِدارِه على الشِّعْرِ، كان يُعاكِسُ الشُّعَراءَ فى المعانى، فيَنْظِمُ فى مُخالَفَتِهم، ويَبْتَكِرُ ما لا يُطِيقُونَه مِن المعانى البديعةِ والألفاظِ البَلِيغةِ، حتى نَسَبَه بعضُهم إلى التَّهَوُّسِ والاخْتِلاطِ، وذَكَر الخطيبُ البَغْدادِىُّ[3] أنَّ له قصيدةً على قافيةٍ واحدةٍ قريبًا مِن أربعةِ آلافِ بيتٍ، ذكرَها النَّاجِمُ وأرَّخ وفاتَه كما ذكَرْنا.

قُلتُ: وهذه القصيدةُ تَدُلُّ على فَضِيلَتِه وبَراعَتِه، وفَصاحَتِه وبَلاغَتِه، وعلمِه وفَهمِه، وحِفْظِه وحُسنِ لَفْظِه، واطِّلاعِه واضْطِلاعِه، واقْتِدارِه على نَظْمِ هذا النَّسَبِ الشَّرِيفِ فى سِلْكِ شِعْرِه، وغَوْصِه على هذه المعانى، التى هى جواهِرُ نَفِيسةٌ مِن قاموسِ بحرِه، فرَحِمَه اللَّهُ وأثابَه، وأحْسَنَ مصيرَه وإيَابَه.

---

(1) تهذيب الكمال ١/١٧٧ - ١٨٠.

(2) المطبق: من يصيب الأمور برأيه. القاموس المحيط (ط ب ق).

(3) انظر ترجمته فى تاريخ بغداد ١٠/ ٩٢، ٩٣، وإنباه الرواة للقفطى ٢/١٢٨ - ١٣٠، ووفيات الأعيان ٣/٩١ - ٩٣، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٤٠، ٤١.

ذِكْرُ[1] أُصولِ أنْسابِ

عربِ الحِجَازِ إلى عَدْنانَ

وذلك لأنَّ عَدْنانَ وُلِدَ له وَلَدانِ ؛ مَعَدٌّ وَعَكٌّ . قال السُّهَيْلِيُّ[2] : و[3]لعَدْنانَ أيضًا ابنٌ اسمُه[3] الحارثُ ، [4]وآخَرُ يُقالُ له[4] : المُذْهَبُ . قال : [5]وقد ذُكِر أيضًا فى بَنِيهِ الضَّحَّاكُ[5] ، وقيل : إنَّ الضَّحَّاكَ ابنٌ لمَعَدٍّ ، لا[6] ابنُ عَدْنانَ . قال : وقيل : إنَّ عَدَنَ ، [7]الذى تُعْرَفُ به مدينةُ عَدَنَ ، وكذلك[7] أَبْيَنُ[8] ، كانا ابْنَيْن لعَدْنانَ[9] . حَكاه الطبرىُّ[10] . فتَزَوَّج عَكٌّ فى الأَشْعَرِيِّين ، وسَكَن فى بلادِهم مِن اليمنِ ، فصارَتْ لُغَتُهم واحدةً[11] ، فزَعَمَ بعضُ أهلِ اليمنِ أنَّهم منهم ، فيقولون : عَكُّ بنُ عَدْنانَ بن عبدِ اللَّهِ بنِ الأَزْدِ بنِ يغُوثَ[12] . ويُقالُ : عَكُّ بنُ

---

(١) سقط من : م .

(٢) الروض الأنف ١/ ٩٩، ١٠٠.

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ص .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، ص .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ص .

(٦) سقط من : الأصل ، ا ٩، ص .

(٧ - ٧) سقط من : الأصل ، ا ٩، ص .

(٨) فى الأصل ، ا ٩، ص : « وأبين » . وبعدها فى الأصل ، ا ٩، ص : « اللذين باليمن اللذين تنتسب إليهما هذان البلدان » .

(٩) فى الأصل ، ص : « لمعد بن عدنان » .

(١٠) العبارة الأخيرة عند الطبرى فى تاريخه ٢/ ٢٧٠.

(١١) سيرة ابن هشام ١/ ٨.

(١٢) سيرة ابن هشام ١/ ١٠. وعنده : « الأسد » بدل « الأزد » ، و « الغوث » بدل « يغوث » .

عَدْنانَ بنِ الذِّيبِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الأسْدِ[1] . ويُقالُ : « الرَّيْثُ » بَدَلَ « الذِّيبِ » . والصحيحُ ما ذَكَرْنا مِن أنَّهم مِن عَدْنانَ . قال عبَّاسُ بنُ مِرْداسٍ[2] :

وعَكُّ بنُ عَدْنانَ الذين تَلَقَّبُوا[3] بِغَسَّانَ حتَّى طُرِّدُوا كُلَّ مَطْرَدِ

وأمَّا مَعَدٌّ ، فوُلِدَ له أربعةٌ ؛ نِزارٌ ، وقُضاعةُ ، وقَنَصٌ ، وإيادٌ ، وكان قُضاعةُ بِكْرَه ، وبه كان يُكْنَى[4] . وقد قدَّمْنا الخِلافَ فى قُضاعةَ[5] ، ولكنَّ هذا هو الصحيحُ عندَ ابنِ إسحاقَ وغيرِه . واللَّهُ أعلمُ .

وأمَّا قَنَصٌ ، فيُقالُ : إنَّهم هَلَكُوا ، ولمْ يَبْقَ لهم بَقِيَّةٌ ، إلَّا أنَّ النُّعْمانَ بنَ المُنذِرِ الذى كان نائبًا لكِسْرَى على الحيرةِ ، كان مِن سُلالَتِه ، على قولِ طائفةٍ مِن السَّلَفِ . وقِيل : بل كان مِن حِمْيَرَ ، كما تَقَدَّمَ[6] . واللَّهُ أعلمُ .

وأمَّا نِزارٌ ، فوُلِدَ له رَبيعَةُ ومُضَرُ وأَنمارٌ . قال ابنُ هِشامٍ[7] : وإيادُ بنُ نِزارٍ ، كما قال الشاعرُ :

وفُتُوٌّ حَسَنٌ أوْجُهُهُمْ مِنْ إيادِ بنِ نِزارِ بنِ معدّ

---

(١) الذى فى السيرة ١/ ١٠: « ويقال : عُدْثان بن عبد اللَّه بن الأَشد بن الغَوْث » .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٩، ١٠.

(٣) فى الأصل: « يلبسوا » . وفى م : « تلعبوا » . وفى ص : « يلعبوا » . والمثبت من السيرة .

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ١٠.

(٥) انظر ما تقدم فى صفحة ١٠٢ .

(٦) انظر ما تقدم فى صفحة ١٢١ .

(٧) سيرة ابن هشام ١/ ٧٤. وذكر هناك أن الشاعر هو الحارس بن دَوْس الإيادى ، وقال : ويُروى لأبى دُوَاد الإيادى ، واسمه جارية بن الحجّاج .

قال[1] : وإيادٌ ومُضَرُ شَقِيقان ؛ أمُّهُما سَوْدَةُ بنتُ عكٍّ بنِ عَدْنانَ ، [2]وأمُّ رَبِيعةَ[2] وأنمارٍ [3]شُقَيْقَةُ بنتُ عَكٍّ بنِ عَدْنانَ[3] ، ويُقالُ : جُمْعَةُ بنتُ عَكٍّ بنِ عَدْنانَ . قال ابنُ إسحاقَ[4] : فأمَّا أنمارٌ ، فهو والدُ خَثْعَمٍ وبَجِيلَةَ ، قبيلةِ جَرِيرِ بنِ عبدِ اللَّهِ البَجَلِيِّ . قال[5] : وقد تَيامَنَتْ فلَحِقَتْ باليمنِ . قال ابنُ هِشامٍ[4] : وأهلُ اليمنِ يَقولون : أنمارُ بنُ إراشِ بنِ لِحْيانَ بنِ عمرِو بنِ الغَوْثِ بنِ نَبْتِ بنِ مالكِ بنِ زيدِ بنِ كَهْلانَ بنِ سبَأٍ . قلتُ : والحديثُ المُتَقَدِّمُ[6] فى ذِكْرِ سَبَأٍ يَدُلُّ على هذا . واللَّهُ أعلمُ .

قالوا : وكان مُضَرُ أولَ مَن حَدَا ؛ وذلك لأنَّه كان حَسَنَ الصَّوْتِ ، فسَقَطَ يومًا عن بعيرِه ، فوَثَبَتْ يدُه ، فجَعَلَ يقولُ : وايَدَيَّاهُ ، وايَدَيَّاهُ . فأعْنَقَتِ[7] الإبلُ لذلك[8] . قال ابنُ إسحاقَ[9] : فولَدَ مُضَرُ بنُ نِزارٍ رَجُلَيْنِ ؛ إلْيَاسَ وعَيْلانَ ، ووُلِدَ لإلْيَاسَ مُدْرِكَةُ وطَابِخةُ وقَمَعةُ ، وأُمُّهم خِندِفُ بنتُ عِمرانَ بنِ الحافِ بنِ قُضاعَةَ . قال ابنُ إسحاقَ[9] : وكان اسمُ مُدْرِكَةَ عامرًا ، واسمُ طابِخَةَ عَمْرًا ، ولكن اصْطادَ صَيْدًا ، فبَيْنا هُما يَطبُخانِه إذْ نَفَرَت الإبِلُ ، فذَهَبَ عامرٌ فى طَلَبِها حتى أدْرَكَها ، وجَلَس الآخَرُ يَطبُخُ ، فلمَّا راحا على أبيهما ذَكَرا له ذلك ، فقال

(١) المصدر السابق ١/ ٧٤.

(٢ - ٢) فى الأصل ، ا ٩، ص : « وربيعة » .

(٣ - ٣) فى الأصل ، ا ٩، ص : « شقيقان وأمهما شقيقة » .

(٤) المصدر السابق ١/ ٧٤.

(٥) المصدر السابق ١/ ٧٥.

(٦) تقدم تخريجه فى صفحة ١٠٨ .

(٧) أعنقت : أسرعتْ .

(٨) انظر الروض الأنف ١/ ٣٤٠.

(٩) سيرة ابن هشام ١/ ٧٥، ٧٦.

لعامرٍ: أنت مُدْرِكَةُ. وقال لعَمْرٍو: أنت طابِخَةُ. قال: وأمّا قَمَعَةُ، فيَزْعُمُ نُسَّابُ مُضَرَ، أنَّ خُزاعةَ مِن وَلَدِ عَمْرِو بنِ لُحَيِّ بن قَمَعَةَ بنِ إلْياسَ. قلتُ: والأَظْهَرُ أنَّهُ منهم. لا والدُهم، وأنَّهم مِن حِمْيَرَ، كما تقدَّمَ[1]. واللَّهُ أعلمُ.

قال [١/٢٢٧ظ] ابنُ إسحاقَ[2]: فوَلَدَ مُدْرِكةُ خُزَيْمةَ وهُذَيْلًا، وأُمُّهما امرأةٌ مِن قُضاعَةَ، ووَلَدَ خزيمةُ كِنانَةَ وأسَدًا وأسَدَةَ والهُونَ [3]قال[4]: ووَلَدَ كِنَانَةُ النَّضْرَ ومالكًا وعبدَ مَناةَ ومِلْكَانَ[3]. وزاد أبو جعفرٍ الطَّبريُّ[5] فى أبناءِ كِنانةَ على هؤلاء الأربعةِ، عامرًا والحارثَ والنُّضَيْرَ وغَنْمًا وسَعْدًا وعَوْفًا وجَرْوَلًا والحُدَالَ وغَزْوانَ.

---

(١) انظر ما تقدم فى صفحة ١٩١.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٩٢، ٩٣.

(٣ - ٣) هذه العبارة كانت فى آخر الفقرة فى جميع النسخ، فنقلناها ليستقيم السياق.

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٩٣.

(٥) تاريخ الطبرى ٢/ ٢٦٥.

(١)الكلامُ على(١) قريشٍ نَسَبًا واشتِقاقًا وفَضْلًا، وهم بنو النَّضْرِ بنِ كِنانةَ

قال ابنُ إسحاقَ[٢] : وأُمُّ النَّضْرِ بَرَّةُ بنتُ مُرِّ بنِ أَدِّ بنِ طابِخَةَ، وسائرُ بَنِيه لامرأةٍ أخرى . وخالَفَه ابنُ هشامٍ، فجعَل بَرَّةَ بنتَ مُرٍّ أُمَّ النَّضْرِ ومالكٍ ومِلْكانَ، وأمَّ عبدِ مَنَاةَ هالةَ بنتَ سُوَيدِ بنِ الغِطْرِيفِ، مِن[٣] أَزْدِ شَنُوءَةَ . قال ابنُ هشامٍ[٢] : النَّضْرُ هو قريشٌ، فمَن كان مِن وَلَدِه، فهو قرشِيٌّ، ومَنْ لم يكنْ مِن ولدِه فليس بقرشِيٍّ . وقال : ويُقالُ : فِهْرُ بنُ مالكٍ هو قريشٌ، فمَنْ كان مِن ولدِه فهو قرشِيٌّ، ومَنْ لم يكنْ مِن ولدِه فليس بقرشيٍّ . وهذان القَوْلانِ قد حكاهما غيرُ واحدٍ مِن أَئِمَّةِ علماءِ[٤] النَّسَبِ ؛ كالشيخِ أبي عُمَرَ ابنِ عبدِ البَرِّ، والزبيرِ بنِ بَكّارٍ، ومُصْعَبٍ، وغيرِ واحدٍ . قال أبو عبيدٍ وابنُ عبدِ البَرِّ[٥] : والذى عليه الأكثرون أنه النَّضْرُ بنُ كِنَانَةَ ؛ لحديثِ الأَشْعَثِ[٦] بنِ قيسٍ . قلتُ : وهو الذى نَصَّ عليه هشامُ بنُ محمدِ بنِ[٧] السَّائبِ الكَلْبِيُّ، وأبو عبيدةَ مَعْمَرُ

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٩٣.

(٣) فى الأصل، ا ٩، ص : « بن » .

(٤) سقط من : م . وفى الأصل : « علم » .

(٥) الإنباه ٦٧.

(٦) فى الأصل، م، ص : « الأسعد » وسيأتى حديث الأشعث فى صفحة ٢٢١.

(٧) سقط من : الأصل، ص .

ابنُ المُثَنَّى ، وهو جادَّةُ مذهبِ الشافعيِّ ، رَضِيَ اللَّهُ عنه . ثُم اختار أبو عُمَرَ أنَّه فِهْرُ بنُ مالكٍ ، واحْتَجَّ بأنَّه ليس أحدٌ اليومَ مِمَّن يَنْتَسِبُ إلى قريشٍ ، إلَّا وهو يَرْجِعُ فى نَسَبِه إلى فِهْرِ بنِ مالكٍ ، ثُمَّ حَكَى اختيارَ هذا القولِ عن الزبيرِ بنِ بَكَّارٍ ، ومُصْعَبٍ الزُّبَيْرِيِّ ، وعلىِّ بنِ كَيْسَانَ . قال : وإليهم المَرْجِعُ فى هذا الشأنِ ، وقد قال الزُّبَيْرُ بنُ بَكَّارٍ : وقد أَجْمَعَ نُسَّابُ قريشٍ وغيرُهم ، أنَّ قريشًا إنَّما تَفَرَّقَتْ عن فِهْرِ بنِ مالكٍ . والذى عليه مَن أَدْرَكْتُ مِن نُسَّابِ قريشٍ ، أنَّ وَلَدَ فِهْرِ بنِ مالكٍ قرشىٌّ ، وأنَّ مَن جاوَزَ فِهْرَ بنَ مالكٍ بنَسَبِه فليس مِن قريشٍ . ثُم نَصَرَ هذا القولَ نَصْرًا عَزِيزًا ، وتَحامَى له بأنَّه ونَحْوَه أعلمُ بأَنسابِ قومِهم ، وأحفظُ لمَآثِرِهم[1] .

وقد روَى البخاريُّ[2] مِن حديثِ كُلَيْبِ بنِ وائلٍ ، قال : قلتُ لربيبةِ النبيِّ ﷺ - يَعْنِى زينبَ ، فى حديثٍ ذكَره - : أَخْبِرِينى عن النبيِّ ﷺ ، أكان مِن مُضَرَ ؟ قالت : فمِمَّن كان إلَّا مِن مُضَرَ ؟ مِن بنى النَّضْرِ بنِ كنانةَ .

وقال الطَّبَرانِيُّ[3] : ثنا إبراهيمُ بنُ نائلةَ الأَصْبَهانِيُّ ، حدَّثَنا إسماعيلُ بنُ عمرٍو البَجَلِيُّ ، ثنا الحسنُ بنُ صالحٍ ، عن أبيه ، عن الجُفْشِيشِ[4] الكِنْدىِّ ، قال : جاءَ قومٌ مِن كِنْدَةَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقالوا : أنت مِنَّا . وادَّعَوْه ،

---

(١) فى م : « لما آثرهم » .

(٢) البخارى (٣٤٩١، ٣٤٩٢) .

(٣) فى الكبير (٢١٩٠) . قال الهيثمى فى المجمع ١/ ١٩٥ : وفيه إسماعيل بن عمرو البجلى ، ضعفه أبو حاتم والدارقطنى ، ووثقه ابن حبان ، وبقية رجاله ثقات .

(٤) فى الأصل ، م ، ص : « الجشيش » . وهو الجفشيش بن النعمان الكندى ، يقال فيه بالجيم والحاء والخاء . أسد الغابة ١/ ٣٤٥ .

فقال : (١« لا نَقْفُو أُمَّنا ، ولا نَنْتَفِى مِن أَبِينَا ، نحن وَلَدُ النَّضْرِ بنِ كِنَانَةَ »١) .

وقال الإمامُ أبو عثمانَ سعيدُ بنُ يَحْيَى بنِ سعيدٍ(٢) : ثنا أبى ، ثنا الكَلْبِىُّ ، عن أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : جاءَ رجلٌ مِن كِنْدَةَ يقالُ له : الجُفْشِيشُ(٣) . إلى النبىِّ ﷺ ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، إِنَّا نَزْعُمُ أَنَّ عبدَ مَنافٍ منَّا . فأَعْرَضَ عنه ، ثُم عادَ فقال مِثْلَ ذلك ، ثُم أَعْرَضَ عنه ، ثُم عادَ فقال مِثْلَ ذلك ، فقال النبىُّ ﷺ : « نحن بنو النَّضْرِ بنِ كِنَانَةَ ، لا نَقْفُو(٤) أُمَّنا ، ولا نَنْتَفِى مِن أَبِينَا » . فقال الأَشْعَثُ : أَلَا كنتَ سَكَتَّ فى المَرَّةِ الأُولَى . فأَبْطَلَ ذلك مِن(٥) قولِهم ، على لسانِ نَبِيِّه ﷺ . وهذا غريبٌ أيضًا مِن هذا الوجهِ ، والكَلْبِىُّ ضعيفٌ . واللَّهُ أعلمُ .

وقد قال الإمامُ أحمدُ(٦) : حدَّثَنا بَهْزٌ وعَفّانُ قالا : ثنا حَمّادُ بنُ سَلَمَةَ ، ثنى عَقِيلُ بنُ طَلْحَةَ(٧) . وقال عفانُ : عقيلُ بنُ طلحةَ السُّلَمِىُّ ، عن مسلمِ بنِ الهَيْصَمِ ، عن الأَشْعَثِ بنِ قَيْسٍ ، أنَّه قال : أَتَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فى وَفْدٍ مِن كِنْدَةَ . قال عفانُ : لا يَرَوْنِى أَفْضَلَهم . قال . فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إنّا نَزْعُمُ أَنَّكم مِنّا . قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « نحن بنو النَّضْرِ بنِ كِنَانَةَ ، لا نَقْفُو(٤)

(١ - ١) فى م : « لا ، نحن بنو النضر بن كنانة ، لا نقف أمنا ، ولا نتفى من أبينا » .

(٢) ذكره الحافظ فى الإصابة ٤٩٢/١ عن الكلبى وقال : ذكره الكلبى بغير سند .

(٣) فى الأصل ، م ، ص : « الجشيش » .

(٤) فى الأصل : « تقفوا » ، وفى م : « نقف » .

(٥) سقط من : م .

(٦) فى المسند ٥/ ٢١٢. صحيح . (السلسلة الصحيحة ٢٣٧٥) .

(٧) فى ا ٩، م ، ص : «أبى طلحة» .

أُمَّنا ، ولا نَنْتَفِى مِن أَبِينا » . قال : فقال الأَشْعَثُ : فواللّهِ لا أَسْمَعُ أحدًا نَفَى قريشًا مِن النَّضرِ بنِ كِنانَةَ إلَّا جَلَدْتُه الحَدَّ . وهكذا رَوَاه ابنُ ماجَه مِن طُرُقٍ ، عن حَمّادِ بنِ سَلَمَةَ به[1] . وهذا إسنادٌ جَيِّدٌ قوىٌّ ، وهو فَيْصَلٌ فى هذه المسألةِ ، فلا الْتِفَاتَ إلى قولِ مَن خالَفَه . واللَّهُ أعلمُ .

وقد قال جَرِيرُ [١/٢٢٨و] بنُ عَطِيَّةَ التَّمِيمِىُّ ، يَمْدَحُ هِشامَ بنَ عبدِ الملكِ بنِ مَرْوَانَ[2] :

فما الأُمُّ التى وَلَدَتْ قريشًا بمُقْرِفَةِ النِّجَارِ ولا عَقِيمِ
وما قَرْمٌ[3] بأَنْجَبَ مِن أبيكم ولا خالٌ بأَكْرَمَ مِن تَمِيمِ

قال ابنُ هشامٍ[2] : يَعْنِى أُمَّ النَّضْرِ بنِ كِنانَةَ ، وهى بَرَّةُ بنتُ مُرٍّ ، أختُ تَمِيمِ ابنِ مُرٍّ .

وأمّا اشْتِقاقُ قريشٍ ، فقيل : مِن (٤التَّقَرُّشِ٤) التَّجَمُّعُ بعدَ التَّفَرُّقِ ، وذلك فى زمنِ قُصَىِّ بنِ كِلَابٍ ، فإنَّهم كانوا مُتَفَرِّقِين ، فجمَعَهم بالحرمِ ، كما سيأتى بيانُه . وقد قال حذافةُ بنُ غانمٍ[5] العَدَوِىُّ :

أبوكم قُصَىٌّ كان يُدْعَى مُجَمِّعًا به جمَع اللَّهُ القبائلَ مِن فِهْرِ

وقال بعضُهم: كان قُصَىٌّ يقالُ له : قريشٌ . وقيل : مِن التَّجَمُّعِ .

---

(١) ابن ماجه (٢٦١٢) . حسن . (صحيح سنن ابن ماجه ٢١١٥) .
(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٩٣.
(٣) فى ا ٩: « قوم » ، وفى ص : « قرب » . والقرم من الرجال : السيد المعظم . المعجم الوسيط (ق ر م) .
(٤ - ٤) زيادة من : م .
(٥) فى الأصل ، ص : « تمام » . انظر الإنباه على قبائل الرواة ٦٨ .

والتَّقَرُّشُ: التَّجمُّعُ، كما قال أبو خَلْدَةَ اليَشْكُرِيُّ[1] :

إخْـوَةٌ قَـرَّشُـوا الـذُّنـوبَ عـلـينا   فى حديثٍ مِن دهرِنا و[2] قديمِ

وقيل: سُمِّيَتْ قريشٌ من التَّقَرُّشِ، وهو التكسُّبُ والتِّجارةُ. حكاه ابنُ هِشامٍ[3]، رَحِمَه اللَّهُ. وقال الجَوْهَرِيُّ[4] : القَرْشُ: الكَسْبُ والجَمْعُ، وقد قَرَشَ يَقْرِشُ، قال الفَرَّاءُ: وبه سُمِّيَتْ قريشٌ، وهى قبيلةٌ، وأبوهم النَّضْرُ بنُ كِنَانَةَ، فكلُّ مَن كان مِن ولدِه، فهو قرشيٌّ دونَ ولدِ[5] كِنَانَةَ فما فوقَه. وقيل: مِن التَّفْتِيشِ. قال هشامُ ابنُ الكَلْبِيِّ: كان النَّضْرُ بنُ كِنَانَةَ تَسَمَّى قُرَيْشًا؛ لأنَّه كان يَقْرِشُ عن خَلَّةِ الناسِ وحاجتِهم، فيَسُدُّها بمالِه، والتَّقَرُّشُ هو التفتيشُ، وكان بَنُوه يَقْرِشُون أهلَ المَوسمِ عن الحاجةِ، فيَرْفِدُونهم بما يُبَلِّغُهم بلادَهم، فسُمُّوا بذلك؛ مِن فعلِهم وقَرْشِهم قريشًا، وقد قال الحارثُ بنُ حِلِّزَةَ[6] فى بَيَانِ أنَّ التَّقَرُّشَ التفتيشُ:

أيُّـهـا الـنـاطـقُ المُقَـرِّشُ عـنّـا   عـنـدَ عـمـرٍو فـهـلْ لـه إبـقـاءُ

حكَى ذلك الزبيرُ بنُ بَكّارٍ. وقيل: قريشٌ تصغيرُ قِرْشٍ، وهو دابّةٌ فى البحرِ. قال بعضُ الشُّعراءِ[7] :

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٩٤.
(٢) فى الأصل، ا ٩، ص: «أو».
(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٩٣.
(٤) مقدمة الصحاح ٣/ ١٠١٦.
(٥) فى الأصل، ا ٩، ص: «ما كان من».
(٦) انظر شرح المعلقات السبع ص ٤٥٣. وفيها: «المرقش». بدلا من: «المقرش».
(٧) انظر المقتضب ٣/ ٣٦٢.

وقريشٌ هى التى تَسْكُنُ البَحْـ ـرَ بها سُمِّيَتْ قريـشٌ قريشَا

قال البَيْهَقِىُّ[1] : أخْبَرَنَا أبو نَصْرِ بنُ قتادةَ ، ثَنَا أبو الحسنِ علىُّ بنُ عيسى المالِينِىُّ ، حدثنا محمدُ بنُ الحسنِ بنِ الخليلِ النَّسَوِىُّ ، أنَّ أبا كُرَيْبٍ حدَّثهم ، حدَّثَنا وَكِيعُ بنُ الجرَّاحِ ، عن هشامِ بنِ عُرْوَةَ ، عن أبيه ، عن أبى رُكَانَةَ العامِرِىِّ ، أنّ معاويةَ قال لابنِ عباسٍ : فلِمَ سُمِّيَتْ قريشٌ قريشًا ؟ فقال : لِدابَّةٍ تكونُ فى البحرِ ، تكونُ أعظمَ دوابِّه يقالُ لها : القِرْشُ . لا تَمُرُّ بشىءٍ مِن الغَثِّ والسَّمِينِ إلَّا أكَلَتْه . قال : فأَنْشِدْنِى فى ذلك شيئًا . فأَنْشَدَه شِعْرَ الجُمَحِىِّ إذ يقولُ :

وقريشٌ هى التى تسْكُنُ البحـ ـرَ بهـا سُمِّيَتْ قريشٌ قـريشَا
تَـأْكُـلُ الـغَـثَّ والـسَّـمِـينَ ولا (٢تَتْرُكُ منها لذى جَنَاحَيْنِ٢) رِيشَا
هكـذا فـى الـبـلادِ حىُّ قريشٍ يَأْكـلـون الـبـلادَ أكـلًا كَـمِـيشَـا
ولـهـم آخـرَ الـزمـانِ نـبـىٌّ يُكْثِرُ الـقَـتْـلَ فيهم والخُمُوشَا

وقيل : سُمُّوا بقريشِ بنِ الحارثِ بنِ يَخْلُدَ بنِ النَّضْرِ بنِ كِنَانَةَ ، وكان دليلَ بنى النَّضْرِ وصاحبَ مِيرَتِهم ، فكانت العربُ تقولُ : قد جاءت عيرُ قريشٍ . قالوا : وابنُه[3] بَدْرُ بنُ قريشٍ هو الذى حفَرَ البئرَ المنسوبةَ إليه ، التى كانت عندَها الوَقْعَةُ العُظْمَى يومَ الفرقانِ ، يومَ الْتَقَى الجَمْعانِ . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) دلائل النبوة ١/ ١٨٠، ١٨١.

(٢ - ٢) فى الأصل ، ص : « تترك لذى الجناحين » ، وفى م : « تتركن لذى الجناحين » .

(٣) فى م : « ابن » .

ويقالُ فى النِّسبةِ إلى قريشٍ : قُرَشِيٌّ ، وقُرَيْشِيٌّ . قال الجَوْهَرِىُّ[1] : وهو القياسُ ، قال الشاعرُ[2] :

بكلِّ[3] قُرَيْشِيٍّ عليه مهابةٌ [4]سريعٍ إلى داعِى النَّدَا والتَّكَرُّمِ[4]

قال : فإنْ أردتَ بقريشٍ الحىَّ صَرَفْتَه ، وإنْ أردتَ القبيلةَ مَنَعْتَه ، قال الشاعرُ[5] فى تَرْكِ الصَّرْفِ :

* وكَفَى قريشَ المُعْضِلَاتِ وَسَادَها *

وقد روَى مسلمٌ فى « صحيحِه »[6] من حديثِ أبى عَمْرٍو الأوزاعىِّ ، قال : حدَّثنى شَدَّادٌ أبو عَمّارٍ ، حدَّثنى واثِلَةُ بنُ الأسْقَعِ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِن ولدِ إسماعيلَ ، واصْطَفَى قُرَيشًا مِن كِنَانَةَ ، واصْطَفَى [7]مِن قريشٍ بنى هاشمٍ[7] ، واصْطَفَانِى مِن بَنِى هاشِمٍ » . قال أبو عُمَرَ ابنُ عبدِ البرِّ[8] : يقالُ : بنو عبدِ المطلبِ فَصِيلَةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وبنو هاشِمٍ فَخِذُه ، وبنو عبدِ مَنَافٍ بَطْنُه ، وقريشٌ عِمَارَتُه ، وبنو كِنَانَةَ قبيلتُه ، ومُضَرُ شَعْبُه . صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه دائمًا إلى يومِ الدينِ .

---

(١) فى صحاح اللغة . (ق ر ش) .

(٢) هو يزيد بن عبد المدان . نسبه ابن منظور له فى لسان العرب مادة (ع ى ن) . وانظر « الفصول الخمسون » لابن معطى ص ٢٥٢ .

(٣) فى م : « لكل » .

(٤ - ٤) زيادة من : م .

(٥) هو عدى بن الرقاع ، يمدح الوليد بن عبد الملك ، وأوله كما فى الصحاح (قرش) : غلَب المساميحَ الوليدُ سماحةً .

(٦) مسلم (٢٢٧٦) .

(٧ - ٧) فى النسخ : « هاشمًا من قريش » ، والمثبت من صحيح مسلم .

(٨) الإنباه على قبائل الرواة ص ٦٩ .

[١/٢٢٨ظ] ثم قال ابنُ إسحاقَ[(١)] : فولَدَ النَّضْرُ بنُ كِنَانَةَ مالكًا ويَخْلُدَ[(٢)] . قال ابنُ هشامٍ[(١)] : والصَّلْتَ ، وأُمُّهم جميعًا بنتُ سعدِ بنِ الظَّرِبِ العَدْوَانِيِّ ، قال كُثَيِّرُ بنُ عبدِ الرحمنِ ، وهو كُثَيِّرُ عَزَّةَ ، أحدُ بنى مُلَيْحِ بنِ عَمْرٍو ، من[(٣)] خُزاعَةَ[(٤)] :

أَلَيْسَ أَبِى بالصَّلْتِ أَمْ ليس إِخْوَتِى ... لكلِّ هِجَانٍ مِن بنى النَّضْرِ أَزْهَرَا

رأيتُ ثيابَ العَصْبِ مُخْتَلِطَ السَّدَى ... بنا وبهم والحَضْرَمِيَّ المُخَصَّرَا

فإنْ لم تكونوا مِن بنى النَّضْرِ فاتْرُكُوا ... أَرَاكًا بأَذْنابِ الفَوائجِ[(٥)] أَخْضَرَا

قال ابنُ هشامٍ[(٦)] : وبنو مُلَيْحِ بنِ عَمْرٍو يُعْزَوْنَ إلى الصَّلْتِ بنِ النَّضْرِ .

قال ابن إسحاقَ[(٦)] : فولَدَ مالكُ بنُ النَّضْرِ فِهْرَ بنَ مالكٍ ، وأُمُّهُ جَنْدَلَةُ بنتُ الحارثِ بنِ مُضَاضٍ الأَصْغَرِ ، ووَلَدَ فِهْرٌ غالبًا ومُحَارِبًا والحارثَ وأسدًا ، وأُمُّهم ليلَى بنتُ سعدِ بنِ هُذَيْلِ بنِ مُدْرِكَةَ .

قال ابنُ هشامٍ[(٦)] : وأختُهم لأَبَوَيْهِم[(٧)] جَنْدَلَةُ بنتُ فِهْرٍ . قال ابنُ إسحاقَ[(٦)] : فولَدَ غالبُ بنُ فِهْرٍ لُؤَيَّ بنَ غالِبٍ ، وتَيْمَ بنَ غالِبٍ ، وهم الذين

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٩٤.

(٢) فى الأصل ، م ، ص : « مخلدا » .

(٣) فى الأصل ، ص : « بن » .

(٤) ديوان كثير ص ٢٣٣، ٢٣٤.

(٥) فى م : « الفواتج » . والفوائج : المنبسط من الأرض بين مرتفعين . المعجم الوسيط (ف ى ج) . وقيل غير ذلك ، انظر اللسان (ف ى ج) .

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ٩٥.

(٧) فى م : « لأبيهم » .

يُقالُ لهم: بنو الأَدْرَمِ، وأُمُّهما سَلْمَى بنتُ عَمْرِو الخُزَاعِيِّ. قال ابنُ هشامٍ[1]: وقيسُ بنُ غالبٍ وأمُّه سَلْمَى بنتُ كعبِ بنِ عَمْرٍو الخُزَاعِيِّ، وهى أُمُّ لُؤَىٍّ [2][3]وتَيْمِ ابْنَىْ غالِبٍ[3]. قال ابنُ إسحاقَ[4]: فوَلَدَ لُؤَىُّ بنُ غالبٍ أربعةَ نَفَرٍ؛ كَعْبًا وعامِرًا وسَامَةَ وعَوْفًا. قال ابنُ هِشامٍ[5]: ويقالُ: والحارثَ[2]، وهم جُشَمُ ابنُ الحارثِ، فى هِزّانَ، مِن رَبِيعَةَ، وسعدَ بنَ لؤىٍّ، وهم[6] بُنَانَةُ، فى شَيْبَانَ ابنِ ثَعْلَبَةَ، وبُنَانَةُ حاضِنَةٌ لهم، وخُزَيْمَةَ بنَ لُؤَىٍّ، وهم عائذةُ، فى شَيْبَانَ بنِ ثَعْلَبَةَ.

ثم ذكَر ابنُ إسحاقَ[7] خبرَ سامَةَ بنِ لُؤَىٍّ، وأنَّه خرَج إلى عُمَانَ فكان بها، وذلك لشَنَآنٍ كان بينَه وبينَ أخيه عامرٍ، فأَخافَه عامرٌ، فخرَج عنه هاربًا إلى عُمَانَ، وأنَّه مات بها غريبًا، وذلك أنَّه كان يَرْعَى ناقتَه، فَعَلِقَتْ حيَّةٌ بِمِشْفَرِها[8]، فوقَعَتْ لِشِقِّها، ثُم نَهَشَتِ الحيةُ سامةَ حتى قتَلَتْه، فيُقَالُ: إنَّه كتَب بأُصْبُعِه على الأرضِ:

عَيْنُ فابْكى لسامةَ بنِ لُؤَىٍّ ... عَلِقَتْ ما بِسَامَةَ[9] العَلَّاقَهْ

لا أرَى مثلَ سامةَ بنِ لُؤَىٍّ ... يومَ حَلُّوا به قَتيلًا لِناقَهْ

---

(1) سيرة ابن هشام ١/ ٩٦.
(٢ - ٢) سقط من: الأصل، ص.
(٣ - ٣) سقط من: م.
(٤) المصدر السابق ١/ ١٩٦.
(٥) المصدر السابق.
(٦) فى م: «هما».
(٧) سيرة ابن هشام ١/ ٩٧.
(٨) المشفر: شفة البعير الغليظة. المعجم الوسيط (ش ف ر).
(٩) فى الأصل، ا ٩، ص: «بساقه».

بَلِّغَا عامرًا وكعبًا[1] رسولًا   أنَّ نفسى إليهما مُشْتَاقَهْ

إنْ تكُنْ فى عُمَانَ دارِى فإنى   غالِبِيٌّ خَرَجْتُ مِن غيرِ فاقَهْ

رُبَّ كأسٍ هَرَقْتَ يا بنَ لُؤَىٍّ   حَذَرَ الموتِ لم تَكُنْ مُهْرَاقَهْ

رُمتَ دفعَ الحتُوفِ يا بنَ لُؤَىٍّ   ما لِمَن رامَ ذاك بالحَتْفِ طاقَهْ

وخَرُوسَ السُّرَى تَرَكْتَ[2] رَذِيًّا   بعدَ جِدٍّ وجِدَّةٍ ورَشَاقَهْ

قال ابنُ هِشامٍ[3] : وبَلَغَنِى أنَّ بعضَ ولدِه أتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فانْتَسَبَ إلى سامةَ بنِ لُؤَىٍّ ، فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : «آلشَّاعِرُ؟» فقال له بعضُ أصحابِه : كأنَّك يا رسولَ اللَّهِ أردتَ قولَه :

رُبَّ كأسٍ هَرَقْتَ يا بنَ لُؤَىٍّ   حَذَرَ الموتِ لم تَكُنْ مُهْرَاقَهْ

فقال : «أَجَلْ» .

وذكَر السُّهَيْلِىُّ[4] عن بعضِهم أنَّه لم يُعْقِبْ . وقال الزبيرُ[5] : وَلَد سامَةُ[6] ابنُ لُؤَىٍّ غالبًا والنَّبِيتَ والحارثَ . قالوا : وكانت له ذريةٌ بالعراقِ يُبْغِضُون عليًّا ، ومنهم علىُّ بنُ الجَعْدِ ، كان يَشْتُمُ أباه لكونِه سَمّاه عليًّا ، ومن بنى سامةَ بنِ

---

(١) فى الأصل، ا ٩، ص: «سعدا».

(٢) فى الأصل، ص: «بركت». وخروس السرى تركت رذيا؛ يريد، ناقة صموتا صبورا على السرى - وهو سير عامة الليل - لا تضجر منه، فسراها كالأخرس. الروض الأنف ١/ ٤٠٩. ورذيت الناقة: حسرها السفر حتى لا تستطيع براحا ولا تنبعث. المعجم الوسيط (ر ذ ى).

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٩٨.

(٤) الروض الأنف ١/ ٤٠٧.

(٥) المصدر السابق.

(٦) فى الأصل، ا ٩، م: «أسامة».

لُؤَىٍّ محمدُ بنُ عَرْعَرَةَ بنِ البِرِندِ[1] شيخُ البخارىِّ .

وقال ابنُ إسحاقَ[2] : وأمّا عوفُ بنُ لُؤَىٍّ ؛ فإنَّه خرَج - فيما يَزْعُمُون - فى رَكْبٍ مِن قريشٍ ، حتى إذا كان بأرضِ غَطَفَانَ بنِ سعدِ بنِ قيسِ بنِ عَيْلَانَ[3] أُبْطِئَ به ، فانْطَلَقَ مَن كان معه مِن قومِه ، فأتاه ثَعْلَبَةُ بنُ سَعْدٍ ، وهو أخُوه فى نَسَبِ بَنِى ذُبْيَانَ ، فحَبَسَه وزَوَّجَه والْتَاطَه[4] وآخاه ، فشاع نَسَبُه فى ذُبْيَانَ وثعلبةَ ، فيما يَزْعُمون .

قال ابنُ إسحاقَ[5] : وحدَّثنى محمدُ بنُ جعفرِ بنِ الزُّبيرِ ، أو محمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الحُصَيْنِ ، أنَّ عُمَرَ بنَ الخطَّابِ قال : لو كنتُ مُدَّعِيًا حَيًّا مِن العربِ أو مُلْحِقَهم بنا ، لادَّعَيْتُ بنى مُرَّةَ بنِ عوفٍ ، إنّا لَنَعْرِفُ فيهم الأَشْبَاهَ ، مع ما نَعْرِفُ مِن موقعِ ذلك الرَّجلِ حيثُ وقَع . يَعْنِى عوفَ بنَ لُؤَىٍّ .

قال ابنُ إسحاقَ[6] : وحدَّثَنِى مَنْ لا أَتَّهِمُ ، أنَّ عُمَرَ بنَ الخطَّابِ قال لرجالٍ منهم مِن بنى مُرَّةَ : إن شِئْتُم أنْ تَرْجِعوا إلى نَسَبِكم ، فارْجِعُوا إليه . قال ابنُ إسحاقَ[7] : وكان القومُ أشْرافًا فى غَطَفَانَ ، هم سادَتُهم وقادَتُهم ، [١/٢٢٩و] قومٌ لهم صِيتٌ فى غَطَفَانَ وقَيْسٍ كلِّها ، فأَقَامُوا على نَسَبِهم . قال[8] : وكانوا

---

(١) فى م : « اليزيد » .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٩٨.

(٣) فى الأصل ، ا ٩، ص : « غيلان » .

(٤) التاطه : ادعاه وليس له . المعجم الوسيط (ل و ط) .

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٩٩.

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ١٠٠.

(٧) سيرة ابن هشام ١/ ١٠١.

(٨) فى م : « قالوا » . سيرة ابن هشام ١/٩٩ .

يقولون إذا ذُكِرَ لهم نَسَبُهم : ما نُنْكِرُه ، وما نَجْحَدُه ، وإنه لأحبُّ النَّسَبِ إلينا . ثُم ذكَر أشعارَهم فى انْتِمائِهم إلى لُؤَىٍّ . قال ابنُ إسحاقَ[1] : وفيهم كان البَسْلُ ، وهو تحريمُ ثمانيةِ أَشْهُرٍ لهم مِن كلِّ سنةٍ [2]مِن بينِ العربِ[2] ، وكانت العربُ تَعْرِفُ لهم ذلك ، ويأْمَنُونَهم فيها ، ويُؤَمِّنُونَهم أيضًا . قُلْتُ : وكانت رَبيعةُ ومُضَرُ إنَّما يُحَرِّمونَ أربعةَ أشْهُرٍ مِن السَّنةِ ، وهى : ذو القَعْدةِ وذو الحِجَّةِ والمُحَرَّمُ ، واختلفت رَبيعَةُ ومُضَرُ فى الرابعِ ، وهو رَجَبٌ ؛ فقالت مُضَرُ : هو الذى بينَ جُمادَى وشعبانَ . وقالت ربيعةُ : هو الذى بينَ شعبانَ وشَوَّالٍ .

وقد ثَبَت فى « الصَّحِيحَيْنِ »[3] عن أبى بَكْرَةَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، قال فى خُطْبَةِ حِجَّةِ الوداعِ : « إنَّ الزمَانَ قدِ استَدارَ كَهَيْئَتِه يومَ خلَق السماواتِ والأرضَ ، السَّنةُ اثْنا عَشَرَ شَهْرًا ، منها أربعةٌ حُرُمٌ ، ثلاثٌ مُتوالِياتٌ ؛ ذو القَعْدةِ وذو الحِجَّةِ والمُحَرَّمُ ، ورَجَبُ مُضَرَ الذى بينَ جُمادَى وشعبانَ » . فنَصَّ على ترجيحِ قولِ مُضَرَ لا ربيعةَ ، وقد قال اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ﴾ [التوبة : ٣٦] . فهذا ردٌّ على بَنِى عَوْفِ بنِ لُؤَىٍّ ، فى جَعْلِهم الأَشْهُرَ الحُرُمَ ثمانيةً ، فزادُوا على حُكْمِ اللَّهِ ، وأَدْخَلُوا فيه ما ليس منه . وقَوْلُه فى الحديثِ : « ثلاثٌ مُتوالياتٌ » . ردٌّ على أهْلِ النَّسِىءِ ؛ الذين كانوا يُؤَخِّرون تَحْرِيمَ المُحَرَّمِ إلى صَفَرٍ . وقَوْلُه فيه : « ورَجَبُ مُضَرَ » . ردٌّ على ربيعةَ .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ١٠٢.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، ا ٩،ص.

(٣) البخارى (٣١٩٧، ٤٤٠٦، ٤٦٦٢، ٥٥٥٠، ٧٤٤٧). مسلم (١٦٧٩).

قال ابنُ إسحاقَ[1] : فولَدَ كَعْبُ بنُ لُؤَىٍّ ثلاثةً ؛ مُرَّةَ ، وعَدِيًّا ، وهُصَيْصًا ، وولَدَ مُرَّةُ ثلاثةً أيضا ؛ كِلَابَ بنَ مُرَّةَ ، وتَيْمَ بنَ مُرَّةَ ، وَيَقَظَةَ بنَ مُرَّةَ ، مِن أُمَّهاتٍ ثلاثٍ . قال : وولَدَ كلابٌ رَجُلَين ؛ قُصَىَّ بنَ كِلَابٍ ، وزُهْرَةَ بنَ كِلابٍ ، وأُمُّهما فاطمةُ بنتُ سعدِ بنِ سَيَلٍ ، أحدِ الجَدَرَةِ ، مِن جُعْثُمَةَ الأَسْدِ ، مِن اليمنِ ، حُلَفاءِ بَنِى الدُّئِلِ بنِ بكرِ بنِ عبدِ مَناةَ بنِ كِنانةَ ، وفى أبيها يقولُ الشَّاعِرُ[2] :

ما نَرَى فى الناسِ شَخْصًا واحدًا ... مَن عَلِمْناه كسَعْدِ بنِ سَيَلْ

فارِسًا أَضْبَطَ ، فيه عُسْرَةٌ[3] ... وإذا ما واقَفَ القِرْنَ نَزَلْ

فارِسًا يَسْتَدْرِجُ الخيلَ كما اسْـ ... ـتَدْرَجَ الحُرُّ القَطامِىُّ الحَجَلْ

قال السُّهيلىُّ[4] : سَيَلٌ اسمُه خَيْرُ بنُ حَمَالَةَ[5] ، وهو أَوَّلُ مَنْ طُلِيَتْ له السُّيوفُ بالذهبِ والفضةِ .

قالَ ابنُ إسحاقَ[6] : وإنَّما سُمُّوا الجَدَرَةَ ؛ لأنَّ عامِرَ بنَ عَمْرِو بنِ خُزَيْمَةَ بْنِ

---

(١) سيرة ابن هشام ١/١٠٣.

(٢) سيرة ابن هشام ١/١٠٥.

(٣) فى الأصل، ص: «عشرة». وأضبط: يعمل بيساره كما يعمل بيمينه، وعسرة من هذا المعنى. المعجم الوسيط (ض ب ط)، (ع س ر).

(٤) الروض الأنف ١/٤٢٨.

(٥) فى الأصل، ا ٩، ص: «حبالة»، وفى م: «جماله». والمثبت من الروض الأنف.

(٦) سيرة ابن هشام ١/١٠٥.

جُعْثُمَةَ[1] تَزَوَّجَ بنتَ الحارِثِ بنِ مُضَاضٍ الجُرْهُمِيِّ ، وكانت جُرْهُمٌ إذ ذاكَ وُلاةَ البيتِ ، فبَنَى للكعبةِ جدارًا ، فسُمِّىَ عامِرٌ بذلك الجادِرَ ، فقِيلَ لوَلدِه : الجَدَرَةُ . لذلك .

(١) فى الأصل ، ا ٩، ص : « خثعمة » .

خَبَرُ قُصَىِّ بنِ كِلابٍ

و(١ما كان مِن أمْرِه فى١) ارْتِجاعِه وِلايةَ البَيتِ إلى قُرَيشٍ وانتزاعِه ذلك مِن خُزَاعَةَ، (١واجتماعِ قريشٍ إلى الحرمِ الذى جعَلَه اللَّهُ تعالى أَمْنًا للعبادِ، بعدَ تفرقِها فى البلادِ وتَمَزُّقِها فى الجبالِ والمِهادِ١) وذلك أنَّه لمَّا ماتَ أبوه كِلابٌ، تَزَوَّجَ أمَّه ربيعةُ بنُ حَرَامٍ، مِن عُذْرَةَ، وخرجَ بها وبه إلى بلادِه، ثُم قَدِمَ قُصَىٌّ مكَّةَ وهو شابٌّ فتَزَوَّجَ حُبَّى ابنةَ رئيسِ خُزاعةَ حُلَيْلِ(٢) بنِ حُبْشِيَّةَ. فأمَّا خُزاعةُ، فتَزْعُمُ أنَّ حُلَيْلًا(٣) أَوْصَى إلى قُصَىٍّ بوِلايةِ البيتِ؛ لَمَّا رأى مِن كَثْرةِ نَسْلِه؛ مِن ابنتِه، وقال: أنتَ أحقُّ بذلك مِنِّى. قال ابنُ إسحاقَ(٤): ولم نَسْمَعْ ذلك إلَّا منهم. وأمَّا غيرُهم فإنَّهم يَزْعُمُون أنَّه استَجاشَ(٥) بإخْوتِه مِن أُمِّه - وكانَ رئيسُهم رِزَاحَ بنَ ربيعةَ - وإخْوَةِ إخوتِه وبَنِى كِنانةَ وقُضاعةَ، ومَن حَوْلَ مكَّةَ مِن قريشٍ وغَيْرِهم، فأجْلَاهُم عن البيتِ، واستقلَّ هو بولايةِ البَيْتِ، (٦إلَّا أنَّ٦) إجازةَ الحَجيجِ كانت إلى صُوفةَ، وهم بَنُو الغَوْثِ بنِ مُرِّ بنِ أُدِّ بنِ طابِخَةَ بنِ إلْياسَ بنِ مُضَرَ، فكان النّاسُ لا يَرْمُون الجِمارَ حتى يَرْمُوا، ولا يَنْفِرُونَ مِن مِنًى

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) فى الأصل، ا ٩، ص: «جليل».

(٣) فى الأصل، ا ٩، ص: «جليلا».

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ١١٨.

(٥) فى الأصل، ص: «استحاس»، وفى م: «استغاث». واستجاش: أى طلب الجيش. المعجم الوسيط (ج ى ش).

(٦ - ٦) فى م: «لأن».

حتى يَنْفِرُوا ، فلم يَزَلْ كذلك فيهم حتّى انْقَرضُوا ، فوَرِثَهم ذلك [١/٢٢٩ظ] بالقُعْدَدِ بنو سَعْدِ بنِ زَيدِ مَناةَ (١ بنِ تَميمٍ ١) ، فكان أوَّلُهم صَفْوانَ بنَ الحارثِ بنِ شِجْنَةَ بنِ عُطَارِدَ بنِ عَوْفِ بنِ كَعْبِ بنِ سَعْدِ بنِ زَيْدِ مَناةَ (١ بنِ تَميمٍ ١) ، وكانَ ذلك فى بَيْتِه حتَّى قام على آخِرِهم الإسلامُ ، وهو كَرِبُ بنُ صفوانَ ، وكانت الإجازةُ مِن المُزْدَلِفَةِ فى عَدْوَانَ ، حتى قام الإسلامُ على آخرِهم ، وهو أبو سَيَّارَةَ عُمَيْلَةُ بنُ الأَعْزَلِ ؛ وقيلَ : اسْمُه العاصُ بنُ خالدٍ . وكان يُجيزُ بالنَّاسِ على أتانٍ له عَوْرَاءَ ، مكَث يَدْفَعُ عليها فى المَوْقِفِ أرْبَعِين سنةً ، وهو أوَّلُ مَن جعَل الدِّيَةَ مِائَةً ، وأوَّلُ مَن كان يقولُ : أَشْرِقْ ثَبِيرُ ؛ كَيْمَا نُغِيرُ . حَكاهُ السُّهَيْلِىُّ[٢] .

وكان عامرُ بنُ الظَّرِبِ العَدْوانِىُّ ، لا يَكونُ بينَ العربِ نَائِرةٌ[٣] إلَّا تحاكَمُوا إليه ، فيَرْضَوْن بما يَقْضِى به ، فتحاكَمُوا إليه مَرَّةً فى ميراثِ خُنْثَى ، فباتَ ليلتَه ساهِرًا يَتَرَوَّى ماذا يَحْكُمُ به ، فرأتْه جارِيَةٌ له كانت تَرْعَى عليه غنَمَه ، اسمُها سُخَيْلَةُ ، فقالت له : مَا لَكَ - لا أبا لَكَ - الليلةَ ساهرًا ؟ فذكَر لها ما هو مُفكِّرٌ فيه ، وقال : لعلَّها يكونُ عندَها فى ذلك شىءٌ . فقالتْ : أَتْبِعِ القضاءَ المَبَالَ[٤] . فقالَ : فَرَّجْتِها واللَّهِ يا سُخَيْلَةُ . وحكَم بذلك .

قالَ السُّهَيْلِىُّ[٥] : وهذا الحُكْمُ (٦ مِن بابِ الاسْتدلالِ ٦) بالأَماراتِ

(١ - ١) فى الأصل ، ص : « من سهم » .

(٢) الروض الأنف ٢/٤١ - ٤٣ .

(٣) فى الأصل ، ص : « نادرة » ، وفى ا ٩ : « ثائرة » . ونأرت نائرة فى الناس : هاجت هائجة . المعجم الوسيط (ن أ ر) .

(٤) المبال : مخرج البول . المعجم الوسيط (ب و ل) .

(٥) الروض الأنف ٢/ ٥١ .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل ، ا٩، ص .

(1) والعَلاماتِ ، و (1) له أصْلٌ فى الشَّرْعِ ؛ قال اللَّهُ تَعالَى : ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ [يوسف : ١٨] . حيثُ لا أثرَ لأنيابِ الذِّئْبِ فيه ، وقال تَعالَى : ﴿ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [يوسف : ٢٦، ٢٧] . وفى الحديثِ(٢) : « أنْظِرُوها ، فإن جاءَتْ بِهِ أَوْرَقَ جَعْدًا جُمَالِيًّا ، فهو للَّذى رُمِيَتْ به » .

قال ابنُ إسْحاقَ(٣) : وكانَ النَّسِيءُ فى بَنِى فُقَيْمِ بنِ عَدِىٍّ بنِ عَامِرِ بنِ ثَعْلَبَةَ ابنِ الحارِثِ بنِ مالِكِ بنِ كِنانةَ بنِ خُزَيْمَةَ بنِ مُدْرِكَةَ بنِ إلْياسَ بنِ مُضَرَ . قال ابنُ إسْحاقَ(٤) : وكانَ أوَّلَ مَن نَسَأَ الشُّهُورَ على العَرَبِ القَلَمَّسُ ، وهو حُذَيْفَةُ ابنُ عَبْدِ بنِ فُقَيْمِ بنِ عَدِىٍّ ، ثم قامَ بعدَه ابنُه عبَّادٌ ، ثم قَلَعُ بنُ عبَّادٍ ، ثم أُمَيَّةُ بنُ قَلَعٍ ، ثم عَوْفُ بنُ أُمَيَّةَ ، ثم كانَ آخِرَهم أبو ثُمامَةَ جُنادةُ بنُ عَوْفِ بنِ قَلَعِ بنِ عَبّادِ بنِ حُذَيْفَةَ ، وهو القَلَمَّسُ . فعَلَى أبى ثمامةَ قامَ الإسْلامُ ، وكانتِ العَرَبُ إذا فَرَغَتْ مِن حَجِّها اجْتَمَعَت إليه ، فخَطَبَهم ، فحرَّمَ الأشْهُرَ الحُرُمَ ، فإذا أرادَ أن يُحِلَّ منها شيئًا أحَلَّ المحَرَّمَ ، وجَعَلَ مَكانَه صَفَرًا ؛ ليُواطِئُوا عِدَّةَ ما حَرَّمَ اللَّهُ ، فيقولُ : اللَّهُمَّ إنِّى أحْلَلْتُ أحَدَ الصَّفَرَيْن ؛ الصَّفَرَ الأوَّلَ ، وأنْسَأْتُ الآخَرَ للعامِ المُقْبِلِ . فتَتَبَّعُه العربُ فى ذلك ، ففى ذلك يقولُ عُمَيْرُ بنُ قيسٍ ، أحدُ بَنِى

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ٩١، ص .
(٢) أخرجه أحمد فى المسند ١/ ٢٣٩. (إسناده صحيح) . وأبو داود (٢٢٥٦) . وضعفه الألبانى من هذا الطريق (ضعيف سنن أبى داود ٤٩٦) . وأصل الحديث عند البخارى (٥٣٠٩) بغير هذا اللفظ .
(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٤٣.
(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٤٤.

فِراسِ بنِ غَنْمِ بنِ مالكِ بنِ كِنَانَةَ، ويُعْرَفُ عُمَيْرُ بنُ قيْسٍ هذا بِجَذْلِ[1] الطِّعَانِ:

[2]لَقَدْ عَلِمَتْ [3]مَعَدٌّ أنَّ قَوْمِى[3][2] كِرامُ النّاسِ أنَّ لَهُم كِرامَا

فأَىُّ النَّاسِ فاتُونَا بوِتْرٍ وأىُّ النَّاسِ لم نَعْلِكْ لِجامَا

أَلَسْنا النَّاسِئِينَ على مَعَدٍّ شُهُورَ الحِلِّ نَجْعَلُها حَرامَا

وكانَ قُصَىٌّ فى قَوْمِه سيِّدًا رئيسًا مُطاعًا مُعَظَّمًا، والمقصودُ أنَّه جمَع قريشًا مِن مُتفرِّقاتِ مواضِعِهم مِن جزيرةِ العربِ، واسْتعانَ بمَن أطاعَه مِن أحياءِ العربِ على حربِ خُزاعةَ، وإجْلائِهم عن البَيْتِ الحرامِ[4]، وتَسْليمِه إلى قُصَىٍّ، فكانَ بينَهم قِتالٌ كثيرٌ، ودِماءٌ غَزِيرةٌ، ثم تَداعَوْا إلى التَّحْكيمِ، فتحاكَمُوا إلى يَعْمُرَ ابنِ عوفِ بنِ كَعْبِ بنِ عامرِ بنِ لَيْثِ بنِ بَكْرِ بنِ عَبْدِ مَناةَ بنِ كِنانةَ، فحكَم بأنَّ قُصيًّا أَوْلَى بالبَيْتِ مِن خُزاعَةَ، وأنَّ كلَّ دَمٍ أصابَه قُصَىٌّ مِن خُزاعَةَ وبَنِى بَكْرٍ موضوعٌ، يَشْدَخُه[5] تحتَ قَدَمَيْه، وأنَّ ما أصابَتْه خُزاعَةُ وبنو بَكْرٍ مِن قُرَيْشٍ وكِنانةَ وقُضاعةَ ففيه الدِّيَةُ مُؤَدَّاةٌ، وأنْ يُخَلَّى بينَ قُصَىٍّ وبينَ مَكَّةَ والكعبةِ، فسُمِّىَ يَعْمُرُ يومَئذٍ الشَّدَّاخَ.

قال ابنُ إسْحاقَ[6]: فوَلِىَ قُصَىٌّ البيتَ وأَمْرَ مكَّةَ، وجمَع قومَه مِن مَنازِلِهم

---

(١) فى النسخ: «بجدل». والمثبت من السيرة ١/ ٤٤، ومعجم الشعراء ٧٢.

(٢ - ٢) سقط من: ص.

(٣ - ٣) فى الأصل: «معدا من لؤى».

(٤) سقط من: م.

(٥) فى م: «بشدخه». وشدخ دم فلان: أهدره وأبطله. المعجم الوسيط (ش د خ).

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ١٢٤.

إلى مكَّةَ ، وتَمَلَّك على قَوْمِه وأهْلِ مكَّةَ فملَّكُوه ، إلَّا أنَّه أقَرَّ للعربِ على ما كانوا عليه ؛ لأنَّه يَرَى ذلك دِينًا في نفسِه ، لا يَنْبَغِي تَغْيِيرُه ، فأقَرَّ آلَ صَفْوانَ وَعَدْوانَ والنَّسَأَةَ[1] ومُرَّةَ بنَ عَوْفٍ على ما كانوا عليه ، حتى جاءَ الإسْلامُ فهدَم اللَّهُ به ذلك كُلَّه . قال : فكانَ قُصَيٌّ أوَّلَ بني كَعْبٍ أصابَ مُلْكًا أطاعَ له به قَوْمُه ، فكانت إليه الحِجَابةُ ، والسِّقايةُ ، والرِّفادةُ ، والنَّدوةُ ، واللِّواءُ[2] [١/٢٣٠و] ، فحازَ شَرَفَ مكَّةَ كلَّه ، وقطَّع مكَّةَ رِباعًا بينَ قَوْمِه ، فأنزَلَ كُلَّ قَوْمٍ مِن قريشٍ منازِلَهم مِن مكَّةَ .

قُلْتُ : فرجَعَ الحقُّ إلى نصابِه ، ورُدَّ شارِدُ العَدْلِ بعدَ إيابِه ، واسْتقرَّت بقريشٍ الدَّارُ ، وقَضَت مِن خُزاعةَ المرادَ والأوْطارَ ، وتَسلَّمَت بَيْتَهم العَتِيقَ القديمَ ، لكنْ بما أحْدَثَتْ خُزاعةُ مِن عبادةِ الأَوثانِ ، ونَصْبِها إيّاها حولَ الكعبةِ ، ونَحْرِهم لها ، وتَضَرُّعِهم عندَها ، واسْتنصارِهم بها ، وطَلَبِهم الرِّزقَ منها ، وأنْزَلَ قُصَيٌّ قبائِلَ قريشٍ أباطِحَ مَكَّةَ ، وأنزَلَ طائفةً منهم ظَواهِرَها ، فكانَ يُقالُ : قريشُ البِطَاحِ . وقريشُ الظَّواهِرِ . فكانت لِقُصَيِّ بنِ كلابٍ جَمِيعُ الرِّئاسةِ ؛ مِن حِجَابةِ البَيْتِ وسِدَانَتِه واللِّواءِ ، وبَنَى دارًا لإزاحةِ الظُّلُماتِ وفَصْلِ الخُصوماتِ ، سمَّاها دارَ النَّدْوَةِ ، إذا أعْضَلَت قَضِيَّةٌ ، اجْتمعَ الرؤساءُ مِن كُلِّ قبيلةٍ ، فاشْتَوَرُوا فيها ، وفَصَلُوها ، ولا يُعْقَدُ عقدُ لواءٍ ولا عَقْدُ نكاحٍ إلَّا بها ،

---

(١) أى من يقومون على النسيء .

(٢) الحجابة : أن تكون مفاتيح البيت عند واحد بعينه ، فلا يدخله أحد إلا بإذنه . السقاية : سقى الحجاج الماء ينبذ فيه الزبيب . الرفادة : طعام كانت قريش تجمعه كل عام لأهل الموسم . الندوة : الاجتماع للمشورة والرأى . اللواء : أى لواء الحرب ، لأنه كان لا يحمله عند قريش إلا قوم مخصوصون بذلك .

ولا تَبْلُغُ جاريةٌ[1] أن تَدَّرِعَ[2] فتَدَّرِعَ إلَّا بها ، وكان بابُ هذه الدارِ إلى المسجدِ الحرامِ ، ثُم صارتْ هذه الدارُ فيما بعدُ إلى حكيمِ بنِ حِزَامٍ بعدَ بنى عبدِ الدارِ ، فباعَها فى زَمنِ معاويةَ بمائةِ ألفِ درهمٍ ، فلَامَه على بَيْعِها معاويةُ ، وقال : بِعْتَ مَكْرُمَةَ[3] قَوْمِك [4]وَشَرَفَهم[4] بمائةِ أَلْفٍ ؟ فقال : إنَّما الشَّرَفُ اليومَ بالتَّقْوَى ، واللَّهِ لقد ابْتَعْتُها فى الجاهِلِيَّةِ بِزِقِّ خمرٍ ، وها أنا قد بِعْتُها بِمائةِ ألفٍ ، وأُشْهِدُكم أنَّ ثَمَنَها صَدَقَةٌ فى سبيلِ اللَّهِ ، فأيُّنا المَغْبُونُ[5] ؟ ذَكَرَه الدَّارَقُطْنِىُّ فى «أسماءِ رجالِ المَوَطَّأ» .

وكانت إلى قُصَىٍّ سِقايةُ الحَجِيجِ ، فلا يَشْرَبُون إلَّا مِن ماءِ حِياضِه ، وكانت زَمْزَمُ إذ ذاك مَطْمُوسَةً[6] مِن زمنِ جُرْهُمٍ ، قد تَناسَوْا أمْرَها ؛ مِن تَقادُمِ عَهْدِها ، ولا يَهْتَدُون إلى موضِعِها .

قال الواقِدىُّ : وكان قُصَىٌّ أوَّلَ مَن أحْدَثَ وَقِيدَ النَّارِ بالمُزْدَلِفَةِ ؛ ليَهْتَدِىَ إليها مَن يَأْتِى مِن عرفاتٍ ، و [7]أوَّلَ مَن أحْدَثَ[7] الرِّفادةَ ؛ وهى إطْعامُ الحَجِيجِ أيَّامَ المَوْسِمِ ، إلى أن يَخْرُجُوا راجِعِين إلى بِلادِهم .

قالَ ابنُ إسحاقَ[8] : وذلك أنَّ قُصَيًّا فرَضَه على قريشٍ ، فقالَ لهم : يا

---

(1) فى الأصل ، ص : «حادثة» .
(2) أى تلبس الدرع . والدرع : قميص المرأة .
(3) فى الأصل ، م ، ص : «شرف» .
(4 - 4) سقط من : الأصل ، م ، ص .
(5) أخرجه الطبرانى (3073) بإسنادين . قال الهيثمى فى المجمع 9/ 384: أحدهما حسن . وانظر الروض الأنف 2/ 55.
(6) فى الأصل ، ا 9: «مطمومة» . أى مردومة .
(7 - 7) زيادة من : ا 9 .
(8) سيرة ابن هشام 1/ 130.

مَعْشَرَ قريشٍ، إنَّكم جيرانُ اللَّهِ، وأهْلُ مكَّةَ، وأهلُ الحرَمِ، وإنَّ الحاجَّ ضَيْفُ اللَّهِ وزُوَّارُ بيتِه، وهم أحَقُّ بالضِّيافةِ، فاجْعَلُوا لهم طعامًا وشَرابًا أيَّامَ الحَجِّ، حتَّى يَصْدُرُوا عنكم. ففعَلُوا، فكانُوا يُخرِجُون لذلك فى كلِّ عامٍ مِن أموالِهم خَرْجًا، فيَدْفَعُونَه إليه، فيَصْنَعُه طعامًا للنَّاسِ أيَّامَ مِنًى، فجرَى ذلك مِن أمْرِه فى الجاهليةِ حتى قامَ الإِسْلامُ، ثمَّ جرَى فى الإِسلامِ إلى يَوْمِك هذا، فهو الطَّعامُ الذى يَصْنَعُه السلطانُ كُلَّ عامٍ بِمِنًى للناسِ، حتى يَنْقَضِيَ الحجُّ.

قلتُ: ثمَّ انْقطعَ هذا بعدَ ابنِ إِسْحاقَ، ثم أُمِرَ بإِخْراجِ طائفةٍ مِن بيتِ المالِ، فيُصْرَفُ فى حَمْلِ زادٍ وماءٍ لأبْناءِ السبيلِ القاصِدِين إلى الحَجِّ، وهذا صَنِيعٌ حسنٌ مِن وجوهٍ يَطُولُ ذِكرُها، ولكنَّ الواجبَ أن يكونَ ذلك مِن خالصِ بيتِ المالِ، مِن أَجَلِّ ما فيه، والأَوْلَى أنْ يكونَ مِن جَوَّالِي[1] الذِّمَّةِ؛ لأنَّهم لا يَحُجُّونَ البيتَ العَتيقَ، وقد جاء فى الحديثِ[2]: «مَنِ اسْتَطَاعَ الحَجَّ، فلمْ يَحُجَّ، فلْيَمُتْ إنْ شاءَ يَهوديًّا أو نصرانيًّا».

وقالَ قائِلُهم فى مَدْحِ قُصَيٍّ وشَرَفِه فى قَوْمِه[3]:

قُصَيٌّ لَعَمْرِى كان يُدْعَى مُجَمِّعًا   به جَمَعَ اللَّهُ القَبائِلَ مِن فِهْرِ

هُمُو مَلَئُوا البَطْحَاءَ مَجْدًا وسُؤْدَدًا   وهم طَرَدُوا عنَّا غُواةَ بَنِى بَكْرِ

---

(١) فى ص: «جرالى».

(٢) أخرجه الترمذى (٨١٢) من حديث على مرفوعا بلفظ: «من ملك زادا أو راحلة تبلغه إلى بيت اللَّه ولم يحج، فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا ...». قال الترمذى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وفى إسناده مقال، وهلال بن عبد اللَّه مجهول، والحارث يضعف فى الحديث. قال الألبانى فى ضعيف السنن (١٣٢): ضعيف.

(٣) هو حذافة بن غانم العدوى، كما مر فى ص ٢٢٢ حاشية ٥. وفيها البيت الأول فقط.

قال ابنُ إسحاقَ[1] : ولَمَّا فرَغ قُصَىٌّ مِن حربِه ، انْصرفَ أَخُوه رِزاحُ بنُ ربيعةَ إلى بلادِه بمَنْ معه وإخْوتِه مِن أَبِيه الثَّلاثةِ ، وهم حُنٌّ ومَحْمُودٌ وجُلْهُمَةُ . قال رِزاحٌ فى إجابَتِه قُصَيًّا[2] :

وَلَمَّا أَتَى مِن قُصَىٍّ رَسُولٌ ... فقالَ الرَّسُولُ أجِيبُوا الخَلِيلَا

نَهَضْنَا إليه نَقُودُ الجِيَا ... دَ ونَطْرَحُ عنّا المَلُولَ الثَّقِيلَا

نَسِيرُ بها اللَّيلَ حتَّى الصَّبا ... حِ ونَكْمِى[3] النَّهارَ لِئَلَّا نَزُولَا

فهُنَّ سِرَاعٌ كوِرْدِ القَطَا ... يُجِبْنَ بنا مِن قُصَىٍّ رَسُولَا

جَمَعْنا مِن السِّرِّ مِن أشْمِذَيْنِ[4] ... ومِن كلِّ حَىٍّ جَمَعْنَا قَبِيلَا

فَيَالَكِ حُلْبَةُ[5] مَا لَيلةٌ ... تَزِيدُ على الألْفِ سَيْبًا رَسِيلَا[6]

فلَمَّا مَرَرْنَ على عَسْجَرٍ[7] ... وأَسْهَلْنَ مِن مُسْتَنَاخٍ سَبِيلَا

وجاوَزْنَ بالرُّكْنِ مِن وَرِقانَ[8] ... وجَاوَزْنَ بالعَرْجِ[9] حيًّا حُلُولَا

---

(١) سيرة ابن هشام ١/١٢٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) نكمى : نكمن ونستتر.

(٤) فى الأصل ، ص : «أشهدين» . قال السهيلى فى الروض ٢/٥٦: وفى حاشية كتاب سفيان بن العاص : الأشمذان : جبلان بين المدينة وخيبر. ويقال : اسم قبيلتين.

(٥) الحلبة : جماعة الخيل .

(٦) السيب : المشى السريع فى رفق. والرسيل : المشى بتمهل .

(٧) عسجر : اسم موضع.

(٨) ورقان : اسم جبل .

(٩) العرج : وادٍ من نواحى الطائف .

مَـرَرْنَ عـلـى الحِلِّ[1] مـا ذُقْنَـه ... وعَـالجْنَ مَـن مَـرَّ لـيـلًا طـويـلَا

[١/٢٣٠ظ] تُدَنِّى مِن العُوذِ أَفْلاءَها[2] ... إرادَةَ أن يَـسْـتَـرِقْـنَ الـصَّـهِـيـلَا

فَـلـمَّـا انْـتَـهَـيْنا إلـى مـكَّـةٍ ... أبَحْـنَـا الـرِّجـالَ قَـبِـيـلًا قَـبِـيـلَا

نُـعـاوِرُهُـم ثَـمَّ حَـدَّ الـسُّـيُـوفِ ... وفى كلِّ أَوْبٍ خَلَسْنَا العُقُولَا

نُـخَـبِّزُهـم[3] بـصِـلَابِ الـنُّـسُـو ... رِ[4] خَبْزَ القَوِىِّ العَزِيزِ الذَّلِيلَا

قَـتَـلْـنَـا خُـزَاعَـةَ فِـى دَارِهـا ... وبَكْـرًا قَـتَـلْـنَـا وجَـيِـلًا فَـجِـيـلَا

نَـفَـيْـنَاهُـمُ مِـن بِـلادِ المَلِـيـكِ ... كـما لا يَـحِـلُّونَ أرْضًـا سُـهُـولَا

فـأَصْـبَـحَ سَـبْـيُـهـمُ فِـى الحَـدِيـدِ ... ومِـن كُـلِّ حَـىٍّ شَـفَـيْـنا الـغَـلِـيـلَا

قال ابنُ إسْحاقَ[5] : فَلمَّا رَجَع رِزاحٌ إلى بلادِه ، نشَرَهُ اللَّهُ ونَشَر حُنًّا ، فَهُما قَبِيلَا عُذْرَةَ إلى اليومِ .

قال ابنُ إسْحاقَ[6] : وقال قُصَىُّ بنُ كِلابٍ فى ذلك :

أَنـا ابْـنُ العـاصِـمِينَ بَـنِـى لُؤَىٍّ ... بمـكَّـةَ مَـنْـزِلـى وبـهـا رَبِـيـتُ

إلى البَطْحاءِ قدْ عَلِمَتْ مَعَدٌّ ... ومَرْوَتُـها رَضِيتُ بـهـا رَضِيتُ

---

(١) فى النسخ : « الحلى » . والمثبت من السيرة . والحل : جمع حِلَّة ، وهى اسم شجرة شاكة .

(٢) العوذ : جمع عائذ ، وهى الناقة أو الفرس التى لها أولاد . والأفلاء : جمع فلو : وهو المهر البالغ .

(٣) نخبزهم : نسوقهم سوقا شديدا .

(٤) النسور : جمع نَسْر ، وهو اللحم اليابس الذى فى باطن حافر الفرس .

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ١٢٩.

(٦) سيرة ابن هشام ١/ ١٢٨.

فلَسْتُ لِغالبٍ إنْ لَمْ تَأثَّلْ[1] ... بها أوْلادُ قَيْدَرَ والنَّبيتُ

رِزاحٌ ناصِرى وبه أُسَامِى ... فلَسْتُ أخَافُ ضَيْمًا ما حَيِيتُ

وقد ذكَر الأُمَوِيُّ، عن الأَثْرَمِ[2]، عن أبى عُبَيْدَةَ، عن مُحمَّدِ بنِ حَفْصٍ، أنَّ رِزاحًا إنَّما قَدِمَ بعدَما نَفَى قُصَيٌّ خُزاعَةَ. واللَّهُ أعْلَمُ.

---

(١) تأثل فلان بالمكان: أقام به واستقر ولم يبرح.

(٢) فى الأصل، م: «الأشرم». وهو أبو الحسن على بن المغيرة الأثرم. وأبو عبيدة هو معمر بن المثنى الأصمعى.

فَصْـلٌ

ثُمَّ لَمَّا كَبِرَ قُصَىٌّ فَوَّضَ أمْرَ هذه الوظائفِ التى كانت إليه ، من رئاساتِ قريشٍ وشَرَفِها ؛ مِن الرِّفادَةِ ، والسِّقايةِ ، والحِجَابةِ ، واللِّواءِ ، والنَّدْوةِ ، إلى ابنهِ عبدِ الدّارِ ، وكانَ أكبرَ ولدِه ، وإنَّما خَصَّصَه بها كلِّها ؛ لأنَّ بقيةَ إخْوَتِه ؛ عبدَ مَنَافٍ ، وعبدَ العُزَّى[1] ، وعَبْدًا ، كانوا قد شَرُفُوا فى زَمَنِ أبيهم ، وبَلَغُوا فى قَوْمِهم[2] شَرَفًا كبيرًا ، فأَحَبَّ قُصَىٌّ أَن يُلْحِقَ بهم عَبْدَ الدارِ فى السُّؤْدُدِ ، فخَصَّصَه بذلك ، فكانَ إخوتُه لا يُنازِعُونَه فى ذلك ، فلمَّا انْقرَضُوا ، تَشاجَرَ أبْناؤُهم فى ذلك وقالُوا : إنَّما خَصَّصَ قُصَىٌّ عبدَ الدّارِ بذلك لِيُلْحِقَه بإخْوَتِه ، فنحن نَسْتَحِقُّ ما كان آباؤُنا يَسْتحِقُّونَه . وقال بنو عبدِ الدَّارِ : هذا أمرٌ جَعَله لَنا قُصَىٌّ ، فنحنُ أحَقُّ به . واخْتَلَفُوا اخْتلافًا كثيرًا ، وانْقَسَمَت بُطونُ قريشٍ فِرْقَتَيْنِ ؛ ففِرْقَةٌ بايَعَت بَنِى[3] عبدِ الدَّارِ وحالَفَتْهُم ، وفِرْقةٌ بايَعَت بَنِى عبدِ مَنَافٍ وحالَفَتْهم على ذلك ، ووَضَعُوا أيديَهم عندَ الحِلْفِ فى جَفْنَةٍ فيها طِيبٌ ، ثم لمَّا قامُوا ، مَسَحُوا أيديَهم بأرْكانِ الكعبةِ ، فَسُمُّوا حِلْفَ المُطَيَّبِين ، وكان منهم مِن قبائلِ قريشٍ ؛ بنو أسَدِ بنِ عبدِ العُزَّى بنِ قُصَىٍّ ، وبنو زُهْرَةَ ، وبنو تَيْمٍ ، وبنو الحارثِ بنِ فِهْرٍ ، وكان مع بنى عبدِ الدارِ بنو مَخْزُومٍ ، وبنو سَهْمٍ ، وبنو جُمَحَ ،

---

(١) فى النسخ : «عبد شمس» . وهو خطأ ، فإن أبناء قصى الذكور أربعة ليس فيهم عبد شمس . وسيأتى بيان ذلك فى صفحة ٢٤٥.

(٢) فى الأصل ، م : «قوتهم» .

(٣) سقط من : الأصل ، م ، ص .

وبنو عَدِىٍّ ، واعْتزَلَتْ بنو عامِرِ بْنِ لُؤَىٍّ ، ومُحاربُ بنُ فِهْرٍ الجميعَ ، فلم يكونُوا معَ واحدٍ منهما ، ثم اصْطَلَحُوا واتَّفقوا على أن تكونَ الرِّفادةُ والسِّقايةُ لبَنِى عبدِ منافٍ ، وأن تَسْتَقِرَّ الحِجَابةُ واللِّواءُ والنَّدْوةُ فى بَنِى عبدِ الدارِ ، فانْبَرَمَ الأَمْرُ على ذلك واسْتمَرَّ .

وحكَى الأُمويُّ[1] عن الأثْرمِ[2] ، عن أبى عُبَيْدةَ ، قال : وزعَم قومٌ مِن خُزاعةَ ، أنَّ قُصَيًّا لَمَّا تزوَّجَ حُبَّى بنتَ حُلَيْلٍ ، وثَقُلَ[3] حُلَيْلٌ عن وِلايةِ البيتِ ، جعَلَها إلى ابنتِه حُبَّى ، واسْتنابَ عنها أبا غُبْشَانَ سليمَ بنَ عَمْرِو بنِ بُوَىٍّ[4] بنِ مِلْكَانَ بنِ أَفْصَى[5] بنِ حارِثَةَ بنِ عَمْرِو بنِ عامِرٍ ، فاشْترَى قُصَىٌّ وِلايةَ البيتِ منه بزِقِّ خَمْرٍ وقَعُودٍ[6] ، فكان يُقالُ : أخْسَرُ مِن صَفْقَةِ أبى غُبْشَانَ . ولَمَّا رأتْ خُزاعةُ ذلك ، اشْتَدُّوا على قُصَىٍّ ، فاسْتَنْصَر أخاه ، فقَدِمَ بمَن معَه ، وكانَ ما كانَ ، ثم فوَّضَ قُصَىٌّ هذه الجِهاتِ التى كانتْ إليه ؛ مِن السِّدَانَةِ ، والحِجَابةِ ، واللِّواءِ ، والنَّدْوةِ ، والرِّفادةِ ، والسِّقايةِ ، إلى ابْنِه عبدِ الدَّارِ - كما سيأتِى تَفْصِيلُه وإيضاحُه - وأَقَرَّ الإِجازةَ مِن مُزْدَلِفَةَ فى بَنِى عَدْوانَ ، وأَقَرَّ النَّسِىءَ فى بَنِى فُقَيمٍ ، وأقرَّ الإِجازةَ - وهو النَّفْرُ - فى صُوفَةَ ، كما تقدَّم بيانُ ذلك كلِّه مِمَّا كان بأيْدِيهم قَبْلَ ذلك .

---

(١) انظر تاريخ الطبرى ٢/ ٢٥٦.

(٢) فى م : « الأشرم » .

(٣) فى النسخ : « نقل » . والمثبت من تاريخ الطبرى .

(٤) فى الأصل ، م ، ص : « لؤى » .

(٥) فى الأصل ، م ، ص : « قصى » .

(٦) القعود : الفتِىُّ من الإبل إذا بلغ السادسة .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : فولَدَ قُصَيٌّ أرْبَعَةَ نَفَرٍ وامْرأتَيْنِ؛ عبدَ مَنافٍ، وعبدَ الدَّارِ، وعبدَ العُزَّى، وعَبْدًا، وتَخْمُرَ، وبرَّةَ، وأُمُّهم كلِّهم حُبَّى بنتُ حُلَيْلِ بنِ حُبْشِيَّةَ بنِ سَلُولِ بنِ كَعْبِ بنِ عَمْرٍو الخُزاعِيِّ. وهو آخِرُ مَن وَلِىَ البيتَ مِن خُزاعةَ، ومِن يَدِه أَخَذ البيتَ قُصَىُّ بنُ كِلابٍ.

قال ابنُ إسحاقَ[2] : فولَدَ عبدُ مَنافِ بنُ قُصَيٍّ أرْبعةَ نَفَرٍ؛ هاشِمًا، وعبدَ شَمْسٍ، [٢٣١/١و] والمُطَّلِبَ - وأُمُّهم عاتِكَةُ بنتُ مُرَّةَ بنِ هِلالٍ - ونَوْفَلَ بنَ عبدِ مَنَافٍ، وأُمُّه وَاقِدَةُ بنتُ عَمْرٍو المازِنِيَّةُ.

قال ابنُ هِشامٍ[3] : وَوُلِدَ لِعَبْدِ مَنافٍ أيضًا أبو عَمْرٍو، وتُمَاضِرُ، وقِلَابةُ، وحَيَّةُ، ورَيْطَةُ، وأُمُّ الأَخْثَمِ، وأُمُّ سفيانَ.

قال ابنُ هِشامٍ[4] : وَوَلَد هاشِمُ بنُ عَبْدِ مَنافٍ أرْبَعَةَ نَفَرٍ وخَمْسَ نِسْوَةٍ؛ عبدَ المُطَّلِبِ، وأَسَدًا، وأبا صَيْفِيٍّ، ونَضْلةَ، والشِّفَاءَ، وخالدةَ، وضَعِيفَةَ، ورُقَيَّةَ، وحَيَّةَ؛ فأُمُّ عَبْدِ المُطَّلِبِ ورُقَيَّةَ سَلْمَى بنتُ عَمْرِو بنِ زَيْدِ بنِ لَبِيدِ بنِ خِدَاشِ بْنِ عامرِ بنِ غَنْمِ بنِ عَدِيِّ بنِ النَّجّارِ مِن المدينةِ. وذكَر أُمَّهاتِ الباقِينَ، قال[4] : وولَدَ عبدُ المُطَّلِبِ عَشَرةَ نَفَرٍ وستَّ نِسْوَةٍ، وهم؛ العبَّاسُ، وحَمْزَةُ، وعبدُ اللَّهِ، وأبو طالبٍ - واسْمُه عَبْدُ مَنافٍ، لا عِمْرانُ - والزُّبَيْرُ، والحارِثُ[5] - وكان بِكْرَ أَبِيهِ، وبه كان يُكْنَى - وجَحْلٌ. ومنهم مَن يقولُ: حَجْلٌ. وكانَ يُلَقَّبُ

(١) سيرة ابن هشام ١/ ١٠٥.
(٢) فى م: «هشام». سيرة ابن هشام ١/ ١٠٦.
(٣) سيرة ابن هشام ١/ ١٠٧.
(٤) سيرة ابن هشام ١/ ١٠٨.
(٥) سقط من: الأصل، ٩١، ص.

بالغَيْدَاقِ ؛ لكَثْرةِ خَيْرِه . والمُقَوِّمُ ، وضِرَارٌ ، وأبو لَهَبٍ - واسْمُه عبدُ العُزَّى - وصَفِيَّةُ ، وأُمُّ حَكِيمِ البَيْضاءُ[1] ، وعاتِكَةُ ، وأُمَيْمَةُ ، وأَرْوَى وبَرَّةُ . وذكَر أُمَّهاتِهم ، إلى أنْ قال : وأُمُّ عَبْدِ اللَّهِ وأبِى طالبٍ والزُّبيرِ وجَميعِ النِّساءِ إلَّا صَفِيَّةَ ، فاطمةُ بنتُ عَمْرِو بنِ عائذِ بنِ عِمْرانَ بْنِ مَخْزُومِ بنِ يَقَظَةَ بنِ مُرَّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَىٍّ بنِ غالبِ بنِ فِهْرِ بنِ مَالكِ بنِ النَّضْرِ بنِ كِنانةَ بنِ خُزَيْمَةَ بنِ مُدْرِكَةَ بنِ إلْياسَ بنِ مُضَرَ بنِ نِزارِ بنِ مَعَدِّ بنِ عَدْنانَ . قال : فولَدَ عبدُ اللَّهِ محمَّدًا رسولَ اللَّهِ ﷺ ، سَيِّدَ وَلَدِ آدَمَ ، وأُمُّه آمِنةُ بنتُ وَهْبِ بنِ عَبْدِ مَنافِ بنِ زُهْرَةَ بنِ كِلابِ بنِ مُرَّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَىٍّ . ثُم ذَكَر أُمَّهاتِها فأَغْرَقَ ، إلى أن قالَ : فهو أَشْرفُ وَلَدِ آدَمَ حَسَبًا ، وأَفْضَلُهم نَسَبًا ، مِن قِبَلِ أبِيهِ وأُمِّهِ ، صلَواتُ اللَّهِ وسَلامُه عليه دائمًا إلى يَوْمِ الدِّينِ .

وقد تَقدَّمَ حديثُ الأوْزاعِىِّ[2] ، عن شَدَّادٍ أَبِى عَمَّارٍ ، عن وَاثِلَةَ بنِ الأسْقَعِ ، قالَ : قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانةَ مِن وَلَدِ إسْماعِيلَ ، واصْطَفَى قُرَيْشًا مِن كِنانَةَ ، واصْطَفَى [3]مِن قُرَيشٍ بنى هاشمٍ[3] ، واصْطَفانِى مِن بَنِى هَاشِمٍ » . رَواهُ مُسْلِمٌ . وسيأْتِى بيانُ مَوْلِدِه الكَريمِ وما ورَدَ فيه مِن الأخْبارِ والآثارِ ، وسَنُورِدُ عندَ سَرْدِ النَّسَبِ الشَّريفِ فوائدَ أُخَرَ ليست هٰهنا ، إنْ شاءَ اللَّهُ تعالَى ، وبه الثِّقَةُ وعليه التُّكْلانُ .

---

(١) سقط من : الأصل ، ٩١، ص .

(٢) تقدم تخريجه فى صفحة ٢٢٥، حاشية (٥) .

(٣ - ٣) فى النسخ : « هاشما من قريش » . والمثبت من صحيح مسلم (٢٢٧٦) .

ذِكْرُ جُملٍ مِن الأَحْدَاثِ

الواقعةِ[1] فى زمنِ[1] الجاهِليَّةِ

قد تَقدَّمَ ما كانَ مِن أخْذِ جُرْهُمٍ وِلايةَ البيتِ مِن بنى إسْماعيلَ، طَمِعُوا فيهم لأنَّهم أبناءُ بَناتِهم، وما كان مِن تَوَثُّبِ خُزاعَةَ على جُرْهُمٍ، وانْتزاعِهم وِلايةَ البيتِ منهم[2]، ثُم ما كان مِن رجوعِ ذلك إلى قُصَىٍّ وبَنِيه[3]، واسْتمرارِ ذلك فى أيْديهم إلى أن بعثَ اللَّهُ رسولَه ﷺ، فأقَرَّ تلك الوظائفَ على ما كانت عليه.

---

(١) سقط من: م.

(٢) انظر ما تقدم فى صفحة ١٨٦.

(٣) انظر ما تقدم فى صفحة ٢٣٦.

بابُ[1] ذِكْرِ جَماعةٍ كانوا[1] مَشْهُورِين فى زمنِ الجاهِليَّةِ

خبَرُ خالدِ بنِ سِنانٍ العَبْسِىِّ الذى كان فى زمنِ الفترةِ

وقد زَعَم بعضُهم أنَّه كان نبيًّا ، واللَّهُ أعْلَمُ .

قال الحافِظُ أبو القاسِمِ الطَّبَرانِىُّ[2] : حدَّثَنا أحْمدُ بنُ زُهَيْرٍ التُّسْتَرِىُّ ، حدَّثَنا يَحْيَى بنُ المُعَلَّى بنِ مَنْصورٍ الرَّازِىُّ ، حدَّثَنا محمدُ بنُ الصَّلْتِ ، حدَّثَنا قَيْسُ بنُ الرَّبيعِ ، عن سالمٍ الأفْطَسِ ، عن سَعِيدِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن ابنِ عبّاسٍ ، قال : جاءت بنتُ خالدِ بنِ سِنانٍ إلى النبىِّ ﷺ ، فبَسَطَ لها ثَوْبَه ، وقال : « بنتُ نَبِىٍّ ضَيَّعَه قَوْمُه » .

وقد رَواهُ الحافظُ أبو بكرٍ البَزَّارُ[3] ، عن يَحْيى بنِ المُعَلَّى بنِ مَنْصورٍ ، عن محمَّدِ بنِ الصَّلْتِ ، عن قَيْسٍ ، عن سالمٍ ، عن سَعيدٍ ، عن ابنِ عبَّاسٍ ، قال : ذُكِرَ خالدُ بنُ سنانٍ عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال : « ذاك نَبِىٌّ ضَيَّعَه قَوْمُه » . ثم قالَ : ولا نَعْرِفُه مَرْفُوعًا إلَّا مِن هذا الوَجْهِ ، وكان قيسُ بنُ الرَّبيعِ ثِقَةً فى نَفْسِه ،

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى المعجم الكبير (١٢٢٥٠) . قال الهيثمى فى المجمع ٨/ ٢١٤: وفيه قيس بن الربيع ، وثقه شعبة والثورى ، ولكن ضعفه أحمد - مع ورعه - وابن معين .

(٣) كشف الأستار (٢٣٦١) . قال الألبانى : لا يصح . (السلسلة الضعيفة ٢٨١) . وتقدم كلام الهيثمى .

إلَّا أنَّه كان رَدِیءَ الحِفْظِ ، وكانَ له ابنٌ يُدْخِلُ فى أحاديثِه ما ليس منها . واللَّهُ أعلمُ .

قال البزَّارُ[1] : وقد رَواهُ الثَّوْرِىُّ ، عن سالمِ الأَفْطَسِ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ مُرْسَلًا .

وقال الحافظُ أبو يَعْلَى المَوْصِلِىُّ[2] : حَدَّثَنا المُعَلَّى بنُ مَهْدِىٍّ المَوْصِلِىُّ قالَ : حدَّثَنا أبو عَوَانَةَ ، عن أبى يُونُسَ ، عن عِكْرِمَةَ ، عن ابنِ عبَّاسٍ أنَّ رجلًا مِن عَبْسٍ يُقالُ له : خالدُ بنُ سِنَانٍ . قال لقَوْمِه : أنَا أُطْفِئُ عنكم نارَ الحَدَثَانِ[3] . فقال له رجُلٌ مِن قَوْمِه[4] : واللَّهِ يا خالدُ ، ما قُلْتَ لنا قطُّ إلَّا حقًّا ، فمَا شَأْنُك وشَأْنُ نارِ الحَدَثانِ[5] [١/٢٣١ظ] تَزْعُمُ أنَّك تُطْفِئُها ؟ فخَرَج خالدٌ ومعه أُناسٌ مِن قَوْمِه ، فيهم عُمارةُ بنُ زيادٍ، فأتَوْها، فإذا هى تَخْرُجُ مِن شَقٍّ جَبَلٍ، (٦) فخَطَّ لهم خالدٌ خِطَّةً، فأَجْلَسَهم فيها، فقال: إنْ أبْطأْتُ عليكم، فلا تَدْعُونِى باسْمِى (٦) ، فخَرَجَت كأنَّها خَيْلٌ شُقْرٌ ، يَتْبَعُ بعضُها بعضًا ، فاسْتَقْبَلَها خالدٌ فجعَل يَضْرِبُها

---

(١) كشف الأستار (٢٣٦١) .

(٢) لم نجد هذا الأثر فى مسند أبى يعلى ، ولكن أخرجه الحاكم فى المستدرك ٥٩٨/٢ من طريق المعلى ابن مهدى ، وهو شيخ أبى يعلى . وكذلك أخرجه الطبرانى فى الكبير (١١٧٩٣) . قال الهيثمى فى المجمع ٨/ ٢١٤: وفيه المعلى بن مهدى ، ضعفه أبو حاتم ، قال : يأتى أحيانا بالمناكير . قلت – أى الهيثمى – : وهذا منها .

(٣) فى الأصل ، ص : « الحرتين الحدثان » . وفى ا ٩، م: « الحرتين » . والمثبت كما فى المستدرك والطبرانى . والحدثان : اسم رجل أطلق على هذا الموضع قريبا من مكة . انظر معجم البلدان ٢/ ٢١٨.

(٤) اسمه عمارة بن زياد ، كما صرح به فى المستدرك والطبرانى .

(٥) فى م : « الحرتين » .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل ، ص .

بِعَصاهُ ، وهو يقولُ : بَدا بدَا كلُّ هُدًى مردا[1] ، زَعَم ابنُ راعِيةِ المِعْزَى أنِّى لا أَخْرُجُ منها وثيابى تَنْدَى[2] . حتَّى دخَل معها الشَّقَّ ، فأَبْطَأَ عليهم ، فقال لهم عُمارةُ بنُ زيادٍ : واللَّهِ إنَّ صاحبَكم لو كان حيًّا لقد خرَج إليكم بعدُ . قالوا : فادْعُوه باسْمِه . [3]قال : فقالوا : إنَّه قد نَهانا أن نَدْعُوَه باسْمِه . فدَعَوْهُ باسْمِه[3] ، فخرَجَ وهو آخِذٌ برَأْسِه ، فقال ألم أنْهَكُم أن تَدْعُونى باسْمِى ، فقد واللَّهِ قَتَلْتُمونى ، فادْفِنُونى ، فإذا مرَّت بِكم الحُمُرُ فيها حِمارٌ أبْتَرُ فانْبِشُونى ، فإنَّكم تَجِدُونى حيًّا . فدَفَنُوه ، فمرَّت بهم الحُمُرُ فيها حِمارٌ أبْتَرُ . فقُلْنا : انْبِشُوه ؛ فإنَّه أمَرَنا أنْ نَنْبُشَه . فقال لهم عمارةُ : لا تَنْبُشُوه ، لا واللَّهِ لا تُحَدِّثُ مُضَرُ أنَّا نَنْبُشُ مَوْتانا . وقد كان قال لهم خالدٌ : إنَّ فى عِكْمِ[4] امْرأتِه لَوْحَيْنِ ، فإن أَشْكَلَ عليكم أمْرٌ فانْظُرُوا فيهما ؛ فإنَّكم ستَجِدُون ما تَسْأَلُونَ عنه . قال : ولا يَمَسُّهما حائِضٌ . فلَمَّا[5] رَجَعُوا إلى امْرأتِه ، سَأَلُوها عنهما ، فأَخْرَجَتْهما إليهم وهى حائِضٌ ، فذهَب ما كان فيهما مِن عِلْمٍ . قال أبو يُونُسَ : قال سِماكُ بنُ حَرْبٍ : سُئِلَ عنه النَّبىُّ ﷺ ، فقالَ : « ذاك نَبِىٌّ أَضَاعَه قَوْمُه » . قال : أبو يُونُسَ : قال سِماكُ بنُ حَرْبٍ : إنَّ ابْنَ خالدِ بنِ سِنانٍ أَتَى النبىَّ ﷺ ، فقالَ : « مَرْحَبًا بابْنِ أخِى » .

---

(١) سقط من : م . وفى الأصل ، ا ٩، ص : « مؤدا » . والمثبت من الطبرانى .
(٢) فى م : « بيدى » . وتندى : أى مبتلة تقطر ماء .
(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ص .
(٤) فى الأصل ، ا ٩، ص : « علم » ، وفى م : « عكن » . والمثبت كما فى الطبرانى . والعكم : الثوب مادام فيه المتاع . الوسيط (ع ك م) .
(٥) بعده فى : الأصل ، ا ٩، ص : « فرغوا من دفنه » .

فهذا السِّياقُ مَوْقُوفٌ على ابْنِ عباسٍ، وليس فيه أنَّه كان نبيًّا، والمُرْسَلَاتُ التى فيها أنَّه نبيٌّ، لا يُحْتَجُّ بها هـٰهنا، والأشْبَهُ أنَّه كان رجلًا صالحًا، له أحْوالٌ وكَراماتٌ؛ فإنَّه إن كان فى زمنِ الفَتْرَةِ، فقد ثَبَت فى «صَحيحِ البُخاريِّ»[1]، عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أنَّه قال: «أنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، إنَّه لَيْسَ بَيْنِى وبينه نَبِيٌّ». وإن كان قبلَها، فلا يُمْكِنُ أن يكونَ نبيًّا؛ لأنَّ اللَّهَ تعالَى قال: ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ [السجدة: ٣]. وقد قال غيرُ واحدٍ مِن العُلماءِ: إنَّ اللَّهَ تعالى لم يَبْعَثْ بعدَ إسماعيلَ نبيًّا فى العَرَبِ، إلَّا محمَّدًا ﷺ، خَاتَمَ الأنبياءِ، الذى دَعَا به إبْراهيمُ الخليلُ، بانِى الكعبةِ المُكَرَّمَةِ، التى جَعَلها اللَّهُ قِبْلَةً لأهْلِ الأرْضِ شَرْعًا، وبَشَّرَتْ به الأنبياءُ لقَوْمِهم، حتى كان آخِرَ مَن بَشَّر به عِيسى ابنُ مَرْيَمَ، عليه السَّلامُ، وبهذا المَسْلَكِ بعَيْنِه، يُرَدُّ ما ذَكَره السُّهَيْلِىُّ وغيرُه مِن إرْسالِ نبىٍّ مِن العَربِ يُقالُ له: شُعَيْبُ بنُ ذى مهذمِ بنِ شُعَيْبِ بنِ صَفْوانَ. صاحِبُ مَدْيَنَ، وبُعِثَ إلى العربِ أيضًا حَنْظَلَةُ بنُ صَفْوانَ، فكذَّبُوهما، فسلَّط اللَّهُ على العرَبِ بُخْتُ نَصَّرَ، فنالَ منهم مِن القَتْلِ والسَّبْيِ نحوَ ما نالَ مِن بَنِى إسرائيلَ، وذلك فى زمنِ مَعَدِّ ابنِ عَدْنانَ. والظَّاهِرُ أنَّ هؤلاءِ كانوا قوْمًا صالحِينَ يَدْعُونَ إلى الخيرِ. واللَّهُ أعلمُ. وقد تقدَّم[2] ذِكْرُ عَمْرِو بنِ لُحَيِّ بنِ قَمَعَةَ بنِ خِنْدِفَ، فى أخْبارِ خُزاعَةَ بعد جُرْهُمٍ.

---

(١) تقدم تخريجه فى ٢/ ٥٢٦.

(٢) فى صفحة ١٨٩.

ذِكْرُ[1] حاتِمِ الطَّائِيِّ

أحدِ أجْوادِ الجاهِلِيَّةِ

وهو حاتمُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ سَعْدِ بنِ الحَشْرَجِ بنِ امْرِئِ القَيْسِ بنِ عَدِيِّ بنِ أخْزَمَ[2] بنِ أبى أخْزَمَ، واسْمُه هَزُومَةُ بنُ ربيعةَ بنِ جَرْوَلِ بنِ ثُعَلَ بنِ عَمْرِو بنِ الغَوْثِ بنِ طَيِّئٍ، أبو سَفَّانَةَ الطَّائِيُّ وَالِدُ عَدِيِّ بنِ حاتمٍ، الصَّحابِيِّ، كان جَوَادًا مُمَدَّحًا فى الجاهليَّةِ، وكذلك كان ابنُه فى الإِسْلامِ، وكانت لحاتمٍ مآثِرُ وأُمُورٌ عجيبةٌ، وأخْبارٌ مُسْتَغْرَبَةٌ فى كرمِه، يَطُولُ ذِكرُها، ولكنْ لم يَكُنْ يَقْصِدُ بها وَجْهَ اللَّهِ والدَّارَ الآخِرَةَ، وإنَّما كان قَصْدُه السُّمْعَةَ والذِّكْرَ.

قال الحافِظُ أبو بَكْرٍ البزَّارُ فى «مُسْنَدِه»[3]: حدَّثنا مُحمَّدُ بنُ مَعْمَرٍ، حدَّثنا عبيدُ بنُ واقِدٍ القَيْسِيُّ، حدَّثنا أبو مُضَرَ[4]، هو النَّاجِيُّ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ دِينارٍ، عن ابْنِ عُمَرَ، قال: ذُكِرَ حاتمٌ عندَ النَّبيِّ ﷺ، فقالَ: «ذاكَ أَرَادَ أمْرًا فَأَدْرَكَه». حديثٌ غَرِيبٌ. قال الدَّارَقُطْنِيُّ[5]: تَفَرَّدَ به عُبَيْدُ بنُ واقِدٍ، عن أبى مُضَرَ[4] النَّاجِيِّ. ويُقالُ: إنَّ اسْمَه حَمَّادٌ. قال ابنُ عساكِرَ[6]: وقد فَرَّقَ أبو

---

(١) سقط من: م.

(٢) فى النسخ: «أحزم». والمثبت كما فى جمهرة أنساب العرب ص ٤٠٢، والنسب لأبى عبيد ص ٣٣١، والاشتقاق لابن دريد ص ٢٩.

(٣) كشف الأستار (٩٢). قال الهيثمى فى المجمع ١/ ١١٩: وفيه عبيد بن واقد، ضعفه أبو حاتم.

(٤) فى الأصل، ص: «نضر»، وفى م: «نصر».

(٥) انظر تاريخ ابن عساكر ١١/ ٣٦٢.

(٦) المصدر السابق.

أحمدَ الحاكِمُ بينَ أبى مُضَرَ[1] النَّاجِىِّ وبينَ أبى نَصْرٍ حَمَّادٍ، ولم يُسَمِّ النَّاجِىَّ. ووقَع فى بعضِ رواياتِ الحافظِ ابنِ عساكِرَ، عن أبى نَضْرٍ[2] شَيْبَةَ النَّاجِىِّ. واللَّهُ أعلمُ.

وقال الإمامُ أحمدُ[3]: حدَّثنا مؤمَّلُ[4] بنُ إسماعيلَ، [١/٢٣٢و] حدَّثنا سفيانُ، عن سِمَاكِ بنِ حربٍ، عن مُرَىِّ بنِ قَطَرِىٍّ، عن عَدِىِّ بنِ حاتمٍ، قال: قلتُ: يا رسُولَ اللَّهِ، إنَّ أبِى كان يَصِلُ الرَّحِمَ، ويفعلُ، ويفعلُ، فهل له فى ذلك؟ يَعْنِى: مِن أجرٍ. قال: «إنَّ أباك طلَب أَمْرًا[5] فأصابَه».

وهكذا روَاه أبو يَعْلَى[6]، عن القَوارِيرىِّ، عن غُنْدَرٍ، عن شُعْبَةَ، عن سِمَاكٍ به، وقال: «إنَّ أباكَ أرادَ أمْرًا، فأدْرَكَه». يَعْنِى الذِّكْرَ. وهكذا رواهُ أبو القاسمِ البَغَوِىُّ[7]، عن علىِّ بنِ الجَعْدِ، عن شُعْبَةَ به سواءً. وقد ثبَت فى «الصَّحيحِ»[8] فى الثَّلاثةِ الذين تُسَعَّرُ بهم جهنمُ، منهم الرَّجلُ الذى يُنْفِقُ ليُقالَ: إنَّه كريمٌ. فيكونُ جَزاؤُه أنْ يقالَ ذلك فى الدُّنْيا، وكذا فى العالمِ والمجُاهِدِ. وفى الحديثِ الآخَرِ فى «الصَّحيحِ»[9]، أنَّهم سألُوا رسولَ اللَّهِ ﷺ

---

(١) فى الأصل، ص: «نضر»، وفى م: «نصر».

(٢) فى الأصل، م: «نصر». وفى ا ٩: «مضر»، وهو الصواب. والمثبت كما فى ص، وتاريخ ابن عساكر.

(٣) فى المسند ٤/ ٣٧٩.

(٤) فى الأصل، م، ص: «يزيد».

(٥) فى النسخ: «شيئا». والمثبت من المسند.

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١١/٣٦٠ من طريق أبى يعلى به، ورواه ابن حبان من طريق أبى يعلى، عن على بن الجعد، عن شعبة به. الإحسان (٣٣٢). وقال الشيخ شعيب: إسناده حسن.

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١١/٣٦١ من طريق أبى القاسم البغوى به.

(٨) مسلم (١٩٠٥).

(٩) مسلم (٢١٤).

عن عبدِ اللَّهِ بنِ جُدْعَانَ بنِ عَمْرِو بنِ كَعْبِ بنِ سَعْدِ بنِ تَيْمِ بنِ مُرَّةَ، فقالُوا له : كان يَقْرِى الضَّيْفَ، ويَعْتِقُ، ويَتَصَدَّقُ، فهل يَنْفَعُه ذلك؟ فقال : «إنَّه لم يقُلْ يومًا مِن الدَّهرِ : رَبِّ اغْفِرْ لى خَطِيئَتِى يومَ الدِّينِ». هذا، وقد كان مِن الأَجْوادِ المشهورِين أيضًا، المُطْعِمِين فى السِّنِينَ المُمْحِلَةِ والأَوْقاتِ المُرْمِلَةِ.

وقال الحافِظُ أبو بكرٍ البَيْهَقِيُّ[1] : أنبأنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ، حدَّثنى أبو بكرٍ محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ يوسفَ العُمَانِيُّ، حَدَّثنا أبو سعيدٍ عبيدُ بنُ كثيرِ بنِ عبدِ الواحدِ الكُوفِىُّ، حدَّثنا ضِرارُ بنُ صُرَدٍ، حدَّثنا عاصِمُ بنُ حُمَيْدٍ، عن أبى حَمْزَةَ الثُّمَالِىِّ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ جُنْدُبٍ، عن كُمَيْلِ بنِ زِيادٍ النَّخَعِىِّ، قال : قال علىُّ بنُ أبى طالبٍ : «يا سبحانَ اللَّهِ، ما أزْهدَ كثيرًا مِن النَّاسِ فى خيرٍ، عجبًا لرجلٍ يَجِيئُه أَخُوه المسلمُ فى حاجةٍ، فلا يَرَى نفسَه للخيرِ أهْلًا، فلو كان لا يَرْجُو ثوابًا ولا يَخْشَى عِقابًا، لكانَ يَنْبَغِى له أنْ يُسارِعَ فى مَكارمِ الأخلاقِ، فإنَّها تَدُلُّ على سبيلِ النجاحِ!» فقام إليه رجلٌ وقال : فِداكَ أبى وأُمِّى يا أميرَ المؤمنينَ، أَسَمِعْتَه مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ؟ قال : نعم، وما هو خيرٌ منه؛ لمَّا أُتِىَ بِسَبايَا طيِّئٍ، وقعَتْ جاريةٌ حَمْراءُ، لَعْساءُ، ذَلْفاءُ، عَيْطاءُ، شَمَّاءُ الأنْفِ، مُعْتدِلةُ القامةِ والهامةِ، درماءُ الكَعْبَين، خَدْلَةُ السَّاقَيْنِ، لَفَّاءُ الفَخِذَيْن، خَمِيصَةُ الخَصْرَيْن، ضامِرَةُ الكَشْحَين، مَصْقُولةُ المَتْنَيْنِ[2]. قال : فلمَّا رأيْتُها، أُعْجِبْتُ بها وقلتُ : لأَطْلُبَنَّ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فيَجْعَلُها فى فَيْئِى. فلمّا

---

(١) دلائل النبوة ٥/ ٣٤١.

(٢) لعساء : سوداء باطن الشفة . ذلفاء : صغيرة الأنف . عيطاء : طويلة العنق . درماء : مستوية الكعبين . خدلة : ممتلئة الساقين . لفاء : كثيرة لحم الفخذين . خميصة : ضامرة .

تكلَّمَتْ ، أُنْسِيتُ جَمالَها ؛ لِمَا رأيتُ مِن فصاحَتِها ، فقالت : يا محمدُ ، إنْ رأيتَ أن تُخَلِّىَ عنِّى ولا تُشْمِتْ بِىَ أحْياءَ العربِ ، فإنِّى ابنةُ سيِّدِ قَوْمِى ، وإنَّ أبى كان يَحْمِى الذِّمَارَ ، ويَفُكُّ العانِىَ ، ويُشْبِعُ الجائعَ ، ويَكْسُو العارِىَ ، ويَقْرِى الضَّيْفَ ، ويُطْعِمُ الطَّعامَ ، ويُفْشِى السَّلامَ ، ولم يَرُدَّ طالبَ حاجةٍ قَطُّ ، وأنا ابنةُ حاتمِ طَيِّئٍ . فقال النبىُّ ﷺ : « يا جاريةُ ، هذه صفةُ المؤمنين حقًّا ، لو كان أبوكِ مُؤْمنًا لَتَرَحَّمْنا عليه ، خَلُّوا عنها ؛ فإنَّ أباها كان يُحِبُّ مَكارمَ الأخلاقِ ، واللَّهُ تَعالَى يُحِبُّ مَكارمَ الأَخْلاقِ » . فقام أبو بُرْدَةَ بنُ نِيَارٍ[1] ، فقالَ : يا رسُولَ اللَّهِ ، واللَّهُ يُحِبُّ مَكارمَ الأخْلاقِ ؟ فقالَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ : « والَّذى نَفْسِى بِيَدِه ، لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ أحَدٌ إلَّا بِحُسْنِ الخُلُقِ » .

وقال أبو بَكْرٍ ابنُ أبى الدُّنْيا[2] : حدَّثنى عُمَرُ بنُ بكرٍ ، عن أبى عبدِ الرحمنِ الطّائىِّ – هو الهَيْثَمُ[3] بنُ عَدِىٍّ – عن [4]مِلْحَانَ بنِ[4] عَرْكِىِّ بنِ حَلْبَسٍ الطائىِّ ، عن أبيهِ ، عن جَدِّه – وكان أخَا عَدِىِّ بنِ حاتمٍ لِأُمِّهِ – قال : قيل لِنَوارَ امرأةِ حاتمٍ : حدِّثِينا عن حاتمٍ . قالَتْ : كلُّ أمْرِه كان عَجَبًا ؛ أصابَتْنا سَنَةٌ حَصَّتْ[5] كُلَّ شىءٍ ، فاقْشَعَرَّتْ لها الأرضُ ، واغْبَرَّت لها السَّماءُ ، وضَنَّتِ المَرَاضِعُ على أوْلادِها ، وراحتِ الإبِلُ حُدْبَاءَ حَدَابِيرَ[6] ، ما تَبِضُّ بقَطْرَةٍ ،

---

(١) فى الأصل : « دينار » ، وفى م : « ينار » . وانظر تهذيب الكمال ٣٣/ ٧١.

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١١/ ٣٦٥، ٣٦٦ من طريق ابن أبى الدنيا به .

(٣) فى الأصل ، م ، ص : « القاسم » .

(٤ - ٤) فى الأصل ، م : « عثمان عن » ، وفى ا ٩ ، ص ، : « عثمان بن » . والمثبت كما فى تاريخ ابن عساكر . وسيأتى فى ص ٢١٧: ملحان بن عركى بن عدى بن حاتم .

(٥) حصت : أذهبت ، وأهلكت .

(٦) حدباء : منحنية الظهر . حدابير : جمع حدبار وحدبير ، وهى الناقة العجفاء الهزيلة .

وحَلَقَ[1] المالُ، وإنَّا لفى ليلةٍ صِنَّبْرٍ[2]، بعيدةٍ ما بينَ الطَّرَفَيْنِ، إِذْ تَضاغَى الأَصْبِيَةُ مِن الجُوعِ؛ عبدُ اللَّهِ وعَدِيٌّ وسَفَّانَةُ، فوَاللَّهِ إِنْ وَجَدْنا شيئًا نُعَلِّلُهم به، فقامَ إلى أحدِ الصَّبِيَّيْنِ فحَمَلَهُ، وقُمْتُ إلى الصَّبِيَّةِ فعلَّلْتُها، فَواللَّهِ إِنْ سَكَتا إِلَّا بعدَ هَدْأَةٍ مِن اللَّيْلِ، ثُمَّ عُدْنا إلى الصَّبيِّ الآخَرِ، فعَلَّلْناه حتَّى سَكَت وما كاد، ثُمَّ افْتَرَشْنا قَطِيفَةً لنا شامِيَّةً ذاتَ خَمْلٍ، فأَضْجَعْنا الصِّبْيانَ عليها، ونِمْتُ أنا وهو فى حُجْرَةٍ والصِّبْيانُ [٢٣٢/١ظ] بَيْنَنا، ثم أقْبل عَلَيَّ يُعَلِّلُنى لأَنامَ، وعَرَفْتُ ما يُرِيدُ فتَناوَمْتُ، فقال: مَالَكِ أَنِمْتِ؟ فسَكَتُّ. فقالَ: ما أَراها إِلَّا قد نامَتْ. وما بِى نَوْمٌ. فلمَّا ادْلَهَمَّ اللَّيْلُ، وتَهَوَّرَتِ النُّجُومُ، وهَدَأَتِ الأَصْواتُ، وسكَنَتِ الرِّجْلُ، إذا جانِبُ البيتِ قد رُفِعَ، فقال: مَن هذا؟ فَوَلَّى حتى إذا قلتُ: قد أَسْحَرْنَا أو كِدْنَا. عادَ فقال: مَن هذا؟ قالت: جارتُكَ فُلانةُ يا أبا عَدِيٍّ، ما وَجَدْتُ على أحدٍ مُعَوَّلًا غيرَك، أَتيْتُكَ مِن عندِ أصْبِيَةٍ يَتَعاوَوْنَ عُواءَ الذِّئْبِ مِن الجُوعِ. قال: أعْجِلِيهم علىَّ. قالتِ النَّوارُ: فوَثَبْتُ، فقلتُ: ماذا صَنَعْتَ[3]؟! واللَّهِ لقد تَضاغَى أصْبِيَتُك، فما وَجَدْتَ ما تُعَلِّلُهم به[4]، فكيف بهذه وبوَلَدِها؟ فقال: اسْكُتِى، فواللَّهِ لأُشْبِعَنَّكِ وإيَّاهم[4]، إنْ شاءَ اللَّهُ. قالت: فأَقْبَلَتْ تَحْمِلُ اثْنَيْنِ، وتَمْشِى جَنْبَتَيْهَا أَرْبَعةٌ، كأنَّها نَعامةٌ حَوْلَها رِئالُها[5]، فقام إلى فَرَسِه، فوَجَأَ بحربتِه فى لَبَّتِهِ، ثم قَدَح زَنْدَه، وأَوْرَى نارَه، ثم جاءَ بمُدْيَةٍ،

---

(١) فى الأصل، ص: «خلف»، وفى ا ٩: «حلف»، وفى م: «حلقت». والمثبت كما فى تاريخ ابن عساكر. وحلق: هلك.

(٢) فى الأصل، ص: «صيره»، وفى ا ٩: «حيرة». وصنبر: الريح الباردة فى غيم.

(٣) بعده فى م: «اضطجع».

(٤) سقط من: الأصل، م، ص.

(٥) الرأل: فرخ النعام.

فكَشَطَ عن جِلْدِه، ثم دَفَع المُدْيَةَ إلى المَرْأَةِ، ثم قال: دُونَكِ. ثم قال: ابْغِنى[1] صبيانَك. فبَغَيْتُهم[2]. ثم قال: سَوْءَةٌ، أَتأْكُلُونَ شيئًا دُونَ أهلِ الصِّرمِ[3]؟ فجعَلَ يُطَوِّفُ فيهم، حتَّى هَبُّوا وأَقْبَلُوا عليه، والْتَفَعَ [4]فى ثَوْبِه[4]، ثم اضْطَجَعَ ناحيةً يَنْظُرُ إلَيْنا، لا واللَّهِ ما ذاقَ مِزْعَةً، وإنَّه لأَحْوَجُهم إليه، فأصْبَحْنا وما عَلى الأرْضِ منه إلا عَظْمٌ أو حافِرٌ.

وقال الدَّارَقُطْنِيُّ[5]: حدَّثَنِى القاضى أبو عبدِ اللَّهِ المَحَامِلِىُّ، حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ ابنُ أبى سَعْدٍ، حدَّثَنى غُنْمُ[6] بنُ ثوابةَ بنِ حُمَيْدٍ[7] الطَّائِىُّ، عن أبيه، عن جَدِّه، قال: قالَتِ امْرأةُ حاتِمٍ لِحاتِمٍ: يا أبا سَفَّانةَ، أَشْتَهِى أنْ آكُلَ أنا وأنت طعامًا وَحْدَنا، ليس عليه أحدٌ. فأمَرَها فَحَوَّلَت خيمَتَها مِن الجماعةِ على فَرْسَخٍ، وأمَرَ بالطَّعامِ فهُيِّئَ، وهى مُرْخَاةٌ سُتُورُها عليه وعليها، فلَمَّا قارَبَ نُضْجُ الطَّعامِ، كَشَف عن رَأْسِه ثم قال[8]:

فلا تَطْبُخِى قِدْرِى وسِتْرُك دُونَها ... علىَّ إذَنْ ما تَطْبُخِين حَرامُ[9]

---

(١) فى م: «ابعثى».

(٢) فى م: «فبعثتهم».

(٣) الصرم: الجماعة المنعزلة.

(٤ - ٤) سقط من: ٩١، وفى الأصل، ص: «بينه»، وفى تاريخ ابن عساكر: «ببته». والبت: كساء غليظ مهلهل.

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه ٣٦٦/١١ من طريق الدارقطنى به.

(٦) فى الأصل، ص: «عتيم»، وفى ا ٩: «غنيم»، وفى م: «عثيم». والمثبت كما فى تاريخ ابن عساكر.

(٧) فى م، ص: «حاتم».

(٨) ديوان حاتم ص ١٧٢.

(٩) فى الديوان:

* لا تسترى قدرى إذا ما طبختها *

ولكِنْ بِهذَاكَ اليَفاعِ فأوْقِدى بِجَزْلٍ إذا أوْقَدْتِ لا بِضِرامِ

قال : ثم كشَفَ السُّتُورَ، وقَدَّمَ الطَّعامَ، ودَعَى النَّاسَ، فأكَلَ وأَكَلُوا، فقالَتْ : ما أتْمَمْتَ لى ما قُلْتَ. فأجابَها : فإنِّى لا تُطاوِعُنِى نَفْسِى، ونَفْسِى أكرمُ علىَّ مِن أن يُثْنَى علىَّ هذا، وقد سَبَق لِىَ السخاءُ. ثم أنشأَ يقولُ[1] :

أُمارِسُ نَفْسَ الجُودِ[2] حتى أَعُزَّها وأَتْرُكُ نَفْسَ البخلِ[2] لا أسْتَشِيرُها

ولا تَشْتَكِينى جارَتِى غَيْرَ أنَّها إذا غابَ عنها بَعْلُها لا أَزُورُها

سَيَبْلُغُها خَيْرِى ويَرْجِعُ بَعْلُها إليها ولم تُقْصَرْ علىَّ سُتُورُها

ومِن شِعْرِ حاتِمٍ[3] :

إذا ما بِتُّ أشْرَبُ فَوْقَ رِيِّى[4] لِسُكْرٍ فى الشَّرابِ فلا رَوِيتُ

إذا ما بِتُّ أَخْتِلُ عِرْسَ[5] جارِى لِيُخْفِيَنِى الظَّلامُ فلا خَفِيتُ

أأَفْضَحُ جارَتِى وأَخُونُ جارِى فلا واللَّهِ أفْعَلُ ما حَيِيتُ

---

(١) ديوان حاتم ص ٢٤٦، ٢٤٧.

(٢) فى النسخ وتاريخ دمشق : «البخل»، «الجود». والمثبت من الديوان ليستقيم الكلام، حيث حدث إبدال فى البيت، وفى الديوان :

أشاور نفس الجود حتى تطيعنى وأترك نفس البخل لا أستشيرها

(٣) ديوان حاتم ص ٢٢٢، ٢٢٣.

(٤) فى الأصل، ص : «زقى»، وفى م : «ريًّ».

(٥) أختل : أخدع وأغافل. عرس : عروس، يقال للرجل والمرأة.

ومِن شِعْرِه أيضًا[1] :

مـا ضَـرَّ جـارًا لـى أُجـاوِرُه ... أنْ لا يـكـونَ لِـبـابِـه سِـتْـرُ

أُغْضِى إذا ما جَارَتِى بَرَزَتْ ... حـتـى يُـوارِىَ جَـارَتِـى الخِدْرُ

ومِن شِعْرِ حاتمٍ أيضًا[2] :

وما مِن شِيمَتِى شَتْمُ ابْنِ عمِّى ... ومَا أنا مُخْلِفٌ مَن يَرْتَجِينِى

وكَلْمَةَ حَاسِدٍ مِن غَيْرِ جُرْمٍ ... سَمِعْتُ فقُلْتُ مُرِّى فانفُذِينِى

وعـابُـوهـا عـلـىَّ فـلـم تَـعِـبْنِى ... ولم يَعْرَقْ لـهـا يـومًـا جَـبِـينِى

وذى وَجْهَيْن يَلْقانِى طَلِيقًا ... ولـيـس إذا تَـغـيَّـبَ يَـأْتَـلِـينِى[3]

ظَفِرْتُ بعَيْبِه فَكَفَفْتُ عنه ... مُحافَظَةً على حَسَبِى ودِينِى

ومِن شِعْرِه[4] :

سَلِى الْبائِسَ المَقْرُورَ يا أُمَّ مالكٍ[5] ... إذا ما أتانى بينَ نارِى ومَجْزَرِى

أَأَبْسُطُ وَجْهِى أنَّه أوَّلُ القِرَى ... وأَبْذُلُ مَعْرُوفِى له دُونَ مُنْكَرِى

وقال أيضًا[6] :

---

(١) تاريخ دمشق ١١/ ٣٧٤.

(٢) ديوان حاتم ص ١٥٩.

(٣) فى الأصل ، ص: «ما تلينى»، وفى م : «يأتسينى» .

(٤) ديوان حاتم ص ٣٠٠.

(٥) فى الديوان :

* سلى الجائع الغرثان يا أم منذر *

(٦) ديوان حاتم ص ١٨٣.

وإنَّك إنْ أَعْطَيْتَ بَطْنَكَ سُؤْلَه وفَرْجَكَ نَالَا مُنْتَهَى الذَّمِّ أَجْمَعا

وقالَ القاضى أبو الفَرَجِ المُعافَى بنُ زَكَرِيا الجَرِيرِيُّ[1] : حدَّثَنا الحسينُ بنُ القاسمِ الكَوْكَبِيُّ ، حدَّثَنا أبو العَبَّاسِ المُبَرِّدُ ، أخْبَرَنى التَّوْرِيُّ ، عن أبى عُبَيْدَةَ ، [٢٣٣/١و] قال : لَمَّا بلغَ حَاتِمَ طَيِّئٍ قَوْلُ المُتَلَمِّسِ[2] :

قَلِيلُ المَالِ تُصْلِحُهُ فيَبْقَى ولا يَبْقَى الكَثِيرُ على الفَسادِ

وحِفْظُ المالِ خَيْرٌ مِن فَنَاهُ وعَسْفٍ فى البلادِ بغيرِ زادِ

قال : ما لَه ؟ قطَع اللَّهُ لِسانَه ، حَمَلَ النَّاسَ على البُخْلِ ، فَهلَّا قال[3] :

فَلَا الجُودُ يُفنى المالَ قَبْلَ فَنائِه ولا البُخْلُ فى مَالِ الشَّحِيحِ يَزِيدُ

فَلَا تَلْتَمِسْ مالًا بعَيْشٍ مُقَتَّرٍ لِكُلِّ غَدٍ رِزْقٌ يَعُودُ جَدِيدُ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ المالَ غادٍ ورائِحٌ وأَنَّ الذى يُعْطِيكَ غيرُ بَعِيدِ[4]

قال القاضِى أبو الفَرَجِ : ولقد أحْسَنَ فى قَوْلِه : وأَنَّ الذى يُعْطِيكَ غيرُ بعيدِ ، ولو كان مُسْلِمًا لَرُجِىَ له الخيرُ فى مَعادِه ، وقد قالَ اللَّهُ فى كتابِه ﴿ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾ [النساء : ٣٢] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

وعن الوَضَّاحِ بنِ مَعْبَدٍ الطَّائِىِّ قال[5] : وَفَدَ حاتمٌ الطَّائِىُّ على النُّعْمانِ بنِ

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١١/ ٣٧١، ٣٧٢، من طريق المعافى بن زكريا به.
(٢) ديوان المتلمس ص ١٧٢، ١٧٣، مع وجود اختلافات فى البيتين.
(٣) ديوان حاتم ص ٢٦٤، ٢٦٥.
(٤) كذا بالنسخ، ويكون بالبيت إقواء. وفى الديوان: وأن الذى أعطاك سوف يعيد. بدون إقواء.
(٥) تاريخ دمشق ١١/٣٦٧، ٣٦٨.

المُنْذِرِ، فأكْرَمه وأدْنَاه، ثم زَوَّدَه عندَ انْصرافِه حِمْلَيْنْ[1] ذهبًا ووَرِقًا، غيرَ ما أعطاه مِن طَرائفِ بلدِه، فَرَحَل، فلمَّا أَشْرَفَ على أهلِه، تَلَقَّتْه أعاريبُ طيِّئٍ، فقالَتْ: يا حاتمُ، أتيْتَ مِن عندِ المَلِكِ بالغِنَى[2]، وأتيْتَنا مِن عندِ أهالينا بالفَقْرِ. فقال حاتمٌ: هَلُمَّ، فخُذُوا ما بينَ يَدَىَّ. فَتَوَزَّعُوه، فوَثَبُوا إلى ما بينَ يَدَيْهِ مِن حِبَاءِ[3] النُّعْمانِ، فاقْتَسَمُوه، فخرَجَتْ إلى حاتمٍ طُرَيْفَةُ جارِيَتُه فقالَتْ له: اتَّقِ اللَّهَ وأبْقِ على نَفْسِك، فما يَدَعُ هؤلاءِ دِينارًا ولا دِرْهَمًا، ولا شاةً ولا بعيرًا. فأنْشَأ يقولُ[4]:

قالَتْ طُرَيْفَةُ ما تَبْقَى دراهِمُنا ... وما بنا سَرَفٌ فيها ولا خَرَقُ

إنْ يَفْنَ ما عندَنا فاللَّهُ يَرْزُقُنا ... مِمَّن سِوانا ولَسْنا نحنُ نَرْتَزِقُ

ما يَأْلَفُ الدِّرهمُ الكارِيُّ[5] خِرْقَتَنا ... إلَّا يَمُرُّ عليها ثم يَنْطَلِقُ

إنَّا إذا اجْتَمَعَتْ يومًا دراهِمُنا ... ظَلَّتْ إلى سُبُلِ المَعْروفِ تَسْتَبِقُ

وقال أبو بَكْرِ بنُ عَيَّاشٍ[6]: قِيل لحاتمٍ: هل فى العَرَبِ أَجْوَدُ منك؟ فقال: كُلُّ العَرَبِ أجْوَدُ مِنِّى. ثُمَّ أَنْشَأ يُحَدِّثُ، قال: نزلْتُ على غلامٍ مِن العربِ يَتِيمٍ ذاتَ ليلةٍ، وكانت له مِائَةٌ مِن الغنمِ، فذبَح لى شاةً منها، وأتانى بها، فلمَّا قرَّبَ إلىَّ دِماغَها قلتُ: ما أطْيَبَ هذا الدِّماغَ. قال: فذَهَب، فلم يَزَلْ يَأْتِينى

---

(١) فى ٩١، م: «جملين».

(٢) سقط من: الأصل، م، ص.

(٣) الحباء: العطاء.

(٤) ديوان حاتم ص ٣٠٢.

(٥) فى الديوان: «المضروب».

(٦) تاريخ دمشق ١١/ ٣٦٨.

منه حتى قلتُ : قد اكْتَفَيْتُ . فلمَّا أصْبَحْتُ ، إذا هو قد ذبَح المائةَ شاةٍ ، وبَقِىَ لا شىءَ له . فقِيلَ : فما صنعتَ به ؟ فقال : ومتى أبْلُغُ شُكْرَه ، ولو صنعتُ به كُلَّ شىءٍ ؟ ! قال : على كلِّ حالٍ[1] ؟ فقال : أعْطَيْتُه مائةَ ناقةٍ مِن خِيارِ إبِلى .

وقال محمدُ بنُ جَعْفَرٍ الخَرَائِطِىُّ[2] ، فى كِتابِ « مَكارِمِ الأخْلاقِ » : حدَّثَنا العَبَّاسُ بنُ الفَضْلِ الرَّبَعِىُّ ، حدَّثَنا إسْحاقُ بنُ إبْراهيمَ ، حدَّثَنِى حمَّادٌ الرَّاوِيَةُ ، ومَشْيَخَةٌ مِن مشْيَخَةِ طَيِّئٍ ، قالُوا : كانت غَنِيَّةُ[3] بنتُ عَفِيفِ بنِ عَمْرِو بنِ امْرِئِ القَيْسِ ، أُمُّ حاتِمِ طَيِّئٍ لا تُمْسِكُ شيئًا ؛ سَخَاءً وجُودًا ، وكان إخوتُها يَمْنَعُونَها فتَأْبَى ، وكانتِ امرأةً مُوسِرَةً ، فحَبَسُوها فى بيتٍ سنةً ، يُطْعِمُونَها قُوتَها لَعَلَّها تَكُفُّ عمَّا تَصْنَعُ ، ثُم أخْرجُوها بعدَ سنةٍ ، وقد ظَنُّوا أنَّها قد تَرَكَت ذلك الخُلُقَ ، فدَفَعُوا إليها صِرْمةً[4] مِن مالِها ، وقالوا : اسْتَمْتِعى بها . فأتَتْها امْرأةٌ مِن هَوازِنَ ، وكانت تَغْشَاها فسَأَلَتْها ، فقالت : دُونَكِ هذه الصِّرْمَةَ ، فقد واللَّهِ مَسَّنِى مِن الجُوعِ ما آلَيْتُ أن لا أَمْنَعَ سائِلًا شيئًا . ثم أنْشَأَتْ تقولُ[5] :

لَعَمْرِى - لَقِدْمًا - عَضَّنى الجوعُ عَضَّةً ... فآلَيْتُ أن لا أَمْنَعَ الدَّهْرَ جائِعَا

فَقُولَا لِهَذا اللَّائِمِى اليومَ : أعْفِنِى ... وإن أنتَ لم تَفْعَلْ فعَضَّ الأصابِعَا

فماذا عَسيْتُم[6] أن تَقُولُوا لأُخْتِكُم ... سِوَى عَذْلِكم أو عَذْلِ[7] مَن كان مانِعَا

---

(١) كذا بالنسخ . وفى تاريخ دمشق : « على حال » . أى ؛ فى الحال .
(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١١/ ٣٧٠، ٣٧١، من طريق الخرائطى به .
(٣) فى الأصل ، م، ص: « عنترة » . وانظر نسب حاتم الطائى فى ديوانه ص ٩، ١٠.
(٤) الصرمة : القطعة من النخل أو الإبل .
(٥) الشعر والشعراء ٢/ ٢٤٢، والأغانى ١٧/ ٣٦٥، ديوان حاتم ١٠.
(٦) فى الأصل ، ص: « عسى » ، وفى م: « عساكم » .
(٧) فى الأصل ، ٩١، ص: « منع » . وكذا فى تاريخ دمشق.

ومهما[1] تَرَوْن اليومَ إلا طبيعةً   فكيفَ بِتَرْكِى - يا ابنَ أُمِّ - الطَّبائِعَا

وقالَ الهَيْثَمُ بنُ عَدِىٍّ[2]، عن مِلْحَانَ بنِ عركى بنِ عَدِىِّ بنِ حاتمٍ، عن أبيهِ، عن جَدِّه قال: شَهِدْتُ حاتِمًا يَكِيدُ بنَفْسِه[3]، فقال لى: أىْ بُنَىَّ، إنِّى أَعْهَدُ مِن نَفْسِى ثلاثَ خِصالٍ؛ واللَّهِ ما خاتَلْتُ جارةً لى لريبَةٍ قَطُّ، ولا اؤْتُمِنْتُ على أمانةٍ إلَّا أَدَّيْتُها، ولا أُتِىَ[4] أَحَدٌ مِن قِبَلِى بسُوءٍ.

وقال أبو بكرٍ الخرائِطِىُّ[5]: حدَّثَنا علىُّ بنُ حَرْبٍ، حدَّثَنا عبدُ الرحمنِ بنُ يَحْيَى العَدَوِىُّ[6]، حدَّثَنا هِشامُ بنُ محمدِ [٢٣٣/١ظ] بنِ السَّائبِ الكَلْبِىُّ، عن أبى مِسْكِينٍ - يَعْنِى جَعْفَرَ بنَ المُحَرَّزِ بنِ الوليدِ - عن المُحَرَّرِ بنِ[7] أبى هُرَيْرَةَ، قال: مَرَّ نَفَرٌ مِن عَبْدِ القَيْسِ بِقَبْرِ حاتمٍ طَيِّئٍ، فَنَزَلُوا قريبًا منه، فقام إليه بعضُهم [8]يقالُ له: أبو الخَيْبَرِىِّ[8]. فجعَلَ يَرْكُضُ قبرَه برجلِه، ويقولُ: يا أبا الجَعْرَاءِ[9]، اقْرِنا. فقال له بعضُ أصْحابِه: ما تخاطِبُ مِن رِمَّةٍ وقد بَلِيَتْ. وأَجَنَّهُم الليلُ فنامُوا، فقام صاحبُ القولِ فَزِعًا يقولُ: يا قومُ عليكم بمَطِيِّكُم، فإنَّ حاتِمًا أتانى فى النَّوْمِ، وأنْشَدَنى شعرًا وقد حَفِظْتُه، يقولُ[10]:

---

(١) فى م: «ماذا».

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١١/ ٣٧٧، من طريق الهيثم بن عدى به.

(٣) يكيد بنفسه: يجود بها؛ أى تنتزع روحه.

(٤) فى النسخ: «أوتى». والمثبت من تاريخ دمشق.

(٥) المصدر السابق من طريق أبى بكر الخرائطى، عن على بن عبد الرحمن العذرى.

(٦) فى تاريخ دمشق: «العذرى».

(٧) فى النسخ: «مولى». والمثبت من تاريخ دمشق، وفيه أن الوليد هو مولى أبى هريرة.

(٨ - ٨) زيادة من: م.

(٩) فى م: «الجعد».

(١٠) ديوان حاتم ص ١٧٦، ١٧٧ مع اختلاف فى رواية الأبيات.

أبا خَيْبَرِىٍّ وأنْتَ امْرُؤٌ ظَلُومُ العَشِيرَةِ شَتَّامُها

أتَيْتَ بصَحْبِكَ تَبْغِى الْقِرَى لَدَى حُفْرَةٍ صَخِبٍ[1] هَامُها

تُبَغِّى لِىَ الذَّنْبَ عِنْدَ المَبيتِ وَحَولَكَ طَىٌّ وأنْعامُها

وإنا سَنُشْبِعُ[2] أَضْيافَنا ونَأْتِى[3] المَطِىَّ فنَعْتَامُها[4]

قالَ : وإذا ناقةُ صاحبِ القولِ تَكُوسُ[5] عَقِيرًا ، فنَحَرُوها وقامُوا يَشْتَوُون ويَأْكلون ، وقالُوا : واللَّهِ لقد أضافَنا حاتمٌ حيًّا ومَيِّتًا . قال : وأصْبَح القومُ وأرْدَفُوا صاحِبَهم وسارُوا ، فإذا رجلٌ يُنَوِّهُ بهم ، راكبًا جملًا ويَقُودُ آخرَ ، فقالَ : أيُّكم أبُو الخَيْبَرِىِّ ؟ قال : أنا . قال : إنَّ حاتمًا أتانى فى النومِ ، فأخْبَرَنى أنَّه قَرَّى أصْحابَك ناقتَكَ ، وأمَرَنى أنْ أَحْمِلَك ، وهذا بَعِيرٌ فَخُذْهُ . فدفَعه إليه .

---

(١) فى م : « قد صدت » . والهام : جمع هامَة ، وهى البومة ، وطائر صغير من طير الليل يألف المقابر . الوسيط (هـ و م) .

(٢) فى م : « لنشبع » .

(٣) فى م : « تأتى » .

(٤) اعتام الرجل : أخذ العِيمة ، والعيمة من كل شىء : خياره . الوسيط (ع ى م) .

(٥) كاس الحيوانُ : عُرْقِبت إحدى قوائمه فمشى على ثلاث .

ذِكْرُ[1] شَىءٍ مِن

أخبَارِ عبدِ اللّهِ بنِ جُدْعَانَ

هو عبدُ اللَّهِ بنُ جُدْعَانَ بنِ عَمْرِو بنِ كَعْبِ بنِ سَعْدِ بنِ تَيْمِ بنِ مُرَّةَ ، سيِّدُ بَنِى تَيْمٍ ، وهو ابنُ عمِّ والدِ أبى بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه . وكان مِن الكُرماءِ الأجْوادِ فى الجاهِليَّةِ ، المُطْعِمِين للمُسْنِتِينَ ، وكان فى بَدْءِ أمْرِه فَقِيرًا مُمْلِقًا[2] ، وكان شرِّيرًا يُكْثِرُ مِن الجِناياتِ ، حتى أبْغَضَه قَومُه وعشيرتُه ، وأهْلُه وقَبِيلَتُه ، وأبْغَضُوه حتَّى أبُوه ، فخرَجَ ذاتَ يومٍ فى شِعابِ مَكَّةَ حائِرًا بائرًا ، فرَأَى شَقًّا فى جبلٍ ، فظَنَّ أنْ يَكُونَ به شىءٌ يُؤْذِى ، فقصَدَه لَعَلَّه يَموتُ ، فيَسْتَرِيحُ ممَّا هو فيه ، فلَمَّا اقْتَرَب منه إذا ثعبانٌ يَخْرُجُ إليه ويَثِبُ عليه ، فجعَلَ يَحِيدُ عنه ويَثِبُ ، فلا يُغْنِى شيئًا ، فلمَّا دَنَا منه ، إذا هو مِن ذهَبٍ ، وله عَيْنانِ هما ياقُوتَتانِ ، فكَسَرَه وأخَذَه ودَخَل الغارَ ، فإذا فيه قُبورٌ لِرجالٍ مِن مُلُوكِ جُرْهُمٍ ، ومنهم الحارِثُ بنُ مُضَاضٍ ، الذى طالَتْ غَيْبَتُه فلا يُدْرَى أينَ ذهَب ، ووجَدَ عندَ رُءُوسِهم لَوْحًا مِن ذَهَبٍ ، فيه تارِيخُ وفاتِهم ومُدَدُ وِلايَتِهم ، وإذا عندَهم مِن الجَواهرِ واللَّآلِئِ والذهبِ والفضةِ شىءٌ كثيرٌ ، فأخَذ منه حاجَتَه ثُم خرَج ، وعَلَّمَ بابَ الغارِ ، ثُم انْصَرَفَ إلى قومِه ، فأعْطاهم ، حتى أحَبُّوه ، وسادَهم وجَعَل يُطْعِمُ النَّاسَ ، وكُلَّما قَلَّ ما فى يَدِه ، ذَهَب إلى ذلك الغارِ ،

---

(١) سقط من : م .

(٢) مملقا : لا شىء له . اللسان (م ل ق) .

فأَخَذ حاجَتَه ثُمَّ رجَع. فمِمَّن ذكَر هذا عبدُ الملكِ بنُ هشامٍ فى كتابِ «التِّيجانِ»، وذكَره أحمدُ بنُ عَمّارٍ فى كتابِ «رِىِّ العاطشِ وأُنْسِ الواحشِ».

وكانت له جَفْنَةٌ يأكلُ منها الراكبُ على بعيرِه، ووقَع فيها صغيرٌ فغَرِقَ. وذكَر ابنُ قُتَيْبَةَ[1] وغيرُه، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «لقد كنتُ أَستظِلُّ بظلِّ جَفْنَةِ عبدِ اللَّهِ بنِ جُدْعَانَ صَكَّةَ عُمَىٍّ». أىْ؛ وقْتَ الظهيرةِ. وفى حديثِ مقتلِ أبى جهلٍ[2]، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ، قال لأصحابِه: «تَطَلَّبوه بينَ القتلى، وتَعَرَّفُوه بشَجَّةٍ فى رُكْبتِه، فإنِّى تزاحَمْتُ أنا وهو على مَأْدُبَةٍ لابنِ جُدْعَانَ، فدفعْتُه، فسَقَط على ركبتِه، فانهشَمَتْ، فأَثَرُهَا بَاقٍ فى رُكْبَتِه». فوجدوه كذلك. وذكروا أنَّه كان يُطْعِمُ التمرَ والسَّوِيقَ، ويَسْقِى اللبنَ، حتى سَمِعَ قولَ أميةَ بنِ أبى الصَّلْتِ[3]:

ولقدْ رأيتُ الفاعِلِين وفِعْلَهم ... فرأيتُ أكرمَهم بَنِى الدَّيَّانِ

البُرُّ يُلْبَكُ بالشِّهَادِ[4] طعامُهم ... لا ما يُعَلِّلُنا بنو جُدْعَانِ

فأَرسل ابنُ جُدْعَانَ إلى الشامِ أَلْفَىْ بعيرٍ، تَحْمِلُ البُرَّ والشَّهْدَ والسَّمْنَ، وجعَل مناديًا يُنادِى كلَّ ليلةٍ على ظهرِ الكعبةِ، أن هلمُّوا إلى جَفْنَةِ ابنِ جُدْعَانَ. فقال أُمَيَّةُ فى ذلك[5]:

---

(١) فى غريب الحديث ١/ ٤٥٥.

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/ ٨٤ - ٨٦ من حديث ابن عباس وعبد الله بن أبى بكر.

(٣) ديوان أمية ص ٢٣.

(٤) يلبك: يخلط. الشهاد جمع الشهد، وهو عسل النحل ما دام لم يعصر من شمعه.

(٥) ديوان أمية ص ١٩.

لـه داعٍ بمـكـةَ مُـشْـمَـعِـلٌّ[1] وآخـرُ فـوقَ كَـعـبـتِـهـا يُـنـادِى
إلى رُدُحٍ مـن الـشِّـيـزَى مِـلاءٍ[2] لُـبَـابَ الـبُـرِّ يُـلْـبَـكُ بـالـشِّـهـادِ

ومع هذا كلِّه فقد ثَبَت فى «الصحيحِ» لمسلمٍ[3]، أنَّ عائشةَ قالت: يا رسولَ اللَّهِ، إنَّ ابنَ جُدْعَانَ كان يُطْعِمُ الطعامَ، ويَقْرِى الضيفَ، فهل يَنْفَعُه ذلك يومَ القيامةِ؟ [١/٢٣٤و] فقال: «لا، إنَّه لم يَقُلْ يومًا: ربِّ اغفِرْ لى خطيئَتِى يومَ الدينِ».

---

(١) مشمعل: سريع.

(٢) ردح: جمع رداح، وهى العظيمة. الشيزى: خشب أسود تُعمل منه الأمشاط والجفان ونحوهما. ويعنى هنا بها الجفان. ملاء: ممتلئة.

(٣) تقدم تخريجه فى صفحة ٢٥٣.

ذِكْرُ[1] امْرِئِ القَيْسِ بنِ حُجْرٍ الكِنْدِىّ، صَاحِبِ إِحْدَى المُعَلَّقَاتِ

وهى أَفْخَرُهُنَّ وأَشْهَرُهُنَّ التى أوَّلُها[2]:

* قِفا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ *

قال الإمامُ أحمدُ[3]: حدّثنا هُشَيْمٌ[4]، حدّثنا أبو الجَهْمِ، عن الزُّهْرِىِّ، عن أبى سَلَمَةَ، عن أبى هريرةَ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «امْرُؤُ القَيْسِ صاحِبُ لِواءِ الشُّعَراءِ إلى النّارِ». وقد رَوَى هذا الحديثَ عن هُشَيمٍ[4] جماعةٌ كثيرون[5]؛ منهم بِشْرُ بنُ الحكَمِ، والحَسَنُ بنُ عَرَفَةَ، وعبدُ اللَّهِ بنُ هارونَ، أميرُ المؤمِنين المأمونُ أخو الأمينِ، ويَحْيَى بنُ مَعِينٍ. وأَخْرَجَه ابنُ عَدِىٍّ[6] مِن طريقِ عبدِ الرَّزّاقِ، عن الزُّهْرِىِّ به، وهذا مُنْقَطِعٌ. ورُوِىَ[7] مِن وجهٍ آخرَ[8]، عن أبى هريرةَ، ولا يَصِحُّ مِن غيرِ هذا الوجهِ.

---

(١) سقط من: م.

(٢) ديوان امرئ القيس ص ٨.

(٣) فى المسند ٢/ ٢٢٨. (إسناده ضعيف جدا).

(٤) فى النسخ: «هشام»، والمثبت من المسند ٢/ ٢٢٨. وهو هشيم بن بشير بن القاسم بن دينار السُّلَمِى. انظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٢٧٢.

(٥) أخرجه ابن عساكر من طريقهم عن هشيم، فى تاريخ دمشق ٩/٢٣٥ - ٢٣٧.

(٦) فى الكامل ٤/ ١٤٠٤.

(٧) فى م: «ردىء».

(٨) أخرجه ابن عساكر من طريق الأصمعى عن ابن عون عن ابن سيرين عن أبى هريرة. انظر تاريخ دمشق ٩/٢٣٧ - ٢٣٩.

وقال الحافظُ ابنُ عساكرَ[1] : هو امْرُؤُ القَيْسِ بنُ حُجْرِ بنِ الحارثِ بنِ عَمْرِو ابنِ[2] حُجْرٍ ، آكِلِ المُرارِ ، بنِ عمرِو بنِ معاويةَ بنِ الحارثِ بنِ يَعْرُبَ بنِ ثَوْرِ بنِ مرتِّعِ ابنِ معاويةَ بنِ كِنْدَةَ ، أبو يزيدَ ، ويقالُ : أبو وهبٍ . ويقالُ : أبو الحارثِ الكِنْدِيُّ . كان بأعمالِ دِمَشْقَ ، وقد ذَكَرَ مواضعَ منها فى شعرِه ، فمِن ذلك قولُه[3] :

قِفا نَبْكِ مِن ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ ... بسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فحَوْمَلِ

فتُوضِحَ فالمِقْراةِ لم يَعْفُ رَسْمُها ... لِمَا نَسَجَتْها مِن جَنُوبٍ وشَمْأَلِ

قال : وهذه مواضعُ معروفةٌ بحَوْرانَ .

ثُم رَوَى[4] مِن طريقِ هشامِ بنِ محمدِ بنِ السائبِ الكَلْبِيِّ ، حدّثنى فروةُ بنُ سعيدِ بنِ عفيفِ بنِ مَعْدِى كَرِبَ ، عن أبيه ، عن جَدِّه ، قال : بَيْنَا نَحْنُ عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، إذْ أَقْبَلَ وَفْدٌ مِن اليمنِ ، فقالُوا : يا رسولَ اللَّهِ ، لقد أحيانا اللَّهُ ببَيْتَيْن مِن شعرِ امْرِئَ القَيْسِ . قال : « وكيف ذاك ؟ » قالوا : أَقبَلْنا نريدُك ، حتى إذا كنا ببعضِ الطريقِ أخطأْنا الطَّريقَ ، فمكَثْنا ثلاثًا لا نَقْدِرُ (٥ على الماءِ ٥) ، فتَفَرَّقْنا إلى أُصولِ طَلْحٍ وسَمُرٍ ؛ ليموتَ كلُّ رجلٍ[6] منَّا فى ظلِّ شجرةٍ ، فبَيْنَا نحنُ بآخرِ رَمَقٍ إذا راكبٌ يُوضِعُ[7] على بعيرٍ ، فلمّا رآه بعضُنا قال[8] -

---

(١) تاريخ دمشق ٩/ ٢٢٢.

(٢) بعده فى الأصل : « الحارث » .

(٣) ديوان امرئ القيس ص ٨.

(٤) أى ابن عساكر ، فى تاريخ دمشق ٩/ ٢٢٤، ٢٢٥.

(٥ - ٥) فى الأصل ، ا ٩، ص: « عليه » .

(٦) سقط من: ص .

(٧) يوضع : يسرع .

(٨) البيتان اللذان قالهما لامرئ القيس . ديوان امرئ القيس ، فى ملحق بالشعر المنسوب إلى امرئ القيس ص ٤٧٥.

والراكبُ يسمعُ - :

ولمّا رَأَتْ أنَّ (١الشريعةَ هَمُّها١) وأنّ البياضَ مِنْ فَرائصِها دامِى

تَيَمَّمَتِ العينَ التى عندَ ضارِجٍ يَفِىءُ عليها الظِّلُّ عَرْمَضُها طامِى[٢]

فقال الراكبُ: ومَنْ يقولُ هذا الشِّعْرَ؟ - وقد رأى ما بنا من الجَهْدِ - قال: قلنا: امرؤُ القَيْسِ بنُ حُجْرٍ. قال: (٣واللّهِ٣) ما كذَبَ، هذا ضارِجٌ عندَكم. فنَظَرْنا فإذا بينَنا وبينَ الماءِ نحوٌ مِن خمسين ذِراعًا، فَحَبَوْنا إليه على الرُّكَبِ، فإذا هو كما قال امرؤُ القيسِ؛ عليه العَرْمَضُ يَفِىءُ عليه الظِّلُّ. فقال رسولُ اللّهِ ﷺ: «ذاكَ رَجُلٌ مَذْكُورٌ فى الدُّنْيا، مَنْسِىٌّ فى الآخِرَةِ، شَرِيفٌ فى الدُّنْيا خَامِلٌ فى الآخِرَةِ، بيَدِه لِواءُ الشُّعَراءِ يَقُودُهم إلى النارِ».

وذكر الكَلْبِىُّ[٤] أنَّ امْرَأَ القَيْسِ أَقْبَلَ براياتِه، يريدُ قتالَ بنى أَسَدٍ حينَ قَتَلُوا أباه، فمَرَّ بِتَبَالَةَ[٥] وبها ذو الخَلَصَةِ، وهو صَنَمٌ، وكانت العربُ تَسْتَقْسِمُ عندَه، فاسْتَقْسَمَ، فخَرَجَ القِدْحُ النّاهِى، ثُم الثانيةَ ثُم الثالثةَ كذلك، فكَسَرَ القِداحَ وضَرَبَ بها وَجْهَ ذى الخَلَصَةِ، وقال: عَضَضْتَ بأَيْرِ[٦] أبيك، لو كان أبوك المقتولَ لَمَا عَوَّقْتَنِى. ثُم أغارَ على بنى أسدٍ[٧] فقَتَلَهم قَتْلًا ذَرِيعًا. قال ابنُ

(١ - ١) فى الأصل، ا ٩، ص: «المنية وردها».

(٢) ضارج: اسم موضع. العرمض: الطحلب. طامى: مرتفع فوق الماء.

(٣ - ٣) سقط من: ص.

(٤) تاريخ دمشق ٩/ ٢٣٩.

(٥) تبالة موضع باليمن، بينها وبين مكة اثنان وخمسون فرسخًا. معجم البلدان ١/ ٨١٧.

(٦) الأير: الذَّكَر. القاموس المحيط (أ ى ر).

(٧) فى الأصل: «سليم».

الكَلْبِىّ : فلم يُسْتَقْسَمْ عندَ ذى الخَلَصَةِ حتّى جاءَ الإِسلامُ .

وذكَرَ بعضُهم[1] أنّه امْتَدَحَ قَيْصَرَ ملكَ الرّومِ ، يَسْتَنْجِدُه فى بعضِ الحُروبِ ويَسْتَرْفِدُه ، فلم يَجِدْ ما يُؤَمِّلُه عندَه فهجاه بعدَ ذلك ، فيقالُ : إنّه سقاه سُمًّا فقتلَه ، فأَلْجَأَه الموتُ إلى جَنْبِ قَبْرِ امرأةٍ ، عندَ جبلٍ يُقالُ له : عَسِيبٌ . فكتَب هنالك[2] :

أجارتَنا إنَّ المَزَارَ[3] قريبُ ... وإنّى مُقيمٌ ما أقامَ عَسِيبُ

أجارتَنا إنّا غريبان هٰهنا ... وكلُّ غريبٍ للغريبِ نَسِيبُ

وقد ذَكَروا[4] أنَّ المُعَلَّقاتِ السَّبْعَ كانت مُعَلَّقَةً بالكَعْبَةِ ، وذلك أنَّ العربَ كانوا إذا عَمِل أحدُهم قصيدةً عَرَضَها على قريشٍ ، فإنْ أجازُوها علَّقُوها على الكعبةِ ؛ تعظيمًا لشأْنِها ، فاجْتَمَع مِن ذلك هذه المُعَلَّقاتُ السَّبْعُ ؛ فالأُولى لِامْرِئِ القَيْسِ بنِ حُجْرٍ الكِنْدِىِّ كما تَقَدَّمَ ، وأَوَّلُها :

قِفا نَبْكِ مِن ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ ... بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

[١/٢٣٤ظ] والثانيةُ للنّابغةِ الذُّبْيانِىِّ ، واسمُه زيادُ بنُ معاويةَ ، ويقالُ : زيادُ ابنُ عمرِو بنِ معاويةَ بنِ ضِبابِ (٥) بنِ جابرِ (٥) بنِ يَرْبُوعِ بنِ غيظِ بنِ مُرَّةَ بنِ عَوْفِ ابنِ سعدِ بنِ ذُبْيانَ بنِ بَغِيضٍ . وأَوَّلُها[6] :

---

(١) انظر تاريخ دمشق ٩/ ٢٤٥.

(٢) ديوان امرئ القيس ص ٣٥٧.

(٣) فى الأصل : « المراد » .

(٤) شرح القصائد التسع لابن النحاس ١/٤٥ - ٤٩. والعمدة لابن رشيق ١/ ٦١.

(٥ - ٥) سقط من : ص .

(٦) ديوان النابغة ص ٢.

يا دارَ مَيَّةَ بالعَلْياءِ فالسَّنَدِ أَقْوَتْ وطالَ عليها سالِفُ الأَبَدِ

والثالثةُ لزُهَيْرِ بنِ أبى سُلْمَى ربيعةَ بنِ رياحِ المُزَنِىِّ، وأوَّلُها[1] :

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لم تَكلَّمِ بِحَوْمانةِ الدَّرَّاجِ فالمُتَثَلَّمِ

والرابعةُ لطَرَفَةَ بنِ العبدِ بنِ سفيانَ بنِ[2] سعدِ بنِ مالكِ بنِ ضُبَيْعَةَ بنِ قيسِ ابنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عُكابةَ بنِ صعبِ بنِ علىٍّ بنِ بكرِ بنِ وائلٍ، وأوَّلُها[3] :

لِخَوْلَةَ أَطْلالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ تلوحُ كباقى الوَشْمِ فى ظاهرِ اليدِ

والخامسةُ لعَنْتَرَةَ بنِ شَدَّادِ بنِ معاويةَ بنِ قُرادِ بنِ مخزومِ بنِ ربيعةَ بنِ مالكِ [4]بنِ غالبِ[4] بنِ قُطَيعةَ بنِ عَبْسٍ العَبْسِىِّ، وأوَّلُها[5] :

هل غَادَرَ الشُّعَراءُ مِن مُتَرَدَّمِ[6] أَمْ هل عَرَفْتَ الدَّارَ بعدَ تَوَهُّمِ

والسادسةُ لعَلْقَمَةَ بنِ عَبْدَةَ بنِ النُّعْمانِ بنِ قيسٍ، أحدِ بنى تميمٍ، وأوَّلُها[7] :

طحا بكَ قلبٌ فى الحِسانِ طَرُوبُ بُعَيْدَ الشبابِ عَصْرَ حانَ مَشِيبُ

والسابعةُ - ومنهم مَن لا يُثْبِتُها فى المُعَلَّقاتِ، وهو قولُ الأَصْمَعِىِّ وغيرِه -

---

(١) شرح ديوان زهير ص ٤.

(٢) بعده فى الأصل، ص: «مالك بن».

(٣) ديوان طرفة ص ٦ .

(٤ - ٤) سقط من: الأصل، ا ٩، ص. وانظر طبقات فحول الشعراء ١/ ١٥٢. والشعر والشعراء ١/ ٢٥٠.

(٥) ديوان عنترة ص ٩٨.

(٦) فى الأصل، ص: «متثلم».

(٧) ديوان علقمة ص ٣٣.

وهى للَبِيدِ بنِ ربيعةَ بنِ مالكِ بنِ جَعْفَرِ بنِ كلابِ بنِ ربيعةَ بنِ عامرِ بنِ صَعْصَعَةَ بنِ معاويةَ بنِ بكرِ بنِ هَوازنَ بنِ منصورِ بنِ عِكْرِمَةَ بنِ [1]خَصَفَةَ بنِ[1] قيسِ بنِ عَيْلانَ بنِ مُضَرَ، وأوَّلُها[2] :

عَفَتِ الديارُ مَحَلُّها فَمُقَامُها ... بِمِنًى تأبَّدَ[3] غَوْلُها فَرِجامُها

فأمَّا القصيدةُ التى لا يُعْرَفُ قائلُها، فيما ذَكَره أبو عُبَيْدَةَ، والأَصْمَعِىُّ والمُبَرِّدُ، وغيرُهم، فهى قولُه :

[4]هل بالطُّلولِ لسائلٍ[4] رَدُّ ... أم هل لها بتَكَلُّمٍ عَهْدُ

وهى مُطَوَّلَةٌ وفيها معانٍ حسنةٌ كثيرةٌ.

(١ - ١) فى الأصل : «حفص»، وفى ص : «حفص بن». وانظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٢٥٩ وما بعدها.

(٢) شرح ديوان لبيد ص ٢٩٧ .

(٣) فى الأصل : «مايد»، وفى ص : «مابد». وانظر شرح الديوان ص ٢٩٧.

(٤ - ٤) فى ص : «مل الطلول لسائل».

(1)ذِكْرُ شىءٍ مِن(1) أخْبَارِ أُمَيَّةَ ابنِ أبى الصَّلْتِ الثَّقَفِىِّ ، (2)كان مِن شُعَراءِ الجاهليَّةِ ، وقد أَدْرَكَ زَمَنَ الإِسلامِ(2)

قال الحافظُ ابنُ عساكرَ[3] : هو أميَّةُ بنُ أبى الصَّلْتِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى ربيعةَ ابنِ عوفِ بنِ عُقدةَ بنِ غِيَرَةَ[4] بنِ عوفِ بنِ ثقيفِ (5)بنِ منبِّهِ بنِ بكرِ بنِ هَوازِنَ(5) ، أبو عثمانَ ، ويقالُ : أبو الحكمِ الثَّقفِىُّ . شاعرٌ جاهلىٌّ ، قَدِمَ دِمَشْقَ قبلَ الإِسلامِ ، وقيل : إنَّه كان مُسْتَقِيمًا[6] ، وإنَّه كان[7] فى أوَّلِ أمرِه على الإيمانِ ثُم زاغ عنه ، وإنّه هو الذى أراده اللَّهُ تعالى بقولِه[8] : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾ [الأعراف : ١٧٥] .

قال الزُّبَيْرُ بنُ بكارٍ[9] : فولَدَتْ رُقَيَّةُ بنتُ عبدِ شمسِ بنِ عبدِ منافٍ أُميّةَ

(١ - ١) سقط من : م .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) تاريخ دمشق ٩/ ٢٥٥.

(٤) فى م : « عزة » .

(٥ - ٥) زيادة من : م .

(٦) فى ا ٩: « نبيا » . وهو كذلك فى تاريخ دمشق .

(٧) فى الأصل ، ص : « دان » .

(٨) التفسير ٥٠٧/٣ - ٥٠٩ .

(٩) أخرج قول الزبير ، ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٩/ ٢٥٥.

الشاعرَ ابنَ أبى الصَّلْتِ، واسمُ أبى الصَّلْتِ ربيعةُ بنُ وهبِ بنِ عِلاجِ بنِ أبى سَلَمَةَ بنِ ثقيفٍ. وقال غيرُه: كان أبوه مِن الشّعراءِ المشهورين بالطّائفِ، وكان أميّةُ أشعرَهم.

وقال عبدُ الرّزّاقِ[1]: قال الثَّوْرِىُّ: أخبرَنى حبيبُ بنُ أبى ثابتٍ أنَّ عبدَ اللَّهِ ابنَ عَمْرٍو[2] قال فى قولِه تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ هو أميّةُ بنُ أبى الصّلتِ. وكذا رواه أبو بكرٍ ابنُ مَرْدَوَيْه[3]، عن أبى بكرٍ الشافعىِّ، عن معاذِ ابنِ المُثَنَّى، عن مسدَّدٍ، عن أبى عَوانَةَ، عن عبدِ الملكِ بنِ عُمَيْرٍ، عن نافعِ ابنِ عاصمِ بنِ مسعودٍ، قال: إنِّى لفِى حَلَقَةٍ فيها عبدُ اللَّهِ بنُ عَمْرٍو[4]، فقرأ رجلٌ مِن القومِ الآيَةَ التى فى «الأعرافِ»: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ فقال: هل تَدْرون مَن هو؟ فقال بعضُهم: هو صَيْفِىُّ ابنُ الرّاهبِ. وقال آخرُ: بل هو بلعمُ، رجلٌ مِن بنى إسرائيلَ. قال: لا. قال: فمَن هو[5]؟ قال: أميّةُ بنُ أبى الصَّلْتِ. وهكذا قال أبو صالحٍ، والكَلْبِىُّ، وحكاه قتادةُ[6] عن بعضِهم.

وقال الطّبرانِىُّ[7]: حدّثنا علىُّ بنُ عبدِ العزيزِ، حدّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ شبيبٍ

---

(١) تفسير عبد الرزاق ٢/ ٢٤٣.

(٢) فى ص: «عمر».

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٩/ ٢٦٥. من طريق أبى بكر ابن مردويه به.

(٤) فى ص: «عمر».

(٥) سقط من: م.

(٦) أخرج أقوال الثلاثة، ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٩/ ٢٦٦.

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٩/ ٢٥٧ - ٢٦٠ من طريق سليمان بن أحمد - وهو الطبرانى - به.

الرَّبَعِيُّ ، حدثنا محمدُ بنُ سَلَمَةَ[1] بنِ هشامٍ المخزوميُّ ، حدّثنا إسماعيلُ بنُ الطّريحِ بنِ إسماعيلَ الثَّقَفِيُّ ، حدّثنى أبى ، عن أبيه ، عن مَرْوانَ بنِ الحكَمِ ، عن معاويةَ بنِ أبى سفيانَ ، عن أبيه ، قال : خرجْتُ وأميّةُ بنُ أبى الصّلتِ الثَّقَفِيُّ [١/٢٣٥و] تُجّارًا إلى الشّامِ ، فكُلّما نزَلْنا مَنْزِلًا أخَذَ أُمَيّةُ سِفرًا له يَقْرَؤُه علينا ، فكُنّا كذلك حتى نزَلْنا قريةً مِن قُرَى النَّصارَى ، فَجاءُوه ، وأَهْدَوْا له وأكرمُوه ، وذهب معهم إلى بيوتِهم ، ثُم رَجَع فى وسَطِ النهارِ فطرَح ثوبَيْه ، وأخذ ثوبَيْن له أسوَدَيْن ، فلَبِسَهما ، وقال لى : هل لك يا أبا سفيانَ فى عالِمٍ مِن عُلماءِ النّصارَى ، إليه يَتناهى عِلْمُ الكِتابِ تسأَلُه ؟ قلتُ : لا أرَبَ لى فيه ، واللّهِ لَئِنْ حدَّثَنى بما أُحِبُّ لا أَثِقُ به ، ولئن حدّثنى بما أَكْرَهُ لأَوْجَلَنَّ[2] منه . قال : فذَهَب وخالَفَه شيخٌ مِن النَّصارَى ، فدَخَل علىَّ فقال : ما يمنعُك أن تَذْهَبَ إلى هذا الشيخِ ؟ قلتُ : لستُ على دينِه . قال : وإنْ ، فإنَّك تسمعُ مِنه عَجَبًا وتراه . ثُم قال لى : أثَقَفِيٌّ أنت ؟ قلتُ : لا ، ولكنْ قُرَشِيٌّ . قال : فما يمنعُك مِن الشيخِ ؟ فواللّهِ إنَّه لَيُحِبُّكم ويُوصِى بكم . قال : فخرج مِن عندِنا ، ومكَث أُمَيَّةُ عندَهم حتى جاءَنا بعدَ هَدْأَةٍ مِن الليلِ ، فطَرَح ثَوْبَيْه ثُم انْجَدَل على فراشِه ، فواللّهِ ما نام ولا قام ، حتى أصبح كَئِيبًا حزينًا ، ساقطًا غَبُوقُه على صَبُوحِه[3] ، ما يُكَلِّمُنا ولا نُكَلِّمُه ، ثُم قال : ألا ترحَلُ ؟ قلتُ : وهل بك مِن رحيلٍ ؟ قال : نعم ! قال[4] :

---

(١) فى النسخ : « مسلمة » . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٢) فى م : « لأجدن » .

(٣) الصبوح : الغداء ، والغبوق : العشاء ، وأصلهما فى الشرب ثم استعملا فى الأكل . والعبارة تدلُّ على تغيُّر الحال .

(٤) سقط من : الأصل ، م .

فرَحَلْنا فسِرْنا بذلك لَيْلَتَيْنْ ؛ (١ مِن هَمِّه ١) ، ثُم قال فى الليلةِ الثالثةِ : ألا تُحَدِّثُ يا أبا سفيانَ ؟ قلتُ : وهل بك مِن حديثٍ ؟ واللَّهِ ما رأيتُ مِثْلَ الذى رجعتَ به مِن عندِ صاحبِك . قال : أمَا إنَّ ذلك لِشَىْءٍ لستَ فيه ؛ إنَّما ذلك لِشىءٍ وَجِلْتُ به[٢] مِن مُنْقَلَبِى . قلتُ : وهل لك مِن مُنْقَلَبٍ . قال : إى واللَّهِ ، لأَمُوتَنَّ ثُم لأُحْيَيَنَّ . قال : قلتُ : هل أنت قابلٌ أمانتى ؟ قال : على ماذا ؟ قلتُ : على أنك لا تُبْعَثُ ولا تُحاسَبُ . قال : فضَحِك ثُم قال : بلى ! واللَّهِ يا أبا سفيانَ ، لنُبْعَثَنَّ ثُم لنُحاسَبَنَّ ، ولَيَدْخُلَنَّ فريقٌ الجَنَّةَ وفريقٌ النارَ . قلتُ : ففى أيِّهما أنت أخْبَرَكَ صاحبُك ؟ قال : لا عِلْمَ لصاحبِى بذلك ، لا فىَّ ولا فى نفْسِه . قال : فكُنَّا فى ذلك لَيْلَتَيْن يَعْجَبُ منى وأَضْحَكُ منه ، حتى قَدِمْنا[٣] غُوطةَ دِمَشْقَ ، فَبِعْنا متاعَنا وأقَمْنَا بها شهرَيْن ، فارْتَحَلْنا حتّى نَزَلْنا قريةً مِن قُرَى النَّصارَى ، فلمّا رَأَوْه جاءُوه وأَهْدَوْا له وذَهَب معهم إلى بِيعَتِهم ، فما جاء إلا بعدَ مُنْتَصَفِ النّهارِ ، فلَبِسَ ثَوْبَيْه وذهب إليهم ، حتّى جاء بعدَ هَدْأَةٍ مِن الليلِ ، فطَرَح ثَوْبَيْه ، ورَمَى بنفسِه على فراشِه ، فواللَّهِ ما نام ولا قام ، وأصبح حزينًا كئيبًا ، لا يُكَلِّمُنا ولا نُكَلِّمُه ، ثُم قال : ألا ترحلُ ؟ قلتُ : بلى إن شئتَ . فرَحَلْنا كذلك مِن بَثِّه وحُزْنِه ليالىَ . ثُم قال لى : يا أبا سفيـانَ ، هل لك فى المسيرِ لنتقدَّمَ[٤] أصحابَنا ؟ قلتُ : (٥ هل لى فيه ٥) . قال : فسِرْ . فسِرْنا حتّى بَرَزْنا مِن أصحابِنا ساعةً (٦ ثُم قال ٦) : هَيَا

(١ - ١) سقط من : م . وفى تاريخ دمشق : « هبة » .

(٢) فى م ، ص : « منه » .

(٣) فى الأصل ، ص : « قدم » .

(٤) فى الأصل ، ص : « تقدم » .

(٥ - ٥) فى ص : « لى فيه » .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل ، ص .

صَخْرُ. قلتُ: ما تشاءُ؟ قال: حدِّثْنِى عن عتبةَ بنِ ربيعةَ، أيَجتنبُ المظالمَ والمحارمَ؟ قلتُ: إىْ واللَّهِ. قال: ويصِلُ الرَّحِمَ ويأْمُرُ بصلتِها؟ قلتُ: إى واللَّهِ. قال: وكريمُ الطَّرَفَين وَسَطٌ فى العشيرةِ؟ قلتُ: نعم. قال: فهل تعلَمُ قُرَشِيًّا أشرفَ منه؟ قلتُ: لا واللَّهِ، لا أعلمُ. قال: أمُحْوِجٌ هو؟ قلتُ: لا، بل هو ذو مالٍ كثيرٍ. قال: وكم أتى عليه من السِّنِّ؟ قلتُ: قد زاد على المائةِ. قال: فالشَّرَفُ والسِّنُّ والمالُ أَزْرَيْنَ به؟ قلتُ: ولم ذاكَ يُزْرِى به؟ لا واللَّهِ، بل يزيدُه خيرًا. قال: هو ذاك. هل لك فى المبيتِ؟ قلت: هل[1] لى فيه. قال: فاضْطَجَعْنا حتّى مَرَّ الثَّقَلُ. قال: فسِرْنا حتى نزلْنا فى المنزلِ وبِتْنا به، ثُم ارْتَحَلْنا منه، فلمَّا كان الليلُ قال لى: يا أبا سفيانَ. قلتُ: ما تشاءُ؟ قال: هل لك فى مِثْلِ البارحةِ؟ قلتُ: هل لى[2] فيه. قال[3]: فسِرْنا على ناقَتَيْن بُخْتِيَّتَيْنْ، حتى إذا بَرَزْنا قال: هَيَا صَخْرُ، هِيهِ[4] عن عُتبةَ بنِ ربيعةَ. قال: قلتُ: هيهًا فيه. قال: أَيْجتنبُ المظالمَ والمحارمَ ويَصِلُ الرَّحِمَ ويأمُرُ بصلَتِها؟ قلتُ: إى واللَّهِ إنَّه ليَفْعَلُ. قال: وذو مالٍ. قلتُ: وذو مالٍ. قال: أتعلمُ قُرَشِيًّا أَسْوَدَ منه؟ قلتُ: لا واللَّهِ ما أعلمُه. قال: كم أتى له من السِّنِّ؟ قلتُ: قد زاد على المائةِ. قال: فإنَّ السِّنَّ والشَّرَفَ والمالَ أَزْرَيْنَ به؟ قلتُ: كلَّا واللَّهِ، ما أزْرَى به ذاك، وأنت قائلٌ شيئًا فقُلْه. قال: لا تَذْكُرْ حديثِى حتى[5] يأتِىَ منه ما هو آتٍ. ثُم قال:

---

(١) سقط من: م.

(٢) فى الأصل، م: «لك».

(٣) بعده فى الأصل، م: «نعم».

(٤) هيا: أداة نداء. وهيه: كلمة للاستزادة من الكلام.

(٥) سقط من: م.

فإنَّ الَّذى رأيتَ أصابنى ، أنِّى جِئْتُ هذا العالِمَ فسَألْتُه عن أشياءَ ، ثُم قلتُ : أخْبِرْنى عن هذا النبىِّ الذى يُنْتَظَرُ . قال : هـو رجلٌ مِن العربِ . [١/٢٣٥ظ] قلتُ : قد علمتُ أنَّه مِن العربِ ، فمِن أىِّ العربِ هو ؟ قال : مِن أهلِ بيتٍ تَحُجُّه العربُ . قلتُ : وفينا بيتٌ تَحُجُّه العربُ . قال : هو مِن إخوانِكم مِن قريشٍ . فأصابنى واللَّهِ شَىْءٌ ما أصابَنِى مثلُه قطُّ ، وخرج مِن يدَىَّ فوزُ الدنيا والآخرةِ ، وكنتُ أرجُو أنْ أكونَ إيَّاه . قلتُ : فإذا كان ما كان فصِفْه لى . قال : رجلٌ شابٌّ ، حين[(١)] دَخَلَ فى الكُهُولَةِ بُدُوُّ أمرِه ، يَجْتَنِبُ المظالمَ والمحارمَ ، ويَصِلُ الرَّحِمَ ، ويَأْمُرُ بصِلَتِها ، وهو مُحْوِجٌ كريمُ الطَّرَفَيْن ، متوسِّطٌ فى العشيرةِ ، أكثرُ جُنْدِه الملائكةُ . قلتُ : وما آيةُ ذلك ؟ قال : قد رَجَفَتِ الشَّامُ منذُ هَلَكَ عيسى ابنُ مريمَ ، عليه السلامُ ، ثمانينَ[(٢)] رَجْفَةً ، كلُّها[(٣)] مصيبةٌ ، وبَقِيَتْ رَجْفَةٌ عامّةٌ فيها مصائبُ . قال أبو سفيانَ : فقلتُ : هذا واللَّهِ الباطلُ ، لَئِنْ بَعَثَ اللَّهُ رسولًا لا يأخذُه إلا مُسِنًّا[(٤)] شريفًا . قال أميةُ : والذى حَلَفْتَ به ، إنَّ هذا لهكذا يا أبا سفيانَ ، تقولُ[(٥)] : إنّ قولَ النَّصْرانِىِّ حَقٌّ . هل لك فى المبيتِ ؟ قلتُ : هل[(٦)] لى فيه . قال : فبِتْنَا حتى جاءنا الثَّقَلُ ، ثُم خَرَجْنا حتى إذا كُنّا[(٧)] بينَنا وبينَ مكّةَ[(٨)] ليلتان ، أدْرَكَنا راكبٌ مِن خلفِنا ، فسأَلْناه ، فإذا هو

---

(١) كذا بالنسخ وهو ما يقتضيه السياق . وفى تاريخ دمشق : « حتى » .
(٢) سقط من : الأصل ، ص . وفى تاريخ دمشق : « ثلاثين » .
(٣) بعده فى م : « فيها » .
(٤) فى ا ٩، ص : « منا » .
(٥) فى الأصل ، ص : « يقول » .
(٦) فى م : « نعم » .
(٧) فى م : « كان » .
(٨) بعده فى م : « مرحلتان » .

يقولُ: أصابتْ أهلَ الشّامِ بعدَكم رجفةٌ دَمَّرَتْ[1] أهلَها، وأصابتْهم فيها مصائبُ عظيمةٌ. قال أبو سفيانَ: فأقبلَ عليَّ أميّةُ فقال: كيف ترى قولَ النَّصْرانيِّ يا أبا سفيانَ؟ قلتُ: أرى واللَّهِ وأظنُّ أنَّ ما حدَّثك به صاحبُك حقٌّ. قال: فقَدِمْنا مكّةَ فقضَيْتُ ما كان معى، ثُم انطلقْتُ حتى جئتُ اليمنَ تاجرًا، فكنتُ بها خمسةَ أشهرٍ، ثُم قَدِمْتُ مكَّةَ، فبيْنا أنا فى منزلى جاءنى النّاسُ يُسَلِّمُون علىَّ[2]، ويسألُون عن بَضائِعِهم، حتى جاءنى محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ، وهِنْدٌ عندى تُلاعِبُ صِبْيانَها، فسَلَّمَ عَلَىَّ ورَحَّبَ بى، وسألَنى عن سَفَرى ومُقامى، ولم يسألْنِى عن بِضاعتِه ثُم قام، فقلتُ لهندٍ: واللَّهِ إنَّ هذا يُعْجِبُنى؛ ما مِن أحدٍ مِن قريشٍ له معى بضاعةٌ إلَّا قد سأَلَنى عنها، وما سألَنى هذا عن بِضاعتِه! فقالتْ لى هندٌ: وما علمتَ شأنَه؟ قلتُ وفَزِعْتُ: ما شأنُه؟ قالتْ: يزعُمُ أنَّه رسولُ اللَّهِ. فوَقَذَتْنِى، وذَكَرْتُ قولَ النّصرانيِّ، فَوَجَمْتُ[3] حتى قالتْ هندٌ: مالَكَ؟ فانتبهْتُ، فقلتُ: إنَّ هذا لهو الباطلُ! لهو أَعْقَلُ مِن أنْ يقولَ هذا. قالتْ: بَلَى واللَّهِ، إنَّه ليقولَنَّ ذلك و[4]يُواتَى عليه[4]، وإنَّ له لَصَحابةً على دينِه. قلتُ: هذا الباطلُ. قال: وخَرَجْتُ، فبَيْنا أنا أطوفُ بالبيتِ[5] لَقِيتُه، فقلتُ: إنَّ بضاعتَك قد بَلَغَتْ كذا وكذا، وكان فيها خيرٌ فأرسِلْ فَخُذْها[6]، ولستُ آخُذُ منك فيها ما آخُذُ مِن قومِى. فأَبَى علىَّ وقال: إِذَنْ لا

---

(1) فى الأصل، ص: «قهروا».
(2) سقط من: ص.
(3) فى الأصل، ص: «فوجهت». وفى م: «فرجفت».
(4 - 4) فى م: «يدعو إليه».
(5) بعده فى م: «إذ بى قد».
(6) فى م: «من يأخذها».

آخُذَها . قلتُ : فأَرْسِلْ فخُذْها وأنا آخُذُ منك مِثلَ ما آخُذُ مِن قومى . فأرْسَلَ إلى بِضاعتِه فأَخَذَها ، وأَخَذْتُ منه ما كنتُ آخُذُ مِن غيرِه[1] ، ولم أَنْشَبْ أنْ خَرَجْتُ إلى اليمنِ ، فقَدِمْتُ الطّائفَ ، فنزَلْتُ على أميّةَ بنِ أبى الصَّلْتِ ، [2]فقُلْتُ له : يا أبا عثمانَ[2] . قال[3] : ما تشاءُ ؟ قلت[4] : هل تذكرُ قولَ النَّصْرانىِّ ؟ قال :[5] أذكُرُه ، فقلْتُ[6] : فقد كان . قال : ومَن ؟ قلتُ : محمدُ ابنُ عبدِ اللَّهِ . قال : ابنُ عبدِ المطّلبِ ؟ قلتُ : ابنُ عبدِ المطّلبِ . ثم قَصَصْتُ عليه خَبَرَ هندٍ . قال : فاللَّهُ يعلمُ لَتَصَبَّبَ[7] عَرَقًا . ثُم قال : واللَّهِ يا أبا سفيانَ ، لَعَلَّه ، إنَّ صِفَتَه لَهِىَ ، ولَئِنْ ظَهَر وأنا حىٌّ لَأُبْلِيَنَّ[8] اللَّهَ ، عَزَّ وجَلَّ ، فى نصرِه عُذْرًا . قال : ومضَيْتُ إلى اليمنِ ، فلم أَنْشَبْ أن جاءنى هُنالِكَ اسْتِهْلالُه ، وأقبلْتُ حتى نزلْتُ على أمَيَّةَ بنِ أبى الصَّلْتِ بالطّائِفِ ، فقلتُ : يا أبا عثمانَ ، قد كان مِن أمرِ الرجلِ ما قد بلغَك وسَمِعْتَ . قال : قد كان لَعَمْرِى . قلتُ : فأينَ أنت منه يا أبا عثمانَ ؟ فقال : واللَّهِ ما كنتُ لأومِنَ برسولٍ مِن غيرِ ثَقِيفٍ أبدًا . قال أبو سفيانَ : وأقبلْتُ إلى مكّةَ ، فواللَّهِ ما أنا ببعيدٍ حتى جئتُ مكّةَ ، فوجدْتُ أصحابَه يُضْرَبُون ويُحْقَرُونَ[9] . قال أبو سفيانَ : فجعلْتُ أقولُ : فأينَ

---

(١) بعده فى م : « قال أبو سفيان » .

(٢ - ٢) فى م : « فقال لى يا أبا سفيان » .

(٣) سقط من : الأصل ، ا ٩ ، م .

(٤) سقط من : الأصل ، ا ٩ ، م .

(٥) فى م : « فقلت » .

(٦) سقط من : م .

(٧) فى ا ٩ ، م : « وأخذ يتصبب » .

(٨) فى م : « لأطلبن من » . ويقال : أبلاه عذرا . أى اجتهد فى الاعتذار إليه حتى رضى . الوسيط (ب ل ى) .

(٩) فى الأصل ، ص : « يعقرون » .

جُنْدُه مِن الملائكةِ؟ قال : فدَخَلَنِى ما يَدْخُلُ الناسَ مِن النَّفاسةِ. وقد رواه الحافظُ البيهقىُّ فى كتابِ «الدلائلِ»[1] ، مِن حديثِ إسماعيلَ بنِ طُريحٍ به، ولكنَّ سياقَ الطبرانىِّ الذى أَوْرَدْناه أَتَمُّ وأطولُ . واللَّهُ أعلمُ .

وقال الطَّبَرانِىُّ[2] : حدثنا بكرُ بنُ أحمدَ بنِ مُقْبِلٍ[3] ، حدثنا عبدُ اللَّهِ بنُ شَبِيبٍ ، حدثنا يعقوبُ بنُ محمدٍ الزُّهْرِىُّ ، حدثنا مجاشعُ بنُ عمرٍو الأسَدِىُّ ، حدثنا ليثُ بنُ سعدٍ ، عن أبى الأسودِ[4] محمدِ بنِ عبدِ الرَّحمنِ ، عن عُرْوَةَ بنِ الزُّبيرِ ، عن معاويةَ بنِ أبى سفيانَ ، عن أبى سفيانَ بنِ حَرْبٍ ، أنَّ أميّةَ بنَ أبى الصَّلْتِ كان بغَزَّةَ أو بإِيلِيَاءَ ، فلمَّا قَفَلْنا قال لى أميّةُ : يا أبا سفيانَ ، هل لك أن تَتَقَدَّمَ على الرُّفْقَةِ فنتحدَّثَ؟ قلتُ : نعم . قال : ففعلْنا ، فقال لى : يا أبا سفيانَ ، إيهٍ عن عتبةَ بنِ ربيعةَ . قال[5] : كريمُ الطَّرَفَيْن ، ويَجْتَنِبُ المحارمَ والمظالمَ؟ قلتُ : نعم . قال : وشريفٌ مُسِنٌّ؟ قلتُ : وشريفٌ مُسِنٌّ . قال : السِّنُّ والشرفُ أَزْرَيا به . فقلتُ له : كذبتَ ، ما ازْدادَ سِنًّا إلا ازدادَ شرَفًا . قال : يا أبا سفيانَ ، إنَّها كلمةٌ ما سمِعْتُ أحدًا يقولُها لى منذُ تَبَصَّرْتُ ، فلا تَعْجَلْ علىَّ حتى أُخبرَك . قال : قلتُ : هاتِ . قال : إنِّى كنتُ أَجِدُ فى كُتُبى نبيًّا يُبْعَثُ مِن حَرَّتِنا هذه ، فكنتُ أظُنُّ ، بل كنتُ لا أشكُّ أنى أنا هو ، فلمّا

---

(١) الدلائل ٢/ ١١٦، ١١٧.

(٢) فى الكبير (٧٢٦٢). وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٨/ ٢٣٢: فيه مجاشع بن عمرو وهو ضعيف.

(٣) فى الأصل ، ص، م: «نفيل». وانظر سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٠٥.

(٤) بعده فى الأصل ، ص: «بن».

(٥) فى م: «قلت».

دارَسْتُ أهلَ العلمِ إذا هو مِن بنى عبدِ منافٍ ، (1) فنظَرْتُ فى بنى عبدِ منافٍ (1) فلم أَجِدْ أحدًا يَصْلُحُ لهذا الأمرِ غيرَ عُتْبَةَ بنِ ربيعةَ ، فلمّا أخبرْتَنِى بسِنِّه عَرَفْتُ أنَّه ليس به ؛ حينَ جاوزَ الأربعينَ ولم يُوحَ إليه . قال أبو سفيانَ : فضَرَب الدَّهْرُ مَن (2) ضَرَبه ، فأُوحِىَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وخرجْتُ فى رَكْبٍ مِن قريشٍ أريدُ اليمنَ فى تجارةٍ ، فمَرَرْتُ بأميَّةَ ، فقلتُ له كالمستهزِئ به : يا أميةُ ، قد خَرَج النبىُّ الذى كنتَ تَنْعَتُه (3) . قال : أما (4) إنَّه حقٌّ ، فاتَّبِعْه . قلتُ : ما يَمْنَعُك مِن اتّباعِه ؟ قال : ما يَمْنَعُنِى إلا الاسْتِحْياءُ مِن نُسَيّاتِ ثَقِيفٍ ؛ إنّى كنتُ أُحَدِّثُهُنَّ أنّى هو ، ثُم يَرَيْنَنِى تابِعًا لغلامٍ مِن بنى عبدِ منافٍ . ثُم قال أميةُ : وكأنِّى بك يا أبا سفيانَ (5) إن خالفْتَه (5) قد رُبِطْتَ كما يُرْبَطُ الجَدْىُ ، حتى يُؤْتَى بكَ إليه ، فيَحْكُمَ فيك بما يُرِيدُ .

وقال عبدُ الرّزّاقِ (6) : أخبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن الكَلْبِىِّ قال : بَيْنَا أميّةُ راقِدٌ ومعه ابنتان له ، إذْ فَزِعَتْ إحداهما فصاحتْ عليه ، فقال لها : ما شأنُكِ ؟ قالتْ : رأيتُ نَسْرَيْن كَشَطا سَقْفَ البيتِ ، فنزَلَ أحدُهما إليكَ فشَقَّ بَطْنَكَ ، والآخرُ واقفٌ على ظَهْرِ البيتِ ، فناداه فقال : أوَعَى ؟ قال : وَعَى (7) . قال : أَزَكا ؟ قال : لا (8) . فقال : ذاك

(1 - 1) سقط من : الأصل ، ا 9.

(2) سقط من : م . وضرب الدهر بين القوم . أى فرّق وباعد .

(3) كذا فى النسخ ، وفى معجم الطبرانى (7262) : « تنتظر » .

(4) سقط من : الأصل ، ص .

(5 - 5) فى م : « قد خالفته ثم » .

(6) تفسير عبد الرزاق 2/ 243.

(7) فى م : « نعم » .

(8) كذا فى النسخ . وفى تفسير عبد الرزاق : « أبى » .

خيرٌ أُرِيدَ بأبيكما فلم يَقْبَلْه[1] .

وقد رُوِىَ مِن وجهٍ آخرَ بسياقٍ آخرَ ؛ فقال إسحاقُ بنُ بِشْرٍ[2] ، عن محمدِ ابنِ إسحاقَ ، عن الزُّهْرِىِّ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ ، [3]وعثمانَ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن الزُّهْرِىِّ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ[3] قال : قَدِمَتِ الفارعةُ أختُ أميّةَ بنِ أبى الصَّلْتِ على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، بعدَ فَتْحِ مكّةَ ، وكانت ذاتَ لُبٍّ وعَقْلٍ وجَمالٍ ، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ ، بها مُعْجَبًا ، فقال لها ذاتَ يومٍ : « يا فارعةُ ، هل تَحْفَظِينَ مِن شِعْرِ أخيكِ شيئًا ؟ » فقالتْ : نعم ، وأعْجَبُ منه ما قد رَأَيْتُ . قالتْ : كان أخى فى سفرٍ ، فلمّا انْصَرَفَ بَدَأَ بى[4] ، فدَخَلَ علىَّ فرَقَد على السّرِيرِ وأنا أَخْلُقُ[5] أديمًا فى يدى ، إذْ أقبلَ طائران أبيضان أو كالطَّيْرَيْن أبيضَيْنِ ، فوقَع على الكُوّةِ أحدُهما ، ودَخَل الآخرُ فوقَع عليه ، فشَقَّ الواقعُ عليه ، ما بينَ قَصِّه[6] إلى عانتِه ، ثُم أدخلَ يدَه فى جوفِه ، فأخْرَجَ قَلْبَه ، فوَضَعَه فى كَفِّه ثُم شَمَّه ، فقال له الطائرُ الآخرُ : أوَعَى ؟ قال : وَعَى . قال : أَزَكَا ؟ قال : أَبَى . ثُم رَدَّ القَلْبَ إلى مكانِه ، فالْتَأَمَ الجُرْحُ أسرعَ مِن طَرْفَةِ عَيْنٍ ، ثُم

---

(١) فى م : « يفعله » .
(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٨٢/٩ - ٢٨٤ ، من طريق إسحاق بن بشر به . والقصة فى الأغانى ١٢٧/٤.
(٣ - ٣) سقط من : ص .
(٤) فى م : « بدأنى » .
(٥) فى النسخ : « أحلق » . وهو كذلك فى تاريخ دمشق . وهو تصحيف ؛ فقد ذكره ابن الأثير فى غريبه ٧١/٢ على الصواب فقال : « ... وأنا أخلق أديما » أى أُقدِّره لأقطعه . وانظر لسان العرب (خ ل ق) .
(٦) فى الأصل ، ص : « قصته » . والقَصّ : عظم الصدر المغروز فيه أطراف الأضلاع من الجانبين .

ذَهَبا ، فلمّا رَأَيْتُ ذلك دَنَوْتُ منه فحرَّكْتُه ، فقلتُ : هل تَجِدُ شيئًا ؟ قال : لا ، إلَّا تَوْهينًا في جَسَدِي - وقد كنتُ ارْتَعَبْتُ ممّا رَأَيْتُ - فقال : مالى أراكِ مُرْتاعةً ؟ قالتْ : فأخْبَرْتُه الخبرَ ، فقال : خَيْرٌ أُرِيدَ بى ثُم صُرِف عنّى . ثُمَّ أَنْشَأَ يقولُ[1] :

باتتْ همومِى تَسْرِى طوارقُها ... أَكُفُّ[2] عَيْنِى والدمعُ سابقُها

ممّا أتانى مِنَ اليقينِ ولم ... أُوتَ براةً يَقُصُّ ناطِقُها

أم مَن تَلَظَّى عليه واقدةُ النـ ... ـارِ محيطٌ بهم سُرادِقُها

أم أَسْكُنُ الجَنَّةَ التى وُعِدَ الـ ... ـأبْرارُ مصفوفةً نمارِقُها

لا يَسْتَوِى المنزِلان ثَمَّ ولا الـ ... ـأعمالُ لا تَسْتَوِى طرائقُها

هما فريقان فِرْقةٌ تدخلُ الجَـ ... ـنَّةَ حَفَّتْ بهم حدائِقُها

وفِرْقةٌ منهم [3]قدْ أُدْخِلَتِ النـ ... ـارَ[3] فساءَتْهُمْ مرافِقُها

تعاهدتْ هذه القلوبُ إذا ... هَمَّتْ بخيرٍ عاقَتْ عوائِقُها

وصدَّها للشَّقاءِ عن طلَبِ الـ ... ـجَنَّةِ دُنْيا اللّٰهُ ماحِقُها

عبدٌ دعا نفسَه فعاتَبَها ... يَعْلَمُ أنّ البصيرَ[4] رامِقُها

ما رَغْبَةُ[5] النفسِ فى الحياةِ وإن ... تَحْيَى قليلًا فالموتُ لاحِقُها

---

(١) ديوان أمية ص ٥٠، ٥١.

(٢) فى الأصل ، ص: «ألف» . وكذا فى تاريخ دمشق .

(٣ - ٣) فى الديوان ص ٥٠: «أدخلت فى النار» .

(٤) فى الديوان : «الصبر» .

(٥) فى م: «رغب» .

يوشِكُ مَنْ فرَّ مِن مَنِيَّتِه[1] يومًا على غِرَّةٍ يوافِقُها

[2]مَنْ لم يَمُتْ[2] عَبْطَةً[3] يَمُتْ هَرَمًا للموتِ كأسٌ والمرءُ ذائِقُها

قالتْ[4] : ثُم انْصَرَفَ إلى رَحْلِه ، فلم يَلْبَثْ إلَّا يسيرًا حتى طُعِن فى [٢٣٦/١ظ] جِنازتِه[5] ، فأتانى الخبرُ فانصرَفْتُ إليه ، فوَجَدْتُه منعوشًا ، قد سُجِّىَ عليه ، فدنوْتُ منه ، فشَهِقَ شَهْقَةً ، وشَقَّ بَصَرُه[6] ونَظَر نحوَ السَّقْفِ ، ورفَع صَوْتَه . وقال :

لبَّيْكُما لبَّيْكُما ها أنا ذَا لَدَيْكُما

لا ذو مالٍ فيَفْدِيَنى ، ولا ذو أهلٍ فتَحْمِيَنى .

ثُمَّ أُغْمِىَ عليه إذ شَهِقَ شهقةً فقلتُ : قد هلَك الرجلُ . فشَقَّ بصرُه نحوَ السَّقْفِ ، فرَفَع صوتَه ، فقال :

لَبَّيْكُما لَبَّيْكُما ها أنا ذا لَدَيْكما

لا ذو براءةٍ فأعتذِر ، ولا ذو عشيرةٍ فأَنْتَصِر . ثُم أُغْمِىَ عليه إذ شَهِقَ شهقةً ، وشقَّ بصرُه ونظَر نحوَ السقفِ فقال :

---

(١) فى ص : « منية » .

(٢ - ٢) فى الأصل ، م ، ص : « إن لم تمت » .

(٣) فى النسخ : « غبطة » ، والمثبت من الديوان . وانظر تاريخ دمشق . ومات عبطة : مات شابا سليما لم تصبه علة . الوسيط (ع ب ط) .

(٤) فى الأصل ، ا ٩، م : « قال » .

(٥) فى الأصل ، م ، ص : « حيارته » ، وفى ا ٩: « حرارته » ، والمثبت من تاريخ دمشق . وطعن فى جنازته : مات . الوسيط (ج ن ز) .

(٦) شق بصر الميت : نظر إلى شىء لا يرتد إليه طرفه . القاموس المحيط (ش ق ق) .

لَبَّيْكُما لَبَّيْكُما ها أنا ذا لَدَيْكُما

[(1] بالنِّعَمِ محفُودٌ وبالذَّنْبِ محصودٌ

ثُم أُغْمِيَ عليه إذ شَهِقَ شهقةً، فقال :

لَبَّيْكُما لَبَّيْكُما ها أنا ذا لَدَيْكُما[1)]

إنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لا أَلَمَّا[(2)]

ثُم أُغْمِيَ عليه إذ شَهِقَ شهقةً فقال[(3)] :

كلُّ عيشٍ وإن تطاولَ دَهْرًا صائرٌ مَرَّةً إلى أن يزولا

لَيتَنِي كنتُ قبلَ ما قدْ بدا لى فى قِلالِ الجبالِ أَرْعَى الوُعُولا

قالت : ثُم مات. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : «يا فارعةُ، فإنَّ مَثَلَ أخيكِ كمَثَلِ الذى آتاه اللَّهُ آياتِه : ﴿ فَانسَلَخَ مِنْهَا ﴾ الآية [الأعراف : ١٧٥]. وقد تكلَّمَ الخَطَّابِيُّ[(4)] على غَرِيبِ هذا الحديثِ.

ورَوَى الحافظُ ابنُ عساكرَ[(5)] عن الزُّهْرِيِّ أنَّه قال : قال أميَّةُ بنُ أبى الصَّلْتِ[(6)] :

أَلا رسولٌ لنا منّا يُخَبِّرُنا ما بَعْدَ غايتِنا مِنْ رأسِ مَجْرانَا

(١ - ١) سقط من : ص.

(٢) البيت فى طبقات فحول الشعراء ١/ ٢٦٧، وعزاه محققه لأبى خراش الهذلى. وألَمَّ : باشر اللمم، أى صغار الذنوب.

(٣) ديوان أمية ص ٥٥.

(٤) انظر كلام الخطابى فى تاريخ دمشق ٩/ ٢٨٤.

(٥) فى تاريخ دمشق ٩/٢٨٥ - ٢٨٧.

(٦) ديوان أمية ص ٤٦.

قال : ثم خَرَج أميّةُ بنُ أبى الصَّلْتِ إلى البَحْرَيْنِ ، وتَنَبَّأَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وأقام أميّةُ بالبَحْرَيْنِ ثمانِيَ سِنِينَ ، ثُم قَدِمَ الطّائفَ فقال لهم : ما يقولُ محمدُ ابنُ عبدِ اللَّهِ ؟ قالوا : يَزعُمُ أنّه نَبِيٌّ ، فهو الذى كنتَ تتمنَّى . قال : فخرَج حتى قَدِمَ عليه مكّةَ فلَقِيَه ، فقال : يا ابنَ عبدِ المطَّلِبِ ، ما هذا الذى تقولُ ؟ قال : « أقولُ : إنّى رسولُ اللَّهِ وأن لا إله إلا هو » . قال : إنّى أريدُ أن أكلِّمَكَ ، فَعِدْنى غدًا . قال : « فمَوْعِدُك غدًا » . قال : فتُحِبُّ أنْ آتيَكَ وحدِى أو فى جماعةٍ مِن أصحابى ، وتأتِيَنى وحدَك أو فى جماعةٍ مِن أصحابِك ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَيَّ ذلك شِئْتَ » . قال : فإنّى آتيك فى جماعةٍ ، فأْتِ فى جماعةٍ . قال : فلمّا كان الغدُ غَدَا أميّةُ فى جماعةٍ مِن قريشٍ . قال : وغَدَا رسولُ اللَّهِ ﷺ معه نَفَرٌ مِن أصحابِه ، حتى جَلَسُوا فى ظِلِّ الكعبةِ . قال : فبدأ أميّةُ فخَطَب ثُم سَجَع ثُم أَنْشَدَ الشِّعْرَ ، حتى إذا فَرَغ[1] قال : أَجِبْنِى يا ابنَ عبدِ المطّلِبِ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ » [يس : ١، ٢] . حتى إذا فَرَغ منها وَثَبَ أميّةُ يَجُرُّ رِجْلَيْه . قال : فتَبِعَتْه قريشٌ يقولون : ما تقولُ يا أميّةُ ؟ قال : أشهدُ أنّه على الحقِّ . فقالوا : هل تَتَّبِعُه ؟ قال : حتى أنظرَ فى أمرِه . قال : ثُم خَرَجَ أميّةُ إلى الشّامِ ، وقَدِمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ المدينةَ ، فلمّا قُتِلَ أهلُ بدرٍ ، قَدِمَ أميّةُ مِن الشّامِ حتى نَزَل بَدْرًا ، ثُمّ تَرَحَّلَ يريدُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فقال قائلٌ : يا أبا الصَّلْتِ ، ما تريدُ ؟ قال : أريدُ محمدًا . قال : وما تَصْنَعُ ؟ قال : أُومِنُ به وأُلْقِى إليه مقاليدَ هذا الأمرِ . قال : أتَدْرِى مَن فى القَلِيبِ ؟ قال : لا . قال : فيه عُتْبَةُ بنُ ربيعةَ ، وشَيْبَةُ بنُ ربيعةَ ، وهما ابنا

---

(١) بعده فى م ، ص : « الشعر » .

خالِك - وأمُّه ربيعةُ بنتُ عبدِ شمسٍ - قال : فجَدَع أُذُنَىْ ناقتِه وقَطَع ذَنَبَها ، ثُم وقَف على القَلِيبِ يقولُ[1] :

مــاذا بــبَــدْرٍ فــالــعَــقَــنْـــ ... ـقَـلِ مِـن مَـرازِبَـةٍ جَـحـاجِـحْ[2]

القصيدةُ إلى آخرِها كما سيأتى ذِكْرُها بتمامِها فى قصّةِ بدرٍ، إن شاء اللّهُ . ثم رَجَعَ إلى مكّةَ والطّائفِ ، وتَرَك الإسلامَ . ثُم ذَكَر قِصَّةَ الطَّيْرَين وقِصَّةَ وفاتِه كما تقدَّمَ ، وأَنْشَدَ شِعْرَه عندَ الوفاةِ[3] :

كلُّ عيشٍ وإن تطاول دَهْرًا ... صــائــرٌ مَـرَّةً إلــى أن يــزولا

ليتنى كنتُ قبلَ ما قد بدا لى ... فى قِلالِ الجبالِ أَرْعَى الوُعُولا

فاجعلِ الموتَ نُصْبَ عينَيْك واحذَرْ ... غَوْلةَ الدَّهرِ إنّ للدهرِ غُولا

نائلًا ظُفْرُها القساورَ والصدْ ... عانَ والطِّفلَ فى المنارِ الشّكيلا

وبُغاثَ النّيافِ واليَعْفُرَ النّافرَ ... و العَوْهَجَ البرامَ الضَّئِيلا [١/٢٣٧و]

فقولُه : « القساورَ » . جمعُ قَسْوَرَةٍ ، وهو الأَسَدُ . والصّدعانُ : ثيرانُ الوَحْشِ ، واحدُها صَدَعٌ . والطِّفلُ الشكِلُ : مِن حُمْرةِ العَيْنِ . والبُغاثُ : الرَّخَمُ . والنِّيافُ : الجبالُ . واليَعْفُرُ : الظَّبْىُ . والعوهجُ : ولدُ النّعامةِ . يعنى أنَّ الموتَ لا يَنْجُو منه الوحوشُ فى البَرارِىِّ ، ولا الرَّخَمُ الساكنةُ فى رُءُوسِ الجبالِ ،

---

(١) البيت فى طبقات فحول الشعراء ١/ ٢٦٣.

(٢) العقنقل : كثيب رمل ببدر . ومرازبة : جمع مَرْزُبان ، وهو الفارس الشجاع المقدم على القوم دون الملك ، وهو معرب وأصله فارسى . وجحاجح : جمع جَحْجاح ، وهو السيد المسارع فى الكرم .

(٣) ديوان أمية ص ٥٥.

ولا يَتْرُكُ صغيرًا لِصِغَرِه ولا كبيرًا لكِبَرِه . وقد تَكَلَّمَ الخطّابيُّ وغيرُه على غريبِ هذه الأحاديثِ . وقد ذَكَر السُّهَيْلِيُّ فى كتابِه « التعريفِ والإِعلامِ »[(1)] ، أنّ أميّةَ ابنَ أبى الصَّلْتِ أولُ مَنْ قال[(2)] : باسمِكَ اللَّهُمَّ . وذكَرَ عندَ ذلك قصّةً غريبةً ، وهو أنَّهم خرجُوا فى جماعةٍ مِن قريشٍ فى سفرٍ ، فيهم حَرْبُ بنُ أميّةَ والدُ أبى سفيانَ ، قال : فمرُّوا فى مسيرِهم بحَيّةٍ فقتلُوها ، فلمّا أمْسَوْا جاءتْهم امرأةٌ مِن الجانِّ فعاتَبَتْهم فى قتلِ تلك الحيَّةِ ، ومعها قَضِيبٌ فضَرَبَتْ به الأرضَ ضربةً نَفَّرَتِ الإِبلَ عن آخرِها ، فذهبتْ وشرَدَتْ كُلَّ مَذْهَبٍ ، وقاموا فلم يزالُوا فى طلبِها حتى ردُّوها ، فلمّا اجتمعُوا جاءتْهم أيضًا ، فضربتِ الأرضَ بقضيبِها فنَفَّرَتِ الإِبلَ ، فذهبُوا فى طَلَبِها ، فلمّا أعْياهُم ذلك قالوا : واللَّهِ ، هل عندَك لِمَا نحنُ فيه مِن مَخْرَجٍ ؟ فقال : لا واللَّهِ ، ولكنْ سأنظُرُ فى ذلك . قال : فسارَ[(3)] فى تلك المحَلّةِ ؛ [(4)]لعلّه يَجِدُ[(4)] أحدًا يسألُه[(5)] عمّا قد حَلَّ بهم من العَناءِ ، إذا نارٌ تلوحُ على بُعْدٍ ، فجاءَها[(6)] فإذا شيخٌ على بابِ خَيْمةٍ يُوقِدُ نارًا ، وإذا هو مِن الجانِّ فى غايةِ الضّآلةِ والدَّمامةِ ، فسَلَّمَ[(7)] عليه ، فسألهم عَمّا هُم فيه ، فقال : إذا جاءتْكم فقلْ : باسمِكَ اللَّهُمَّ . فإنها تَهْرُبُ . فلمّا اجتمعُوا وجاءتْهم الثالثةَ أو الرابعةَ ، قال فى وجهِها أميّةُ : باسمِكَ اللَّهُمَّ . فشَرَدَتْ ولم يَقَرَّ لها قرارٌ ، لكنْ

---

(1) التعريف والإعلام ١١٣، ١١٤.

(2) فى التعريف والإعلام ١١٤: « كتب » .

(3) فى م ، ص : « فساروا » .

(٤ - ٤) فى م ، ص : « لعلهم يجدون » .

(5) فى م ، ص : « يسألونه » .

(6) فى م ، ص : « فجاؤها » .

(7) فى م ، ص : « فسلموا » .

عدَتِ الجِنُّ على حَرْبِ بنِ أُمَيّةَ ، فقتلُوه بتلك الحيّةِ ، فقَبَرَه أصحابُه هنالِك حيثُ لا جارَ ولا دارَ ، ففى ذلك يقولُ الجانُّ :

وقَبْرُ حَرْبٍ بمكانٍ قَفْرِ   وليس قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ

وذكر بعضُهم[1] أنّه كان يَتَفَرَّسُ فى بعضِ الأحيانِ فى لُغاتِ الحيواناتِ ، فكان يَمُرُّ فى السفَرِ على الطّيرِ فيقولُ لأصحابِه : إنّ هذا يقولُ كذا وكذا. فيقولون : لا نعلمُ صِدْقَ ما يقولُ . حتى مرُّوا على قَطِيعِ غنمٍ قد انقطعتْ منه شاةٌ ومعها ولدُها ، فالتفتتْ إليه ، فثَغَتْ كأنّها تَسْتَحِثُّه ، فقال : أتدرون ما تقولُ له ؟ قالوا : لا . قال : إنّها تقولُ : أَسْرِعْ بنا لا يَجِيءُ الذِّئْبُ فيأكُلَكَ كما أكل الذئبُ أخاكَ عامَ أوّلَ . فأسرَعوا حتى سألوا الرّاعىَ : هل أكل له الذّئبُ عامَ أوّلَ حَمَلًا بتلك البقعةِ ؟ فقال : نعم . قال : ومَرَّ يومًا على بعيرٍ عليه امرأةٌ راكبةٌ وهو يرفَعُ رأسَه إليها ويَرْغُو ، فقال : إنّه يقولُ لها : إنّكِ رَحَّلْتِينى وفى الحِداجَةِ[2] مِخْيَطٌ . فأنْزَلُوا تلك المرأةَ ، وحَلُّوا ذلك الرَّحْلَ ، فإذا فيه مِخْيَطٌ كما قال .

وذَكَر ابنُ السِّكِّيتِ[3] أنّ أميّةَ بنَ أبى الصَّلْتِ بينَما هو يَشْرَبُ[4] يومًا إذ نَعَبَ[5] غُرابٌ . فقال له : بفِيكَ التّرابُ . مَرَّتَيْنِ . فقيل له : ما يقولُ ؟ فقال : إنّه

(١) انظر تاريخ دمشق ٩/ ٢٧٢، ٢٧٣.

(٢) الحداجة : الحِدْج ، وهو الحمل ، ومركب من مراكب النساء يشبه المحفّة. اللسان (ح د ج). والمقصود أن المخيط كان مغروزا بسنام الجمل ، كما هو مصرح به فى تاريخ دمشق ٩/ ٢٧٣.

(٣) انظر تاريخ دمشق ٩/ ٢٨٤ ، ٢٨٥.

(٤) فى تاريخ دمشق : « بسرف » .

(٥) أى ؛ صاح وصوت .

يقول : إنَّك تَشْرَبُ هذا الكأسَ الَّذى فى يدِك ثم (١ تَتَّكِئُ فتموتُ ١) . ثُم نَعَبَ الغرابُ (٢ مرّةً أخرى ٢) فقال : إنَّه يقولُ : وآيةُ ذلك أنّى أَنْزِلُ على هذه المزبلةِ فآكُلُ منها فيَعْلَقُ عظمٌ فى حَلْقِى فأموتُ . ثُم نزل الغرابُ على تلك المزبلةِ فأكَلَ شيئًا فعَلِقَ فى حَلْقِه عظمٌ فمات . فقال أميّةُ : أمّا هذا فقد صَدَقَ فى نفسِه ، ولكنْ سأنظرُ هل يَصْدُقُ فِيَّ أَمْ لا . ثُمَّ شَرِب ذلكَ الكأسَ الذى فى يدِه ثُم اتَّكأ فمات .

وقد ثَبَت فى « الصحيحِ »[٣] مِن حديثِ ابنِ مَهْدِيٍّ ، عن الثَّوْرِيِّ ، عن عبدِ الملِكِ بنِ عُمَيْرٍ[٤] ، عن أبى سلمةَ ، عن أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ أصْدَقَ كَلِمَةٍ قالها شاعرٌ كَلِمَةُ لَبِيدٍ :

* ألَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلُ *

وَكَادَ أُمَيَّةُ بنُ أبى الصَّلْتِ أنْ يُسْلِمَ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[٥] : حدّثنا رَوْحٌ ، حدّثنا زكريا بنُ إسحاقَ ، حدثنا إبراهيمُ بنُ ميسرةَ أنَّه سَمِعَ عَمْرَو بنَ الشَّرِيدِ يقولُ : قال الشَّريدُ : كنتُ رِدْفًا لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال لى : « أمَعَك مِن شِعْرِ أُمَيَّةَ بنِ أبى الصَّلْتِ شىءٌ ؟ » قلتُ : نعم . قال : « فأَنْشِدْنى » . فأَنْشَدْتُه بيتًا ، فلم يَزَلْ يقولُ لى كلّما أَنْشَدْتُه

(١ - ١) فى الأصل ، م ، ص : « تموت » .

(٢ - ٢) زيادة من : ا ٩ .

(٣) البخارى (٦١٤٧) . كما أخرجه مسلم (٢٢٥٦) .

(٤) فى ص : « عمر » .

(٥) فى المسند ٤/ ٣٨٩ .

بيتًا : « إِيهِ » . حتّى أنشدْتُه مِائةَ بيتٍ . قال : ثُم سَكَتَ النبيُّ ﷺ ، وسكَتُّ .
وهكذا رواه مسلمٌ مِن حديثِ سفيانَ بنِ عُيينةَ ، عن إبراهيمَ[1] بنِ ميسرةَ به .
ومِن غيرِ وجهٍ [١/٢٣٧ظ] عن عَمْرِو بنِ الشَّرِيدِ ، عن أبيه الشَّرِيدِ بنِ سُوَيدٍ الثَّقَفِيِّ ، عن النبيِّ ﷺ[2] . وفى بعضِ الرِّواياتِ[3] : فقال رسولُ اللَّهِ : « إنْ كادَ يُسْلِمُ » .

وقال يَحْيَى بنُ محمدِ بنِ صاعِدٍ[4] : حدّثنا إبراهيمُ بنُ سعيدٍ الجَوْهَرِيُّ ، حدّثنا أبو أسامةَ ، حدثنا حاتمُ بنُ أبى صَغِيرَةَ[5] ، عن سِماكِ بنِ حربٍ ، عن عمرِو بنِ نافعٍ ، عن الشَّرِيدِ الهَمْدَانِيِّ - وأخوالُه ثقيفٌ - قال : خَرَجْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فى حِجَّةِ الوَداعِ ، فبَيْنَا أنا أمشى ذاتَ يومٍ إذا وَقْعُ ناقةٍ خَلْفِى ، فالتَفَتُّ[6] فإذا رسولُ اللَّهِ ، ﷺ فقال : « الشَّرِيدُ ؟ » فقلتُ : نعم . قال : « أَلَا أَحْمِلُكَ ؟ » قلْتُ : بلى . وما بى[7] مِن إعياءٍ [8]ولا لُغُوبٍ[8] ، ولكنِّى أَرَدْتُ البَرَكَةَ فى رُكوبى مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فأناخَ فحَمَلَنى ، فقال : « أَمَعَكَ مِن شِعْرِ أميّةَ بنِ أبى الصَّلْتِ ؟ » قلتُ : نعم . قال : « هاتِ » . فأَنْشَدْتُه - قال :

---

(١) فى الأصل ، م ، ص : « أبى تميم » .
(٢) مسلم (٢٢٥٥) .
(٣) البخارى (٣٨٤١، ٦١٤٧) . ومسلم (٢٢٥٥) . والمسند ٤/ ٣٨٨.
(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٩/ ٢٦٨، ٢٦٩، من طريق يحيى بن محمد به .
(٥) فى الأصل ، م ، ص : « صفرة » ، وفى ا ٩: « صعرة » . والمثبت من تاريخ دمشق . وانظر سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٥٣.
(٦) فى الأصل : « بالبيت » . وسقط من : م ، ص .
(٧) سقط من : الأصل ، م ، ص .
(٨ - ٨) زيادة من : ا ٩.

أظنُّه قال – مِائةَ بيتٍ ، فقال : « عندَ اللَّهِ عِلْمُ أميّةَ بنِ أبى الصَّلْتِ » . ثُم قال ابنُ صاعدٍ : هذا حديثٌ غريبٌ . فأمّا الذى يُرْوَى أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، قال فى أميّةَ : « آمَنَ شِعْرُه وكَفَر قَلْبُه »[1] فلا أَعْرِفُه . واللَّهُ أعلمُ .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدثنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ – هو أبو بكرٍ ابنُ أبى شيبةَ – حدّثنا عَبْدَةُ بنُ سليمانَ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن يعقوبَ بنِ عُتبةَ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عبّاسٍ ، أَنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، صدَّقَ أميّةَ فى شىءٍ مِن شِعْرِه ، قال[3] :

رَجُلٌ[4] وثَوْرٌ تَحْتَ رِجْلِ يمينِه ... والنَّسْرُ للأُخْرَى ولَيْثٌ مُرْصَدُ

[5]فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « صدق » . وقال[5] :

والشمسُ تَطْلُعُ كلَّ آخرِ ليلةٍ ... حَمْراءَ يُصْبِحُ لونُها يَتَوَرَّدُ

تَأْبَى فما تَطْلُعْ لنا فى رِسْلِها ... إلا مُعَذَّبَةً وإلا تُجْلَدُ

فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « صَدَقَ » . وفى روايةِ أبى بكرٍ الهُذَلىِّ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، أنَّه قال : إنَّ الشمسَ لا تَطْلُعُ حتى يَنْخُسَها سبعون ألفَ مَلَكٍ ، يقولون لها : اطْلُعِى اطْلُعِى . فتقولُ : لا أَطْلُعُ على قومٍ يَعْبُدُوننى

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٩/ ٢٧٢. وذكره صاحب كنز العمال ٣/ ٥٧٧، وعزاه لأبى بكر الأنبارى فى المصاحف .

(٢) فى المسند ١/ ٢٥٦. (إسناده صحيح) .

(٣) ديوان أمية ص ٢٩.

(٤) فى م : « زحل » .

(٥ – ٥) زيادة من : ا ٩.

مِن دونِ اللَّهِ . فإذا هَمَّتْ بالطُّلوعِ أتاها شيطانٌ يريدُ أنْ يُثَبِّطَها ، فتطلُعُ بينَ قَرْنَيْه وتَحْرِقُه ، فإذا تَضيَّفَتْ للغُروبِ [(١] غَرَبَتْ على السُّجودِ [١)] للَّهِ ، عزّ وجلَّ ، فيأتيها شيطانٌ يريدُ أن يُثَبِّطَها عن السُّجودِ فتَغْرُبُ مِن قَرْنَيْه وتَحْرِقُه . أوردَه ابنُ عساكرَ [(٢)] مُطَوَّلًا . ومِن شعرِه في حَمَلَةِ العَرْشِ [(٣)] :

فمِن حاملٍ إحدى قوائمِ عرشِه ولولا إلهُ الخَلْقِ كَلُّوا وبَلَّدُوا [(٤)]

قيامٌ على الأقدامِ عانونَ تحتَه فرائِصُهم مِن شدّةِ الخوفِ تُرْعَدُ

رواه ابنُ عساكرَ [(٥)] . ورُوِىَ عن الأَصْمَعِىِّ [(٦)] أنَّه كان يُنْشِدُ مِن شعرِ أميةَ [(٧)] :

مَجِّدوا اللَّهَ فهو للمَجْدِ أهْلٌ ربُّنا فى السماءِ أمسى كبيرا

بالبناءِ الأعلى الذى سَبَق النـ ـاسَ وسوَّى فوقَ السماءِ سَرِيرا

شرجعًا [(٨)] لا [(٩)] ينالُه بصرُ العيـ ـنِ تَرَى دونَه الملائكَ صُورا

ثُم يقولُ الأصمعىُّ : الملائكُ جمعُ مَلَكٍ ، والصُّورُ جمعُ أَصْوَرَ ، وهو المائلُ

(١ - ١) فى الأصل ، م ، ص : « عزمت » .
(٢) فى تاريخ دمشق ٩/ ٢٧٢ .
(٣) الديوان ص ٥٨ . وانظر البيت الأول ص ٦٠ من الديوان .
(٤) بلَّدوا : فَتَروا فى العمل وقصَّروا .
(٥) تاريخ دمشق ٩/ ٢٧٩، ٢٨٠ .
(٦) تاريخ دمشق ٩/ ٢٧٧ .
(٧) ديوانه ص ٤٢ .
(٨) الشرجع : الطويل .
(٩) سقط من : م ، ص .

العُنُقِ ، وهؤلاءِ حَمَلَةُ العَرْشِ .

ومِن شعرِ أُميّةَ بنِ أبى الصَّلْتِ[1] يَمْدَحُ عبدَ اللَّهِ بنَ جُدْعانَ التيميَّ :

أأَذْكُرُ حاجتى أم قد كفانى ... حياؤُكَ إنّ شِيمَتَك الحياءُ

وعِلْمُكَ بالحقوقِ وأنتَ فَرْعٌ ... لك الحسَبُ المهذَّبُ والسَّناءُ

كريمٌ لا يُغَيِّرُه صباحٌ ... عن الخُلُقِ الجميلِ[2] ولا مَساءُ

يُبارِى الريحَ مَكْرُمَةً وجُودًا ... إذا ما الكلبُ أَجْحَرَه[3] الشِّتاءُ

وأرضُك أرضُ مَكْرُمَةٍ بَنَتْها ... بنو تَيْمٍ وأنتَ لها سماءُ[4]

إذا أَثْنَى عليك المرءُ يومًا ... كفاه مِن تَعرُّضِه الثَّناءُ

وله فيه مدائحُ أُخَرُ . وقد كان عبدُ اللَّهِ بنُ جُدْعانَ هذا مِن الكُرَماءِ الأجوادِ المُمَدَّحِين المشهورين ، وكان له جَفْنَةٌ يأكلُ الرّاكبُ منها وهو على بعيرِه ؛ مِن عِرَضِ حافَّتِها وكثرةِ طعامِها ، وكان يَمْلَؤُها لُبابَ البُرِّ يُلَبَّكُ بالشَّهْدِ والسَّمْنِ ، وكان يُعْتِقُ الرِّقابَ ، ويُعِينُ على النّوائبِ ، وقد سألَتْ عائشةُ عنه[5] النبيَّ ﷺ : أينفعُه ذلك ؟ فقال[6] : « إنَّه لم يَقُلْ يومًا مِن الدَّهْرِ : رَبِّ اغْفِرْ لِى خَطِيئَتِى يَوْمَ الدِّينِ » .

---

(١) ديوانه ص ١٧، ١٨.

(٢) فى الأصل : « الجزيل » .

(٣) فى النسخ : « أحجره » . والمثبت من الديوان . وأجحره : ألجأه واضطره .

(٤) فى الأصل ، ص: « مساء » .

(٥) سقط من: م .

(٦) تقدم فى صفحة ٢٥٤.

ومن شِعْرِ أمية البديعِ[1] :

لا يَنْكُتون الأرضَ عندَ سؤالِهِمْ كتَطَلُّبِ العَلَّاتِ[2] بالعيدانِ

بل يُسْفِرون وجوهَهم فترَى لها عندَ السؤالِ كأحسنِ الألوانِ

وإذا المُقِلُّ أقام وَسْطَ رِحالِهِمْ رَدُّوه رَبَّ صَواهلٍ وقِيانِ[3]

[٢٣٨/١و] وإذا دَعَوْتَهُمْ لكلِّ مُلِمَّةٍ سَدُّوا شُعاعَ الشمسِ بالفُرْسانِ

آخرُ ترجمةِ أميةَ بنِ أبى الصَّلْتِ .

---

(١) ديوانه ص ٢١.

(٢) العلات : جمع عَلّة ، وهى ما يُتلهى به .

(٣) الصواهل جمع الصاهل ، وهو الفرس . والقيان : جمع القَيْنِ وهو العبد .

بَحِيرى الرّاهِبُ

الذى تَوَسَّمَ فى رسولِ اللَّهِ ﷺ النُّبُوَّةَ وهو مع عمِّه أبى طالبٍ ، حينَ قَدِمَ الشَّامَ فى تُجَّارٍ مِن أهلِ مكَّةَ ، وعُمْرُه إذْ ذاك اثنتا عَشْرَةَ سنةً ، فرَأَى الغَمامةَ تُظِلُّه مِن بينِهم ، فصَنَع لهم طعامًا[1] ضِيافةً واستدْعاهم ، كما سيأتى بيانُ ذلك فى السّيرةِ . وقد روى الترمذىُّ فى ذلك حديثًا بسطْنا الكلامَ عليه هنالك ، وقد أورد له الحافظُ ابنُ عساكرَ شواهدَ وسائغاتٍ فى ترجمةِ بَحِيرى ولم يُوردْ ما رواه الترمذىُّ ، وهذا عَجبٌ ، وذكر ابنُ عساكرَ أنَّ بَحِيرى كان يسكنُ قريةً يقالُ لها : الكفرُ . بينها وبين بُصرَى ستةُ أميالٍ ، وهى التى يُقالُ لها : دير بَحِيرى . قال : ويقالُ : إنه كان يسكُنُ قريةً يقالُ لها : منفعةُ . بالبلقاءِ وراءَ زَيْرا . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) سقط من : ص .

ذِكرُ قُسّ بنِ سَاعِدةَ الإِيَادىّ

قال الحافظُ أبو بكرٍ محمدُ بنُ جعفرِ بنِ سهلٍ الخرائِطىُّ فى كتابِ « هَواتِفِ الجانِّ »[1] : حدَّثَنا داودُ القنطرىُّ ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، حدَّثنى أبو عبدِ اللَّهِ المشرقىُّ ، عن أبى الحارثِ الورّاقِ ، عن ثَوْرِ بنِ يزيدَ ، عن مُوَرِّقٍ العِجْلىِّ ، عن عُبادةَ بنِ الصَّامتِ ، قال : لمَّا قَدِم وَفدُ إيادٍ على النَّبىِّ ﷺ ، قال : « يا معشرَ وفدِ إيادٍ ، ما فعل قُسُّ بنُ سَاعدةَ الإِيَادىُّ ؟ » . قالوا : هلَك يا رسولَ اللَّهِ . قال : « لقد شَهِدْتُه يومًا بسوقِ عُكَاظٍ على جملٍ أحمرَ يتكلَّمُ بكلامٍ مُعْجِبٍ مُونِقٍ ، لا أجدُنى أحفظُه » . فقام إليه أعرابىٌّ مِن أَقاصِى القوم ، فقال : أنا أَحْفظُه يا رسولَ اللَّهِ . قال : فَسُرَّ النَّبىُّ ﷺ بذلك . قال : فكان بسوقِ عُكاظٍ على جملٍ أَحْمرَ ، وهو يقولُ : يا معشرَ النَّاسِ ، اجْتَمِعُوا ، فكلُّ مَن فات فات ، وكلُّ شيءٍ آتٍ آتٍ ، ليلٌ داجٍ[2] ، وسماءٌ ذاتُ أبراجٍ ، وبحرٌ عَجاجٌ ، نجومٌ تَزْهَرُ ، وجبالٌ مَرْسِيَّةٌ ، وأنهارٌ مَجْرِيَّةٌ ، إنّ فى السَّماءِ لَخبرًا ، وإنَّ فى الأَرضِ لَعِبَرًا ، ما لى أرى النَّاسَ يَذْهَبُون[3] فلا يَرْجِعون ، أَرَضُوا بالإقامةِ فأَقامُوا ، أم تُرِكَوا فناموا ؟ أَقْسَم قُسٌّ باللَّهِ قَسَمًا لا ريبَ فيه ، إنَّ للَّهِ دِينًا هو أَرْضى مِن دينِكم هذا[4] ، ثُم أَنْشَأَ يَقُولُ :

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ١٠١/٢ من حديث أنس بن مالك بنحوه .

(٢) دجا الليل : عمت ظلمته وألبس كل شىء ، فهو داج . الوسيط (دج و) .

(٣) بعده فى الأصل ، ص : « ويموتون » .

(٤) بعده فى الأصل : « وإن كان فيه بعض الأسطال » . وفى ص : « وإن كان فيه بعض الاستطال » .

فـى الـذاهـبِـينَ الأَوَّلِـيـ ـنَ مِن القرونِ لنا بصائِرْ

لَـمَّـا[1] رَأَيْـتُ مـواردًا لِلموتِ ليس لها مصادِرْ

ورأيتُ قومِي نحوَها يَمْضِي الأصاغِرُ والأَكابِرْ

لا مَنْ مَضَى يَأْتِي إليـ ـكَ ولا مِن الباقِين غابِرْ

أيْقَنْتُ أنِّي لا محا لَةَ حيثُ صار القَوْمُ صائِرْ

وهذا إسنادٌ غريبٌ مِن هذا الوجهِ، وقد رواه الطَّبَرانيُّ[2] من وجهٍ آخَرَ، فقال فى كِتابِه «المُعْجمِ الكَبِيرِ»: حدَّثنا مُحمَّدُ بنُ السريِّ بنِ مهرانَ بنِ النّاقدِ البَغْدادِيُّ، حدَّثنا محمدُ بنُ حَسَّانَ السَّمْتِيُّ[3]، حدَّثنا محمدُ بنُ الحجَّاجِ، عن مُجالدٍ عن الشَّعْبِيِّ، عن ابنِ عبَّاسٍ، قال: قَدِم وفدُ عبدِ القَيْسِ على النَّبيِّ ﷺ، فقال: «أيُّكم يَعْرِفُ القُسَّ بنَ ساعدةَ الإيادىَّ؟» قالوا: [4] كلُّنا يَعْرِفُه[4] يا رسولَ اللَّهِ. قال: «فما فَعَل؟» قالوا: هَلَك. قال: «فما أَنْسَاه بعُكاظٍ فى الشَّهْرِ الحرامِ، وهو على جملٍ أحمرَ، وهو يَخْطُبُ النَّاسَ، وهو يقولُ: يا أيُّها النَّاسُ، اجْتَمِعوا واسْتَمِعوا وَعُوا، مَنْ عاش مات، ومَن مات فات، وكلُّ ما هو آتٍ آتٍ، إنّ فى السَّماءِ لخبَرًا، وإنَّ فى الأرضِ لَعِبَرًا، مِهادٌ موضوعٌ، وسَقْفٌ مرفوعٌ، ونُجومٌ تَمُورُ، وبِحارٌ لا تَغورُ، أَقْسَم قُسٌّ قَسَمًا حقًّا لَئِن كان فى الأمرِ

---

(١) فى الأصل: «فما».

(٢) المعجم الكبير (١٢٥٦١). قال الهيثمى فى المجمع ٩/ ٤١٩: فيه محمد بن الحجاج اللخمى وهو كذاب.

(٣) فى الأصل، م، ص: «السهمى»، وفى ا ٩: «التيمى». والمثبت من تهذيب الكمال ٢٥/ ٤٩.

(٤ - ٤) فى الأصل، ص: «كنا نعرفه».

رِضًى لَيَكُونَنَّ بعدَه سُخْطٌ ، إنَّ للَّهِ لَدِينًا هو أَحبُّ إليه مِن دِينِكم الذى أنتم عليه ، ما لى أرى النَّاسَ يَذْهَبُون ولا يَرْجِعُون ! أَرَضُوا بالمُقامِ فأقاموا ، أَمْ تُرِكُوا فَناموا ! » . ثم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَفِيكم مَن يَرْوى شِعْرَه ؟ » فأَنْشَدَه بعضُهم :

فـى الـذَّاهـبـيـنَ الأوَّلـيـــ ـــنَ مِن القُرُونِ لنا بصائِرْ
لمَّـــا رأيــــتُ مَـــــوارِدًا للموتِ ليس لها مصادِرْ
ورأيــتُ قــومــى نــحــوَهــا يَسْعَى الأصاغِرُ والأكابِرْ
لا يَرْجِعُ الماضى إلـيَّ ولا مِن البَاقِينَ غابِرْ
أَيْقَنْتُ أنِّـى لا مَـحَـا لَةَ حيثُ صار القومُ صائِرْ

[١/٢٣٨ظ] وهكذا أَوْرَدَه الحافظُ البَيْهقيُّ فى كتابِه « دلائِلِ النُّبُوَّةِ »[١] مِن طريقِ محمدِ بنِ حسَّانَ السَّمْتِيِّ[٢] به . وهكذا رَوَيْناه فى الجزءِ الَّذى جَمَعَه الأُستاذُ أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ جَعْفرِ بنِ دَرَسْتَوَيْهِ فى أخبارِ قُسٍّ ، قال : حدَّثنا عبدُ الكَريمِ بنُ الهَيْثَمِ الدَّيْرْعاقُولِيُّ ، عن سعيدِ بنِ شَبِيبٍ ، عن محمدِ بنِ الحجَّاجِ ، [٣]وهو أبو[٣] إبراهيمَ الواسِطِيُّ نزيلُ بغدادَ ، ويُعْرَفُ بصاحبِ الهَرِيسةِ[٤] به[٥] ، وقد كَذَّبَه يَحْيَى بنُ مَعِينٍ ، وأبو حاتمٍ الرَّازيُّ ، والدَّارَقُطْنِيُّ ، واتَّهَمَه غيرُ

---

(١) الدلائل ٢/ ١٠٤.
(٢) فى الأصل : « السنمى » ، وفى م : « السلمى » ، وفى ص : « السهمى » .
(٣ - ٣) فى الأصل ، ص : « وهو » ، وفى م : « عن » . انظر ميزان الاعتدال ٣/ ٥٠٩.
(٤) فى الأصل ، م ، ص : « الفريسة » .
(٥) سقط من : م .

واحدٍ، منهم ابنُ عَدِيٍّ، بوَضْعِ الحديثِ[1]، وقد رواه البزّارُ وأبو نعيمٍ[2] مِن حديثِ محمدِ بنِ الحجّاجِ هذا، ورَواه ابنُ دَرَسْتَوَيْهِ، وأبو نُعَيْمٍ[3] مِن طريقِ الكَلْبِيِّ، عن أبي صالحٍ، عن ابنِ عبّاسٍ، وهذه الطَّريقُ أَمْثَلُ مِن التي قَبْلَها، وفيه أنَّ أبا بكرٍ هو الذي أَوْرَدَ القِصَّةَ بكمالِها نَظْمَها ونَثْرَها بينَ يَدَيْ رسولِ اللَّهِ ﷺ. ورواه الحافظُ أبو نُعَيْمٍ مِن حَديثِ أحمدَ بنِ موسى بنِ إسحاقَ الحطميِّ، حدَّثنا عليُّ بنُ الحسينِ بنِ محمدٍ المخزوميُّ، حدَّثنا أبو حاتمٍ السِّجِسْتانيُّ، حدَّثنا وَهْبُ بنُ جريرٍ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ، عن الزُّهْرِيِّ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ، عن ابنِ عبّاسٍ، قال: قَدِم وفدُ بكرِ بنِ وائلٍ على رسولِ اللَّهِ ﷺ، فقال لهم: «ما فَعَل حليفٌ لكم يقالُ له: قُسُّ بنُ ساعدةَ الإِيادىُّ؟». وذَكَر القِصَّةَ مُطَوَّلةً.

وأخبَرَنا الشيخُ المسنِدُ الرُّحْلَةُ أحمدُ بنُ أبي طالبٍ الحجّارُ إجازَةً إنْ لم يَكُنْ سَمَاعًا، قال: أجازَ لنا جعفرُ بنُ عليٍّ الهَمْدانِيُّ، قال: أخْبَرَنا الحافظُ أبو طاهرٍ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ إبراهيمَ السِّلَفِيُّ سَمَاعًا، وقَرَأْتُ على شيخِنا الحافظِ أبي عبدِ اللَّهِ الذَّهَبِيِّ، أخْبَرَنا أبو عليٍّ الحسنُ بنُ عليِّ بنِ أبي بكرٍ الخَلَّالِ سَمَاعًا، قال: أنا جعفرُ بنُ عليٍّ سَماعًا، قال: أنا السِّلفيُّ سَماعًا، أنا أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ إبراهيمَ الرَّازِيُّ، أنا أبو الفضلِ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ

---

(1) انظر الكامل فى الضعفاء لابن عدى ٦/٢١٥٥، ٢١٥٦.

(2) كشف الأستار (٢٧٥٩). قال الهيثمى فى المجمع ٩/٤١٩: فيه محمد بن الحجاج اللخمى وهو كذاب. لم نجد هذا الطريق فى مختصر دلائل أبى نعيم الذى بين أيدينا. وقد أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٢/١٠٤، من طريق محمد بن الحجاج به.

(3) الدلائل لأبى نعيم (٥٥).

عيسى السَّعْدىُّ ، أنا أبو القاسمِ عبيدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ بنِ علىٍّ المُقْرِئُ ، حدَّثنا أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ جعفرِ بنِ دَرَسْتَوَيْهِ النَّحْوىُّ ، قال : حدَّثنا إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ بنِ أحمدَ السَّعْدىُّ - قاضِى فارسَ - حدَّثنا أبو داودَ سليمانُ بنُ سيفِ[1] بنِ يحيى بنِ درهمٍ الطَّائىُّ ، مِن أهلِ حرَّانَ ، حدَّثنا أبو عمرٍو سعيدُ بنُ بَزِيعٍ[2] ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، حدَّثنى بعضُ أصحابِنا مِن أهلِ العلمِ ، عن الحسنِ بنِ أبى الحسنِ البَصْرىِّ ، أنه قال : كان الجارودُ بنُ المُعَلَّى بنِ حَنَشِ بنِ مُعَلًّى العَبْدِىُّ نَصْرانيًّا حسنَ المعرفةِ بتفسيرِ الكُتُبِ وتأويلِها ، عالمًا بسِيَرِ الفرسِ وأقاويلِها ، بصيرًا بالفلسفةِ والطِّبِّ ، ظاهرَ الدَّهاءِ والأدبِ ، كاملَ الجمالِ ، ذا ثروةٍ ومالٍ ، وإنَّه قَدِم على النبىِّ ﷺ ، وافدًا فى رجالٍ من عبدِ القَيْسِ ، ذَوِى آراءٍ وأسنانٍ وفصاحةٍ وبيانٍ وحججٍ وبرهانٍ ، فلمَّا قَدِمَ على النبىِّ ﷺ ، وقَف بينَ يَدَيْه وأشار إليه وأنشأ يقولُ :

يا نبىَّ الهُدى أتتْك رجالٌ ... قطعتْ فدفدًا وآلًا فآلا

وطوتْ نحوَك الصَّحاصِحَ تهوى ... لا تَعُدُّ الكَلالَ فيك كَلالا

كلُّ بهماءَ قصَّر الطرفُ عنها ... أَرْقَلَتْها قِلاصُنا إرقالا

وطوتْها العتاقُ تجْمَحُ فيها ... بكُماةٍ كأنجمٍ تتلالا

تبتغى دفْعَ بأسِ يومٍ عظيمٍ ... هائلٍ أوجَعَ القلوبَ وهالا

ومزادًا لمحشرِ الخلْقِ طُرًّا ... وفِراقًا لمن تمادَى ضَلالا

---

(١) فى ١ ٩: « يوسف ».

(٢) فى الأصل ، م ، ص : « يربع ».

نحوَ نورٍ مِن الإلهِ وبرها ... نِ وَبِرٍّ ونِعمةٍ أن تنالا

خصَّكَ اللّهُ يا بنَ آمنةَ الخَيْـ ... ـرِ بها إذ أتتْ سِجالًا سِجالا

فاجعلِ الحظَّ منكَ يا حُجَّةَ اللَّـ ... ـهِ جزيلًا لا حظَّ خُلفٍ أحالا

قال: فأدناه النبيُّ ﷺ، وقرَّب مجلسَه، وقال له: «يا جارودُ، لقد تأخَّر الموعودُ بك وبقَوْمِك». فقال الجارودُ: فداك أبى وأمى، [١/٢٣٩و] أمّا مَنْ تأخَّرَ عنك فقد فاته حظُّه، وتلك أعظمُ حُوبةٍ، وأغلظُ عقوبةٍ، وما كنتُ فيمَن رآك أو سمِع بك فعداك واتَّبع سِواك، وإنى الآن على دينٍ قد علمتَ به، قد جئتُك وها أنا تاركُه لدينِك، أفذلك مِما يُمحِّصُ الذنوب والمآثمَ والحُوب؟ ويُرْضِى الربَّ عن المَرْبوب؟ فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أنا ضامنٌ لك ذلك، وأَخْلِصِ الآن للَّهِ بالوَحْدانيةِ، ودَعْ عنك دينَ النَّصْرانِيَّةِ». فقال الجارودُ: فداك أبى وأمى، مُدَّ يَدَك فأنا أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ، وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّك محمدٌ عبدُه ورسولُه. قال: فأَسْلَمَ وأسلَمَ معه أُناسٌ من قومِهِ، فَسُرَّ النبىُّ ﷺ بإسلامِهم، وأَظْهَرَ من إكْرامِهم ما سُرُّوا به وابْتَهَجُوا به. ثُم أقْبَلَ عليهم رسولُ اللَّهِ ﷺ، فقال: «أفيكُم مَنْ يَعْرِفُ قُسَّ بنَ ساعدةَ الإيادىَّ؟» فقال الجارودُ: فداك أبى وأمى، كلُّنا نَعْرِفُه، وإنِّى مِن بينِهم لَعالِمٌ بخبَرِه، واقِفٌ على أَمْرِه، كان قُسٌّ، يا رسولَ اللَّهِ، سِبْطًا من أَسباطِ العربِ، عُمِّر سِتَّمائةِ سنةٍ تَقَفَّر منها خمسةَ أعمارٍ فى البَرارِىِّ والقِفارِ[1]، يَضِجُّ بالتَّسبيحِ على مثالِ المسيحِ، لا يُقِرُّه قرارٌ، ولا تَكُنُّهُ دارٌ، ولا يَسْتَمْتِعُ به جارٌ، كان يلبَسُ الأمساحَ، ويَفوقُ

---

(١) القفار: جمع قَفْر وهو الخلاء من الأرض لا ماء فيه ولا ناس ولا كلأ. الوسيط (ق ف ر).

السُّيَّاحَ، ولا يَفْتُرُ مِن رَهْبانيتِه، يتحَسَّى فى سياحتِه بَيْضَ النَّعامِ، ويَأْنَسُ بالهَوامِّ، ويَسْتَمْتِعُ بالظَّلامِ، يُبْصِرُ فيَعْتَبِرُ، ويُفكِّرُ فيَزْدَجِرُ[1]، فصار لذلك وَاحِدًا تُضرَبُ بحِكْمتِه الأمثالُ، وتُكْشَفُ بِه الأَهْوالُ، أدْرَك رَأْسَ الحوارِيِّينَ سمعانَ، وهو أَوَّلُ رَجُلٍ تَأَلَّه مِن العَربِ ووحَّد، وأقرَّ وتَعبَّد، وأَيْقَن بالبعثِ والحسابِ، وحَذِرَ سُوءَ[2] المآبِ، وأمَر بالعَملِ قبلَ الفَوْتِ، ووعَظ بالموتِ، وسلَّم بالقَضا، على السُّخْطِ والرِّضا، وزار القبورَ، وذَكَر النُّشورَ، ونَدَب بالأشعارِ، وفكَّر فى الأَقْدارِ، وأَنْبأ عن السَّماءِ والنَّماء، وذكَر النُّجومَ، وكشَف الماء، ووصَف البِحارَ، وَعَرَف الآثارَ، وخطَبَ راكبًا، ووعَظ دائِبًا، وحَذَّرَ مِن الكَرْبِ، ومِن شِدَّةِ الغَضَبِ، ورسَّل الرَّسائل، وذكَر كلَّ هائل، وأرغَم فى خُطَبِه، وبيَّنَ فى كُتبِه، وخوَّف الدَّهرَ، وحذَّر الأَزْرَ[3]، وعظَّم الأَمْرَ، وجَنَّب الكفرَ، وشوَّق إلى الحَنيفيَّةِ، ودعا إلى اللاهُوتيةِ، وهو القائلُ فى يومِ عُكاظٍ: شرقٌ وغربٌ، ويَتْمٌ[4] وحِزْبٌ[5]، وسِلْمٌ وحَرْبٌ، ويابسٌ ورَطْبٌ، وأُجاجٌ وعَذْبٌ، وشُمُوسٌ وأَقْمارٌ، ورِياحٌ وأمطارٌ، وليلٌ ونهارٌ، وإناثٌ وذكورٌ، وأبْرارٌ[6] وفُجورٌ[7]، وحَبٌّ ونباتٌ، وآباءٌ وأمهاتٌ، وجمعٌ وأشتاتٌ، وآياتٌ في إثْرِها آياتٌ، ونورٌ وظلامٌ، ويُسْرٌ وإعدامٌ، وربٌّ وأصنامٌ، لقد ضلَّ الأنامُ، نُشُوءُ

---

(١) فى الأصل، م، ص: «فيختبر».

(٢) بعده فى ا ٩: «المنقلب».

(٣) الأزر: القوة.

(٤) يُتم: انفراد.

(٥) حزب: أى تحزب بمعنى تجمع.

(٦) فى م: «برار».

(٧) فى الأصل، م: «بحور».

مولودٍ ، ووَأْدُ مفقودٍ ، وتربيةُ محصودٍ ، وفقيرٌ وغنيٌّ ، ومحسِنٌ ومُسِيءٌ ، تبًّا لأربابِ الغَفلةِ ، ليُصْلِحَنَّ العاملُ عملَه ، وليَفقِدَنَّ الآمِلُ أملَه ، كلَّا بل هو إلهٌ واحد ، ليس بمولودٍ ولا والد ، أعادَ وأَبْدَى ، وأمات وأحْيَا ، وخلَق الذَّكَرَ والأُنْثَى ، ربُّ الآخِرةِ والأُولَى ، أمَّا بعدُ ، فيا معشرَ إياد ، أين ثمودُ وعاد ؟ وأين الآباءُ والأجداد ؟ وأين العَليلُ والعُوَّاد ؟ كلٌّ له مَعاد ، يُقْسِمُ قُسٌّ بربِّ العباد ، وساطحِ المِهاد ، لتُحْشَرُنَّ على الانفراد ، فى يومِ التَّناد ،، إذا نُفِخَ فى الصُّورِ ، ونُقِرَ فى النّاقورِ ، وأشْرَقَتِ الأرضُ ، ووَعَظَ الواعظُ ، فانْتُبِذَ القانطُ ، وأبْصَرَ اللّاحظُ ، فويلٌ لِمَنْ صَدَف عن الحقِّ الأَشْهَرِ ، والنُّورِ الأَزْهَرِ ، والعَرْضِ الأَكْبَرِ ، فى يومِ الفَصْلِ ، وميزانِ العَدْلِ ، إذا حكَم القَدِيرُ ، وشَهِد النَّذِيرُ ، وبَعُد النَّصِيرُ ، وظَهَر التَّقْصيرُ ، ففريقٌ فى الجنَّةِ وفريقٌ فى السَّعيرِ . وهو القائلُ :

ذكَّر القلبَ مِن جَواه ادِّكارُ ... وليالٍ خَلا لهنَّ[1] نهارُ

وسِجالٌ هواطلٌ من غمامٍ ... ثُرْنَ ماءً وفى جَواهنَّ نارُ

ضوءُها يطْمِسُ العيونَ وأرعا ... دٌ شِدادٌ فى الخافقينِ تطارُ

وقصورٌ مَشِيدةٌ حوتِ الخَيْـ ... ـرَ وأخرى خلتْ بهنَّ قفارُ

وجبالٌ شوامخٌ راسياتٌ ... وبحارٌ مياهُهنَّ غزارُ

ونجومٌ تلوحُ فى ظُلَمِ اللّيـ ... ـلِ نَراها فى كلِّ يومٍ تُدارُ

ثُم شمسٌ يحُثُّها قمرُ اللّيـ ... ـلِ وكلٌّ مُتابِعٌ مَوَّارُ

---

(١) فى الأصل ، ص : « هن » .

وصغيرٌ وأشمَطٌ وكبيرٌ كلُّهم فى الصعيدِ يومًا مُزارُ

كثيرٌ[1] مما يُقَصِّرُ عنه حَدْسُه الخاطرُ الذى لا يحارُ

فالَّذى قد ذَكَرْتُ دَلَّ على اللَّهِ نُفوسًا لها هُدًى واعتبارُ

قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَهمَا نَسيتُ فَلَسْتُ أنْسَاه بسوقِ عُكاظٍ ، واقفًا على جَمَلٍ أحْمرَ يَخْطُبُ النَّاسَ : اجْتَمِعوا فاسْمَعوا ، وإذا سَمِعْتُم فَعُوا ، وإذا وَعَيْتُم فانْتَفِعوا ، وَقولوا ، وإذا قُلْتُمْ فَاصْدُقوا ، مَن عاشَ مات ، ومَن ماتَ فات ، وكلُّ ما هُو آتٍ آت ، مَطرٌ ونَباتٌ ، وأحياءٌ وأمواتٌ ، ليلٌ داجٍ ، وسماءٌ ذاتُ أبراجٍ ، ونجومٌ تَزْهَرُ ، وبحارٌ تَزْخَرُ ، وضوءٌ وظلامٌ [٢٣٩/١ ظ] ، وليلٌ وأيَّامٌ ، وبِرٌّ وآثامٌ ، إنَّ فى السَّماءِ خَبَرا ، وإنَّ فى الأَرضِ عِبرا ، يَحَارُ فيهنَّ البُصَرا ، مِهادٌ موضوعٌ ، وسَقْفٌ مَرْفُوعٌ ، ونجومٌ تغورُ[2] ، وبحارٌ لا تفورُ ، ومنايا دوان ، ودهرٌ خَوّان ، كحدِّ النِّسطاسِ ، ووزنِ القسْطاسِ ، أقْسَمَ قُسٌّ قَسَمًا ، لا كَاذِبًا فِيهِ ولا آثِمًا ، لَئِنْ كانَ فى هذا الأمْرِ رِضًى ، ليَكُونَنَّ سُخْطٌ . ثُم قال : أيُّها الناسُ ، إن للَّهِ دينًا هو أحبُّ إليه مِن دِينِكم هَذا الذى أنتم عليه ، وهذا زمانُه وأوانُه ، ثُم قال : ما لى أَرَى الناس يذْهَبونَ فلا يرجعونَ ، أَرَضُوا بالمُقَامِ فأقاموا ، أمْ تُرِكوا فناموا ! » . والتفتَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، إلى بعضِ أصحابِه ، فقال : « أيُّكم يَروِى شِعْرَه لنا ؟ » فقال أبو بكرٍ الصديقُ : فِداكَ أبى وأمِّى ، أنا شاهدٌ له فى ذلك اليومِ حيثُ يقولُ :

فى الذَّاهِبينَ الأوليـ ـنَ مِن القرونِ لنا بصائرْ

---

(١) فى الأصل ، م ، ص : « كبير » .

(٢) فى الأصل ، ا ٩، م: «تفور».

لمّـــا رأيـــتُ مـــواردًا   للموتِ ليس لها مصادرْ

ورأيـتُ قـومـى نـحـوَهـا   يمْضِـى الأصاغِرُ والأكابرْ

لا يـرجـعُ الماضـى إلـىَّ   ولا مِـنَ البـاقـينَ غـابـرْ

أيـقَـنْـتُ أنّـى لا محـا   لةَ حيثُ صارَ القومُ صائرْ

قال : فَقامَ إلى رسولِ اللّهِ ﷺ ، شَيْخٌ مِنْ عبدِ القيسِ عظيمُ الهامَةِ ، طويلُ القامَةِ ، بعيدُ ما بينَ المَنْكِبيْنَ ، فقال : فداكَ أبى وأمى ، وأنا رأيتُ مِن قُسٍّ عَجَبًا . فقال له رسولُ اللّهِ ﷺ : «ما الذى رأيتَ يا أخا بنى عَبْدِ القيْسِ ؟» فقال : خرجتُ فى شَبِيبتى أرْبَعُ بَعِيرًا[1] لى ، ففرَّ مِنى فذَهبْتُ أقْفُو أثرَه فى تَنائِفَ[2] قفافٍ[3] ذاتِ ضَغابيسَ ، وعَرَصاتِ جَثْجاثٍ[4] ، بينَ صُدورِ جُذْعانٍ[5] ، وغَمِيرِ[6] حَوْذانٍ[7] ، ومَهْمَهٍ[8] ظَلْمان ، ورَصِيعِ أَيْهُقان[9] ، فبَيْنا أنا فى تلك الفَلَوَاتِ أجولُ بسَبْسَبِها[10]

---

(١) أربع بعيرا : أتركه يرد الماء . الوسيط (ر ب ع) .

(٢) فى الأصل ، ص : « منايف » . وتنائف : جمع تنوفة ، وهى الفلاة لا ماء فيها ولا أنيس . الوسيط (ت ن ف) .

(٣) فى الأصل : « قفان » . ويقال : قفت الأرض . يبس بقلها .

(٤) فى الأصل : « جثجات » . وضغابيس : جمع ضغبوس ، وهو أغصان عشب الثمام والشوك ، التى تؤكل ، أو نبت . وجثجاث : نبات له زهرة صفراء طيبة الريح . الوسيط (جثجث) .

(٥) جذعان الجبال : صغارها .

(٦) فى الأصل ، ا ٩، ص : « عمرة » ، والغمير : النبت ينبت فى أصل النبت . الوسيط (غ م ر) .

(٧) فى الأصل ، ا ٩: « حوذات » . وحوذان : نبت . القاموس المحيط (ح و ذ) .

(٨) المهمه : المفازة البعيدة . الوسيط (مهمه) .

(٩) فى ا ٩: « أيهفان » ، وفى م : « ليهقان » . والأيهقان : عشب يطول وله وردة حمراء ، وورقه عريض ويؤكل ، أو الجرجير البرى .

(١٠) السبسب : المفازة ، أو الأرض المستوية البعيدة .

وأَرْنُقُ[١] فَدْفَدَهَا[٢] ، إذا أنا بهضبةٍ فى نَشَزاتِها[٣] أرَاكٌ كَباثٌ مُخْضَوْضِلَةٌ[٤] وأغصانُها مُتَهَدِّلَةٌ ، كأنَّ بَرِيرَها[٥] حَبُّ الفُلْفُلِ وبواسقُ أُقْحُوانٍ[٦] ، وإذا بعينٍ خَرّارةٍ وروضةٍ مُدْهامّةٍ[٧] ، وشجرةٍ عارمةٍ[٨] ، وإذا أنا بقُسِّ بنِ ساعدةَ فى أصلِ تلك الشجرةِ وبيدِهِ قضيبٌ ، فدنَوْتُ منه وقلتُ له : أنْعِم صباحًا . فقال : وأنت فنعم صباحُك . وقد وردَتِ العينَ سِبَاعٌ كثيرةٌ فكان كلَّما ذهبَ سبُعٌ منها يشربُ مِن العينِ قبلَ صاحبِهِ ضرَبهُ قُسٌّ بالقضيبِ الذى بيدِه ، وقال : اصْبِرْ حتى يشْرَبَ الذى قبلَكَ . فذُعِرْتُ مِن ذلك ذُعْرًا شديدًا ، ونظرَ إلىَّ فقال : لا تخفْ . وإذا بقَبرَين بينَهما مسجدٌ فقلتُ : ما هذانِ القبرانِ ؟ قال : قبرا أَخَوَيْنِ كانا يعبدان اللَّهَ ، عزَّ وجلَّ ، بهذا الموضعِ ، فأنا مقيمٌ بينَ قبرَيْهما أعبدُ اللَّهَ حتى ألحقَ بهما . فقلتُ له : أفلا تلحقُ بقومِكَ فتكونَ معهم فى خيرِهم وتُباينَهم على شرِّهم ؟ فقال لى : ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ أَوَ مَا عَلِمْتَ أنّ وَلَدَ إسْماعِيلَ تركوا دينَ أبيهم واتَّبعوا الأَضْدَادَ وعَظَّموا الأَنْدَادَ . ثُم أقبل على القبرَيْنِ وأنشأ يقولُ :

خليلَىَّ هُبَّا طالما قد رقَدتُما ... أجدُّكما لا تَقضيانِ كَراكُما[٩]

---

(١) أرنق : أديم النظر . القاموس المحيط (ر ن ق) .

(٢) الفدفد : الفلاة ، والمكان الصلب الغليظ والمرتفع .

(٣) النشز : المكان المرتفع .

(٤) الكَباث : النضيج من ثمر الأراك . والمخضوضلة : اخضوضل : ندى وابتلّ ، أو نَعُم . الوسيط (خ ض ل) .

(٥) البرير : الأول من ثمر الأراك . القاموس المحيط (ب ر ر) .

(٦) الأقحوان : نبت زهره أصفر أو أبيض .

(٧) مدهامة : خضراء تضرب إلى السواد نعمة وريا . القاموس المحيط (د هـ م) .

(٨) فى الأصل ، ص : « عادمة » ، وفى ا ٩: « عادته عالية » .

(٩) الجد : ضد الهزل . والكرى : النوم .

أرى النومَ بينَ الجِلدِ والعَظْمِ منكما كأنَّ الذى يَسْقِى العقارَ سقاكما

أمِن طولِ نومٍ لا تُجيبانِ داعيًا كأنّ الذى يسقى العُقارَ[1] سقاكما

ألم تعلما أنّى بنَجْرانَ مُفْرَدًا وما لىَ فيه مِن حبيبٍ سواكما

مقيمٌ على قَبْرَيكما لَسْتُ بارحًا إيابَ الليالى أو يُجيبَ صَداكما

أأبْكيكُما طولَ الحياةِ وما الذى يرُدُّ على ذى لوعةٍ أن بكاكما

فلو جُعِلتْ نفسٌ لنفسِ امرئٍ فدًى لجُدْتُ بنفسى أن تكونَ فِداكما

كأنّكما والموتُ أقربُ غايةٍ بروحىَ فى قَبريْكما قدْ أتاكما

[١/٢٤٠و] قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « رَحِم اللَّهُ قُسًّا ، أَمَا إنَّه سيُبعثُ يومَ القيامةِ أُمَّةً واحدةً[2] » . وهذا الحديثُ غريبٌ جدًّا مِن هذا الوجهِ وهو مرسلٌ ، إلَّا أنْ يكونَ الحسنُ سَمِعَهُ مِن الجارُودِ . و اللَّهُ أعلمُ .

وقد رواه البَيْهَقِىُّ ، والحافظُ أبو القاسمِ ابنُ عَساكِرَ[3] من وجهٍ آخَرَ من حديثِ محمدِ بنِ عِيْسى بنِ محمدِ بنِ سعيدِ القُرَشِىِّ الأَخبارىِّ ، ثنا أبى ، ثنا علىُّ بنُ سُلَيمانَ عَن[4] (٥ سُليْمانَ بنِ٥) علىٍّ ، عن علىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عبَّاسٍ ، رَضِى اللَّهُ عنهما ، قال : قَدِمَ الجَارُودُ بنُ عبدِ اللَّهِ[6] . فذكرَ مثلَه

---

(١) العقار : الخمر .

(٢) كذا فى النسخ . ولعلها « وحده » . كما فى الدلائل ٢/ ١١٣.

(٣) الدلائل للبيهقى ٢/ ١٠٥، تاريخ دمشق ٣/ ٤٢٨.

(٤) فى النسخ : « بن » ، وهو خطأ . والمثبت من الدلائل والتاريخ .

(٥ - ٥) سقط من النسخ وأثبتت من الدلائل والتاريخ . وانظر ترجمة سليمان بن على فى تهذيب الكمال ١٢/ ٤٤، وترجمة على بن عبد اللَّه فى تهذيب الكمال ٢١/ ٣٥.

(٦) كذا فى النسخ ، وفى الدلائل وتاريخ دمشق ، ولكن لم يرد أن فى آبائه عبد اللَّه . انظر أسد الغابة ١/ ٣١١. وتقدم أنه الجارود بن المعلى .

أو نحْوَه مطوَّلًا بزياداتٍ كثيرةٍ فى نَظْمِه ونَثْرِه ، وفيه ما ذكره عن الذى ضَلَّ بعيرُه فذهَب فى طلبِهِ ، قال : فبِتُّ فى وادٍ لا آمَنُ فيه حَتْفى ، ولا أَرْكَنُ إلى غيرِ سيفى ، فبِتُّ[1] أرْقُبُ الكوكبَ ، وأَرْمُقُ الغَيْهَبَ[2] ، حتى إذا الليلُ عَسْعَسَ[3] ، وكاد الصبحُ أن يَتَنَفَّسَ ، هَتَفَ بى هاتفٌ يقولُ :

يا أيُّها الراقدُ فى الليل الأجَمّ[4] قد بعثَ اللَّهُ نبيًّا فى الحَرَمْ

مِن هاشمٍ أهلِ الوفاءِ والكرمْ يجلو دُجُنّاتِ[5] الدَّياجى والبُهَمْ[6]

قال : فأدرتُ طَرْفى ، فما رأيتُ له شخصًا ولا سمِعتُ له فَحْصًا ، قال : فأنشأتُ أقولُ :

يا أيُّها الهاتفُ فى داجِى[7] الظُّلَمْ أهلًا وسهلًا بك من طيْفٍ أَلَمّ

بيِّنْ هَداكَ اللَّهُ فى لَحْنِ الكَلِمْ ماذا[8] الذى تدعو إليهِ يُغْتَنَمْ

قال : فإذا أنا بنَحْنَحَةٍ ، وقائلٍ يقولُ : ظهرَ النُّورُ ، وبطَل الزُّورُ ، وبَعَثَ اللَّهُ محمدًا بالحُبُورِ ، صاحبَ النَّجيبِ الأَحْمَرِ ، والتاجِ والمِغْفَرِ ، والوجهِ الأزهرِ ، والحاجبِ الأَقْمَرِ ، والطَّرْفِ الأحْورِ ، صاحبَ قولِ شهادةِ أن لا إله إلا اللَّهُ ،

---

(١) سقط من : م ، ص .

(٢) الغيهب : الظلمة .

(٣) عسعس الليل : أدبر ظلامه . القاموس المحيط (ع س س) .

(٤) فى الدلائل وتاريخ دمشق : « الأحم » . والأحم بالحاء : الأسود .

(٥) دجنات : جمع دجنة وهى الظلمة . القاموس المحيط (د ج ن) .

(٦) الدياجى : الظلمات . وكذا البهم .

(٧) فى ص : « دياجى » .

(٨) فى الأصل ، ص : « ما » .

فذلك محمدٌ المبعوثُ إلى الأسودِ والأبيضِ أهلِ المَدَرِ والوَبَرِ، ثُم أنشأ يَقُولُ:

الحمـــدُ لـلَّـــهِ الَّـــذى لَم يَـخـلُـقِ الخَلْـقَ عَـبَـثْ

لم يُـخْـلِـنـا يـومًـا[1] سُـدًى مـن بعـدِ عـيسى واكـتـرثْ

أَرسَـــلَ فينـــا أحـمـــدًا خـيـرَ نـبـىٍّ قـد بُـعِـثْ

صَـلَّـى عـلـيـه الـلَّـهُ مـا حـجَّ لـه رَكْـبٌ وحَـثّ

وفيه مِن إنشادِ قُسّ بنِ سَاعِدَةَ:

يا ناعِىَ المَوتِ والملحودُ[2] فى جَدَثٍ عليهِمُ مِن بقايا بَزِّهم[3] خِرَقُ

دَعْهم فإنَّ لهم يومًا يُصاحُ بهم فهم إذا انْتَبَهوا مِن نَومِهم أَرِقوا

حتى يعُودوا بحالٍ غيرِ حالِهِمُ خَلْقًا جَدِيدًا كما مِن قبلِه خُلِقوا

منهم عُراةٌ ومنهم فى ثيابِهِمُ منها الجَديدُ ومنها المُنْهَجُ[4] الخَلَقُ

ثُم رواه البيهقىُّ[5] عن أبى[6] مُحمدٍ[7] عبدِ اللَّهِ بنِ يُوسُفَ بنِ أحمدَ الأَصْبَهانىِّ، حدَّثنا أبو بكرٍ أحمدُ بنُ سعيدِ بنِ فَرْضَخٍ الإِخْميمىُّ بمكَّةَ، ثنا القاسمُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ مهدىٍّ، ثنا أبو عُبيدِ اللَّهِ سعيدُ بنُ عبدِ الرَّحمنِ

---

(١) سقط من: الأصل، ا ٩، ص.

(٢) فى الأصل: «المنعوت».

(٣) البز: نوع من الثياب. فى الأصل، ا ٩، م: «قولهم»، وفى ص: «نومهم».

(٤) أنهج الثوب: أخلقه.

(٥) الدلائل للبيهقى ٢/ ١٠٢.

(٦) سقط من: الأصل، ا ٩، م.

(٧) بعده فى م: «بن».

المخزومىُّ ، ثنا سفيانُ بنُ عُيَيْنَةَ ، عن أبى حَمزةَ الثُّمالىِّ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عبَّاسٍ . فذكَر القصَّةَ ، وذكَر الإنشادَ ، قال : فوجَدوا عندَ رأسِه صحيفةً فيها :

يا ناعِىَ المَوتِ والأمواتُ فى جَدَثٍ عليهمُ مِن بقايا ثَوْبِهِم[1] خِرَقُ

دَعْهم فإنَّ لهم يومًا يُصاحُ بهمْ كما ينبَّهُ من نَوْماتِه الصَّعِقُ

منهم عُراةٌ ومَوْتَى فى ثيابِهِمُ منها الجَديدُ ومنها الأزرَقُ الخَلَقُ

فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « والذى بَعَثَنى بالحقِّ ، لقد آمَنَ قُسٌّ بالبَعْثِ » . وأَصْلُه مشهورٌ ، وهذه الطُّرقُ على ضَعْفِها ، كالمُتَعاضِدَةِ على إثباتِ أَصْلِ القِصَّةِ ، وقد تكلَّم أبو محمدٍ ابنُ دَرَسْتَوَيْهِ على غريبِ ما وقَع فى [2]هذه الأحاديث[2] [3] .

وقال البَيْهَقِىُّ[4] : أنا أبو سَعْدٍ[5] بنُ محمدِ بنِ أحمدَ الشُّعَيْثِىُّ ، ثنا أبو عمرِو ابنُ أبى طاهرٍ المحَمَّدُأباذِى ، لفظًا ، ثنا أبو لُبابَةَ محمدُ بنُ المهدىِّ الأَبِيوَرْدِىُّ[6] ، ثنا أبى ، ثنا سعيدُ بنُ هُبَيْرةَ ، ثنا المُعْتَمِرُ بنُ سُليمانَ ، عن أبيه ، [١/ ٢٤٠ ظ] عن

---

(١) فى النسخ : « نومهم » . والمثبت من الدلائل .

(٢ - ٢) فى الأصل ، م ، ص : « هذا الحديث » .

(٣) بعده فى الأصل ، م ، ص : « وأكثره ظاهر إن شاء اللَّه تعالى ، وما كان فيه غرابة شديدة نبهنا عليه فى الحواشى » . ولعل هذا مدرج من كلام بعض النساخ ، ومن طريقة المصنف - رحمه اللَّه - تبيين ما فيه غرابة ونحوه فى أصل الكتاب . كما مر .

(٤) الدلائل للبيهقى ٢/ ١٠١.

(٥) فى النسخ : « سعيد » وهو خطأ ، والمثبت من الدلائل .

(٦) فى النسخ : « الأموردى » ، والمثبت من الدلائل .

أنسِ بنِ مالكٍ ، قال : قَدِمَ وَفْدُ إيادٍ على النبيِّ ﷺ ، فقال : « ما فعل قُسُّ بنُ ساعدةَ ؟ » قالوا : هَلَك . قال : « أما إنِّى سَمِعتُ منه كلامًا أُرى أنِّى أحفظُه » . فقال بعضُ القومِ : نحن نَحْفَظُه يا رسولَ اللَّهِ . قال : « هاتوا » . فقال قائلُهم : إنى واقِفٌ بسُوقِ عُكاظٍ ، فقال : يا أيُّها النَّاسُ اسْتَمِعُوا واسْمَعوا وعُوا ، كُلُّ مَنْ عاش مات ، وكلُّ مَن مات فات ، وكلُّ ما هو آتٍ آتٍ ، لَيلٌ داجٍ ، وسماءٌ ذَاتُ أبراجٍ ، ونجومٌ تَزْهَرُ ، وبحارٌ تَزْخَرُ ، وجِبالٌ مَرسِيَّةٌ ، وأنهارٌ مَجْرِيَّةٌ ، إنَّ فى السماءِ لَخَبَرًا ، وإنَّ فى الأرضِ لعبرًا ، أرى الناسَ يَمُوتونَ[1] ولا يَرْجِعون ، أَرَضُوا بالإِقامةِ فأقاموا ، أم تُرِكوا فناموا ؟! أَقْسَمَ قُسٌّ قَسَمًا باللَّهِ لا إِثْمَ فيه ، إنَّ للَّهِ دينًا هو أرضَى مما أنتم عليه . ثم أنشأ يقولُ :

فى الذاهبين الأوَّليـ ... ـنَ مِن القرونِ لنا بصائرْ

لمَّا رأيتُ [2]مَواردًا ... للموتِ[2] ليس لها مصادِرْ

ورأيتُ قومى نحوَها ... يَمضِى الأكابرُ والأصاغرْ

أيقَنتُ أنِّى لا مَحا ... لَةَ حيثُ صار القومُ صائرْ

ثُم ساقَه البَيْهقِىُّ من طُرُقٍ أُخَرَ ، قد نبَّهْنا عليها فيما تقدَّم ، ثُم قال[3] بعدَ ذلك كلِّه : وقد رُوِى هذا الحديثُ عن الكَلْبِىِّ ، عن أبى صالحٍ ، عن ابنِ عبَّاسٍ بزيادةٍ ونُقصانٍ . ورُوِىَ مِن وجهٍ آخرَ عن الحسنِ البَصْرىِّ مُنقطِعًا ، ورُوِى مختصرًا مِن حديثِ سعدِ بنِ أبى وقَّاصٍ ، وأبى هريرةَ . قلتُ : وعُبادةَ بنِ

---

(١) كذا فى النسخ ، وفى الدلائل : « يمرون » .

(٢ - ٢) فى النسخ : « مصارعا للقوم » ، والمثبت من الدلائل .

(٣) الدلائل للبيهقى ٢/ ١١٣.

الصامتِ - كما تقدم - وعبدِ اللَّهِ بنِ مَسعودٍ ، كما رواه أبو نُعَيم فى كتابِ « الدَّلائلِ » ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عثمانَ الوَاسِطىِّ ، عن أبى الوليدِ طريفِ ابنِ عبيدِ اللَّهِ ، مَوْلَى علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، بالمَوْصِلِ ، عن يَحْيى بنِ عبدِ الحَميدِ الحِمَّانىِّ ، عن أبى مُعاويةَ ، عن الأَعْمَشِ ، عن أبى الضُّحَى ، عَن مَسْرُوقٍ ، عن ابنِ مسعودٍ ، فذكره . ورَوَى أبو نُعَيم أيضًا حَدِيثَ عُبادةَ المتقدِّمَ وسَعدِ بنِ أبى وَقَّاصٍ . ثُم قال البَيْهَقىُّ[1] : وإذا رُوِىَ الحدِيثُ من أَوْجُهٍ أُخَرَ ، وإنْ كان بَعضُها ضَعيفًا ، دَلَّ على أنَّ للحديثِ أصلًا . و اللَّهُ أعلمُ .

---

(١) المصدر السابق .

زَيْدُ بنُ عَمْرِو بنِ نُفَيْلٍ،

رَضِىَ اللّهُ عنه

هُو زَيْدُ بنُ عمرِو بنِ نُفَيْلِ بنِ عبدِ العُزَّى بنِ رياحِ[(١)] بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ قُرْطِ[(٢)] ابنِ رَزاحِ بنِ عدىٍّ بنِ كَعبِ بنِ لُؤَىٍّ القُرَشىُّ العَدَوِىُّ، وكان الخَطَّابُ - والدُ عُمرَ بنِ الخطَّابِ - عَمَّه وأخاه لأُمِّه؛ وذلكَ لأنَّ عَمرَو بنَ نُفَيلٍ، كان قد خَلَفَ على امرأةِ أبيه[(٣)] بعدَ أبيه، وكان لها من نُفَيْلٍ أَخُوه الخطَّابُ. قاله الزُّبيرُ ابنُ بَكَّارٍ، ومحمدُ بنُ إسحاقَ[(٤)]. وكان زَيدُ بنُ عَمْرٍو، قد تَرَك عِبادةَ الأَوثانِ وفارَقَ دِينَهم، وكان لا يَأْكُلُ إلَّا ما ذُبِحَ على اسمِ اللَّهِ وحدَه، قال يونسُ بنُ بُكَيرٍ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ، حدَّثنى هِشَامُ بنُ عُرْوَةَ، عن أبيه، عن أسماءَ بنتِ أبى بكرٍ قالتْ: لقد رَأيْتُ زَيدَ بنَ عَمرِو بنِ نُفيلٍ مُسنِدًا ظَهْرَه إلى الكَعبةِ، يُقولُ: يا معشرَ قُريشٍ! والَّذى نَفْسُ زَيْدٍ بيدِه، ما أَصْبَح أحدٌ منكم على دِينِ إبراهيمَ غيرى. ثُم يَقُولُ: اللَّهُمَّ! إنِّى لَو أَعْلَمُ أَحَبَّ الوُجُوهِ إليكَ عَبَدْتُكَ به، ولكنى لا أَعْلَمُ. ثُم يَسْجُدُ على راحلتِه، وكذا رَواه أبو أُسامةَ عن هِشامٍ به[(٥)]، وزاد: وكان يُصَلِّى إلى الكَعْبَةِ، وَيقولُ: إلهى إلهُ إبراهيمَ، ودِينى دِينُ إبراهيمَ.

---

(١) فى الأصل، ا ٩، ص: «رباح». وانظر: «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ص ١٥٠.

(٢) فى الأصل، م، ص: «قرظ». وانظر: «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ص ١٥٠.

(٣) فى ص: «ابنه».

(٤) انظر تاريخ دمشق ١٩/ ٤٩٤، ٤٩٥.

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٩/ ٥٠٥، من طريق هشام به.

وكان يُحيِي المَوْءُودَةَ، ويَقولُ للرَّجُلِ إذا أراد أن يَقْتُلَ ابنتَه: لا تَقْتُلْها، ادْفَعْها إلىَّ أكْفُلْها. فإذا تَرَعْرَعَتْ قال[1]: إنْ شِئْتَ فخُذْها، وإنْ شِئْتَ فادْفَعْها. أخْرَجه النَّسائىُّ[2] مِن طَرِيقِ أبى أُسامةَ، وعَلَّقَه البُخارِىُّ[3]، فقال: وقال اللَّيْثُ: كَتَب إلَىَّ هِشامُ بنُ عُرْوَةَ، عن أبيه به.

وقال يونسُ بنُ بُكَيرٍ، عن محمدِ بنِ إسْحاقَ[4]: وقد كان نَفَرٌ مِن قُرَيشٍ؛ زَيْدُ بنُ عمرِو بنِ نُفَيْلٍ، ووَرَقَةُ بنُ نَوْفَلِ بنِ أَسَدِ بنِ عَبْدِ العُزَّى، وعُثْمانُ بنُ الحُوَيْرِثِ بنِ أسدِ بنِ عبدِ العُزَّى، وعُبَيْدُ[5] اللَّهِ بنُ جَحْشِ بنِ رِئابِ بنِ يَعْمَرَ بنِ صَبِرةَ بنِ مُرَّةَ[6] بنِ كبيرِ بنِ غَنْمِ بنِ دُودانَ بنِ[7] أسدِ بنِ خُزَيْمةَ، وأُمُّه أميمةُ بنتُ [١/ ٢٤١و] عبدِ المطلبِ، وأخْتُه زينبُ بنتُ جحشٍ - الَّتِى تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، بَعْدَ مَوْلَاه زَيْدِ بنِ حارِثَةَ، كَمَا سَيَأْتِى بَيَانُه - حَضَرُوا قُرَيْشًا عِنْدَ وَثَنٍ لهم كَانُوا يَذْبَحُونَ عِنْدَه لعِيدٍ مِن أَعْيَادِهِم، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا، خَلَا بَعْضُ أُولَئِك النَّفَرِ إِلَى بَعْضٍ، وقَالُوا: تَصَادَقُوا وَلْيَكْتُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ. فَقَالَ قَائِلُهُمْ: تَعْلَمُنَّ، وَاللَّهِ مَا قَوْمُكُم عَلَى شَىْءٍ، لَقَدْ أخطئوا دِينَ إبْرَاهِيمَ وَخَالَفُوه، مَا وَثَنٌ يُعْبَدُ لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ؟! فَابْتَغُوا لأَنْفُسِكُم. فخَرَجُوا يَطْلُبُونَ ويَسيرُونَ فى الأَرْضِ، يَلْتَمِسُونَ أَهلَ كِتَابٍ مِن اليَهُودِ وَالنَّصارَى، وَالمِلَلِ كُلِّها

---

(١) بعده فى البخارى: «لأبيها».

(٢) النسائى فى الكبرى (٨١٨٧).

(٣) البخارى: (٣٨٢٨).

(٤) سيرة ابن إسحاق ص ٩٥، ٩٦.

(٥) فى الأصل، م، ص: «عبد».

(٦) فى الأصل، م، ص: «برة». وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٢٢٣.

(٧) بعده فى الأصل، م، ص: «أسعد بن». وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٢٢٣.

يَسْأَلونهم[(١)] الحَنيفيَّةَ دِينَ إبْرَاهِيمَ، فَأَمَّا وَرَقَةُ بنُ نَوْفَلٍ فَتَنَصَّرَ وَاسْتَحْكَمَ فِي النَّصْرَانِيةِ واتَّبَعَ[(٢)] الكُتُبَ مِنْ أَهْلِهَا، حَتَّى عَلِمَ عِلْمًا كَثِيرًا مِن أَهْلِ الكِتَابِ، ولم يَكُنْ فِيهِم أَعْدَلُ أَمرًا وَأعْدَلُ شَأْنًا[(٣)] مِن زَيْدِ بنِ عَمْرِو بنِ نُفَيْلٍ، اعْتَزَلَ الأَوْثانَ، وفارَقَ الأَدْيانَ مِن اليَهُودِ والنَّصارَى وَالمِلَلِ كُلِّها إِلَّا دِينَ الحَنِيفِيَّةِ دِينَ إِبْرَاهِيمَ؛ يُوَحِّدُ اللَّهَ وَيَخْلَعُ مَن دُونَه، وَلَا يَأْكُلُ ذَبَائِحَ قَوْمِه، باداهم[(٤)] بالفِرَاقِ لِمَا هُمْ فِيهِ. قَالَ[(٥)]: وَكَانَ الخَطَّابُ قد آذاهُ أَذًى كثيرًا، حَتَّى خَرَجَ مِنْهُ إِلَى أَعْلَى مَكَّةَ، وَوَكَلَ بِهِ الخَطَّابُ شَبَابًا مِنْ قُرَيْشٍ وَسُفَهَاءَ مِنْ سُفَهائِهِم، فَقَالَ: لَا تَتْرُكُوه يَدْخُلُ مَكَّةَ[(٦)]، فَكَانَ لَا يَدْخُلُها إِلَّا سِرًّا مِنهم، فَإِذَا عَلِمُوا بِهِ أَخْرَجُوه وَآذَوْه، كَرَاهِيَةَ أَنْ يُفْسِدَ عليهم دِينَهم، أو يُتَابِعَه أَحَدٌ على[(٧)] مَا هو عليه. وَقَالَ مُوسَى بنُ عُقْبَةَ: سَمِعْتُ مَن أَرْضَى يُحَدِّثُ عن زَيْدِ بنِ عَمْرِو بنِ نُفَيْلٍ، كَانَ يَعِيبُ عَلَى قُرَيْشٍ ذَبائِحهَم، ويَقُولُ: الشَّاةُ خَلَقَها اللَّهُ، وَأَنْزَلَ لَهَا مِن السَّمَاءِ مَاءً، وَأَنْبَتَ لَهَا مِنَ الأَرْضِ، لِمَ تَذْبَحُونَها عَلَى غَيْرِ اسْمِ اللَّهِ؟ إِنْكَارًا لذلك وَإِعْظَامًا له. وَقَالَ يُونُسُ، عن ابنِ إِسْحَاقَ: وَقَدْ كَانَ زَيْدُ بنُ عَمْرِو بنِ نُفَيْلٍ قَدْ عَزَمَ عَلَى الخُرُوجِ مِن مَكَّةَ، يَضْرِبُ فِي الأَرْضِ يَطْلُبُ الحَنِيفيَّةَ دينَ إِبْرَاهِيمَ، وَكَانَت امْرَأَتُهُ صَفِيَّةُ بِنْتُ الحَضْرَمِيِّ كُلَّمَا أَبْصَرَتْه قَد نَهَضَ لِلْخُرُوجِ وَأَرادَه، آذَنَتِ الخَطَّابَ بنَ نُفَيْلٍ، فَخَرَجَ زَيْدٌ إِلَى الشَّامِ؛ يَلْتَمِسُ

---

(١) زيادة من: ا ٩.

(٢) فى م، ص: «ابتغى».

(٣) فى الأصل، م: «ثباتا».

(٤) فى م: «فأذاهم».

(٥) سيرة ابن إسحاق ص ٩٧.

(٦) سقط من: الأصل، م، ص.

(٧) فى م: «إلى».

وَيطْلُبُ فِى أَهْلِ الكِتَابِ الأَوَّلِ دِينَ إِبْرَاهِيمَ ، وَيَسْأَلُ عَنْهُ ، وَلَمْ يَزَلْ فى ذلك ، فِيمَا يَزْعُمُونَ ، حتى أَتَى المَوْصِلَ وَالجزِيرَةَ كُلَّها ، ثُم أَقْبَلَ حَتَّى أَتَى الشَّامَ ، فَجَالَ فِيهَا حَتَّى أَتَى رَاهِبًا بِبِيعَةٍ مِن أَرْضِ البَلْقَاءِ ، كَانَ يَنْتَهِى إِلَيْهِ عِلْمُ النَّصْرَانِيَّةِ ، فِيمَا يَزْعُمُونَ ، فَسَأَلَه عَن الحَنِيفيَّةِ دِينِ إِبْراهِيمَ ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ : إِنَّكَ لَتَسْأَلُ عن دِينٍ ما أَنْتَ بِواجِدٍ مَن يَحْمِلُك عليه اليَوْمَ ، لقد دَرَسَ مَن عَلِمَه وذَهَبَ مَن كَانَ يَعْرِفُه ، وَلَكِنَّه قَدْ أَظَلَّكَ[1] خُرُوجُ نَبِيٍّ ، وهَذَا زَمَانُه . وقد كَانَ شَامَ[2] اليَهُودِيَّةَ وَالنَّصْرانِيَّةَ ، فلم يَرْضَ شَيْئًا مِنها ؛ فخَرَجَ سَرِيعًا حِينَ قَالَ لَه الرَّاهِبُ مَا قَالَ ، يُرِيدُ مَكَّةَ ، حَتَّى إِذا كانَ بِأَرْضِ لَخْمٍ عَدَوْا عَلَيْه فَقَتَلُوه ، فَقَالَ وَرَقَةُ يَرْثِيه :

رشَدْتَ وَأَنْعَمْتَ ابنَ عَمْرٍو وَإِنَّما ... تَجَنَّبتَ تَنُّورًا مِنَ النَّارِ حَامِيا

بدَيْنِكَ ربًّا ليسَ ربٌّ كمِثْلِه ... وَتَرْكِكَ أَوْثَانَ الطَّوَاغِى كَمَا هِيا

وَقَدْ تُدْرِكُ الإِنْسَانَ رَحْمَةُ رَبِّه ... وَلَوْ كَانَ تَحْتَ الأَرْضِ سِتِّينَ وَادِيا

وَقالَ مُحمَّدُ بنُ عُثْمانَ بنِ أَبى شَيْبَةَ : حَدَّثَنا أَحْمَدُ بنُ طَارِقٍ الوَابِشِىُّ ، ثَنَا عَمْرُو بنُ عَطِيَّةَ ، عَنْ أَبِيه ، عَنْ ابنِ عُمَرَ ، عَنْ زَيْدِ بنِ عَمْرِو بنِ نُفَيْلٍ ، أَنَّه كَانَ يَتَأَلَّهُ فِى الجَاهِلِيَّةِ ، فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى رَجُلًا مِن اليَهُودِ ، فَقَالَ لَهُ : أُحِبُّ أَنْ تُدْخِلَنِى معك فى دِينِك . فَقَالَ له اليَهُودِىُّ : لَا أُدْخِلُكَ فِى دِينِي حتى تَبُوءَ بِنَصِيبِك مِن غَضَبِ اللَّهِ . فَقَالَ : مِن غَضَبِ اللَّهِ أَفِرُّ . فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى نَصْرَانِيًّا ، فَقَالَ لَه : أُحِبُّ أَنْ تُدْخِلَنِى مَعك فِى دِينِك . فَقَالَ : لَسْتُ أُدْخِلُك

---

(١) فى م : « أظل » .

(٢) شامه : نظر ما عنده .

فى دِينِى حَتَّى تَبُوءَ بِنَصِيبِكَ مِنَ الضَّلالَةِ . فَقَالَ : مِنَ الضَّلَالَةِ أَفِرُّ . قَالَ لَه النَّصْرَانِىُّ : فَإِنِّى أَدُلُّك على دِينٍ إن اتَّبَعْتَه اهْتَدَيْتَ . قَالَ : أَىُّ دِينٍ ؟ قَالَ : دِينُ إِبْرَاهِيمَ . قَالَ : فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّى أُشْهِدُكَ أَنِّى عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ ، عليه أَحْيا ، وعليه أَمُوتُ . [١/٢٤١ ظ] قَالَ : فَذُكِرَ شَأْنُه للنَّبِىِّ ﷺ ، فَقَالَ : « هُو أُمَّةٌ وَحْدَه يَوْمَ القِيَامَةِ »[(١)] .

وقَد رَوَى موسى بنُ عُقْبَةَ ، عَن سَالِمٍ ، عن ابنِ عُمَرَ ، نَحْوَ هَذَا[(٢)] . وقالَ مُحَمَّدُ بنُ سَعْدٍ[(٣)] : حَدَّثَنا عَلِىُّ بنُ مُحمَّدِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ سَيْفٍ[(٤)] القُرَشِىُّ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ[(٥] بنِ مُجالِدٍ[٥)] عَنْ مُجالِدٍ ، عَنِ الشَّعْبِىِّ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ زَيْدِ ابنِ الخَطَّابِ ، قَالَ : قَالَ زَيْدُ بنُ عَمْرِو بنِ نُفَيْلٍ : شَامَمْت اليَهُودِيَّةَ وَالنَّصْرَانِيَّةَ فَكَرِهْتُهما ، فَكُنْتُ بِالشَّامِ ومَا وَالَاه ، حَتَّى أَتَيْتُ رَاهِبًا فى صَوْمَعةٍ [(٦] فَوَقَفْتُ عليه[٦)] ، فَذَكَرتُ له اغْتِرَابِى عن قَوْمِى وكَرَاهِتِى عِبادَةَ الأَوْثَانِ واليَهُودِيَّةِ والنَّصْرَانيَّةَ ، فَقَال لى[(٧)] : أَرَاكَ تُرِيدُ دِينَ إبراهِيمَ يا أَخَا أَهْلِ مَكَّةَ ، إِنَّكَ لَتَطْلُبُ دِينًا مَا يُوجَدُ اليَوْمَ [(٨] أَحَدٌ يَدِينُ[٨)] بِهِ ، وهو دِينُ أَبِيكَ إبراهِيمَ كانَ حَنِيفًا ، لَمْ يَكُنْ يَهُودِيًّا ولا نَصْرَانيًّا ، كَانَ يُصَلِّى ويَسْجُدُ إِلى هذا البَيْتِ الَّذِى بِبِلَادِك ،

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٩/ ٤٩٨، من طريق محمد بن عثمان بن أبى شيبة به.

(٢) ذكره البخارى فى صحيحه معلقا بصيغة الجزم (٣٨٢٧) . قال الحافظ فى الفتح ٧/ ١٤٤: والخبر موصول بالإسناد المذكور إليه. أى الذى قبله فى الصحيح.

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٩/ ٤٩٨، من طريق محمد بن سعد به.

(٤) فى التاريخ : «أبى سيف».

(٥ - ٥) سقط من : ا ٩، م.

(٦ - ٦) سقط من : الأصل ، م.

(٧) فى الأصل ، م: «له».

(٨ - ٨) سقط من : الأصل ، ص، وتاريخ دمشق.

فالْحَقْ بِبَلَدِكَ، فَإِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مِنْ قَوْمِكَ فى بَلَدِكَ مَن يَأْتِى بِدينِ إبراهِيمَ الحَنِيفِيَّةِ، وهو أَكْرَمُ الخَلْقِ على اللَّهِ.

وَقَالَ يُونُسُ، عَنْ ابنِ إِسْحَاقَ[1] : حَدَّثَنِى بَعْضُ آلِ زَيْدِ بنِ عَمْرِو بنِ نُفَيْلٍ : إنَّ زَيْدًا كَان إِذَا دَخَلَ الكَعبةَ، قالَ : لَبَّيْكَ حَقًّا حَقًّا، تَعَبُّدًا وَرِقًّا، عُذْتُ بِمَا عَاذَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ وَهُوَ قَائِمٌ إِذْ قال[2] :

أَنْفِى لَكَ اللَّهُمَّ[3] عَانٍ رَاغِمُ مَهْمَا تُجَشِّمْنى فإِنِّى جَاشِمُ

البِرَّ أبْغِي لا الخال[4]، لَيْسَ مُهَجِّرٌ[5] كَمَنْ قَال.

وَقَالَ أَبُو دَاودَ الطَّيَالِسِيُّ[6] : حَدَّثَنا المَسْعُودِيُّ، عن نُفَيْلِ بنِ هِشَامِ[7] بنِ سَعِيدِ بنِ زَيْدِ بنِ عَمْرِو بنِ نُفَيْلٍ العَدَوِيِّ، عن أَبِيه، عن جَدِّه، أَنَّ زَيْدَ بنَ عَمْرٍو ووَرَقَةَ بنَ نَوْفَلٍ خَرَجَا يَلْتَمسَان الدِّينَ حَتَّى انْتَهَيا إِلى راهِبٍ بالمَوْصِلِ، فقالَ لِزَيدِ بنِ عَمْرٍو : مِنْ أَينَ أَقْبَلْتَ يا صاحِبَ البَعِيرِ؟ فقالَ : مِن بَنِيَّةِ إِبْرَاهِيمَ. فقالَ : وما تَلْتَمِسُ؟ قال : أَلْتَمِسُ الدِّينَ. قَالَ : ارْجِعْ، فإِنَّه يُوشِكُ أَن يَظْهَرَ فِى أَرضِك. قَالَ : فَأَمَّا وَرَقَةُ فتَنَصَّرَ، وأَمَّا أَنَا فَعَزَمْتُ على النَّصرانِيَّةِ فلم يُوافِقْنِى. فرَجَعَ وهو يَقُولُ :

---

(١) سيرة ابن إسحاق ص ٩٦. وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٢٣٠.

(٢) بعده فى النسخ : «إلهى».

(٣) سقط من النسخ. والمثبت مقتبس من الأثر الذى بعده. وهو لازم لوزن البيت.

(٤) الخال : الخيلاء والكبر.

(٥) المهجِّر : الذى يسير فى الهاجرة. أى ليس من هجر كمن آثر الراحة فى القائلة والنوم.

(٦) مسند الطيالسى (٢٣٤).

(٧) فى مسند الطيالسى : «هاشم».

لَبَّيْكَ حَقًّا حَقًّا تَعَبُّدًا وَرِقًّا

البِرَّ أَبْغِي لَا حلالْ[1] فَهَلْ مُهَجِّرٌ كَمَنْ قَالْ

آمَنْتُ بِمَا آمَنَ به إِبْرَاهِيمُ ، وهو يَقُولُ :

أَنْفِي لكَ اللَّهُمَّ[2] عَانٍ رَاغِمُ مَهْمَا تُجَشِّمْنِي[3] فَإِنِّي جاشِمُ

ثُمَّ يَخِرُّ فيَسْجُدُ . قال : وجاءَ ابنهُ - يَعْنِي سعيدَ بنَ زَيْدٍ أَحَدَ العَشَرَةِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ أَبِي كَما رَأَيْتَ وكَما بَلَغَك ، فَاسْتَغْفِرْ له . قَالَ : « نَعَمْ ؛ فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ القِيَامَةِ أُمَّةً وَحْدَه[4] » . قالَ : وأَتَى زَيْدُ بنُ عَمْرٍو[5] على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ومعه زَيْدُ بنُ حَارِثَةَ ، وهما يَأْكُلانِ مِن سُفْرَةٍ لَهُما ، فدَعَواه لِطَعامِهِما ، فَقَالَ زَيْدُ بنُ عَمْرٍو : يا بنَ أخي ، أنا لا آكُلُ مِمَّا ذُبِحَ على النُّصُبِ .

وقالَ محمدُ بنُ سعدٍ[6] : حدَّثنا محمدُ بنُ عُمَرَ[7] ، حدَّثنى أبو بكر ابنُ أبي سَبْرَةَ ، عن موسى بنِ مَيْسَرةَ ، عن ابنِ أبي مُلَيْكَةَ ، عن حُجَيْرِ[8] بنِ أبي إهابٍ ، قال : رأيتُ زَيدَ بنَ عَمْرٍو ، وأنا عندَ صنمِ بُوانَةَ بعدَما رَجَع مِن الشّامِ ، وهو يُراقِبُ الشَّمْسَ ، فإذا زالتِ اسْتَقْبَلَ الكعبةَ ، فصلَّى ركعةً و[9] سَجْدَتَيْنِ ، ثمَّ يقولُ : هذه قبلةُ إبراهيمَ وإسماعيلَ ، لا أعبدُ حَجَرًا ولا أُصَلِّي

---

(1) فى الأصل ، م ، ص : « أنحال » ، وفى ا ٩ : « الحال » . والمثبت من مسند الطيالسى .
(2) سقط من : النسخ . والمثبت من مسند الطيالسى . وهو لازم لوزن البيت .
(3) جشَّمه أمرًا : كلَّفه إياه .
(4) فى النسخ : « واحدة » . والمثبت من مسند أبى داود الطيالسى .
(5) بعده فى ا ٩ ، ص : « بن زيد » .
(6) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٧٩ ، ٣٨٠ .
(7) فى النسخ : « عمرو » . وانظر تهذيب الكمال ٢٦/ ١٨٠ .
(8) فى الأصل ، م ، ص : « حجر » .
(9) سقط من : م .

له، ولا آكُلُ ما ذُبِحَ له، ولا أَسْتَقْسِمُ بِالأَزْلامِ[(1] وأنا[1)] أُصَلِّى [(2] إلى هذا[2)] البيتِ حتَّى أَمُوتَ. وكان يَحُجُّ فيَقِفُ بِعَرَفَةَ، وكان يُلَبِّى، فيقولُ: لَبَّيْكَ لا شريكَ لك، ولا نِدَّ لك. ثم يَدْفَعُ مِن عَرَفَةَ ماشيًا، وهو يقولُ: لَبَّيْكَ مُتَعَبِّدًا مَرْقُوقًا.

وقال الواقِدِيُّ[3]: حدَّثنى علىُّ بنُ عيسى الحَكَمِيُّ، عن أبيه، عن عامرِ بنِ رَبيعَةَ، قال: سمعتُ زيدَ بنَ عَمْرِو بنِ نُفَيلٍ يَقُولُ: أنا أَنْتَظِرُ نبيًّا مِن وَلَدِ إسماعيلَ، ثم مِن بنى عبدِ المُطَّلِبِ، ولا أُرانى أُدْرِكُه، وأنا أُومِنُ به وأُصَدِّقُهُ وأَشْهَدُ أنه نبيٌّ، فإن طالت بك مُدَّةٌ فرأيتَه، فأَقْرِئْه منِّى السَّلامَ، وسأُخْبِرُك ما نَعْتُه؛ حتى لا يَخْفَى عليك. قلت: هَلُمَّ. قال: هو رجلٌ ليس بالطَّويلِ ولا بالقَصِيرِ، ولا بكَثِيرِ الشَّعْرِ ولا بقَلِيلِه، وليَسَتْ تفارقُ عينَه حُمْرَةٌ، وخاتَمُ النُّبوَّةِ بينَ كَتِفَيْه، واسمُه أحمدُ، وهذا البلدُ مولدُه ومَبعثُه، ثُمَّ يُخْرِجُه قومُه منها، ويَكْرَهون ما جاء به؛ حتى يُهاجِرَ إلى يَثْرِبَ، فيَظْهرَ أمرُه، فإيَّاك أن تُخْدَعَ عنه، فإنِّى طُفْتُ البلادَ كلَّها أطلبُ دينَ إبْراهيمَ، فكان مَن [١/ ٢٤٢و] أسأَلُ مِن اليهودِ والنَّصارَى والمجوسِ يقولون: هذا الدِّينُ وراءَك. ويَنْعَتُونَه مثلَ ما نَعَتُّه لك، ويقولون: لم يَبْقَ نبيٌّ غيرُه. قال عامرُ بنُ ربيعةَ: فلَمَّا أسلمتُ، أَخْبَرتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ قولَ زيدِ بنِ عمرٍو، وأَقْرَأْتُه منه السَّلامَ، فردَّ عليه السلامَ وتَرَحَّم عليه، وقال: «قد رأيتُه فى الجنَّةِ يَسْحَبُ ذُيُولًا».

(١ - ١) فى ا ٩، م: «وإنما».

(٢ - ٢) فى ا ٩، م: «لهذا».

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٩/ ٥٠٤، من طريق الواقدى به.

وقال البخاريُّ فى «صحيحهِ»[1] : ذِكْرُ زيدِ بن عمرِو بنِ نُفَيْلٍ : حدَّثنا محمدُ بنُ أبى بكرٍ ، حدَّثنا فُضَيْلُ بن سُلَيْمانَ ، حَدَّثنا موسى بنُ عُقْبَةَ ، حدَّثنى سالمُ[2] بنُ عبدِ اللَّهِ[2] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، أنَّ النَّبىَّ ﷺ لَقِىَ زيدَ بنَ عمرِو ابنِ نُفيلٍ بأسْفَلِ بَلْدَحَ[3] ، قبلَ أن يَنْزِلَ على النبيِّ ﷺ الوَحْىُ ، فَقُدِّمَتْ إلى النبيِّ ﷺ سُفْرَةٌ ، فأبَى أن يأْكُلَ منها ، ثم قال زيدٌ : إنِّى لستُ آكُلُ مما تَذْبَحُون على أنْصابِكم ، ولا آكُلُ إلَّا ما ذُكِرَ اسمُ اللَّهِ عليه . وإنَّ زيدَ بنَ عمرٍو كان[4] يَعِيبُ على قُرَيْشٍ ذَبائحَهم ، ويقولُ : الشاةُ خَلَقَها اللَّهُ ، وأنزلَ لها مِن السَّماءِ الماءَ ، وأنبتَ لها مِن الأرضِ ، ثم تَذْبَحُونَها على غيرِ اسمِ اللَّهِ . إنكارًا لذلك وإعظامًا له .

قال موسى بنُ عقبةَ : وحدَّثنى سالمُ بنُ عبدِ اللَّهِ - ولا أعْلَمُه إلَّا تَحدَّثَ به عن ابنِ عمرَ - أنَّ زيدَ بنَ عمرِو بنِ نفيلٍ خرجَ إلى الشامِ ، يسألُ عن الدِّينِ ويَتْبَعُه ، فَلِقَى عالمًا مِن اليهود ، فسأله عن دينِهم ، فقال : إنِّى لَعَلِّى أن أَدِينَ دِينَكم ، فأَخْبِرْنى . فقال : إنَّك لا تَكُونُ على دِينِنا حتى تأخذَ بنَصِيبِك مِن غَضَبِ اللَّهِ . قال زيدٌ : ما أَفِرُّ إلَّا مِن غَضَبِ اللَّهِ تعالى ، ولا أحمِلُ مِن غَضَبِ اللَّهِ شيئًا ، ولا أَسْتَطِيعُه ، فهل تَدُلُّنى على غيرِه ؟ قال : ما أَعْلَمُه إلَّا أن تكونَ حَنِيفًا . قال زيدٌ : وما الحنيفُ ؟ قال : دينُ إبراهيمَ ، عليه السَّلامُ ، لم يكنْ يهوديًّا ولا نصرانيًّا ، ولا يَعْبُدُ إلا اللَّهَ . فخرج زيدٌ فلَقِىَ عالِمًا مِن النَّصارى ،

---

(١) البخارى (٣٨٢٦ - ٣٨٢٨).

(٢ - ٢) سقط من: الأصل ، م.

(٣) بلدح : وادٍ قِبَل مكة . وانظر الفتح ١٤٣/٧.

(٤) سقط من: الأصل ، م.

فَذكَر مِثْلَه ؛ فقال : لن تكونَ على دينِنا حتى تأخُذَ بنصيبِك مِن [(1)] لَعْنَةِ اللَّهِ . قَال : ما أَفِرُّ إلا مِن لعنةِ اللَّهِ ، ولا أَحْمِلُ من لعنةِ اللَّهِ ، ولا مِن غَضَبِه شيئًا أبدًا ، ولا أَسْتَطِيعُ ، فهل تَدُلُّنى [(1)] على غيرِهِ ؟ قال : ما أَعْلَمُه إلَّا أن تَكُونَ حَنِيفًا . قال : وما الحنيفُ ؟ قال : دينُ إبراهيمَ ، لم يَكُنْ يَهُودِيًّا ولا نَصْرانيًّا ولا يَعْبُدُ إلَّا اللَّهَ . فلمَّا رأى زيدٌ قولَهم فى إبراهيمَ ، خَرَج فَلمَّا بَرَز رفعَ يَدَيْه ، فقال : اللهمَّ إنِّى أُشهِدُكَ أنِّى على دينِ إبراهيمَ . قال : وقال الليثُ : كتَبَ إلىَّ هشامُ بنُ عُرْوةَ ، عن أبيه ، عن أسماءَ بنتِ أبى بكرٍ ، قالت : رأيتُ زيدَ بنَ عمرِو بنِ نُفيلٍ قائمًا ، مُسْنِدًا ظَهْرَه إلى الكعبةِ ، يقولُ : يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، واللَّهِ ما مِنكم على دينِ إبراهيمَ غيرى . وكان يُحْيِى المَوْءودةَ ؛ يقولُ للرَّجُلِ ، إذا أراد أن يَقْتُلَ ابنتَه : لا تَقْتُلْها ، أنا أكْفِيكَ مُؤْنَتَها . فيأْخُذُها ، فإذا تَرَعْرَعَتْ ، قال لأبيها : إن شئتَ دفعتُها إليك ، وإن شئتَ كفيتُك مُؤْنَتَها . انتهى ما ذكره البُخارىُّ .

وهذا الحديثُ الأخيرُ ؛ قد أَسْنَدَه الحافظُ ابنُ عَساكِرَ [(2)] ، مِن طريقِ أبى بكرِ ابنِ أبى داودَ ، عن عيسى بنِ حمَّادٍ ، عن الليْثِ ، عن هِشامٍ ، عن أبيه ، عن أسماءَ . فذَكَر نحوَه . وقال عبدُ الرحمنِ بنُ أبى الزِّنادِ ، عن هشامِ بنِ عُرْوةَ ، عن أبيه ، عن أسماءَ ، قالت : سمعتُ زيدَ بنَ عمرِو بنِ نُفَيْلٍ ، وهو مُسْنِدٌ ظَهْرَه إلى الكعبةِ يقولُ : يا معشرَ قريشٍ ، إياكم والزِّنا ، فإنه يُورِثُ الفَقْرَ [(3)] .

وقد ساقَ ابنُ عساكِرَ هـهنا أحاديثَ غريبةً جدًّا [(4)] ، وفى بعضِها نكارةٌ

(1 - 1) سقط من : م .

(2) فى تاريخ دمشق ١٩/ ٥٠٥ .

(3) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٩/ ٥١٢، ٥١٣، من طريق ابن أبى الزناد به .

(4) انظر تاريخ دمشق ١٩/٤٨٢ - ٥١٦ .

شديدةٌ . ثم أوردَ مِن طُرُقٍ مُتَعدِّدَةٍ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أنَّه قال : « يُبعثُ يومَ القيامةِ أُمَّةً وَحْدَه[1] » . فمن ذلك ما رواه محمدُ بنُ عثمانَ بنِ أبى شيبةَ ، حدَّثنا يوسفُ بنُ يعقوبَ الصَّفَّارُ ، حدَّثنا يَحْيى بنُ سعيدٍ الأُمَوِىُّ ، عن مُجالدٍ ، عن الشَّعْبِىِّ ، عن جابرٍ ، قال : سُئِلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ عن زيدِ بنِ عمرِو بنِ نُفيلٍ ، أنَّه كانَ يَسْتَقْبِلُ القِبْلَةَ فى الجاهليةِ ، ويقولُ : إلهى إلهُ إبراهيمَ ، ودينى دينُ إبراهيمَ . وَيَسْجُدُ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يُحشَرُ ذاك أمَّةً وحدَه ، بينى وبينَ عيسى ابنِ مريمَ »[2] . إسنادُه جيِّدٌ حسَنٌ .

وقال الواقِدِىُّ[3] : حدَّثنى موسى بنُ شيبةَ ، عن خارِجَةَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ كَعْبِ بنِ مالكٍ ، قال : سَمِعْتُ سعيدَ بنَ المسيَّبِ يذكرُ زيدَ بنَ عمرِو بنِ نُفيلٍ ، فقال : تُوفِّىَ وقريشٌ تَبْنى الكعبةَ ، قبلَ أن يَنْزِلَ الوحىُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ بخَمْسِ سِنينَ ، ولقد نَزَلَ به ، وإنَّه لَيقولُ : أنا على دينِ إبراهيمَ . فأَسْلَم ابنُه سعيدُ بنُ زيدٍ ، واتَّبَعَ [١/ ٢٤٢ظ] رسولَ اللَّهِ ﷺ ، وأتى عمرُ بنُ الخطَّابِ وسعيدُ بنُ زيدٍ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فسَأَلاه عن زيدِ بنِ عمرِو بنِ نفيلٍ ، فقال : « غَفَرَ اللَّهُ له ورحِمَه ، فإنَّه مات على دينِ إبراهيمَ » . قال : فكان المسلمون بعد ذلك اليومِ ، لا يذكُرُهُ ذَاكِرٌ منهم ؛ إلَّا ترحَّمَ عليه واسْتَغْفَرَ له . ثُمَّ يقولُ سعيدُ ابنُ المسيَّبِ : رحمه اللَّهُ وغَفَرَ له .

وقال محمدُ بنُ سَعْدٍ[4] ، عن الواقدىِّ : حدَّثنى زكريا بنُ يحيى السَّعْدِىُّ ،

---

(١) فى النسخ : « واحدة » . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٢) المصدر السابق ١٩/ ٥١١، من طريق محمد بن عثمان بن أبى شيبة به .

(٣) المصدر السابق ١٩/ ٥١٢، من طريق الواقدى به .

(٤) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٨١.

عن أبيه ، قال : مات زيدُ بنُ عمرِو بنِ نُفَيْلٍ بمكَّةَ ، ودُفِن بأصْلِ حِراءَ . وقد تقدَّم أنَّه مات بأرضِ البَلْقاءِ من الشَّامِ ، لمَّا عدا عليه قومٌ من بنى لَخْمٍ ، فقتلوه بمكانٍ يقالُ له : مَيْفَعَةُ . واللَّهُ أعلمُ .

وقال الباغَنْدىُّ[1] ، عن أبى سعيدٍ الأشَجِّ[2] ، عن أبى معاويةَ ، عن هشامٍ ، عن أبيه ، عن عائشةَ ، قالت : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « دخلتُ الجنَّةَ فرأيتُ لزيدِ ابنِ عمرِو بنِ نُفيلٍ دَوْحَتَيْنِ » . وهذا إسنادٌ جيدٌ ، وليس هو فى شىءٍ مِن الكتبِ .

ومِن شِعْرِ زيدِ بنِ عمرِو بنِ نفيلٍ ، رحِمه اللَّهُ ، ما قدَّمناه فى بَدْءِ الخلقِ مِن تلك القصيدةِ :

إلى اللَّهِ أُهدِى مِدْحَتى وثَنائِيا وقولًا رَضِيًّا لا يَنِى الدهرَ باقيا

إلى الملِكِ الأعلى الذى ليس فوقَه إلـٰهٌ ولا ربٌّ يَكونُ مُدانِيا

وقد قيل : إنَّها لأُمَيَّةَ بنِ أبى الصَّلْتِ . واللَّهُ أعلمُ . ومِن شعرِه فى التَّوحيدِ ، ما حَكاه محمدُ بنُ إسحاقَ[3] والزُّبَيْرُ بنُ بَكَّارٍ[4] وغيرُهما :

وأسْلَمتُ وَجهى لمَن أسْلَمَتْ له الأَرضُ تَحمِلُ صَخْرًا ثِقالا

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٩/ ٥١٢، من طريق الباغندى به . حسن (صحيح الجامع الصغير ٣٣٦٢) .

(٢) أبو سعيد الأشج هو عبد اللَّه بن سعيد . تهذيب الكمال ١٥/ ٢٧ .

(٣) سيرة ابن إسحاق ص ٩٧. وليس عنده البيت الثانى . وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٢٣٠، ٢٣١. وليس عنده البيت الأخير .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٩/ ٥١٦، من طريق الزبير بن بكار به نحوه .

دَحاها فلمّا اسْتَوَتْ شَدَّها سَواءً وأَرْسَى عليها الجِبالا

وأَسْلَمْتُ وَجْهى لِمن أَسْلَمتْ له المُزْنُ[1] تَحْمِلُ عَذْبًا زُلالا

إذا هى سِيقَتْ إلى بَلْدَةٍ أطاعتْ فصبَّتْ عليها سِجالا

وأسْلَمْتُ وجهى لِمَن أسلمتْ له الرِّيحُ تُصْرَفُ حالًا فحالا

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[2] : حدَّثنى هِشَامُ بنُ عُروةَ قال : رَوَى أبى ، أنَّ زَيْدَ بنَ عَمْرٍو قال :

أرَبًّا وَاحِدًا أم أَلْفَ رَبٍّ أَدِينُ إذا تُقُسِّمتِ الأُمورُ

عَزَلْتُ اللّاتَ والعُزَّى جَميعًا كذلكَ يَفْعَلُ الجَلْدُ الصَّبورُ

فلا العُزَّى أَدِينُ ولا ابْنَتَيْها ولا صَنَمَىْ بَنى عَمرٍو أَزُورُ[3]

ولا هُبَلًا[4] أدينُ وكان ربًّا لنا فى الدَّهْرِ إذْ حِلمى يَسِيرُ

عَجِبْتُ وفى اللَّيالى مُعْجِباتٌ وفى الأيامِ يَعْرِفُها البَصيرُ

بأنَّ اللَّهَ قد أَفْنَى رِجالًا كَثيرًا كان شَأْنَهمُ الفُجورُ

وأَبْقَى آخَرينَ بِبِرِّ قَومٍ فَيَرْبِلُ[5] مِنهُمُ الطِّفْلُ الصَّغيرُ

---

(١) المزن : السحاب يحمل الماء .

(٢) سيرة ابن إسحاق ص ٩٦، ٩٧. وسيرة ابن هشام ١/ ٢٢٦، ٢٢٧.

(٣) فى الأصل : «أدير» .

(٤) فى الأصل ، م، ص: «غنما» . وفى ا ٩: «عتما» . والمثبت من سيرة ابن هشام .

(٥) يربل : ينمو ويعظم ويكبر .

وبينا المَرْءُ يَعْثُرُ ثابَ يَوْمًا   كما يَتَرَوَّحُ[1] الغُصْنُ المَطِيرُ[2]

ولَكِنْ أَعْبُدُ الرَّحْمَنَ رَبِّى   لِيَغْفِرَ ذَنْبِىَ الرَّبُّ الغَفورُ

فَتَقْوَى اللَّهِ رَبِّكُمُ احْفَظوها   مَتى ما تَحْفَظوها لا تَبوروا

تَرَى الأَبْرارَ دارُهُمُ جِنَانٌ   ولِلْكُفَّارِ حَامِيَةٌ سَعِيرُ

وخِزْىٌ فى الحياةِ وإِنْ يَموتوا   يُلاقوا ما تَضِيقُ به الصُّدورُ

هذا تَمَامُ ما ذَكَرَه محمدُ بنُ إِسحاقَ مِن هذه القَصِيدَةِ.

وقد رَواه أبو القاسِمِ البَغَوىُّ[3]، عن مُصْعَبِ بنِ عبدِ اللَّهِ، عن الضَّحَّاكِ بنِ عُثْمانَ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى الزِّنادِ، قال: قال هِشامُ بنُ عُرْوةَ، عن أبيه، عن أسماءَ بنتِ أبى بكرٍ، قالت: قال زَيْدُ بنُ عَمْرِو بنِ نُفَيْلٍ:

عَزَلْتُ الجِنَّ والجِنَّانَ عَنِّى   كَذلِكَ يَفْعَلُ الجَلْدُ الصَّبُورُ

فلا العُزَّى أَدِينُ ولا ابْنَتَيْها   ولا صَنَمَىْ بنى طَسْمٍ أُدِيرُ[4]

ولا غُنمًا أَدِينُ وكان رَبًّا   لَنَا فى الدَّهْرِ إِذْ حِلْمى[5] صَغِيرُ

أَرَبًّا واحِدًا أَمْ أَلْفَ رَبٍّ   أَدِينُ إذا تُقُسِّمَتِ الأُمُورُ

---

(١) يتروَّح: تروَّح الشجر أى؛ تفطَّر بالورق بعد إدبار الصيف. ويعنى هنا طلوع الورق من الغصن بعد نزول المطر عليه.

(٢) فى الأصل، م، ص: «النضير». وفى ا ٩: «النظير». والمثبت من سيرة ابن هشام.

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٩/ ٥١٤، ٥١٥، من طريق البغوى به.

(٤) أدير: من أدار، يعنى: يطوف حولهما.

(٥) فى تاريخ دمشق: «حكمى».

أَلَمْ تَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ أَفْنَى   رِجالًا كان شَأْنَهُمُ الفُجُورُ
وأَبْقَى آخَرِينَ بِبِرِّ قَوْمٍ   فَيَرْبو منهمُ الطِّفْلُ الصَّغيرُ
وَبَيْنَا المَرْءُ يَعْثُرُ ثابَ يَوْمًا   كما يَتَروَّحُ الغُصْنُ النَّضِيرُ

قالت: فقال وَرَقَةُ بنُ نَوْفَلٍ:

رَشَدْتَ وأَنْعَمْتَ ابنَ عمرٍو وإنَّما   تَجَنَّبْتَ تَنُّورًا مِن النَّارِ حَامِيا
لِدَيْنِكَ رَبًّا ليس ربٌّ كِمثلِه   وتَرْكِكَ [1]جنانَ الجبالِ[1] كما هِيا
أَقُولُ إذا أُهْبِطْتُ[2] أَرْضًا مَخُوفَةً   حَنانَيْكَ لا تُظْهِرْ عَلَيَّ الأعادِيا
حَنانَيْكَ إنَّ الجِنَّ كانتْ رَجاءَهم   وأنتَ إلهى رَبُّنا ورَجائِيا
لَتُدْرِكَنَّ المرءَ رَحْمَةُ رَبِّه   وإنْ كان تحتَ الأرضِ سَبْعِين وَادِيًا
أَدِينُ لرَبٍّ يَسْتَجِيبُ ولا أَرَى   أَدِينُ لِما[3] لا يَسْمَعُ الدَّهْرَ دَاعيا[4]
أَقولُ إذا صَلَّيْتُ فى كُلِّ بِيعَةٍ   تَبارَكْتَ قد أَكْثَرْتُ بِاسْمِكَ داعيا

تَقَدَّم[5] أَنَّ زَيْدَ بنَ عَمْرِو بنِ نُفَيلٍ، خَرَجَ إلى الشَّامِ هو ووَرقةُ بنُ نَوْفَلٍ، وعُثْمانُ بنُ الحُوَيْرِثِ، وعُبيدُ اللَّهِ بنُ جَحْشٍ، فَتَنَصَّروا إلَّا زَيْدًا، [١/٢٤٣و] فإنَّه لَمْ يَدْخُلْ فى شَىْءٍ مِن الأَدْيانِ، بل بَقِى على فِطْرَتِه؛ مِن عِبادَةِ اللَّهِ وحدَه

(١ - ١) فى تاريخ دمشق: «جنان الخبال».
(٢) فى تاريخ دمشق: «هبطت».
(٣) فى م: «لمن».
(٤) فى الأصل، م: «واعيا».
(٥) تقدم فى صفحة ٣١٧.

لا شَرِيكَ لَه ، مُتَّبِعًا ما أَمْكَنَه مِن دِينِ إبْراهِيمَ ، على ما ذَكَرْناه ، وأمَّا وَرقةُ بنُ نَوفلٍ ، فَسَيأْتى خَبرُه فى أَوَّلِ المَبْعَثِ ، وأمّا عُثمانُ بنُ الحُوَيْرِثِ ، فأَقامَ بالشَّامِ حتَّى مات فيها عندَ قَيْصَرَ ، وله خَبَرٌ عَجِيبٌ ذَكَرَه الأُمَوِىُّ[1] ، ومُخْتَصَرُه ؛ أنَّه لمَّا قَدِم على قَيْصَرَ فشَكَا إليه ما لَقِى مِن قَومِه ، كَتَبَ له إلى ابنِ جَفْنَةَ ، مِلِكِ عَرَبِ الشَّامِ ، لِيُجَهِّزَ معه جَيْشًا لحَرْبِ قُرَيْشٍ ، فَعَزَمَ على ذلكَ ، فَكَتَبَتْ إليْه الأعْرابُ تَنْهاه عن ذلكَ ؛ لِمَا رَأَوْا مِن عَظَمَةِ مَكَّةَ ، وكَيْفَ فَعَلَ اللَّهُ بأصحابِ الفِيلِ ، فكَساه ابنُ جفنةَ قمِيصًا مَصْبوغًا مَسْمومًا ؛ فمات مِن سُمِّه ، فَرَثاه زَيدُ ابنُ عمرِو بنِ نُفَيْلٍ ، بِشِعْرٍ ذكَره الأُمَوىُّ ، تَرَكْناه اخْتِصارًا .

وكانتْ وَفاتُه قَبْلَ المَبْعَثِ بِثَلاثِ سِنينَ أو نحوِها . واللَّهُ سبحانَه وتعالى أَعْلَمُ .

---

(1) ساقه ابن عساكر فى تاريخ دمشق 11/ 81، 82 مخطوط بنحوه.

[٢/ ١ظ] (*) شىءٌ مِنَ الحَوادِثِ فى زَمَنِ الفَتْرَةِ، فمِن ذلكَ بُنْيَانُ الكَعْبَةِ

وقد قِيلَ: إنَّ أوَّل مَن بَناه آدمُ. وجَاءَ في ذلكَ حديثٌ مَرْفوعٌ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو[1]، وفى سندِه ابنُ لَهِيعةَ، وهُو ضَعيفٌ. وأَقْوى الأَقْوَالِ أنَّ أوَّلَ مَن بناه الخَلِيلُ، عليه السَّلامُ، كما تَقَدَّم[2]، وكذلك رَوَاه سِماكُ بنُ حَرْبٍ[3]، عن خالدِ بنِ عَرْعَرَةَ، عن عليِّ بنِ أبى طالبٍ، قال: ثُم تهدَّمَ فبَنَتْه العمالِقَةُ، ثُم تهدَّمَ فبَنَتْه جُرْهمٌ، ثم تهدَّم فبَنَتْه قريشٌ. قُلتُ: سيَأتِى بِناءُ قريشٍ له، وذلك قبلَ المَبعثِ بخمسِ سنينَ. وقيل: بخمسَ عشْرةَ سنةً. وقال الزُّهْرىُّ: كان رسولُ اللَّهِ ﷺ، قَد بَلَغ الحُلُمَ. وسيَأتِى ذلك كلُّه فى موضِعِه. إن شاءَ اللَّهُ، وبه الثقَةُ.

(*) من هنا بداية الجزء الثانى من النسخة الأحمدية.

(١) دلائل النبوة للبيهقى ٢/ ٤٥.

(٢) انظر ما تقدم فى ١/ ٣٨١.

(٣) فى الأصل، م: «حزب».

ذِكرُ[1] كعبِ بنِ لؤَىٍّ

روى أبو نعيمٍ[2]، مِن طريقِ[3] محمدِ بنِ الحسنِ بنِ زَبالةَ[3]، عن محمدِ بنِ طلحةَ التَّيْميِّ، عن محمدِ بنِ إبراهيمَ بنِ الحارثِ، عن أبي سلمةَ. قال: كان كعبُ بنُ لُؤَىٍّ يَجْمَعُ قومَه يومَ الجُمُعَةِ، وكانت قريشٌ [4]تُسَمِّى يومَ الجُمُعَةِ[4] العَرُوبَةَ[5] فَيَخْطُبُهم، فيقولُ: أمَّا بعدُ، فاسْمَعوا وتعلَّموا، وافْهَموا واعْلَموا، ليلٌ ساجٍ[6]، ونهارٌ ضاحٍ[7]، والأرْضُ مِهَادٌ، والسَّماءُ بِناءٌ، والجبالُ أوتادٌ، والنُّجومُ أعلامٌ، والأوَّلون كالآخِرينَ، والأُنثى والذَّكَرُ، والرُّوحُ وما يَهيجُ إلى بلًى[8]، فصِلُوا أرحامَكم، واحْفَظوا أصهارَكم، وثَمِّروا أموالَكم، فهل رأيتم مِن هالكٍ رَجَعَ، أو مَيِّتٍ نُشِرَ؟ الدارُ أمامَكم، والظنُّ غيرُ ما تقولون، حَرَمُكم زيِّنوه وعظِّموه، وتمسَّكوا به، فسيأتى له نَبَأٌ عظيمٌ، وسيَخرُجُ منه نبيٌّ كريمٌ. ثُم يقولُ:

نَهارٌ وليلٌ كلَّ يومٍ بحادثٍ سواءٌ علينا ليلُها ونهارُها

---

(١) سقط من: م.

(٢) الدلائل لأبى نعيم (٤٦).

(٣ - ٣) فى الدلائل: «زيد بن المبارك بن محمد بن الحسن بن زبالة». وانظر تهذيب الكمال ٢٥/ ٦٠.

(٤ - ٤) فى الأصل، م، ص: «تسميه».

(٥) فى الدلائل: «عربة».

(٦) ليل ساج: أى: ساكن.

(٧) ضاحٍ: ظاهر.

(٨) بلى: فناء.

يَئُوبانِ بالأحداثِ حتى تَأَوَّبا وبالنِّعَم الضافى[1] علينا سُتورُها

على غَفلَةٍ يأتى النبيُّ محمدٌ فيُخْبِرُ أَخبارًا صَدوقًا خبيرُها

ثُم يقولُ: واللَّهِ لو كنتُ فيها ذا سمعٍ وبصرٍ، ويدٍ ورِجْلٍ، لتنصَّبْتُ فيها تنصُّبَ الجملِ، ولأَرْقَلْتُ[2] فيها[3] إرقالَ الفحلِ[4]. ثُم يقولُ:

يا ليتَنى شاهدٌ نجواءَ دعوتِه حينَ العشيرةُ تبغِى الحقَّ خِذْلانا

قال: وكان بينَ موتِ كعبِ بنِ لؤىٍّ ومَبعثِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، خمسُمائةِ عامٍ وستونَ سنةً.

---

(١) الضافى: السابغ التام.

(٢) أرقل: أسرع.

(٣) فى م: «بها».

(٤) فى م: «العجل».

ذِكْرُ[1] تجْديدِ حفْرِ زمزَمَ

على يَدَىْ عبدِ المُطَّلبِ بنِ هاشمٍ، التى كان قد دَرَسَ رسمُها بعدَ طَمِّ جُرْهُمٍ لها إلى زمانِه.

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[2]: ثُم إنَّ عبدَ المطلبِ بينَما هو نائمٌ فى الحِجْر إذ [3]أُتِىَ فَأُمِرَ بِحَفرِ زمزمَ[3]، وكان أوَّلَ ما ابْتُدِئَ به عبدُ المطلبِ مِن حفْرِها، كما حدَّثنى يزيدُ بنُ أبى حَبيبٍ المصرىُّ، عن مَرْثدِ بنِ عبدِ اللَّهِ اليَزَنىِّ[4]، عن عبدِ اللَّهِ بنِ زُرَيْرٍ[5] الغافِقىِّ، أنَّه سمِع علىَّ بنَ أبى طالبٍ يُحدِّثُ حديثَ زَمْزَمَ، حينَ أُمِرَ عبدُ المُطَّلبِ بحفرِها، قال: قال عبدُ المُطَّلبِ: إنِّى لَنائمٌ فى الحِجْرِ، إذ أتانى آتٍ فقال: احْفِرْ طِيبَةَ. قال: قلتُ: وما طِيبةُ؟ قال: ثُمَّ ذهبَ عنِّى، فلمَّا كان الغدُ، رجَعْتُ إلى مَضْجَعى فَنِمْتُ، فجاءنى فقال: احْفِرْ بَرَّةَ. قال: قلتُ: وما بَرَّةُ؟ قال: ثُم ذهبَ عنِّى، فلمَّا كان الغدُ رجعتُ إلى مَضْجَعى، فنمتُ، فجاءنى، فقال: احْفِرِ المَضْنونَةَ. قال: قلت: وما المضنونةُ؟ قال: ثُم ذَهَب عنِّى، فلمَّا كان الغدُ رَجَعْتُ إلى مَضْجَعى، فنمتُ فيه فجاءنى، فقال: احْفِرْ زمزمَ. قال: قلت: وما زمزمُ؟ قال: لا تَنْزِفُ[6] أبدًا ولا تُذِمُّ[7]، تَسْقِى

---

(١) سقط من: م.

(٢) سيرة ابن إسحاق ص ٣ - ٥. وسيرة ابن هشام ١/١٤٢ - ١٤٥.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل، ا ٩، م.

(٤) فى م: «المزنى». وانظر تهذيب الكمال ٢٧/٣٥٧.

(٥) فى الأصل، م: «رزين». وانظر تهذيب الكمال ٢٧/٣٥٧.

(٦) لا تنزف: لا تنفد وتفنى.

(٧) لا تذم: لا يقل ماؤها.

الحَجِيجَ الأَعْظَمَ ، وهى بينَ الفَرْثِ والدَّمِ ، عندَ نُقْرةِ الغرابِ الأَعْصمِ ، عندَ قريةِ النَّملِ . قال : فلمّا بُيِّنَ له[1] شأْنُها ، ودُلَّ على موضِعها ، وعَرَفَ [٢/٢و] أنه قد صُدِقَ ، غَدَا بِمِعْوَلِه[2] ومعه ابنُه الحارثُ بنُ عبدِ المُطلبِ ، وليس له يومَئذٍ ولدٌ غيرُه ، فحفرَ ، فلمَّا بدا لعبدِ المُطَّلبِ الطَّىُّ[3] كبَّر ، فعَرَفَتْ قريشٌ أنَّه قد أدْرَك حاجَتَه ، فقاموا إليه ، فقالوا : يا عبدَ المطَّلبِ ، إنَّها بئرُ أبينا إسماعيلَ ، وإنَّ لنا فيها حقًّا ؛ فأشْرِكْنا معك فيها . قال : ما أنا بفاعلٍ ، إنَّ هذا الأَمْرَ قد خُصِصْتُ به دونَكُم ، وأُعْطِيتُه مِن بينِكم . قالوا له : فأنصِفْنا ؛ فإنَّا غيرُ تارِكِيك حتى نُخاصِمَك فيها . قال : فاجْعَلوا بينى وبينَكم مَن شِئْتُم ، أُحاكِمْكم إليه . قالوا : كاهِنَةُ بنى سَعْدِ بنِ هُذَيمٍ . قال : نعم . وكانت بأَشْرَافِ الشَّامِ ، فَرَكِبَ عبدُ المطَّلبِ ، ومعه نَفَرٌ مِن بنى أبيه[4] ، ورَكِبَ مِن كلِّ قبيلةٍ مِن قريشٍ نفرٌ ، فخَرَجوا ، والأرضُ إذْ ذاك مَفاوِزُ[5] ، حتى إذا كانوا ببعضِها نَفِدَ ماءُ عبدِ المطَّلبِ وأصحابِه ، فعَطِشوا حتى اسْتَيْقَنوا بالهَلَكَةِ ، فاسْتَسْقَوا مَن معهم فأَبَوْا عليهم ، وقالوا : إنَّا بمفازةٍ ، وإنَّا نَخْشَى على أنْفُسِنا مِثلَ ما أصابَكم . فقال عبدُ المطَّلبِ : إنِّى أَرَى أن يَحْفِرَ كلُّ رَجُلٍ مِنكم حُفرَتَه لنفسِه بما بكم الآن مِن القُوَّة ، فكُلَّما ماتَ رجلٌ دَفَعَه أصحابُه فى حفرتِه ثُم وَارَوْه ، حتى يكُونَ آخرُهم

---

(١) فى النسخ : « لى » . والمثبت من السيرة لابن هشام ١/ ١٤٣، وهو الصواب لأن القائل هو : إمّا ابن إسحاق ، أو على بن أبى طالب .

(٢) المعول : آلة من الحديد ينقر بها الصخر .

(٣) فى النسخ : « الطمى » . والمثبت من السيرة لابن هشام ١/ ١٤٤. والطى : من طوى البئرَ بالحجارة ونحوها : بناها أو عرشها . الوسيط (ط و ى) .

(٤) فى م ، ص : « أمية » .

(٥) المفاوز : جمع مفازة ، وهى الصحراء .

رَجُلًا واحدًا، فضَيْعَةُ رجلٍ واحدٍ أيْسَرُ مِن ضَيْعَةِ رَكْبٍ جَمِيعًا[1] . فقالوا : نِعْمَ ما أَمَرْتَ به . فحَفَرَ كلُّ رجلٍ لنفسِه حُفْرَةً، ثُم قَعَدوا يَنْتَظِرونَ الموتَ عَطْشَى، ثُم إنَّ عبدَ المطلبِ قال لأصحابِه : إنَّ إلقاءَنا بأيْدِينا هكذا للموتِ، لَا نَضْرِبُ في الأرضِ، لا نَبْتَغي لأنفسِنا، لَعَجْزٌ، فعسى أن يَرْزُقَنا اللَّهُ[2] ماءً ببعضِ البلادِ . فارْتَحَلوا حتَّى إذا بعَثَ عبدُ المطَّلبِ راحلتَه، انفجَرَتْ مِن تحتِ خُفِّها عينُ ماءٍ عَذْبٍ، فكبَّر عبدُ المُطلبِ وكبَّر أصحابُهُ، ثُم نزَل فَشَرِبَ وَشَرِبَ أصحابُه، واسْتَقَوا[3] حتى مَلَئُوا أَسْقِيَتَهم، ثم دعا قبائلَ قريشٍ، وهم يَنْظُرون إليهم في جميعِ هذه الأحوالِ، فقال : هَلُمُّوا إلى الماءِ فقد سقانا اللَّهُ . فجاءوا فشَرِبوا واستقَوا كلُّهم، ثُم قالوا[4] لعبدِ المطلبِ[4] : قد واللَّهِ قُضِيَ لك علينا، واللَّهِ لا نخاصِمُك في زمزمَ أبدًا، إنَّ الذي سقاك هذا الماءَ بِهذه الفَلاةِ لَهو الذي سقاك زمزمَ، فارْجِعْ إلى سِقايَتِك راشدًا . فرَجَع ورَجَعوا معه، ولم يَصِلُوا إلى الكاهنةِ وخَلَّوا بينَه وبينَ زَمْزَمَ .

قال ابنُ إسحاقَ : فهذا ما بلغني عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ في زَمْزَمَ . قال ابنُ إسحاقَ : وقد سمعتُ مَن يُحَدِّثُ عن عبدِ المطَّلبِ أنه قيل له حين أُمِرَ بَحفرِ زَمْزَمَ :

ثُم ادْعُ بالماءِ الرِّوَى[5] غيرِ الكَدِرْ يَسْقِي حجيجَ اللَّهِ في كلِّ مَبَرْ

---

(١) في م : « جميعه » .
(٢) سقط من : الأصل ، م .
(٣) في الأصل ، م : « استسقوا » .
(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، م .
(٥) ماء رِوًى : عذب ، وكثير مرو . الوسيط (ر و ى) .

لیسَ یُخافُ منه شیءٌ ما عَمَرْ[1]

قال : فخرَجَ عبدُ المُطَّلبِ حین قیل له ذلك إلی قریشٍ فقال : تَعَلَّموا أنی قد أُمِرت أن أحفِرَ زمزمَ . قالوا : فهل بُیِّنَ لكَ أینَ هی ؟ قال : لا . قالوا : فارْجِعْ إلی مَضْجَعِك الذی رأیتَ فیه ما رأیتَ ، فإن یَكُ حقًّا مِن اللَّهِ یُبَیِّنْ لك ، وإن یكُ مِن الشَّیطانِ فلن یعودَ إلیك . فرجَعَ فنامَ فَأُتِیَ ، فقیل له : احْفِرْ زمزمْ ، إنك إن حَفَرْتَها لن تندمْ ، وهی تراثٌ من أبیك الأعْظَمْ ، لا تَنْزِفُ أبدًا ولا تُذِمْ[2] ، تَسْقِی الحَجیجَ الأعظمْ ، مثلَ نَعامٍ حافلٍ[3] لم یُقْسَمْ ، یَنْذِرُ فیها ناذِرٌ لمُنْعِمْ[4] ، تكونُ میراثًا وعَقْدًا مُحْكَمْ ، لیْسَتْ كَبعضِ[5] ما قَدْ تَعْلَمْ ، وهی بینَ الفَرْثِ والدَّمْ .

قال ابنُ إسحاقَ[6] : فزعموا أنَّ عبدَ المطلبِ حین قیل له ذلك قال : وأین هي ؟ قیل له : عند قریةِ النملِ حیثُ یَنْقُرُ الغرابُ غدًا . فاللَّهُ أعلمُ أیُّ ذلك كان . قال : فغدا عبدُ المطَّلبِ ومعه ابنُه الحارثُ ، ولیس له یومئذٍ ولدٌ غیرُه - زادَ الأُمَویُّ : ومولاه أصرمُ - فوجدَ قریةَ النملِ ، ووجَد الغرابَ یَنْقُرُ عندَها بینَ الوثَنَین ؛ إسافٍ ونائلةَ ، اللذینِ كانت قریشٌ تَنْحَرُ عندَهما ، فجاء بالمِعولِ وقامَ لِیَحْفِرَ حیثُ أُمرَ ، فقامتْ إلیه قریشٌ [٢/٢ظ] ، فقالوا : واللَّهِ لا نَتْرُكُك تحفِرُ بینَ

---

(١) عمَر : بقی زمانا طویلا .

(٢) فی م ، ص : « تزم » .

(٣) حافل : كثیر .

(٤) فی الأصل ، م : « بمنعم » .

(٥) فی الأصل ، ا ٩، م : « لبعض » ، وفی ص : « ببعض » . والمثبت من سیرة ابن إسحاق وسیرة ابن هشام .

(٦) السیرة لابن هشام ١/ ١٤٦.

وَثَنيْنا هذينِ[1] اللذينِ نَنْحَرُ عندَهما . فقال عبدُ المطَّلبِ لابنِه الحارثِ : ذُدْ عنى حتى أَحفِرَ ، فواللَّهِ لأمْضِيَنَّ لمَا أُمِرْتُ به . فلمّا عَرَفوا أنَّه غيرُ نازعٍ[2] ، خَلَّوا بينَه وبينَ الحفْرِ ، وكَفُّوا عنه ، فلم يَحْفِرْ إلَّا يَسِيرًا حتى بدا له الطَّيُّ[3] ، فكبَّر وعَرف أنه قد صُدِقَ ، فلما تمادَى به الحفْرُ وجدَ فيها غزالتَين مِن ذَهَبٍ ، اللتين كانت جُرْهُمٌ قد دَفَنَتْهما ، ووجدَ فيها أَسْيافًا قَلْعيةً وأَدْراعًا ، فقالت له قريشٌ : يا عبدَ المطَّلبِ ، لنا معك فى هذا شِرْكٌ وحقٌّ . قال : لا ، ولكن هَلُمَّ إلى أَمْرٍ نِصفٍ بينى وبينَكم ، نَضْرِبُ عليها بالقِداحِ . قالوا : وكيف تَصْنَعُ ؟ قال : أجعلُ للكعبةِ قِدْحَين ولى قِدْحين ولكم قِدْحَين ، فمَن خرجَ قِدْحاه على شىءٍ ، كان له ، ومن تخلَّف قِدْحاه فلا شىءَ له . قالوا : أَنْصَفْتَ . فجعل للكعبةِ قِدْحين أصفَرَيْنِ وله أَسْوَدَيْنِ ولهم أَبْيَضَيْنِ ، ثُم أَعْطَوُا القداحَ للذى يَضْرِبُ عندَ هُبَلَ ، وهُبَلُ أكبرُ أصنامِهم ، ولهذا قال أبو سفيانَ يومَ أحدٍ : اعْلُ هُبَلُ . يعنى هذا الصَّنَمَ . وقامَ عبدُ المطَّلبِ يَدْعُو اللَّهَ . وذكَر يونسُ بنُ بُكَيْرٍ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ[4] ، أنَّ عبدَ المطَّلبِ جعلَ يَقُولُ :

اللهُمَّ أنتَ المِلكُ المحمودْ ربِّى فأنتَ[5] المبدِئُ المعيدْ
وممسكُ الراسيةِ الجلّمودْ[6] مِن عندِك الطارفُ والتَّلِيدْ[7]

---

(١) سقط من : الأصل ، م .
(٢) نازع : مُنْتَه .
(٣) فى م : « الطمى » .
(٤) سيرة ابن إسحاق ص ٦.
(٥) فى م ، ص : « أنت » .
(٦) الجلمود : الصخر .
(٧) الطارف : المستفاد من المال حديثا ، والتليد عكسه . الوسيط (ط ر ف) .

إن شئتَ ألهمتَ كما تريدْ لِموضعِ الحِليةِ والحديدْ

فبيِّنِ اليومَ لما تريدْ إنّى نَذَرْتُ العاهدَ المعهودْ

اجعله لِى رَبِّ فلا أعودْ

قال : وضربَ صاحبُ القِداحِ، فخرجَ الأصْفَرانِ على الغزالَتَيْنِ للكعبةِ، وخرجَ الأسودانِ على الأسيافِ والأدْراعِ لعبدِ المطَّلبِ، وتخلَّفَ قِدْحَا قريشٍ، فضربَ عبدُ المطَّلبِ الأسيافَ بابًا للكعبةِ، وضربَ فى البابِ الغزالتَيْنِ مِن ذهبٍ، فكان أوَّلَ ذهبٍ حُلِّيَتْه الكعبةُ فيما يزعُمون، ثُم إنَّ عبدَ المطَّلبِ أقام سقايةَ زَمزمَ للحاجِّ.

وذكر ابنُ إسحاقَ[1] وغيرُهُ أنَّ مكةَ كان فيها أبيارٌ كثيرةٌ قبلَ ظهورِ زمزمَ فى زمنِ عبدِ المطَّلبِ، ثُم عدَّدها ابنُ إسحاقَ، وسماها، وذكَرَ أماكنَها مِن مكَّةَ وحَافرِيها، إلى أن قال : فَعفَتْ زمزمُ على البئارِ كلِّها، وانْصَرَفَ النَّاسُ كلُّهم إليها لِمَكانِها مِن المَسْجِدِ الحَرَامِ، ولِفَضْلِها عَلَى مَا سِواها مِن المِيَاهِ، ولأَنَّها بِئْرُ إسْمَاعِيلَ ابنِ إبْرَاهِيمَ، وافْتَخَرَتْ بها بَنو عَبْدِ مَنافٍ على قُرَيشٍ كُلِّها وعلى سائِرِ العَرَبِ.

وقد ثَبَتَ فِى «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»[2] فى حَدِيثِ إسْلَامِ أَبِى ذَرٍّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قالَ فِى زَمْزَمَ: «إنَّها لَطَعامُ طُعْمٍ، وشِفاءُ سُقْمٍ».

وقال الإمَامُ أَحْمدُ[3] : حَدَّثَنَا عَبدُ اللَّهِ بنُ الوَلِيدِ، عَن عَبدِ اللَّهِ بنِ المُؤَمَّلِ،

---

(١) سيرة ابن هشام ١٤٧/١ - ١٥٠.

(٢) مسلم (٢٤٧٣) بدون قوله : «وشفاء سقم». وهذه الزيادة عند الطيالسى (٤٥٧). وهى صحيحة. انظر (صحيح الجامع الصغير ٢٤٣١).

(٣) المسند ٣/ ٣٧٢. (صحيح الجامع الصغير ٥٣٧٨) وهو بلفظ «له» بدلا من: «منه».

عَن أَبى الزُّبَيْرِ ، عَن جَابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ماءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ مِنْه » .

وقد رَواه ابنُ ماجه[1] ، مِن حَدِيثِ عَبدِ اللَّهِ بنِ المُؤَمِّلِ ، وقَدْ تَكَلَّموا فِيه ، ولَفْظُه : « ماءُ زَمْزمَ لِمَا شُرِبَ لَه » . ورَواه سُوَيْدُ بنُ سَعِيدٍ ، عَن عبدِ اللَّهِ بنِ المُبَارَكِ ، عَن عَبدِ الرَّحْمَنِ بنِ أَبى المَوَالِ ، عَن محمدِ بنِ المُنْكَدِرِ ، عَن جَابرٍ ، عَن النَّبىِّ ﷺ ، قال : « ماءُ زَمزمَ لِمَا شُرِبَ له »[2] . وَلَكِنْ سُوَيْدُ بنُ سَعِيدٍ ضَعيفٌ ، والمحفوظُ عَن ابنِ المُبارَكِ ، عَن عبدِ اللَّهِ بنِ المؤَمِّلِ ، كَما تَقَدَّمَ .

وقَدْ رَواه الحاكِمُ[3] عَن ابنِ عَبَّاسٍ مَرْفُوعًا : « ماءُ زَمزمَ لِمَا شُرِبَ لَه » . وفِيه نَظَرٌ . واللَّهُ أعلمُ .

وهكذا رَوَى ابنُ مَاجه أَيْضًا ، والحَاكِمُ[4] عَن ابنِ عَبَّاسٍ أنَّه قَالَ لِرَجُلٍ : إذا شَرِبْتَ مِن زَمْزَمَ فَاسْتَقْبِلِ الكَعْبَةَ ، واذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ ، وتَنَفَّسْ ثَلاثًا ، وتَضَلَّعْ[5] مِنها ، فَإِذا فَرَغْت فَاحْمَدِ اللَّهَ ؛ فَإِنَّ رَسـولَ اللَّهِ ﷺ ، قال : « إنَّ آيَةَ ما بَيْنَنا [٢/٣و] وبَيْنَ المُنَافِقِينَ لا يَتَضَلَّعون مِن مَاءِ زَمزمَ » .

وقد ذُكِرَ عَن عبدِ المُطَّلِبِ أنَّه قال[6] : اللَّهمَّ إنِّى لا أُحِلُّها لِمُغْتَسِلٍ ، وهِى

---

(١) ابن ماجه (٣٠٦٢) . صحيح (صحيح سنن ابن ماجه ٢٤٨٤) .
(٢) البيهقى فى شعب الإيمان (٤١٢٨) ، من طريق سويد بن سعيد به . انظر الإرواء ٤/ ٣٢٢.
(٣) المستدرك ١/ ٤٧٣.
(٤) ابن ماجه (٣٠٦١) . المستدرك ١/ ٤٧٢. ضعيف (ضعيف سنن ابن ماجه ٦٥٥) .
(٥) ضَلِعَ : شبع وارتوى. المعجم الوسيط (ض ل ع) .
(٦) البيهقى فى الدلائل ١/ ٨٧.

لِشَارِبٍ حِلٌّ وبِلٌّ[1] . وقد ذَكَرَه بعضُ الفُقَهاءِ عَن العبَّاسِ بنِ عبدِ المطَّلبِ[2] ، والصَّحِيحُ أنَّه عَن عبدِ المطلبِ نَفْسِه ؛ فَإِنَّه هو الَّذى جَدَّد حَفْرَ زَمْزَمَ كما قَدَّمْنا ، واللَّهُ أعلمُ .

وقد قال الأُمَوِىُّ[3] فى « مَغَازِيه » : حَدَّثنا أَبو عُبَيدٍ ، أَخْبَرنى يَحْيى بنُ سَعيدٍ ، عن عبدِالرحمنِ بنِ حَرْمَلةَ ، سَمعتُ سَعيدَ بنَ المسيَّبِ يحدِّثُ ، أنَّ عبدَ المطَّلبِ بنَ هاشِمٍ حينَ احتَفَرَ زَمزمَ ، قال : لا أُحِلُّها لِمُغْتسِلٍ ، وهى لِشارِبٍ حِلٌّ وبِلٌّ . وذلك أَنَّه جَعَلَ لَها حَوْضَين ؛ حَوْضًا للشُّرْبِ ، وحَوْضًا للوُضوءِ ، فعِنْدَ ذَلك قال : لا أُحِلُّها لِمغتسِلٍ . لِيُنَزِّهَ المسجدَ عَن أَنْ يُغتسَلَ فيه .

قال أبو عُبَيدٍ[4] : قال الأَصْمعىُّ : قولُه : وبِلٌّ . إتْباعٌ . قال أبو عُبيدٍ : والإِتْباعُ لا يكونُ بواوِ العَطْفِ ، وإنَّما هو كما قال مُعتمرُ بنُ سُليمانَ : إنَّ « بِلٌّ » بِلُغَةِ حِمْيَرَ : مُباحٌ .

ثُمَّ قال أبو عُبيدٍ[5] : حدَّثَنا أبو بَكْرِ بنُ عَيَّاشٍ ، عَن عاصِمِ بنِ أَبِى النَّجودِ ، أَنَّه سَمِعَ زِرًّا ، أنَّه سَمِعَ العَبَّاسَ يَقُولُ : لا أُحِلُّها لمُغْتَسِلٍ ، وهى لِشارِبٍ حِلٌّ وَبِلٌّ . وحدَّثَنا[5] عبدُ الرحمنِ بنُ مَهْدِىٍّ ، حدَّثَنا سُفيانُ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ عَلْقَمَةَ ، أنَّه سَمِعَ ابنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ ذلك . وهذا صَحيحٌ إِلَيهما ، وكأَنَّهما يَقُولانِ ذلك فى أَيامِهما عَلَى سَبيلِ التَّبْليغِ والإِعلامِ ، بما اشْتَرطَه عبدُ المُطَّلبِ عندَ حَفْرِه

(١) البل : الشفاء ، والمباح . القاموس المحيط (ب ل ل) .

(٢) انظر المغنى لابن قدامة ١/ ٣٠ .

(٣) رواه أبو عبيد فى غريب الحديث ٤/ ٢٦ حاشية (٦) ، عن يحيى بن سعيد به .

(٤) فى غريب الحديث ٤/ ٢٧ .

(٥) غريب الحديث لأبى عبيد ٤/ ٢٦ حاشية (٦) .

لَها ، فلا يُنافى ما تقدَّم ، واللَّهُ أعلمُ .

وقد كانت السِّقايَةُ إلى عبدِ المطَّلبِ أَيامَ حياتِه ، ثُم صارتْ إلى ابنِه أَبى طالبٍ مُدَّةً ، ثُم (١اتَّفَقَ أنَّه١) أَمْلَقَ فى بعضِ السِّنينَ ؛ فاسْتَدان مِن أَخيه العبَّاسِ عَشَرةَ آلافٍ ، إلى الموسِمِ الآخرِ ، وصَرَفَها أبو طالبٍ فى الحَجيجِ فى عامِه ، فيما يَتَعَلَّقُ بالسِّقايةِ ، فلمَّا كان العامُ المُقْبِلُ لَم يَكُنْ مع أبى طالبٍ شىءٌ ، فقال لأَخيه العباسِ : أَسْلِفْنى أربعةَ عَشَرَ ألفًا أيضًا إلى العامِ المُقبلِ ، أُعطك جَميعَ مالِكَ . فقال له العبَّاسُ : بشرْطِ إنْ لَم تُعطِنى تَتْرُكِ السِّقايةَ لى أَكْفِكَها . فقال : نعمْ . فلمَّا جاء العامُ الآخَرُ لَم يَكُنْ مع أبى طالبٍ ما يُعْطِى العبَّاسَ ، فتَرَكَ له السِّقايةَ ، فَصارتْ إليه ، ثُمَّ مِن بَعدِه صارتْ إلى عبدِ اللَّهِ ولدِه ، ثُم إلى عَلىِّ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ، ثُم إلى داودَ بنِ عَلىٍّ ، ثُم إلى سُليمانَ بنِ عَلىٍّ ، ثُم إلى عِيسى بنِ عَلِىٍّ ، ثُم أَخَذَها المنصورُ ، واستنابَ عليها مَولاه أَبا رَزِينٍ . ذَكَرَه الأُمَوِىُّ[٢] .

(١ - ١) سقط من : ا ٩، ص .

(٢) انظر أنساب الأشراف ١/٥٧.

ذِكرُ[1] نذرِ عَبدِ المطَّلبِ

ذبحَ أحدِ[2] ولدِه

قال ابنُ إسحاقَ[3] : وكان عبدُ المطَّلبِ - فيما يَزْعُمُون - نَذَرَ حينَ لَقِى مِن قُريشٍ ما لَقِى ، عندَ حَفْرِ زَمْزَمَ ، لَئِن وُلِد له عشَرَةُ نَفَرٍ ، ثُم بَلَغوا معه حتى يَمْنَعوه ، ليَنْحَرَنَّ[4] أحدَهم للَّهِ عندَ الكعبةِ ، فلمَّا تَكَامَلَ بَنُوه عشَرةً ، وعَرَفَ أنَّهم سَيَمْنَعونه ، وهم ؛ الحارثُ ، والزُّبيرُ ، وحَجْلٌ ، وضِرارٌ ، والمقوَّمُ ، وأبُو لَهَبٍ ، والعبَّاسُ ، وحَمْزةُ ، وأبو طالبٍ ، وعبدُ اللَّهِ ، جَمَعهم ، ثُم أَخْبَرهم بنذرِه ، ودَعاهم إلى الوفاءِ للَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، بذلك ، فأَطاعوه ، وقالوا : كَيْفَ نَصْنَعُ ؟ قال : لِيأْخُذْ كلُّ رَجُلٍ مِنكم قِدْحًا ، ثُم يَكتبْ فيه اسمَه ، ثُم ائتُونى . فَفَعَلوا ، ثُم أَتَوْه ، فَدَخَلَ بهم على هُبَلَ فى جوفِ الكَعبةِ ، [5]وكان هُبَلُ على بِئْرٍ فى جَوْفِ الكعبةِ[5] وكانتْ تلكَ البئرُ هى الَّتى يُجْمَعُ فيها ما يُهْدَى للكعبةِ ، وكان عندَ هُبَلَ قِداحٌ سبعةٌ ؛ وهى الأَزْلامُ التى يَتَحاكَمُون إليها إذا أَعضَلَ عليهم أَمْرٌ ، مِن عَقْلٍ ، أو نَسَبٍ ، أو أَمْرٍ مِن الأُمورِ ، جَاءوه فاسْتَقْسَموا بها ، فما أَمَرَتْهم به أو نَهَتْهُم عنه امْتَثَلوه .

---

(١) سقط من : م .

(٢) سقط من : الأصل ، م .

(٣) سيرة ابن إسحاق ص ١٠ - ١٢، وانظر سيرة ابن هشام ١/ ١٥١.

(٤) فى ا ٩، م : « ليذبحن » .

(٥ - ٥) سقط من النسخ . والمثبت من سيرة ابن إسحاق ، وابن هشام .

والمقصودُ أنَّ عبدَ المطَّلبِ لمَّا جاء يَسْتَقْسِمُ بالقِداحِ عندَ هُبَلَ، خَرَج القِدْحُ على ابنِهِ عبدِ اللَّهِ، وكان أصغرَ ولدِه وأحبَّهم إليه، فأَخَذ عبدُ المطَّلِبِ بيدِ ابنِه عبدِ اللَّهِ [٢/ ٣ظ]، وأَخَذَ الشَّفْرَةَ، ثُمَّ أَقْبَل بِه إلى إِسافٍ ونائلةَ، ليَذْبَحَه فقامتْ إليه قريشٌ مِن أنديتِها، فقالوا: ما تُرِيدُ يا عبدَ المطلبِ؟ قال: أَذبحُهُ. فقالت له قُرَيْشٌ وبنوه[1]: واللَّهِ لا تذبحُه أبدًا حتَّى تُعذِرَ فيه؛ لئِنْ فَعَلتَ هذا لا يَزالُ الرَّجُلُ يَجِيءُ بابنِهِ حتى يَذْبَحَه، فما بقاءُ النَّاسِ على هذا!

وذَكَر يُونسُ بنُ بُكيرٍ، عن ابنِ إسحاقَ[2]: أنَّ العبَّاسَ هو الَّذى اجْتَذَبَ عبدَ اللَّهِ مِن تَحتِ رِجْلِ أبيه، حينَ وَضَعها عليه ليذْبَحَه، فيُقالُ: إنَّه شجَّ وجهَه شَجًّا لَم يَزَلْ فى وَجْهِه إلى أَنْ مات، ثُمَّ أَشارتْ قُرَيشٌ على عبدِ المطَّلبِ، أنْ يَذْهبَ إلى الحجازِ، فإنَّ بها عرَّافةً، لها تابعٌ، فيَسألَها عن ذلك، ثُم أنتَ على رأسِ أَمْرِك، إنْ أَمَرَتْكَ بِذَبْحِه فاذْبَحْه، وإنْ أَمرتْكَ بأمرٍ لكَ وله فيه مَخْرَجٌ قَبِلْتَه. فانطَلَقُوا حتى أَتَوُا المدينةَ فوجَدوا العرَّافَةَ، وهي سَجَاحُ - فيما ذَكَره يونسُ بنُ بكيرٍ، عن ابنِ إسحاقَ - بخَيْبَرَ، فرَكِبوا حتَّى جاءوها فسَأَلوها، وقَصَّ عليها عبدُ المطَّلبِ خبرَه وخبرَ ابنِه، فقالتْ لهم: ارْجِعُوا عنِّى اليَوْمَ حَتَّى يَأتِيَنى تابِعى فأَسْأَلَهُ. فرَجَعوا مِن عندِها، فلمَّا خَرَجوا قام عبدُ المطَّلبِ يَدْعُو اللَّهَ، ثُم غَدَوْا عليها، فقالتْ لهم: قد جاءنى الخَبَرُ، كَم الدِّيَةُ فيكم؟ قالوا: عشْرٌ مِن الإبلِ. وكانتْ كذلك. قالتْ: فارْجِعوا إلى بلادِكم، ثُم قرِّبوا صاحبَكم، وقرِّبوا عشْرًا من الإبلِ، ثُم اضْرِبوا عليها وعليه بالقِداحِ، فإنْ

---

(١) بعده فى الأصل، م: «إخوة عبد الله».

(٢) سيرة ابن إسحاق ص ١٢.

خَرَجَتْ على صاحِبِكم، فزيدوا مِن الإِبِلِ حتَّى يَرْضَى ربُّكم، وإنْ خَرَجتْ على الإِبلِ فانْحَرُوها عنه؛ فقد رَضِي ربُّكم ونجا صاحِبُكم. فَخَرَجوا حتَّى قَدِمُوا مكَّةَ، فلمَّا أَجْمَعُوا على ذلك مِن[1] الأمرِ، قام عبدُ المطَّلبِ يَدْعو اللَّهَ، ثُمَّ قرَّبوا عبدَ اللَّهِ وعشْرًا مِن الإِبلِ، ثُمَّ ضَرَبوا، فَخَرَج القِدْحُ على عبدِ اللَّهِ، فزادوا عشْرًا، ثُمَّ ضَرَبوا فَخَرجَ القِدْحُ على عبدِ اللَّهِ، فزادوا عَشْرًا، فلَمْ يزالُوا يَزِيدون عَشْرًا عَشْرًا، ويَخْرُجُ القِدْحُ على عبدِ اللَّهِ حتى بَلَغَتِ الإِبلُ مائةً، ثُمَّ ضرَبُوا، فخرَجَ القِدْحُ على الإِبلِ، فقالت عندَ ذلك قريشٌ لعبدِ المُطَّلِبِ، وهو قائمٌ عندَ هُبَلَ يدعُو اللَّهَ: قد انْتَهَى رِضَى رَبِّك يا عبدَ المُطَّلِبِ. فَزَعَموا أنَّه قال: لا، حتى أَضْرِبَ عليها بالقِداحِ ثلاثَ مَرَّاتٍ. فضَرَبُوا ثلاثًا؛ ويَقَعُ القِدْحُ فيها على الإِبلِ، فنُحِرَتْ، ثُمَّ تُرِكَت لا يُصَدُّ عنها إنسانٌ، ولا يُمْنَعُ. قال ابنُ هِشامٍ[2]: ويُقالُ: ولا سَبُعٌ.

ويُقالُ: إنَّه لَمَّا بلَغَتِ الإِبلُ مِائةً، خرَجَ على عبدِ اللَّهِ أيضًا، فَزَادُوا مِائةً أُخْرَى حتى بَلَغت مائتَيْن، فخرَجَ القِدْحُ على عبدِ اللَّهِ؛ فزادُوا مائةً أُخرى، فصارَتِ الإِبلُ ثَلَثَمائةٍ، ثُمَّ ضربُوا فَخَرجَ القِدْحُ على الإِبِلِ، فنحَرَها عندَ ذلك عبدُ المُطَّلِبِ. والصَّحِيحُ الأوَّلُ. واللَّهُ أعْلَمُ.

وقد رَوَى ابنُ جَريرٍ[3]، عن يُونُسَ بنِ عَبْدِ الأعْلى، عن ابنِ وَهْبٍ، عن يُونُسَ بنِ يَزِيدَ، عن الزُّهْرِيِّ، عن قَبِيصَةَ بنِ[4] ذؤَيْبٍ، أنَّ ابنَ عبَّاسٍ سَأَلَتْه

---

(١) سقط من: م، ص.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ١٥٥.

(٣) تاريخ الطبرى ٢/ ٢٣٩.

(٤) فى ص: «عن».

امْرأةٌ أنَّها نَذَرَتْ ذَبْحَ ولَدِها عندَ الكعبةِ ، فأمَرها بِذَبحِ مائةٍ مِن الإِبلِ ، وذَكَرَ لها هذه القِصَّةَ عن عبدِ المُطَّلِبِ ، وسألَتْ عبدَ اللَّهِ بنَ عُمَرَ ، فلم يُفْتِها بِشىءٍ ، بل توَقَّفَ ، فبلَغَ ذلك مَرْوَانَ بنَ الحكَمِ ، وهو أميرٌ على المَدينةِ ، فقالَ : إنَّهما لم يُصيبا الفُتْيَا ، ثُمَّ أمَرَ المَرْأةَ أن تَعْمَلَ ما اسْتطاعَت مِن الخَيْرِ ، ونهاها عن ذَبْحِ وَلَدِها ، ولم يَأْمُرْها بذَبْحِ الإِبلِ ، وأخَذَ الناسُ بقولِ مَرْوانَ فى ذلك . واللَّهُ أعْلمُ .

ذِكْرُ[1] تزْوِيجِ عبدِ المُطَّلِبِ ابنَه عَبْدَ اللَّهِ ، مِن آمِنَةَ بِنْتِ وَهْبٍ الزُّهْرِيَّةِ

[٢/ ٤و] قالَ ابنُ إسْحاقَ[2] : ثم انْصَرَف عبدُ المُطَّلِبِ آخِذًا بِيَدِ ابْنِه عَبْدِ اللَّهِ ، فمرَّ به - فيما يَزْعُمونَ - على امْرأةٍ مِن بَنى أسَدِ بنِ عَبْدِ العُزَّى بنِ قُصَىٍّ ، وهى أمُّ قَتّالٍ أُخْتُ وَرَقَةَ بنِ نَوْفَلِ بنِ أسَدِ بنِ عبدِ العُزَّى بنِ قُصَىٍّ وهى عندَ الكعبةِ ، فنَظَرَت إلى وَجْهِه ، فقالَتْ : أين تَذْهَبُ يا عبدَ اللَّهِ ؟ قال : معَ أبى . قالَتْ : لك مِثلُ الإبِلِ التى نُحِرَت عنك ، وقَعْ علىَّ الآنَ . قال : أنا معَ أبى ، ولا أسْتَطِيعُ خِلافَه ولا فِراقَه . فخَرَجَ به عبدُ المُطَّلبِ حتّى أتَى به[3] وَهْبَ بنَ عَبْدِ مَنافِ بنِ زُهْرَةَ بنِ كِلابِ بنِ مُرَّةَ بنِ كعبِ بنِ لُؤَىِّ بنِ غَالبِ بنِ فِهْرٍ ، وهو يَوْمَئذٍ سَيِّدُ بنى زُهْرَةَ نَسَبًا[4] وشَرَفًا ، فزوَّجه ابْنَتَه آمِنَةَ بنتَ وَهْبٍ ، وهى يَوْمَئذٍ سَيِّدَةُ نساءِ قَوْمِها ، فزَعَمُوا أنَّه دَخَل عليها حينَ أُمْلِكَها مكانَه ، فوَقَعَ عليها ، فحَمَلَت برَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ خَرَج مِن عندِها ، فأتَى المرأةَ التى عَرَضَتْ عليه ما عَرَضَتْ ، فقالَ لها : ما لكِ لا تَعْرِضِينَ علىَّ اليومَ ما كُنْتِ عَرَضْتِ علىَّ[5] بالأمْسِ ؟ قالتْ له : فارَقَكَ النُّورُ الذى كان معَك بالأمْسِ ،

---

(١) سقط من : م .

(٢) سيرة ابن إسحاق ص ١٩، ٢٠، وانظر سيرة ابن هشام ١/ ١٥٥، ١٥٦.

(٣) سقط من : الأصل ، م .

(٤) فى النسخ : « سنا » . والمثبت من سيرة ابن إسحاق ، وابن هشام .

(٥) سقط من : الأصل ، م .

فلَيْسَ لى بك اليومَ[1] حاجةٌ . وقد كانت تَسْمَعُ مِن أخِيها وَرَقَةَ بنِ نَوْفَلٍ - وكان قد تَنَصَّرَ واتَّبَعَ الكُتُبَ - أنَّه كائِنٌ فى هذه الأُمَّةِ نَبِىٌّ ، فطَمِعَت أن يكونَ منها ، فجعلهُ اللَّهُ تعالى فى أشْرَفِ عُنْصُرٍ ، وأكْرَمِ مَحْتِدٍ ، وأطيَبِ أصْلٍ ، كما قالَ تَعالَى : ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ﴾[2] [الأنعام: ١٢٤] .وسَنَذْكُرُ المَوْلِدَ مُفَصَّلًا .

ومِمّا قالت أُمُّ قَتّالٍ بنتُ نَوْفَلٍ مِن الشِّعرِ ، تَتأَسَّفُ على ما فاتَها مِن الأمْرِ الذى رَامَتْه ، وذلك فيما رَواهُ البَيْهقِىُّ[3] من طريقِ يُونُسَ بنِ بُكَيْرٍ ، عن مُحمَّدِ ابنِ إسْحاقَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ :

عليكَ بآلِ زُهْرَةَ حيثُ كانوا ... وآمِنةَ التى حَمَلَت غُلامَا
تَرَى المَهْدِىَّ حينَ نَزَا علَيْها ... ونُورًا قد تَقَدَّمَه أمَامَا

إلى أن قالَتْ :

فكلُّ الخَلْقِ يَرْجُوهُ جميعًا ... يَسُودُ النَّاسَ مُهْتَدِيًا إمامَا
بَرَاهُ[4] اللَّهُ مِن نورٍ صَفاءً[5] ... فأذْهَبَ نُورُه عنَّا الظَّلامَا
وذلكَ صُنْعُ رَبِّك إذ حبَاهُ ... إذَا ما سَارَ يومًا أو أقَامَا

---

(١) سقط من : الأصل ، م .

(٢) كذا (رسالاته) بالجمع لجميع القراء، سوى حفص وعبد الله بن كثير المكى فقرآ : (رسالته) بالإفراد .

(٣) البيهقى فى الدلائل ١/ ١٠٣، ١٠٤، وسيرة ابن إسحاق ص ٢٠.

(٤) براه ، من برأ ، أى خلقه .

(٥) فى ١ ٩، م : «صفاه» .

فَيَهْدِى أهْلَ مَكَّةَ بعدَ كُفْرٍ ... ويَفْرِضُ بعدَ ذَلِكُمُ الصِّيامَا

وقال أبو بَكْرٍ محمدُ بنُ جَعْفَرِ بنِ سَهْلٍ الخَرائِطِيُّ[(١)] : حدَّثَنا علىُّ بنُ حَرْبٍ ، حدَّثنا مُحمَّدُ بنُ عُمارَةَ القُرَشِيُّ ، حدَّثَنا مُسْلِمُ بنُ خَالدٍ الزَّنْجِيُّ ، حدَّثنا ابنُ جُرَيْجٍ ، عن عطاءِ بنِ أبى رَباحٍ ، عن ابنِ عبّاسٍ ، قال : لَمَّا انْطَلَقَ عبدُ المُطَّلِبِ بابْنِه عبدِ اللَّهِ لِيُزَوِّجَه ، مرَّ به على كاهِنَةٍ من أهْلِ تَبالَةَ مُتَهَوِّدَةٍ قد قَرَأَتِ الكُتُبَ ، يُقالُ لها : فاطمةُ بنتُ مُرٍّ الخَثْعَمِيَّةُ ، فرَأَتْ نُورَ النُّبُوَّةِ فِى وَجْهِ عبدِ اللَّهِ ، فقالَتْ : يا فَتَى ، هل لك أنْ تَقَعَ علىَّ الآنَ وأُعْطِيَك مِائةً مِن الإِبلِ ؟ فقالَ عبدُ اللَّهِ :

أَمَّا الحَرَامُ فَالمَمَاتُ دُونَهْ ... والحِلُّ لا حِلٌّ فَأَسْتَبِينَهْ

فكيفَ بالأمْرِ الذى تَبْغِينَهْ ... [(٢)]يَحْمِى الكريمُ عرضَه ودينَه[(٢)]

ثُم مضَى معَ أبِيه ، فزَوَّجَه آمِنَةَ بنتَ وَهْبِ بنِ عَبْدِ مَنافِ بنِ زُهْرَةَ ، فأقامَ عِنْدَها ثلاثًا ، ثُمَّ إنَّ نَفْسَه دعَتْه إلى ما دَعَتْهُ إليه الكَاهِنَةُ ، فأتاها ، فقالَتْ : ما صَنَعْتَ بعدِى ؟ فأخْبَرَها ، فقالَتْ : واللَّهِ ما أنا بصَاحِبَةِ رِيبَةٍ ، ولَكِنِّى رأيتُ فى وَجْهِك نُورًا ، فأرَدْتُ أن يكونَ فِىَّ ، وأَبَى اللَّهُ إلَّا أنْ يَجْعَلَه حيثُ أرَادَ . ثم أنْشأَت فاطمةُ [٢/٤ ظ] تَقولُ :

إنِّى رَأَيْتُ مُخِيلَةً[(٣)] لَمَعَتْ ... فَتَلأْلأَتْ بِحَنَاتِمِ[(٤)] القَطْرِ

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٤٠٤، من طريق الخرائطى به .

(٢ - ٢) زيادة من : م .

(٣) المخيلة : السحابة السوداء التى تخالها ماطرة .

(٤) حناتم : جمع حَنْتَمَة ، وهى السحابة السوداء لامتلائها من الماء .

فلمأتُها[1] نُورًا يُضِىءُ له ... ما حَوْلَه كإضاءةِ البَدْرِ

وَرَجَوْتُها فَخْرًا أبُوءُ به ... ما كُلُّ قادحِ زَنْدِهِ يُورِى

لِلَّهِ مَا زُهْرِيَّةٌ سَلَبَتْ ... ثَوْبَيْكَ ما اسْتَلبتْ وَمَا تَدْرِى

وقالَتْ فاطمةُ أيْضًا:

بنى هاشمٍ قد غادَرَتْ مِن أخِيكُم ... أمَيْنَةُ إذْ لِلْباهِ يَعْتَرِكانِ

كما غادَرَ المِصْباحَ عندَ خُمودِهِ ... فَتائلُ قد مِيثَت له بدِهانِ

وَمَا كلُّ ما يَحْوِى الفَتَى مِن تِلادِهِ ... بِحَزْمٍ ولا مَا فَاتَهُ لِتَوَانِى

فأَجْمِلْ إذا طالَبْتَ أمْرًا فإنَّه ... سَيَكْفِيكَهُ جَدَّانِ يَعْتَلِجَانِ

سَيَكفيكَه إمَّا يَدٌ مُقْفَعِلَّةٌ[2] ... وإمَّا يدٌ مبسوطةٌ بِبَنانِ

وَلَمَّا حَوَتْ مِنْهُ أُمَيْنَةُ مَا حَوَتْ ... حَوَتْ مِنْهُ فَخْرًا مَا لِذَلِك ثَانِ

ورَوَى أبو نُعَيْمٍ[3] الحافظُ فى كتابِ «دَلائلِ النُّبُوَّةِ»، مِن طريقِ يَعْقُوبَ بنِ مُحَمَّدٍ الزُّهْرِىِّ، عن عبدِ العزيزِ بنِ عِمْرانَ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ جَعْفَرٍ، عن أبى[4] عَوْنٍ، عن المِسْوَرِ بنِ مَخْرَمَةَ، عن ابنِ عبَّاسٍ، (5)عن أبيه العباسِ(5) قال: إنَّ عبدَ المُطَّلِبِ قَدِمَ اليمنَ فى رِحْلَةِ الشِّتاءِ، فَنَزَل على حَبْرٍ من اليَهُودِ، قال: فقالَ

---

(١) لمأتها: أبصرتها.

(٢) الاقفعلال: تشنج بالأصابع والكف؛ من برد أو داء، ويد مقفعلة أى، منقبضة. اللسان (قفعل).

(٣) الدلائل لأبى نعيم (٧١).

(٤) فى النسخ: «ابن». والمثبت من الدلائل، وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ٣٧٣.

(٥ - ٥) سقط من النسخ. والمثبت من الدلائل لأبى نعيم.

لى رَجُلٌ مِن أهْلِ الزَّبُورِ ، يَعْنِى أهْلَ الكِتابِ : يا عبدَ المُطَّلِبِ ، أتَأْذَنُ لى أن أنْظُرَ إلى بَعْضِك ؟ قال : نَعَمْ ما لم يَكُنْ عَوْرَةً . قال : فَفَتح إحْدَى مَنْخرَىَّ ، فَنَظَرَ فيه ، ثُم نَظَر فى الآخرِ ، فقالَ : أشْهَدُ أنَّ فى إحْدَى يَدَيْك مُلْكًا ، وفى الأُخْرَى نُبُوَّةً ، وأنَّا نجِدُ ذلك فى بَنى زُهْرَةَ ، فكيف ذلك ؟ قلتُ : لا أدْرِى . قال : هل لكَ مِن شاعةٍ[1] . قلتُ : وما الشَّاعَةُ ؟ قال : الزَّوْجَةُ . قلتُ : أمَّا اليومَ ، فلا . قال : فإذا رَجَعْتَ فَتَزَوَّجْ فيهم ، فرجَعَ عبدُ المُطَّلِبِ فَتَزَوَّجَ هالةَ بنتَ وُهَيْبِ[2] ابنِ عبدِ منافِ بنِ زُهْرَةَ ، فَوَلَدَتْ حمزةَ وصَفِيَّةَ ، ثُم تَزَوَّج عَبْدُ اللَّهِ بنُ عبدِ المُطَّلبِ آمنةَ بِنْتَ وَهْبٍ ، فوَلَدَت رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فقالَتْ قُرَيْشٌ حينَ تَزَوَّج عَبْدُ اللَّهِ بآمِنَةَ : فَلَج . أى فازَ وغَلَب عَبْدُ اللَّهِ على أبيه عَبْدِ المُطَّلِبِ .

---

(١) فى الأصل ، م : « شاغة » .

(٢) فى الأصل ، ا ٩، م : « وهب » .

بسم الله الرحمن الرحيم

كِتابُ سِيرةِ رَسولِ اللّهِ ﷺ،

[1]وذِكرُ أيَّامِه وغَزَواتِه وسَرَاياه والوفودِ إليه، وشمائِلِه وفضائِلِه ودلائِلِه الدالَّةِ عليه

بابُ ذكرِ نسبهِ الشريفِ، وطِيبِ أصلِهِ المُنِيفِ[1]

قال اللَّهُ تعالى : ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ ﴾ . ولمَّا سأل هِرَقْلُ مِلِكُ الرّومِ أبا سفيانَ تلك الأسئلةَ عن صفاتِه ، عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ، قال : كيف نَسَبُه فيكم ؟ قال : هو فينا ذُو نَسَبٍ . قال : كذلك الرُّسلُ تُبْعَثُ فى أَنسابِ قَوْمِها[2] . يعنى فى أكرمِها أحْسَابًا وأكثرِها قبيلةً . صلواتُ اللَّهِ عليهم أَجْمعينَ .

فهو سيِّدُ ولدِ آدمَ وفخرُهم فى الدُّنيا والآخِرةِ ؛ أبو القاسمِ ، وأبو إبراهيمَ ، محمدٌ ، وأحمدُ ، والماحِى الَّذِى يُمْحَى به الكفرُ ، والعاقِبُ الَّذى ليس بعدَه نبيٌّ ، والحاشِرُ الَّذى يُحْشَرُ النَّاسُ على قدمَيْه ، والمُقَفِّى[3] ، ونبىُّ الرَّحمةِ ، ونبىُّ

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) البخارى (٧، ٢٩٤١، ٤٥٥٣) .

(٣) قال فى زاد المعاد ١/ ٩٤: «هو الذى قفى من قبله من الرسل فكان خاتمهم وآخرهم» .

التَّوبةِ ، ونبىُّ المَلْحَمَةِ [٢/٥و] ، وخاتَمُ النَّبِيِّين ، والفاتحُ ، وطَه ، ويَس ، وعبدُ اللَّهِ .

قال البَيْهقىُّ[١] : وزاد بعضُ العُلَماءِ ، فقال : سمَّاه اللَّهُ فى القرآنِ رَسولًا ، نبيًّا ، أُمِّيًّا[٢] ، شاهدًا ، مُبَشِّرًا ، نَذِيرًا ، وداعيًا إلى اللَّهِ بإذنِه ، وسِرَاجًا مُنيرًا ، ورَءُوفًا رَحِيمًا ، ومُذَكِّرًا ، وجَعَلَه رَحْمةً ، ونِعْمَةً ، وهاديًا .

وسنُورِدُ الأَحادِيثَ المَرْوِيَّةَ فى أسمائِهِ ، عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ، فى بابٍ نَعْقِدُه بعدَ فَراغِ السِّيرَةِ ؛ فإنَّه قد وَرَدَتْ أَحاديثُ كَثِيرةٌ فى ذلك ، اعْتَنَى بِجَمْعِها الحافظان الكبيران ؛ أبو بكرٍ البَيْهَقىُّ ، وأبو القاسمِ ابنُ عساكرَ[٣] ، وأَفْرَدَ النَّاسُ فى ذلك مؤلفاتٍ ، حتى رام بَعْضُهم أَنْ يَجْمَعَ له ، عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ، ألفَ اسمٍ . وأمَّا الفَقِيهُ الكبيرُ أبو بكرٍ ابنُ العربىِّ المالِكِىُّ ، شَارِحُ « التِّرْمِذىِّ » بِكِتَابِه الَّذى سَمَّاه « الأَحْوَذِىَّ » ، فإنَّه ذَكَر مِن ذلكَ أَرْبَعَةً وسِتِّين اسْمًا[٤] . واللَّهُ أعلمُ .

وهو ابنُ عبدِ اللَّهِ ، وكان أَصْغَرَ وَلَدِ أبيه عبدِ المُطَّلبِ ، وهو الذَّبِيحُ الثَّانى ، المَفْدِىُّ بِمائةٍ مِن الإِبلِ ، كما تقدَّم .

قال الزُّهْرِىُّ[٥] : وكان أَجْمَلَ رِجالِ قُرَيْشٍ . وهو أَخو الحارِثِ ، والزُّبيرِ ، وحمزَةَ ، وضِرارٍ ، وأبى طالبٍ ، واسمُه عبدُ مَنافٍ ، وأبى لَهَبٍ ، واسْمُه عبدُ

---

(١) دلائل النبوة ١/ ١٦٠.

(٢) فى الأصل ، م : «أمينا» .

(٣) دلائل النبوة ١/١٥١ - ١٦١، تاريخ دمشق ١٧/٣ - ٣٤.

(٤) عارضة الأحوذى ١٠/ ٢٨١.

(٥) تاريخ الطبرى ٢/ ٢٤٦.

العُزَّى ، والمُقَوِّمِ ، واسمُه عبدُ الكعبةِ ، وقيل : هما اثنان . وحَجْلٍ ، واسمُه المغيرةُ ، والغَيْدَاقِ ، وهو كثيرُ الجُودِ ، واسمُه نَوْفَلٌ ، ويقالُ : إنَّه حَجْلٌ ، والعباسِ[1] . فهؤلاء أعمامُه ، عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ . وعمَّاتُه سِتٌّ ؛ وهُنَّ أَرْوَى ، وبَرَّةُ ، وأُمَيْمَةُ ، وصَفِيَّةُ ، وعاتِكَةُ ، وأُمُّ حَكِيمٍ ، وهى البَيْضاءُ . وسنَتَكَلَّمُ على كُلٍّ منهم فيما بعدُ ، إنْ شاء اللَّهُ تعالى .

فهؤلاء[2] أَوْلادُ عبدِ المُطَّلِبِ ، واسمُه شَيْبَةُ ، يُقالُ : لِشَيْبَةٍ كانَتْ فى رَأْسِهِ . ويُقالُ له : شَيْبَةُ الحَمْدِ . لجُودِهِ . وإنَّما قيل له : عبدُ المطَّلبِ ؛ لأنَّ أباه هَاشِمًا لمَّا مَرَّ بالمدينةِ فى تجارتِه إلى الشَّامِ ، نَزَلَ على عَمْرِو بنِ زَيْدِ بنِ لَبِيدِ بنِ حرامِ[3] بنِ خِداشِ بنِ [4]عامرِ بنِ غَنْمٍ[4] بنِ عَدِىٍّ بنِ النَّجَّارِ الخَزْرَجِىِّ النَّجَّارِىِّ ، وكانَ سيِّدَ قَوْمِه فأَعْجَبَتْه ابنتُه سَلْمَى ، فَخَطَبها إلى أبيها فزَوَّجها منه ، واشْتَرَط عليه مُقامَها عندَه . وقيل : بلِ اشْتَرَط عليه أنْ لا تَلِدَ إلَّا عندَه بالمدينةِ . فلمَّا رَجَعَ ، من الشَّامِ بَنَى بها ، وأَخَذَها معه إلى مَكَّةَ ، فلمَّا خَرَج فى تِجارَةٍ ، أَخَذَها معه ، وهى حُبْلَى ، فتَرَكها بالمدينةِ ، ودَخَل الشَّامَ فمات بغَزَّةَ ، وَوَضَعَتْ سَلْمَى وَلَدَها ، فَسَمَّتْه شَيْبَةَ ، فأقام عندَ أَخْوالِه بنى عَدِىٍّ بنِ النَّجَّارِ ، سَبْعَ سِنينَ ، ثُم جاءَ عمُّه المطَّلِبُ بنُ عبدِ مَنافٍ ، فأَخَذَه خُفْيَةً مِن أُمِّهِ ، فَذَهَب به إلى مَكَّةَ ، فلمَّا رآه النَّاسُ ورَأَوْه على الرَّاحِلَةِ ، قالوا : مَن هذا معك ؟ فقال : عبدى . ثُمَّ جاءُوا فهنَّئُوه به ، وجَعَلوا يَقُولون له : عبدُ المطَّلبِ . لذلك ، فغَلَبَ عليه ، وسادَ

---

(١) سقط من : الأصل ، م ، ص .

(٢) فى الأصل ، م : « كلهم » .

(٣) فى ا ٩، ص : « حزام » . انظر سيرة ابن هشام ١/ ١٠٧، وجمهرة أنساب العرب ص ١٤.

(٤ - ٤) فى النسخ : « خندف » ، والمثبت من سيرة ابن هشام ، وجمهرة أنساب العرب .

فى قريشٍ سِيادةً عَظِيمةً، وذَهَب بِشَرفِهم ورِئاسَتِهم، فكان جِماعُ أمرِهم إليه[1]، وكانتْ إليه السِّقايةُ والرِّفادَةُ بعدَ المطَّلِبِ، وهو الَّذى جدَّد حَفْرَ زَمْزَمَ بعدَما كانتْ مَطْمُومَةً مِن عهدِ جُرْهُمٍ، وهو أوَّلُ مَنْ حَلَّى[2] الكَعْبةَ بِذَهَبٍ فى أبوابِها، مِن تَيْنَكَ الغزالتَين اللَّتين مِن ذهبٍ، وجَدهما فى زَمْزَمَ مع تلك الأسْيافِ القَلْعيةِ.

قال ابنُ هشامٍ[3]: وعبدُ المطَّلبِ أخو أسدٍ ونَضْلَةَ[4] وأبى صَيْفىٍّ وحيَّةَ وخالدةَ ورُقَيَّةَ والشِّفاءِ وضعيفةَ. كلُّهم أولادُ هاشمٍ، واسمُه عمرٌو، وإنما سُمِّىَ هاشِمًا؛ لهَشْمِه الثَّرِيدَ مع اللَّحمِ لقومِه فى سِنِى المَحْلِ، كما قال مَطْرودُ[5] بنُ كَعْبٍ الخُزَاعىُّ فى قصيدَتِه، وقيل: هى[6] [7]لعبدِ اللَّهِ بنِ الزِّبَعْرَى[7] [٢/٥ظ]:

عَمرُو الذى هَشَم الثَّريدَ لقومِه ... [8]قومٍ بمكةَ مُسْنِتين عِجافِ[8]

سُنَّتْ إليه الرِّحْلَتانِ كِلاهما ... سَفَرُ الشتاءِ ورحْلةُ الأصيافِ

وذلك لأنّه أوَّلُ مَن سنَّ رِحْلَتَى الشِّتاءِ والصَّيفِ، وكان أكبرَ وَلَدِ أبيه، وحكى ابنُ جريرٍ[9] أنَّه كان تَوْأَمَ أخيه عبدِ شَمْسٍ، وأنَّ هاشِمًا خَرَج ورِجْلُه

---

(١) فى الأصل، م: «عليه».

(٢) فى م: «طلى».

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ١٠٧.

(٤) الأصل، م، ص: «فضلة». وفى ا ٩: «فضيلة». والمثبت من سيرة ابن هشام ١/ ١٠٧.

(٥) فى ص: «مطرد».

(٦) سقط من: الأصل، م.

(٧ - ٧) فى النسخ: «للزبعرى والد عبد الله». والمثبت من الروض الأنف ٢/ ٨٤.

(٨ - ٨) فى النسخ: «ورجال مكة مسنتون عجاف». والمثبت من الروض. والمسنتون: الذين أصابتهم السنة المجدبة الشديدة.

(٩) تاريخ الطبرى ٢/ ٢٥٢.

مُلْتَصِقَةٌ برأسِ عبدِ شَمْسٍ ، فما تخلَّصَتْ حتَّى سال بينَهما دمٌ ، فقال[1] النَّاسُ : بذلك يكونُ بينَ أولادِهما حُرُوبٌ . فكانتْ وقعةُ بنى العبَّاسِ مع بنى أُميّةَ بنِ عبدِ شَمْسٍ سنةَ ثلاثٍ وثلاثينَ ومِائةٍ من الهجرةِ . وشقيقُهم الثَّالثُ المطَّلبُ ، وكان المطَّلِبُ أصغرَ ولدِ أبيه ، وأمُّهم عاتِكَةُ بنتُ مُرَّةَ بنِ هلالٍ . ورابعُهم نَوْفَلٌ ، مِن أمٍّ أُخرى ، وهى واقدةُ[2] بنتُ عمرٍو المازِنيةُ ، وكانوا قد سادوا قومَهم بعدَ أبيهم ، وصارتْ إليهم الرِّياسةُ ، وكان يُقالُ لهم : المُجِيرون . وذلك لأنَّهم أخَذوا لقومِهم قُرَيْشٍ الأمانَ من مُلوكِ الأقاليمِ ؛ ليدخُلوا فى التِّجاراتِ إلى بلادِهم ، فكان هاشمٌ قد أخَذ أمانًا من مُلوكِ الشَّامِ والرومِ وغَسَّانَ ، وأخذَ لهم عبدُ شَمْسٍ من النَّجاشىِّ الأكبرِ مَلِكِ الحبشةِ ، وأخَذ لهم نَوْفَلٌ مِن الأكاسرةِ ، وأخَذ لهم المُطَّلبُ أمانًا مِن ملوكِ حِمْيَرَ . ولهم يَقُولُ الشاعرُ :

يا أَيُّها الرَّجُلُ المُحَوِّلُ رَحْلَه ... أَلَّا[3] نزَلْتَ بآلِ عبدِ مَنافِ !

وكان إلى هاشِمٍ السِّقايَةُ والرِّفادةُ بعدَ أبيه ، وإليه وإلى أَخيه المُطَّلبِ نَسَبُ ذَوِى القُرْبَى ، وقد كانوا شيئًا واحدًا فى حالَتَىِ الجاهِليَّةِ والإسلامِ لَم يَفْتَرِقوا ، ودَخَلوا معهم فى الشِّعْبِ ، وانخَذلَ عنهم بنو عبدِ شَمْسٍ ونَوْفَلٍ ، ولهذا يقولُ أبو طالبٍ فى قَصِيدَتِه :

جَزَى اللَّهُ عنّا عبدَ شَمْسٍ ونَوْفَلًا ... عُقوبةَ شَرٍّ عاجلًا غَيْرَ آجِلِ

ولا يُعْرَفُ بنو أَبٍ تَباينوا فى الوَفاةِ مِثْلُهم ؛ فإنَّ هاشِمًا مات بِغَزَّةَ مِن أَرْضِ

---

(1) فى ص : « فتفاءل » .

(2) فى الأصل : « وافدة » .

(3) فى ا 9 : « هلا » .

الشَّامِ ، وعبدَ شمسٍ مات بمكَّةَ ، ونَوْفَلًا مات بسَلْمانَ[1] مِن أَرْضِ العِراقِ ، ومات المُطَّلِبُ - وكان يقالُ له : القمرُ . لحُسْنِه - برَدْمانَ[2] من طَريقِ اليَمنِ ، فهؤلاء الإِخْوةُ الأَرْبعةُ المشاهيرُ ، وهم ؛ هاشمٌ ، وعبدُ شَمْسٍ ، ونَوْفَلٌ ، والمطَّلبُ ، ولهم أَخٌ خامسٌ ليس بمشهورٍ وهو أبو عمرٍو ، واسْمُهُ عبدٌ ، وأصلُ اسمِه عبدُ قُصَيٍّ ، فقال الناسُ : عبدُ بنُ قُصَيٍّ دَرَجَ[3] ، ولا عَقِبَ له . قاله الزبيرُ ابنُ بكَّارٍ وغيرُه[4] . وأَخَواتٌ سِتٌّ وهنَّ ؛ تُماضِرُ ، وحَيَّةُ ، ورَيْطَةُ ، وقِلابةُ ، وأُمُّ الأَخْثَمِ ، وأُمُّ سفيانَ . كُلُّ هؤلاء أولادُ عبدِ منافٍ ، ومنافٌ اسمُ صنمٍ ، وأَصلُ اسمِ عبدِ منافٍ المغيرةُ ، وكان قد رَأَسَ فى زَمَنِ وَالدِهِ ، وذهَب به الشَّرفُ كلَّ مَذْهَبٍ ، وهو أخو عبدِ الدَّارِ الَّذى كان أكبرَ ولدِ أَبيه وإليه أَوصَى بالمَنَاصِبِ كما تقدَّم[5] ، وعبدِ العُزَّى ، وعبدٍ ، وبَرَّةَ وتَخْمُرَ ، وأُمُّهم كُلِّهم حُبَّى بنتُ حُلَيْلِ بنِ حُبْشِيَّةَ[6] بنِ سَلُولِ بنِ كَعْبِ بنِ عَمْرٍو الخُزاعِيِّ ، وأَبُوها آخِرُ مُلوكِ خُزاعَةَ ، ووُلاةُ البيتِ مِنهم ، وكلُّهم أولادُ قُصَيٍّ ، واسمُهُ زَيْدٌ ، وإنَّما سُمِّى بذلك ؛ لأنَّ أُمَّه تزوَّجتْ بعدَ أَبيه بربيعةَ بنِ حَرامٍ[7] بنِ عُذْرةَ ، فسافَر بها إلى بلادِه ، وابنُها صغيرٌ ؛ فسُمِّىَ قُصَيًّا لذلك ، ثُم عاد إلى مكَّةَ وهو كبيرٌ [٢/٦٢و] ، ولَمَّ شَعَثَ قريشٍ ، وجَمَعها مِن مُتفَرِّقاتِ البلادِ ، وأَزاحَ يَدَ خُزاعَةَ عن البيتِ ،

---

(١) فى النسخ : « بسلامان » . والمثبت من معجم البلدان ١٢١/٣ .

(٢) فى النسخ : « بريمان » . والمثبت من معجم البلدان ٧٧٣/٢.

(٣) درج : انقرض .

(٤) تاريخ الطبرى ٢٥٤/٢ .

(٥) تقدم فى صفحة ٢٤٣.

(٦) فى الأصل ، م : « حبشى » .

(٧) فى النسخ : « حزام » . والمثبت من تاريخ الطبرى ٢/ ٢٥٤.

وأجْلاهم عن مكَّةَ، ورَجَع الحقُّ إلى نِصابِهِ، وصار رئيسَ قريشٍ عَلَى الإطلاقِ، وكانت إليه الرِّفادةُ[1]، [2]وهو سَنَّها[2]، والسِّقايةُ والسَّدانَةُ والحِجابَةُ واللِّواءُ، ودارُه دارُ النَّدْوَةِ، كما تقدَّم[3] بَسْطُ ذلك كلِّه ولهذا قال الشاعرُ[4]:

قُصَيٌّ لَعَمْري كان يُدْعَى مُجَمِّعًا به جَمَع اللَّهُ القَبائِلَ مِن فِهْرِ

وهو أخو زُهْرَةَ، كلاهما ابنا كِلابٍ أَخِي تَيْمٍ[5] ويَقَظَةَ أَبى مَخْزومٍ، ثلاثتُهم أبناءُ مُرَّةَ أَخِي عَدِيٍّ وهُصَيْصٍ، وهم أبناءُ كَعْبٍ، وهو الذَّى كان يَخْطُبُ قومَه كُلَّ جُمُعَةٍ، ويُبَشِّرُهم بمبعثِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، ويُنْشِدُ فى ذلك أَشْعارًا كما قدَّمْنا، وهو أَخو عامرٍ وسامَةَ وخُزَيمةَ وسَعْدٍ والحارثِ وعَوفٍ، سَبْعتُهم أبناءُ لُؤَىٍّ أَخِي تَيمِ الأَدْرَمِ، وهُما أبناءُ غالِبٍ أَخِي الحارثِ ومُحارِبٍ، ثلاثتُهم أبناءُ فِهْرٍ، وهو أَخو الحارثِ، وكلاهما ابنُ مالكٍ، وهو أَخو الصَّلْتِ ويَخْلُدَ، وهم بنو النَّضْرِ الذى إليه جِماعُ قُرَيشٍ عَلَى الصَّحيحِ كما قدَّمْنا[6] الدَّليلَ عليه، وهو أخو مالكٍ ومِلْكانَ وعبدِ مناةَ وغيرِهم، كلُّهم أولادُ كِنانةَ أَخِي أَسَدٍ وأَسَدةَ والهونِ أَوْلادِ خُزَيمةَ، وهو أَخو هُذَيلٍ، وهُما ابنا مُدْرِكةَ - واسْمُه عَمْرٌو[7] أخو طابِخةَ -

---

(١) فى الأصل، م: «الوفادة».

(٢ - ٢) أتت هذه العبارة فى م بعد كلمة: «السقاية».

(٣) انظر ما تقدم فى صفحة ٢٣٦.

(٤) نسبه الطبرى فى تاريخه ٢/٢٥٦ لمطرود.

(٥) فى ص: «تميم».

(٦) انظر ما تقدم فى صفحة ٢٢٠، ٢٢١.

(٧) كذا فى النسخ، وفى تاريخ الطبرى ٢/ ٢٦٦. وعند ابن هشام نقلا عن ابن إسحاق: «عامر».

واسمُهُ عامِرٌ[1] - وقَمَعَةَ ، ثلاثتُهم أبناءُ إلياسَ ، وأخو إلياسَ هو عَيْلانُ[2] والدُ قَيْسٍ كُلِّها ، وهما ولدا مُضَرَ أخى رَبيعَةَ ، ويقالُ لهما : الصَّريحان مِن ولدِ إسماعيلَ . وأخَواهما أَنْمارٌ وإيادٌ تَيامَنا ، أربعتُهم أبناءُ نِزارٍ أَخِى قُضاعةَ - فى قولِ طائفةٍ مِمَّن ذهَب إلى أنَّ قُضاعَةَ حِجازِيَّةٌ عَدْنانِيَّةٌ - وقد تقدَّم[3] بيانُه ، كِلاهما أبناءُ مَعَدِّ بنِ عَدْنانَ .

وهذا النَّسَبُ بهذه الصِّفَةِ لا خلافَ فيه بينَ العلماءِ ، فجميعُ قبائلِ عربِ الحِجازِ يَنْتَهُونَ إلى هذا النَّسبِ ، ولهذا قال ابنُ عبَّاسٍ وغيرُه فى قولِه تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [الشورى : ٢٣] : لم يكُنْ بَطْنٌ مِن بُطونِ قُرَيشٍ ، إلَّا ولِرسولِ اللَّهِ ﷺ نسبٌ يتَّصِلُ بهم[4] . وصدَق ابنُ عبَّاسٍ ، رَضِى اللَّهُ عنه ، فيما قال ، وأَزْيَدَ مِمَّا قال ؛ وذلك أنَّ جميعَ قبائلِ العربِ العَدْنانيةِ تَنتَهى إليه بالآباءِ ، وكثيرٌ مِنهم بالأُمَّهاتِ أيضًا ، كما ذَكَرَه محمدُ بنُ إسحاقَ وغيرُه فى أُمهاتِه وأُمَّهاتِ آبائِه وأُمَّهاتِهم ، مِمَّا[5] يطولُ ذِكْرُه . وقد حرَّره ابنُ إسحاقَ ، رحِمه اللَّهُ ، والحافظُ ابنُ عساكرَ ، وقد ذَكَرْنا[6] فى تَرْجمةِ عَدْنانَ ، نَسَبَه وما قيلَ فيه ، وأنَّه مِن وَلَدِ إسماعيلَ لا محالةَ ، وإنِ اختُلِفَ فى كَمْ بينَهما أَبًا ؟ عَلَى أقوالٍ قد بَسَطْناها

---

(١) كذا فى النسخ ، وفى تاريخ الطبرى ٢/ ٢٦٧. وعند ابن هشام نقلا عن ابن إسحاق : « عمرو » .

(٢) فى النسخ : « غيلان » . والمثبت من سيرة ابن هشام ١/ ٧٥.

(٣) تقدم فى صفحة ١٠٢ .

(٤) تفسير الطبرى ٢٥/ ٢٣.

(٥) فى الأصل ، م: « ما » .

(٦) تقدم فى صفحة ١٠٢.

فيما تقدَّمَ[(١)] . واللَّهُ أعلمُ .

وقد ذَكَرْنا بقيةَ النَّسبِ مِن عدنانَ إلى آدمَ ، وأَوْرَدْنا قصيدةَ أَبى العباسِ النّاشِئَ المتضمِّنةَ ذلك[(٢)] ، كلُّ ذلك فى أخبارِ عربِ الحجازِ ، وللَّهِ الحمدُ .

وقد تكلَّمَ الإمامُ أبو جعفرِ بنُ جريرٍ ، رَحِمه اللَّهُ ، فى أَوَّلِ « تاريخِه » عَلَى ذلك كلامًا مَبسوطًا جَيِّدًا مُحَرَّرًا نافِعًا ، وقد ورَد حديثٌ فى انتِسابِه ، عليه السلامُ ، إلى عدنانَ وهو عَلَى المِنبرِ ، ولكنِ اللَّهُ أَعْلَمُ بصحتِهِ ، كما قال الحافِظُ أبو بكرٍ البَيْهَقِيُّ[(٣)] : أنبأنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ أحمدَ بنِ عُمرَ[(٤)] بنِ حَفْصٍ المُقْرِئُ ببغدادَ ، حدَّثنا أبو عيسى [٢/٦٢ظ] بكَّارُ بنُ[(٥)] أحمدَ بنِ بكارٍ ، حدَّثنا أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ موسى بنِ سَعِيدٍ[(٦)] ، إملاءً سنةَ ستٍّ وتسعينَ ومائتين ، حدَّثنا أبو جعفرٍ محمدُ بنُ أبانَ القَلانِسِيُّ ، حدَّثنا أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ ربيعةَ القُدامِيُّ ، حدَّثنا مالكُ بنُ أَنَسٍ ، عن الزُّهْرِيِّ ، عن أَنَسٍ ، وعن أبى بكرِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ الحارثِ بنِ هشامٍ . قالا : بلَغ النبيَّ ﷺ ، أنَّ رِجالًا مِن كِنْدَةَ يَزْعُمون أنَّهم مِنه ، وأنَّه مِنهم ، فقال : « إنَّما كان يقولُ ذلك العبَّاسُ وأبو سفيانَ ابنُ حَرْبٍ [(٧)] إذا قَدِما المدينةَ[(٧)] لِيأمَنَا[(٨)] بذلك ، وإنّا لن نَنْتَفِيَ مِن آبائِنا ، نحنُ بنو النَّضْرِ بنِ كنانةَ » . قال : وخطَب النبيُّ ﷺ ، فقال : « أَنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ

---

(١) تقدم فى صفحة ١١٨ وما بعدها .

(٢) تقدم فى صفحة ٢٠٧ .

(٣) الدلائل للبيهقى ١/ ١٧٤.

(٤) فى الأصل : « عمرو » . وفى الدلائل : « محمد » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٠٢.

(٥) سقط من : الأصل .

(٦) فى م ، ص : « سعد » .

(٧ - ٧) سقط من النسخ . والمثبت من دلائل البيهقى ١/ ١٧٤.

(٨) فى الأصل ، م ، ص : « فيأمنا » .

ابنِ عبدِ المطَّلبِ بنِ هاشمِ بنِ عبدِ منافِ بنِ قُصَيِّ بنِ كلابِ بنِ مُرَّةَ بنِ كَعْبِ ابنِ لُؤَيِّ بنِ غالِبِ بنِ فِهْرِ بنِ مالكِ بنِ النَّضْرِ بنِ كِنانَةَ بنِ خُزَيْمَةَ بنِ مُدْرِكَةَ بنِ إلياسَ بنِ مُضَرَ بنِ نِزارٍ، وما افترق النّاسُ فِرقتَينِ إلَّا جعَلنى اللَّهُ فى خَيرِهما، فأُخْرِجْتُ مِن بينِ أبوىَّ فلم يُصِبْنى شىءٌ مِن عُهْرِ الجاهليةِ، وخرَجتُ مِن نِكاحٍ ولَم أَخْرُجْ مِن سِفاحٍ، مِن لَدُنْ آدمَ حتَّى انتهَيتُ إلى أَبِى وأُمِّى، فأنا خيرُكم نَفْسًا، وخيرُكم أبًا».

وهذا حديثٌ[1] غريبٌ جدًّا مِن حديثِ مالِكٍ. تَفَرَّدَ بِه القُدامِىُّ، وهو ضعيفٌ.

ولكن سَنذْكُرُ له شواهدَ مِن وجوهٍ أُخَرَ؛ فمِن ذلك قولُه: «خرَجتُ مِن نكاحٍ لا مِن سِفاحٍ»[2].

قال عبدُ الرَّزَّاقِ[3]: أخبرَنا ابنُ عُيَيْنَةَ، عن جعفرِ بنِ محمدٍ، عن أبيه أبى جعفرٍ الباقِرِ، فى قولِه تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]. قال: لَم يُصِبْه شىءٌ مِن ولادَةِ الجاهِلِيَّةِ. قال: وقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إنِّى خرَجْتُ مِن نِكاحٍ، ولم أَخْرُجْ من سِفاحٍ». وهذا مُرْسَلٌ جيِّدٌ. وهكذا رواه البَيْهَقِىُّ[4]، عن الحاكمِ، عن الأَصَمِّ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ

---

(١) سقط من: الأصل.

(٢) انظر إرواء الغليل ٦/ ٣٣٣.

(٣) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ١/ ٢٩١، عن جعفر بن محمد، والطبرى فى تفسيره ١١/ ٧٦ عن جعفر بن محمد عن أبيه.

(٤) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (١٣٩٦).

الصَّاغانيُّ[1]، عن يَحْيى بنِ أبي بُكَيْرٍ[2]، عن عبدِ الغفَّارِ بنِ القاسمِ، عن جَعْفَرِ ابنِ محمدٍ، عن أبيه، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إنَّ اللَّهَ أخْرَجَنى مِن النِّكاحِ ولم يُخْرِجْنى مِن السِّفاحِ».

وقد رواه ابنُ عَدِيٍّ[3] مَوصولًا، فقال: حدَّثنا أحْمدُ بنُ حَفْصٍ، حدَّثنا محمدُ بنُ أبى عمَرَ[4] (5العَدَنِيُّ المكِّيُّ5)، حدَّثنا محمدُ بنُ جَعْفَرِ بنِ محمدِ بنِ عليِّ بنِ الحُسَيْنِ، قال: أشْهَدُ عَلَى أبى، حدَّثنى عن أبيه، عن جدِّه، عن عليِّ ابنِ أبى طالبٍ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «خَرَجْتُ من نِكاحٍ ولم أَخْرُجْ مِن سِفَاحٍ، مِن لَدُنْ آدَمَ إلى أَن وَلَدنى أبى وأمِّى، ولم يُصِبْنى مِن سفاحِ الجاهليةِ شىءٌ». و[6]هذا غريبٌ مِن هذا الوجْهِ، ولا يكادُ يَصِحُّ.

وقال هُشَيْمٌ: حدَّثنا المَدِينيُّ، عن أبى الحُوَيرِثِ، عن ابنِ عبَّاسٍ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «ما وَلَدَنى مِن نكاحِ أَهْلِ الجاهليةِ شَىءٌ، ما وَلَدَنى إلَّا نِكاحٌ كنِكاحِ الإِسْلامِ». وهذا أيضًا غريبٌ، أَوْرَده الحافظُ ابنُ عَساكرَ[7]، ثُمَّ أسنده[8] مِن حديثِ أبى هريرةَ، وفى إسنادِه ضعفٌ. واللَّهُ أعلمُ.

---

(1) فى الأصل، م، ص: «الصنعانى». وفى ا ٩، والشعب: «الصغانى». والمثبت من مصادر ترجمته. وانظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٣٩٦.

(2) فى الأصل: «بكر». وفى ا ٩: «كثير».

(3) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٤٠٢، من طريق ابن عدى به. وانظر الإرواء ٦/ ٣٢٩.

(4) فى الأصل، م: «عمرو».

(5 - 5) فى الأصل: «العدوى المالكى».

(6) سقط من: م.

(7) تاريخ دمشق ٣/ ٤٠٠.

(8) تاريخ دمشق ٣/ ٤٠١.

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[1] : أخبرنا محمدُ بنُ عُمَرَ ، حدَّثنى محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ مسلمٍ ، عن عمِّه الزُّهْرىِّ ، عن عُرْوَةَ ، عن عائشةَ ، قالت : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « وُلِدْتُ مِن نِكاحٍ غيرِ سِفاحٍ » . ثُم أَوْرَد ابنُ عساكِرَ[2] مِن حديثِ أبى عاصمٍ ، عن شَبِيبٍ[3] ، عن عِكْرِمَةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، فى قولِه تعالى : ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٩] قال : مِن نبىٍّ إلى نبىٍّ ، حتى أخرجْتَ نبيًّا . ورواه عن عطاءٍ[4] .

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[5] : أخْبَرَنا هشامُ بنُ محمدٍ الكَلْبِىُّ ، عن أبيه ، قال : كَتَبْتُ للنبىِّ ﷺ خمسَمائةِ أُمٍّ ، فما وجَدْتُ فيهنَّ سِفَاحًا ، ولا شيئًا مما كان مِن أمرِ الجاهليةِ .

وثَبَتَ فى « صحيحِ البُخارىِّ »[6] مِن حديثِ عمرِو بنِ أبى عمرٍو ، عن سعيدٍ المَقْبُرِىِّ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ [٢/٧و] : « بُعِثْتُ مِن خيرِ قُرُونِ بنى آدمَ قَرْنًا فَقَرْنًا ، حتى بُعِثْتُ مِن القَرْنِ الَّذى كنتُ فيه » . وفى « صحيحِ مسلمٍ »[7] مِن حديثِ الأَوْزاعىِّ ، عن شَدَّادٍ أبى عمَّارٍ ، عن واثِلَةَ بنِ الأَسْقَعِ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، قال : « إنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مِن ولدِ إبراهيمَ إسْماعِيلَ ، واصْطَفَى مِن بنى إسماعيلَ بنى كِنَانَةَ ، واصْطَفَى مِن بنى كِنانةَ

---

(١) طبقات ابن سعد ١/ ٦١.

(٢) تاريخ دمشق ٣/ ٤٠١.

(٣) فى الأصل : « شعيب » .

(٤) فى تاريخ دمشق ٣/ ٤٠٢.

(٥) طبقات ابن سعد ١/ ٦٠.

(٦) البخارى (٣٥٥٧) .

(٧) تقدم تخريجه فى صفحة ٢٢٥ .

قريشًا ، واصْطَفَى مِن قريشٍ بنى هاشِمٍ ، واصْطَفانى مِن بنى هاشِمٍ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا أبو نُعَيم ، عن سُفْيانَ ، عن يزيدَ بنِ أبى زيادٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ بنِ نَوْفَلٍ ، عن المطَّلبِ بنِ أبى وَداعَةَ ، قال : قال العبَّاسُ : بَلَغَه ﷺ بعضُ ما يقولُ الناسُ ، فَصَعِدَ المِنْبَرَ ، فقال : « مَن أنا ؟ » قالوا : أنت رسولُ اللَّهِ . فقال : « أنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ المطَّلبِ ، إنَّ اللَّهَ خَلَقَ الخَلْقَ فجَعَلَنى فى خيرِ خَلْقِه ، وجعلَهم فِرقتَيْنِ ، فجعَلَنى فى خيرِ فرقةٍ ، وخَلَقَ القَبائِلَ فجَعَلَنِى فى خيرِ قبيلةٍ ، وجعلَهم بيوتًا ، فجعَلنى فى خيرِهم بيتًا ، فأنا خيرُكم بيتًا وخيرُكم نَفْسًا » . صلواتُ اللَّهِ وسلامُهُ عليه دائمًا أبدًا إلى يومِ الدِّينِ .

وقال يعقوبُ بنُ سُفْيانَ[2] : حدَّثنا عبيدُ اللَّهِ بنُ موسى ، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ ، عن يزيدَ بنِ أبى زيادٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ بنِ نَوْفَلٍ ، عن العبَّاسِ بنِ عبدِ المطَّلبِ ، قال : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّ قريشًا إذا التَقَوا لَقِى بعضُهم بعضًا بالبَشَاشةِ ، وإذا لَقُونا لَقُونا بوجوهٍ لا نَعْرِفُها . فغَضِب رسولُ اللَّهِ ﷺ ، عندَ ذلك غَضَبًا شَديدًا ، ثُم قال: « والَّذى نفسُ محمدٍ بيدِه ،لا يَدْخُلُ قَلْبَ رجلٍ الإيمانُ حتى يُحِبَّكم للَّهِ ولرَسُولِه » . فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّ قريشًا جَلَسوا فتَذاكَروا أحسابَهُم ، فجعلوا مَثَلَك مَثَلَ نخْلةٍ فى كَبْوَةٍ مِن الأرضِ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إن اللَّهَ يومَ خلقَ الخَلْقَ جعلَنى فى خيرِهم ، ثُم لمَّا فرَّقَهم قبائلَ جعلَنى (٣ فى خيرِهم ٣) قبيلَةً ، ثُم حينَ جعلَ البيوتَ جَعَلَنى فى خيرِ

(١) أحمد فى المسند ١/ ٢١٠. (إسناده صحيح).

(٢) المعرفة والتاريخ ١/ ٢٩٥، ٤٩٧.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

بيوتِهم ، فأنا خيرُهم نَفْسًا وخيرُهم بيتًا » . ورواه أبو بكْرِ بنُ أبى شَيْبَةَ[1] ، عن ابنِ فُضَيْلٍ ، عن يزيدَ بنِ أبى زِيادٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ ، عن رَبِيعةَ بنِ الحارثِ ، قال : بَلَغَ النبيَّ ﷺ . فذكَره بنحوِ ما تَقدَّم ، ولم يَذْكُرِ العبَّاسَ .

وقال يَعْقُوبُ بنُ سُفْيانَ[2] : حدَّثنى يَحْيَى بنُ عبدِ الحميدِ ، حدَّثنى قَيْسُ ابنُ عبدِ اللَّهِ ، عنِ الأعْمَشِ ، عن عَبايَةَ[3] بنِ رِبْعِيٍّ ، عن ابنِ عبّاسٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ اللَّهَ قَسَمَ الخلقَ قِسْمَيْنِ فجعلَنى فى خيرِهما قِسْمًا ، فذلك قولُه : ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴾ ، ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴾ ، فأنا مِن أصحابِ اليمينِ ، وأنا خيرُ أصحابِ اليمينِ ، ثُم جعلَ القِسْمَين أثلاثًا فجعلَنى فى خيرِها ثُلُثًا ، فذلك قولُه : ﴿ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴾ ، ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴾ ، فأنا مِن السَّابقِين ، وأنا خيرُ السَّابقِينَ ، ثُم جعلَ الأثلاثَ قبائلَ ، فجعَلَنى فى خيرِها قبيلةً ، فذلك قولُه : ﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ . وأنا أَتْقَى ولَدِ آدمَ وأكْرمُهم على اللَّهِ ، ولا فَخْرَ ، ثُم جَعَلَ القبائلَ بيوتًا ، فجعلَنى فى خيرِها بيتًا ، وذلك قولُه : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ . فأنا وأهلُ بَيتى مُطَهَّرُونَ مِن الذُّنُوبِ » . وهذا الحديثُ فيه غَرابةٌ ونَكارةٌ .

ورَوَى الحاكمُ والبيْهَقِيُّ[4] مِن حديثِ محمدِ بنِ ذَكْوانَ ، خالِ[5] حمادِ بنِ

---

(1) ومن طريق ابن أبى شيبة ، أخرجه البيهقى فى الدلائل ١/ ١٦٨، ١٦٩.

(2) المعرفة والتاريخ ١/ ٤٩٨.

(3) فى م : « عليلة » ، وفى ص : « عابلة » .

(4) المستدرك ٤/ ٧٣، والدلائل للبيهقى ١/ ١٧١، ١٧٢.

(5) فى ص : « خالد » .

زيدٍ، عن عَمْرِو بنِ دِينارٍ، عن ابنِ عُمَرَ، قال: إنَّا لَقُعُودٌ بفِناءِ النَّبيِّ ﷺ، إذْ مَرَّت به امرأةٌ، فقال بعضُ القومِ: هذه ابنةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فقال أبو سفيانَ: مَثَلُ محمدٍ فى بنى هاشمٍ مَثَلُ الرَّيْحانَةِ فى وَسَطِ النَّتْنِ. فانْطَلَقت المرأةُ فأخْبَرَت النَّبيَّ ﷺ، فجاء رسولُ اللَّهِ ﷺ، يُعْرَفُ فى وجْهِه [٢/٧ظ] الغضَبُ، فقال: «مَا بالُ أقوالٍ تَبْلُغُنى عن أقوامٍ، إنَّ اللَّهَ خلقَ السَّماواتِ سَبْعًا فاختارَ العلياءَ منها، فأَسْكَنَها مَن شَاءَ مِن خَلْقِه، ثم خَلقَ الخَلْقَ فاختارَ مِن الخَلْقِ بنى آدمَ، واختارَ مِن بنى آدمَ العربَ، واختارَ مِن العربِ مُضَرَ، واختارَ مِن مُضَرَ قُرَيشًا، واختار مِن قريشٍ بنى هاشمٍ، واختارَنى مِن (١) بنى هاشمٍ (١)، فأنا خِيارٌ مِن خِيارٍ، فمن أحبَّ العربَ فبِحُبِّى أحبَّهُم، ومَن أَبْغضَ العربَ فببُغْضِى أبغَضَهُم». وهذا أيضًا حديثٌ غريبٌ.

وثبت فى «الصَّحيحِ»[2] أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ، قال: «أنا سيِّدُ ولدِ آدمَ يومَ القيامةِ ولا فَخْرَ».

وروى الحاكمُ والبَيْهقىُّ[3] أيضًا مِن حديثِ موسى بنِ عُبَيْدَةَ، حدَّثنا عمرُو ابنُ عبدِ اللَّهِ بنِ نَوْفلٍ، عن الزُّهرىِّ، عن أبى أُسامةَ - أو أبى سَلَمةَ - عن عائشةَ، رَضِى اللَّهُ عنها، قالت: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «قال لى جبريلُ: قَلَبْتُ الأَرْضَ[4] مشارِقَها ومغارِبَهَا فلم أجِدْ رَجلًا أفْضَلَ مِن محمدٍ، وقَلَبْتُ

(١ - ١) فى ص: «قريش».

(٢) مسلم (٢٢٧٨) بدون لفظة: «ولا فخر». وبهذه اللفظة أخرجه ابن حبان، الإحسان (٦٤٧٨). (حديث صحيح لغيره، وإسناده ضعيف). انظر (السلسلة الصحيحة ١٥٧١).

(٣) الدلائل للبيهقى ١/ ١٧٦، وعزاه صاحب الكنز (٣١٩١٣) إلى الحاكم فى الكنى عن عائشة.

(٤) بعده فى م: «من».

الأَرْضَ مشارِقَها ومغارِبَهَا فلم أجِدْ بنى أبٍ أفضلَ مِن بنى هاشمٍ » .

قال الحافظُ البيهقىُّ[1] : وهذه الأحاديثُ ، وإنْ كان فى رُواتِها مَن لا يُحْتَجُّ به ، فبعضُها يُؤَكِّدُ بعضًا ، ومعنى جميعِها يَرْجِعُ إلى حديثِ واثِلَةَ بنِ الأَسْقَعِ . واللَّهُ أعلمُ .

قلتُ : وفى هذا المعنى يَقُولُ أَبُو طالبٍ يَمْتَدِحُ النَّبِىَّ ﷺ :

إِذا اجْتَمَعَتْ يَوْمًا قُرَيشٌ لِمَفْخَرٍ ... فعَبدُ مَنافٍ سِرُّهَا[2] وصَمِيمُها[3]

فإنْ حُصِّلَتْ أَشْرَافُ عبدِ مَنافِها ... ففى هاشِمٍ أَشْرَافُها وقَدِيمُها

وإنْ فَخَرَتْ يَوْمًا فإنَّ مُحَمَّدًا ... هُو المُصْطَفَى مِن سِرِّها وكريمُها

تَدَاعَتْ قُرَيْشٌ غَثُّها وسَمِينُها ... عَلَيْنا فَلَمْ تَظْفَرْ وطاشَتْ حُلُومُها

وكُنَّا قَدِيمًا لا نُقِرُّ ظُلَامَةً ... إذا ما ثَنَوْا صُعْرَ الخُدُودِ نُقِيمُها

ونَحْمِى حِماها كُلَّ يَوْمِ كَريهَةٍ ... ونَضْرِبُ عن أَجْحارِها[4] مَن يَرُومُها

بِنا انْتَعشَ العُودُ الذَّواءُ[5] وإنَّما ... بأكنافِنا تَنْدَى وتَنْمِى أُرُومُها[6]

قال أبو السُّكَيْنِ[7] زكريَّا بنُ يَحْيى الطَّائِىُّ ، فى الجزءِ المنسوبِ إليه

---

(١) الدلائل للبيهقى ١/ ١٧٦.

(٢) سرها : وسطها .

(٣) صميمها : خالصها .

(٤) الأجحار : الحصون والمعاقل .

(٥) الذواء : الذى جفت رطوبته .

(٦) الأروم : الأصول .

(٧) فى م ، ص : « السكن » . وانظر تقريب التهذيب ١/ ٢٦٣.

المشهورِ: حدَّثنى عَمٌّ[1] أبى زَحْرُ[2] بنُ حِصْنٍ[3]، عن جَدِّه حُمَيدِ ابنِ مُنْهِبٍ[4]، قال: قال جَدِّى خُرَيْمُ بنُ أوسٍ: هاجرتُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، فقدِمْتُ عليه مُنْصَرَفَه مِن تَبوكَ، فأسْلَمْتُ، فسَمِعْتُ العبَّاسَ بنَ عبدِ المطَّلِبِ، يَقولُ: يا رسولَ اللَّهِ، إنِّى أُرِيدُ أنْ أمتدِحَك. فقال رَسولُ اللَّهِ ﷺ: «قُلْ، لَا يَفْضُضِ اللَّهُ فاكَ»، فأنشَأَ يَقُولُ:

مِن قبلِها طبتَ فى الظِّلالِ وفى ... مُستودَعٍ حيثُ يُخْصَفُ الوَرَقُ

ثُم هَبَطْتَ البلادَ لا بَشَرٌ ... أنت ولا مُضْغَةٌ ولا عَلَقُ

بل نُطْفَةٌ تَرْكَبُ السَّفينَ وقد ... أَلْجَمَ نَسْرًا وأهلَه الغَرَقُ

تُنقَلُ من صالبٍ[5] إلى رَحِمٍ ... إذا مضَى عَالَمٌ بدا طَبَقُ

[٢/٨و] حتَّى احْتَوى بيتُك المهيمنُ مِنْ ... خِنْدِفَ علياءَ تَحْتَهَا النُّطُقُ

وأنتَ لمَّا وُلِدْتَ أشرقتِ الـ ... أرضُ وضاءتْ بنورِك الأُفُقُ

فنحن فى ذلك الضياءِ وفى الـ ... نُّورِ وسُبْلِ الرَّشادِ نَخْتَرِقُ[6]

وقد رُوِىَ هذا الشِّعرُ لحسَّانَ بنِ ثابتٍ، فروَى الحافظُ أبو القاسِمِ ابنُ

---

(١) فى م، ص: «عمر بن».

(٢) فى الدلائل: «زخر». وانظر تهذيب الكمال ٩/ ٣٨٤.

(٣) فى م، ص: «حصين».

(٤) فى الدلائل: «منيب».

(٥) فى م: «صلب». والصالب: الصلب.

(٦) المستدرك ٣/٣٢٧، ٣٢٨، والدلائل للبيهقى ٥/ ٢٦٧، ٢٦٨. وانظر شرح هذه الأبيات فى عارضة الأحوذى ١٣/ ٩٦، ٩٧.

عَساكِرَ[1] مِن طريقِ أبى الحسَنِ بنِ أبى الحديدِ، أخبرنا أبو[2] محمدِ بنُ أبى نصرٍ، أنا عبدُ السَّلامِ بنُ [3]أحمدَ بنِ محمدٍ[3] القرشِيُّ، حدَّثنا أبو حُصَيْنٍ مُحَمَّدُ بنُ إسماعيلَ بنِ محمدٍ التَّميمىُّ، حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الزَّاهدُ الخُراسانىُّ، حدَّثنى إسحاقُ بنُ إبراهيمَ بنِ بُنانٍ[4]، حدَّثنا سلَّامُ بنُ سليمانَ، أبو العبّاسِ المَكْفوفُ المَدائنىُّ، حدَّثنا وَرْقاءُ بنُ عُمرَ، عن ابنِ أبى نَجِيحٍ، عن عطاءٍ ومجاهدٍ، عن ابنِ عَبّاسٍ، قال: سألتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ، فقلتُ: فِدَاكَ أبى وأمِّى؛ أين كُنْتَ وآدمُ فى الجنةِ؟ قال: فتبسَّمَ حتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، ثُمَّ قال: «كُنتُ فى صُلْبِه[5]، ورُكِبَ بِىَ السَّفينةُ فِى صُلْبِ أبى نوحٍ، وقُذِفَ بى فى صُلْبِ أبى إبراهيمَ، لَمْ يَلْتَقِ أَبَوَاى على سِفاحٍ قَطُّ، لَمْ يزلِ اللَّهُ يَنْقُلُنى مِن الأَصْلابِ الحَسِيبَةِ إلى الأرحامِ الطَّاهِرَةِ، صِفَتى مَهْدِىٌّ، لا يَنشَعِبُ شُعبتان إلَّا كنتُ فى خيرِهما، قد أخذ اللَّهُ بالنبوَّةِ ميثاقى، وبالإسلامِ عَهْدى، وبَشَّرَ[6] فى التَّوراةِ والإنجيلِ ذِكْرِى، وبيَّنَ كلُّ نبىٍّ صِفَتى، تُشْرِقُ الأرضُ بنورِى، والغَمامُ لوَجْهِى[7]، وعلَّمَنِى كتابَه، [8]رَوى بى[9] سَحَابَه[8][10] وشقَّ لى اسمًا من

---

(1) تاريخ دمشق ٣/٤٠٨، ٤٠٩.

(2) سقط من: م، ص.

(٣ - ٣) فى م، ص: «محمد بن أحمد».

(4) فى الأصل: «بيان». وفى م، ص: «سنان».

(5) فى ص: «ضلعه».

(6) فى الأصل، ا ٩، م: «نشر».

(7) فى ا ٩، م، ص: «بوجهى».

(٨ - ٨) سقط من: م.

(9) فى النسخ: «فى». والمثبت من تاريخ دمشق ٣/٤٠٨.

(10) بعده فى م: «وزادنى شرفا فى سمائه».

أسمائِه، فذو العرشِ محمودٌ، وأنا محمدٌ[1]، ووعدَنى أنْ يحْبُوَنى بالحوضِ والكَوْثَرِ، وأن يَجْعَلَنى أوَّلَ شافعٍ، وأوَّلَ مُشَفَّعٍ، ثُمَّ أَخْرَجنى مِن خيرِ قَرْنٍ لأُمَّتِى، وهم الحَمَّادُونَ، يَأْمُرون بالمعَرْوفِ، ويَنْهَوْنَ عن المُنْكرِ».

قال ابنُ عبَّاسٍ، فقال حسَّانُ بنُ ثابتٍ فى النبىِّ ﷺ:

مِن[2] قبلِها طِبْتَ فى الظِّلالِ وفى ... مُسْتَوْدَعٍ يَوْمَ يُخْصَفُ الوَرَقُ

ثُم سَكَنْتَ البلادَ لا بَشَرٌ ... أنتَ ولا نُطْفَةٌ ولا عَلَقُ

مُطَهَّرٌ تَرْكَبُ السَّفِينَ وقد ... أَلْجَمَ نَسْرًا وأهلَه الغَرَقُ

تُنْقَلُ مِن أصْلُبٍ[3] إلى رَحِمٍ ... إذا مَضَى طَبَقٌ بَدا طَبَقُ

فقال النَّبىُّ ﷺ: «يَرْحَمُ اللَّهُ حَسَّانَ». فقال علىُّ بنُ أبى طالبٍ: وجَبَتِ الجَنَّةُ لحسَّانَ وربِّ الكعبةِ. ثُم قال الحافظُ ابنُ عَساكِرَ: هذا حديثٌ غريبٌ جدًّا. قلتُ: بل مُنْكَرٌ جدًّا[4].

قال[5]: والمحفوظُ أنَّ هذه الأبياتَ للعبَّاسِ، رَضِىَ اللَّهُ عنه، ثُم أَوْرَدَها مِن حديثِ[6]أبى السُّكَيْنِ[6] زكريا بنِ يَحْيَى الطَّائىِّ، كما تقدَّم.

قلتُ: ومن النَّاسِ من يَزْعُمُ أنَّها للعبَّاسِ بنِ مِرْدَاسٍ السُّلَمىِّ. فاللَّهُ أعلمُ.

---

(١) بعده فى ا ٩، م، ص: «أحمد».

(٢) سقط من: الأصل، م، ص.

(٣) فى الأصل، ا ٩: «صلبة»، وفى م، ص: «صلب». والمثبت من تاريخ دمشق.

(٤) قلت: بل حديث موضوع. انظر الموضوعات ١/ ٢٨١. واللآلئ المصنوعة ١/ ٢٦٤.

(٥) القائل ابن عساكر. تاريخ دمشق ٣/ ٤٠٩.

(٦ - ٦) فى تاريخ دمشق: «ابن السكن». انظر تقريب التهذيب ١/ ٢٦٣.

تَنْبِيهٌ: قال القاضى عِياضٌ، فى كتابِه «الشِّفاء»[1]: وأمَّا أحمدُ الذى أَتَى فى الكُتُبِ وبشَّرتْ به الأنبياءُ، فمنع اللَّهُ بحِكْمتِه أن يُسَمَّى به أحدٌ غيرُه، ولا يُدْعَى به مَدْعُوٌّ قبلَه، حتى لا يَدْخُلَ لَبْسٌ على ضَعِيفِ القلبِ أو شَكٌّ، وكذلك محمدٌ لم يُسَمَّ به أحدٌ من العربِ ولا غيرِهم، إلى أن شاع قبلَ وجودِه وميلادِه؛ أنَّ نَبِيًّا يُبْعَثُ اسمُه محمدٌ، فسمَّى قومٌ قليلٌ مِن العربِ أبْناءَهم بذلك رجاءَ أن يكونَ أحدَهم هو و﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ﴾ وهم؛ [٨/٢ظ] محمدُ بنُ أُحَيْحَةَ بنِ الجُلاحِ الأَوْسِيُّ، ومحمدُ بنُ مَسْلَمَةَ[2] الأَنْصارِيُّ، ومحمدُ بنُ البَراءِ البَكْرِيُّ[3]، ومحمدُ بنُ سُفْيانَ بنِ مُجاشِعٍ، ومحمدُ بنُ حُمْرانَ الجُعْفِيُّ، ومحمدُ بنُ خُزاعِيٍّ السُّلَمِيُّ، لا سابعَ لهم. ويقالُ: إنَّ أوَّلَ مَن سُمِّيَ محمدًا محمدُ بنُ سُفْيانَ بنِ مُجاشِعٍ. واليمنُ تَقُولُ: بل محمدُ بنُ اليَحْمُدِ مِن الأَزْدِ. ثُم إنَّ اللَّهَ حَمَى كلَّ مَن تَسَمَّى به أن يَدَّعِيَ النُّبُوَّةَ أو يَدَّعِيَها له أحدٌ، أو يَظْهَرَ عليه سَبَبٌ يُشكِّكُ[4] أحدًا فى أَمْرِه حتى تَحَقَّقَتِ السِّمتان[5] له ﷺ، لَم يُنازَعْ فيهما. هذا لَفْظُه.

---

(١) فى الشفاء ١/٣١٣، ٣١٤.

(٢) فى النسخ: «سلمة». والمثبت من الشفاء.

(٣) فى النسخ: «الكندى». والمثبت من الشفاء.

(٤) فى النسخ: «يشكل». والمثبت من الشفاء.

(٥) فى م، ص: «الشيمتان».

باب مَوْلِدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ

وُلِدَ، صلواتُ اللَّهِ عليه وسلامُه، يومَ الاثنينِ، لمَا رَواه مسلمٌ فى «صحيحِه»[1] مِن حديثِ غَيْلانَ بنِ جريرٍ، عن[2] عبدِ اللَّهِ بنِ مَعْبَدٍ الزِّمَّانِيِّ، عن أبى قَتادَةَ، أنَّ أعْرابِيًّا قال: يا رسولَ اللَّهِ، ما تَقُولُ فى صَوْمِ يَوْمِ الاثْنَينِ؟ فقال: «ذاك يومٌ وُلِدْتُ فيه وأُنْزِلَ علَيَّ فيه».

وقال الإمامُ أحمدُ[3]: حدَّثنا موسى بنُ دَاودَ، حدَّثنا ابنُ لَهيعةَ، عن خالدِ ابن أبى عِمْرانَ، عن حَنَشٍ الصَّنْعَانيِّ، عن ابنِ عبّاسٍ، قال: وُلِدَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، يومَ الاثنينْ، واستُنْبِئَ يومَ الاثْنَينِ، وخرج مُهَاجِرًا مِن مَكَّةَ إلى المدينةِ يومَ الاثنينْ، وقَدِم المدينةَ يومَ الاثنينِ، وتُوفِّيَ يومَ الاثنينْ، ورَفَع الحَجَرَ الأَسْوَدَ يومَ الاثنينْ. تفرَّد به أحمدُ، ورواه[4] ابن عفير، وابن بكير[4]، عن ابنِ لَهيعَةَ، وزاد: و[5] نَزَلَتْ سُورَةُ «المائدةِ» يومَ الاثنينْ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[6] [المائدة: ٣]. وهكذا رواهُ بعضُهم، عن موسى بنِ داودَ به، وزادَ أيضًا: وكانتْ

---

(١) مسلم (١١٦٢).

(٢) فى الأصل، م: «بن».

(٣) المسند ١/ ٢٧٧. (إسناده صحيح).

(٤ - ٤) فى الأصل: «ابن عفراء وأبو بكر»، وفى ا ٩، ص: «ابن عمرو بن بكير»، وفى م: «عمرو بن بكير». والمثبت من الدلائل للبيهقى ٧/ ٢٣٣، ٢٣٤. وانظر تاريخ دمشق ٣/ ٦٧.

(٥) سقط من: م.

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٦٧. من طريقين عن ابن عفير، وابن بكير، كلاهما عن ابن لهيعة بإسناد أحمد السابق.

وَقْعَةُ بَدْرٍ يومَ الاثنينْ[1] . وممّن قال هذا يزيدُ بنُ أبى[2] حَبيبٍ[3] . وهذا مُنْكَرٌ جِدًّا .

قال ابنُ عَساكِرَ[4] : والمحفوظُ أنَّ بَدْرًا ونزولَ : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ يومُ الجُمُعَةِ . وصَدَقَ ابنُ عَساكِرَ .

ورَوَى عُبَيْدُ[5] اللَّهِ بنُ عُمَرَ ، عن كُرَيْبٍ ، عن ابنِ عَبَّاسٍ : وُلِد رسولُ اللَّهِ ﷺ ، يومَ الاثنينِ ، وتُوُفِّىَ يومَ الاثنينِ[6] . وهكذا رُوِى مِن غيرِ هذا الوجهِ عن ابنِ عباسٍ أَنَّهُ وُلِدَ يومَ الاثنينْ[7] . وهذا مِمَّا[8] لا خِلافَ فيه أنه وُلِدِ ﷺ ، يومَ الاثنينْ . وَأَبْعَدَ بل أَخْطَأَ مَن قال : وُلِدَ يومَ الجُمُعَةِ ، لِسَبْعَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِن ربيعٍ الأوَّلِ . نَقَلَه الحافظُ ابنُ دِحْيَةَ فيما قَرَأَه فى كِتابِ « إعلامِ الوَرَى[9] بأعلامِ الهُدَى » لِبعضِ الشِّيعةِ . ثم شَرَعَ ابنُ دِحْيَةَ فى تضعيفِه ، وهو جديرٌ بالتضعيفِ ؛ إذ هو خِلافُ النَّصِّ ، ثم الجُمْهُورُ على أَنَّ ذلِك كان فى شَهْرِ ربيعٍ الأوَّلِ ، فقيلَ : لِلَيْلَتَيْنِ خَلَتَا منه . قاله ابنُ عبدِ البَرِّ فى « الاستيعابِ »[10] . ورواه الْوَاقِدِىُّ[11] ، عن أبى مَعْشَرٍ نَجِيحِ بنِ عبدِ الرَّحمنِ المَدَنىِّ . وقيل : لثمانٍ خَلَوْنَ

---

(١) تاريخ دمشق ٣/ ٦٨، ٦٩ .

(٢) سقط من : م ، ص .

(٣) تاريخ دمشق ٣/٦٩ ، عن يزيد .

(٤) تاريخ دمشق ٣/ ٦٩.

(٥) فى الأصل ، ص : « عبد » .

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه ٣/ ٦٨. عن عبيد الله به .

(٧) انظر تاريخ دمشق ٣/ ٦٧، ٦٨.

(٨) فى الأصل ، م : « ما » .

(٩) فى الأصل ، م : « الروى » .

(١٠) الاستيعاب ١/ ٣٠.

(١١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه ٣/ ٧٠. عن الواقدى به .

منه . حكَاه الحُمَيْديُّ ، عن ابنِ حَزْمٍ . ورواه مالكٌ وعقيلٌ ويونسُ بنُ يزيدَ وغيرُهم ، عن الزُّهْرِيِّ ، عن محمدِ بنِ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ . ونقَلَ ابنُ عبدِ البَرِّ [1] ، عن أصحابِ الزِّيجِ [2] أنَّهم صَحَّحُوه . وقَطَع بِه الحافظُ الكبيرُ محمدُ بنُ مُوسَى الخُوارِزْمِيُّ [3] ، ورجَّحه الحافظُ أبو الخطَّابِ ابنُ دِحْيَةَ فى كتابِه « التَّنْويرِ فى مولدِ البَشِيرِ النَّذِيرِ » [4] . وقيل : لعَشْرٍ خَلَوْنَ منه . نقَله ابنُ دِحْيَةَ فى كتابِه ، ورواه ابنُ عَسَاكِرَ [5] عن أبى جَعْفَرٍ البَاقِرِ ، ورواه مجالدٌ ، عن الشَّعْبِيِّ [6] . وقِيلَ : لِثِنْتَىْ عَشْرَةَ خَلَتْ منه . نَصَّ عليه ابنُ إسْحَاقَ [7] . ورواه ابنُ أبى شَيْبَةَ فى « مُصَنَّفِهِ » [8] ، عن عفَّانَ ، عن سعيدِ بنِ مِينا [9] ، عن جابرٍ وابنِ عبَّاسٍ ، أنَّهما قالا : وُلِدَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، عامَ الفيلِ يومَ الاثنيْنِ الثانىَ [10] عَشَرَ مِن شهرِ ربيعٍ الأَوَّلِ ، وفيه بُعِثَ ، وفيه عُرِجَ به إلى السَّماءِ ، وفيه [٩/٢و] هاجرَ ، وفيه مَاتَ . وهذا هو المشهورُ عندَ الجمهورِ . واللَّهُ أعلمُ . وقيل : لِسَبْعَ عَشْرةَ خَلَتْ منه . كما نَقَلَهَ ابنُ دِحْيَةَ عن بعضِ الشِّيعَةِ . وقيل : لثمانٍ بَقِينَ منه . نَقَلَهُ ابنُ دحية مِن خَطِّ الْوَزِيرِ أبى رافعٍ ابنِ الحافظِ أبى محمدِ ابنِ حَزْمٍ ، عن أبيه . والصَّحِيحُ

---

(١) الاستيعاب ١/ ٣٠، وسبل الهدى والرشاد ١/ ٤٠٣.

(٢) فى ا ٩، م، ص : « التاريخ » . والزيج : كل كتاب يتضمن جداول فلكية يعرف منها سير النجوم، ويستخرج بواسطتها التقويم سنة سنة . الوسيط . (ز ى ج) .

(٣) الاستيعاب ١/ ٣١.

(٤) انظر سبل الهدى والرشاد ١/ ٤٠٣.

(٥) تاريخ دمشق ٣/ ٧٥. وأبو جعفر الباقر هو محمد بن على . تقريب التهذيب ٢/ ٤٠٦.

(٦) رواه ابن عساكر فى تاريخه ٣/ ٧٥. عن مجالد به .

(٧) سيرة ابن هشام ١/ ١٥٨.

(٨) لم أجده فى المصنف . وانظر سبل الهدى والرشاد ١/ ٤٠٣.

(٩) فى ص : « ميتا » .

(١٠) فى م ، ص : « الثامن » .

عن ابنِ حَزْمٍ الأوَّلُ ؛ أَنَّهُ لِثَمانٍ مَضَيْنَ منه . كما نَقَلَه عنه الحُمَيدِىُّ ، وهو أَثْبَتُ . والقولُ الثانى ، أنه وُلِدَ فى رَمَضَانَ . نَقَلَهُ ابنُ عبدِ البرِّ[1] ، عن الزُّبَيْرِ بنِ بَكَّارٍ ، وهو قَوْلٌ غريبٌ جدًّا ، وكان مُسْتَنَدَهُ أَنَّه ، عليه الصلاةُ وَالسَّلامُ ، أُوحِىَ إليه فى رَمَضَانَ بلا خِلاَفٍ ، وذلك على رأسِ أَرْبعينَ سَنَةً مِن عُمُرِهِ ، فيكونُ مَوْلِدُه فى رَمَضانَ ، وهذا فيه نَظَرٌ . واللَّهُ أعلمُ .

وقد رَوَى خيثَمةُ بنُ سُلَيْمَانَ الحَافِظُ ، عن خَلَفِ بنِ محمدٍ ، كُرْدُوسٍ الْوَاسِطِىِّ ، عن المُعَلَّى بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن عبدِ الحميدِ بنِ جَعْفَرٍ ، عن الزُّهْرِىِّ ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن ابنِ عبَّاسٍ ، قال : وُلِدَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، يومَ الاثنينِ فى ربيعٍ الأوَّلِ ، [2]وأُنْزِلَت عليه النُّبُوَّةُ يومَ الاثنينِ فى أوَّلِ شَهْرِ ربيعٍ الأوَّلِ[2] ، وأُنزِلتْ عليه « البقرةُ » يومَ الاثنينِ فى ربيعٍ الأوَّلِ[3] وهاجرَ إلى المدينةِ[4] فى ربيعٍ الأَوَّلِ ، وتُوُفِّىَ يومَ الاثنينِ فى ربيعٍ الأولِ[3] . وهذا غريبٌ جدًّا ، رواه ابنُ عَساكِرَ[5] .

قال الزُّبَيْرُ بنُ بَكَّارٍ : حَمَلَتْ به أُمُّه فى أَيَّامِ التَّشْرِيقِ ، فى شِعْبِ أبى طالبٍ عندَ الجَمْرَةِ الوُسْطَى ، ووُلِدَ بمكةَ بالدارِ المعروفةِ لمحمَّدِ بنِ يُوسُفَ ، أخى الحجَّاجِ ابنِ يوسفَ ، لِثنتى عشْرةَ ليلةً خَلَتْ مِن شهرِ رَمَضانَ[6] .

---

(١) الاستيعاب ١/ ٣٠.

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، م .

(٤) بعده فى ا ٩، ص : « يوم الاثنين » .

(٥) تاريخ دمشق ٣/ ٦٨.

(٦) ذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب ١/ ٣٠.

ورواه الحافظُ ابنُ عساكِرَ[1] مِن طريقِ محمدِ بنِ عُثْمانَ، عن[2] عُقْبَةَ بنِ مُكْرَمٍ، عن المُسَيَّبِ بنِ شَريكٍ، عن شُعَيْبِ بنِ شُعَيْبٍ، عن أبيه، عن جَدِّه، قال: حُمِلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، فى عاشُوراءِ المُحَرَّمِ، ووُلِدَ يومَ الاثنَيْنِ لِثِنْتَى عَشْرَةَ ليلةً خَلَتْ مِن شهرِ رَمَضانَ سنةَ ثلاثٍ وعِشْرينَ مِن غزوةِ أصحابِ الفيلِ. وذكر غيرُه أنَّ الخَيْزُرانَ، وهى أمُّ هارُونَ الرَّشيدِ، لمَّا حجَّتْ أَمَرَتْ بِبناءِ هذه الدَّارِ مسْجدًا[3]. فهو يُعْرَفُ بها اليومَ. وذَكرَ السُّهَيلىُّ[4] أنَّ مَولِدَه، عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، كان فى العشرينَ مِن نَيْسانَ. وهذا أعدلُ الأَزْمانِ والفصولِ، وذلك لسنةِ اثنتينِ وثمانينَ وثمانِمائةٍ لذى القَرْنَيْنِ، فيما ذَكرَ أصحابُ الزِّيجِ. وزعموا أنَّ الطَّالعَ كانَ لعشرينَ دَرَجةً مِن الجَدْيِ، وكانَ المُشْتَرِى وزُحَلُ مُقْترنَيْنِ فى ثلاثِ دَرَجٍ مِن العَقْربِ، وهى دَرَجةُ وَسْطَ السَّماءِ، وكان مُوافِقًا مِن البُروجِ الحَمَلَ، وكان ذلك عند طلوعِ القمرِ أوَّلَ الليلِ. نقله كلَّه ابنُ دِحْيةَ. واللَّهُ أعلمُ.

قال ابنُ إسحاقَ[5]: وكان مولِدُه، عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، عامَ الفِيلِ، وهذا هو المشْهورُ عن الجمهورِ.

قال إبراهيمُ بنُ المُنْذِرِ الحِزامىُّ: وهو الَّذى لا يَشُكُّ فيه أحدٌ مِن عُلَمائِنا أنَّه، عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، وُلِدَ عامَ الفيلِ، وبُعِث على رأسِ أربعينَ سنةً مِن الفيلِ.

---

(١) تاريخ دمشق ٣/ ٦٦.
(٢) فى الأصل، م: «بن».
(٣) تاريخ الطبرى ٢/ ١٥٦.
(٤) الروض الأنف ٢/ ١٥٩.
(٥) سيرة ابن هشام ١/ ١٥٨.

وقد رواه البيهقيُّ[(١)] مِن حديثِ أبي إسحاقَ السَّبيعيِّ، عن سَعيدِ بنِ جُبيْرٍ، عَن ابنِ عبّاسٍ، قال: وُلِدَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، عامَ الفيلِ. وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[(٢)]: حدَّثني المطَّلِبُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ قَيْسِ بنِ مَخْرمةَ، عن أبيه، عن جَدِّه قَيْسِ بنِ مَخْرَمةَ، قال: وُلِدْتُ أنا ورسولُ اللَّهِ ﷺ، عامَ الفيلِ، كنا لِدَيْنِ[(٣)]. قال: وسأَلَ عثمانُ، رضِي اللَّهُ عنه، قُباثَ بنَ أُشَيْمٍ، أخا بني يَعْمُرَ ابنِ لَيْثٍ: أنت أكبرُ أم رسولُ اللَّهِ ﷺ؟ فقال: رسولُ اللَّهِ ﷺ، أكبرُ مِنِّي، وأنا أقْدَمُ منه في المِيلادِ. ورأيتُ خَذْقَ[(٤)] الفِيلِ أَخْضَرَ مُحِيلًا[(٥)]. رواه التِّرمذيُّ والحاكمُ[(٦)] مِن حديثِ محمدِ بنِ إسحاقَ به.

قال ابنُ إسحاقَ[(٧)]: [٢/٩ظ] وكانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، عامَ عُكَاظٍ ابنَ عشرين سنةً.

وقال ابنُ إسحاقَ[(٨)]: كانَ الفِجارُ بعدَ الفيلِ بعشرينَ سنةً، وكان بناءُ الكعبةِ بعدَ الفِجارِ بِخمْسَ عَشْرَةَ سنةً، والمَبْعَثُ بعدَ بنائِها بخمسِ سنينَ. وقال محمدُ بنُ جُبيرِ بنِ مُطْعِمٍ: كانت عُكاظٌ بعدَ الفيلِ بخمسَ عَشْرَةَ سنةً، وبناءُ الكَعبةِ بعدَ عُكاظٍ بعشرِ سنينَ، والمبعثُ بعدَ بنائِها بخمسَ عَشْرَةَ سنةً[(٩)].

---

(١) الدلائل للبيهقي ١/ ٧٥.
(٢) سيرة ابن هشام ١/ ١٥٩.
(٣) لِدَين: مثنى لِدة؛ وهو مَن وُلِدَ معك في وقت واحد. الوسيط (ل د ن).
(٤) خذق الفيل: روثه.
(٥) محيلا: متغيرا.
(٦) الترمذي (٣٦١٩)، والمستدرك ٣/٤٥٦ ببعضه. ضعيف (ضعيف الترمذي ٧٤٤).
(٧) سيرة ابن إسحاق ص ٢٥.
(٨) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣/ ٧٣. عن محمد بن إسحاق به.
(٩) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣/ ٧٤. عن محمد بن جبير بن مطعم بمعناه.

وروى الحافظُ البيهقىُّ[1] مِن حديثِ عبدِ العزيزِ بنِ أبى ثابتٍ المَدِينىِّ، حدثنا الزُّبيرُ بنُ موسى، عن أبى الحُوَيْرِثِ، قال: سمعتُ عبدَ الملكِ بنَ مَرْوانَ يقولُ لقُباثِ بنِ أُشَيْمٍ الكِنانىِّ، ثُم الليثىِّ: يا قُباثُ، أنتَ أكبرُ أمْ رسولُ اللَّهِ ﷺ؟ قال: رسولُ اللَّهِ ﷺ، أكبرُ مِنِّى، وأنا أَسَنُّ منه[2]، وُلِدَ رسولُ اللَّهِ، عامَ الفِيلِ، ووقَفَتْ بى أُمِّى على رَوْثِ الفِيلِ مُحِيلًا أعْقِلُه، وتُنُبِّئَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، على رأسِ أربعينَ سنةً.

وقال يعقوبُ بنُ سُفْيانَ[3]: حدَّثنا يَحْيَى بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ بُكَيْرٍ، حدَّثنا نُعيمٌ، يعنى ابنَ مَيْسَرةَ، عن بعضِهم، عن سُوَيْدِ بنِ غَفَلَةَ، أنَّه قال: أنا لِدَةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ؛ وُلِدتُ عامَ الفيلِ.

قال البيهقىُّ[4]: وقد رُوِىَ عن سُوَيْدِ بنِ غَفَلَةَ أنَّه قال: أنا أصغرُ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ، بسنتَيْنِ. قال يعقوبُ بنُ سُفْيانَ[5]: حدَّثنا إبراهيمُ بنُ المُنْذِرِ، حدَّثنا عبدُ العزيزِ بنُ أبى ثابتٍ، حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ عُثْمانَ بنِ أبى سُلَيْمانَ النَّوْفَلِىُّ، عن أبيه، عن محمدِ بنِ جُبَيرِ بنِ مُطْعِمٍ، قال: وُلِدَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، عامَ الفيلِ، وكانت بعدَه عُكاظٌ بِخَمْسَ عَشْرَةَ سنةً، وبُنِىَ البيتُ على رأسِ خمسٍ وعشرينَ سنةً مِن الفيلِ، وتَنَبَّأَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، على رأسِ أربعينَ سنةً مِن الفيلِ.

---

(١) دلائل النبوة للبيهقى ١/ ٧٨، ودلائل النبوة لأبى نعيم (٥٢).

(٢) زيادة من: ا ٩.

(٣) المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٥٣.

(٤) الدلائل للبيهقى ١/ ٧٩.

(٥) المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٥١.

والمقصودُ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ، وُلِدَ عامَ الفيلِ، على قولِ الجمهورِ. فقيل: بعدَه بشهرٍ، وقيل: بأربعين يومًا. وقيل: بخمسين يومًا. وهو أشهر. وعن أبى جَعْفَرٍ الباقرِ، كان قدومُ الفيلِ للنِّصْفِ مِن المُحَرَّمِ، ومولدُ رسولِ اللَّهِ ﷺ، بعدَه بخمسٍ وخمسينَ ليلةً[1]. وقال آخَرُونَ: بلْ كانَ عامُ الفيلِ قبلَ مولدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، بعشْرِ سنينَ. قاله ابنُ أَبْزَى[2]. وقيل: بثلاثٍ وعشرين سنةً. رواه شُعَيْبُ بنُ شُعَيْبٍ، عن أبيه، عن جَدِّه، كما تقدَّم[3]. وقيل: بعدَ الفيلِ بثلاثينَ سنةً. قاله موسى بنُ عُقْبَةَ، عن الزُّهرِيِّ[4]، رحِمه اللَّهُ. واختاره موسى ابنُ عُقْبَةَ[5] أيضًا، رحِمه اللَّهُ. وقال أبو زكريا العجلانيُّ: بعدَ الفيلِ بأربعين عامًا. رواه ابنُ عَساكِرَ[6].

وهذا غريبٌ جدًّا، وأغربُ منه ما قال خَلِيفةُ بنُ خَيَّاطٍ[7]: حدَّثنى شعيبُ ابنُ حَيَّانَ[8]، عن عبدِ الواحدِ بنِ أبى عمرٍو، عن الكَلْبِيِّ، عن أبى صالحٍ، عن ابنِ عباسٍ، قال: وُلِدَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، قبلَ الفيلِ بخمسَ عَشْرَةَ سنةً. وهذا حديثٌ غريبٌ ومنكرٌ وضعيفٌ أيضًا. قال خليفةُ بنُ خَيَّاطٍ[9]: والمُجْتَمَعُ عليه أنَّه، عليه السَّلام، وُلِدَ عامَ الفيلِ.

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/٧٥ عن أبى جعفر الباقر به.
(٢) المصدر السابق ٣/٧٦ عن ابن أبزى.
(٣) تقدم فى صفحة ٣٧٧ .
(٤) الدلائل للبيهقى ١/ ٧٨. انظر سبل الهدى والرشاد ١/ ٤٠٥.
(٥) تاريخ دمشق ٣/ ٧٦. عن موسى بن عقبة.
(٦) تاريخ دمشق ٣/ ٧٦.
(٧) تاريخ خليفة بن خياط ١/ ١١.
(٨) وقع فى تاريخ خليفة: «حبان» وهو تصحيف. وانظر ترجمته فى ميزان الاعتدال ٢/ ٢٧٦.
(٩) المصدر السابق ١/ ١٠.

صِفةُ مولِدِه الشريفِ، عليه الصَّلَاةُ والسَّلامُ

قد تَقَدَّم[1] أنَّ عبدَ المطَّلبِ لمَّا ذَبَحَ تلك الإبِلَ المائةَ عن ولدِه عبدِ اللَّهِ، حينَ كانَ نَذَرَ ذَبْحه، فسلَّمه اللَّهُ تعالى؛ لِما كان قُدِّر فى الأزلِ مِن ظهورِ النبىِّ الأمىِّ ﷺ، خاتَمِ الرُّسُلِ وسيدِ ولدِ آدمَ مِن صُلْبِه، فذهبَ كما تقدَّم[2]، فزوَّجه أشرفَ عَقِيلةٍ فى قريشٍ؛ آمنةَ بنتَ وَهْبِ بنِ عبدِ منافِ بنِ زُهْرَةَ الزُّهْريَّةَ، فحينَ دخلَ بها وأَفْضَى إليها حَملَتْ برسولِ اللَّهِ ﷺ [١٠/٢و]، وقد كانت أمُّ قَتَّالٍ رُقيقةُ بنتُ نوفلٍ، أختُ ورقةَ بنِ نوفلٍ، توسَّمتْ ما كان بينَ عَيْنَىْ عبدِ اللَّهِ، قبلَ أن يُجامِعَ آمنةَ مِن النُّورِ، فودَّت أن يكونَ ذلك مُتَّصِلًا بها؛ لِما كانت تَسْمَعُ مِن أخيها مِن البِشاراتِ بوجودِ محمدٍ ﷺ، وأنَّه قد أَزِفَ زمانُه؛ فعرَضتْ نفسَها عليه. قال بعضُهم: ليتَزَوَّجَها. وهو أظهرُ، واللَّهُ أعلمُ، فامْتَنَع عليها، فلمَّا انتقَل ذلك النُّورُ الباهرُ إلى آمنةَ بمواقعتِه إيَّاها، كأنَّه تَنَدَّم على ما كانتْ عَرَضَتْ عليه، فتعرَّض لها لِتُعاوِدَه، فقالتْ: لَا حاجةَ لى فيكَ. وتأسَّفَتْ على ما فاتها مِن ذلك، وأنشَدَتْ فى ذلك ما قدَّمْناه[3] مِن الشِّعْرِ الْفَصِيحِ البَليغِ. وهذه الصِّيانةُ لِعبدِ اللَّهِ ليسْت له، وإنَّما هى لرسولِ اللَّهِ

---

(١) تقدم فى صفحة ٣٤٤ .

(٢) تقدم فى صفحة ٣٤٨ .

(٣) تقدم فى صفحة ٣٤٩ - ٣٥١ .

ﷺ ، فَإِنَّه كما قال تعالى : (اللَّهُ أعلمُ حيثُ يَجعَلُ رِسالاتِهِ) ، وقدْ تقدَّمَ[1] الحديثُ المَرْوِيُّ مِن طريقٍ جيِّدٍ أنَّه قالَ عليه الصلاةُ والسلامُ : « وُلِدْتُ من نِكاحٍ لا مِن سِفَاحٍ » .

والمقصودُ أنَّ أمَّه حينَ حمَلتْ به تُوُفِّيَ أبوه عبدُ اللَّهِ ، وهو حَمْلٌ فى بَطْنِ أمِّه ، على المشهورِ . قال محمَّدُ بنُ سَعْدٍ[2] : حدَّثَنا محمدُ بنُ عمرَ ، هو الْوَاقِدِيُّ ، حدَّثَنا مُوسَى بنُ عُبَيْدَةَ الرَّبَذِيُّ[3] ، (4)عن محمدِ بنِ كَعْبٍ(4) ، وحدَّثنا سَعيدُ بنُ أبى زيدٍ ، عن أيُّوبَ بنِ عبدِ الرَّحْمنِ بنِ أبى صَعْصَعَةَ ، قالا : خرجَ عَبْدُ اللَّهِ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ إلى الشَّامِ (5)إلى غَزَّةَ(5) ، فى عِيرٍ مِن عِيراتِ قُرَيشٍ ، يَحْمِلُونَ تِجاراتٍ ، ففرَغوا مِن تجاراتِهم ، ثُمَّ انصرَفوا فمرُّوا بالمدينةِ ، وَعبدُ اللَّهِ بنُ عَبْدِ المطَّلِبِ يَوْمَئذٍ مريضٌ ، فقال : أَتخلَّفُ عِندَ أخْوالِى بنى عَدِىِّ ابنِ النَّجّارِ . فأقَامَ عِندَهم مَرِيضًا شَهْرًا ، ومضى أصحابُهُ فقدِمُوا مَكَّةَ ؛ فسألهم عَبْدُ المُطَّلِبِ عن ابنِهِ عَبْدِ اللَّهِ ، فقالوا : خَلَّفْناه عِندَ أخوالِهِ بنى عَدِىِّ بنِ النَّجّارِ ، وهو مريضٌ . فبعَث إليه عَبْدُ الْمُطَّلِبِ أكبرَ ولدِهِ الحارثَ ، فوجَده قد تُوُفِّيَ ودُفِنَ فى دارِ النَّابِغَةِ ، فرجَعَ إلى أبيهِ فأخبرَه ، فوجَدَ عليه عَبْدُ الْمُطَّلِبِ وإخوتُه وأَخَوَاتُه وَجْدًا شَديدًا ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ ، يومَئذٍ حَمْلٌ ، ولِعَبْدِ اللَّهِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ يَوْمَ تُوُفِّيَ خمسٌ وعشرون سَنَةً .

---

(١) تقدم فى صفحة ٣٦٢ .

(٢) طبقات ابن سعد ١/ ٩٩.

(٣) فى الأصل : « الرندى » . وفى ا ٩: « الزبيدى » . وفى م ، ص : « اليزيدى » . والمثبت من طبقات ابن سعد . وانظر تهذيب الكمال ٢٩/ ١٠٤.

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥ - ٥) فى ص : « فى غزوة » .

قال الواقِديُّ[1] : هذا هو أثبتُ الأقاويلِ فى وفاةِ عبدِ اللَّهِ وسِنِّه عندَنا .

قال الواقِديُّ[2] : وحدثنى معمرٌ ، عن الزُّهْرِىِّ أنَّ عبدَ المُطَّلِبِ بعَث عبدَ اللَّهِ إلى المدينةِ يمتارُ لهم تمْرًا ، فماتَ . قال محمَّدُ بنُ سَعْدٍ[3] : وقد أنبأَنا هِشَامُ بنُ مُحمدِ بنِ السَّائِبِ الْكَلْبىُّ عن أبيهِ ، وعن عَوانَةَ بنِ الحَكَمِ ، قالا : تُوُفِّىَ عَبْدُ اللَّهِ ابنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بعدَما أَتى على رسولِ اللَّهِ ﷺ ثمانيةٌ وعِشرُونَ شهرًا ، ويُقالُ : سَبعَةُ أَشْهُرٍ . وقال مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ[4] : والأوَّلُ أَثْبَتُ ؛ أنَّه تُوُفِّىَ ورسولُ اللَّهِ ﷺ حَمْلٌ . وقال الزُّبَيرُ بنُ بَكَّارٍ[5] : حدَّثنى مُحَمَّدُ بْنُ حَسَنٍ ، عن عبدِ السَّلامِ ، عن ابنِ خَرَّبُوذَ ، قال : تُوُفِّىَ عبدُ اللَّهِ بالمدينةِ ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ ابنُ شَهرَيْن ، وماتتْ أمُّه وهو ابنُ أربعِ سنينَ ، وماتَ جَدُّه وهو ابنُ ثمانِ سنِينَ ، فأَوْصَى به إلى عمِّه أبى طالبٍ . والذى رَجَّحه الواقِدِىُّ وكاتِبُه الحافظُ مُحَمَّدُ ابنُ سَعْدٍ[6] ، أنَّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ، تُوُفِّىَ أبوه وهو جَنِينٌ فى بَطْنِ أُمِّهِ . وهذا أَبْلَغُ اليُتْمِ وأعلى مراتِبِه . وقد تقدَّم فى الحديثِ[7] : « ورُؤْيَا أُمِّى التى رأتْ حِينَ حَمَلتْ بى كأَنَّه خرجَ منها نُورٌ أضاءَتْ له قصورُ الشَّامِ » . وقال مُحَمَّدُ بْنُ إسْحَاقَ[8] : فكانتْ آمِنَةُ بنتُ [٢/١٠ظ] وَهْبٍ أمُّ رسولِ اللَّهِ ﷺ تُحدِّثُ أنَّها

---

(١) طبقات ابن سعد ١/ ٩٩ .

(٢) وأخرجه من طريق الواقدى ، ابن سعد فى الطبقات ١/ ٩٩.

(٣) طبقات ابن سعد ١/ ١٠٠.

(٤) طبقات ابن سعد ١/ ١٠٠.

(٥) ومن طريق الزبير بن بكار ، أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٧٨.

(٦) طبقات ابن سعد ١/ ٩٩، ١٠٠.

(٧) تقدم تخريجه فى ٢/ ٤٨٨.

(٨) سيرة ابن إسحاق ص ٢٢. وانظر سيرة ابن هشام ١/ ١٥٧، ١٥٨. وعنده مختصرًا، إلى قوله : « كل حاسد » . وبعده مباشرة : « ثم سميه محمدًا » .

أُتِيَتْ حِينَ حَمَلَتْ برسولِ اللَّهِ ﷺ، فقيلَ لها: إِنَّكِ قد حَمَلْتِ بسيِّدِ هذهِ الأُمَّةِ، فإذا وقعَ إلى الأرضِ، فقولى: أُعِيذُه بالواحدْ، مِن شرِّ كُلِّ حاسدْ، فى[1] كُلِّ بَرٍّ عامدْ[2]، وَكُلِّ عبدٍ رائدْ، نُزُولَ[3] غيرِ[4] زائدْ، فإنَّه عبدُ[5] الحميدِ الماجدْ، حَتَّى أَراه قد أَتَى المشاهدْ. وآيةُ ذلك أنَّه يَخرُجُ معه نورٌ يملأُ قُصُورَ بُصْرَى مِن أَرْضِ الشَّامِ، فإذا وقَع فسمِّيه مُحَمَّدًا؛ فَإِنَّ اسْمَهُ فى التَّوْرَاةِ أَحْمَدُ؛ يَحْمَدُه أَهْلُ السَّماءِ وأَهْلُ الأرضِ، واسمُه فى الإِنجيلِ أحمدُ؛ يَحْمَدُه أهلُ السَّماءِ وأهلُ الأرضِ، واسمُه فى القرآنِ محمدٌ. وهذا وذاك يَقْتَضِى أنَّها رأَتْ حينَ حَمَلَتْ به، عليه السَّلامُ، كأَنَّه خرَج مِنها نورٌ أضاءَتْ له قصورُ الشَّامِ، ثُم لمَّا وَضَعَتْه رأتْ عِيانًا تأْويلَ[6] ذلك، كما رأتْه قبلَ ذلك [7]فى المنامِ[7]. واللَّهُ أعلمُ.

وقال محمدُ بنُ سَعْدٍ[8]: أنبأَنا محمدُ بنُ عمرَ، هو الواقِدىُّ، حدَّثَنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ مسلمٍ، عن الزُّهْرِىِّ. قال الواقِدىُّ: و[9]حدَّثَنا موسى بنُ عُبَيْدَةَ[10]، عن أخيه، ومحمدِ بنِ كَعْبٍ القُرَظِىِّ. ح[11] وحدَّثَنى عبدُ اللَّهِ بنُ

---

(١) فى الأصل، م، ص: «من».
(٢) فى النسخ: «عاهد». والمثبت من سيرة ابن إسحاق.
(٣) فى الأصل، ا ٩، ص: غير واضحة. وفى م: «يذود». والمثبت من المصدر السابق.
(٤) فى م: «عنى».
(٥) فى م: «عند».
(٦) فى ا ٩: «تحقيق».
(٧ - ٧) فى م، ص: «هاهنا».
(٨) طبقات ابن سعد ١/ ١٠١، ١٠٢.
(٩) سقط من: ا ٩، م.
(١٠) فى م، ص: «عبدة».
(١١) سقط من: الأصل، ا ٩، م.

جعفرٍ الزُّهْرِىُّ ، عن عمَّتِه أُمِّ بكرٍ بنتِ المِسْوَرِ[1] عن أبيها . ح[2] وحدَّثَنا عبدُ الرَّحمنِ بنُ إبراهيمَ المَدَنِىُّ[3] ، وزِيادُ بنُ حَشْرَجٍ ، عن أبى وَجْزَةَ . ح[2] وحدَّثنا مَعْمَرٌ ، عن ابنِ[4] أبى نَجِيحٍ ، عن مُجاهِدٍ . ح[2] وحدَّثنا طَلْحَةُ بنُ عمرٍو ، عن عَطاءٍ ، عن ابنِ عباسٍ - دخَل حديثُ بعضِهم فى حديثِ بعضٍ - أنَّ آمِنَةَ بنتَ وَهْبٍ ، قالت : لقد عَلِقْتُ به - تَعْنِى رسولَ اللَّهِ ﷺ - فما وجدتُ له مَشَقَّةً حتَّى وَضَعْتُه ، فلمَّا فُصِلَ مِنِّى خَرَج معه نورٌ أَضاء له ما بينَ المَشْرقِ إلى المَغْربِ ، ثُم وَقَع إلى الأرضِ مُعْتَمِدًا على يَدَيْه ، ثُم أَخَذ قَبْضَةً مِن التُّرابِ ، فقَبَضها ورَفَع رَأسَه إلى السماءِ . وقال بعضُهم : وَقَع جاثِيًا على رُكْبَتَيه ، وخَرَج معه نورٌ أَضاءت له قصورُ الشَّامِ وأسواقُها ، حتى رَأَيْتُ أعناقَ الإبلِ ببُصْرَى ، رافعًا رأسَه إلى السَّماءِ .

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البَيْهَقِىُّ[5] : أنبأَنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أنبأَنا محمدُ بنُ إسماعيلَ ، أنبأَنا محمدُ بنُ إسحاقَ ، حدَّثَنا [6]أبو بِشْرٍ[6] مُبَشِّرُ بنُ الحسنِ ، حدَّثَنا يَعْقُوبُ بنُ محمدٍ الزُّهْرِىُّ ، حدَّثَنا عبدُ العزيزِ بنُ عِمْرانَ ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ عُثْمانَ بنِ أبى سليمانَ بنِ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ ، عن أبيه ، عن ابنِ أَبى سُوَيدٍ الثَّقَفِىِّ ، عن عُثْمانَ بنِ أَبى العاصِ ، حدَّثَتْنى أُمِّى أَنَّها شَهِدَتْ وِلادَةَ آمِنَةَ

---

(١) فى الأصل ، ا ٩ ، م : « المسود » .
(٢) سقط من : الأصل ، ا ٩ ، م .
(٣) فى الأصل ، م ، ص : « المزنى » .
(٤) سقط من : الأصل ، ا ٩ ، م .
(٥) الدلائل للبيهقى ١/ ١١٠ ، ١١١ .
(٦ - ٦) فى ا ٩ ، م ، ص : « يونس بن » .

بنتِ وَهْبٍ رسولَ اللَّهِ ﷺ لَيلةَ وَلدَتْه ، قالت : فما شيءٌ (١أنْظُرُ إليه١) فى البَيتِ إلّا نورٌ ، وإنّى أنْظُرُ إلى النُّجومِ تَدْنُو ، حتى إنّى لأَقولُ : لَيَقَعْنَ علىَّ .

وذَكر القاضى عِياضٌ[2] ، عن الشِّفاءِ أُمِّ عبدِ الرحمنِ بنِ عَوْفٍ ، أنَّها كانت قابِلَتَه ، وأنَّها أخبرَتْ به حين سَقَط على يَدَيْها واسْتَهلَّ ، سمِعتْ قائلًا يَقُولُ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ . وأنَّه سَطَع مِنه نورٌ رُئِيَتْ مِنه قصورُ الرُّومِ .

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[3] : فلمّا وضَعَتْه بَعثَتْ إلى عبدِ المطَّلبِ جاريتَهَا - وقد هلَك أبوه ، وهى حُبْلى - ويُقَالُ : إن عبدَ اللَّهِ هلَكَ ، والنَّبِيُّ ﷺ ابنُ ثَمانيةٍ وعِشرينَ شَهرًا . فاللَّهُ أعلمُ أىُّ ذلك كان - فقالت : قد وُلِدَ لك الليْلَةَ[4] غلامٌ ، فانْظُرْ إليه . فلمَّا جاءَها أَخبرتْه وحَدَّثَتْه بما كانت رَأَتْ حينَ حَملَتْ به ، وما قيل لها فيه ، وما أُمِرَتْ أَنْ تُسَمِّيَه ، فأَخَذه عبدُ المطَّلبِ فأَدْخَلَه على هُبَلَ فى جوفِ الكعبةِ ، فقام عبدُ المطَّلبِ يَدْعُو ويَشْكُرُ اللَّهَ ، عزَّ وجلَّ ، ويقولُ :

الحمْدُ لِلَّهِ الذى أعطانى ... هذا الغُلَامَ الطَّيِّبَ الأرْدانِ

[٢/١١و] قد ساد فى المَهْدِ على الغِلْمانِ ... أُعِيذُه باللَّهِ[5] ذى الأَرْكانِ

حتّى يَكونَ بُلْغَةَ الفِتْيانِ ... حتّى أَراه بالِغَ البُنْيانِ[6]

أُعيذُه مِن كلِ ذى شَنآنِ ... مِن حاسِدٍ مضطرِبِ العَنانِ

(١ - ١) فى ا ٩، م، ص : « أنظره » .

(٢) الشفاء ٥١٩/١.

(٣) سيرة ابن إسحاق ص ٢٢.

(٤) سقط من : م .

(٥) فى م : « بالبيت » .

(٦) فى السيرة : « البنان » .

ذى هِمَّةٍ ليس له عِنان حتى أراه رافعَ اللسانِ

أنتَ الذى سُمّيتَ فى الفُرْقانِ[1] فى كُتُبٍ ثابتةِ المَثانى

أَحمدَ مكتوبًا على اللسانِ

وقال البَيْهقِىُّ[2] : أنبأَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أنا أبو بكرٍ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ حاتمٍ الدّارَبْجِرْدىُّ[3] ، بمَرْوٍ ، حدَّثَنا أبو عبدِ اللَّهِ البُوشَنْجِىُّ ، حدَّثَنا أبو أيوبَ سليمانُ بنُ سَلَمةَ الخَبائِرىُّ ، حدَّثَنا يونُسُ بنُ عطاءٍ ، عن[4] عُثْمانَ بنِ ربيعةَ بنِ زيادِ بنِ الحارثِ الصُّدائِىِّ ، بمِصْرَ ، حدَّثَنا الحكَمُ بنُ أبانٍ ، عن عِكْرِمَةَ ، عن ابنِ عبَّاسٍ ، عن أبيه العبَّاسِ بنِ عبدِ المطَّلبِ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، قال : وُلِدَ رسولُ اللَّهِ ﷺ مَخْتونًا مَسْرورًا . قال : فأَعجَبَ جَدَّهُ عبدَ المطلبِ ، وحَظِىَ عندَه . وقال : لَيَكُونَنَّ لِابنى هذا شأنٌ . فكان له شأنٌ . وهذا الحديثُ فى صِحَّتِه نَظَرٌ . وقد رَواه الحافظُ ابنُ عَساكِرَ[5] مِن حديثِ سُفيانَ بنِ محمدٍ المِصِّيصىِّ ، عن هُشَيمٍ ، عن يونُسَ بنِ عُبَيدٍ ، عن الحسنِ ، عن أَنَسٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مِن كَرامَتى على اللَّهِ أنّى ولِدتُ مَختونًا ولَم يَرَ سَوْأَتِى أحدٌ » . ثُم أورَدَه[6] مِن طريقِ الحسنِ بنِ عرفةَ ، عن هُشَيم به ، ثُم أورِدَه[7] مِن طريقِ محمدِ بنِ محمدِ بنِ سليمانَ ، هو الباغَنْدىُّ[8] ، حدَّثَنا عبدُ

---

(١) فى ا ٩، م : « القرآن » .

(٢) الدلائل للبيهقى ١/ ١١٤.

(٣) فى الأصل : « الداريردى » . وفى ا ٩، م ، ص : « الدرابودى » . والمثبت من الدلائل للبيهقى ١/ ١١٤، وتاريخ دمشق ٣/ ٨٠.

(٤) فى النسخ : « بن » . والمثبت من المصدرين السابقين .

(٥) فى تاريخ دمشق ٣/ ٤١٣.

(٦) فى تاريخ دمشق ٣/ ٤١٤.

(٧) فى تاريخ دمشق ٣/ ٤١٤، مرفوعا من نفس الطريق .

(٨) فى الأصل : « الباعيدى » . وانظر الأنساب ٢/ ٤٥.

الرحمنِ بنُ أيوبَ الحِمْصيُّ ، حدَّثَنا موسى بنُ أبى موسى المَقْدِسيُّ ، حدَّثنى خالدُ بنُ سَلَمةَ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ ، قال : وُلِدَ رسولُ اللَّهِ ﷺ مَسْرورًا مَخْتونًا .

وقال أبو نُعَيم[1] : حدَّثَنا أَبو أَحمدَ محمدُ بنُ أَحمدَ الغِطْرِيفىُّ ، حدَّثَنا الحسينُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ اللَّهِ المالكيُّ ، حدَّثَنا سليمانُ بنُ سَلَمةَ الخَبائِرىُّ ، حدثَنا يونسُ بنُ عطاءٍ ، حدَّثَنا الحكمُ بنُ أَبانٍ ، حدَّثَنا عِكْرِمَةُ ، عن ابنِ عبَّاسٍ ، عن أبيه العبَّاسِ ، قال : وُلِدَ رسولُ اللَّهِ ﷺ مَخْتونًا مَسْرورًا ، فأَعجَبَ ذلك جَدَّه عبدَ المطَّلِبِ ، وحَظِىَ عندَه ، وقال : لَيَكونَنَّ لابْنى هذا شأنٌ . فكان له شأنٌ . وقد ادَّعَى بعضُهم صِحَّتَه ؛ لِمَا وَرَدَ له مِن الطُّرقِ ، حتى زَعَم بعضُهم[2] أَنَّه مُتَواتِرٌ ، وفى هذا كلِّه نظرٌ[3] . ومَعْنَى مَخْتونًا ؛ أى : مَقْطوعَ الخِتانِ . ومَسْرورًا ؛ أى : مَقْطوعَ السُّرَّةِ مِن بَطْنِ أُمِّه .

وقد رَوى الحافظُ ابنُ عساكرَ[4] مِن طريقِ عبدِ الرَّحمنِ بنِ عُيَيْنَةَ[5] البَصْرىِّ ، حدَّثَنا عَلِىُّ بنُ محمدٍ المَدائِنىُّ السُّلَمىُّ ، حدَّثنا سلمةُ بنُ مُحارِبِ بنِ سلْمِ[6] بنِ زِيادٍ ، عن أَبيه ، عن أَبى بَكْرَةَ : أَنَّ جِبْريلَ خَتَنَ النَّبىَّ ﷺ حينَ

---

(١) الدلائل لأبى نعيم (٩٢) .

(٢) ذهب إلى ذلك الحاكم . انظر المستدرك ٢/ ٦٠٢ . وعقب عليه الحافظ الذهبى قائلًا : ما أعلم صحة ذلك ، فكيف متواترًا .

(٣) بعده فى ا ٩ : « قلتُ : [أى ابن كثير] قد رأيت لشيخ الإسلام ابن تيمية مسألة فى ذلك ، فرد هذه السياقات كلها وضعفها وجعل بعضها موضوعا ، وقال : الصحيح أنه إنما ختن كما تختن الغلمان ، ختنه جده عبد المطلب وعمل له دعوة جمع عليها قريشا . واللَّه أعلم » .

(٤) فى تاريخ دمشق ٣/ ٤١٠ .

(٥) فى ص ، تاريخ دمشق : « عتيبة » . وانظر الدلائل لأبى نعيم (٩٣) ، ومجمع الزوائد ٨/ ٢٢٤ .

(٦) فى الأصل ، ا ٩ ، م : « مسلم » .

طَهَّر قَلْبَه . وهذا غريبٌ جدًّا . وقد رُوِىَ[1] أَنَّ جَدَّه عبدَ المُطَّلبِ خَتَنه ، وعَمِل له دَعْوةً جَمع قُرَيْشًا عليها . واللَّهُ أعلمُ .

وقال البيهقىُّ[2] : أنبأَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أنبأَنى أحمدُ[3] بنُ كاملٍ القاضى شِفاهًا ، أنَّ محمدَ بنَ إسماعيلَ حدَّثه ، يَعْنِى السُّلَمىَّ ، حدَّثنا أبو صالحٍ عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، حدَّثنى مُعاويَةُ بنُ صالحٍ ، عن أَبى الحكَمِ التَّنُوخىِّ قال : كان المولودُ إذا وُلِدَ فى قريشٍ دفعوه إلى نِسْوَةٍ مِن قريشٍ إلى الصُّبْحِ ، يَكْفَأْنَ عليه بُرْمَةً[4] ، فلمّا وُلدَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، دَفَعه عبدُ المطَّلبِ إلى نِسْوَةٍ فَكَفَأْنَ [٢/١١ظ] عليه بُرْمَةً ، فلمَّا أَصْبَحْن أَتَيْنَ ، فوَجَدْنَ البُرْمَةَ قد انفلَقَتْ عنه باثْنَتَيْنِ ، ووَجَدْنَه مفتوحَ العينين ، شاخِصًا ببَصَرِه إلى السَّماءِ ، فأتاهُنَّ عبدُ المطلبِ ، فَقُلْنَ له : ما رَأَيْنا مولودًا مثلَه ؛ وجَدْناه قد انفلَقَتْ عنه البُرْمَةُ ، ووجَدْناه مفتوحًا عَيْناه شاخِصًا ببَصَرِه إلى السَّماءِ . فقال : احْفَظْنَه ؛ فإنِّى أرجو أَن يكونَ له شَأْنٌ ، أو أَن يُصِيبَ خيرًا . فلمَّا كان اليومُ السَّابعُ ، ذَبَح عنه ودعا له قُرَيْشًا ، فلمَّا أَكلوا ، قالوا : يا عبدَ المطَّلبِ ، أَرَأَيْتَ ابنَك هذا الذى أَكرمْتَنا على وجهِه ، ما سمَّيته ؟ قال : سَمَّيْتُه محمدًا . قالوا : فَلِمَ[5] رَغِبْتَ به عن أَسْماءِ أهلِ بيتِهِ ؟ قال : أَرَدْتُ أَنْ يَحْمَدَه اللَّهُ فى السَّماءِ وخَلْقُه فى الأَرضِ . قال أهلُ اللُّغةِ : كلُّ جامعٍ لصفاتِ الخيرِ يُسمَّى محمدًا . كما قال بعضُهم :

---

(١) ذكره ابن القيم فى زاد المعاد ١/ ٨١، ٨٢. وعزاه لابن عبد البر.

(٢) الدلائل للبيهقى ١/ ١١٣.

(٣) فى م : « محمد » .

(٤) البرمة : القِدْر من الحجارة .

(٥) فى الأصل ، م ، ص : « فما » .

إليك – أبيتَ اللَّعْنَ – أَعْمَلْتُ ناقتى إلى الماجِدِ القَرْمِ[1] الكريمِ المُحَمَّدِ

وقال بعضُ العلماءِ : أَلْهَمهم اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، أَنْ سَمَّوه محمدًا ؛ لِمَا فيه مِن الصِّفاتِ الحميدةِ ، ليَلْتَقِيَ الاسمُ والفعلُ ، ويَتطابقَ الاسمُ والمُسمَّى ، فى الصُّورةِ والمعنى ؛ كما قال عمُّه أبو طالبٍ ، ويُروَى لحسَّانَ :

وشَقَّ له مِن اسمِه لِيُجِلَّه فذو العرشِ محمودٌ وهذا محمدُ

وسَنَذْكُرُ أسماءَه ، عليه الصلاةُ والسَّلامُ ، وشَمائِلَه ، وهى صفاتُه الظَّاهرةُ ، وأخلاقُه الطَّاهرةُ ، ودلائلَ نُبوتِه ، وفضائلَ مَنْزِلَتِه ، فى آخرِ السِّيرةِ إنْ شاءَ اللَّهُ .

قال الحافظُ أبو بكرٍ البَيْهَقِيُّ[2] : أَنبأَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، حدَّثَنا أبو العبَّاسِ محمدُ بنُ يَعْقُوبَ ، حدَّثَنا أحمدُ بنُ شَيْبانَ الرمْلِيُّ ، حدثنا أحمدُ بنُ إبراهيمَ الحَلَبيُّ[3] ، حدَّثَنا الهَيْثَمُ بنُ جميلٍ ، حدَّثَنا زُهَيْرٌ ، عن مُحاربِ بنِ دِثارٍ ، عن عمرِو بنِ يَثْرِبِيٍّ ، عن العبَّاسِ بنِ عبدِ المطَّلبِ ، قال : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، دَعانى إلى الدُّخولِ فى دِينِك أمارةٌ لنُبُوَّتِك ، رأيتُك فى المَهْدِ تُناغِى القمرَ ، وتُشِيرُ إليه بأُصْبعِك ، فحيثُ أَشرتَ إليه مالَ . قال : « إنِّى كنتُ أُحَدِّثُه ، ويُحدِّثُنى ، ويُلْهِينى عن البُكاءِ ، وأسمعُ وَجْبَتَه حينَ يَسْجُدُ تحتَ العرشِ » . ثُم قال : تفرَّد به الحَلَبيُّ[4] ، وهو مجهولٌ .

---

(١) القرم من الرجال : السيِّد المعظَّم .

(٢) الدلائل للبيهقى ٢/ ٤١.

(٣) فى الأصل ، ا ٩، م : « الحبلى ».. وانظر الجرح والتعديل ٢/ ٤٠.

(٤) فى النسخ : « الليثى ». والمثبت من الدلائل للبيهقى ٢/ ٤١.

فَصْلٌ

فيما وَقع مِن الآياتِ

ليلةَ مَوْلِدِه، عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ

قد ذَكرْنا فى بابِ هَواتِفِ الجانِّ، ما تقدَّم مِن خُرورِ كثيرٍ مِن الأَصْنامِ لَيْلَتَئِذٍ لوجوهِها، وسقوطِها عن أماكِنِها، وما رآه النَّجاشِيُّ مَلِكُ الحَبَشَةِ، وظهورِ النُّورِ معه حتى أضاءتْ له قصورُ الشامِ حينَ وُلِد، وما كان مِن سقوطِه جاثِيًا رافعًا رَأْسَه إلى السَّماءِ، وانفلاقِ تلك البُرْمَةِ عن وجهِه الكريمِ، وما شُوهِدَ مِن النُّورِ فى المَنزِلِ الذى وُلِدَ فيه، ودُنُوِّ النُّجومِ منهم وغيرِ ذلك.

حَكى السُّهَيْلِىُّ[1] عن «تفسيرِ» بَقِىِّ[2] بنِ مَخْلَدٍ الحافظ: أَنَّ إبليسَ رَنَّ[3] أَرْبَعَ رَنَّاتٍ؛ حينَ لُعِنَ، وحينَ أُهْبِطَ، وحينَ وُلِدَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، وحينَ أُنزِلت الفاتِحَةُ.

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[4]: وكان هشامُ بنُ عُروةَ يُحدِّثُ، عن أَبيه، عن عائشةَ، قالت: كان يَهودىٌّ قد سكَن مكَّةَ[5] يتَّجِرُ بها، فلمّا كانتِ الليلةُ التى وُلِدَ فيها رسولُ اللَّهِ ﷺ، قال فى مَجْلِسٍ مِن قُرَيْشٍ: يا مَعْشَرَ قريشٍ، هل وُلِدَ

(1) الروض الأنف ٢/ ١٤٩.

(2) فى ص: «بقية».

(3) أى: صاح.

(4) الدلائل للبيهقى ١/ ١٠٨، ١٠٩.

(5) فى ص: «المدينة».

فيكُم الليلةَ مولودٌ؟ فقال القومُ: واللَّهِ ما نَعْلَمُه. فقال: اللَّهُ أكبرُ، أَمَا إذا أَخطأَكم فَلا بأسَ، انظُروا واحفَظوا ما أقولُ لكم: وُلِد هذه الليلةَ نَبِيُّ هذه الأُمَّةِ الأَخيرةِ، بينَ كَتِفَيْه علامةٌ فيها شَعَراتٌ مُتواتِراتٌ كأَنَّهنَّ عُرْفُ فَرَسٍ، لا يَرْضَعُ ليلتَيْنِ، وذلك [١٢/٢و] أنَّ عِفْرِيتًا مِن الجِنِّ أَدْخَلَ أُصبُعَه فى فَمِه، فمنَعه الرَّضاعَ. فتَصدَّع القومُ مِن مجلِسِهم، وهم يتعجَّبون مِن قَولِه وحديثِه، فلما صاروا إلى مَنازِلِهم أَخبرَ كُلُّ إنسانٍ مِنهم أَهلَه، فقالوا: قد[1] وُلِدَ لعبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ المطَّلبِ غلامٌ سَمَّوه محمدًا. فالتقَى القومُ، فقالوا: هل سَمِعْتُم حديثَ اليهودِىِّ؟ وهل بَلَغكم مولدُ هذا الغلامِ؟ فانطلَقوا حتى جاءوا اليهودىَّ، فأخبَروه الخبرَ. قال: فاذهبوا معى حتى أَنْظُرَ إليه. فخرَجوا به حتى أدخَلوه على آمِنَةَ، فقال[2]: أَخْرِجى إلينا ابنَك. فأَخرَجتْه، وكَشَفوا له عن ظَهْرِه، فرأَى تلك الشَّامةَ، فوقَع اليهودىُّ مَغْشِيًّا عليه، فلما أفاق، قالوا له: ما لك؟ وَيْلك! قال: ذهَبت، واللَّهِ، النُّبوَّةُ مِن بنى إسرائيلَ، [3]أَفَرِحْتُم به[3] يا معشرَ قريشٍ؟ أمَا[4] واللَّهِ لَيَسطُوَنَّ بكُم سَطْوَةً، يَخْرُجُ خبرُها مِن المشرقِ والمغربِ.

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[5]: حدَّثنى صالحُ بنُ إبراهيمَ، عن يحيى بنِ عبدِ الرَّحمنِ بنِ أَسْعَدَ بنِ زُرارةَ، قال: حدَّثنى مَن شئتُ مِن رجالِ قَومى ممَّن لا أَتَّهِمُ، عن حسّانَ بنِ ثابتٍ، قال: إنِّى لَغُلامٌ يَفَعَةٌ ابنُ سبعِ سِنِينَ، أو ثمانٍ

---

(١) بعده فى الأصل، م: «والله».

(٢) فى م: «فقالوا».

(٣ - ٣) فى م: «فرحتم بها».

(٤) سقط من: الأصل، م، ص.

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ١٥٩.

سِنينَ، أَعْقِلُ ما رأيتُ وسَمِعتُ، إذا بيهوديٍّ بيثْرِبَ يَصْرُخُ ذاتَ غداةٍ: [١]يا معشرَ يهودَ[١]. فاجتمَعوا إليه، وأنا أسمعُ، فقالوا: ويلك ما لك؟ قال: طلَع نجمُ أحمدَ الَّذى يُولَدُ به فى هذه الليلةِ.

ورَوَى الحافظُ أبو نُعَيمٍ فى كتابِ «دلائِل النُّبُوَّةِ»[٢] من حديثِ أبى بكرِ بنِ عبدِ اللَّهِ العامرىِّ، عن سليمانَ بنِ سُحَيْمٍ ورُبَيْحِ[٣] بنِ عبدِ الرحمنِ، كلاهما عن عبدِ الرَّحمنِ بنِ أبى سعيدٍ، عن أبيه، قال: سَمِعْتُ أبى مالكَ بنَ سِنانٍ يقولُ: جئتُ بنِى عبدِ الأَشْهَلِ يومًا لأَتَحَدَّثَ فيهم، ونحنُ يومئذٍ فى هُدْنَةٍ مِن الحربِ، فسمعتُ يُوشَعَ اليهودىَّ يقول: أَظَلَّ خروجُ نبىٍّ يقالُ له: أحمدُ. يخرجُ مِن الحَرَمِ. فقال له خليفةُ بنُ ثَعْلَبَةَ الأَشْهَلِىُّ، كالمُسْتَهزِئِ به: ما صِفَتُه؟ فقال: رجلٌ ليس بالقَصيرِ ولا بالطَّويلِ، فى عينَيْه حُمْرةٌ، يَلْبَسُ الشَّمْلَةَ، ويَرْكَبُ الحِمارَ، سَيفُه على عاتِقِه، وهذا البلدُ مُهاجَرُه. قال: فرَجَعْتُ إلى قَومى بنى خُدْرَةَ، وأنا يومئذٍ أَتَعَجَّبُ ممَّا قال يُوشَعُ، فأسمعُ رَجلًا مِنّا يقولُ: ويوشَعُ يقولُ هذا وحدَه؟! كلُّ يهودِ يَثْرِبَ يقولون هذا. قال أبى، مالِكُ بنُ سِنانٍ: فخرَجْتُ حتى جئتُ بنى قُرَيْظَةَ فأَجِدُ جمْعًا، فتذاكَروا النبىَّ ﷺ، فقال الزُّبَيْرُ بنُ باطا: قد طلَع الكَوْكبُ الأَحْمرُ الذى لَم يَطْلُعْ إلَّا لخروجِ نبىٍّ و[٤] ظهورِه، ولَم يَبْقَ أحدٌ إلَّا، أَحمَدُ، وهذا مُهاجَرُه. قال أبو سعيدٍ: فلمَّا

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) الدلائل لأبى نعيم (٤٠).

(٣) فى ا ٩: «دبيح»، وفى م: «ذريح»، وفى ص: «ذريج»، وفى الدلائل: «رميح». وانظر تهذيب الكمال ٩/ ٥٩.

(٤) فى الأصل، م: «أو».

قدِمَ النَّبىُّ ﷺ، أخبَره أَبى هذا الخبرَ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لو أسلمَ الزُّبيرُ و[1] ذَوُوه مِن رؤَساءِ اليهودِ، إِنَّما هُم له تَبَعٌ».

وقال أبو نُعَيمٍ[2]: حدَّثَنا عمرُ بنُ محمدٍ، حدَّثَنا إبراهيمُ بنُ السِّنْدىِّ، حدَّثَنا النَّضْرُ بنُ سَلَمَةَ، حدَّثَنا إِسماعيلُ بنُ قَيْسِ بنِ سُلَيمانَ بنِ زَيْدِ بنِ ثابتٍ، عن أُمِّ سَعْدٍ بنتِ سَعْدِ بنِ الرَّبيعِ، سَمِعْتُ زَيْدَ بنَ ثابتٍ، يَقُولُ: كان أحبارُ يهودِ بنى قُرَيْظَةَ والنَّضِيرِ يَذْكُرونَ صِفَةَ النَّبىِّ ﷺ، فلمَّا طَلَع الكوكبُ الأَحْمرُ أخبروا أنَّه نبىٌّ، وأنَّه لا نبىَّ بعدَه، واسمُه أحمدُ، ومُهاجَرُه إلى يَثْرِبَ، فلمَّا قَدِمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، المدينةَ أنْكَرُوا وحَسَدُوا وكَفَروا. وقد أورَد هذه القِصَّةَ الحافظُ أبو نُعَيْمٍ فى كتابِه مِن طُرُقٍ[3] أخرى [١٢/٢ ظ]. وللَّهِ الحمدُ.

وقال أبو نعيمٍ[4]: حدَّثنا[5] [6]أبو محمدِ بنُ حَيَّانَ[6]، حدَّثنا أبو بكرِ بنُ أبى عاصمٍ، حدَّثنا وَهْبُ بنُ بَقِيَّةَ، حدَّثنا خالدٌ، عن محمدِ بنِ عمرٍو، عن أبى سَلَمةَ ويَحْيى بنِ عبدِ الرَّحمنِ بنِ حاطبٍ، عن أُسامَةَ بنِ زيدٍ، قال: قال زيدُ ابنُ عمرِو بنِ نُفَيْلٍ: قال لى حبرٌ مِن أحبارِ الشَّامِ: قد خرج فى بلدِك نبىٌّ، أو هو خارجٌ، قد خرَج نجمُه فارْجِعْ فصَدِّقْه واتَّبِعْه.

---

(١) فى م: «لأسلم».
(٢) لم نجده فى النسخة التى لدينا من مختصر دلائل أبى نعيم.
(٣) دلائل النبوة (٣٥، ٣٦، ٣٩).
(٤) لم نجده فى النسخة التى لدينا من مختصر دلائل أبى نعيم.
(٥) فى م، ص: «و».
(٦ - ٦) فى الأصل، م، ص: «محمد بن حبان»، وفى ا ٩: «محمد بن حيان». وهو أبو محمد عبد اللَّه بن محمد بن جعفر بن حيان، المعروف بأبى الشيخ الأصبهانى. سير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٧٦.

ذِكْرُ ارْتِجاسِ[1] إيوانِ كِسْرَى وَسُقوطِ الشُّرُفاتِ، وخمودِ النيرانِ، ورُؤْيا المُوبِذَانِ، وغيرِ ذلك مِن الدَّلالاتِ

قال الحافظُ أبو بَكْرٍ محمدُ بنُ جَعْفرِ بنِ سَهْلٍ الخَرَائِطيُّ في كتابِ «هَوَاتِفِ الجَانِّ»[2] : حَدَّثَنا عَلِيُّ بْنُ حَرْبٍ ، حَدَّثَنا أَبُو أَيُّوبَ يَعْلَى بْنُ عِمْرَانَ - مِن آلِ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ البَجَلِيِّ - حَدَّثَني مَخْزُومُ بْنُ هَانِئٍ المَخْزُومِيُّ ، [3]عن أبيهِ[3] - وأتتْ عليه خَمسون ومائةُ سَنَةٍ - قال : لمَّا كانتِ الليلةُ التي وُلِدَ فيها رسولُ اللَّهِ ﷺ ، ارْتَجَسَ إيوانُ كِسْرَى ، وسقَطتْ منه أربعَ عَشْرَةَ شُرْفةً ، وخَمَدَتْ نارُ فارِسَ ، ولم تَخْمُدْ قبلَ ذلك بألفِ عَامٍ ، وغاضَتْ بُحَيْرةُ سَاوَةَ ، ورأَى المُوبذَانُ إبِلًا صِعَابًا تقُودُ خَيْلًا عِرَابًا قد قطَعَتْ دِجْلَةَ وانتشَرَتْ في بلادِها[4] ، فلمّا أَصْبَحَ كِسْرَى أَفْزَعَهُ ذلك ، فتصبَّرَ عليه تشجُّعًا ، ثُمّ رأى أنه لا يدَّخِرُ ذلك عن مَرازِبَتِهِ ، فجمَعَهُمْ ولَبِس تاجَه وجلَس على سَرِيرِه ، ثُمّ بَعثَ إليهم ، فلمَّا اجْتَمَعُوا عِندَه ، قال : أتَدْرُون فيم بَعثْتُ إلَيْكُم ؟ قالوا : لا إلَّا أَنْ يُخْبِرَنا الملِكُ . فَبَيْنَما هم كذلِك إذْ ورَد عليهم كِتابٌ بخُمودِ النِّيرانِ ، فازْدادَ غمًّا إلى غَمِّه ،

---

(١) في الأصل : «ارتجاج» . وارتجس البناء : رجف .

(٢) رواه الطبري في تاريخه ١٦٦/٢ - ١٦٨، والبيهقي في الدلائل ١٢٦/١ - ١٢٩، كلاهما من طريق علي بن حرب به .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤) في م : «بلادهم» .

ثم أخبرَهُم بما رأَى، وما هالَه، فقال المُوبذَانُ: وأَنا - أَصْلَحَ اللَّهُ الملِكَ - قد رأيتُ فى هذه الليلةِ رُؤْيَا. ثُمَّ قَصَّ عليه رُؤْياه فى الإِبِلِ، فقال: أَىُّ شىءٍ يكونُ هذا يا مُوبِذَانُ؟ قال: حَدَثٌ يَكونُ فى ناحيةِ العرَبِ. وكان أعلَمَهُم مِن أنفُسِهم. فكتَب عِندَ ذلك: مِن كِسْرَى ملِكِ الملوكِ إلى النُّعمانِ بْنِ المُنْذِرِ؛ أَمَّا بعدُ، فوجِّهْ إلىَّ برجلٍ عالمٍ بما أريدُ أن أسأَلَه عنه، فوجَّه إليه بِعَبْدِ المَسِيحِ بْنِ عَمْرِو بنِ حَيَّانَ بنِ بُقَيْلَةَ[1] الغَسَّانِىِّ، فلمَّا ورَد عليه قال له: أَلك عِلْمٌ بما أُرِيدُ أَنْ أَسأَلَكَ عنه؟ فقال: لِيُخْبِرْنى أو لِيَسْأَلْنِى المَلِكُ عمّا أَحَبَّ، فإنْ كانَ عِندِى منه عِلْمٌ أخبَرْتُه[2] وَإِلَّا أخبرتُه بمن يَعْلَمُ. فأَخْبرَه بالذى وَجَّهَ به إليه فِيه. قال: عِلْمُ ذلك عِندَ خَالٍ لى يَسْكُنُ مَشَارِفَ الشَّامِ يُقالُ لَهُ: سَطِيحٌ. قال: فائْتِه فاسأَلْه عَمَّا سأَلْتُك عنه، ثُم ائْتِنى بتفسيرِه. فخرَج عَبْدُ المَسِيحِ حتّى انتهى إلى سَطِيحٍ، وقد أَشْفَى على الضَّرِيحِ، فسلَّم عليه وكلَّمه، فلم يَرُدَّ إليه سَطِيحٌ جَوابًا، فأنشأَ يقولُ:

أَصَمُّ أَمْ يَسْمَعُ غِطْرِيفُ[3] اليَمَنْ ... أم فاد[4] فازْلَمَّ[5] به [6]شَأْوُ العَنَنْ[6]

يا فاصِلَ الخُطَّةِ أَعْيَتْ مَنْ ومَنْ ... [7]وكاشِفَ الكُرْبَةِ عن وَجْهِ غَضِنْ[7]

أتاكَ شيخُ الحَىِّ مِن آلِ سَنَنْ ... وأُمُّه مِن آلِ ذِئْبِ بنِ حَجَنْ

---

(١) فى النسخ: «نفيلة»، والمثبت من تاريخ الطبرى ١٦٧/٢ . ودلائل البيهقى ١٢٧/١.
(٢) سقط من: الأصل، م، ص.
(٣) الغطريف: السيد.
(٤) فى الأصل، ص: «فاز». وفاد: مات.
(٥) ازلمَّ: أسرع. اللسان (ز ل م).
(٦ - ٦) فى الأصل: «ساو الغبن». والعنن: الموت.
(٧ - ٧) سقط من: الأصل، م، ص.

أَزْرَقُ بَهْمُ[1] النّابِ صَرّارُ[2] الأُذُنْ　　　أَبْيَضُ فَضْفاضُ الرِّداءِ والبَدَنْ

رسولُ قَيْلِ العُجْمِ يَسْرِى لِلْوَسَنْ　　　لا يَرْهَبُ الرَّعْدَ ولا رَيْبَ الزَّمَنْ

[١٣/٢و] تجوبُ بى الأرضَ عَلَنْداةٌ شَزَنْ[3]　　　تَرْفَعُنى[4] وَجْنًا وتَهْوِى بى وَجَنْ

حتى أتى عارِى الجَآجِى[5] والقَطَنْ　　　تَلُفُّه فى الريحِ بَوْغاءُ[6] الدِّمَنْ

كأنّما حُثْحِثَ من حِضْنَىْ ثَكَنْ

قال : فلمّا سَمِع سَطِيحٌ شِعْرَهُ رفَع رأْسَهَ يقولُ : عبدُ المسيحْ ، على جَمَلٍ مُشِيحْ ، إلى سَطِيحْ ، وقد أَوْفَى على الضَّرِيحْ ، بعثَكَ مَلِكُ بنى سَاسَانْ ، لِارتِجَاسِ الإِيوانْ ، وخُمُودِ النِّيرانْ ، ورُؤْيا المُوبِذانْ ، رأَى إبِلًا صِعَابًا ، تقُودُ خيْلًا عِرابًا ، قد قطَعتْ دِجْلَةَ وانتَشَرَتْ فى بِلادِها ، يا عَبْدَ المَسِيحِ ، إذا كَثُرَتِ التِّلاوَة ، وظَهَرَ صَاحِبُ الهِرَاوَة ، وفاض وادى السَّماوة ، وغاضتْ بُحيرةُ سَاوَة ، وخَمَدَتْ نارُ فارِسَ ، فلَيْس الشَّامُ لِسَطِيحٍ شَامًا ، يمِلِكُ منهم ملوكٌ ومَلِكَاتْ ، على عَدَدِ الشُّرُفَاتْ ، وكلُّ ما هو آتٍ آتْ . ثم قَضَى[7] سَطِيحٌ مكانَهُ ، فنَهَضَ عَبْدُ المَسِيحِ إلى راحِلتِهِ وهو يقُولُ :

شَمِّرْ فَإِنَّكَ مَاضِى العَزْمِ[8] شِمِّيرُ　　　لا يُفْزِعَنَّكَ تَفْرِيقٌ وَتَغْيِيرُ

---

(١) فى الأصل، ا ٩، م : « لهم » .

(٢) يقال : صرت الأذن : كان لها طنين .

(٣) العلندى : الشديد ، والتاء للمبالغة . وشزن : نشيط .

(٤) فى الأصل : « يرفع بى » ، وفى ص : « ترفع به » .

(٥) الجآجئ : عظام الصدر .

(٦) البوغاء : التراب الناعم .

(٧) فى م : « قصبى » . ويقال : قضى فلان . أى مات . الوسيط (ق ض ى) .

(٨) كذا فى النسخ . وفى تاريخ الطبرى ودلائل البيهقى : « الهم » .

إنْ يُمْسِ مُلْكُ بَنِى سَاسَانَ أَفْرَطَهُمْ ... فَإِنَّ ذَا الدَّهْرَ أَطْوارٌ دَهَارِيرُ

فَرُبَّما رُبَّما أَضْحَوْا بِمَنْزِلَةٍ ... يَخَافُ صَوْلَهُمُ الأُسْدُ الْمَهَاصِيرُ

مِنْهُمْ أَخو الصَّرْحِ بَهْرامٌ[1] وَإِخْوَتُهُ ... والْهرمُزَانُ وَسابورٌ[2] وَسابورُ

والنَّاسُ أَوْلَادُ عَلَّاتٍ فَمَنْ عَلِمُوا ... أَنْ قَدْ أَقَلَّ فَمَحْقُورٌ وَمَهْجُورُ

[3]وَرُبَّ قَوْمٍ لَهُمْ صُحْبَانُ ذِى أُذُنٍ ... بَدَتْ تُلَهِّيهِمُ فيه المزاميرُ[3]

وَهُمْ بَنُو الأُمِّ إمَّا[4] إِنْ رَأَوا نَشَبًا ... فَذَاكَ بِالْغَيْبِ مَحْفُوظٌ وَمَنْصُورُ

وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مَقْرونانِ فى قَرَنٍ ... فَالْخَيْرُ مُتَّبَعٌ وَالشَّرُّ مَحْذُورُ

قال : فلمَّا قدِمَ عَبْدُ الْمَسِيحِ على كِسْرَى ، أَخْبَرَه بما قال له سَطِيحٌ ، فقال كِسْرَى : إلى أَنْ يَمْلِكَ منّا أرْبعةَ عشَرَ مَلِكًا كانتْ أمورٌ وأمورٌ . فمَلَكَ منهم عَشَرَةٌ فى أرْبَعِ سِنِينَ ، وملَك الباقون إلى خلافةِ عُثْمانَ ، رَضِى اللَّهُ عنه . ورواه البَيْهَقِىُّ[5] مِن حديثِ عبدِ الرَّحْمنِ بنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِدْرِيسَ ، عن عَلِىِّ بْنِ حَرْبٍ المَوْصِلِىِّ بنحْوِه .

قلتُ : كان آخِرَ ملوكِهم - الذى سُلِبَ منه المُلْكُ - يَزْدَجِرْدُ بنُ شَهْريارَ ابنِ أَبْرَوِيزَ بنِ هُرْمُزَ بنِ أَنُوشِرْوانَ ، وهو الّذى انْشَقَّ الإيوانُ فى زمانِه . وكان

---

(١) فى تاريخ الطبرى : « مهران » .

(٢) فى م : « شابور » .

(٣ - ٣) سقط من : ا ٩، ص .

(٤) فى تاريخ الطبرى : « لمّا » .

(٥) دلائل النبوة للبيهقى ١٢٦/١ - ١٢٩ .

لِأَسْلافِهِ فى[1] المُلْكِ ثلاثةُ آلافِ سنةٍ ومائةٌ وأربعةٌ وستون سنةً ، وكان أوَّلَ ملوكِهِم خَيُومَرْتُ بنُ أميمَ بنِ لَاوَذَ بنِ سامِ بْنِ نُوحٍ ، عليه السلامُ .

أمّا[2] سَطِيحٌ هذا فقال الحافظُ ابنُ عساكرَ فى « تاريخِهِ »[3] : هو الرَّبيعُ بْنُ رَبيعَةَ بنِ مَسْعودِ بنِ مازِنِ بنِ ذِئْبِ بْنِ عَدِىٍّ بنِ مازِنِ بْنِ الأَزْدِ . ويُقالُ : الرَّبيعُ ابْنُ مَسْعودٍ . وأُمُّهُ ردعا[4] بنْتُ سَعْدِ بْنِ الْحارِثِ الحجورِىِّ . وذُكِرَ غيرُ ذلك فى نَسَبِهِ . قال : وكان يسكُنُ الجابِيَةَ . ثُم رَوَى عن أبى حاتِمٍ السِّجِسْتانِىِّ ، قال : سمِعْتُ المَشْيَخَةَ ؛ منهم أبو عُبَيْدَةَ وغيرُه قالوا : وكان مِن بعدِ لُقْمَانَ بنِ عادٍ ، وُلِدَ فى زمنِ سَيْلِ العَرِمِ ، وعاش إلى مُلْكِ ذى نُواسٍ ، وذلك نحوٌ مِن ثلاثين [١٣/٢ظ] قرْنًا ، وكان مَسْكَنُه الْبَحْرَيْن ، وزعَمَتْ عبدُ القَيْسِ أنَّه منهم ، وتزْعُمُ الأَزْدُ أنَّه مِنهم ، وأكثرُ المحدِّثينَ يقُولون : هو مِن الأَزْدِ . ولا نَدْرِى مِمَّنْ هو ، غيرَ أنَّ ولدَه يقولون : إنَّه مِن الأَزْدِ . ورُوِىَ عن ابنِ عبّاسٍ أنَّه قال : لم يَكنْ شىءٌ مِن بنى آدَمَ يُشْبِهُ سَطِيحًا ؛ إنَّما كان لحمًا على وَضَمٍ[5] ، ليس فيه عظمٌ ولا عَصَبٌ ، إلَّا فى رَأْسِهِ وعَيْنَيْهِ وكَفَّيْه ، وكان يُطْوَى كما يُطْوَى الثَّوبُ مِن رِجْلَيْهِ إلى عُنُقِهِ ، ولم يكنْ فيه شىءٌ يَتَحَرَّكُ إلَّا لسانُهُ . وقال غيرُه : إنَّه كان إذا غضِبَ انتفخ وجلَس . ثم ذَكر ابنُ عبّاسٍ أنَّه قَدِم مكَّةَ فتلقّاه جماعةٌ مِن

---

(١) سقط من : ص .

(٢) من هنا وإلى قوله : « وذكَر لعبدِ المسيح أشعارا غير ما تقدم » . حاشية فى الأصل ، وليست فى ا ٩ . وفى ص : « وقد تقدم ترجمة شق وسطيح فى أخبار أهل اليمن » .

(٣) وجدنا لقبه فى موضعه فى حرف السين من جزء الألقاب ، ٢٨٦/١٩ مخطوط . وأحال الحافظ ابن عساكر على اسمه فى حرف الراء قائلا : تقدم ذكره فى حرف الراء . ولم نجده فى النسختين المطبوعة والمخطوطة اللتين بين أيدينا . وانظر نسبه فى سيرة ابن هشام ١٥/١ .

(٤) فى الأصل : « روعه » .

(٥) الوضم : ما وقيت به اللحم عن الأرض من خشب أو حصير .

رؤسائِها ، منهم عَبْدُ شَمْسٍ وعَبْدُ مَنافٍ أبناءُ قُصَىٍّ ، فامْتَحَنُوه فى أَشْياءَ ، فأجابَهم فيها بالصِّدْقِ ، فسأَلوه عمّا يكونُ فى آخِرِ الزّمانِ ، فقال : خُذُوا مِنِّى ومِن إلهامِ اللّهِ إيّاىَ ؛ أنتم الآنَ يا مَعْشَرَ العَرَبِ فى زمانِ الهَرَمْ ، سواءٌ بصائرُكم وبصائرُ العَجَمْ ، لا عِلْمَ عِندَكُم ولا فَهمْ ، ويَنْشَأُ مِن عَقِبِكم ذَوُو فَهمْ ، يَطْلُبون أنواعَ[1] العِلْم ، فيكسِرون[2] الصَّنَمْ ، ويتبعون[3] الرَّدَمْ ، ويقتلون العَجَمْ ، ويطلبون الغَنَمْ[4] . ثُم قال : والباقِى الأبدْ ، والبالغِ الأَمَدْ ، ليَخْرُجَنَّ مِن ذا البلدْ ، نبىٌّ مُهْتَدْ ، يَهْدِى إلى الرَّشَدْ ، °يَرْفُضُ يَغُوثَ والفَنَدْ° ، يَبْرَأُ من[6] عبادةِ الضَّدَدْ ، يَعْبُدُ ربًّا انفرَدْ ، ثُم يَتوفّاه اللّهُ بخيرِ دارٍ محمودًا ، مِن الأرضِ مَفْقودًا ، وفى السَّماءِ مَشْهودًا ، ثُم يَلِى أمْرَه الصِّدِّيقْ ، إذا قَضَى صدَقْ ، وفى ردِّ الحقوقِ لا خَرِقٌ ولا نَزِقْ[7] ، ثُم يَلِى أمْرَه الحنيفْ ، مُجرِّبٌ غِطْرِيفْ ، قد أضاف المُضِيفْ ، وأَحْكَمَ التَّحْنِيفْ . ثُم ذكَر عثمانَ ومَقْتَلَه ، وما يكونُ بعدَ ذلك مِن أَيّامِ بنى أُمَيَّةَ ، ثُم بنى العبّاسِ ، وما بعدَ ذلك مِن الفتنِ والملاحِمِ . ساقه ابنُ عساكرَ بسنَدِه عن ابنِ عبّاسٍ بِطُولِه .

وقد قدَّمْنا[8] قولَه لربيعةَ بنِ نصرٍ ملكِ اليمنِ ، حينَ أخبرَه برُؤْياه قبلَ أن

---

(١) فى الأصل : « انتزاع » .

(٢) فى الأصل : « تكسرون » .

(٣) فى الأصل : « تبلغون » .

(٤) أى المغنم .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل .

(٦) فى م ، ص : « عن » .

(٧) الخَرِق : الأحمق ، والنَّزِق : الخفيف الطائش .

(٨) انظر ما تقدم صفحة ١١٨ - ١٢٠ .

يُخْبِرَهُ بها ، ثُم ما يكونُ فى بلادِ اليمنِ ، مِن الفتنِ وتغييرِ الدُّوَلِ ، حتى يعودَ إلى سَيْفِ بنِ ذِى يَزَنَ ، فقالَ له : أَفَيَدُومُ ذلك مِن سُلْطانِهِ أَمْ يَنْقَطِعُ ؟ قال : بل يَنْقَطِعُ . قال : ومَن يَقْطَعُه ؟ قال : نبىٌّ زَكِىٌّ ، يأتيهِ الوحىُ مِن قِبَلِ العَلِىِّ . قال : وممَّن هذا النبىُّ ؟ قال : مِن وَلَدِ غالِبِ بنِ فِهْرِ بنِ مالِكِ بنِ النَّضْرِ ؛ يكونُ المُلْكُ فى قومِه إلى آخِرِ الدّهرِ . قال : وهل للدَّهْرِ مِن آخرٍ ؟ قال : نَعَمْ ، يومٌ يُجمَعُ فيه الأوّلون والآخِرون ، يَسْعَدُ فيه المحْسِنون ويَشْقَى فيه المُسيئُون . قال : أحقٌّ ما تُخْبِرُنى ؟ قال : نَعَمْ ، والشَّفَقِ والغَسَقْ ، والقمرِ[1] إذا اتَّسَقْ ، إنَّ ما أنبأْتُك عليه[2] لَحَقّ . ووافقَه على ذلك شِقٌّ سواءً بسواءٍ بعبارةٍ أُخْرى كما تقدَّم . ومِن شِعْرِ سَطِيحٍ قولُه :

عليكم بتقوى اللَّهِ فى السِّرِّ والجَهْرِ ... ولا تَلْبِسُوا صِدْقَ الأَمانَةِ بالغَدْرِ

وكونوا لجارِ الجَنْبِ حِصْنًا وجُنَّةً ... إذا ما عَرَتْهُ النّائباتُ مِنَ الدَّهْرِ

ورَوى ذلك الحافظُ ابنُ عساكرَ ، ثُم أَوْرَدَ ذلك المُعافَى بنُ زَكَرِيّا الجَرِيرِىُّ[3] فقال : وأخبارُ سَطِيحٍ كثيرةٌ ، وقد جمعَها غيرُ واحدٍ مِن أهلِ العلمِ ، والمشهورُ أنَّه كان كاهنًا ، وقد أخبرَ عن النبىِّ ﷺ ، وعن نَعْتِه ومَبْعَثِه . ورُوِىَ لنا بِإِسْنادٍ ، اللَّهُ به أعْلمُ ، أنَّ النبىَّ ﷺ ، سُئِلَ عن سَطِيحٍ ، فقال : « نبىٌّ ضَيَّعَه قَوْمُهُ » .

(١) فى الأصل : « الفلق » .
(٢) سقط من : الأصل .
(٣) فى الأصل : « الحريرى » .

قلتُ : [١٤/٢و] أمّا هذا الحديثُ فلا أصْلَ له فى شىءٍ مِن كُتُبِ الإسلامِ المعهودةِ ، ولم أَرَه بإسنادٍ أصْلًا . ويُرْوَى مِثْلُه فى خَبرِ خالِدِ بنِ سِنَانٍ العَبْسِىِّ ، ولا يَصِحُّ أيضًا[١] ، وظاهِرُ هذه العِباراتِ تَدُلُّ على علْمٍ جيّدٍ لِسَطِيحٍ ، وفيها رَوائحُ التَّصْدِيقِ ، لكنَّه لم يُدْرِكِ الإسلامَ كما قال الجَرِيرِىُّ . فإنَّه قد ذكَرْنا فى هذا الأثرِ أنَّه قال لابنِ أختِهِ[٢] : يا عبدَ المَسِيحِ ، إذا كثُرَتِ التِّلاوةْ ، وظهَرَ صاحبُ الهِراوةْ ، وفاضَ وادى السَّماوَةْ ، وغاضتْ بُحَيْرةُ ساوَةْ ، وخَمَدَتْ نارُ فارسَ ، فليس الشّامُ لسَطِيحٍ شامًا ، يَمْلِكُ مِنهم مُلوكٌ ومَلِكاتٌ ، على عَددِ الشُّرُفاتْ ، وكلُّ ما هو آتٍ آتْ . ثُم قَضَى سَطِيحٌ مكانَه . وكان ذلك بعدَ مولدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ بشهْرٍ - أو شَيْعِه[٣] ، أىْ : أقلَّ منه - وكانت وفاتُه بأطرافِ الشّامِ ، ممّا يلى أرضَ العِراقِ . فاللَّهُ أعلمُ بأمرِه ، وما صارَ إليه . وذَكَر ابنُ طَرّارٍ الجَرِيرِىُّ[٤] أنه عاشَ سَبْعَمائةِ سنَةٍ . وقال غيرُه : خَمْسَمائةِ سنَةٍ . وقيل : ثلاثَمائةِ سنَةٍ . فاللَّهُ أعلمُ .

وقد رَوى ابنُ عساكرَ أنَّ مَلِكًا سأَلَ سَطِيحًا عن نَسَبِ غُلامٍ اخْتُلِفَ فيه ، فأخبرَه على الجَلِيَّةِ ، فى كلامٍ طويلٍ مَليحٍ فَصِيحٍ ، فقال له المَلِكُ : يا سَطِيحُ ، أَلَا تُخْبِرُنى عن عِلْمِك هذا ؟ فقال : إنَّ عِلْمى هذا ليس مِنِّى ولا بخَزْمٍ[٥] ولا بظَنٍّ ، ولكنْ أخذْتُه عن أخٍ لى جِنِّىٍّ[٦] ، قد سَمِع الوَحْىَ بطُورِ سَيْنَاءَ . فقال له : أرأيْتَ أخاك هذا الجِنِّىَّ ، أهو معك لا يُفارقُك ؟ فقال : إنَّه لَيَزُولُ حيثُ أزولْ ،

---

(١) وهو فى المستدرك ٥٩٨/٢ ، ٥٩٩ ، كشف الأستار (٢٣٦١) . وانظر (السلسلة الضعيفة ٢٨٠).
(٢) فى الأصل : « أخيه » .
(٣) فى ا ٩ ، م ، ص : « شية » .
(٤) هو المعافى بن زكريا . انظر الأنساب للسمعانى ٢/ ٥٢.
(٥) فى م : « بجزم » . ورجل أخرم الرأى : ضعيفه . المعجم الوسيط (خ ر م) .
(٦) سقط من : م .

ولا أنطِقُ إلا بما يقولُ . وتقدَّمَ[1] أنَّه وُلِدَ هو وشِقُّ بنُ مُصْعَبِ بنِ يَشْكُرَ بنِ رُهْمِ ابنِ بُسْرِ[2] بنِ عُقْبَةَ الكاهِنُ الآخَرُ، وُلِدَا فى يومٍ واحدٍ، فحُمِلا إلى الكاهنةِ طريفةَ بنتِ الحُسَيْنِ الحِمْيَرِيَّةِ[3] ، فتَفَلَتْ فى أفواهِهِما، فوَرِثا منها الكِهانَةَ، وماتتْ مِن يومِها، وكان نصفَ إنسانٍ، ويُقالُ : إنَّ خالِدَ بنَ عبدِ اللَّهِ القَسْرِىَّ مِن سُلالتِه. وقد ماتَ شِقٌّ قَبْلَ سَطِيحٍ بدَهْرٍ.

وأمّا عبدُ المَسِيحِ بنُ عمرِو بنِ قيسِ بنِ حَيّانَ بنِ بُقَيْلَةَ الغَسّانِىُّ النَّصْرانِىُّ فكان مِن المعمَّرِينَ، وقد ترجَمَه الحافظُ ابنُ عساكرَ فى «تاريخِه»[4] ، وقال : هو الذى صالَح خالدَ بنَ الوليدِ على الحِيرَةِ[5] . وذكر له معه قصّةً طويلةً وأنَّهُ أكلَ مِن يدِه سُمَّ ساعةٍ، فلم يُصِبْه سوءٌ؛ لأنَّه لمَّا أخَذَه قال : بسمِ اللَّهِ وباللَّهِ، ربِّ الأرضِ والسَّماءِ، الذى لا يَضُرُّ مع اسمِه أذًى. ثُم أكلَه فعَلَتْه غَشْيَةٌ، فضَرَب بيدَيْه على صَدْرِه ثُم عَرِقَ وأفاقَ - رضِىَ اللَّهُ عنه. وذَكَرَ لعبدِ المسيحِ أشعارًا غيرَ ما تقدّمَ[6] .

وقال أبو نُعَيْمٍ[7] : حدَّثَنا محمدُ بنُ أحمدَ بنِ الحَسَنِ، حدَّثنا محمدُ بنُ عثمانَ بنِ أبى شَيْبَةَ، حدَّثَنا عُقْبَةُ بنُ مُكْرَمٍ، حدّثنا المسيَّبُ بنُ شَرِيكٍ، [8]حدّثَنا محمدُ بنُ شَرِيكٍ[8] ، عن شُعَيْبِ بنِ شُعَيْبٍ، عن أبيه، عن جَدِّه، قال : كان

---

(١) انظر ما تقدم فى صفحة ١١٨.

(٢) فى الأصل : «يسر».

(٣) فى م : «الحميدية».

(٤) تاريخ دمشق ١٠/ ٦١٩. مخطوط.

(٥) بياض فى الأصل، م. والمثبت من تاريخ دمشق.

(٦) إلى هنا آخر الحاشية التى بالأصل، م.

(٧) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٤٢٦، ٤٢٧ ، من طريق محمد بن عثمان بن أبى شيبة به.

(٨ - ٨) سقط من : ص.

بمَرِّ الظَّهْرَانِ راهبٌ مِن الرُّهْبانِ يُدْعَى عيصا ، مِن أَهْلِ الشَّامِ وكان متخفِّرًا[(١)] بالعاصِ بنِ وائلٍ ، وكان اللَّهُ قد آتاه عِلْمًا كثيرًا ، وجعَل فيه مَنَافعَ كثيرةً لأهلِ مكَّةَ ، مِن طيبٍ ، ورِفقٍ ، وعِلْمٍ ، وكان يَلْزَمُ[(٢)] صَوْمَعةً له ، ويَدْخُلُ مكَّةَ فى كلِّ سَنةٍ ، فيَلْقَى النّاسَ ، ويَقُولُ : إنَّه يُوشِكُ أن يُولَدَ فيكم مولودٌ يا أهلَ مكَّةَ ، يَدينُ له العَرَبُ ، ويَملِكُ العَجَمَ ، هذا زمانُه ، ومَن أدركَه واتَّبَعه أصاب حاجتَه ، ومَن أَدرَكَه فخالفَه أخطأَ حاجتَه ، وتَاللَّهِ ما تَرَكْتُ أرضَ الخَمرِ[(٣)] والخَميرِ والأمْنِ ، ولا [١٤/٢ظ] حلَلْتُ بأرضِ الجُوعِ [(٤)] والبُؤْسِ[(٤)] والخَوْفِ إلَّا فى طَلَبِه . وكان لا يُولَدُ بمكَّةَ مولودٌ إلَّا يُسْأَلُ عنه ، فيَقولُ : ما جاء بعدُ . فيقالُ له : فصِفْهُ . فيَقولُ : لا . ويَكْتُمُ ذلك[(٥)] ؛ للّذى قد عَلِمَ أنَّه لاقٍ مِن قومِه ؛ مَخافةً على نفسِه أن يَكونَ ذلك داعيَةً إلى أدنى ما يَكونُ إليه مِن الأذَى يومًا ، ولمَّا كان صَبيحةُ اليومِ الذى وُلِدَ فيه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، خرَج عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ المُطَّلِبِ ، حتّى أَتى عيصا ، فوقَف فى أصلِ صَوْمَعَتِه ، ثم نادى : يا عيصا . فناداه : مَنْ هذا ؟ فقال : أنا عبدُ اللَّهِ . فأَشْرَفَ عليه فقال : كن أباه فقد وُلِدَ ذلك[(٦)] المولودُ الّذى كنتُ أُحدِّثُكُم عنه يومَ الاثْنَيْنِ ، ويُبْعَثُ يومَ الاثْنَيْنِ ، ويموتُ يومَ الاثنينِ . قال : فإنَّه قد وُلِدَ لى مع الصُّبحِ مولودٌ . قال فما سَمَّيْتَه ؟ قال : محمدًا . قال : واللَّهِ ، لقد كنتُ أَشْتَهِى أن يكونَ هذا المولودُ فيكم أهلَ

---

(١) فى ص : « منحقرا » . وفى تاريخ دمشق : « متحفرا » . ومتخفرا : محتميا ومستجيرا .
(٢) فى ص : « يدخل » .
(٣) فى الأصل : « الخبز » .
(٤ - ٤) سقط من : ص .
(٥) سقط من : ص .
(٦) سقط من : م ، وفى ص : « لك » .

البيتِ ؛ لثلاثِ خِصالٍ بها نعرِفُه ، منها ؛ أنَّ نَجْمَهُ طَلَع البارِحَةَ ، وأنَّهُ وُلِدَ اليومَ ، وأنَّ اسمَه محمدٌ ، انْطَلِقْ إليه ، فإنَّ الَّذى كنتُ أُحَدِّثُكُم[1] عنه ابنُك . قال : فما يُدريك أنَّه ابنى ، ولعلّه أن يُولَدَ فى يومِنا هذا مولودٌ غيرُه ؟ قال : قد وافقَ ابنُك الاسمَ ، ولم يكنِ اللَّهُ لِيُشَبِّهَ عِلْمَه على العلماءِ ؛ فإنَّه حُجَّةٌ ، وآيةُ ذلك أنَّه الآنَ وَجِعٌ ، فيَشْتَكِى أيامًا ثلاثةً ، يَظْهَرُ به الجوعُ ثلاثًا ، ثُمَّ يُعافَى ، فاحفَظْ لسانَك ؛ فإنَّه لم يُحْسَدْ أحدٌ حَسَدَه قطُّ ، ولم يُبْغَ على أحدٍ كما يُبْغَى عليه ، إن تَعِشْ حتّى [2]يَبْدُوَ مقالُه[2] ثُم يَدْعُوَ ، لَظَهر لك مِن قومِك ما لا تَحْتَمِلُه إلَّا على صَبْرٍ وعلى ذُلٍّ ، [3]فاحفَظْ لسانَك[3] ودارِ عنه . قال : فما عُمْرُه ؟ قال : إن طالَ عُمْرُه أو قَصُرَ لم يبلُغِ السَّبعين ، يموتُ فى وِتْرٍ دونَها مِن السِّتِّينَ فى إحدى وسِتِّينَ ، أو ثلاثٍ وسِتِّينَ ، فى أعمارِ جُلِّ أُمَّتِه . قال : وحُمِلَ برسولِ اللَّهِ ﷺ ، فى عاشوراءِ[4] المُحَرَّمِ ، ووُلِدَ يومَ الاثْنَيْنِ لِثِنْتَىْ عَشْرَةَ خَلَت مِن رمضانَ ، سنَةَ ثلاثٍ وعِشرينَ مِن غزوةِ أصحابِ الفيلِ . هكذا رواه أبو نُعَيمٍ ، وفيه غرابةٌ .

---

(١) فى ا ٩، م : « أخبركم » .
(٢ - ٢) فى ص : « تبدو معالمه » . وكذا فى تاريخ دمشق .
(٣ - ٣) سقط من : ص .
(٤) فى الأصل ، م : « عاشر » .

ذِكْرُ[1] حواضِنِه ومَراضِعِه، عليه الصلاةُ والسَّلامُ

كانت أمُّ أيمَنَ، واسمُها بَرَكَةُ، تحْضُنُه، [2]وكانَ قد[2] وَرِثها، عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، مِن أبيه، فلمّا كَبِر أَعتَقَها وزَوَّجَها مَولاه زَيدَ بنَ حارِثةَ، فولَدتْ له أُسامةَ بنَ زيدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عنهم، وأَرضَعتْه مع أمِّه، عليه الصّلاةُ والسّلامُ، مَولاةُ عمِّه أبى لَهَبٍ ثُوَيْبَةُ، قَبْلَ حَلِيمةَ السَّعْدِيَّةِ.

أَخرَجَ البُخاريُّ ومسلمٌ فى «صَحِيحَيْهما»[3] مِن حديثِ الزُّهْرِىِّ، عن عُرْوةَ بنِ الزُّبيرِ، عن زَينبَ بنتِ أمِّ سَلَمَةَ، عن أُمِّ حَبِيبَةَ بنتِ أبى سُفيانَ، أنَّها قالتْ: يا رسولَ اللَّهِ، انكِحْ أُختى بنتَ أبى سفيانَ. ولمسلمٍ: عزَّةَ بنتَ أبى سُفيانَ. فقال النبىُّ ﷺ: «أَوَ تُحِبِّينَ ذلك؟». قُلْتُ: نَعَمْ! لَسْتُ لك بمُخْلِيَةٍ، وأَحَبُّ مَنْ شارَكَنِى فى خيرٍ أُخْتِى. فقال النبىُّ ﷺ: «فإنَّ ذلك لا يَحِلُّ لى». قالتْ: فإنَّا نُحدَّثُ أنَّك تُريدُ أن تَنْكِحَ بنتَ أبى[4] سَلمَةَ. وفى رِوايةٍ: دُرَّةَ بنتَ أبى سَلَمَةَ. قال: «بنتَ أمِّ سَلَمَةَ»؟ قلتُ: نَعَمْ. قال: «إنَّها لو لم تَكُنْ رَبِيبتى فى حَجْرِى ما حَلَّتْ لِى، إنَّها لَابْنَةُ أخِى مِنَ الرَّضاعَةِ، أَرْضَعَتْنِى وأبا سَلَمَةَ ثُوَيْبَةُ، فلا تَعْرِضْنَ عَلَىَّ بناتِكُنَّ ولا أَخواتِكُنَّ». زاد البخـارىُّ[5]:

---

(١) سقط من: م.

(٢ - ٢) فى الأصل، ص: «وكانت ممن».

(٣) البخارى (٥١٠١، ٥١٠٧، ٥٣٧٢). مسلم (١٤٤٩).

(٤) فى الأصل: «أم».

(٥) البخارى (٥١٠١).

قال عُرْوَةُ : وَثُوَيْبَةُ مَوْلَاةٌ لِأَبِي لَهَبٍ ، (1) وكان أبو لَهَبٍ (1) (2) أَعتقَها فأرْضَعَتْ رَسولَ اللَّهِ ﷺ ، فلمّا مات أبو لَهَبٍ (2) أُرِيَه بَعْضُ أَهْلِه بِشَرِّ حِيبَةٍ[3] . فقال له : ماذا لقِيتَ ؟ فقال [٢/١٥و] أبو لَهَبٍ : لم ألقَ بعدَكم خيرًا ، غيرَ أَنِّى سُقِيتُ فى هذه بِعَتاقَتِى ثُوَيْبَةَ . وأشار إلى النُّقْرَةِ التى بينَ الإبهامِ والتى تَليها مِن الأصابعِ[4] .

وذكَرَ السُّهَيْلِيُّ وغيرُه : أنَّ الرّائِيَ له هو أخوه العَبّاسُ . وكان ذلك بعدَ سنَةٍ مِن وفاةِ أبى لَهَبٍ بعدَ وقْعةِ بَدْرٍ . وفيه أنَّ أَبَا لَهَبٍ قال للعبّاسِ : إنَّه لَيُخَفَّفُ علىَّ فى مِثلِ يومِ الاثنَيْن . قالوا : لأنَّه لمَّا بَشَّرَتْه ثُوَيْبَةُ بميلادِ ابنِ[5] أخيه محمدِ ابنِ عبدِ اللَّهِ ، أعْتَقَها مِن ساعتِه ، فجُوزِىَ بذلك لذلك[6] .

(1 - 1) سقط من : الأصل ، ا ٩، م .

(2 - 2) سقط من : الأصل .

(3) فى الأصل ، م ، ص : « خيبة » . وحيبة : أى سوء حال .

(4) هذه العبارة الأخيرة من قوله : « وأشار إلى النقرة ... إلخ » . ليست عند البخارى ، وأشار الحافظ فى الفتح إلى أنها عند الإسماعيلى ، والبيهقى فى الدلائل .

(5) سقط من : ص .

(6) فى ص : « كذلك » .

ذِكْرُ[1] رضاعِه، عليه الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، مِن حَلِيمةَ بنتِ أبى ذُؤَيْبٍ السَّعْدِيَّةِ، وَمَا ظَهَرَ عليه مِنَ البركةِ وآياتِ النُّبُوَّةِ

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[2]: واسْتُرْضِعَ له، عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، مِن حَلِيمةَ بنتِ أبى ذُؤَيْبٍ، واسمُه عبدُ اللَّهِ بنُ الحارثِ بنِ شِجْنَةَ[3] بنِ جَابرِ بنِ رِزامِ بنِ ناصِرَةَ بنِ سَعْدِ بنِ بكرِ بنِ هَوَازِنَ بنِ منصورِ بنِ عِكْرِمَةَ بنِ خَصَفَةَ[4] بنِ قَيْسِ بنِ[5] عَيْلانَ[6] بنِ مُضَرَ[7]، واسمُ أبى رسولِ اللَّهِ ﷺ؛ الذى أرْضَعه - يعنى زوجَ حَليمةَ - الحارثُ بنُ عبدِ العُزَّى بنِ رِفاعةَ بنِ مَلَّانَ بنِ ناصِرةَ بنِ سَعْدِ بنِ بكرِ بنِ هَوازِنَ. وإخوتُه[8]، عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ - يعنى مِن الرَّضاعةِ - عبدُ اللَّهِ بنُ الحارثِ، وأُنَيْسةُ بنتُ الحارثِ، وحُذَافةُ[9] بنتُ الحارثِ، وهى الشَّيْماءُ، وذَكَروا أنَّها كانت تَحْضُنُ رسولَ

---

(١) سقط من: م.
(٢) سيرة ابن إسحاق ص ٢٥.
(٣) فى ص: «شجته».
(٤) فى الأصل، ا ٩، م: «حفصة». وفى ص غير واضحة. والمثبت من سيرة ابن إسحاق.
(٥) سقط من: الأصل، ا ٩، م.
(٦) فى الأصل، ا ٩، ص: «غيلان».
(٧) بعده فى الأصل، م، ص: «قال».
(٨) فى الأصل: «أخواته».
(٩) فى الأصل: «خدامة». وفى ا ٩: «جدامة».

اللَّهِ ﷺ، مع أمِّه، إذ كان عِندَهم.

قال ابنُ إسحاقَ[(١)] : حدَّثَنى جَهْمُ[(٢)] بنُ أبى جَهْمٍ[(٢)] ، مَولًى لامْرَأةٍ مِن بَنِى تَميمٍ، كانتْ عندَ الحارثِ بنِ حاطبٍ، وكان[(٣)] يُقالُ له: مولَى الحارثِ بنِ حاطبٍ. قال: حدَّثَنى مَن سَمِع عبدَ اللَّهِ بنَ جَعْفَرِ بنِ أبى طالبٍ، قال: حُدِّثْتُ عن حَليمةَ ابنةِ الحارثِ، أنَّها قالتْ: قَدِمْتُ مَكَّةَ فى نِسْوَةٍ - [(٤)]وذَكَر الوَاقِدِيُّ[(٥)] بإسْنادِه، أنَّهُنَّ كُنَّ عَشْرَ نِسْوَةٍ مِن بنى سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، يَلْتَمِسْنَ بِها الرُّضَعاءَ[(٤)] - [(٦)]مِن بنى سَعْدِ [(٧)]بنِ بكرٍ[(٧)] نلتمِسُ بها الرُّضَعَاءَ[(٦)] ، وفى سَنَةٍ شَهْباءَ، فَقَدِمْتُ عَلَى أتانٍ لِى[(٨)] قَمْراءَ، كانت أَذَمَّتْ[(٩)] بالرَّكْبِ، ومَعى صَبِىٌّ لَنا، وشارِفٌ[(١٠)] لنا، واللَّهِ ما تَبِضُّ[(١١)] بقَطْرَةٍ، وما نَنامُ لَيْلَتَنا ذلك أجمعَ مع صَبِيِّنا ذاك، ما نَجِدُ فى ثَدْيَىَّ ما يُغْنِيه، ولا فى شارِفِنا ما يُغَذِّيه، ولَكِنَّا كنَّا نَرْجُو الغَيْثَ والفَرَجَ، فخَرَجْتُ على أَتانى تلك، فلقد أَذَمَّتْ[(٩)] بالرَّكْبِ، حتَّى شَقَّ ذلك عَلَيْهِم ضَعْفًا وعَجَفًا[(١٢)] ، فَقَدِمْنا مَكَّةَ، فواللَّهِ ما عَلِمْتُ مِنَّا امْرَأةً إلَّا

---

(١) سيرة ابن إسحاق ص ٢٦ - ٢٨.
(٢) فى الأصل: «جهيم».
(٣) سقط من: ا ٩، م.
(٤ - ٤) سقط من: الأصل، ا ٩.
(٥) ومن طريق الواقدى، أخرجه ابن سعد فى الطبقات ١/ ١١٠، ١١١.
(٦ - ٦) سقط من: ص.
(٧ - ٧) زيادة من: ا ٩.
(٨) سقط من: ص.
(٩) فى الأصل: «أدمت». وأذمَّت بالركب: حبستهم لضعفها وانقطاع سيرها. الوسيط (ذ م م).
(١٠) الشارف: هى الناقة الهرمة المسنة.
(١١) ما تبض بقطرة، أى ما تنزل قطرة من لبن.
(١٢) عجفا: هزالا.

وقد عُرِضَ عليها رسولُ اللَّهِ ﷺ فتَأْباه ؛ إذا قيل : إنَّه يتيمٌ . ترَكْناه ، و[1] قُلْنا : ماذا عَسَى أن تَصْنَعَ إلينا أُمُّه ؟ إنَّما نرجُو المعروفَ مِن أبي الوَلَدِ ، فأمَّا أُمُّه فماذا عسى أن تصنَعَ إلينا ؟! فواللَّهِ ما بَقِيَ مِن صَوَاحِبِي امرأةٌ[2] إلَّا أَخَذَتْ رَضِيعًا غَيْرِي ، فلمَّا لم نَجِدْ غيرَه ، وأَجْمَعْنا الانْطِلاقَ ، قلتُ لِزَوْجِي الحارثِ بنِ عبدِ العُزَّى : واللَّهِ إنِّي لَأَكْرَهُ أن أَرْجِعَ مِن بينِ صَوَاحِبِي ليسَ معي رَضِيعٌ ، لَأَنْطَلِقَنَّ إِلَى ذلك اليتيمِ فلَآخُذَنَّه . فقال : لا عليكِ أن تَفْعَلِي ، فعسى اللَّهُ أن يَجْعَلَ لنا فيه بَرَكَةً . فذَهَبْتُ فأَخَذْتُه ، فواللَّهِ ما أَخَذْتُه إلَّا أنِّي لم أَجِدْ غيْرَه ، فما هو إلَّا أن أَخَذْتُه ، فَجِئْتُ به رَحْلِي ، فأَقْبَلَ عليه ثَدْيايَ بما شاءَ مِن لبنٍ ، فَشَرِبَ ⁽³حتَّى رَوِيَ³⁾ ، وشَرِبَ أَخُوه حتَّى رَوِيَ ، وقام صاحِبِي إِلَى شَارِفِنا تلك ، فإذا إنَّها لَحَافِلٌ ، فَحَلَبَ مَا شَرِبَ ، وشَرِبْتُ حتى رَوِينا ، فَبِتْنا بِخَيْرِ لَيْلَةٍ ، فقال صاحِبِي حينَ أَصْبَحْنا : يا حَلِيمةُ ، ⁽⁴واللَّهِ⁴⁾ ، إنِّي لأَرَاكِ قد أَخَذْتِ نَسَمَةً مُبارَكَةً ؛ أَلَمْ تَرَيْ ما بِتْنا به اللَّيْلَةَ مِن الخَيْرِ وَالبَرَكَةِ حينَ أَخَذْنَاهُ ! فلم يَزَلِ اللَّهُ ، عَزَّ وجَلَّ ، يَزِيدُنا خيْرًا ، ثُم خرجْنا راجِعِينَ إلى بلادِنا ، فواللَّهِ لَقَطَعَتْ [٢/١٥ظ] أَتاني بالرَّكْبِ ، حتَّى ما يَتَعَلَّقُ بها حِمَارٌ ، حتَّى أَنَّ صَواحِبِي لَيَقُلْنَ : وَيْلَكِ يا بِنْتَ أَبِي ذُؤَيْبٍ ! هذه أَتانُكِ التى خَرَجْتِ عليها معَنا ؟ فأقولُ : نَعَمْ ، واللَّهِ إنَّها لَهِيَ . فيَقُلْنَ : واللَّهِ إنَّ لها لَشَأْنًا . حتَّى قَدِمْنا أَرْضَ بَنِي سَعْدٍ ، وما أَعْلَمُ أَرْضًا مِن أَرْضِ اللَّهِ أَجْدَبَ مِنها ، فإنْ كانتْ غَنَمِي لَتَسْرَحُ ، ثُمَّ تَرُوحُ شِباعًا لَبَنًا ،

---

(١) سقط من النسخ . والمثبت من سيرة ابن إسحاق .
(٢) فى ص : « شيء » .
(٣ - ٣) سقط من : ص .
(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

فَنَحْلِبُ ما شِئْنا ، وما[1] حولَنا أَحَدٌ تَبِضُّ له شاةٌ بقَطْرَةِ لبَنٍ ، وإنَّ أغنامَهم لَتروحُ جِياعًا ، حتَّى إنَّهم لَيقولُون لِرِعاتِهم ، أو لِرُعْيانِهم : وَيْحَكُم ! انظُرُوا حيثُ تَسْرَحُ غنمُ بنتِ أبى ذُؤَيْبٍ ، فاسرَحوا معهم . فيَسرَحُون مَعَ غنمِى حيثُ تَسْرَحُ ، فيُرِيحُون[2] أغنامَهم جِياعًا ، ما فيها قَطْرَةُ لَبَنٍ ، وتَرُوحُ أغنامى شِباعًا لَبَنًا ، نَحلِبُ ما شِئْنَا ، فلم يَزَلِ اللَّهُ يُرِينا البركَةَ و[3] نَتعرَّفُها ، حتَّى بلَغَ سَنَتَيْه ، فكان يَشِبُّ شبابًا لَا يَشِبُّه الغِلْمانُ ، فواللَّهِ ما بلَغَ السَّنَتَيْن حتَّى كان غُلامًا جَفْرًا[4] ، فقَدِمْنا به على أُمِّهِ ، ونحنُ أَضَنُّ شىءٍ به ؛ مِمّا رأَيْنا فِيهِ مِن البرَكَةِ ، فلمّا رأَتْه أمُّه ، قُلْنا[5] لها : [6]يا ظِئْرُ[6] ، دَعِينا نَرْجِعْ بابْنِنا هذه السَّنَةَ الأُخْرَى ، فإِنَّا نخشَى عليه وَباءَ مكّةَ . فواللَّهِ مازلنا بها حتّى قالتْ : فنَعَمْ . فسَرَّحَتْه معَنا ، فأَقَمْنا به شَهْرَيْنِ أو ثلاثةً ، فبَيْنَا هو خَلْفَ بُيوتِنا ، مع أخٍ له مِن الرَّضاعةِ فى بَهْمٍ[7] لنا ، جاءَنا أخوه ذلك يَشْتَدُّ ، فقال : ذاك أخى القُرَشِىُّ ، قد[8] جاءَه رجُلان ، عليهما ثِيابٌ بِيضٌ ، فأَضْجَعاه ، فشقَّا بَطْنَه . فخَرَجْتُ أنا وأبوه نَشْتَدُّ نَحْوَهُ ، فنَجِدُه قائمًا مُنْتَقِعًا[9] لونُه ، فاعتَنَقَه أبوه ، وقال : يا بُنَىَّ ، ما شأْنُك ؟

---

(١) بعده فى الأصل ، م ، ص : « حوالينا أو » .

(٢) فى الأصل ، ا ٩ ، م : « فنزوح » .

(٣) زيادة من : الأصل .

(٤) جَفَر الصبى : إذا انتفخ لحمه وأكل . المحيط (ج ف ر) .

(٥) فى م : « قلت » . وفى ص : « قالت » .

(٦ - ٦) سقط من : م .

(٧) البهم : جمع بَهْمَة ، وهى الصغير من الضأن . الوسيط (ب هـ م) .

(٨) سقط من : م .

(٩) فى ص : « ممتنعا » . ومُمتقعا ، بفتح القاف : متغيّر اللون . ويقال : ممتقع ومنتقع ومبتقع ، كلها بمعنًى ، وكلها بفتح القاف .

قال : جاءنى رجلانِ ، عليهما ثيابٌ بِيضٌ ، فأَضْجَعانى ، وشَقَّا بَطْنى ، ثُم استخْرَجا مِنه شيئًا ، فطرَحاه ، ثُم رَدّاه كما كان . فرجَعْنا به معنا ، فقال أبوه : يا حليمةُ ، لقد خَشِيتُ أن يكونَ ابنى قد أُصِيبَ ، فانْطَلِقى بنا نَرُدُّه إلى أهلِه ، قبلَ أن يَظْهَرَ به ما نَتَخَوَّفُ . قالت حليمةُ : فاحْتَمَلْناه ، فلَم تُرَعْ أمُّه إلا به ، فقدِمْنا به[1] عليها ، فقالت : ما رَدَّكما به[2] ، فقد كنتما عليه حَرِيصَيْنْ ؟ فقلنا[3] : لا واللَّهِ [4]يا ظِئْرُ[4] ، إلَّا أنّ اللَّهَ قد أدَّى عنَّا ، وقَضَيْنا الذى علينا ، وقلنا : نَخْشَى الإتلافَ[5] والأحداثَ ، نَرُدُّه إلى[6] أهلِه . فقالتْ : ما ذاك بكما ، فاصْدُقانى شأنَكما . فلَم تَدَعْنا حتى أخْبَرْناها خبرَه ، فقالت : أَخَشِيتُما عليه الشيطانَ ؟ كلَّا واللَّهِ ما للشيطانِ عليه سبيلٌ ، واللَّهِ ، إنَّه لكائِنٌ لابنِى هذا شأنٌ ، ألا أُخْبِرُكما خَبَرَه ؟ قلنا : بلى . قالت : حَمَلْتُ به ، فما حَمَلْتُ حَمْلًا قَطُّ أخفَّ منه ، فأُرِيتُ فى النومِ حينَ حَمَلْتُ به ، كأنَّه خَرَج مِنِّى نُورٌ ، أضاءَتْ له قصورُ الشامِ ، ثُم وقَع حينَ ولدْتُه وُقُوعًا ما يقَعُه المولودُ ، مُعْتَمِدًا على يَدَيْه ، رافِعًا رأسَه إلى السماءِ ، فدعاه عنكما . وهذا الحديثُ قد رُوِى مِن طُرُقٍ أُخَرَ[7] ، وهو مِن الأحاديثِ المشهورةِ المُتداوَلَةِ بينَ أهلِ السِّيَرِ والمغازِى[8] .

---

(١) سقط من : الأصل .
(٢) سقط من : الأصل . وبعده فى م : « يا ظئر » .
(٣) فى الأصل ، م ، ص : « فقالا » .
(٤ - ٤) سقط من : م ، ص .
(٥) فى ا ٩: « الإملاق » .
(٦) فى ا ٩، ص : « على » .
(٧) انظر هذه الطرق فى تاريخ دمشق ٨٦/٣ - ٩٤.
(٨) بعد هذا فى ا ٩: « وليس هو فى شىء من الكتب المعتمد عليها بنقل صحيح » .

وقال الواقِدِيُّ[1] : حدّثنى مُعاذُ بنُ محمدٍ ، عن عطاءِ بنِ أبى رَباحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : خرجَتْ حليمةُ تطلبُ النبىَّ ﷺ ، وقد وَجدَتِ البَهْمَ تَقِيلُ ، فوَجَدَتْه مع أُختِه ، فقالتْ : فى هذا الحَرِّ ! فقالتْ أُختُه : يا أُمَّهْ ، ما وجَد أخى حَرًّا ، رأيتُ غَمامةً تُظِلُّ عليه ، إذا وَقَفَ وقَفَتْ ، وإذا سارَ سارتْ ، حتى انتهى إلى هذا الموضعِ .

وقال ابنُ إسحاقَ[2] : حدثنى ثَوْرُ بنُ يزيدَ ، عن خالدِ بنِ مَعْدَان ، عن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ أنَّهم قالوا له : أخبِرْنا [١٦/٢و] عن نفسِك . قال[3] : « أَنا دَعْوَةُ أَبِى إبْراهيمَ ، وبُشْرَى عِيسَى ، عليهِما السَّلامُ ، وَرأَتْ أُمِّى حِينَ حَمَلَتْ بِى ، أنَّهُ[4] خَرَجَ مِنها نورٌ ، أضاءَتْ له قُصورُ الشَّامِ ، واسْتُرْضِعْتُ فى بَنِى سَعْدِ بنِ بَكْرٍ ، فَبَيْنا أَنَا فِى بَهْمٍ لنا ، أَتانِى رَجُلَان ، عليهما ثيابٌ بِيضٌ ، معهما طَسْتٌ مِن ذَهَبٍ مَمْلوءٌ ثَلْجًا ، فَأَضْجَعَانِى ، فشَقَّا بَطْنِى ، ثم اسْتَخْرَجا قَلْبِى ، فشَقَّاهُ ، فأخْرَجا مِنه عَلَقَةً سَوْداءَ فأَلْقَيَاها ، ثُمَّ غَسَلا قَلْبِى وبَطْنِى بذلك الثَّلجِ ، حَتَّى إذَا أَنْقَياه[5] رَدّاهُ كما كان ، ثُم قال أَحَدُهما لِصَاحِبِه : زِنْهُ بِعَشَرَةٍ مِن أُمَّتِهِ . فَوَزَنَنِى بِعَشَرَةٍ ، فَوَزَنْتُهُم ، ثُمَّ قَالَ : زِنْه بِمائَةٍ مِنْ أُمَّتِه فوزَنَنِى بِمائَةٍ فوزَنْتُهُم ، ثُمَّ قال : زِنْه بِأَلْفٍ مِنْ أُمَّتِه . فَوَزَنَنِى بِأَلْفٍ فَوَزَنْتُهم ، فقال : دَعْه عَنْكَ ، فَلَوْ وزَنْتَهُ بِأُمَّتِه لَوَزَنَهم » . وهذا إسنادٌ جَيِّدٌ قوىٌّ .

---

(١) أخرجه ابن سعد فى طبقاته ١/ ١٥٢. من طريق الواقدى به .

(٢) سيرة ابن إسحاق ص ٢٨. (السلسلة الصحيحة ١٥٤٥).

(٣) بعده فى النسخ : « نعم » . وليس فى سيرة ابن إسحاق .

(٤) فى الأصل : « كأنه » .

(٥) فى م : « ألقياه » .

وقد روى أبو نُعَيْمٍ الحافظُ فى «الدَّلائلِ»[(1)] ، مِن طريقِ عُمَرَ بنِ الصُّبْحِ ، وهو أبو نُعَيْمٍ ، عن ثَوْرِ بنِ يزيدَ ، عن مَكْحُولٍ ، عن شَدَّادِ بنِ أوسٍ ، هذه القصّةَ مُطَوَّلةً جِدًّا ، ولكنَّ عمرَ بنَ صُبْحٍ هذا متروكٌ ، كَذّابٌ ، مُتَّهَمٌ بالوَضْعِ ؛ فلهذا لم نَذْكُرْ لفظَ الحديثِ ، إذ لا يُفْرَحُ به . ثُم قال : وحدثنا أبو عمرِو بنُ[(2)] حَمدانَ ، حدثنا الحسنُ بنُ نُفَيْرٍ ، حدثنا عمرُو بنُ عثمانَ ، حدثنا بَقِيَّةُ بنُ الوليدِ[(3)] ، عن بَحِيرِ[(4)] بنِ سعيدٍ[(5)] ، عن خالدِ بنِ مَعْدَانَ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ عمرٍو السُّلَمِيِّ ، عن عتبةَ بنِ عبدٍ[(6)] ، أنّه حدَّثه أنَّ رَجلًا سأَل النَّبِيَّ ﷺ ، فقال : كيف كان أولُ شأنِك يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : «كَانَتْ حَاضِنَتِي مِنْ بَنِي سَعْدِ بنِ بَكْرٍ ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَابْنٌ لَهَا فِي بَهْمٍ لَنَا ، وَلَمْ نَأْخُذْ مَعَنَا زَادًا ، فَقُلْتُ : يَا أَخِي ، اذْهَبْ فَائْتِنَا بِزَادٍ مِنْ عِنْدِ أُمِّنا . فانْطَلَقَ أَخِي ، ومَكَثْتُ عِنْدَ الْبَهْمِ ، فأَقْبَلَ طَائِرَان أَبْيَضَانِ ، كَأَنَّهُمَا نَسْرَانِ ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : أَهُوَ هُوَ ؟ قال : نَعَمْ . فَأَقْبَلَا يَبْتَدِرَانِي ، فَأَخَذَانِي ، فَبَطَحَانِي لِلْقَفَا ، فَشَقَّا بَطْنِي ، ثُمَّ اسْتَخْرَجَا قَلْبِي فشَقَّاهُ ، فَأَخْرَجَا مِنْهُ عَلَقَتَيْنِ سَوْدَاوَيْنِ ، فقال أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : ائْتِنِي (7)بماءِ ثَلْجٍ(7) . فَغَسَلَا بِه جَوْفِي ، ثُمَّ قَالَ : ائْتِنِي بِمَاءِ بَرَدٍ . فَغَسَلَا بِهِ قَلْبِي ، ثُمَّ

---

(1) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/٤٦٩ - ٤٧٣، من طريق عمر بن الصبح به .

(2) سقط من : الأصل .

(3) ومن طريق بقية بن الوليد ، أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٧، ٨. وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٤٦٤ - ٤٦٦. (السلسلة الصحيحة ٣٧٣) .

(4) فى الأصل، ا ٩: «يحيى» .

(5) فى ا ٩، ص: «سعد» . وانظر تهذيب التهذيب ١/ ٤٢١.

(6) فى ا ٩، م: «عبد الله» . وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ٣١٤.

(7 - 7) سقط من : ص .

قَالَ : ائْتِنِى بالسَّكِينَةِ . فذَرَّها فِى قَلْبِى ، ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِه : (١ حُصْه . فحاصَه ١) . وَخَتَم عَلَى قَلْبِى بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ ، فقال أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ : اجْعَلْه فِى كِفَّةٍ ، وَاجْعَلْ أَلْفًا مِنْ أُمَّتِهِ فِى كِفَّةٍ . فَإِذَا أَنَا أَنْظُرُ إلى الأَلْفِ فَوْقِى ، أُشْفِقُ أَنْ يَخِرَّ علىَّ بَعْضُهُمْ ، فَقَالَ : لَوْ أَنَّ أُمَّتَهُ وُزِنَتْ بِهِ لَمَالَ بِهِمْ . ثُمَّ انْطَلَقَا ، وتَرَكَانِى وَفَرِقْتُ فَرَقًا شَدِيدًا ، ثُمَّ انْطَلَقْتُ إلى أُمِّى ، فَأَخْبَرْتُها بالَّذِى لَقِيتُ ، فَأَشْفَقَتْ أَنْ يَكُونَ قَدْ الْتُبِسَ[٢] بى ، فَقَالَتْ : أُعِيذُكَ بِاللَّهِ . فَرَحَّلَتْ بَعِيرًا لَهَا وجعلتْنِى[٣] على الرَّحْلِ ، وَرَكِبَتْ خَلْفِى حَتَّى بَلَغْنَا إِلَى أُمِّى ، فَقَالَتْ : أَدَّيْتُ أَمَانَتِى وَذِمَّتِى . وَحَدَّثْتُها بالَّذِى لَقِيتُ فلم يَرُعْها ، وَقَالَتْ : إِنِّى رَأَيْتُ خَرَجَ مِنِّى نُورٌ أَضَاءَتْ مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ » . (٤ ورواه أحمدُ[٥] ، مِن حديثِ بَقِيَّةَ بنِ الوليدِ به ٤) . وهكذا رواه عبدُ اللَّهِ بنُ المبارَكِ ، وغيرُه ، عن بَقِيَّةَ بنِ الوليدِ به[٦] . وقد رواه ابنُ عساكرَ[٧] ، مِن طريقِ أبى داودَ الطَّيالِسِيِّ ؛ حدثنا جعفرُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عثمانَ القُرَشِيُّ ، أخْبَرَنى[٨] (٩ عُمَرُ ابنُ عُرْوَةَ بنِ ٩) الزُّبَيْرِ ، قال : سَمِعْتُ عُروةَ بنَ الزُّبيرِ يُحدِّثُ عن أبى ذرٍّ الغِفَارِيِّ ، قال : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، كيف عَلِمْتَ أَنَّكَ

(١ - ١) فى الأصل ، ا ٩، م : « خطه فخاطه » . والمعنى واحد .

(٢) فى الأصل ، ص : « ألبس » . وفى ا ٩، م : « لبس » . والمثبت من دلائل البيهقى . وتاريخ دمشق . والتبس بى أى خولطْت فى عقلى . الوسيط (ل ب س) .

(٣) فى الأصل ، م ، ص : « حملتنى » . والمثبت من المصدرين السابقين .

(٤ - ٤) سقط من : ا ٩، ص .

(٥) أحمد فى المسند ٤/ ١٨٤، ١٨٥ . قال الهيثمى فى المجمع ٢٢٢/٨ : رواه أحمد ... وإسناد أحمد حسن .

(٦) الدارمى ٨/١ ، ٩. والحاكم ٢/ ٦١٦، ٦١٧ . وقال : صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبى .

(٧) فى تاريخ دمشق ٣/ ٤٦٠، ٤٦١ .

(٨) بعده فى الأصل ، م : « عمير بن » .

(٩ - ٩) سقط من : الأصل . وهو عمر بن عبد الله بن عروة بن الزبير . انظر تهذيب الكمال ٢٠/ ١٥ .

نَبِيٌّ حينَ[1] عَلِمْتَ ذلك، واسْتَيْقَنْتَ أنّك نَبِيٌّ ؟ قال : « يَا أَبَا ذَرٍّ ، أَتَانِى مَلَكَانِ وَأَنَا بِبَعْضِ بَطْحَاءِ مَكَّةَ ، فَوَقَعَ أَحَدُهُمَا عَلَى الأَرْضِ ، [١٦/٢ظ] وَكَانَ الآخَرُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِه : أَهُوَ هُوَ ؟ قَالَ : هُوَ هُوَ . قَالَ : فَزِنْه بِرَجُلٍ . فَوُزِنْتُ[2] بِرَجُلٍ فَرَجَحْتُه[3] » . وذَكَر تمامَه ، وذَكَر شَقَّ صَدْرِه ، وخِياطَتَه ، وجَعْلَ الخَاتَمِ بينَ كَتِفَيْه ، قال : « فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ وَلَّيَا عَنِّى ، فكأَنَّما أُعَايِنُ الأَمْرَ مُعَايَنَةً » . ثُم رواه ابنُ عساكرَ[4] ، عن أُبَيِّ بنِ كعبٍ بنحوِ ذلك ، ومِن حديثِ شَدّادِ بنِ أَوْسٍ بأَبْسَطَ مِن ذلك[5] . وثَبَت في « صحيحِ مسلمٍ »[6] ، مِن طريقِ حمّادِ بنِ سَلَمَةَ ، عن ثابتٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، أتاه جِبْرِيلُ ، عليه السلامُ ، وهو يَلْعَبُ مع الغِلمانِ ، فأَخذَه ، فصَرَعَه ، فشَقَّ عن قلبِه ، فاستَخْرَجَ القلْبَ ، واسْتَخْرَج منه عَلَقةً[7] ، فقال : هذا حَظُّ الشيطانِ مِنكَ[8] . ثُم غَسَلَه في طَسْتٍ مِن ذهبٍ بماءِ زمزمَ ، ثُم لَأَمَه[9] ، ثُم أعادَه في مكانِه ، وجاء الغِلْمانُ يَسْعَوْن إلى أُمِّه - يَعْنِى ظِئْرَه - فقالوا : إنَّ محمدًا قد قُتِل . فاستَقْبَلُوه ، وهو مُنْتَقِعُ[10] اللَّونِ . قال أنسٌ : وقد كنتُ أرَى

---

(١) في ص : « حتى » .
(٢) في الأصل ، ا ٩ : « فوزنني » ، وسقط من : ص . والمثبت من تاريخ دمشق .
(٣) في ص : « فرجحه » .
(٤) في تاريخ دمشق ٤٦٢/٣ - ٤٦٤ .
(٥) في تاريخ دمشق ٤٦٦/٣ - ٤٧٣ .
(٦) مسلم (١٦٢) .
(٧) بعده في الأصل ، م : « سوداء » .
(٨) سقط من : ا ٩ ، م .
(٩) لأمه : أصلحه فالتأم . اللسان (ل أ م) .
(١٠) في ا ٩ : « ممتقع » .

أَثَرَ ذلك المِخْيَطِ فى صَدْرِه. وقد رواه ابنُ عساكِرَ[1]، مِن طريقِ ابنِ وهْبٍ، عن عمرِو بنِ الحارثِ، عن عبدِ ربِّه بنِ سعيدٍ، عن[2] ثابتٍ البُنَانِىِّ، عن أنسٍ، أنَّ الصلاةَ فُرِضَتْ بالمدينةِ، وأنّ مَلَكَيْن أتيا رسولَ اللَّهِ ﷺ، فَذَهبا به إلى زَمْزَمَ، فَشَقَّا بَطْنَه، فَأَخْرَجا حُشْوَتَهُ فِى طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ، فغسَلاه بماءِ زمزمَ، ثُم كَبسَا[4] جوفَه حِكْمةً وعِلْمًا. ومِن طريقِ ابنِ وهبٍ[5] أيضًا، عن يعقوبَ ابنِ عبدِ الرحمنِ الزُّهرِىِّ، عن أبيهِ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ هاشمِ[6] بنِ عُتْبَةَ بنِ أبى وقّاصٍ، عن أنسٍ، قال[7]: أُتِىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ثلاثَ ليالٍ، قال[8]: خُذُوا خيرَهم، وسيِّدَهم. فأَخذُوا رسولَ اللَّهِ ﷺ، فَعُمِدَ به إلى زمزمَ، فشُقَّ جَوْفُه، ثُم أُتِىَ بِتَوْرٍ مِن ذهبٍ، فَغُسِلَ جَوْفُه، ثُم مُلِئَ حِكْمةً وإيمانًا. وثَبَتَ مِن رِوايةِ سليمانَ بنِ المغيرةِ، عن ثابتٍ، عن أنسٍ[9]. و[10] فى «الصحيحَيْن»[10]، مِن طريقِ شَرِيكِ بنِ أبى نَمِرٍ، عن أنسٍ، وعن الزُّهْرِىِّ، عن أنسٍ، عن أبى ذرٍّ[11]، وقَتَادةَ عن أنسٍ[12]، عن مالكِ بنِ صَعْصَعَةَ[13]، عن

---

(١) فى تاريخ دمشق ٣/ ٤٦٠.

(٢) فى الأصل: «ابن».

(٣) فى ص: «طست».

(٤) فى م، ص: «لبسا».

(٥) فى تاريخ دمشق ٣/ ٤٦١، ٤٦٢.

(٦) فى م، ص: «عامر».

(٧) فى ص: «عن».

(٨) سقط من: الأصل.

(٩) مسلم (١٦٢).

(١٠ - ١٠) سقط من ا ٩، ص. والحديث فى البخارى (٧٥١٧). ومسلم (١٦٢).

(١١) البخارى (٣٤٩، ١٦٣٦، ٣٣٤٢). ومسلم (١٦٣).

(١٢) بعده فى الأصل، ا ٩، م: «و».

(١٣) البخارى (٣٢٠٧، ٣٨٨٧). ومسلم (١٦٤).

النبيِّ ﷺ، فى حديثِ الإسراءِ، كما سَيأْتِى قصَّةُ شَرْحِ الصَّدْرِ ليلَتَئِذٍ، وأنّه غُسِلَ بماءِ زمزمَ، ولا منافاةَ؛ لاحتمالِ وقوعِ ذلك مرَّتَيْنِ؛ مرَّةً وهو صغيرٌ، ومرةً ليلةَ الإسراءِ؛ ليَتَأَهَّبَ للوُفودِ إلى الملأِ الأعلى، ولمناجاةِ الربِّ، عزَّ وجلَّ، والمُثولِ بينَ يدَيْه، تبارَك وتعالى.

وقال ابنُ إسحاقَ[1]: وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ، يقولُ لأصحابِه: «أَنَا أَعْرَبُكُمْ، أَنَا قُرَشِيٌّ، وَاسْتُرْضِعْتُ فى بَنِى سَعْدِ بنِ بَكْرٍ». وذَكَر ابنُ إسحاقَ[1] أنَّ حليمةَ لمّا أَرْجَعَتْه إلى أمِّه بعدَ فِطَامِه، مَرَّتْ به على رَكْبٍ مِن النّصارَى، فقاموا إليه، عليه الصلاةُ والسلامُ، فقَلَّبُوه، وقالوا: إنا سنَذْهَبُ بهذا الغلامِ إلى مَلِكِنا؛ فإنه كائنٌ له شأنٌ. فلم تَكَدْ تَنْفَلِتُ مِنهم إلا بعدَ جَهْدٍ. وذَكَر أنَّها لمَّا ردَّتْه، حِينَ تخوَّفَتْ عليه أن يكونَ أصابَه عارِضٌ، فلمّا قَرُبَتْ مِن مكةَ افتقدَتْه، فلَم تجِدْه، فجاءتْ جَدَّه عبدَ المطلبِ، فخرجَ هو وجماعةٌ فى طلبِه، فوَجَدَهُ [١٧/٢و] ورقةُ بنُ نوفَلٍ ورجلٌ[2] آخرُ مِن قريشٍ، فأتَيا به جَدَّه، فأخَذَه على عاتِقِه، وذهَبَ فطافَ به يُعَوِّذُه، ويَدْعُو له، ثُم ردَّه إلى أمِّه آمنةَ.

وذكر الأُمويُّ مِن طريقِ عثمانَ بنِ عبدِ الرحمنِ الوَقَّاصِيِّ - وهو ضعيفٌ - عن الزُّهْرِيِّ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ، قصةَ مولدِه، عليه الصلاةُ والسلامُ، ورضاعِه مِن حليمةَ، على غيرِ سياقِ محمدِ بنِ إسحاقَ. وذَكَرَ أنَّ عبدَ المطلبِ أَمَر ابنَه عبدَ اللَّهِ أن يَأْخُذَه، فيطوفَ به فى أحياءِ العربِ، ليَجِدَ له مُرْضِعَةً، فطاف حتى استأْجَر حليمةَ على رَضَاعِه، وذَكَر أنّه أقام عندَها سِتَّ سنينَ،

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ١٦٧.

(٢) سقط من: الأصل.

تُزِيرُه جَدَّه فى كلِّ عامٍ ، فلمّا كان مِن شَقِّ صدرِه عندَهم ما كان ، ردَّتْه إليهم ، فأقام عندَ أمِّه ، حتى كان عُمْرُه ثمانىَ سنينَ ، ماتت فَكَفِلَهُ جَدُّه عبدُ المطَّلبِ ، فمات وله ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، عشرُ سنينَ ، فَكَفِلَهُ عمَّاه شقيقا أبيه ؛ الزبيرُ وأبو طالبٍ ، فلمّا كان له بِضْعَ عَشْرَةَ سنةً ، خرَج مع عمِّه الزبيرِ إلى اليمنِ ، فذَكَر أنَّهم رأَوْا مِنه آياتٍ فى تلك السَّفْرَةِ ؛ مِنها أنَّ فَحْلًا مِن الإبلِ كان قد قطَعَ بعضَ الطريقِ فى وادٍ ، ممَرُّهم عليه ، فلمّا رأَى رسولَ اللَّهِ ﷺ ، بَرَكَ حتى حَكَّ بكَلْكَلِه[1] الأرضَ ، فرَكِبَه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، ومِنها أنَّه خاضَ بهم سَيْلًا عَرَمْرَمًا[2] ، فأيْبَسَهُ اللَّهُ تعالى له[3] حتى جاوَزوه[4] ، ثُم مات عمُّه الزبيرُ ، وله أربعَ عَشْرَةَ سنةً ، فانْفَرَدَ به أبو طالبٍ .

والمقصودُ أنَّ بَرَكَتَه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، حلَّتْ على حليمةَ السعديّةِ وأهلِها ، وهو صغيرٌ ، ثُم عادتْ على هَوازِنَ بكمالِهم فواضِلُه ، حينَ أسَرَهم بعدَ وَقْعَتِهم ، وذلك بعدَ فتحِ مكَّةَ بشَهْرٍ ، فمَتُّوا[5] إليهِ برَضَاعِه فأعتَقَهم ، وتَحَنَّنَ عليهم ، وأحسَنَ إليهم ، كما سيَأْتِى مُفَصَّلًا فى موضِعِه[6] ، إن شاءَ اللَّهُ تعالى .

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[7] فى وقعةِ هَوَازِنَ : عن عمرِو بنِ شُعيبٍ ، عن أبيه ، عن جَدِّه ، قال : كنّا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، بحُنَيْنٍ ، فلمّا أصابَ مِن

---

(١) الكلكل : الصدر ، أو هو ما بين التَّرْقُوَتَيْن . الوسيط (كلكل) .

(٢) فى م : « عرما » .

(٣) ليست فى : م .

(٤) فى الأصل : « جاوزه » .

(٥) فى الأصل : « فمنّوا » . ومتّوا : توسلوا .

(٦) فى ص : « مراضعه » .

(٧) سيرة ابن هشام ٣/ ٤٨٨، ٤٨٩.

أموالِهِم وسباياهم ، أدرَكَهُ وفدُ هَوازِنَ بالجِعْرانَةِ وقد أَسْلَمُوا ، فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، إنا أصلٌ[(١)] وعشيرةٌ ، وقد أصابنا مِن البلاءِ ما لَم يَخْفَ عليك ، فامْنُنْ علينا ، مَنَّ اللَّهُ عليك . وقام خطيبُهم زهيرُ بنُ صُرَدٍ ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، إنّ ما في الحَظائِرِ مِن السّبايا خالاتُك وحواضِنُك اللَّاتى كُنَّ يَكْفُلْنَكَ ، فلو أنَّا مَلَحْنا[(٢)] ابنَ أبى شَمِرٍ[(٣)] ، أو النُّعْمانَ بنَ المُنْذِرِ ، ثُم أصابَنا مِنهما مثلُ الذى أصابَنا مِنكَ ، رجَوْنا عائِدَتَهما[(٤)] وعَطْفَهما ، وأنت خيرُ المكفولِين . ثُم أَنْشَدَ :

امْنُنْ عَلَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ فى كَرَمٍ ... فـإنَّـكَ الْمَرْءُ نَـرْجُـوهُ وَنَـدَّخِـرُ
امْنُنْ على بَيْضَةٍ [(٥)]قَدْ عَاقَهَا[(٥)] قَدَرٌ ... مُمَزَّقٍ شَمْلُهَا فِى دَهْرِهَا غِيَرُ
أَبْقَتْ لَنَا الدَّهْرَ هُتَّافًا عَلَى حَزَنٍ ... عَلَى قُلُوبِهِمُ الغَمَّاءُ وَالْغُمَرُ
إِنْ لَمْ تَدارَكْها[(٦)] نَعْمَاءُ تَنْشُرُهَا ... يَا أَرْجَحَ النَّاسِ حِلْمًا حِينَ يُخْتَبَرُ
[١٧/٢ظ] امْنُنْ على نِسْوَةٍ قَدْ كُنتَ تَرضَعُهَا ... إِذْ فُوكَ يَمْلَؤُهُ مِنْ مَحْضِهَا[(٧)] دِرَرُ[(٨)]
امْنُنْ عَلَى نِسْوَةٍ قَدْ كنتَ تَرْضَعُهَا ... وإِذْ يُرِينَكَ[(٩)] مَا تَأْتِى وَمَا تَذَرُ

---

(١) فى الأصل ، م : « أهل » . وانظر سيرة ابن هشام .
(٢) ملحنا : أرضعنا .
(٣) فى الأصل ، ص : « سمر » . وابن أبى شمر هو الحارث بن أبى شمر الغسانى ملك الشام . انظر الأعلام للزركلى ٢/ ١٥٧.
(٤) عائدتهما : فضلهما .
(٥ - ٥) فى الأصل ، ا ٩، ص : « أعتاقها » .
(٦) فى الأصل : « يداركها » .
(٧) فى ا ٩: « ثديها » . وفى ص : « مخضها » .
(٨) الدِّرَر : جمع دِرَّة ، وهى اللبن ، أو كثرته . الوسيط (درر) .
(٩) فى الأصل : « ترينك » ، وفى م : « يزينك » .

لَا تَجْعَلَنَّا كَمَنْ شَالَتْ نَعامَتُه   واسْتَبْقِ مِنَّا فإِنَّا مَعْشَرٌ زُهُرُ

إِنَّا لَنَشْكُرُ للنُّعْمَى وَإِنْ كُفِرَتْ[1]   وعندَنا بعدَ هذا اليومِ مُدَّخَرُ

وقد رُوِيَتْ هذه القصةُ مِن طريقِ عبيدِ[2] اللَّهِ بنِ رُمَاحِسٍ[3] الكَلْبِيِّ الرَّمْلِيِّ، عن زيادِ بنِ طارقٍ الجُشَمِيِّ، عن أبي صُرَدٍ زهيرِ بنِ جَرْوَلٍ - وكان رئيسَ قومِه - قال: لمَّا أَسَرَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ، يومَ حُنَيْنٍ، فبينا هو يُمَيِّزُ بينَ الرجالِ والنِّساءِ، وثَبْتُ حتى قَعَدْتُ بينَ يدَيْه، وأَسْمَعْتُه شِعْرًا، أُذَكِّرُه حينَ شَبَّ ونَشَأَ في هَوازِنَ حيثُ أَرْضَعُوه:

امْنُنْ عَلَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ في دَعَةٍ   فَإِنَّكَ المَرْءُ نَرْجُوهُ وَنَنْتَظِرُ[4]

امْنُنْ عَلَى بَيْضَةٍ قَدْ عَاقَهَا قَدَرٌ   مُمَزَّقٍ شَمْلُهَا فِي دَهْرِهَا غِيَرُ

أَبْقَتْ لَنَا الحَرْبُ هُتَّافًا عَلَى حَزَنٍ   عَلَى قُلُوبِهِمُ الغَمَّاءُ وَالْغُمَرُ

إِنْ لَمْ تَدارَكْها[5] نَعْمَاءُ تَنْشُرُهَا   يَا أَرْجَحَ النَّاسِ حِلْمًا حِينَ يُخْتَبَرُ

امْنُنْ على نِسْوَةٍ قَدْ كُنْتَ تَرْضَعُهَا   إِذْ فُوكَ تَمْلَؤُهُ مِنْ مَحْضِهَا[6] الدِّرَرُ

إِذْ أَنْتَ طِفْلٌ صَغِيرٌ كُنْتَ تَرْضَعُهَا   وَإِذْ يُرِينكَ[7] ما تَأْتِي وَمَا تَذَرُ

---

(١) في الأصل، ص: «كثرت». وفي ا ٩: «نظمت».
(٢) في الأصل: «عبد».
(٣) في الأصل: «ماحس». وفي ا ٩: «رماجس».
(٤) في ص: «تدخر».
(٥) في الأصل: «يداركها».
(٦) في ص: «مخضها».
(٧) في الأصل: «ترينك»، وفي م: «يزينك».

لَا تَجْعَلَنَّا كَمَنْ شَالَتْ نَعَامَتُهُ ... وَاسْتَبْقِ مِنَّا فَإِنَّا مَعْشَرٌ زُهُرُ

إِنَّا لَنَشْكُرُ لِلنُّعْمَى وَإِنْ كُفِرَتْ ... وعندَنا بعدَ هذا اليومِ مُدَّخَرُ

فَأَلْبِسِ الْعَفْوَ مَنْ قَدْ كُنْتَ تَرْضَعُهُ ... مِنْ أُمَّهَاتِكَ إِنَّ الْعَفْوَ مُشْتَهَرُ

إِنَّا نُؤَمِّلُ عَفْوًا مِنْكَ تُلبِسُهُ[1] ... هَذِى الْبَرِيَّةَ إِذْ[2] تَعْفُو وَتَنْتَصِرُ

فَاغْفِرْ عَفا اللَّهُ عَمَّا أَنْتَ رَاهِبُهُ[3] ... يَوْمَ الْقِيَامَةِ إذ يُهْدَى لَكَ الظَّفَرُ

قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : «أَمَّا مَا كَانَ لِى وَلِبَنِى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَهُوَ لِلَّهِ وَلَكُمْ» . فقالتِ الأنصارُ : وما كان لنا ، فهو للَّهِ ولرسولِه ﷺ . وسيأتِى أنَّه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، أَطْلَق لهم الذُّرِّيَّةَ ، وكانت ستةَ آلافٍ ؛ ما بينَ صبيٍّ وامرأةٍ ، وأعْطاهم أنعامًا ، وأناسِيَّ كثيرًا ، حتى قال أبو الحسينِ بنُ فارِسَ : فكان قيمةُ ما أطلَقَ لهم يومَئِذٍ ، خَمْسَمائَةِ ألفِ ألفِ دِرْهَمٍ . فهذا كُلُّه مِن بَرَكَتِه العاجلةِ فى الدُّنيا ، فكيف ببَرَكَتِه على مَنِ اتَّبَعَه فى الدارِ الآخرةِ .

---

(١) فى الأصل ، ا ٩ : «نلبسه» .

(٢) فى الأصل : «إن» .

(٣) فى الأصل ، ا ٩ : «واهبه» .

فَصْلٌ

قال ابنُ إسحاقَ[(١)]، بعدَ ذِكْرِ رُجوعِه، عليه الصلاةُ والسلامُ، إلى أُمِّهِ آمنةَ، بعد رَضاعةِ حليمةَ له: فكان رسولُ اللَّهِ ﷺ، مع أُمِّه آمنةَ بنتِ وهبٍ، وجَدِّه عبدِ المطلبِ [٢/١٨و]، فى كَلاءَةِ اللَّهِ تعالى وحفظِه، يُنْبِتُه اللَّهُ نباتًا حسنًا؛ لِمَا يُرِيدُ به مِن كرامتِه، فلمَّا بلَغ سِتَّ سنينَ، تُوُفِّيَتْ أُمُّه آمنةُ بنتُ وَهْبٍ.

قال ابنُ إسحاقَ[(٢)]: حدثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرِ بنِ محمدِ بنِ عمرِو بنِ حزمٍ، أنَّ أمَّ رسولِ اللَّهِ ﷺ، آمنةَ، تُوُفِّيتْ وهو ابنُ ستِّ سنينَ، بالأَبْواءِ، بينَ مكةَ والمدينةِ، كانت قد قَدِمَتْ به على أخوالِه، مِن بنى عَدِىِّ بنِ النَّجَّارِ، تُزِيرُهُ إيّاهم، فماتَتْ وهى راجعةٌ به إلى مكةَ. وذَكَر الواقِدِىُّ بأسانيدِه[(٣)] أنَّ النبىَّ ﷺ خرَجَتْ به أمُّه إلى المدينةِ، ومعه[(٤)] أمُّ أيمنَ، وله ستُّ سنينَ، فزارت أخوالَه. قالت أمُّ أيمنَ: فجاءَنى ذاتَ يومٍ رجلانِ مِن يهودِ المدينةِ، فقالا لى: أَخْرِجى إلينا أحمدَ نَنْظُرْ إليه. فنظَرا إليه، وقلَّباه، فقال أحدُهما لصاحبِه: هذا نبىُّ هذه الأمةِ، وهذه دارُ هجرتِه، وسيكونُ بها مِن القَتْلِ والسَّبْىِ أمرٌ عظيمٌ. فلمّا سَمِعَتْ أمُّه خافَتْ وانْصَرَفَتْ به، فماتتْ بالأَبْوَاءِ وهى راجِعةٌ.

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ١٦٨.

(٢) سيرة ابن إسحاق ص ٤٢. وسيرة ابن هشام ١/ ١٦٨.

(٣) ومن طريق الواقدى، أخرجه ابن سعد في الطبقات ١/ ١١٦.

(٤) فى الأصل، ا ٩، م: «معها».

وقال الإمامُ أحمدُ[(١)] : حدَّثنا حسينُ بنُ محمدٍ ، حدَّثنا أيوبُ بنُ جَابرٍ ، عن سِمَاكٍ ، عن القَاسِمِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن ابنِ بُرَيْدَةَ ، عن أبيه ، قال : خرَجْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، حتى إذا كنَّا بِوَدَّانَ قال : « مَكَانَكُمْ حَتَّى آتِيَكُمْ » . فانْطَلَقَ ، ثُم جاءَنا وهو سَقِيمٌ[(٢)] ، فقال : « إِنِّى أَتَيْتُ قَبْرَ أُمِّ مُحَمَّدٍ ، فَسَأَلْتُ رَبِّى الشَّفَاعَةَ - يَعْنِى لها - فمَنَعَنِيها ، وَإِنِّى كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ ، فَزُورُوهَا ، وَ[(٣)] نَهَيْتُكُمْ عَنْ لُحُومِ الأَضَاحِى بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، فَكُلُوا ، وَأَمْسِكُوا مَا بَدَا لَكُمْ ، ونَهَيْتُكُمْ عَن هذه[(٤)] الأَشْرِبَةِ فِى هذه الأَوْعِيَةِ ، فَاشْرَبُوا فيما[(٥)] بَدا لَكُمْ » .

وقد رواه البَيْهَقِىُّ[(٦)] مِن طريقِ سفيانَ الثورىِّ ، عن علقمةَ بنِ مَرْثَدٍ[(٧)] ، عن سليمانَ بنِ بُرَيْدَةَ ، عن أبيه ، قال : انتهى النبىُّ ﷺ ، إلى رَسْمِ قَبْرٍ ، فجَلَسَ ، وجَلَسَ النَّاسُ حولَه كثيرٌ[(٨)] ، فجَعَلَ يُحَرِّكُ رأسَه كالمُخَاطِبِ ، ثُم بَكَى ، فاسْتَقْبَلَه عمرُ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، فقال : ما يُبْكِيكَ يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « هَذَا قَبْرُ آمِنَةَ بِنْتِ وَهْبٍ ، اسْتَأْذَنْتُ رَبِّى فِى أَنْ أَزُورَ قَبْرَها ، فَأَذِنَ لِى ، واسْتَأْذَنْتُه فِى الاسْتِغْفارِ لَهَا ، فَأَبَى عَلَىَّ ، وَأَدْرَكَتْنِى رِقَّتُها ؛ فَبَكَيْتُ » . قال : فما

---

(١) أحمد فى المسند ٥/٣٥٦ ، ٣٥٧.

(٢) فى الأصل ، م : « ثقيل » . وفى ١ ٩: « فقيد » . وفى ص : « نفيل » . والمثبت من المسند .

(٣) بعدها فى النسخ : « كنت » .

(٤) سقط من النسخ . والمثبت من المسند .

(٥) فى النسخ : « ما » . والمثبت من المسند .

(٦) فى الدلائل ١/ ١٨٩.

(٧) فى الأصل ، م ، ص : « يزيد » . وانظر تهذيب الكمال ٢٠/ ٣٠٨.

(٨) سقط من النسخ . والمثبت من الدلائل ١/ ١٨٩.

رَأيْتُ[1] ساعةً أَكْثَرَ باكِيًا مِن تلكَ الساعةِ. تابَعَه مُحارِبُ بنُ دِثَارٍ، عن ابنِ[2] بُرَيْدَةَ، عن أبيه. ثُم رَوَى البيهقيُّ[3]، عن الحاكمِ، عن الأَصَمِّ، عن بَحْرِ[4] بنِ نَصْرٍ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ وهبٍ، حدَّثنا ابنُ[5] جُرَيْجٍ، عن أيوبَ بنِ هانِئٍ، عن مسْروقِ بنِ الأَجْدَعِ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ، قال: خرَجَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يَنْظُرُ في المقابرِ، وخرَجْنا معه، فأمَرَنا[6] فجلَسْنا، ثُم تخطَّى القبورَ، حتى انتهى إلى قبرٍ منها، فناجاه طويلًا، ثُم ارتفَعَ نَحِيبُ رسولِ اللَّهِ ﷺ باكيًا، فبكَيْنا لبكاءِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، ثُم إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أقْبَلَ إلينا[7]، فتَلَقَّاه عمرُ ابنُ الخطَّابِ فقال: يا رسولَ اللَّهِ، ما الذى أبْكاكَ؟ لقد أبكانا، وأفْزَعَنا. فجاء، فجلسَ إلينا، فقال: «أَفْزَعَكُمْ بُكائى؟» فقلنا: نَعَمْ يا رسولَ اللَّهِ. فقال: «إنَّ الْقَبْرَ الَّذى رَأَيْتُمونِى أُناجِى فيه[8]، قَبْرُ آمِنَةَ بنتِ وَهْبٍ، وَإِنِّى اسْتَأْذَنْتُ رَبِّى فِى زِيَارَتِها، فَأَذِنَ لِى فيه[9]، واسْتَأْذَنْتُ رَبِّى فِى الاسْتِغْفارِ لَهَا، فَلَمْ يَأْذَنْ لِى فِيهِ، وَنَزَلَ عَلَىَّ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ [١٨/٢ ظ] وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ

---

(١) فى م: «رؤيت». وفى ص: «رؤيته».

(٢) سقط من: م، ص.

(٣) فى الدلائل ١/ ١٨٩، ١٩٠.

(٤) فى الأصل: «محمد».

(٥) سقط من: الأصل.

(٦) سقط من: الأصل.

(٧) فى الأصل، م: «علينا».

(٨) سقط من: م، ص.

(٩) سقط من: م.

وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾ » [التوبة: ١١٣، ١١٤]. « فَأَخَذَنِى مَا يَأْخُذُ الْوَلَدَ لِلْوَالِدَةِ مِنَ الرِّقَّةِ ، فَذَلِكَ الَّذِى أَبْكَانِى » . غريبٌ ، ولم يُخْرِجوه .

وروَى مُسْلِمٌ[1] عن أبى بَكرِ بنِ أبى شيبةَ ، عن محمدِ بنِ عُبَيْدٍ ، عن يزيدَ بنِ كَيْسانَ ، عن أبى حازمٍ ، عن أبى هريرةَ ، قال : زارَ النبىُّ ﷺ قبرَ أُمِّه فبَكَى ، وأَبْكَى مَن حولَه ، ثُم قال : « اسْتَأْذَنْتُ رَبِّى فِى زِيارَةِ قَبْرِ أُمِّى ، فأَذِنَ لِى ، وَاسْتَأْذَنْتُه فِى الاسْتِغْفارِ لها[2] ، فَلَمْ يَأْذَنْ لِى . فَزُورُوا القُبورَ تُذَكِّرْكُمُ المَوْتَ » .

وروَى مسلمٌ[3] عن أبى بكرِ بنِ أبى شَيْبَةَ ، عن عفَّانَ[4] ، عن حمَّادِ بنِ سَلَمَةَ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ ، أنَّ رجلًا قال : يا رسولَ اللَّهِ ، أين أبى ؟ قال : « فِى النَّارِ » . فَلَمَّا قَفَّى[5] ، دعَاه فقال : « إِنَّ أَبِى وأَبَاكَ فِى النَّارِ » .

وقد روَى البَيْهَقِىُّ[6] ، مِن حديثِ أبى نُعَيْمٍ الفضلِ بنِ دُكَيْنٍ ، عن إبراهيمَ ابنِ سعدٍ ، عن الزُّهْرِىِّ ، عن عامرِ بنِ[7] سعدٍ ، عن أبيه ، قال : جاء أعرابىٌّ إلى النبىِّ ﷺ ، فقال : إنَّ أبى كان يَصِلُ الرَّحِمَ ، وكان ، وكان ، فأَيْنَ هُوَ ؟ قال : « فِى النَّارِ » . قال : فكأنَّ الأَعْرابىَّ وجَدَ مِنْ ذلك ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ،

---

(١) مسلم (٩٧٦) . وفيه تقديم لفظ الاستئذان للاستغفار على الاستئذان لزيارة القبر .

(٢) سقط من : ص .

(٣) مسلم (٢٠٣) .

(٤) فى الأصل : « عثمان » .

(٥) قفَّى : ذهب موليًا .

(٦) فى الدلائل ١/ ١٩١، ١٩٢.

(٧) فى الأصل : « عن » .

فأينَ[1] أبوك ؟ قال : « حَيثُمَا مَرَرْتَ بِقَبْرِ كَافِرٍ ؛ فَبَشِّرْهُ بِالنَّارِ » . قال : فأسلَمَ الأعرابىُّ بعدُ ، فقال : لقد كَلَّفَنِى رسولُ اللَّهِ ﷺ تَعَبًا ؛ ما مرَرْتُ بقبرِ كافرٍ إلا بَشَّرْتُه بالنَّارِ . غريبٌ ، ولم يُخْرِجوه مِن هذا الوجهِ .

وقال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثَنا أبو عبدِ الرحمنِ ، حدَّثَنا سَعيدٌ ، هو ابنُ أبى[3] أيوبَ ، حدَّثَنا ربيعةُ بنُ سيفٍ المَعَافِرىُّ ، عن أبى عبدِ الرحمنِ الحُبُلِىِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو ، قال : بينَما نحنُ نَمْشِى مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، إذ بَصُرَ بامرأةٍ لا نَظُنُّ[4] أنه عرَفَها ، فلمَّا توسَّطَ الطريقَ ، وَقَف حتى انتهتْ إليه ، فإذا فاطمةُ بنتُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال : « مَا أَخْرَجَكِ مِنْ بَيْتِكِ يَا فَاطِمَةُ ؟ » فقالت : أَتَيْتُ أَهْلَ هَذَا البَيْتِ ، فرَحَّمْتُ إِلَيْهِمْ مَيِّتَهم ، وعَزَّيْتُهم . قالَ : « لَعَلَّكِ بَلَغْتِ مَعَهُمُ الْكُدَى[5] » قَالَتْ : معاذَ اللَّهِ أَنْ أَكُونَ بَلَغْتُها مَعَهُمْ ، وقد سَمِعْتُكَ تَذْكُرُ فى ذَلِكَ ما تَذْكُرُ . قال : « لَوْ بَلَغْتِها مَعَهُمْ مَا رَأَيْتِ الجَنَّةَ ، حَتَّى يَرَاهَا جَدُّ أَبِيكِ » . ثُم روَاه أحمدُ ، وأبو داودَ ، والنَّسائىُّ ، والبَيْهَقِىُّ ، مِن حديثِ رَبيعةَ[6] ابنِ سيفِ بنِ ماتعٍ[7] المَعَافِرىِّ[8] ، الصُّنَّمِىِّ[9] ، الإسْكَنْدَرِىِّ ، وقد قال الإمامُ

---

(١) بعده فى الأصل : « أبى قال فى النار قال أين » .

(٢) أحمد فى المسند ٢/ ١٦٨، ١٦٩. (إسناده حسن) .

(٣) سقط من : الأصل .

(٤) فى الأصل ، م ، ص : « يظن » .

(٥) الكدى : جمع كُدْية ؛ وهى الأرض الغليظة ، أو الأرض الصلبة ، أو الصخرة ، وأراد هنا المقابر كما سيذكر المصنف .

(٦) أحمد فى المسند ٢/ ٢٢٣. (إسناده حسن) . وأبو داود (٣١٢٣) . ضعيف . (ضعيف سنن أبى داود ٦٨٤) . والنسائى (١٨٧٩) . والبيهقى فى السنن الكبرى ٤/ ٧٧، ٧٨.

(٧) فى الأصل ، م ، ص : « مانع » .

(٨) فى الأصل ، ا ٩، ص : « المغافرى » .

(٩) فى ص : « العصنمى » .

البخاريُّ[(1)] : عندَه مناكيرُ . وقال النَّسائِيُّ[(2)] : ليس به بأسٌ . وقال مَرَّةً : صَدوقٌ . وفى نسخةٍ : ضعيفٌ[(3)] . وذكَرَه ابنُ حِبَّانَ فى « الثِّقاتِ »[(4)] ، وقال : كان يُخْطِئُ كثيرًا . وقال الدّارَقُطْنِيُّ[(5)] : صالحٌ . وقال ابنُ يونُسَ فى « تاريخِ مصرَ »[(6)] : فى حديثِه مناكيرُ ، تُوُفِّىَ قريبًا مِن سنةِ عشرينَ ومائةٍ . والمرادُ بالكُدَى : القبورُ . وقيل : النَّوْحُ .

والمقصودُ ، أنَّ عبدَ المُطَّلِبِ مات على ما كان عليه مِن دينِ الجاهليةِ ، خلافًا لِفِرقةِ الشيعةِ فيه ، وفى ابنِه أبى طالبٍ ، على ما سيَأْتِى فى وفاةِ أبى [٢/ ١٩و] طالبٍ ، وقد قال البَيْهَقِيُّ بعدَ روايتِه هذه الأحاديثَ فى كتابِه « دلائِلِ النُّبوةِ »[(7)] : وكيفَ لا يكونُ أبواهُ[(8)] ، وجَدُّه ، عليه الصَّلاةُ والسلامُ ، بهذه الصِّفَةِ فى الآخرَةِ ، وكانوا يَعبُدون الوَثَنَ حتَّى ماتوا ، ولم يَدِينُوا دِينَ عيسى ابنِ مريمَ ، عليه السَّلامُ ، وكُفْرُهم لا يَقْدَحُ فى نَسَبِه ، عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ؛ لأنَّ أنكِحَةَ الكُفَّارِ صحيحةٌ ، ألا تراهم يُسْلِمُونَ مع زوجاتِهم ، فلا يَلْزَمُهم تجديدُ العَقْدِ ، ولا مُفارَقَتُهُنَّ ، إذا كان مثلُه يَجوزُ فى الإسلامِ ، وباللَّهِ التوفيقُ . انتهى كلامُه .

---

(١) فى التاريخ الكبير ٣/ ٢٩٠.

(٢) ميزان الاعتدال ٢/ ٤٣، ٤٤.

(٣) انظر قول النسائى عقب سياقه الحديث فى المجتبى (١٨٧٩).

(٤) الثقات ٦/ ٣٠١.

(٥) ميزان الاعتدال ٢/ ٤٣.

(٦) انظر تهذيب الكمال ٩/ ١١٤.

(٧) الدلائل ١/ ١٩٢ ، ١٩٣.

(٨) فى ١ ٩: « أبوه ».

قلتُ : وإخبارُه ﷺ عن أبَوَيْه وجَدِّه عبدِ المُطَّلِبِ ، بأنَّهم مِن أهلِ النَّارِ ، لا يُنافِي الحديثَ[1] الواردَ عنه ، مِن طُرُقٍ متعدّدةٍ ، أنَّ أهلَ الفَتْرَةِ ، والأطفالَ ، والمجانينَ ، والصُّمَّ[2] ، يُمتَحَنُون فى العَرَصاتِ يومَ القيامةِ ، كما بَسَطْناه سندًا ومتنًا ، [3]فى « تفسيرِنا »[3] ؛ عندَ قولِه تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥] . فيكونُ مِنهم مَن يُجِيبُ ، ومِنهم مَن لا يُجيبُ ، فيَكونُ هؤلاءِ مِن جُملةِ مَن لا يُجِيبُ ، فلا مُنافاةَ . وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

وأمَّا الحديثُ الذى ذكَرَه السُّهَيْلِيُّ[4] ، وذكَرَ أنَّ فى إسنادِه مجهولِينَ إلى ابنِ أبى الزِّنَادِ ، عن عُرْوةَ ، عن عائشةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عنها ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ سَأَلَ رَبَّه أن يُحْيِيَ أبَوَيْهِ ، فأحْيَاهما وَآمَنا بِهِ . فإنه حديثٌ مُنْكَرٌ جِدًّا ، وإن كان مُمْكِنًا بالنَّظَرِ إلى قُدْرَةِ اللَّهِ تعالى ، لكنَّ الذى ثبَتَ فى « الصحيحِ »[5] يُعارِضُه . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) أخرجه أحمد فى المسند ٤/ ٢٤. (صحيح).
(٢) بعده فى ص : « يموتون » .
(٣ - ٣) سقط من : الأصل، ا ٩، ص. وهو فى التفسير ٥/ ٥٠ - ٥٨.
(٤) فى الروض الأنف ٢/ ١٨٧.
(٥) تقدم تخريجه فى صفحة ٤٢٦ .

فَصْلٌ

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ مع جَدِّه عبدِ المُطَّلِبِ بنِ هاشمٍ - يَعْنِى بعدَ موتِ أمِّه آمنةَ بنتِ وهبٍ - فكان يُوضَعُ لعبدِ المُطَّلِبِ فِراشٌ فى ظلِّ الكعبةِ ، وكان بنوه يَجْلِسونَ حولَ فِراشِه ذلك ، حتى يَخْرُجَ إليه ، لا يَجْلِسُ عليه أحدٌ مِن بنيه ؛ إجلالًا له . قال : فكان رسولُ اللَّهِ ﷺ ، يَأْتِى ، وهو غلامٌ جَفْرٌ ، حتى يَجْلِسَ عليه ، فيَأْخُذُه أعمامُه ليُؤَخِّروه عنه ، فيَقولُ عبدُ المُطَّلِبِ إذا رأَى ذلك مِنهم : دَعُوا ابنى ، فواللَّهِ إنَّ له لَشَأْنًا . ثُم يُجْلِسُه معه على فِراشِه ، ويَمْسَحُ ظَهْرَه بيدِه ، ويَسُرُّهُ ما يَراه يَصْنَعُ .

وقال الواقِدِيُّ[2] : حدَّثَنى محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، عن الزُّهْرِيِّ ، وحدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ جعفرٍ ، عن عبدِ الواحدِ بنِ حمزةَ بنِ عبدِ اللَّهِ ، وحدَّثَنا هاشمُ بنُ عاصِمٍ الأَسْلَمِيُّ ، عن المنذرِ بنِ جَهْمٍ ، وحدَّثَنا مَعْمَرٌ ، عن[3] ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ ، وحدَّثَنا عبدُ الرحمنِ بنُ عبدِ العزيزِ ، عن أبى الحُوَيْرِثِ ، وحدَّثَنا ابنُ أبى سَبْرَةَ ، عن سُلَيْمانَ بنِ سُحَيْمٍ ، عن نافعِ[4] بنِ جُبَيْرٍ - دخَلَ حديثُ بعضِهم فى بعضٍ - قالوا : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَكونُ مع أمِّهِ آمنةَ بنتِ وهبٍ ، فلمّا تُوُفِّيَتْ قَبَضَه إليه جَدُّه عبدُ المُطَّلِبِ ، وضَمَّه ، ورَقَّ عليه رِقَّةً لم يَرِقَّها على

---

(١) سيرة ابن إسحاق ص ٤٢، ٤٣.

(٢) أخرجه ابن سعد فى طبقاته ١/١١٧ - ١١٩، عن الواقدى به.

(٣) سقط من : الأصل.

(٤) بعده فى النسخ : «عن». وانظر طبقات ابن سعد ١/١١٨، وتهذيب الكمال ٢٩/ ٢٧٢.

وَلدِه ، وكان يُقَرِّبُه منه ، ويُدْنِيه ، ويَدْخُلُ عليه إذا خَلا ، وإذا نام ، وكان يَجْلِسُ على فراشِه ، فيَقولُ عبدُ المُطَّلِبِ إذا رأى ذلك : دَعُوا ابنى ، إنّه لَيُؤْنِسُ[1] مُلْكًا .

وقال قومٌ مِن بنى مُدْلِجٍ لعبدِ المُطَّلِبِ : احْتَفِظْ به ، فإنَّا لم نَرَ قَدَمًا أشْبَهَ بالقَدَمِ الذى فى المَقامِ منه . فقال عبدُ المُطلِبِ لأبِى طالبٍ : اسْمَعْ ما يَقولُ هؤلاء ! فكان أبو طالبٍ يَحْتَفِظُ به ، وقال عبدُ المُطَّلِبِ لأُمِّ أيمنَ - وكانتْ تَحْضُنُه - : يا بَرَكةُ ، لا تَغْفُلِى عن ابنى ؛ فإنِّى وجَدْتُه مع غِلْمانٍ قريبًا مِن السِّدْرَةِ ، وإنَّ أهلَ الكتابِ يَزْعُمون أنَّ ابنى نبىُّ هذه الأمّةِ . وكان عبدُ المُطَّلِبِ لا يأْكُلُ طعامًا إلا يقولُ : علىَّ بابنِى . فيُؤْتَى به إليه . فلمّا حضَرَتْ عبدَ المُطَّلِبِ الوفاةُ ، أوصى أبا طالبٍ بحِفْظِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وحِياطَتِه ، ثُم ماتَ عبدُ المُطَّلِبِ ودُفِنَ بالحَجُونِ .

وقال ابنُ إسحاقَ[2] [٢/١٩ظ] : فلمَّا بلَغ رسولُ اللَّهِ ﷺ ثمانىَ سنينَ ، هلَكَ جَدُّه عبدُ المطَّلِبِ بنُ هاشمٍ . ثُم ذَكَر جَمْعَه بناتِه ، وأمْرَه إيّاهنّ أن يَرْثِينَه ، وهُنَّ ؛ أَرْوَى ، وأُمَيْمَةُ ، وبَرَّةُ ، وصَفِيَّةُ ، وعَاتِكَةُ ، وأمُّ حَكِيمٍ البَيْضاءُ ، وذَكَرَ أشْعارَهن ، وما قُلْنَ فى رِثَاءِ أبيهِنَّ ، وهو يَسْمَعُ قَبْلَ موتِه ، وهذا أبلغُ النَّوْحِ ، وبسَطَ القولَ فى ذلك . وقد قال ابنُ هشامٍ[3] : ولَم أرَ أحدًا مِن أهلِ العلمِ بالشِّعْرِ يَعْرِفُ هذا الشِّعْرَ .

قال ابنُ إسحاقَ[4] : فلمّا هَلَكَ عبدُ المطَّلِبِ بنُ هاشمٍ ، وَلِىَ زَمْزَمَ والسقَايَةَ

---

(١) فى م ، ص : « يؤسس » .

(٢) سيرة ابن إسحاق ص ٤٥ ، ٤٦ .

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ١٦٩ .

(٤) سيرة ابن إسحاق ص ٤٧ .

بعدَه ابنُه العباسُ، وهو مِن أحدَثِ إخوتِه سِنًّا، فلم تَزَلْ إليْه، حتى قام الإسلامُ، وأقرَّها فى يدِه رسولُ اللَّهِ ﷺ.

وكان[1] رسولُ اللَّهِ ﷺ، بعدَ جَدِّه عبدِ المطَّلِبِ؛ مع عمِّه أبى طالبٍ؛ لِوَصِيَّةِ عبدِ المُطَّلِبِ له به، ولأنَّه كان شقيقَ أبيه عبدِ اللَّهِ، أمُّهما فاطمةُ بنتُ عمرِو بنِ عائذِ[2] بنِ عِمْرَانَ بنِ مَخْزُومٍ. قال[3]: فكان أبو طالبٍ هو الذى يَلِى أمْرَ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وكان إليه ومعه.

وقال الواقدىُّ[4]: أخبرَنا مَعْمَرٌ، عن ابنِ أبى[5] نَجِيحٍ، عن مجاهدٍ. وحدَّثَنا معاذُ بنُ محمدٍ الأَنْصَارِىُّ، عن عطاءٍ، عن ابنِ عباسٍ، وحدَّثَنا محمدُ ابنُ صالحٍ، وعبدُ اللَّهِ بنُ جعفرٍ، وإبراهيمُ بنُ إسماعيلَ بنِ أبى حَبيبةَ - دخلَ حديثُ بعضِهم فى حديثِ بعضٍ - قالوا: لمَّا تُوُفِّىَ عبدُ المطَّلِبِ، قَبَضَ أبو طالبٍ رسولَ اللَّهِ ﷺ، فكان يَكونُ معه، وكان أبو طالبٍ لا مالَ له، وكان يُحِبُّه حبًّا شديدًا، لا يُحِبُّه ولدَه، وكان لا ينامُ إلَّا إلى جَنْبِه، ويَخْرُجُ فيَخْرُجُ معَه، وصَبَّ[6] به أبو طالبٍ صَبَابةً، لم يَصَبَّ مِثْلَها بشىءٍ قطُّ، وكان يَخُصُّه بالطعامِ، وكان إذا أكلَ عِيالُ أبى طالبٍ جميعًا أو فُرادَى لم يَشْبَعُوا، وإذا أكلَ معهم رسولُ اللَّهِ ﷺ شَبِعُوا، فكان إذا أراد أن يُغَدِّيَهُم قال: كما أنتم حتى

---

(1) سيرة ابن هشام 1/ 179.

(2) فى الأصل: «عابد».

(3) سيرة ابن إسحاق ص 53. وانظر سيرة ابن هشام 1/ 179.

(4) أخرجه ابن سعد فى طبقاته 1/ 119، 120، عن الواقدى به.

(5) سقط من النسخ، والمثبت من الطبقات، وهو عبد اللَّه بن أبى نجيح، واسم أبى نجيح يسار. انظر تهذيب الكمال 16/ 215.

(6) صب: رق واشتاق.

يأتِيَ ابنى. فيأتى رسولُ اللهِ ﷺ، فيأكُلُ معهم، فكانوا يُفْضِلونَ مِن طعامِهم، وإن لم يكنْ معهم[1] لم يَشْبَعُوا، فيقولُ أبو طالبٍ: إنَّكَ لمُبارَكٌ. وكان الصبيانُ يُصبِحُون رُمْصًا[2] شُعْثًا، ويُصْبِحُ رسولُ اللَّهِ ﷺ دَهِينًا كَحِيلًا.

وقال الحسنُ بنُ عَرَفةَ[3]: حدثنا عليُّ بنُ ثابتٍ، عن طَلْحةَ بنِ عمرٍو، سَمِعْتُ عطاءَ بنَ أبى رَباحٍ، سَمِعتُ ابنَ عباسٍ يقولُ: كان بنو أبى طالبٍ يُصْبِحون غُمْصًا[4] رُمْصًا، ويُصْبِحُ رسولُ اللَّهِ ﷺ صَقِيلًا دَهِينًا، وكان أبو طالبٍ يُقَرِّبُ إلى الصبيانِ صَفْحَتَهم أولَ البُكْرةِ، فيَجْلِسونَ ويَنْتَهِبُون، ويَكُفُّ رسولُ اللَّهِ ﷺ يدَه لا يَنْتَهِبُ معهم، فلمّا رأى ذلك عمُّه، عزَلَ له طعامَه على حِدَةٍ.

وقال ابنُ إسحاقَ[5]: حدثنى يَحْيَى بنُ عبَّادِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الزُّبيرِ، أنَّ أباه حدَّثه، أنَّ رجلًا مِن لِهْبٍ كان عائِفًا[6]، فكان إذا قَدِم مكةَ، أتاه رجالٌ مِن قريشٍ بغِلْمانِهم يَنْظُرُ إليهم، ويَعْتافُ[7] لهم فيهم. قال: فأَتَى أبو طالبٍ برسولِ اللَّهِ ﷺ وهو غلامٌ، مع مَن يأْتِيه، قال: فنظَرَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ شغَلَه

---

(١) فى النسخ: «منهم». والمثبت من طبقات ابن سعد.

(٢) رمصت العين: اجتمع فى موقها وسخ أبيض.

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٨٤، من طريق الحسن بن عرفة به.

(٤) فى النسخ: «عمصا». والمثبت من تاريخ دمشق، والغَمَص فى العين كالرَمَص. اللسان (غ م ص).

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ١٧٩، ١٨٠.

(٦) العائف: المتكهن بالطير أو غيرها.

(٧) فى الأصل: «يعاف»، وفى ص: «يعتان».

عنه شَىْءٌ ، فلمَّا فرَغ قال : الغلامُ ، علىَّ به . فلمّا رأى أبو طالبٍ حِرْصَه عليه ، غَيَّبَه عنه ، فجعَلَ يقولُ : ويلَكُم ، رُدُّوا علىَّ الغلامَ الذى رأيتُه آنِفًا ، فواللّٰهِ ليكونَنَّ له شأنٌ . قال : وانطلقَ به أبو طالبٍ .

فصلٌ

في خروجِه، عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، مع عمِّه أبي طالبٍ إلى الشَّامِ [٢/٢٠و]، وقصَّتِه مع بَحِيرَى الرّاهبِ.

قال ابنُ إسحاقَ[١]: ثُم إنَّ أبا طالبٍ خرَج في رَكْبٍ تاجرًا إلى الشَّامِ، فلمَّا تهيَّأَ للرَّحيلِ، وأجمعَ السَّيْرَ، صبَّ به رسولُ اللَّهِ ﷺ - فيما يزْعُمونَ - فرَقَّ له أبو طالبٍ، وقال: واللَّهِ لأُخْرِجَنَّ به معي، ولا أفارقُه، ولا يُفارِقُني أبدًا. أَوْ كما قال، فخرَج به معه[٢]، فلمَّا نزلَ الرَّكْبُ بُصْرَى مِن أرضِ الشَّامِ، وبها راهبٌ يقالُ له: بَحِيرَى. في صَوْمعةٍ له، وكان إليه عِلمُ أهلِ النَّصْرانيَّةِ، ولم يَزَلْ في تلكَ الصَّوْمعةِ منذُ قطُّ[٣] راهبٌ[٤]، إليه يصيرُ علمُهم عن كتابٍ - فيما يَزعُمونَ - يَتَوارَثُونَه كابرًا عن كابِرٍ، فلمَّا نزلوا ذلك العامَ بِبَحِيرَى، وكانوا كثيرًا ما يَمُرُّون به °قبلَ ذلك°، فلا يُكلِّمُهم، ولا يَعْرِضُ لهم، حتى كان ذلك العامُ، فلمّا نزَلوا قريبًا مِن صَوْمَعَتِه، صَنَع لهم طعامًا كثيرًا، وذلك - فيما يَزعُمون - عن شيءٍ رآه، وهو في صَوْمَعَتِه، يَزْعُمونَ أنَّه رَأَى رسولَ اللَّهِ ﷺ في الرَّكْبِ، حينَ[٦] أقبَلُوا[٧]، وغَمامَةٌ تُظِلُّه مِن بينِ القومِ، ثُم أَقْبَلوا، فنزَلوا في

---

(١) سيرة ابن إسحاق ص ٥٣ - ٥٥. وانظر سيرة ابن هشام ١/١٨٠ - ١٨٣.

(٢) سقط من: الأصل، ا ٩، م.

(٣) قط: أي الدهر.

(٤) بعده في الأصل، م: «فيها».

(٥ - ٥) سقط من: الأصل، م.

(٦) في ا ٩، م، ص: «حتى».

(٧) في الأصل، م: «أقبل».

ظِلِّ شَجَرةٍ قريبًا منه، فنَظَر إلى الغَمامةِ حينَ أظلَّتِ الشَّجرةَ، وتَهَصَّرَتْ[1] أغصانُ الشَّجَرَةِ على رسولِ اللَّهِ ﷺ، حتى اسْتَظَلَّ تحتَها، فلمّا رأى ذلك بَحِيرَى، نزلَ مِن صَوْمَعَتِه، وقد أمَرَ بطعامٍ فصُنِع، ثُم أرْسَلَ إليهم، فقال: إنى قد صَنَعْتُ لكم طعامًا يا معشرَ قريشٍ، فأنا أُحِبُّ أن تَحْضُروا كلُّكم، صغيرُكم وكبيرُكم، وعبدُكم وحُرُّكم. فقال له رجلٌ منهم: واللَّهِ يا بَحِيرَى، إنَّ لك لشَأْنًا اليومَ! ما كُنْتَ تَصْنَعُ هذا بِنا، وقد كنا نَمُرُّ بك كثيرًا، فما شَأْنُك اليومَ؟ قال له بَحِيرَى: صَدَقْتَ، قد كان ما تَقُولُ، ولكنَّكم ضَيْفٌ، وقد أَحْبَبْتُ أن أُكْرِمَكم، وأَصْنَعَ لكم طعامًا، فتأكلوا منه كلُّكم. فاجْتَمَعوا إليه، وتَخَلَّف رسولُ اللَّهِ ﷺ، مِن بينِ القومِ لحَداثةِ سِنِّه، فى رِحالِ القومِ، تحتَ الشَّجرةِ، فلمّا نظَرَ[2] بَحِيرَى [3]فى القومِ[3]، لم يَرَ الصِّفَةَ التى يَعْرِفُ ويَجِدُ عندَه، فقال: يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، لا يتَخَلَّفَنَّ أَحدٌ منكم عن طعامى. قالوا: يا بَحِيرَى، ما تَخلَّفَ أحدٌ يَنْبَغِى له أن يأتِيَك إلا غلامٌ، وهو أَحْدَثُنا سِنًّا، فتَخلَّفَ فى رِحالِنا. قال: لا تفْعلُوا! ادْعُوه فَلْيَحْضُرْ هذا الطعامَ معكم. قال: فقال رجلٌ من قُرَيْشٍ مع القومِ: واللَّاتِ والعُزَّى، إنْ كان لَلُؤْمًا بنا، أن يتَخلَّفَ محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ ابنِ عبدِ المطَّلِبِ عن طعامٍ مِن بينِنا. ثُم قام إليه، فاحتَضَنه، وأَجْلَسَه مع القومِ، فلمّا رَآه[4] بَحِيرَى، جعَل يلْحَظُه لحْظًا شَديدًا، ويَنظُرُ إلى أَشْياءَ من جسَدِه، قد كان يَجِدُها عندَه مِن صفتِه، حتّى إذا فَرَغَ القومُ من طعامِهم وتفرَّقوا، قام

---

(١) تهصرت: تدلت وتهدلت. الوسيط (هـ ص ر).

(٢) فى الأصل، م: «رآهم».

(٣ - ٣) سقط من: الأصل، م.

(٤) فى الأصل، ا ٩، م: «رأى».

إليه بَحِيرَى ، وقال له : يا غلامُ ، أَسأَلُك بحقِّ اللَّاتِ والعُزَّى ، إلَّا ما[1] أَخبرتَنى عما أسأَلُكَ عنه . وإنما قال له بَحِيرى ذلك ؛ لأَنَّه سَمِعَ قومَه يَحلِفون بِهما . فزعَموا أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال له : لا تسأَلْنِى بِاللَّاتِ والعُزَّى[2] ، فواللَّهِ ما أَبْغَضْتُ شَيْئًا قطُّ بُغْضَهما . فقال له بَحِيرَى : فبِاللَّهِ إلَّا ما أَخْبَرْتَنى عما أَسأَلُك عنه . فقال له : سَلْنى عمَّا بدا لك . فجعَل يَسْأَلُه عن أشياءَ مِن حالِه ؛ مِن نومِه ، وهَيْئَتِه ، وأُمورِه ، فجعَلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يُخبِرُه ، فيُوافِقُ ذلك ما عندَ بَحِيرَى مِن صفتِه ، ثُم نظَر إلى ظَهْرِه ، فرأَى [٢/٢٠ظ] خاتَمَ النُّبُوَّةِ بينَ كَتِفَيْهِ ، على[3] مَوْضِعِه مِن صِفَتِه التى عندَه ، فلمّا فرَغ أقبلَ على عمِّه أبى طالبٍ ، فقال : ما هذا الغُلامُ مِنك ؟ قال : ابنى . قال بَحِيرَى : ما هو بابنِك ، وما يَنْبَغِى لهذا الغلامِ أن يكونَ أبوه حيًّا . قال : فإنه ابنُ أخى . قال : فما فعَل أبوه ؟ قال : مات وأُمُّه حُبْلَى به . قال : صدَقْتَ ، ارجِعْ بابنِ أخيكَ إلى بلدِه ، واحذَرْ عليه يَهُودَ ، فواللَّهِ لَئِنْ رَأَوْه ، وعرَفوا منه ما عرَفْتُ ، ليَبْغُنَّه شَرًّا ، فإنه كائنٌ لابنِ أخيكَ هذا شأنٌ عظيمٌ ، فأَسْرِعْ به إلى بلادِه . فخرَج به عمُّه أبو طالبٍ سريعًا ، حتَّى أقدَمَه مكَّةَ ، حينَ فَرَغَ مِن تجارتِه بالشامِ .

قال ابنُ إسحاقَ[4] : فزعَموا - فيما روَى الناسُ - أنّ زُرَيْرًا ، وتَمَّامًا[5] ، ودَرِيسًا[6] - وهم نَفَرٌ مِن أهلِ الكتابِ - قد كانوا رَأَوْا رسولَ اللَّهِ ﷺ ، مِثْلَما

---

(١) سقط من : الأصل ، ١ ٩ ، م .

(٢) بعده فى الأصل ، م ، ص : « شيئا » .

(٣) سقط من : الأصل ، م ، ص .

(٤) سيرة ابن إسحاق ص ٥٥. وانظر سيرة ابن هشام ١/ ١٨٣.

(٥) فى الأصل ، م ، ص : « ثماما » .

(٦) فى الأصل ، م : « دريسما » ، وفى ١ ٩ : « إدريسا » ، وفى ص : « دريسم » ، والمثبت من سيرة ابن إسحاق .

رأَى بَحِيرَى فى ذلك السَّفَرِ، الذى كان فيه مع عمِّه أبى طالبٍ، فأرادُوه، فرَدَّهم عنه بَحِيرَى، فَذَكَّرَهم اللَّهَ، وما يَجِدونَ فى الكِتابِ، مِن ذِكْرِه، وصفتِه، وأنَّهم إن[1] أَجْمعوا لِمَا أرادوا به، لَم يَخْلُصوا إليه، حتى عرَفوا ما قال لهم، وصدَّقوه بما قال، فتركوه، وانصرَفوا عنه.

وقد ذكَر يُونُسُ بنُ بُكَيرٍ، عن ابنِ إسحاقَ[2]، أنَّ أبا طالبٍ قال فى ذلك ثلاثَ قصائدَ. هكذا ذكَر ابنُ إسحاقَ هذا السياقَ مِن غيرِ إسنادٍ منه.

وقد ورَد نحوُه من طريقٍ مُسْنَدٍ مرفوعٍ، فقال الحافظُ أبو بكرٍ الخَرَائِطِيُّ[3]: حدَّثَنا عبَّاسُ بنُ محمدٍ الدُّورِيُّ؛ حَدَّثَنا قُرَادٌ أبو نوحٍ، حدَّثَنا يُونُسُ بنُ[4] أبى إسحاقَ، عن أبى بكرِ بنِ أبى موسى، عن أبيه قال: خرج أبو طالبٍ إلى الشامِ، ومعه رسولُ اللَّهِ ﷺ، فى أشياخٍ مِن قريشٍ، فلما أشْرَفوا على الراهبِ - يعنى بَحِيرَى - هَبَطوا، فحلُّوا رِحَالَهم، فخرَجَ إليهم الرَّاهبُ، وكانوا قبلَ ذلك يَمُرُّون به فلا يَخْرُجُ ولا يلتفِتُ إليهم. قال: فنزَلَ وهم يَحُلُّون رِحالَهم، فجعَل يَتخلَّلُهُم، حتى جاء فأَخَذَ بيدِ النَّبِيِّ ﷺ فقال: هذا سيِّدُ العالَمِينَ. وفى رِوايةِ البَيْهَقِيِّ[5] زيادةٌ: هذا رسولُ ربِّ العالمينَ، [6]هذا يَبْعَثُه[6] اللَّهُ رحمةً للعالَمِينَ. فقال له أشياخٌ مِن قريشٍ: وما عِلْمُكَ؟ فقال: إنَّكم حينَ

---

(١) سقط من: الأصل، ا ٩، م.

(٢) سيرة ابن إسحاق ص ٥٥ - ٥٧.

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٦، ٧، من طريق الخرائطى به.

(٤) فى النسخ: «عن». والمثبت من تاريخ دمشق. انظر تهذيب الكمال ٣٢/ ٤٨٨.

(٥) الدلائل للبيهقى ٢/ ٢٤.

(٦ - ٦) فى الأصل: «وابتعثه»، وفى م: «بعثه»، وفى ص: «هذا ابتعثه».

أشرَفْتُم مِن العَقَبَةِ ، لم يَبْقَ شَجَرَةٌ ولا حَجَرٌ إلَّا خَرَّ ساجِدًا ، ولا يَسْجُدونَ إلَّا لِنبيٍّ ، وإنِّى أَعرِفُه بخاتَمِ النبوَّةِ ، أسفلَ مِن غُضْروفِ كَتِفِه . ثم رجَع ، فصنَع لهم طعامًا ، فلمّا أتاهم به - وكان هو فى رِعْيَةِ الإبلِ - فقال : أَرْسِلوا إليه . فأَقْبَلَ ، وغَمَامَةٌ تُظِلُّه ، فلمّا دَنا من القومِ ، قال : (١) انظُروا إليه ، عليه غَمامةٌ . فلمّا دَنا من القومِ (١) ، وجَدَهم قد سبَقُوه إلى فَىْءِ الشجرةِ ، فلما جلَس ، مالَ فَىْءُ الشجرةِ عليه . قال : انظُروا إلى فَىْءِ الشجرةِ مالَ عليه . قال : فبينَما هو قائمٌ عليهم ، وهو يُناشِدُهم أَلَّا يَذْهَبُوا به إلى الرُّومِ ، فإنَّ الرُّومَ إنْ رَأَوْه ، عَرَفوه بالصِّفةِ ، فَقَتَلوه ، فالتفتَ ، فإذا هو بسَبْعَةِ نفرٍ من الرُّومِ ، قد أَقْبَلُوا . قال : فاستَقْبَلَهم ، فقال : ما جاءَ بِكم ؟ قالوا : جِئْنا أَنَّ هذا النبىَّ خارجٌ فى هذا الشَّهْرِ ، فلم يَبْقَ طريقٌ إلَّا بُعِثَ إليه ناسٌ ، وإنّا أُخْبِرْنا خَبَرَه إلى طريقِك هذه . قال : فهل خَلَّفْتُم (٢) أحَدًا هو خيرٌ منكم ؟ قالوا : لا ، إنَّما أُخبِرْنا [٢١/٢و] خبَرَه إلى طريقِك هذه . قال : أفرأَيْتُم أمرًا أرادَ اللَّهُ أن يَقْضِيَه ؛ هل يستطيعُ أحدٌ مِن النّاسِ ردَّه ؟ فقالوا : لا . قال : فَبايَعُوه ، وأَقامُوا (٣) عندَه . قال : فقال الرّاهبُ : أَنشُدُكم اللَّهَ ، أيُّكم وليُّه ؟ قالوا : أبو طالبٍ . فلم يَزَلْ يُناشِدُه ، حتى رَدَّه ، وبعَث معه أبو بكرٍ بلالًا ، وزوَّده الراهبُ من الكَعْكِ والزَّيتِ . هكذا رواه التِّرْمِذِىُّ ، عن أبى العبَّاسِ الفَضْلِ بنِ سَهْلٍ الأَعْرَجِ ، عن قُرَادٍ أبى نُوحٍ به (٤) .

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) فى الأصل ، م ، ص : « خلفكم » .

(٣) بعده فى الأصل ، ا ٩ ، م : « معه » .

(٤) الترمذى (٣٦٢٠) . قال الألبانى : صحيح ، لكن ذكر بلال فيه منكر كما قيل . (ضعيف سنن الترمذى ٧٤٥) .

والحاكمُ، والبَيْهَقِيُّ، وابنُ عساكرَ، مِن طريقِ أبى العبّاسِ محمدِ بنِ يعقوبَ الأَصَمِّ، عن عبّاسِ بنِ محمدٍ الدُّورِيِّ به[1]. وهكذا رواه غيرُ واحدٍ من الحُفَّاظِ، مِن حديثِ أبى نوحٍ عبدِ الرحمنِ بنِ غَزْوانَ الخُزَاعِيِّ مَوْلاهم، ويُقالُ له: الضَّبِّيُّ. ويُعْرَفُ بِقُرَادٍ، سكَن بَغْدادَ، وهو مِن الثِّقاتِ، الذين أخرَجَ لهم البخاريُّ، ووثَّقه جَماعةٌ مِن الأئمةِ والحُفَّاظِ، ولم أرَ أحدًا جرَّحه، ومعَ هذا فى حديثِه هذا غرابةٌ، قال التِّرْمِذِيُّ: حسنٌ غريبٌ، لا نَعْرِفُه إلَّا مِن هذا الوَجْهِ. وقال عبّاسٌ الدُّورِيُّ: ليس فى الدُّنيا أحدٌ يُحَدِّثُ به، غَيْرُ قُرادٍ أبى نوحٍ، وقد سمِعَه منه أحمدُ بنُ حَنبلٍ، رحِمه اللَّهُ، ويَحيى بنُ مَعينٍ. لِغرابتِه، وانفرادِه. حكَاه البَيْهَقِيُّ وابنُ عساكرَ[2].

قلت: فيه مِن الغرائبِ؛ أنَّه مِن مُرْسَلاتِ الصَّحابةِ، فإنَّ أبا موسى الأشْعَرِيَّ، إنما قدِمَ فى سنَةِ خيبرَ سنةَ سبعٍ مِن الهجرةِ، ولا يُلتفتُ إلى قولِ ابنِ إسحاقَ[3] فى جَعْلِه له مِنَ المُهاجِرةِ إلى أرضِ الحَبَشَةِ مِن مكَّةَ، وعلى كلِّ تقديرٍ فهو مُرْسَلٌ، فإنَّ هذه القِصَّةَ كانتْ، ولرسولِ اللَّهِ ﷺ من العُمُرِ فيما ذكَره بعضُهم ثِنْتا عَشْرَة سَنَةً، ولعلَّ أبا موسى تَلَقَّاه مِن النبيِّ ﷺ، فيكونُ أَبْلَغَ، أو مِن بعضِ كِبارِ الصَّحابةِ، رَضِىَ اللَّهُ عنهم، أو كان هذا مشهورًا مذكورًا، أخَذَه مِن طريقِ الاستِفَاضَةِ.

---

(١) المستدرك ٢/ ٦١٥، والدلائل للبيهقى ٢/ ٢٤ - ٢٦، وتاريخ دمشق ٣/ ٤ - ٦.
(٢) الدلائل للبيهقى ٢/ ٢٦، وتاريخ دمشق ٣/ ٥.
(٣) انظر سيرة ابن هشام ١/ ٣٢٤.

الثَّانى : أنَّ الغَمامةَ لم تُذْكَرْ فى حديثٍ أصَحَّ مِن هذا[1] .

الثَّالثُ : أنَّ قَوْلَه : وبَعَثَ معه أبو بكرٍ بِلَالًا . إن كان عُمُرُه ، عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ، إذْ ذاك ثِنْتَىْ عَشْرَةَ سنَةً ، فقد كان عُمُرُ أبى بكرٍ إذْ ذاك تِسْعَ سنينَ أو عَشَرَةً ، وعُمُرُ بِلالٍ أقلَّ مِن ذلك ، فأينَ كان أبو بكرٍ إذْ ذاك ؟ ثم أَيْنَ كان بلالٌ ؟ كِلاهما غريبٌ ، اللهمَّ إلَّا أن يُقالَ : إنَّ هذا كان ورسولُ اللَّهِ ﷺ كبيرٌ ؛ إمَّا بأن يكونَ سَفَرُه بعدَ هذا ، أو إن كان القولُ بأنَّ عُمُرَه كان إذْ ذاك ثِنْتَىْ عَشْرَةَ سَنَةً غيرَ محفوظٍ ، فإنَّه إنَّما ذكَره مُقيَّدًا بهذا الوَاقِدِىُّ[2] . وحكى السُّهَيْلِىُّ[3] عن بعضِهم ، أنَّه كان عُمُرُه ، عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ، إذْ ذاك تِسْعَ[4] سنينَ . واللَّهُ أعلمُ .

قال الوَاقِدِىُّ[5] : حدَّثنى محمدُ بنُ صالحٍ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ جَعْفرٍ ، وإبراهيمُ ابنُ إسماعيلَ بنِ أبى حَبِيبةَ ، عن داودَ بنِ الحُصَيْنِ ، قالوا : لمَّا بلَغ رسولُ اللَّهِ ﷺ اثْنَتَىْ عَشْرَةَ سنَةً ، خرَج به عمُّه أبو طالبٍ إلى الشامِ ، فى العِيرِ التى خرَجَ فيها للتِّجارةِ ، ونزَلوا بالرّاهبِ بَحِيرَى ، فقال لأبى طالبٍ [6]فى السِّرِّ[6] ما قال ، وأمَره أن يَحْتَفِظَ به ، فردَّه معه أبو طالبٍ إلى مكَّةَ .

---

(١) بعده فى ا ٩ : « مع أن بعضهم قد ضعف أحاديث الغمامة كلها ومن جملتها هذا ، وادعى آخرون وضعها » .

(٢) انظر طبقات ابن سعد ١/ ١٢٠، ١٢١.

(٣) الروض الأنف ٢/ ٢٢١.

(٤) فى ص : « سبع » .

(٥) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ١/ ١٢٠، ١٢١ ، عن الواقدى به .

(٦ - ٦) فى م : « بالسر » .

وشبَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ [٢/٢١ظ] مع أبى طالبٍ، يَكْلَؤُه اللَّهُ، ويَحفظُه، ويَحُوطُه مِن أمورِ الجاهليَّةِ، ومعائِبِها؛ لِمَا يريدُ من كرامَتِه، حتى بلَغَ أن كان رجلًا أفضلَ قومِه مُروءةً، وأحسنَهم خُلُقًا، وأكرَمَهم مُخالَطةً، وأَحسَنَهم جِوارًا، وأعظَمَهم حِلْمًا وأمانةً، وأصدقَهم حديثًا، وأبعدَهم مِن الفُحْشِ والأذَى، ما رُؤِىَ مُلَاحِيًا[1] ولا مُمارِيًا أحدًا، حتى سمّاه قومُه الأمينَ؛ لِمَا جمعَ اللَّهُ فيه مِنَ الأمورِ الصالحةِ، فكان أبو طالبٍ يَحْفَظُه، ويَحُوطُه، ويَنصُرُه، ويَعْضُدُهُ، حتَّى مات.

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[2]: أخبرَنا خالدُ بنُ خِداشٍ[3]، حدَّثَنا مُعْتَمِرُ بنُ سُليمانَ، سَمِعْتُ أبى يحدِّثُ عن أبى مِجْلَزٍ، أَنَّ عبدَ المُطَّلِبِ - أو أبا طالبٍ، شكَّ خالدٌ - قال: لمّا مات عبدُ اللَّهِ، عطَفَ على محمدٍ، فكان لا يسافِرُ سفَرًا إلَّا كان معه فيه، وأنه توجَّهَ نحوَ الشامِ، فنزَل مَنْزِلًا، فأَتاه فيه راهبٌ، فقال: إِنَّ فيكم رجلًا صالحًا. ثُم قال: أينَ أبو هذا الغلامِ؟ قال: فقال: ها أنا ذا وليُّه. أو قيل: هذا وليُّه. قال: احتفِظْ بهذا الغلامِ، ولا تذهَبْ به إلى الشامِ، إنَّ اليهودَ حُسُدٌ، وإِنِّى أَخْشاهم عليه. قال: ما أنت تَقولُ ذاك، ولكنَّ اللَّهَ يقولُه. فردَّه وقال: اللهمَّ إِنِّى أَسْتَوْدِعُك محمدًا. ثُم إِنَّه مات.

---

(١) أى مخاصما ومنازعا.

(٢) طبقات ابن سعد ١/ ١٢٠.

(٣) فى ١ ٩، م، ص: «معدان».

قِصَّةُ بَحِيرَى

حَكَى السُّهَيْلِيُّ[1] ، عن سِيَرِ الزُّهْرِيِّ ، أنَّ بَحِيرَى كان حَبْرًا من أحبارِ يهودَ .

قلتُ : والذى يَظْهَرُ مِن سِياقِ القصَّةِ أنَّه كان راهبًا نَصرانيًّا . واللَّهُ أعلمُ . وعن المسعوديِّ[2] ، أنَّه كان مِن عبدِ القَيْسِ ، وكان اسمُه سَرْجِسَ[3] . وفى كِتابِ « المعارفِ » لابنِ قُتَيْبَةَ[4] : سُمِعَ هاتفٌ فى الجاهليَّةِ ، قبْلَ الإسلامِ بقليلٍ ، يَهْتِفُ ويَقولُ : أَلَا إنَّ خيرَ أهلِ الأرضِ ثلاثةٌ ؛ بَحِيرَى ، ورِئَابٌ[5] الشَّنِّيُّ ، والثالثُ المُنْتَظَرُ . وكان الثالثُ المنتظرُ هو الرسولَ ﷺ . قال ابنُ قُتَيْبَةَ[6] : وكان قبرُ رِئابٍ الشَّنِّيِّ وقبرُ وَلَدِه مِن بعدِه ، لا يزالُ يُرَى عندَها طَشٌّ . وهو المطرُ الخفيفُ .

---

(١) الروض الأنف ٢/ ٢٢٠.

(٢) مروج الذهب ١/ ٨٩.

(٣) فى الأصل، م: « جرجيس » .

(٤) المعارف ص ٥٨.

(٥) بعده فى م: « بن البراء » .

(٦) المعارف ص ٥٨.

فَصْـلٌ

فى مَنْشَئِه، عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، ومَرْباه، وكِفايةِ اللّهِ له، وحِياطتِهِ، وكيف كان يتيمًا فآواه، وعائِلًا فأغناه

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[(١)] : فشبَّ رَسولُ اللّهِ ﷺ، يَكلَؤُه اللّهُ، ويَحفَظُه، ويَحُوطُه مِن أقذارِ الجاهِليَّةِ، لِمَا يُريدُ به[(٢)] من كرامتِه، ورسالتِه، حتّى بلغَ أن كان رجلًا أفضَلَ قومِه مُروءةً، وأحسنَهم خُلُقًا، وأكرَمَهم حَسَبًا، وأحسَنَهم جِوارًا، وأعظَمَهم حِلْمًا، وأصدَقَهم حديثًا، وأعظَمَهم أمانةً، وأبعَدَهم مِن الفُحْشِ، والأخلاقِ التى تُدَنِّسُ الرِّجالَ، تَنَزُّهًا وتَكَرُّمًا، حتّى ما اسمُه فى قومِه إلا الأمينُ؛ لِمَا جَمَعَ اللّهُ فيه مِن الأمورِ الصَّالحةِ، وكان رسولُ اللّهِ ﷺ - فيما ذُكِرَ لى - يُحدِّثُ عمّا كان اللّهُ يحفَظُه به فى صِغَرِهِ، وأَمْرِ جاهِلِيَّتِه، أنَّه قال: «لَقَدْ رَأَيْتُنِى فِى غِلْمَانٍ مِنْ قُرَيْشٍ، نَنْقُلُ الحِجَارَةَ لِبَعْضِ مَا يَلْعَبُ به[(٣)] الغِلْمَانُ، كُلُّنَا قَدْ تَعَرَّى، وأَخَذَ إِزَارَه، وَجَعَلَهُ عَلَى رَقَبَتِهِ، يَحْمِلُ عَلَيْهِ الحِجَارَةَ، فَإِنِّى لَأُقْبِلُ مَعَهُمْ كَذَلِكَ وَأُدْبِرُ، إِذْ لَكَمَنِى لَاكِمٌ مَا أَرَاهُ، لَكْمَةً

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ١٨٣.

(٢) سقط من: م، ص.

(٣) سقط من: الأصل، م.

وَجِيعَةً ، ثُمَّ قال : شُدَّ عَلَيْكَ إِزارَكَ » . قالَ : « فَأَخَذْتُهُ فَشَدَدْتُه عَلَىَّ ، ثُمَّ جَعَلْتُ أَحْمِلُ الْحِجَارَةَ عَلَى رَقَبَتِى ، وَإِزارِى عَلَىَّ مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِى » . وهذه القِصَّةُ شبيهةٌ بما فى « الصحيحِ » ، عندَ بناءِ الكعبةِ [٢/٢٢و] حينَ كان يَنقُلُ هو وعمُّه العبّاسُ ، فإنْ لم تَكُنْها ، فهى متقدِّمةٌ عليها كالتَّوْطِئَةِ لها . واللَّهُ أعلمُ .

قال عبدُ الرَّزّاقِ[(١)] : أخبرَنا ابنُ جُرَيْجٍ ، أخبرَنى عمرُو بنُ دينارٍ ، أنه سمِعَ جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ يقولُ : لمَّا بُنِيَتِ الكعبةُ ، ذهَبَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، يَنْقُلُ الحِجارةَ ، فقال العبّاسُ لِرَسولِ اللَّهِ ﷺ : اجعَلْ إزارَكَ على عاتِقِكَ مِن الحِجَارةِ . ففَعَل ، فخَرَّ إلى الأرضِ ، وطَمَحَتْ[(٢)] عَيناه إلى السَّماءِ ، ثُم قام فقال : « إِزَارِى » . فَشَدَّ عليه إزارَه . أَخْرَجاه فى « الصَّحيحَيْنِ »[(٣)] ، مِن حديثِ عبدِ الرزَّاقِ . وأخرَجاه[(٤)] أيضًا مِن حديثِ رَوْحِ بنِ عُبادَةَ ، عن زَكَرِيّاءَ بنِ[(٥)] إسحاقَ ، عن عمرِو بنِ دينارٍ ، عن جابرٍ بنحوِه .

وقال البَيْهَقِىُّ[(٦)] : أخبرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، وأبو سعيدِ بنُ أبى عمرٍو ، قالا : أخبرَنا أبو العبّاسِ محمدُ بنُ يعقوبَ ، حدَّثَنا محمدُ بنُ إسحاقَ الصَّاغَانِىُّ[(٧)] ، [(٨)] حدَّثَنا محمدُ بنُ بُكَيْرٍ الحَضْرَمِىُّ[(٨)(٩)] ، حدَّثَنا عبدُ الرحمنِ بنُ

---

(١) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٣٢، من طريق عبد الرزاق به .
(٢) طمحت : نظرت .
(٣) البخارى (٣٨٢٩) . مسلم (٣٤٠) .
(٤) البخارى (٣٦٤) . مسلم (٣٤٠) .
(٥) بعده فى الأصل ، م ، ص : « أبى » . وانظر تهذيب الكمال ٩/ ٣٥٦.
(٦) الدلائل للبيهقى ٢/ ٣٢، ٣٣.
(٧) فى الأصل ، ا ٩، ص : « الصنعانى » . وانظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٣٩٦.
(٨ - ٨) سقط من : ص .
(٩) فى الدلائل : « الحضرمى » وهو خطأ . وانظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٥٤٣.

عبدِ اللَّهِ الدَّشْتَكِيُّ ، حدَّثنا عمرُو بنُ أبى قَيْسٍ ، عن سِماكٍ ، عن عِكْرِمَةَ ، حدَّثنى ابنُ عبّاسٍ ، عن أبيه ، أنه كان ينقُلُ الحِجَارَةَ إلى البيتِ . حينَ بَنَتْ قُرَيْشٌ البيتَ . قال : وأَفْرَدَتْ قُرَيْشٌ رَجُلينِ رَجُلينِ ، الرِّجالُ يَنْقُلُون الحِجَارةَ ، وكانتِ النِّساءُ تنقُلُ الشِّيدَ[1] . قال : فكُنتُ أنا وابنُ أخى ، وكنّا نَحمِلُ على رِقابِنا ، وأُزُرُنا تحتَ الحِجَارَةِ ، فإذا غَشِيَنا النّاسُ ائْتَزَرْنَا ، فبينَما أنا أَمشِى ومحمدٌ أَمامى . قال : فَخَرَّ وانْبَطَحَ على وَجْهِه ، فجئتُ أَسعَى وأَلقيْتُ حَجَرِى ، وهو ينظُرُ إلى السَّماءِ ، فقلتُ : ما شأْنُك ؟ فقام وأَخَذَ إِزارَه و[2] قال : « إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَمْشِىَ عُرْيَانًا » . قال : وكنتُ أَكْتُمُها[3] النَّاسَ ، مَخافَةَ أن يقولوا : مجنونٌ .

ورَوَى البَيْهَقِيُّ[4] مِن حديثِ يُونُسَ بنِ بُكَيْرٍ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، حدَّثنى محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ قَيْسِ بنِ مَخْرَمَةَ ، عن الحسنِ بنِ محمدِ بنِ علىٍّ ابنِ أبى طالبٍ ، عن أبيه ، عن جَدِّه علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، قال : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يَقولُ : « مَا هَمَمْتُ بِشَىْءٍ مِمَّا كَانَ أَهْلُ الجَاهِلِيَّةِ يَهُمُّونَ بِهِ ، مِنَ النِّسَاءِ ، إِلَّا لَيْلَتَيْنِ ، كِلْتَاهُمَا عَصَمَنِى اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، فِيهِمَا ؛ قُلْتُ لَيلةً لِبَعْضِ فِتْيَانِ مَكَّةَ - وَنَحْنُ فى رِعَاءِ غَنَمِ أَهْلِها - فَقُلْتُ لِصَاحِبِى : أَبْصِرْ لِى غَنَمِى ، حَتَّى أَدْخُلَ مَكَّةَ أَسْمُرُ فِيها ، كما يَسْمُرُ الفِتْيانُ . فقال : بلى. قال : فَدَخَلْتُ ، حَتَّى إذا[5] جِئْتُ أَوَّلَ دَارٍ مِنْ دُورِ مَكَّةَ ، سَمِعْتُ عَزْفًا بِالْغَرَابِيلِ وَالْمَزَامِيرِ ،

---

(١) الشيد : كل ما طُلى به البناء من جِصٍّ ونحوه . الوسيط (ش ى د) .

(٢) زيادة من : ص .

(٣) بعده فى ا ٩، م ، ص : « من » .

(٤) الدلائل للبيهقى ٢/ ٣٣، ٣٤.

(٥) سقط من : الأصل ، م .

فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: تَزَوَّجَ فُلَانٌ فُلَانَةَ. فَجَلَسْتُ أَنْظُرُ، وَضَرَبَ اللَّهُ عَلَى أُذُنِي، فواللَّهِ مَا أَيْقَظَنِي إِلَّا مَسُّ الشَّمْسِ، فَرَجَعْتُ إِلَى صَاحِبِي، فَقَالَ: مَا فَعَلْتَ؟ فَقُلْتُ: مَا فَعَلْتُ شَيْئًا. ثُمَّ أَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي رَأَيْتُ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ لَيْلَةً أُخْرَى: أَبْصِرْ لِي غَنَمِي، حَتَّى أَسْمُرَ. فَفَعَلَ، فَدَخَلْتُ، فَلَمَّا جِئْتُ مَكَّةَ، سَمِعْتُ مِثْلَ الَّذِي سَمِعْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فَسَأَلْتُ، فَقِيلَ: نَكَحَ فُلَانٌ فُلَانَةَ. فَجَلَسْتُ أَنْظُرُ، وَضَرَبَ اللَّهُ عَلَى أُذُنِي، فَوَاللَّهِ مَا أَيْقَظَنِي إِلَّا مَسُّ الشَّمْسِ، فَرَجَعْتُ إِلَى صَاحِبِي، فَقَالَ: مَا فَعَلْتَ؟ فَقُلْتُ: لَا شَيْءَ. ثُمَّ أَخْبَرْتُهُ الْخَبَرَ، فَوَاللَّهِ مَا هَمَمْتُ، وَلَا عُدْتُ بَعْدَها[1] لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، حَتَّى أَكْرَمَنِي اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، بِنُبُوَّتِه». وهذا حديثٌ [٢/٢٢ظ] غريبٌ جِدًّا، وقد يَكونُ عن عليٍّ نفسِه، ويَكونُ قولُه في آخِرِه: «حَتَّى أَكْرَمَنِي اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، بِنُبُوَّتِهِ». مُقْحَمًا. واللَّهُ أعلمُ.

وشيخُ ابنِ إسحاقَ هذا، ذكَره ابنُ حِبّانَ في «الثِّقاتِ»[2]، وزعَم بعضُهم أنه مِن رجالِ «الصحيحِ». قال شيخُنا في «تهذيبِه»[3]: ولم أَقِفْ على ذلك. واللَّهُ أعلمُ.

وقال الحافظُ البَيْهَقِيُّ[4]: حدَّثني أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ، حدَّثنا أبو العبَّاسِ محمدُ بنُ يعقوبَ، حدَّثنا الحسنُ بنُ عليِّ بنِ عَفّانَ[5] العامِرِيُّ، حدَّثنا أبو

---

(١) في م، ص: «بعدهما».
(٢) الثقات لابن حبان ٩/ ٨٢.
(٣) تهذيب الكمال ٢٥/ ٥٣٣، ٥٣٤ حاشية (٤).
(٤) الدلائل للبيهقي ٢/ ٣٤.
(٥) في الأصل: «عباس».

أُسامةَ ، حدَّثَنا محمدُ بنُ عَمرٍو ، عن أبى سَلَمَةَ ، ويَحيى بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ حاطِبٍ ، عن أسامةَ بنِ زيدٍ ، عن زيدِ بنِ حارِثَةَ ، قال : كان صَنَمٌ مِن نُحاسٍ يُقالُ له : إِسافٌ . أو[1] : نائِلَةُ . يَتَمَسَّحُ به المشرِكونَ إذا طافوا ، فطافَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ ، وطُفْتُ معَه ، فلمَّا مَرَرْتُ مسَحْتُ به ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا تَمَسَّهُ » . قال زيدٌ : فطُفْنا ، فقُلْتُ فى نفسى : لَأَمَسَّنَّهُ ، حتى أَنْظُرَ ما يكونُ . فمَسَحْتُه ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَلَمْ تُنْهَ ؟ » . قال البَيْهَقِىُّ : زاد غيرُه ، عن محمدِ بنِ عمرٍو ، بإسنادِه : قال زيدٌ : فوالذى أَكْرَمَه وأنزَلَ عليه الكِتابَ ، ما اسْتَلَمَ صَنَمًا[2] ، حتى أَكرَمَه اللَّهُ تعالى بالذى أكرَمَه ، وأنْزَلَ عليه .

وتقدَّمَ[3] قولُه ، عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ، لبَحِيرَى ، حينَ سأَلَه باللَّاتِ والعُزَّى : « لَا تَسْأَلْنِى بِهِمَا ؛ فَوَاللَّهِ مَا أَبْغَضْتُ شَيْئًا بُغْضَهُمَا » . فأمَّا الحديثُ الذى قاله الحافظُ أبو بكرٍ البَيْهَقِىُّ[4] ؛ أخبرَنا أبو سَعْدٍ[5] المالِينىُّ ، أَنبأَنا أبو أحمدَ ابنُ عَدِىٍّ الحافظُ ، حدَّثنا إبراهيمُ بنُ أَسْباطٍ ، حدَّثَنا عُثمانُ بنُ أبى شَيْبَةَ ، حدَّثَنا جَرِيرٌ ، عن سُفْيانَ الثَّوْرِىِّ ، عن[6] عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عَقِيلٍ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، قال : كان النبىُّ ﷺ ، يَشْهَدُ مع المشرِكينَ مَشاهِدَهم . قال : فسمِع مَلَكَيْنِ خلفَه ، وأحدُهما يقولُ لصاحبِه : اذهبْ بنا

---

(١) فى م : « و » .
(٢) بعده فى ا ٩، م ، ص : « قط » .
(٣) تقدم فى صفحة ٤٣٧.
(٤) الدلائل للبيهقى ٢/ ٣٥.
(٥) فى الأصل ، ا ٩: « سعيد » .
(٦) بعده فى الأصل ، م : « محمد بن » . وانظر تهذيب الكمال ١٦/ ٧٨.

حتَّى نقومَ خلْفَ رسولِ اللَّهِ ﷺ . قال : كيفَ نَقومُ خلفَه وإنما عهدُه باستلامِ الأصنامِ قُبَيْلُ[1] ؟ . قال : فلم يَعُدْ بعدَ ذلك أن يَشْهَدَ مع المشركينَ مَشاهِدَهم . فهو حديثٌ أنكَرَه غيرُ واحدٍ مِن الأئمةِ على عثمانَ بنِ أبى شَيْبَةَ ، حتَّى قال الإمامُ أحمدُ[2] فيه : لم يَكُنْ أخوه يتلفَّظُ بشيءٍ مِن هذا . وقد حَكى البَيْهَقِيُّ[3] ، عن بعضِهم أنَّ مَعناه ، أنه شَهِدَ مَعَ مَن يَسْتَلِمُ الأصنامَ ، وذلك قبلَ أن يُوحَى إليه . واللَّهُ أعلمُ . وقد تقدَّم فى حديثِ زيدِ بنِ حارثةَ ، أنه اعتَزَل شهودَ مَشاهِدِ المشركينَ ، حتَّى أكرَمَه اللَّهُ برسالتِه . وثبتَ فى الحديثِ ، أنَّه كان لا يقِفُ بالمُزْدَلِفَةِ لَيْلَةَ عَرَفَةَ ، بل كان يَقِفُ مع الناسِ بعرفاتٍ ، كما قال يُونُسُ [4]ابنُ بُكَيْرٍ[4] ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ ، عن عُثمانَ ابنِ أبى سُليمانَ ، عن عمِّه[5] نافعِ بنِ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ ، عن أبيه جُبَيْرٍ ، قال : لقد رأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، وهو على دينِ قومِه ، وهو يَقِفُ على بعيرٍ له بعَرَفاتٍ ، مِن بينِ قومِه ، حتَّى يَدْفَعَ معهُم ، توفيقًا مِنَ اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، له[6] .

قال البَيْهَقِيُّ[7] : معنى قولِه [٢/٢٣و] : على دينِ قومِه ؛ ما كان بَقِىَ مِن إرْثِ إبراهيمَ ، وإسماعيلَ ، عليهما السَّلامُ ، ولم يُشْرِكْ باللَّهِ قطُّ ، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه دائمًا .

---

(١) سقط من : م ، ص .
(٢) ميزان الاعتدال ٣/ ٣٦.
(٣) الدلائل للبيهقى ٢/ ٣٦.
(٤ - ٤) فى الدلائل : « بن شبيب » وهو خطأ ، وانظر تهذيب الكمال ٣٢/ ٤٩٣.
(٥) سقط من : الأصل ، ا ٩، م .
(٦) الدلائل للبيهقى ٢/ ٣٧.
(٧) الدلائل للبيهقى ٢/ ٣٧.

قلتُ: ويُفهَمُ مِن قولِه هذا أيضًا، أنَّه كان يَقِفُ بعرفاتٍ قَبلَ أن يُوحَى إليه. وهذا توفيقٌ مِنَ اللَّهِ له. ورواه الإمامُ أحمدُ[1]، عن يَعْقُوبَ، [2]عن أبيه[2]، عن محمدِ بنِ إسحاقَ به، ولفظُه: رأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ، قَبلَ أن يُنَزَّلَ عليه، وإنَّه لَواقِفٌ على بَعِيرٍ له مع الناسِ بعَرَفاتٍ، حتَّى يَدْفَعَ معهم؛ توفيقًا مِن اللَّهِ.

وقال الإمامُ أحمدُ[3]: حَدَّثَنا سفيانُ، عن عمرِو بنِ[4] محمدِ بنِ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ، عن أبيه، قال: أَضْلَلْتُ بعيرًا لى بعَرَفَةَ، فذَهبْتُ أَطْلُبُه، فإذا النبىُّ ﷺ، واقفٌ، فقُلْتُ: إنَّ هذا مِن الحُمْسِ[5]، ما شأنُه هـٰهنا؟ وأخرَجاه[6]، مِن حديثِ سُفْيَانَ بنِ عُيَيْنَةَ به.

---

(١) أحمد فى المسند ٤/ ٨٢.

(٢ - ٢) سقط من النسخ. والمثبت من المسند. وانظر أطراف المسند ٢/ ١٨٤.

(٣) أحمد فى المسند ٤/ ٨٠.

(٤) فى ا ٩، م: «عن». انظر أطراف المسند ٢/ ١٨٤.

(٥) الحمس: هم قريش ومن وَلَدَتْ، وكنانة، وجديلة.

(٦) البخارى (١٦٦٤). مسلم (١٢٢٠).

ذِكْرُ[1] شُهودِه، عليه الصّلاةُ والسَّلامُ، حَرْبَ الفِجَارِ

قال ابنُ إسحاقَ[2]: هاجَتْ حربُ الفِجَارِ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ، ابنُ عِشرينَ سنَةً، وإنَّما سُمِّىَ يومَ الفِجَارِ؛ بما استَحَلَّ[3] هذان الحيَّانِ - كِنانَةُ، وقَيْسُ عَيْلانَ - فيه[4] مِن المحارِمِ بينَهم. وكان قائدَ قريشٍ وكِنانةَ حربُ بنُ أُمَيَّةَ بنِ عبدِ شمسٍ. وكان الظَّفَرُ فى أوَّلِ النهارِ لِقَيْسٍ على كِنانةَ، حتَّى إذا كان فى[5] وَسَطِ النَّهارِ، كان الظَّفَرُ لكِنانةَ على قَيْسٍ.

وقال ابنُ هِشامٍ[6]: فلمَّا بلَغَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنةً، أو خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً - فيما حدَّثَنى به أبو عُبَيْدَةَ النَّحْوِىُّ، عن أبى عمرِو بنِ العَلاءِ - هاجتْ حربُ الفِجَارِ، بينَ قريشٍ ومَن معها مِن كِنانةَ، وبينَ قَيْسِ عَيْلانَ، وكان الذى هاجَها، أنَّ عُرْوَةَ الرَّحَّالَ ابنَ[7] عُتْبَةَ بنِ جَعْفَرِ بنِ كِلابِ بنِ رَبِيعَةَ ابنِ عامرِ بنِ صَعْصَعَةَ بنِ مُعَاوِيَةَ بنِ بَكْرِ بنِ هَوَازِنَ، أَجار لَطِيمَةً - أى تِجارةً -

---

(١) سقط من: م.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ١٨٦، ١٨٧.

(٣) بعده فى الأصل، م: «فيه».

(٤) سقط من: الأصل، م، ص.

(٥) سقط من: م.

(٦) سيرة ابن هشام ١/١٨٤ - ١٨٦.

(٧) فى الأصل، ا ٩، ص: «و».

للنُّعمانِ بنِ المُنذرِ، فقال له[1] البَرَّاضُ بنُ قَيْسٍ - أحدُ بنى ضَمْرَةَ بنِ بكرِ بنِ عبدِ مَنَاةَ بنِ كِنَانَةَ - : أَتُجِيرُها على كِنانةَ؟ قال: نعم، وعلى الخَلْقِ. فخرَج فيها عُرْوَةُ الرَّحَّالُ، وخرَج البَرَّاضُ يَطلُبُ غَفْلَتَه، حتى إذا كان بتَيْمَنَ ذى ظِلالٍ[2] بالعاليةِ، غفَلَ عُرْوةُ، فوَثَبَ عليه البَرَّاضُ، فقَتَلَه فى الشهرِ الحرامِ، فلذلك سُمِّىَ الفِجَارَ، وقال البَرَّاضُ فى ذلك:

وداهِيَةٍ تُهِمُّ الناسَ قَبْلِى ... شَدَدْتُ لها بنى بَكْرٍ ضُلوعِى

هَدَمْتُ بها بُيُوتَ بنى كِلَابٍ ... وأَرْضَعْتُ المَوالِىَ بالضُّروعِ

[3]رَفَعْتُ له بذى ظَلَّالَ كَفِّى[4] ... فخرَّ يَمِيدُ[5] كالجِذْعِ الصَّريعِ

وقال لَبِيدُ بنُ رَبِيعَةَ بنِ مالكِ بنِ جعفرِ بنِ كِلابٍ:

وَأَبْلِغْ - إن عَرَضْتَ - بنى كِلابٍ ... وعامِرَ والخُطُوبُ لَهَا مَوَالِى

وأَبْلِغْ - إنْ عَرَضْتَ - بَنِى نُمَيْرٍ ... وَأَخْوالَ القَتِيلِ بَنِى هِلَالِ

[٢/٢٣ ظ] بأنَّ الوَافِدَ الرَّحَّالَ أَمْسَى ... مُقِيمًا عِنْدَ تَيْمَنَ ذِى ظَلَالِ[6][3]

---

(١) سقط من: الأصل، م، ص.

(٢) فى الأصل، م، ص: «طلال». وكذا فى سيرة ابن هشام. وتيمن ذو ظلال - بالظاء - : واد إلى جانب فَدَك فى قول بعضهم، والصحيح أنه بعالية نجد. انظر معجم البلدان ١/ ٩٠٩، ٩١٠، ٣/ ٥٧٨، ٥٧٩.

(٣ - ٣) سقط من: ا ٩.

(٤) كذا وقع الشطر الأول فى النسخ. وظلَّال مشددة وممنوعة من الصرف؛ لأن الوزن يقتضى ذلك.

(٥) ماد الشيء يميد: تحرك ومال. اللسان (م ى د).

(٦) فى الأصل، م: «طلال». والأبيات فى شرح ديوان لبيد ص ٢٧٦.

قال ابنُ هِشامٍ[1] : فأَتى آتٍ قُرَيْشًا ، فقال : إنَّ البَرَّاضَ قد قَتَلَ عُرْوَةَ ، وهو فى الشَّهرِ الحَرامِ ، بعُكَاظٍ . فارتحَلُوا ، وهَوَازِنُ لا تَشْعُرُ بِهم ، ثُم بَلَغَهم الخبرُ ، فاتَّبَعُوهم ، فأدْرَكوهم قبلَ أن يَدْخُلُوا الحرَمَ ، فاقْتَتَلُوا حتّى جاء الليلُ ، فدَخَلُوا الحرَمَ ، فأَمْسَكَتْ هَوَازِنُ عنهم ، ثُم التقَوْا بعدَ هذا اليومِ أيّامًا ، والقومُ مُتَسانِدون ، على كلِّ قَبيلٍ مِن قريشٍ وكِنَانةَ رَئيسٌ منهم ، وعلى كُلِّ قَبِيلٍ مِن قَيْسٍ[2] رَئيسٌ منهم . قال : وشَهِد رسولُ اللّهِ ﷺ ، بعضَ أيَّامِهم ، أَخرَجه أعمامُه معهم ، وقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « كُنْتُ أُنَبِّلُ عَلَى أَعْمَامِى » . أى أَرُدُّ عليهم نَبْلَ عدوِّهم إذا رَمَوْهم بها .

قال ابنُ هِشامٍ[3] : وحديثُ الفِجَارِ[4] أَطولُ ممّا ذَكَرْتُ ، وإنما منَعَنى مِن اسْتِقْصائِه ، قَطْعُه حديثَ سِيرَةِ رسولِ اللّهِ ﷺ .

وقال السُّهَيْلِىُّ[5] : والفِجَارُ بكَسْرِ الفاءِ على وَزْنِ قِتالٍ . وكانتِ الفِجَاراتُ فى العربِ أربعةً ، ذكَرهنَّ المَسْعُودىُّ . وآخِرُهن ؛ فِجَارُ البَرَّاضِ هذا . وكان القِتالُ فيه فى أربعةِ أيّامٍ ؛ يومِ شَمْطَةَ ، ويومِ العَبْلَاءِ ، وهما عندَ عُكَاظٍ ، ويومِ الشَّرِبِ - وهو أعظمُها يومًا - وهو الذى حضَره رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وفيه قَيَّدا[6] - رئيسُ قريشٍ وبنى كِنَانَةَ ؛ وهما حَرْبُ بنُ أُمَيَّةَ وأخوه سُفْيَانُ -

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ١٨٦.

(٢) فى ص : « قريش » .

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ١٨٧.

(٤) بعده فى ا ٩، م، ص : « طويل هو » .

(٥) الروض الأنف ٢/ ٢٣٣.

(٦) فى الأصل : « قتل » .

أنفسَهما لئلّا يَفِرّا[1] . وانهزَمَتْ يومئذٍ قيسٌ إلا بنى نَضْرٍ ، فإنَّهم ثَبَتُوا ، ويومِ الحُرَيْرَةِ عندَ نَخْلَةَ ، ثُم تَواعَدوا مِنَ العامِ المُقْبِلِ إلى عُكَاظٍ ، فلمّا تَوَافَوُا المَوْعِدَ ، رَكِبَ عُتْبَةُ بنُ رَبيعةَ جَمَلَه ، ونادى : يا مَعْشَرَ مُضَرَ ، عَلامَ تُقاتِلون ؟ فقالتْ له هَوَازِنُ : ما تَدْعو إليه ؟ قال : الصُّلْحُ . قالوا : وكيف ؟ قال نَدِى قَتْلاكُم ونَرهَنُكم رَهائنَ عليها ، ونَعفُو عن دمائِنا[2] . قالوا : ومَن لنا بذلك ؟ قال : أنا . قالوا : ومَن أنت ؟ قال : عُتْبَةُ بنُ رَبيعةَ . فوقَع الصُّلْحُ على ذلك ، وبَعَثوا إليهم أربعينَ رجلًا ؛ فيهم حكيمُ بنُ حِزَامٍ ، فلمّا رأتْ بنو عامرِ بنِ صَعْصَعَةَ الرَّهْنَ فى أيديهِم ، عَفَوْا عن دمائِهم[3] ، وانقَضَتْ حربُ الفِجَارِ . وقد ذَكَر الأُمَوِىُّ حُروبَ الفِجَارِ ، وأيّامَها ، واستقْصَاها مُطوَّلًا ، فيما روَاه عن الأَثْرَمِ ، وهو المُغِيرةُ ابنُ علىٍّ ، عن أبى عُبَيْدَةَ مَعْمَرِ بنِ المُثَنَّى ، فذكَر ذلك .

(١) فى الأصل ، م : « يغروا » .

(٢) فى الأصل ، م : « دياتنا » .

(٣) فى م : « دياتهم » .

فَصْـلٌ

قال الحافظُ البَيْهَقِيُّ[1] : أَخبَرَنا أبو سَعْدٍ المَالِينِيُّ ، أنبَأَنَا أبو أحمدَ بنُ عديٍّ الحافظُ ، حدَّثَنا يَحيى بنُ عليِّ بنِ هاشمٍ[2] الخَفَّافُ ، حدَّثنا أبو عبدِ الرحمنِ الأَذْرَمِيُّ[3] حدَّثَنا إسماعيلُ بنُ عُلَيَّةَ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ إسحاقَ ، عن الزُّهْرِيِّ ، عن محمدِ بنِ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ ، عن أبيهِ ، [4]عن عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ[4] ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « شَهِدْتُ مَعَ عُمُومَتِي حِلْفَ المُطَيَّبِينَ ، فما أُحِبُّ أنْ أَنكُثَهُ - أو كَلمةً نحوَها - وأنَّ لى حُمْرَ النَّعَمِ » . قال[5] : وكذلك رواه بشرُ بنُ المُفَضَّلِ ، عن عبدِ الرحمنِ . قال[6] : وأخبرَنا أبو نصرِ بنُ قَتادةَ ، حدَّثَنا أبو عَمرِو بنُ مَطَرٍ ، حدَّثَنا أبو بكرِ [7]بنُ أَحمدَ بنِ[7] داودَ السِّمنَانِيُّ ، حدَّثَنا مُعَلَّى بنُ مَهْدِيٍّ ، حدَّثَنا أبو عَوَانَةَ ، عن عمرَ بنِ أبي سَلَمةَ ، عن أبيه ، عن أبي هُرَيرةَ [٢/٢٤ و] ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا شَهِدْتُ حِلْفًا لِقُرَيْشٍ إِلَّا حِلْفَ المُطَيَّبِينَ ، وَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي حُمْرَ النَّعَمِ وَأَنِّي كُنْتُ نَقَضْتُه » . قال : والمُطَيَّبونَ ؛ هاشِمٌ ، وأُمَيَّةُ ، وزُهْرَةُ ، ومَخْزومٌ . قال البَيْهَقِيُّ : كذا رُوِيَ

---

(١) الدلائل للبيهقى ٢/ ٣٧، ٣٨.

(٢) فى الدلائل للبيهقى : « هشام » .

(٣) فى النسخ : « الأزدى » . والمثبت من الدلائل للبيهقى . وانظر التقريب ١/ ٤٤٦.

(٤ - ٤) سقط من النسخ . والمثبت من الدلائل .

(٥) أى البيهقى فى الدلائل ٢/ ٣٨. والحديث فى مسند أحمد ١/ ١٩٠. (إسناده صحيح) .

(٦) أى البيهقى فى الدلائل ٢/ ٣٨.

(٧ - ٧) فى الدلائل : « أحمد بن » .

هذا التفسيرُ مُدْرَجًا فى الحديثِ ، ولا أَدْرِى قائِلَه ، وزعَم بعضُ أهلِ السِّيَرِ أنَّه أرادَ حِلْفَ الفُضُولِ ، وأنَّ النَّبِيَّ ﷺ ، لم يُدْرِكْ حِلْفَ المُطَيَّبِينَ .

قلتُ : هذا لا شكَّ فيه ، وذلك أنَّ قريشًا تَحالَفوا بعدَ موتِ قُصَىٍّ ، وتَنازَعوا فى الذى كان جعَلَه قُصَىٌّ لابنِه عبدِ الدَّارِ مِن السِّقايَةِ ، والرِّفادَةِ ، واللِّواءِ ، والنَّدْوَةِ ، والحِجَابَةِ ، ونازَعهم فيه بنو عبدِ مَنافٍ ، وقامَتْ مع كلٍّ طائفةٍ قبائلُ مِن قريشٍ ، وتَحالَفوا على النُّصْرةِ لحِزْبِهم ، فأَحضَرَ أصحابُ بنى عبدِ مَنافٍ جَفْنَةً فيها طِيبٌ ، فوَضَعوا أيْدِيَهُمْ فيها ، وتَحالَفوا ، فلمَّا قاموا مَسَحوا أيديَهم بأركانِ البيتِ ، فسُمُّوا المُطَيَّبِينَ ، كما تقدَّمَ ، وكان هذا قديمًا ، ولكنَّ المُرادَ بهذا الحِلْفِ ، حِلْفُ الفُضولِ ، وكان فى دارِ عبدِ اللَّهِ بنِ جُدْعانَ ، كما روَاه الحُمَيْدِىُّ[1] ، عن سُفْيَانَ بنِ عُيَيْنَةَ ، عن عبدِ اللَّهِ ، عن[2] محمدٍ وعبدِ الرحمنِ ابْنَىْ أبى بَكْرٍ ، قالا : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَقَدْ شَهِدْتُ فِى دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ جُدْعَانَ حِلْفًا ، لَوْ دُعِيتُ بِهِ فِى الإِسْلَامِ لَأَجَبْتُ ، تَحَالَفُوا أَنْ يَرُدُّوا الفُضُولَ عَلَى أَهْلِهَا وَأَلَّا يَعُزَّ[3] ظَالِمٌ مظلومًا » . قالوا : وكان حِلْفُ الفُضُولِ قبلَ المَبعثِ بعِشرين سنَةً ، فى شهر ذِى القَعْدَةِ ، وكان بعدَ حربِ الفِجَارِ بأربعةِ أشهُرٍ ؛ وذلك لأنَّ الفِجَارَ كان فى شعبانَ مِن هذه السَّنَةِ ، وكان حِلْفُ الفُضولِ أكرمَ حِلْفٍ سُمِعَ به ، وأشرَفَه فى العَرَبِ ، وكان أَوَّلَ مَن تكلَّمَ به ، ودَعا إليه ، الزبيرُ ابنُ عبدِ المُطَّلِبِ ، وكان سببُه ، أَنَّ رَجُلًا من زُبَيْدٍ قدِمَ مكةَ بِبِضَاعَةٍ ، فاشتراها

---

(١) ذكره السهيلى فى الروض الأنف ٧١/٢ ، عن الحميدى به .

(٢) فى الأصل ، ا ٩، ص : « بن » .

(٣) فى النسخ : « يعد » . والمثبت من الروض . ويعز : يغلب ويقهر .

منه العاصُ بنُ وَائِلٍ ، فحَبَسَ عنه حقَّه ، فاستَعْدَى عليه الزُّبَيْدِيُّ الأَحلافَ ؛ عبدَ الدارِ ، ومخزومًا ، وجُمَحَ ، وسَهْمًا ، وعَدِيَّ بنَ كعبٍ ، فأَبَوْا أن يُعِينُوا على العاصِ بنِ وَائِلٍ ، وَزَبَرُوه – أى انتَهَرُوه – فلمّا رأَى الزُّبَيْدِيُّ الشرَّ ، أَوْفَى على أبى قُبَيْسٍ[1] عندَ طُلوعِ الشَّمسِ – وقُرَيشٌ فى أنديتِهم حولَ الكعبةِ – فنادى بأعلى صوتِه :

يا آلَ فِهْرٍ لِمَظْلُومٍ بِضَاعَتُهُ ... بِبَطْنِ مَكَّةَ نائِى الدَّارِ وَالنَّفَرِ

ومُحْرِمٍ أَشْعَثٍ لَمْ يَقْضِ عُمْرَتَه ... يَالَلرِّجَالِ وَبَيْنَ الحِجْرِ والحَجَرِ

إِنَّ الحَرَامَ لِمَنْ تَمَّتْ كَرامتُه ... وَلَا حَرَامَ لِثَوْبِ الفَاجِرِ الغُدَرِ[2]

فقام فى ذلك الزُّبيرُ بنُ عبدِ المُطَّلِبِ ، وقال : ما لِهذا مَتْرَكٌ . فاجتمعَتْ هاشِمٌ ، وزُهْرَةُ ، وتَيْمُ[3] بنُ مُرَّةَ ، فى دارِ عبدِ اللَّهِ بنِ جُدْعَانَ ، فصَنَعَ لهم طعامًا ، وتحَالَفوا فى ذى القَعْدَةِ ، فى شهرٍ حرامٍ ، فتَعَاقَدوا ، وتعاهَدوا باللَّهِ : لَيَكُونُنَّ يدًا واحدةً مع المظلومِ على الظَّالمِ ، حتى يُؤَدَّى إليه حقُّه ، ما بَلَّ بَحْرٌ صُوفَةً [٢٤/٢ ظ] ، وما رَسَا ثَبِيرٌ وحِرَاءُ مكَانَهما ، وعلى التَّأَسِّى فى المعاشِ ، فسمَّتْ[4] قريشٌ ذلك الحِلْفَ حِلْفَ الفُضُولِ ، وقالوا : لقد دخَل هؤلاءِ فى فضْلٍ مِن الأمرِ . ثُم مَشَوْا إلى العاصِ بنِ وائلٍ ، فانتزَعُوا منه سِلْعَةَ الزُّبَيْدِيِّ ، فدفَعُوها إليه ، وقال الزُّبَيْرُ بنُ عبدِ المُطَّلِبِ فى ذلك :

---

(١) جبل بمكة .

(٢) الغدر : كثير الغَدْر .

(٣) فى ا ٩ : « تميم » .

(٤) فى ص : « فسمعت » .

حَلَفْتُ لَنَعْقِدَنْ حِلْفًا عَلَيْهِمْ ... وإِنْ كُنَّا جَمِيعًا أَهْلَ دَارِ

نُسَمِّيهِ الفُضُولَ إِذَا عَقَدْنَا ... يَعِزُّ بِهِ الغَرِيبُ لِذِى الجِوَارِ

ويَعْلَمُ مَنْ (١) حَوَالِى البَيْتِ أَنَّا (١) ... أُبَاةُ الضَّيْمِ نَمْنَعُ كُلَّ عَارِ

وقال الزُّبَيْرُ أيضًا :

إِنَّ الفُضُولَ تَعَاقَدُوا وَتَحَالَفُوا ... أَلَّا يُقِيمَ بِبَطْنِ مَكَّةَ ظَالِمُ

أَمْرٌ عليه تَعَاقَدُوا وتَوَاثَقُوا ... فَالجَارُ والمُعْتَرُّ فِيهِمْ سَالِمُ

وذَكَر قاسمُ بنُ ثابتٍ[2] فى « غَرِيبِ الحديثِ » ، أنَّ رجلًا مِن خَثْعَمٍ قَدِمَ مكَّةَ حاجًّا – أو مُعْتمِرًا – ومعه ابنَةٌ له ، يُقالُ لها : القَتُولُ[3] ، مِن أوضَأِ نِساءِ العالَمِينَ ، فاغْتَصَبَها منه نُبَيْهُ بنُ الحَجَّاجِ ، وغَيَّبها عنه ، فقال الخَثْعَمِىُّ : مَن يُعْدِينى على هذا الرَّجُلِ؟ فقيل له : عَلَيْكَ بحِلْفِ الفُضُولِ . فوقَفَ عندَ الكعْبَةِ ، ونادَى يا لَحِلْفِ الفُضُولِ . فإذا هم يُعْنِقُون إليه مِن كلِّ جانبٍ ، وقد انْتَضَوْا أسيافَهم يَقولون : جاءَك الغَوْثُ فما لك ؟ فقال : إنَّ نُبَيْهًا ظَلَمَنِى فى بِنْتِى وانْتَزَعَها مِنِّى قَسْرًا . فساروا معه حتّى وقَفُوا على بابِ دَارِه ، فخرَجَ إليهم ، فقالوا له : أَخرِجِ الجارِيَةَ وَيْحَكَ ! فقد علِمْتَ مَن نحنُ ، وما تَعاقَدْنا عليه . فقال : أَفْعَلُ ، ولكنْ مَتِّعونى بها الليلةَ . فقالوا : لا واللَّهِ ، ولا شَخْبَ لِقْحَةٍ[4] .

(١ – ١) فى ا ٩: « حوالينا بأنا » .

(٢) ذكره السهيلى فى الروض الأنف ٢/ ٧٣، ٧٤ ، عنه .

(٣) فى الأصل، ص: « الفتول » . وفى ا ٩: « الفتون » .

(٤) أصل الشخب : ما خرج من الضرع من اللبن ويضم ، وبالفتح : الدم . واللَّقحة بكسر اللام وفتحها : الناقة القريبة العهد بالنتاج ، أو الغزيرة اللبن .

فأخْرَجَها إليهم وهو يَقولُ :

رَاحَ صَحْبِى ولَمْ أُحَىِّ القَتُولَا   لم أُوَدِّعْـهُـمُ وَدَاعًـا جَـمِـيـلَا

(1)إِذْ أَجَدَّ(1) الفُضُولُ أنْ يَمْنَعُوهَا   قَد أرَانى وَلَا أَخَافُ الفُضُولَا

لَا تَخَالِى أَنِّى عَشِيَّةَ رَاحَ الـرَّكْـــ   ـــبُ هُنْتُمْ علىَّ أَنْ لا أقولا[2]

وذكَر أبياتًا أُخَرَ غيرَ هذه . وقد قِيلَ[3] : إنَّما سُمِّىَ هذا حلِفَ الفُضُولِ ؛ لأنَّه أَشْبَهَ حِلْفًا تحالفَتْهُ جُرْهُمٌ على مِثلِ هذا ، مِن نَصْرِ المظلومِ على ظَالِمِه ، وكان الدَّاعى إليه ثلاثةً مِن أشْرَافِهم ، اسمُ كلِّ واحدٍ منهم فَضْلٌ ، وهم : الفضلُ بنُ فَضَالَةَ ، والفَضْلُ بنُ وَدَاعَةَ ، والفُضَيْلُ[4] بنُ الحَارِثِ . هذا قولُ ابنِ قُتَيْبَةَ[5] . وقالَ غيرُه[6] : هم[7] الفُضَيْلُ[8] بنُ شُرَاعَةَ ، (9)والفَضْلُ بنُ وَداعةَ[10](9) ، والفَضْلُ بنُ قُضَاعةَ . وقد أورد السُّهَيْلِىُّ هذا ، رَحِمَه اللَّهُ .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ يَسَارٍ[11] : وتداعَتْ قبائلُ مِن قريشٍ إلى

(1 - 1) فى الأصل : « إذا وجد » .

(2) سقط من : ا ٩. وفى الأصل ، م : « يزولا » . وفى ص : « نزولا » . والمثبت من الروض الأنف .

(3) ذكر هذا القول عن ابن قتيبة - كما ذكر المصنِّف فى آخره - السهيلىُّ فى الروض الأنف ٢/ ٧٠.

(4) فى النسخ : « الفضل » . والمثبت من الروض الأنف .

(5) ذكره السهيلى فى الروض الأنف ٢/٧٠ ، عن ابن قتيبة .

(6) أى الزبير بن بكار ، كما ذكره السهيلى فى الروض الأنف ٢/ ٧٠.

(7) سقط من : الأصل ، م .

(8) فى النسخ : « الفضل » . والمثبت من الروض الأنف .

(9 - 9) سقط من : ص .

(10) فى النسخ : « بضاعة » . والمثبت من الروض الأنف .

(11) سيرة ابن هشام ١/ ١٣٣، ١٣٤.

حِلْفٍ، فاجتَمَعوا (١) له فى (١) دارِ [٢/٢٥ و] عبدِ اللَّهِ بنِ جُدْعانَ؛ لشرَفِه، وسِنِّه، وكان حِلْفَهم عندَه، بنو هاشِمٍ، وبنو (٢) المُطَّلِبِ، و (٣) أسدُ بنُ عبدِ العُزَّى، وزُهْرَةُ ابنُ كِلَابٍ، وتَيْمُ بنُ مُرَّةَ. فتعاهَدُوا، وتعاقَدُوا، على أن لا يَجِدُوا بمكةَ مَظلومًا مِن أَهْلِها، وغيرِهم مِمَّن دخَلَها مِن سائرِ النّاسِ؛ إلَّا كانوا معه، وكانوا على مَن ظَلَمه، حتى يَرُدَّ عليه مَظْلِمَتَه، فسمَّتْ قريشٌ ذلك الحِلْفَ، حِلْفَ الفُضُولِ.

قال محمدُ بنُ إسحاقَ (٤): فحدَّثنى محمدُ بنُ زيدِ بنِ المُهاجِرِ (٥) بنِ (٦) قُنْفُذٍ التَّيْمِيُّ، أنَّه سَمِع طَلحةَ بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ عَوْفٍ الزُّهْرِيَّ يقولُ: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ شَهِدْتُ فِي دَارِ عبدِ اللَّهِ بنِ جُدْعانَ حِلْفًا، ما أُحِبُّ أَنَّ لِى بِهِ حُمْرَ النَّعَمِ، ولوْ أُدْعَى (٧) به فى الإِسْلامِ لأَجَبْتُ».

قال ابنُ إسحاقَ (٨): وحَدَّثَنى يزيدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أسامةَ بنِ الهَادِى اللَّيْثِيُّ، أنَّ محمدَ (٩) بنَ إبراهيمَ بنِ الحارثِ التَّيْمِيَّ حدَّثه، أنه كان بينَ الحسينِ بنِ علىٍّ ابنِ أبى طالبٍ، وبينَ الوليدِ بنِ عُتْبَةَ بنِ أبى سفيانَ - والوليدُ يومئذٍ أميرُ المدينةِ، أَمَّرَه عليها عمُّه معاويةُ بنُ أبى سفيانَ - مُنازَعَةٌ فى مالٍ كان بينَهما بذى

(١ - ١) فى الأصل: «إلى».
(٢) بعده فى الأصل، م: «عبد».
(٣) بعده فى م، ص: «بنو».
(٤) سيرة ابن هشام ١/ ١٣٤.
(٥) بعده فى الأصل: «بن قيقد».
(٦) سقط من النسخ. والمثبت من السيرة. وانظر تهذيب الكمال ٢٥/ ٢٣٠.
(٧) فى ا ٩، م: «دعى».
(٨) سيرة ابن هشام ١/ ١٣٤، ١٣٥.
(٩) فى ص: «حماد».

المَرْوَةِ[1] ، فكان الوليدُ تحَامَلَ على الحسينِ فى حقِّه لسُلطانِه ، فقال له الحسينُ : أحلِفُ باللَّهِ ، لتُنْصِفَنِّى مِن حقِّى ، أو لآخُذَنَّ سيفِى ، ثُم لأَقُومَنَّ فى مسجدِ رسُولِ اللَّهِ ﷺ ، ثُم لأَدْعُوَنَّ بحِلْفِ الفُضولِ . قال : فقال عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ - وهو عندَ الوليدِ حينَ قال له الحسينُ ما قال - : وأنا أحلِفُ باللَّهِ لَئِنْ دَعَا به ، لآخُذَنَّ سَيْفى ، ثُم لأَقُومَنَّ معه ، حتى يُنْصَفَ مِن حَقِّه أو نموتَ جميعًا . قال : وبَلَغتِ المِسْوَرَ بنَ مَخْرَمَةَ بنِ نَوْفَلٍ الزُّهْرِىَّ ، فقال مِثْلَ ذلك . وبلغتْ عبدَ الرحمنِ بنَ عثمانَ بنِ عُبيدِ اللَّهِ التَّيْمِىَّ ، فقال مثلَ ذلك . فلمّا بلغ ذلك الوليدَ ابنَ عُتبةَ ، أَنصفَ الحسينَ مِن حقِّه ، حتى رَضِىَ .

---

(١) ذو المروة : قرية بوادى القرى ، وقيل : بين خشب ووادى القرى .

(1) فصلٌ فى (1) تزويجه، عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، خديجةَ بنتَ خُوَيْلدٍ

قال ابنُ إسحاقَ(2) : وكانت خديجةُ بنتُ خُوَيلدٍ امْرأةً تاجِرةً، ذاتَ شَرَفٍ ومالٍ، تَستأجِرُ الرِّجالَ على مالِها مُضارَبَةً، فلمَّا بلَغَها عن رسولِ اللَّهِ ﷺ، ما بلَغَها؛ مِن صِدْقِ حديثِه، وعِظَمِ أمانتِه، وكَرَمِ أخلاقِه، بعثَتْ إليه، فعَرَضَتْ عليه أن يَخْرُجَ لها فى مالِها تاجرًا إلى الشامِ، وتُعْطِيَه أفضلَ ما تُعْطِى غيرَه مِن التُّجّارِ، مع غُلامٍ لها يقالُ له: مَيْسَرةُ. فقَبِلَه رسولُ اللَّهِ ﷺ، مِنها، وخرَجَ فى مالِها ذلك، وخرَج معه غلامُها مَيْسَرةُ، حتى نَزَلَ الشّامَ، فنزَل رسولُ اللَّهِ ﷺ، فى ظلِّ شَجَرَةٍ، قريبًا مِن صَوْمَعَةِ راهبٍ مِن الرُّهْبانِ، فاطَّلَع الرّاهِبُ إلى مَيْسَرَةَ، فقال: مَن هذا الرَّجلُ الذى نزلَ تحتَ الشَّجَرَةِ؟ فقال له(3) مَيْسَرَةُ: هذا رَجُلٌ مِن قريشٍ مِن أهلِ الحَرَمِ. فقال له الرّاهبُ: ما نزلَ تحتَ هذه الشَّجَرةِ قطُّ(4) إلّا نبيٌّ. ثُم باع رسولُ اللَّهِ ﷺ، سِلْعَته - يَعْنِى تِجارَتَه - التى خرَج [٢/٢٥ ظ] بها، واشْتَرَى ما أرادَ أن يَشْتَرِىَ، ثُم أَقْبَلَ قافِلًا إلى مكةَ ومعه مَيْسَرَةُ، فكان مَيْسَرَةُ - فيما يَزْعُمون - إذا كانتِ الهاجِرَةُ واشْتَدَّ الحَرُّ، يَرَى

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) سيرة ابن إسحاق من ص ٥٩ - ٦١، وسيرة ابن هشام ١/ ١٨٧.

(٣) سقط من: الأصل، ا ٩، م.

(٤) سقط من: م.

مَلَكَيْنِ يُظِلّانه مِن الشمسِ ، وهو يَسِيرُ على بَعِيرِه ، فلمّا قَدِم مَكَّةَ على خديجةَ بمالِها ، باعتْ ما جاء به فأَضْعَفَ أو قريبًا ، وحدَّثها مَيْسَرَةُ عن قولِ الرّاهبِ ، وعمّا كان يَرَى مِن إظْلَالِ المَلَكَيْنِ[1] إيّاه ، وكانت خديجةُ امرأةً حازِمَةً شَرِيفَةً لَبِيبَةً ، مع ما أراد اللَّهُ بها مِن كرامَتِها ، فلمّا أَخْبَرَها مَيْسَرةُ بما أخْبَرَها ، بَعَثَتْ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقالتْ له - فيما يَزْعُمون - : يا بنَ عمٍّ ، إنِّى قد رَغِبْتُ فيكَ لِقَرابَتِكَ ، وسِطَتِك فى قومِك ، وأمانتِك ، وحُسْنِ خُلُقِكَ ، وصِدْقِ حديثِك . ثُم عرَضَتْ نفسَها عليه ، وكانت أَوْسَطَ نِساءِ قريشٍ نَسَبًا ، وأَعْظَمَهُنَّ شَرَفًا ، وأَكْثَرَهُنَّ مالًا ، كلُّ قومِها كان حريصًا على ذلك مِنها لو يَقْدِرُ عليه ، فلما قالت ذلك لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، ذَكَر ذلك لأعمامِه ، فخرَجَ معه عمُّه حَمْزَةُ حتى دخَل على خُوَيلِدِ بنِ أَسَدٍ ، فخَطَبها إليه ، فتَزَوَّجها ، عليه الصلاةُ والسلامُ .

قال ابنُ هشامٍ[2] : فأَصْدَقَها عشرينَ بَكْرَةً ، وكانت أَوّلَ امرأةٍ تَزَوَّجها ، ولم يَتَزَوَّجْ عليها غَيْرَها حتى ماتت .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : فوَلَدتْ لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، ولَدَه كلَّهم - إلَّا إبراهيمَ - : القاسِمَ ، وكان به يُكْنَى ، والطَّيِّبَ والطَّاهِرَ[4] ، وزينبَ ، ورُقَيَّةَ ، وأُمَّ كُلْثُومٍ ، وفَاطمةَ .

---

(١) فى م : « الملائكة » .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ١٩٠.

(٣) سيرة ابن إسحاق ص ٦١، وسيرة ابن هشام ١/ ١٩٠.

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ١٩٠.

قال ابنُ هشامٍ[1] : أكبرُهم القاسِمُ ، ثُم الطَّيِّبُ ، ثُم الطَّاهرُ ، وأكبرُ بناتِه رُقَيَّةُ ، ثُم زينبُ ؛ ثُم أمُّ كُلْثومٍ ، ثُم فاطمةُ .

قال البَيْهَقِيُّ[2] ، عن الحاكمِ : قَرَأْتُ بخَطِّ أبى بكرِ بنِ أبى خَيْثَمَةَ : حدَّثنا مُصْعَبُ بنُ عبدِ اللَّهِ الزُّبَيْرِيُّ قال : أكبرُ ولدِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، القاسمُ ، ثُم زينبُ ، ثُم عبدُ اللَّهِ ، ثُم أمُّ كُلْثُومٍ ، ثُم فاطمةُ ، ثُم رُقَيَّةُ . وكان أولَ مَن مات مِن وَلَدِه القاسمُ ، ثُم عبدُ اللَّهِ . وبلغتْ خديجةُ خَمْسًا وستِّين سَنَةً ، ويقالُ : خَمسين . وهو أصحُّ . وقال غيرُه[3] : بلغ القاسمُ أن يَرْكَبَ الدَّابَّةَ والنَّجِيبَةَ[4] ، ثُم ماتَ بَعْدَ النُّبُوَّةِ . وقيل : مات وهو رضيعٌ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ لَهُ مُرْضِعًا فِى الْجَنَّةِ يَسْتَكْمِلُ رَضَاعَه »[5] . والمعروفُ أنَّ هذا فى حقِّ إبراهيمَ .

وقال يونُسُ بنُ بُكَيْرٍ[6] : حدثنا إبراهيمُ بنُ عثمانَ عن [7]الحكَمِ ، عن[7] مِقْسَمٍ[8] ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : ولَدَتْ خديجةُ لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، غلامَيْنِ ، وأربعَ نِسْوةٍ ؛ القاسمَ ، وعبدَاللَّهِ ، وفاطمةَ ، وأُمَّ كُلْثومٍ ، وزينبَ ، ورُقَيَّةَ . وقال

---

(١) يشعر السياق هنا أن الطيب والطاهر اسمان ، وهما لقبان لعبد الله . راجع الروض الأنف ٢/ ٢٤٣، وزاد المعاد ١/ ١٠٣.

(٢) الدلائل للبيهقى ٢/ ٧٠، ٧١.

(٣) الدلائل للبيهقى ٢/ ٦٩.

(٤) النجيبة : خيار الإبل .

(٥) ذكره السهيلى فى الروض الأنف ٢/ ٢٤٣. وعزاه للفريابى فى مسنده .

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/١٤٠ ، عن يونس بن بكير به .

(٧ - ٧) سقط من : م .

(٨) فى الأصل ، م : « القاسم » .

الزُّبَيْرُ بنُ بَكَّارٍ[1] : عبدُ اللَّهِ هو الطَّيِّبُ وهو الطَّاهِرُ ، سُمِّىَ بذلك ؛ لأنَّه وُلِد بعدَ النُّبوَّةِ . [2]قال ابنُ إسحاقَ[3] : فأمَّا القاسمُ والطَّيِّبُ والطَّاهِرُ[2] فماتوا قبلَ البِعْثَةِ ، وأما بناتُه فأدرَكْنَ البِعثةَ ، ودَخَلْنَ فى الإِسلامِ وهاجَرْنَ معه ﷺ . قال ابنُ هشامٍ[4] : وأما إبراهيمُ فمِن ماريةَ القِبْطِيَّةِ ، التى أهداها له المُقَوْقِسُ صاحبُ إسكَنْدَرِيَّةَ [5]مِن حَفْنٍ[6][5] مِن كُورَةِ أَنْصِنا[7] ، وسنتكلَّمُ على أزواجِه [٢/٢٦و] وأولادِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، فى بابٍ مُفْرَدٍ لذلك ، فى آخرِ السيرةِ ، إن شاء اللَّهُ تعالى ، وبه الثِّقةُ .

قال ابنُ هشامٍ[8] : وكان عمُرُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، حينَ تَزَوَّجَ خديجةَ ، خمسًا وعشرينَ سنةً ، فيما حدَّثنى غيرُ واحدٍ مِن أهلِ العلمِ ؛ عن[9] أبى عمرٍو المَدَنِىِّ . وقال يعقوبُ بنُ سُفْيانَ[10] : كتبتُ عن إبراهيمَ بنِ المُنذِرِ ، حدَّثنى عمرُ بنُ أبى بكرٍ المَوْصِلىُّ[11] ، حدَّثنى غيرُ واحدٍ أن عمرَو بنَ أسَدٍ زَوَّجَ خديجةَ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وعمرُه خمسٌ وعشرون سنةً ، وقريشٌ تَبْنى

---

(١) أخرج قوله ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ١٣١ .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ا ٩ ، م .

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ١٩٠.

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ١٩١.

(٥ - ٥) سقط من : م ، ص .

(٦) حفن : قرية من قرى الصعيد ، وقيل : ناحية من نواحى مصر .

(٧) أنصنا : مدينة من نواحى الصعيد على شرقى النيل .

(٨) سيرة ابن هشام ١/ ١٨٧.

(٩) فى النسخ : « منهم » . والمثبت من سيرة ابن هشام ١/ ١٨٧.

(١٠) المعرفة والتاريخ ٣/ ٣٢٦.

(١١) فى : الأصل ، م ، ص : « المؤملى » . وهو كذلك فى المعرفة والتاريخ . والمثبت من مصادر ترجمته . وانظر لسان الميزان ٤/ ٢٨٧.

الكعبةَ . وهكذا نقَل البَيْهقيُّ[1] ، عن الحاكمِ ، أنَّه كان عمرُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، حينَ تزوَّجَ خديجةَ خمسًا وعشرينَ سنةً ، وكان عمرُها ، إذ ذاك ، خمسًا وثلاثين . وقيل : خمسًا وعشرينَ سنةً .

وقال البَيْهَقِيُّ[2] : بابُ ما كانَ يَشْتَغِلُ به رسولُ اللَّهِ ﷺ ، قَبْلَ أن يَتزوَّجَ خديجةَ :

أخبَرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أخبَرَنا أبو بكرِ بنُ عبدِ اللَّهِ ، أخبَرَنا الحسنُ بنُ سفيانَ ، حدَّثنا سُوَيْدُ بنُ سعيدٍ ، حدَّثنا عمرُو بنُ[3] يَحْيَى بنِ سعيدٍ القُرشيُّ ، عن جَدِّه سعيدٍ ، عن أبي هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَاعِيَ غَنَمٍ » . فقال له أصحابُه : وأنت يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « وأنا رَعَيْتُها لِأَهْلِ مَكَّةَ بِالْقَرَارِيطِ » . رواه البخاريُّ[4] ، عن أحمدَ بنِ محمدٍ المكِّيِّ ، عن (5)عمرِو بنِ(5) يَحْيَى به . ثُم رَوَى البيهقيُّ[6] ، مِن طريقِ الرَّبيعِ بن بَدْرٍ ، وهو ضعيفٌ ، عن أبي الزُّبيرِ ، عن جابرٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ، ﷺ : « آجَرْتُ نَفْسِي مِن خَدِيجَةَ سَفْرَتَيْنِ بِقَلُوصٍ » . وروى البيهقيُّ[7] ، مِن طريقِ حمّادِ بنِ سَلَمةَ ، عن عليِّ بنِ زيدٍ ، عن عمّارِ بنِ أبي عمّارٍ ، عن ابنِ عباسٍ ؛ أنَّ أبا خَدِيجةَ زَوَّجَ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، وهو - أظنُّه قال - سَكْرانُ . ثُم قال

---

(1) الدلائل للبيهقى ٢/ ٧٢.

(2) المصدر السابق ٢/ ٦٥.

(3) بعده في : الأصل ، م ، ص : « أبى » . وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٢٩٤.

(4) البخارى (٢٢٦٢) .

(٥ - ٥) سقط من : ص .

(6) الدلائل للبيهقى ٢/ ٦٥، ٦٦.

(7) المصدر السابق ٢/ ٧٣.

البَيْهقيُّ[1] : أخبرَنَا أبو الحُسينِ بنُ الفَضْلِ القَطَّانُ ، أنا عبدُ اللَّهِ بنُ جَعْفرٍ ، حدَّثنا يعقوبُ بنُ سفيانَ ، قال : حدَّثنى إبراهيمُ بنُ المنذرِ ، حدَّثنى عُمَرُ بنُ أبى بكرٍ المَوْصِلِىُّ[2] ، حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى عُبَيْدَةَ[3] بنِ محمدِ بنِ عمَّارِ ابنِ ياسرٍ ، عن أبيهِ ، عن مِقْسَمٍ[4] أبى القاسمِ مَوْلَى عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ بنِ نَوْفَلٍ ؛ أنَّ عبدَ اللَّهِ بنَ الحارثِ حدَّثه ، أنَّ عمَّارَ بنَ ياسرٍ كان إذا سمِعَ ما يَتَحَدَّثُ به الناسُ عن تزويجِ رسولِ اللَّهِ ﷺ خَدِيجةَ ، وما يُكْثِرُون فيه ، يَقُولُ : أنا أعْلَمُ الناسِ بِتَزْوِيجِه إيَّاها ، إنِّى كنتُ له تِرْبًا ، وكنتُ له إلْفًا وخِدْنًا[5] ، وإنِّى خَرجْتُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ذاتَ يومٍ ، حتَّى إذا كُنَّا بالحَزْوَرَةِ[6] أجَزْنا على أُخْتِ خَدِيجةَ ، وهى جالسةٌ على أَدَمٍ تَبِيعُها ، فنادتْنِى فانْصَرفتُ إليها ، ووَقَف لى رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقالت : أما بصاحِبِك هذا مِن حاجةٍ فى تزويجِ خديجةَ ؟ قال عَمَّارٌ : فرَجَعْتُ إليهِ فأخبرتُه ، فقال : « بَلَى لَعَمْرِى » . فذكرتُ لها قولَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقالت : اغدُوَا علينا ، إذا أصبَحْنا . فغَدَوْنا عليهم ، فوجَدْنَاهم قد ذَبَحوا بَقَرةً وألْبَسوا أبا خَدِيجةَ حُلَّةً ، وصُفِّرتْ لحيَتُه ، وكلَّمتُ أخَاها ، فكلَّم أباه ، وقد سُقِىَ خَمْرًا ، فَذُكِرَ له

---

(١) المصدر السابق ٢/ ٧١، ٧٢. قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٩/ ٢٢١: فيه عمر بن أبى بكر ، وهو متروك .

(٢) فى الأصل ، م ، ص : « المؤملى » . وفى ا ٩: « الديلى » . والمثبت من الدلائل .

(٣) فى النسخ : « عبيد » . والمثبت من الدلائل . وانظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٤٦٢.

(٤) بعده فى : الأصل ، م : « بن » .

(٥) الخدن : الصديق .

(٦) الحزورة : كانت سوق مكة ، ودخلت فى المسجد لما زيد .

رسولُ اللَّهِ ﷺ ، و[1] مكانُه ، وسَأَله[2] أن يُزَوِّجَه ، فزوَّجَه خديجةَ ، وصَنَعوا مِن البقرةِ طعامًا ، فأَكَلْنا منه ، ونام أبوها ، ثُم اسْتَيقَظَ صاحِيًا ، فقال : ما هذه الحُلَّةُ ، وهذه[3] النَّقِيعةُ[4] ، وهذا الطَّعامُ ؟ فقالتْ له ابنتُه التى كانت قد كلَّمتْ عَمَّارًا : هذه حُلَّةٌ كَساكَها محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، خَتَنُك ، وبقرةٌ أَهْداها لك ، فذَبَحْنَاها حينَ زوَّجْتَه خَدِيجةَ . فأنْكَر أن يَكُونَ زوَّجَه ، وخَرَج يَصِيحُ حتى جاء الحِجْرَ ، وخرج بنو هاشمٍ برسولِ اللَّهِ ﷺ ، فجاءُوه فكَلَّموه ، فقال : أين صاحِبُكم الذى[5] تَزْعُمونَ أنِّى زوَّجتُه خَدِيجةَ ؟ فبرَز له رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فلمّا نَظَرَ إليه ، قال : إن كنتُ زوَّجتُه ، فسبيلُ ذاك ، وإن لم أَكُنْ فعلتُ ، فقد زوَّجتُه .

وقد ذكَر الزُّهرىُّ فى « سِيَرِه » ، أنَّ أباها زوَّجها منه ، وهو سَكْرانُ ، وذكَر نحوَ ما تقدَّم . حكاه السُّهَيْلِىُّ[6] . قال المَوْصِلِىُّ[7] : المُجْتَمَعُ عليه ، أنَّ عَمَّها عَمرَو بنَ أَسَدٍ هو الذى زَوَّجها منه . وهذا هو الذى رَجَّحه السُّهَيْلِىُّ[8] . وحكاه عن ابنِ عباسٍ ، وعائشةَ ؛ قالت : وكان خُوَيْلِدٌ قد[9] مات قبلَ الفِجَارِ ،

---

(١) سقط من : ص .

(٢) فى الأصل ، م : « سألته » .

(٣) فى م : « وما هذه » .

(٤) فى الأصل ، م : « الصفرة » . والنقيعة : طعام للرجل ليلة عرسه .

(٥) فى الأصل ، ص : « الذين » .

(٦) فى الروض الأنف ٢/ ٢٣٩، ٢٤٠.

(٧) فى النسخ : « المؤملى » . والمثبت من الدلائل للبيهقى ٢/ ٧٢. حيث عاد المصنِّف هنا إلى سياق ما رواه البيهقى ، بعد أن ذكر ما حكاه السهيلى .

(٨) رجحه السهيلى فى الروض الأنف ٢/ ٢٣٨. وحكاه عن ابن عباس وعائشة ٢/ ٢٣٩. وانظر أيضًا تاريخ الطبرى ٢/ ٢٨٢.

(٩) سقط من : م .

وهو الذى نازعَ تُبَّعًا ، حينَ أراد أَخْذَ الحَجَرِ الأَسْودِ إلى اليمنِ ، فقام فى ذلك خُوَيْلِدٌ ، وقام معه جماعةٌ مِن قريشٍ ، ثُم رَأَى تُبَّعٌ فى منامِه ما رَوَّعَه ، فنَزَعَ عن ذلك ، وتَرَكَ الحَجَرَ الأَسوَدَ مكانَه .

وذكَر ابنُ إسحاقَ[1] فى آخرِ « السِّيرةِ » : أنَّ أخاها عمرَو بنَ خُوَيْلِدٍ ، هو الذى زوَّجها رسولَ اللَّهِ ﷺ . فاللَّهُ أعلمُ .

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/ ٦٤٣.

فَصْـلٌ

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وقد كانتْ خديجةُ بنتُ خُوَيْلِدٍ ذَكَرتْ لِورقةَ بنِ نوفَلِ ابنِ أَسَدِ بنِ عبدِ العُزَّى بنِ قُصَىٍّ - وكان ابنَ عمِّها ، وكان نَصرانِيًّا قد تَتَبَّعَ الكُتُبَ ، وعَلِمَ مِن عِلْمِ النَّاسِ - ما ذَكَرَ لها غلامُها مِن قولِ الرَّاهبِ ، وما كان يَرَى منه إذْ كان المَلَكانِ يُظِلَّانِه ، فقال ورقةُ : لَئِنْ كان هذا حقًّا يا خَدِيجةُ ؛ إنَّ محمدًا لَنبيُّ هذِه الأُمَّةِ ، قد عرَفْتُ أنَّه كائنٌ لهذه الأُمَّةِ نبىٌّ يُنْتَظَرُ ، هذا زمانُه . أو كما قال . فجعَلَ وَرَقَةُ يَسْتَبْطِئُ الأَمْرَ ، ويَقُولُ : حتَّى متَى[2] ؟ وقال فى ذلك :

لَجِجْتُ وكنتُ فى الذِّكرَى لَجُوجَا	لِهَمٍّ طالَمَا[3] بعَثَ النَّشِيجَا[4]
وَوَصْفٍ مِنْ خَدِيجَةَ بَعْدَ وَصْفٍ	فَقَدْ طَالَ انْتِظَارِى يا خَدِيجَا
بِبَطْنِ المَكَّتَيْنِ على رَجَائِى	حَدِيثَكِ أن أَرَى مِنْهُ خُروجَا
بِمَا خَبَّرْتِنَا مِنْ قَوْلِ قَسٍّ	مِنَ الرُّهْبَانِ أَكْرَهُ أن يَعُوجَا
بأَنَّ محمدًا سَيَسُودُ فِينا[5]	وَيَخْصِمُ مَنْ يَكُونُ له حَجِيجَا

---

(١) المصدر السابق ١/ ١٩١.

(٢) فى ص : « مات » .

(٣) بعده فى النسخ : « ما » . والمثبت من سيرة ابن هشام ١/ ١٩١.

(٤) النشيج : البكاء مع صوت .

(٥) فى الأصل ، م ، ص : « قوما » . وفى ا ٩: « يوما » .

وَيُظْهِرُ فى البِلَادِ ضِيَاءَ نُورٍ يُقِيمُ[1] بِهِ البَرِيَّةَ أَنْ تَمُوجَا[2]

فَيَلْقَى مَنْ يُحَارِبُهُ خَسَارًا وَيَلْقَى مَنْ يُسَالِمُه فُلُوجَا[3] [٢٧/٢و]

فيا لَيْتِى إِذَا مَا كَانَ ذَاكُمْ شَهِدْتُ وَكُنْتُ أَوَّلَهُمْ وُلُوجَا

وُلُوجًا فِى الَّذِى كَرِهَتْ قُرَيْشٌ وَلَوْ عَجَّتْ بِمَكَّتِهَا عَجِيجَا[4]

أُرَجِّىَ بِالَّذِى كَرِهُوا جَمِيعًا إِلَى ذِى الْعَرْشِ إِنْ سَفَلُوا عُرُوجَا

وَهَلْ أَمْرُ السَّفَالَةِ غَيْرُ كُفْرٍ بِمَنْ يَخْتَارُ مَنْ سَمَكَ الْبُرُوجَا

فَإِنْ يَبْقَوْا وَأَبْقَ يَكُنْ أُمُورٌ يَضِجُّ الْكَافِرُونَ لَهَا ضَجِيجَا

وَإِنْ أَهْلِكْ فَكُلُّ فَتَى سَيَلْقَى مِنَ الأَقْدَارِ مَتْلَفَةً حَرُوجَا[5]

وقال ورقةُ أيضًا، فيما روَاه يُونُسُ بنُ بُكَيرٍ، عن ابنِ إسحاقَ[6] عنه:

أَتُبْكِرُ أَمْ أَنْتَ العَشِيَّةَ رَائِحُ وَفِى الصَّدْرِ[7] مِنْ إِضْمَارِكَ الحُزْنَ قَادِحُ

لِفُرْقَةِ قَوْمٍ لَا أُحِبُّ فِرَاقَهُمْ كَأَنَّكَ عَنْهُمْ بَعْدَ يَوْمَيْنِ نَازِحُ

وَأَخْبَارِ صِدْقٍ خَبَّرَتْ عَنْ مُحَمَّدٍ يُخَبِّرُهَا عَنْهُ إِذَا غَابَ نَاصِحُ

---

(١) فى الأصل، م: «يقوم».

(٢) تموج: تضطرب.

(٣) الفلوج: الظهور على الخصم والعدو.

(٤) عجت: ارتفعت أصواتها.

(٥) فى الأصل، م، ص: «خروجا». ومتلفة حروجا، أى متلفة ذات حرج. والحرج هو أضيق الضيق.

(٦) سيرة ابن إسحاق ص ٩٤، ٩٥.

(٧) فى الأصل: «الحزن».

فَتاكِ[1] الذى وَجَّهتِ يا خَيْرَ حُرَّةٍ بِغَوْرٍ[2] وبِالنَّجْدَيْنِ[3] حَيْثُ الصَّحَاصِحُ[4]

إلى سُوقِ بُصْرَى فى[5] الرِّكَابِ الَّتِى غَدَتْ وَهُنَّ مِنَ الأَحْمالِ قُعْصٌ[6] دَوَالِحُ[7]

فَيُخْبِرُنَا عَنْ كُلِّ خَيْرٍ بِعِلْمِهِ وَلِلْحَقِّ أَبْوَابٌ لَهُنَّ مَفَاتِحُ

بِأَنَّ ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ مُرْسَلٌ إِلَى كُلِّ مَنْ ضُمَّتْ عَلَيْهِ الأَبَاطِحُ[8]

وَظَنِّى بِهِ أَنْ سَوْفَ يُبْعَثُ صَادِقًا كما أُرسِلَ العَبْدَانِ هُودٌ وَصَالِحُ

وَمُوسَى وَإِبْرَاهِيمُ حَتَّى يُرَى لَهُ بَهَاءٌ وَمَنْشُورٌ مِنَ الذِّكْرِ وَاضِحُ

وَيَتْبَعُه حَيَّا لُؤَىٍّ وغالبٍ شَبَابُهُمْ وَالأَشْيَبُونَ الجَحَاجِحُ[9]

فَإِنْ أَبْقَ حَتَّى يُدْرِكَ النَّاسَ دَهْرُهُ فإِنِّى به مُسْتَبْشِرُ الوُدِّ فَارِحُ

وَإِلَّا فَإِنِّى يَا خَدِيجَةُ فاعْلَمِى عَنَ ارْضِكِ فى الأَرْضِ العَرِيضَةِ سَائِحُ

وزاد الأُمَوِىُّ :

---

(١) فى الأصل ، ا ٩، ص : « فذاك » . وفى م : « أتاك » . والمثبت من سيرة ابن إسحاق .

(٢) غور : ما بين ذات عرق إلى البحر ، وكل ما انحدر مغربا عن تهامة ، وموضع بديار بنى سليم .

(٣) النجدين : تثنية نجد ، والنجد : قِفاف الأرض وصلابتها وما غلظ منها وأشرف . وقيل : نجد هو اسم للأرض العريضة التى أعلاها تهامة واليمن ، وأسفلها العراق والشام . انظر معجم البلدان ٤/ ٧٤٥، ٧٤٦.

(٤) الصحاصح : جمع صحصح ، الأرض الجرداء المستوية .

(٥) فى الأصل ، ا ٩، ص : « و » .

(٦) القعص : الموت السريع .

(٧) دَوالِح من دَلَح : أى مشى بحمله منقبض الخطو لثقله .

(٨) الأباطح : جمع أبطح ، وهو المكان المتسع يمر به السيل ، فيترك فيه الرمل والحصى الصغار .

(٩) الجحاجح : جمع جَحْجَح وجَحْجاح ، وهو السيِّد .

فَمُتَّبِعٌ دِينَ الَّذِى أَسَّسَ الْبِنَا وَكَانَ لَهُ فَضْلٌ عَلَى النَّاسِ رَاجِحُ

وَأَسَّسَ بُنْيَانًا بِمَكَّةَ ثَابِتًا تَلَأْلَأُ فِيهِ بِالظَّلَامِ الْمَصَابِحُ

مَثَابًا[1] لِأَفْنَاءِ[2] الْقَبَائِلِ كُلِّهَا تَخُبُّ[3] إِلَيْهِ الْيَعْمَلَاتُ[4] الطَّلَائِحُ[5]

حَرَاجِيجُ[6] أَمْثَالُ الْقِدَاحِ[7] مِنَ السُّرَى[8] يُعَلَّقُ فِى أَرْسَاغِهِنَّ السَّرَايِحُ[9]

وِمن شِعْرِه، فيما أوردَه أبو القاسمِ السُّهَيْلِيُّ فى «رَوْضِه»[10]:

لَقَدْ نَصَحْتُ لِأَقْوَامٍ وَقُلْتُ لَهُمْ أَنَا النَّذِيرُ فَلَا يَغْرُرْكُمْ أَحَدُ

لَا تَعْبُدُنَّ إِلَهًا غَيْرَ خَالِقِكُمْ فَإِنْ دَعَوْكُمْ فَقُولُوا بَيْنَنَا حَدَدُ[11]

سُبْحَانَ ذِى الْعَرْشِ سُبْحَانًا يَدُومُ لَه[12] وَقَبْلَنَا سَبَّحَ الْجُودِىُّ وَالْجُمُدُ

مُسَخَّرٌ كُلُّ مَا تَحْتَ السَّمَاءِ لَهُ لا يَنْبَغِى أَنْ يُنَاوِى مُلْكَهُ أَحَدُ

[٢٧/٢ ظ] لَا شَىْءَ مِمَّا تَرَى تَبْقَى بَشَاشَتُهُ يَبْقَى الإِلَهُ وَيُودِى المَالُ وَالْوَلَدُ

---

(١) المثاب: البيت، والملجأ، ومجتمع الناس.

(٢) الأفناء من الناس: الأخلاط لا يُدرى من أىّ قبيلة هم.

(٣) تخبّ: تعدو.

(٤) اليعملات: جمع يَعْمَلَة، وهى الناقة النجيبة.

(٥) الطلائح: جمع طليح، وهو المُعْيى والمهزول والمجهود.

(٦) الحراجيج: جمع حُرْجُوج وحُرْجِيج، وهى الناقة الطويلة.

(٧) القداح: جمع قِدْح، وهو السهم قبل أن يُنصَّل ويُراش.

(٨) السُّرى: السير عامة الليل.

(٩) السرائح: نعال الإبل. وقيل: سيور نعالها.

(١٠) الروض الأنف ٢/ ٢٥٠.

(١١) فى الروض: «جدد»، والحَدَد، من الحد، وهو المنع، قال البغدادى فى الخزانة ٣٨٩/٣: أى نمنع أنفسنا من عبادة إله غير الله.

(١٢) سقط من: ص.

لم تُغْنِ عَنْ هُرْمُزٍ يَوْمًا خزائِنُه ... وَالخُلْدَ قَدْ حَاوَلَتْ عَادٌ فَمَا خَلَدُوا

وَلَا سُلَيْمَانُ إِذ تَجْرِى الرِّيَاحُ بِهِ ... وَالجِنُّ والإِنْسُ فِيمَا بَيْنَها مَرَدُ

أينَ المُلُوكُ الَّتِى كَانَتْ لِعِزَّتِهَا ... مِنْ كُلِّ أَوْبٍ إِلَيْهَا وَافِدٌ يَفِدُ

حَوْضٌ هُنَالِكَ مَوْرُودٌ بِلَا كَذِبٍ ... لَا بُدَّ مِنْ وِرْدِهِ يَوْمًا كما وَرَدُوا

ثُم قال : هكذا نَسَبه أبو الفَرَجِ[1] إلى وَرَقَةَ . قال[2] : وفيه أبياتٌ تُنْسَبُ إلى أُمَيَّةَ بنِ أبى الصَّلْتِ .

قُلْتُ : وقد رُوِّينَا عن أميرِ المؤمنينَ عمرَ بنِ الخطَّابِ ، رَضِى اللَّهُ عنه ، أنَّه كان يَستشْهِدُ فى بَعْضِ الأَحْيَانِ بشىءٍ مِن هذِه الأبياتِ . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) يعنى أبا الفرج الأصفهانى ، فى كتابه الأغانى ٣/ ١٢١.

(٢) القائل هو السهيلى .

فَصْلٌ فى تَجديدِ قريشٍ بِناءَ الكعبةِ قبلَ المَبْعَثِ بخمسِ سنينَ

ذَكَرَ البَيْهَقِيُّ[(١)] بِناءَ الكعبةِ قبلَ تزويجِه ، عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ ، خَدِيجةَ . والمشهورُ أنَّ بِناءَ قريشٍ الكعبةَ بعدَ تزويجِ خَدِيجةَ ، كما ذكَرْناه ، بعَشْرِ سنينَ . ثُم شَرَعَ البَيْهَقِيُّ فى ذِكْرِ بِناءِ الكعبةِ فى زمنِ إبراهيمَ ، كما قدَّمْناه[(٢)] فى قِصَّتِه ، وأَوْرَد[(٣)] حديثَ ابنِ عباسٍ المُتَقَدِّمَ[(٤)] فى « صحيحِ البُخاريِّ » ، وذكَرَ[(٥)] ما ورَدَ مِن الإِسْرائيليَّاتِ فى بِنائِه فى زَمَنِ آدمَ ، ولا يَصِحُّ ذلك ؛ فإِنَّ ظاهِرَ القرآنِ يَقْتَضِى أنَّ إبراهيمَ أولُ مَن بناه مُبْتَدِئًا ، وأوَّلُ مَن أسَّسَه ، وكانت بُقْعَتُه مُعَظَّمَةً قبلَ ذلك ، مُعْتَنًى بها ، مُشَرَّفَةً فى سائرِ الأَعْصارِ والأَوْقاتِ . قال اللَّهُ تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ ﴾ [آل عمران : ٩٦، ٩٧] . وثَبَتَ فى « الصحيحين »[(٦)] ، عن أبى ذَرٍّ ، قال : قُلْتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، أىُّ مسجدٍ وُضِعَ أوَّلُ ؟ قال : « المَسْجِدُ الحَرَامُ » . قُلْتُ : ثُم أىٌّ ؟ قال : « المَسْجِدُ الأَقْصَى » . قلْتُ : كم بينَهما ؟ قال :

---

(١) الدلائل للبيهقى ٢/ ٤٣.

(٢) تقدم ١/٣٧٧ - ٣٨٣.

(٣) الدلائل للبيهقى ٢/٤٦ - ٥٢.

(٤) تقدم ١/٣٥٧ وما بعدها .

(٥) أى البيهقى فى الدلائل ٢/ ٤٤، ٤٥.

(٦) تقدم ٢/ ٣٤١.

« أَرْبَعُونَ سَنَةً » . وقد تَكَلَّمْنَا على هذا فيما تقدَّمَ ، وأنَّ المسجدَ الأقْصَى أسَّسَه إِسْرائِيلُ ، وهو يعقوبُ ، عليه السلامُ[1] . وفى « الصَّحِيحينْ »[2] : « إنَّ هذا البَلَدَ حَرَّمَه اللَّهُ يومَ خَلَقَ السماواتِ والأرضَ ، فهو حَرامٌ بحُرْمَةِ اللَّهِ إلى يومِ القيامةِ » . وقال البَيْهَقِيُّ[3] : أخبرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، حدَّثَنا أبو عبدِ اللَّهِ الصَّفَّارُ ، حدَّثَنا أحمدُ بنُ مِهْرانَ ، حدَّثَنا عُبَيْدُ اللَّهِ ، حدَّثَنا إِسْرائِيلُ ، عن أبى يَحْيَى ، عن مُجاهِدٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عَمرٍو ، قال : كان البيتُ قبلَ الأَرضِ بأَلْفَىْ سَنَةٍ ، ﴿ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴾ [الانشقاق : ٣] . قال : مِنْ تَحْتِه مَدًّا[4] . قال[5] : وقد تابعَه منصورٌ ، عن مُجاهِدٍ .

قلتُ : وهذا غريبٌ جدًّا ، وكأنَّه مِن الزَّامِلَتَيْنِ اللَّتَيْنِ أَصابَهما عبدُ اللَّهِ [٢/ ٢٨و] بنُ عمرٍو ، يومَ اليَرْمُوكِ ، وكان فيهما إسرائيلياتٌ ، يُحَدِّثُ منهما[6] ، وفيهما مُنكَراتٌ وغرائبُ .

ثُم قال البَيْهَقِيُّ[7] : أخبرَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أخبرَنا أبو جَعْفرٍ محمدُ بنُ محمدِ[8] بنِ عبدِ اللَّهِ البَغْدادِيُّ ، حدَّثَنا يَحْيَى بنُ عُثمانَ بنِ صالحٍ ، حدَّثَنا أبو

---

(١) تقدم ١/ ٤٥٣، ٤٥٤.

(٢) البخارى (٥٥٥٠) . مسلم (١٦٧٩) .

(٣) الدلائل للبيهقى ٢/ ٤٤. وأخرجه الحاكم فى المستدرك ٢/ ٥١٨.
قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ووافقه الذهبى .

(٤) فى ا ٩، م : « مدت » .

(٥) أى البيهقى .

(٦) فى ا ٩، م، ص : « منها » .

(٧) الدلائل للبيهقى ٢/ ٤٤، ٤٥.

(٨) بعده فى ا ٩، م، ص : « بن محمد » .

صالحٍ الجُهَنِىُّ ، حدَّثَنى ابنُ لَهِيعةَ ، عن يَزِيدَ ، عن[1] أبى الخَيْرِ ، عن عبدِ اللَّهِ ابنِ عمرِو بنِ العَاصِ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « بَعَثَ اللَّهُ جِبْرِيلَ إِلَى آدَمَ وَحَوَّاءَ ، فَقَالَ لَهُمَا : ابْنِيَا لِى بَيْتًا . فَخَطَّ لهما جِبْرِيلُ ، فجَعَلَ آدَمُ يَحْفِرُ ، وَحَوَّاءُ تَنْقُلُ ، حَتَّى أَجَابَه الماءُ ، نُودِىَ مِن تَحْتِهِ : حَسْبُكَ يَا آدَمُ . فَلَمَّا بَنَياه أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِ ، وَقِيلَ له : أنت أَوَّلُ النَّاسِ ، وَهَذَا أَوَّلُ بَيْتٍ . ثُمَّ تَنَاسَخَتِ القُرُونُ ، حتَّى حَجَّهُ نُوحٌ ، ثُمَّ تَنَاسَخَتِ الْقُرُونُ ، حَتَّى رَفَعَ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ منه » .

قال البَيْهَقِىُّ : تَفَرَّدَ به ابنُ لَهِيعةَ ، هكذا مرفوعًا .

قلتُ : وهو ضعيفٌ ، ووَقْفُه على عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو أقْوَى وأَثْبَتُ . واللَّهُ أعلمُ .

وقال الرَّبِيعُ[2] : أنبأَنا الشافعىُّ ، أنبأَنا سُفْيانُ ، عن ابنِ أبى لَبِيدٍ ، عن محمدِ ابنِ كعبٍ القُرَظِىِّ ، أو غيرِه ، قال : حَجَّ آدمُ ، فَلَقِيَتْهُ الملائِكَةُ ، فقالوا : بُرَّ نُسُكُكَ يا آدَمُ ، لقد حَجَجْنا قبلَكَ بألْفَىْ عامٍ .

وقال يُونسُ[3] بنُ بُكَيْرٍ ، عن ابنِ إسحاقَ : حدَّثنى بَقِيَّةُ ، أو قال : ثِقَةٌ ، مِن أهلِ المدينةِ ، عن عُرْوَةَ بنِ الزبيرِ ، أنَّه قال : ما مِن نبىٍّ إلَّا وقد حَجَّ البيتَ ، إلَّا ما كان مِن هودٍ وصالحٍ .

---

(١) فى النسخ : « بن » . والمثبت من الدلائل . وانظر تهذيب الكمال ٣٢/ ١٠٢.

(٢) ومن طريق الربيع ، أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٤٥.

(٣) ومن طريق يونس ، أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٤٥، ٤٦.

قلتُ : وقد قدَّمْنا حَجَّهما إليه . والمقصودُ الحجُّ إلى مَحَلِّهِ وبُقْعَتِه ، وإن لم يَكُنْ ثَمَّ بِنَاءٌ . واللَّهُ أعلمُ . ثُم أَوْرَد البَيْهَقِيُّ[1] حَديثَ ابنِ عبّاسٍ المتقدِّمَ ، فى قصةِ إبراهيمَ ، عليهِ السَّلامُ ؛ بِطُولِه وتَمامِه ، وهو فى « صحيحِ البخاريِّ » . ثُم رَوَى البَيْهَقِيُّ[2] ، مِن حديثِ سِمَاكِ بنِ حَرْبٍ ، عن خالدِ بنِ عَرْعَرَةَ ، قال : سأَل رجلٌ عليًّا عن قولِه تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٦] ؛ أهو أَوَّلُ بيتٍ بُنِىَ فى الأَرْضِ ؟ قال : لَا ، ولكنَّه أولُ بيتٍ وُضِعَ فيه البَرَكةُ[3] ، والهُدَى ، ومَقامُ إبراهيمَ ، ومَن دخَلَه كان آمِنًا ، وإنْ شِئتَ نبَّأْتُك كيف بِناؤُه ؛ إنَّ اللَّهَ تعالى أَوْحَى إلى إبراهيمَ : أنِ ابنِ لى بيتًا فى الأرضِ ، فضاقَ به ذَرْعًا ، فأَرْسَلَ إليه السَّكينةَ ، وهى رِيحٌ خَجُوجٌ[4] ، لها رأسٌ ، فاتَّبَع أحدُهما صاحبَه ، حتَّى انتهتْ ، ثُم تطوَّقَتْ فى مَوْضِعِ البيتِ تَطَوُّقَ الحيَّةِ ، فبنَى إبراهيمُ ، حتَّى إذا[5] بلَغَ مكانَ الحَجَرِ ، قال لابنِهِ : أبْغِنِى حَجَرًا . فالتمسَ حجَرًا ، حتّى أَتاه به ، فوجَدَ الحَجَرَ الأَسْودَ قد رُكِّب ، فقال لأبيهِ : مِن أين لك هذا ؟ قال : جاء به مَن لا يَتَّكِلُ على بِنائِكَ ، جاء به جِبْرِيلُ مِن السَّماءِ ، فأَتَمَّه . قال : فمرَّ عليه الدَّهْرُ ، فانهدَمَ فبَنَتْهُ العَمالقةُ ، ثُم انهدَمَ فبَنَتْهُ جُرْهُمٌ ، ثُم انهدَمَ فَبَنَتْهُ قُرِيشٌ ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ ، يومئذٍ رجلٌ شابٌّ ، فلمّا أرادوا أن يَرفَعوا الحجَرَ الأسوَدَ ، اختَصَمُوا فِيهِ ، فقالوا : يُحَكِّمُ بينَنَا أَوَّلُ رجلٍ يَخرُجُ مِن هذه [٢٨/٢ظ] السِّكَّةِ . فكان رسولُ اللَّهِ ﷺ ، أولَ مَن خَرَجَ

---

(١) تقدم ٣٥٧/١ وما بعدها .

(٢) الدلائل للبيهقى ٢/ ٥٥، ٥٦.

(٣) بعده فى م : « للناس » .

(٤) خجوج : شديدة .

(٥) سقط من : الأصل ، م ، ص .

عليهم ، فقَضَى بينَهم أن يَجْعَلُوه فى مِرْطٍ[1] ، ثُم تَرْفَعَه جميعُ القَبائِلِ كلُّهم .

وقال أبو داودَ الطَّيَالِسِىُّ[2] : حدَّثَنا حمَّادُ بنُ سَلَمةَ ، وقَيْسٌ ، وسَلَّامٌ ، كلُّهم عن سِمَاكِ بنِ حربٍ ، عن خالدِ بنِ عَرْعَرَةَ ، عن علىِّ بنِ أبى طالبٍ ، قال : لمّا انهَدَمَ البيتُ بعدَ جُرْهُمٍ بَنَتْهُ قريشٌ ، فلمَّا أَرادُوا وَضْعَ الحَجَرِ تَشاجَرُوا ؛ مَن يَضَعُه ؟ فاتَّفَقوا أن يَضَعَه أوَّلُ مَن يَدْخُلُ مِن[3] هذا البابِ ، فدَخَلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، مِن بابِ بنى شَيْبَةَ ، فأَمَرَ بِثوبٍ ، فوضَعَ الحجَرَ فى وَسَطِه ، وأمَرَ كلَّ فَخِذٍ أن يأْخُذُوا بِطَائِفَةٍ مِن الثَّوبِ ، فرَفَعوه ، وأَخَذَه رَسولُ اللَّهِ ﷺ ، فوضَعَه .

قال يعقوبُ بنُ سفيانَ[4] : أخْبَرَنى أَصْبَغُ بنُ فَرَجٍ ، أخبرَنى ابنُ وَهْبٍ ، عن يُونُسَ ، عن ابنِ شِهابٍ ، قال : لمّا بلَغَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، الحُلُمَ ، جَمَّرَتِ امْرأَةٌ الكعبةَ ، فطارتْ شَرارةٌ مِن مَجْمَرِها فى ثِيابِ[5] الكعبةِ ، فاحترقَتْ ، فهَدَموها ، حتَّى إذا بَنَوْها ، فبلَغُوا مَوْضِعَ الرُّكْنِ ، اختصَمَتْ قُريشٌ فى الرُّكْنِ ، أىُّ القبائلِ تَلِى رَفْعَهُ ؟ فقالوا : تَعالَوا نُحكِّمْ أوَّلَ مَن يَطْلُعُ علينا . فطلَعَ عليهم رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وهو غلامٌ عليه وِشَاحُ نَمِرَةٍ ، فَحَكَّمُوه ، فأمَرَ بالرُّكْنِ ، فَوُضِعَ فى ثَوْبٍ ، ثُم أَخْرَجَ سيِّدَ كلِّ قبيلةٍ ، فأَعطاه ناحيةً مِن الثَّوْبِ ، ثُمَّ ارْتَقَى هو ، فرَفَعوا إليه الرُّكْنَ ، فكان هو يَضَعُه ، فكان لا يَزْدَادُ على السِّنِّ إلَّا رِضًا ، حتَّى دَعَوْه الأَمِينَ ، قبلَ أن ينزِلَ عليه الوَحْىُ ، فطَفِقوا لا يَنْحَرون جَزُورًا ؛ إلَّا الْتَمَسُوه ،

---

(١) فى الأصل ، ا ٩، ص : « مربط » . والمرط : كساء من صوف أو خزٍّ .

(٢) ومن طريق أبى داود الطيالسى ، أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٥٧.

(٣) سقط من : ص .

(٤) المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٥٦، ٢٥٧.

(٥) فى الأصل : « باب » .

فيَدْعو لهم فيها .

وهذا سِياقٌ حَسَنٌ ، وهو مِن « سِيَرِ الزُّهْرِيِّ » ، وفيه مِن الغرابةِ قَوله : فلمَّا بلَغَ الحُلُمَ . والمشهورُ أنَّ هذا كان ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ ، عُمُرُه خمسٌ وثلاثونَ سنَةً ، وهو الذى نصَّ عليه محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ يَسَارٍ[1] ، رحِمَه اللَّهُ .

وقال موسى بنُ عُقْبَةَ[2] : كان بِناءُ الكعبةِ قبلَ المَبْعَثِ بخمسَ عَشْرةَ سنَةً . وهكذا قال مجاهدٌ ، وعُرْوَةُ ، ومحمدُ بنُ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ ، وغيرُهم[3] . فاللَّهُ أعلمُ .

وقال موسى بنُ عُقبةَ[4] : كان بينَ الفِجارِ وبينَ بِنَاءِ الكَعْبةِ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً .

قلتُ : وكان الفِجارُ وحِلْفُ الفُضُولِ فى سنَةٍ واحدةٍ ، إذ كان عُمُرُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، عِشْرِينَ سنةً . وهذا يُؤَيِّدُ ما قال محمدُ بنُ إسحاقَ . واللَّهُ أعلمُ .

قال موسى بنُ عُقبةَ[5] : وإنَّما حَمَلَ قُرِيشًا على بِنائِها ، أَنَّ السُّيولَ كانتْ تَأْتِى مِن فوقِها ، مِن فوقِ الرَّدْمِ الذى صَنَعوه[6] فخرَّ بِهِ ، فخافوا أنْ يَدْخُلَها الماءُ ، وكان رَجُلٌ يُقالُ له : مُلَيْحٌ ، سَرَق طِيبَ الكَعْبةِ ، فأرادوا أن يَشِيدُوا

---

(١) سيرة ابن إسحاق ٨٤، ٨٨.

(٢) أخرجه البيهقى ، عن موسى بن عقبة فى الدلائل ٢/ ٥٨ - ٦١.

(٣) قول مجاهد أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٦٢. وقول عروة ومحمد بن جبير وغيرهما ، أشار إليهم البيهقى فى الموضع نفسه .

(٤) أخرجه البيهقى ، عن موسى بن عقبة فى الدلائل ٢/ ٥٨.

(٥) المصدر السابق ٢/ ٥٨، ٥٩.

(٦) فى م، ص : « صفوه » .

بُنْيانَها ، وأن يَرفَعُوا بابَها ، حتَّى لا يَدْخُلَها إلَّا مَن شاءُوا ، فأَعَدُّوا لذلك نَفَقَةً وعُمَّالًا ، ثُم غَدَوْا إليها لِيَهْدِمُوها ، على شَفَقٍ وحَذَرٍ أن يَمْنَعَهم اللَّهُ[1] [٢٩/٢و] الذى أَرادوا ، فكان أولَ رَجُلٍ طَلَعها وهدَمَ منها شَيْئًا ، الوليدُ بنُ المُغِيرةِ ، فلمّا رأَوُا الذى فعَلَ الوليدُ ، تَتابَعُوا فوَضَعوها ، فأَعجَبَهُم ذلك . فلمّا أرادوا أن يأْخُذُوا فى بُنْيَانِها ، أحْضَروا عُمَّالَهم ، فلمْ يَقْدِرْ رجلٌ منهم أن يَمْضِىَ أَمَامَه مَوْضِعَ قَدَمٍ ، فزعَمُوا أنَّهم رأَوْا حَيَّةً قد أحاطتْ بالبيتِ ، رأسُها عندَ ذَنَبِها ، فأشْفَقوا منها شَفَقَةً شديدةً ، وخَشَوْا أن يَكونوا قد وَقَعُوا مِمّا عَمِلوا فى هَلَكَةٍ . وكانتِ الكعبةُ حِرْزَهم ، ومَنَعَتَهُم مِن[2] الناسِ ، وشَرَفًا لهم ، فلمَّا سُقِطَ فى أيدِيهم ، والتبَسَ عليهم أمرُهم ؛ قام فيهم المُغِيرةُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرِو بنِ مخزومٍ ، فذَكَر ما كان مِن نُصْحِه لهم ، وأمْرِه إياهم ؛ أن لا يَتَشاجَرُوا ، ولا يَتحاسَدُوا فى بِنائِها ، وأن يَقْتَسِموها أرْباعًا ، وأن لا يُدْخِلوا فى بِنائِها مالًا حرامًا ، وذكَر أنَّهم لمّا عَزَمُوا على ذلك ، ذهَبَتِ الحَيَّةُ فى السَّماءِ ، وتغيَّبَتْ عنهم ، ورَأَوْا أنَّ ذلك مِن اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ . قال : ويَقولُ بعضُ النَّاسِ : إنَّه اختطَفَها طائرٌ ، وألْقَاها نحوَ أَجْيادٍ[3] .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ يَسَارٍ[4] : فلمَّا بَلَغ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، خَمْسًا وثلاثِينَ سَنَةً ، اجتمَعَتْ قُرَيشٌ لبُنيانِ[5] الكعبةِ ، وكانوا يَهُمُّون[6] بذلك ؛

---

(١) سقط من : النسخ . والمثبت من الدلائل .

(٢) فى الأصل ، ا ٩: « فى » .

(٣) فى الأصل ، ا ٩، ص : « جياد » . وأجياد : أرض بمكة أو جبل بها .

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ١٩٢، ١٩٣.

(٥) فى م : « بناء » .

(٦) فى الأصل : « يهتمون » .

لِيَسْقُفُوها، ويَهابُونَ هَدْمَهَا، وإنَّما كانتْ رَضَمًا[1] فوقَ القامَةِ، فأَرادوا رفْعَها وتَسْقِيفَها؛ وذلك أَنَّ نَفَرًا سَرقوا كَنْزَ الكعبةِ، وإنَّما كان فى بِئْرٍ فى جَوْفِ الكعبةِ، وكان الذى وُجِدَ عندَه الكَنْزُ، دُوَيْكًا مولًى لبنى مُلَيْحِ بنِ عمرِو بنِ خُزَاعَةَ، فقطعَتْ قريشٌ يدَه. وتَزْعُمُ قريشٌ أنَّ الذين سرَقوه وضَعوه عندَ دُوَيْكٍ. وكان البَحْرُ قد رَمَى بسفينةٍ إلى جُدَّةَ لرجُلٍ مِن تُجَّارِ الرُّومِ، فتَحَطَّمتْ، فأخَذُوا خشَبَهَا، فأعَدُّوه لتَسْقِيفِها. قال الأُمَوِىُّ: كانتْ هذه السَّفينةُ لِقَيْصَرَ ملِكِ الرُّومِ، تحمِلُ آلاتِ البِناءِ؛ مِن الرُّخامِ، والخشَبِ، والحديدِ، سَرَّحها قَيْصَرُ مع باقومَ الرُّومىِّ إلى الكَنِيسةِ التى أحْرَقَها الفُرْسُ للحَبَشَةِ، فلمَّا بلَغَتْ مَرْساها مِن جُدَّةَ، بعَثَ اللَّهُ عليها رِيحًا فحَطَّمَتْها.

قال ابنُ إسحاقَ[2]: وكان بمكَّةَ رجلٌ قِبْطِىٌّ نجَّارٌ، فتهيَّأَ لهم فى أنفُسِهم بعضُ ما يُصْلِحُها، وكانتْ حيَّةٌ تَخْرُجُ مِن بِئْرِ الكعبةِ - التى كانتْ يُطْرَحُ فيها ما يُهْدَى إليها كلَّ يومٍ - فتَتَشَرَّقُ[3] على جِدارِ الكعبةِ، وكانتْ مِمَّا يَهابُون، وذلك أنَّه كان لا يَدْنُو مِنها أحَدٌ إلا احْزَأَلَّتْ[4]، وكشَّتْ[5]، وفتَحَتْ فاها، فكانوا يَهابونَها، فبينَما هى يومًا تُشْرِفُ على جِدارِ الكعبةِ كما كانتْ تَصْنَعُ، بعَثَ اللَّهُ إليها[6] طائرًا فاخْتَطَفَها فذهَبَ بها فقالتْ قريشٌ: إنَّا لَنَرْجُو أن يكونَ

---

(١) الرضم: الصخور، جمع رَضمة.

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ١٩٣.

(٣) فى النسخ: «فتشرف». والمثبت من سيرة ابن هشام.
وتتشرق: تبرز للشمس.

(٤) احزألت: رفعت رأسها.

(٥) كشت: صوَّت جلدها إذا احتك بعضه ببعض، وصوتت من فمها.

(٦) فى الأصل، م: «عليها».

اللَّهُ تعالى قد رَضِى ما أردْنا ، عندَنا عاملٌ رقيقٌ ، وعندَنا خَشَبٌ ، وقد كفَانا اللَّهُ الحيَّةَ .

وحَكَى السُّهَيْلِيُّ[1] ، عن رَزِينٍ : أنَّ سارِقًا دخَلَ الكعبةَ فى أيامِ جُرْهُمٍ ؛ لِيَسْرِقَ كَنْزَها ، فانْهارَ البِئْرُ عليه ، حتَّى جاءوا ، فأخرجُوه ، [٢٩/٢ظ] ، وأخَذُوا منه ما كان أخَذَه ، ثُم سكنَتْ هذه البِئْرَ حيَّةٌ ، رأْسُها كرأْسِ الجَدْيِ ، وبطنُها أَبْيضُ ، وظهرُها أَسْودُ ، فأقامتْ فيها خَمْسَمائَةِ عامٍ . وهى التى ذَكَرها محمدُ ابنُ إسحاقَ .

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[2] : فلما أجْمَعوا أمرَهم لهدْمِها ، وبُنْيانِها ، قام أبو وَهْبٍ عمرُو بنُ عائذِ[3] بنِ عبدِ بنِ عِمْرانَ بنِ مخزومٍ - وقال ابنُ هِشامٍ : عايذُ ابنُ عِمْرانَ بنِ مخزومٍ - فتناوَلَ مِنَ الكعبةِ حَجَرًا ، فوثَبَ مِن يدِه ، حتى رجَعَ إلى موضِعِه ، فقال : يا معشرَ قريشٍ ، لا تُدْخِلُوا فى بُنْيَانِها مِن كَسْبِكم إلا طَيِّبًا ؛ لا يَدْخُلُ فيها مَهْرُ بَغِيٍّ ، ولا بيعُ رِبًا ، ولا مَظْلِمةُ أحدٍ مِنَ النَّاسِ . والنَّاسُ يَنْحَلون هذا الكلامَ الوليدَ بنَ المغيرةِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ[4] بنِ مخزومٍ . ثُم رجَّحَ ابنُ إسحاقَ[5] أنَّ قائلَ ذلك أبو وَهْبِ بنُ عمرٍو . قال : وكان خالَ أبى النبيِّ ﷺ ، وكان شريفًا مُمَدَّحًا .

---

(١) الروض الأنف ٢/ ٢٧٧.
(٢) سيرة ابن هشام ١/ ١٩٤.
(٣) فى الأصل، م، ص: «عايذ».
(٤) فى النسخ «عمرو». والمثبت من سيرة ابن هشام ١/ ١٩٤.
(٥) سيرة ابن إسحاق ص ٨٤، سيرة ابن هشام ١/ ١٩٤.

وقال ابنُ إسحاقَ[1] : ثُم إنَّ قريشًا تجزَّأَتِ الكَعْبَةَ ؛ فكان شِقُّ البابِ لِبَنى عبدِ مَنافٍ ، وزُهْرةَ ، وما بينَ الرُّكْنِ الأَسودِ والرُّكْنِ اليَمَانِىِّ لِبَنى مخزومٍ وقبائلَ مِن قريشٍ انْضَمُّوا إليهم ، وكان ظَهْرُ الكعبةِ لِبَنى جُمَحَ وسَهْمٍ ، وكان شِقُّ[2] الحِجْرِ لِبَنى عبدِ الدارِ بنِ قُصَىٍّ ولِبَنى أَسَدِ بنِ عبدِ العُزَّى ، ولِبَنى عَدِىِّ بنِ كَعْبٍ ، وهو الحَطِيمُ . ثُم إنَّ النّاسَ هابوا هَدْمَها ، وفَرِقوا منه ، فقال الوليدُ بنُ المغيرةِ : أنا أَبْدَؤُكم فى هَدْمِها . فأَخذَ المِعْوَلَ ثُم قام عليها ، وهو يَقولُ : اللَّهمَّ لم تُرَعْ ، اللَّهمَّ إنَّا لا نُريدُ إلا الخَيْرَ . ثُم هَدَم مِن ناحيةِ الرُّكْنَيْنِ ، فتَرَبَّصَ النّاسُ تلكَ الليلةَ ، وقالوا : نَنظُرُ ؛ فإن أُصِيبَ لم نَهدِمْ منها شيئًا ، ورَدَدْناها كما كانتْ ، وإن لم يُصِبْه شَىْءٌ ؛ فقد رضى اللَّهُ ما صَنَعْنا مِن هَدْمِها . فأَصْبَحَ الوليدُ غادِيًا على عَمَلِه فهدَم ، وهدَمَ النَّاسُ معه ، حتَّى إذا انتهى الهَدْمُ بِهِم إلى الأساسِ - أساسِ إبراهيمَ ، عليهِ السَّلامُ - أَفْضَوا إلى حِجارةٍ خُضْرٍ كالأَسِنَّةِ[3] آخذٍ بعضُها بعضًا ، ووقَع فى « صحيحِ البخارىِّ »[4] ، عن يزيدَ بنِ رُومانَ : كأَسْنِمَةِ الإِبِلِ . قال السُّهَيْلِىُّ[5] : وأَرَى رِوَايَةَ « السيرةِ » : كالأَسِنَّةِ[6] وَهْمًا . واللَّهُ أعلمُ .

قال ابنُ إسحاقَ[7] : فحدَّثَنى بعضُ مَن يَرْوِى الحَدِيثَ ، أَنَّ رَجُلًا مِن قريشٍ

---

(١) سيرة ابن إسحاق ص ٨٥، سيرة ابن هشام ١/ ١٩٥.
(٢) الشق : الناحية والجانب .
(٣) الأسنة : جمع سِنان ، وهو نصل الرمح .
(٤) البخارى (١٥٨٦) .
(٥) الروض الأنف ٢/ ٢٨١.
(٦) فى الأصل ، م ، ص : « كالألسنة » .
(٧) سيرة ابن إسحاق ص ٨٥، سيرة ابن هشام ١/ ١٩٥، ١٩٦.

مِمَّن كان يَهدِمُها ، أدخَلَ عَتَلَةً بينَ حجرَيْنِ منها ؛ ليقْلَعَ بها أحدَهما ، فلمَّا تحرك الحَجَرُ تنَقَّضَت[1] مكةُ بأَسْرِها ، فانتهَوْا عن ذلك الأساسِ .

وقال موسى بنُ عُقْبةَ[2] : وزعَم عبدُ اللَّهِ بنُ عبّاسٍ ، أنَّ أوَّلِيَّةَ قريشٍ كانوا يُحدِّثون ، أنَّ رِجالًا[3] مِن قريشٍ لمّا اجْتَمَعُوا لِيَنْزِعوا الحِجارَةَ ، و[4] انتهَوا[5] إلى تأْسِيسِ إبراهيمَ وإسماعيلَ ، عليهما السلامُ ، عَمَدَ رجُلٌ مِنهم إلى حَجَرٍ مِن الأساسِ الأوَّلِ فرفَعَه ، وهو لا يَدْرِى أنَّه مِن الأساسِ الأوَّلِ ، فأبصَرَ القومُ بَرْقَةً تحتَ الحَجَرِ ، كادَتْ تَلْتَمِعُ بصَرَ الرَّجُلِ ، ونَزَا الحجَرُ مِن يدِه ، فوقَع فى موضِعِه ، وفَزِعَ الرجلُ والبُناةُ ، فلمّا ستَرَ الحَجَرُ عنهم ما تحتَه[6] ، عادوا إلى بُنْيانِهم ، وقالوا : لا تُحَرِّكوا هذا الحجَرَ ، ولا شيئًا بحِذائِه .

[٣٠/٢و] قال ابنُ إسحاقَ[7] : وحُدِّثْتُ أنَّ قريشًا وجَدُوا فى الرُّكنِ كِتابًا بالسُّرْيانِيَّةِ ، فلم يَدْرُوا ما هو ، حتَّى قرَأَه لهم رَجُلٌ مِن يَهُودَ ، فإذا هو : أنا اللَّهُ ذو بَكَّةَ ، خَلَقْتُها يومَ خلَقْتُ السَّماواتِ والأرضَ ، وصوَّرْتُ الشمسَ والقمرَ ، وحَفَفْتُها بسبعةِ أمْلاكٍ حُنَفاءَ ، لا تزولُ حتَّى يزولَ أَخْشَباها - قال ابنُ هِشامٍ : يَعْنِى جَبَلاها - مُبارَكٌ لأهلِها فى الماءِ واللَّبَنِ .

---

(١) فى الأصل ، م : «انتفضت» . وفى ا ٩ : «اضطربت» . وتنقضت : اهتزت .

(٢) الدلائل للبيهقى ٢/ ٦٠، ٦١.

(٣) فى النسخ : «رجلا» . والمثبت من الدلائل .

(٤) سقط من : النسخ . والمثبت من الدلائل .

(٥) سقط من : م .

(٦) بعده فى الأصل ، م ، ص : «إلى مكانه» .

(٧) سيرة ابن إسحاق ص ٨٦، وسيرة ابن هشام ١/ ١٩٦.

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وحُدِّثْتُ أنَّهم وجَدوا فى المَقامِ كِتابًا فيه : مكَّةُ اللَّهِ الحَرَامُ ، يَأْتِيها رِزْقُها مِن ثَلاثَةِ سُبُلٍ ، لا يُحِلُّها أوَّلُ مِن أهلِها . قال[2] : وزعَم لَيْثُ بنُ أبى سُلَيْمٍ ، أنَّهم وجَدُوا فى الكعبةِ قَبْلَ مَبْعَثِ النبىِّ ﷺ ، بأَرْبعينَ سنةً - إن كان ما ذُكِر حقًّا - مكتوبًا فيه : مَن يَزْرَعْ خيرًا يَحْصُدْ غِبْطَةً ، ومَن يَزْرَعْ شَرًّا يَحْصُدْ نَدامةً ، تَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ وتُجْزَوْنَ الحسَناتِ ! أَجَل ، كما لا[3] يُجْتَنى مِن الشَّوْكِ العِنَبُ .

وقال سعيدُ بنُ يَحْيَى الأُمويُّ : حدَّثَنا مُعَمَّرُ[4] بنُ سُلَيمانَ الرَّقِّيُّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ بِشْرٍ عن[5] الزُّهْرِىِّ[6] ، يَرْفَعُ الحديثَ إلى النبىِّ ﷺ ، قال : « وُجِدَ فِى المَقَامِ ثلاثةُ أَصْفُحٍ ؛ فى الصَّفْحِ الأوَّلِ : إِنِّى أنا اللَّهُ ذو بَكَّةَ ، صَنَعْتُها يومَ صنَعْتُ الشمسَ والقمرَ ، وحَفَفْتُها بسبعةِ أملاكٍ حُنَفَاءَ ، وبارَكْتُ لِأَهْلِها فى اللَّحمِ واللَّبَنِ . وفى الصَّفْحِ الثانى : إنِّى أنا اللَّهُ ذو بَكَّةَ ، خلَقْتُ الرَّحِمَ ، وشقَقْتُ لها مِن اسمى ، فمَن وصَلَها وَصَلْتُه ، ومَن قَطَعَها بَتَتُّه . وفى الصَّفْحِ الثالثِ : إنِّى أنا اللَّهُ ذو بكَّةَ ، خلَقْتُ الخيرَ والشَّرَّ وقَدَّرْتُه ، فطُوبَى لِمَن أَجْرَيْتُ الخيرَ على يَدَيْهِ ، ووَيْلٌ لِمَن أَجْرَيْتُ الشَّرَّ على يديْهِ » .

قال ابنُ إسحاقَ[7] : ثُم إنَّ القبائلَ مِن قريشٍ جَمَعَت الحِجارةَ لبِنائِها ، كلٌّ

---

(١) المصدران السابقان .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ١٩٦.

(٣) سقط من : الأصل ، م ، ص .

(٤) فى الأصل ، م ، ص : « المعتمر » .

(٥) سقط من : الأصل ، م . وانظر التهذيب ٢٨/ ٣٢٦.

(٦) أخرجه عبد الرزاق فى المصنف (٩٢١٩) من حديث الزهرى بنحوه ، وانظر المطالب العالية ١/ ٣٣٥.

(٧) سيرة ابن إسحاق ص ٨٦ - ٨٨، سيرة ابن هشام ١٩٦ - ١٩٨.

قبيلةٍ تجْمَعُ على حِدَةٍ ، ثُم بَنَوْها ، حتَّى بلَغَ البُنيانُ مَوْضِعَ الرُّكْنِ[1] ، فاختَصَمُوا فيه ، كلُّ قبيلةٍ تُرِيدُ أن تَرْفَعَه إلى مَوْضِعِه دُونَ الأُخْرَى ، حتَّى تحَاوَزوا[2] و[3] تحالَفوا ، وأعَدُّوا للقِتالِ ، فقرَّبَتْ بنو عبدِ الدارِ جَفْنَةً مملوءةً دمًا ، ثُم تَعاقَدُوا هم وبنو عَدِيِّ بنِ كعبِ بنِ لُؤَيٍّ على الموتِ ، وأَدْخَلُوا أيدِيَهم فى ذلك الدَّمِ ، فى تلك الجفْنَةِ ، فَسُمُّوا لَعَقَةَ[4] الدَّمِ . فمَكَثَتْ قريشٌ على ذلك أربعَ ليالٍ أو خمسًا ، ثُم إنَّهم اجتَمَعُوا فى المَسْجِدِ ، فتَشاوَروا ، وتَنَاصَفوا . فزعَمَ بعضُ أهلِ الرِّوايةِ أنَّ أبا أُمَيَّةَ بنَ المغيرةِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ[5] بنِ مخزومٍ - وكان عامَئِذٍ أسنَّ قريشٍ كلِّها - قال : يا مَعْشَرَ قريشٍ ، اجْعَلُوا بينَكم فيما تَختلِفُون فيه ، أَوَّلَ مَن يَدْخُلُ مِن بابِ هذا المَسْجِدِ ، يَقْضِى بينَكم فيه . ففعَلُوا ، فكان أَولَ داخلٍ دخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فلمَّا رأَوْه قالوا : هذا الأمينُ [٣٠/٢ظ] ، رَضِينا ، هذا محمدٌ . فلمَّا انْتَهَى إليهم وأخبَرُوه الخبَر ، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « هَلُمُّوا إِلَيَّ ثَوْبًا » . فأُتِىَ به ، وأَخَذَ الرُّكْنَ فوضَعَه فيه بيدِه ، ثُم قال : « لِتَأْخُذْ كُلُّ قَبِيلَةٍ بِنَاحِيَةٍ مِن الثَّوْبِ ، ثُمَّ ارْفَعُوهُ جَمِيعًا » . فَفَعَلوا ، حتَّى إذا بلَغُوا به مَوْضِعَه ، وضَعَه هو بيدِه ﷺ ، ثُم بَنَى عليه . وكانتْ قريشٌ تُسَمِّى رسولَ اللَّهِ ﷺ ، الأمينَ .

---

(١) الركن : الحجر الأسود . وسمى ركنا ؛ لأنه مبنى فى الركن .

(٢) فى النسخ : « تحاوروا » . والمثبت من سيرة ابن هشام . تحاوزوا : انحازت كل قبيلة إلى جهة .

(٣) فى م : « أو » .

(٤) فى الأصل ، ا ٩ : « العقد » .

(٥) فى النسخ : « عمرو » . والمثبت من سيرة ابن هشام . وانظر جمهرة النسب لابن الكلبى ص ٨٤ - ٨٦ .

(1)وقال الإمامُ أحمدُ(2) : حدَّثَنا عبدُ الصَّمَدِ، حدَّثَنا ثابتٌ - يعنى أبا زَيْدٍ(3) - حدَّثَنا هِلَالٌ - يعنى ابنَ خَبَّابٍ(4) - عن مُجاهِدٍ، عن مَوْلاه - وهو السائبُ بنُ عبدِ اللَّهِ - أنَّه حدَّثه، أنَّه كان فيمَن بَنَى الكَعْبَةَ فى الجاهليَّةِ. قال: وكان لى حَجَرٌ، أنا نَحَتُّه، أَعْبُدُه مِن دونِ اللَّهِ. قال: وكنتُ أَجِىءُ باللَّبَنِ الخاثِرِ(5) الذى آنَفُه على نَفسى، فأَصُبُّه عليه، فيَجِىءُ الكلبُ، فيَلْحَسُهُ ثُم يَشْغَرُ(6)، فيَبُولُ(7). قال: فبَنَيْنا حتَّى بَلَغْنا مَوْضِعَ الحَجَرِ، ولا يَرَى الحَجَرَ أحدٌ، فإذا هو وَسْطَ أحْجارِنا مثلُ رأسِ الرَّجُلِ يَكادُ يَتَرايا منه وَجْهُ الرَّجُلِ. فقال بَطْنٌ مِن قريشٍ: نحن نَضَعُه. وقال آخرون: نحن نَضَعُه. فقالوا: اجْعَلُوا بَيْنَكم حَكَمًا. فقالوا: أولُ رَجُلٍ يَطْلُعُ مِنَ الفَجِّ. فجاء رسولُ اللَّهِ ﷺ، فقالوا: أَتاكم الأمينُ. فقالوا له، فوضَعَه فى ثَوْبٍ، ثُم دَعا بُطونَهم، فرفَعُوا نواحِيَه، فوضَعَه هو ﷺ(1).

قال ابنُ إسحاقَ(8) : وكانتِ الكعبةُ على عهدِ النبىِّ ﷺ، ثمانِىَ عَشْرَةَ ذِراعًا، وكانتْ تُكْسَى القَباطِىَّ(9)، ثُم كُسِيَتْ بَعْدُ البُرُودَ(10)، وأوَّلُ مَن

(1 - 1) سقط من: ا ٩، ص.

(2) المسند ٣/ ٤٢٥.

(3) فى النسخ: «يزيد». والمثبت من المسند. وانظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٣٣١.

(4) فى النسخ: «حبان». والمثبت من المسند. وانظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٣٣٠.

(5) الخاثر: الثاخن والغليظ.

(6) شغَر الكلب شغْرًا: أى رفع إحدى رجليه ليبول.

(7) بعده فى ا ٩، م، ص: «عليه».

(8) سيرة ابن هشام ١/ ١٩٨، ١٩٩.

(9) القباطى: ثياب بيض كانت تصنع بمصر.

(10) البرود: ضرب من ثياب اليمن.

كَساها الدِّيباجَ الحجَّاجُ بنُ يُوسُفَ .

قُلْتُ : وقد كانوا أَخْرجَوا منها الحِجْرَ - وهو سِتَّةُ أذرُعٍ ، أو سبعةُ أذرُعٍ مِن ناحيةِ الشامِ - (١وذلك لَمَّا١) قَصَرَتْ بِهِمُ النَّفَقَةُ ؛ أى لم يَتَمَكَّنُوا أن يَبْنُوه على قواعِدِ إبراهيمَ ، وجعَلُوا للكعبةِ بابًا واحدًا ، مِن ناحِيَةِ الشَّرقِ ، وجَعَلُوه مُرْتَفِعًا ؛ لِئَلَّا يَدْخُلَ إليها كلُّ أحدٍ ، فيُدْخِلوا مَن شاءوا ، ويَمْنَعوا مَن شاءوا .

وقد ثبَت فى « الصحيحيْنِ »[٢] عن عائشةَ ، رَضِىَ اللَّهُ عنها ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، قال لها : « أَلَمْ تَرَىْ أَنَّ قَوْمَكِ قَصَرَتْ بهم النَّفَقَةُ ، ولولا حِدْثَانُ قَوْمِكِ بِكُفْرٍ ، لَنَقَضْتُ الكَعْبَةَ ، وَجَعَلْتُ لها بَابًا شَرْقِيًا ، وَبَابًا غربيًا ، وأَدْخَلْتُ فِيهَا الْحِجْرَ » . ولهذا لمَّا تَمكَّنَ ابنُ الزُّبَيْرِ ، بَنَاها على ما أَشارَ إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فجاءتْ فى غايةِ البَهاءِ ، والحُسْنِ ، والسَّناءِ ، كاملةً على [٢/٣١و] قواعدِ الخليلِ ؛ لها بابانِ مُلْتَصِقانِ بالأرضِ ، شَرْقيًا ، وغَرْبيًا ، يَدْخُلُ الناسُ مِن هذا ، ويَخْرُجُونَ مِن الآخَرِ ، فلمّا قَتَلَ الحَجَّاجُ ابنَ الزبيرِ ، كتَبَ إلى عبدِ الملِكِ بنِ مَرْوانَ ، (٣وهو الخليفةُ يومَئذٍ٣) ، فيما صنَعَهُ ابنُ الزُّبَيْرِ ، واعتَقَدُوا أنَّه فعَلَ ذلك مِن تِلقاءِ نفسِه ، فأمَرَ بإعادتِها إلى ما كانتْ عليه[٤] ، فعمَدوا إلى الحائطِ الشامىِّ فحَصُّوه[٥] ، وأَخرَجوا منه الحِجْرَ ، ورَصُّوا حِجارتَه فى أرضِ الكعبةِ . فارتفَع بابُها[٦] ، وسدُّوا الغرْبِىَّ ، واستمرَّ الشرقىُّ على ما كان عليه ، فلمّا كان فى زَمَنِ

(١ - ١) سقط من : الأصل ، م ، ص .

(٢) تقدم تخريجه فى ١/ ٣٨٢، من رواية مسلم ، وهو فى البخارى (١٥٨٦) .

(٣ - ٣) سقط من : ا ٩، ص .

(٤) سقط من : الأصل .

(٥) حَصَّى الشىءَ : وَقَّاه .

(٦) فى ا ٩، م ، ص : « باباها » .

المَهْدِىِّ، أو أبيه[1] المَنْصُورِ، استشارَ مالِكًا فى إعادتِها على ما كان صَنَعَه ابنُ الزبيرِ، فقال مالكٌ، رحمِه اللَّهُ: إنِّى أَكْرَهُ أن يَتَّخِذَها الملوكُ مَلْعَبَةً. فتَرَكَها على ما هى عليه، فهى إلى الآن كذلك.

وأمَّا المَسْجِدُ الحَرامُ؛ فأولُ مَن أَخَّرَ[2] البيوتَ مِن حولِ الكعبةِ عمرُ بنُ الخطابِ، رَضِىَ اللَّهُ عنه، اشتراها مِن أهلِها، وهَدَمها، فلمَّا كان عثمانُ اشترى دُورًا وزادَها فيه. فلمَّا وَلِىَ ابنُ الزبيرِ أَحْكَمَ بُنيانَه، وحسَّنَ جُدْرانَه، وأكثَرَ[3] أبوابَه، ولم يُوَسِّعْه شيئًا آخَرَ، فلمَّا استبدَّ بالأمرِ عبدُ الملكِ بنُ مَرْوانَ، زاد فى ارتفاعِ جُدْرانِه، وأَمَر بالكعبةِ، فكُسِيَتِ الدِّيباجَ، وكان الذى تولَّى ذلك بأَمْرِه الحَجَّاجُ بنُ يوسفَ. وقد ذكَرْنا قِصةَ بناءِ البيتِ، والأحاديثَ الواردةَ فى ذلك، فى تفسيرِ سورةِ «البقرةِ» عندَ قولِه[4]: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ ﴾[5] [البقرة: ١٢٧].

قال ابنُ إسحاقَ[6]: فلمَّا فَرَغوا مِنَ البُنْيانِ، وبَنَوْها على ما أَرادوا، قال الزبيرُ بنُ عبدِ المطَّلِبِ، فيما كان مِن أمرِ الحَيَّةِ التى كانتْ قريشٌ تَهابُ بُنْيانَ الكعبةِ لَهَا:

عَجِبْتُ لِمَا تَصَوَّبتِ العُقَابُ ... إلى الثُّعْبانِ وَهْىَ لَهَا اضْطِرابُ

---

(١) فى الأصل، م، ص: «ابنه».

(٢) بعده فى الأصل، ١ ٩: «بنيان».

(٣) فى الأصل، ص: «كبر».

(٤) التفسير ٢٦٢/١ - ٢٦٦.

(٥) بعده فى الأصل، ص، م: «وذكرنا ذلك مطولا مستقصى فمن شاء كتبه هنهنا. ولله الحمد والمنة».

(٦) سيرة ابن إسحاق ص ٨٩.

وقد كانتْ يَكُونُ لَهَا كَشِيشٌ[١]   وأحْيانًا يَكُونُ لها وِثابُ[٢]

إِذَا قُمْنَا إِلَى التَّأْسِيسِ[٣] شَدَّتْ   تُهَيِّبُنا[٤] الْبِناءَ وقد نَهَابُ[٥]

فلَمَّا أن خَشِينَا الرِّجْزَ[٦] جاءَتْ   عُقابٌ تَتْلَئِبُّ[٧] لها انْصِبابُ

فَضَمَّتْهَا إليها ثُم خَلَّتْ   لنا البُنْيانَ ليس لها[٨] حِجابُ

فَقُمْنَا حَاشِدِينَ إِلَى بِنَاءٍ   لنا منه القواعِدُ وَالتُّرابُ

غَداةَ نُرَفِّعُ التَّأْسِيسَ منه   وَلَيْسَ عَلَى مُسَاوِينا[٩] ثِيَابُ

أعَزَّ بِهِ المَلِيكُ بَنِى لُؤَىٍّ   فَلَيْسَ لِأَصْلِه منهم ذَهابُ

وقد حَشَدَتْ هُنَاكَ بَنُو عَدِىٍّ   ومُرَّةُ قَدْ تَقَدَّمَهَا كِلَابُ

فَبَوَّأَنَا المَلِيكُ بِذَاكَ عِزًّا   وَعِنْدَ اللَّهِ يُلْتَمَسُ الثَّوَابُ

وقد قدَّمْنا[١٠] فى فصلٍ ما كان اللَّهُ يَحُوطُ به رسولَه ﷺ، مِن أَقْذارِ الجاهليةِ، أنَّه كان هو والعبَّاسُ عمُّه يَنقُلانِ الحِجارةَ، وأنَّه، عليه الصَّلاةُ

---

(١) كشت الأفعى كشيشًا: صوَّت جلدها إذا احتك بعضه ببعض، وصوَّتت من فمها.
(٢) الوثاب: الوثوب.
(٣) فى سيرة ابن إسحاق: «البنيان».
(٤) فى السيرة: «يهيبنا».
(٥) فى السيرة: «يهاب».
(٦) فى الأصل، ا ٩، م: «الزجر»، والرجز: العذاب.
(٧) فى السيرة: «يطل». وتتلئب: تتتابع فى انقضاضها.
(٨) فى السيرة: «له».
(٩) فى ص: «مسوينا».
(١٠) تقدم فى صفحة ٤٤٤ - ٤٥٠.

والسَّلامُ ، لمَّا وَضَعَ إِزارَه تحتَ الحِجارةِ على كَتِفِه ، نُهِيَ عن خَلْعِ إِزارِه ، فأَعادَه إلى سِيرتِه [٢/ ٣١ظ] الأُولَى .

فَصْلٌ

وذكَر ابنُ إسحاقَ[1] ما كانتْ قريشٌ ابْتدَعوه فى تسمِيَتِهم الحُمْسَ، وهو الشِّدةُ فى الدِّينِ والصَّلَابةُ؛ وذلك لأنَّهم عظَّموا الحرَمَ تعظيمًا زائدًا، بحيثُ التزَموا بسببِهِ أن[2] لا يَخرُجوا منه ليلةَ عرَفةَ. وكانوا يقولون: نحنُ أبناءُ الحَرَمِ، وقُطَّانُ بيتِ اللَّهِ. فكانوا لا يَقِفونَ بعرَفاتٍ، مع عِلْمِهم أنَّها مِن مشاعرِ إبراهيمَ، عليه السَّلامُ، حتَّى لا يَخْرُجوا عن نظامِ ما كانوا قرَّرُوه مِن البِدْعَةِ الفاسِدةِ، وكانوا لا يَدَّخِرونَ مِن اللَّبَنِ؛ أَقِطًا، ولا سَمْنًا، ولا يَسْلَئُون[3] شَحْمًا، وهم حُرُمٌ، ولا يَدْخُلونَ بيتًا مِن شَعَرٍ، ولا يَسْتَظِلُّونَ إن اسْتظَلُّوا إلَّا ببيتٍ مِن أدَمٍ، وكانوا يمنَعونَ الحَجيجَ والعُمَّارَ، ما داموا مُحْرِمينَ، أن يأْكُلوا إلَّا مِن طعامِ قريشٍ، ولا يَطُوفوا إلَّا فى ثِيابِ قريشٍ، فإن لم يَجِدْ أحدٌ منهم ثوبَ أحدٍ مِنَ الحُمْسِ - وهم قريشٌ وما وَلَدُوا، ومَن دَخَل معهم مِن كِنانَةَ وخُزاعةَ - طاف عُرْيانًا ولو كانتِ امرأةً، ولهذا كانتِ المرأةُ إذا اتَّفَقَ طَوافُها لذلك، وضَعَتْ يَدَها على فَرْجِها، وتقولُ:

الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُه أَوْ كُلُّهُ ... [4]وما بدا منه فلا[4] أُحِلُّهُ

فإن تَكَرَّم أحدٌ مِمَّن يَجِدُ ثوبَ أَحْمَسِىٍّ، فطاف فى ثيابِ نَفْسِهِ، فعليه إذا

---

(١) سيرة ابن إسحاق ٨٠ - ٨٢.

(٢) سقط من: الأصل.

(٣) فى النسخ: «يسلون». والمثبت من سيرة ابن إسحاق. ويسلئون: أى يُذيبونه بالتسخين ونحوه.

(٤ - ٤) فى م، ص: «وبعد هذا اليوم لا».

فَرَغَ مِن الطوافِ أن يُلْقيَها، فلا يُنْتَفَعُ بها بعدَ ذلك، وليس له ولا لغيرِه أن يَمَسَّها. وكانتِ العربُ تُسَمِّى تلك الثيابَ اللَّقى[1]، قال بعضُ الشعراءِ:

كَفَى حَزَنًا كَرِّى عَلَيْهِ كَأَنَّهُ   لَقًى بَيْنَ أَيْدِى الطَّائِفِينَ حَرِيمُ[2]

قال ابنُ إسحاقَ[3]: فكانوا كذلك حتّى بَعَثَ اللَّهُ محمدًا ﷺ، وأنزلَ عليه القرآنَ، ردًّا عليهم فيما ابْتَدَعُوه، فقال: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩] أى: جمهورُ العربِ مِن عَرَفاتٍ ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٩]، وقد قدَّمْنا[4]، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ، كان يَقِفُ بعَرَفاتٍ قبلَ أن يُنَزَّلَ عليه توْفِيقًا مِن اللَّهِ له، وأنزَل اللَّهُ عليه ردًّا عليهم، فيما كانوا حَرَّمُوا مِن اللِّباسِ والطَّعامِ على النَّاسِ: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ۝٣١ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ الآية [الأعراف: ٣١، ٣٢]، وقال زِيادٌ البَكَّائِىُّ، عن ابنِ إسحاقَ[5]: ولا أَدْرِى؛ أكان ابْتِداعُهم لذلك قبلَ الفيلِ، أو بعدَه.

---

(١) اللقى: الشىء المُلقى المطروح .

(٢) حريم: محرّم، لا يؤخذ ولا ينتفع به.

(٣) سيرة ابن هشام ٢٠٣/١

(٤) تقدم فى صفحة ٤٤٩ .

(٥) سيرة ابن إسحاق ص ٨٠.

كتاب[1] مَبْعَثِ رَسولِ اللهِ ﷺ تسليمًا كثيرًا، وذِكْرُ شئٍ مِن البشاراتِ بذلك

قال محمدُ بنُ إسحاقَ، رَحِمَه اللَّهُ[2]: وكانت الأَحْبارُ مِن اليهودِ، والرهبانُ[3] من النَّصارى والكُهّانُ[4] مِن العربِ قد تحدَّثوا بأمرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، قَبْلَ مبعَثِه، لمَّا تقارَبَ زمانُه، أمَّا الأحبارُ مِن اليهودِ، والرهبانُ من النّصارى، فعَمَّا وجدوا فى كُتبِهم مِن صفتِه وصفةِ زمانِه، وما كان مِن عَهْدِ أنبيائِهِم إليهم فيه. قال اللَّهُ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ الآية [الأعراف: ١٥٧]. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ [٣٢/٢و] وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]. وقال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ﴾ الآية [الفتح: ٢٩].

---

(١) سقط من: م.

(٢) سيرة ابن إسحاق ص ٩٠، سيرة ابن هشام ١/ ٢٠٤.

(٣) فى الأصل، م: «الكهان».

(٤) سقط من: الأصل، م.

(1)وقال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران: ٨١] . وفى « صحيحِ البخاريِّ »(٢) ، عن ابنِ عباسٍ قال : ما بَعَثَ اللَّهُ نبيًّا إلَّا أخذ عليه الميثاقَ ؛ لَئِن بُعِثَ محمدٌ وهو حيٌّ لَيُؤْمِنَنَّ به وليَنْصُرَنَّه ، وأمَرَه أن يَأْخُذَ على أُمَّتِه الميثاقَ ؛ لئن بُعِثَ محمدٌ ﷺ وهم أحياءٌ لَيُؤْمِنُنَّ به ولَيَنْصُرُنَّه وليَتَّبِعُنَّه . يُعْلَمُ مِن هذا ، أنَّ جميعَ الأنبياءِ بَشَّروا وأمَرُوا باتِّباعه .

وقد قال إبراهيمُ ، عليه السَّلامُ ، فيما دَعا به لأهلِ مكةَ : ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ ﴾ الآية [البقرة: ١٢٩] .

وقال الإمامُ أحمدُ(٣) : حدَّثنا أبو النَّضْرِ ، حدَّثنا الفَرَجُ بنُ فَضَالَةَ ، حدَّثنا لقمانُ بنُ عامرٍ ، سَمِعْتُ أبا أُمَامَةَ قال : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، ما كان بَدْءُ أمرِكَ ؟ قال : « دَعْوةُ أَبِى إبْراهيمَ ، وبُشْرَى عِيسَى ، ورأَتْ أُمِّى أنَّه يَخْرُجُ مِنها نورٌ أَضاءَتْ لهُ قصُورُ الشامِ » .

وقد رَوَى محمدُ بنُ إسحاقَ(٤) عن ثَوْرِ بنِ يزيدَ ، عن خالدِ بنِ مَعْدَانَ ،(١)

(١ - ١) سقط من : ا ، ص .

(٢) ليس فى صحيح البخارى . وقد ذكره المصنف فى تفسيره ٢/ ٥٦. من كلام على وابن عباس. وانظر تفسير الطبرى ٣/ ٣٣٢.

(٣) تقدم تخريجه فى ٢/ ٤٨٨، ٤٨٩.

(٤) سيرة ابن إسحاق ص ٢٨.

(1)عن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، عنه مِثْلَه. ومعنى هذا أنه أرادَ(2) بَدْءَ أمرِه بينَ الناسِ، واشْتِهارَ ذكرِه وانتشارَه، فذكَرَ دعوةَ إبراهيمَ، الذى تُنْسَبُ إليه العربُ، ثُم بُشْرَى عيسى، الذى هو خاتَمُ أنبياءِ بنى إسرائيلَ، كما تقدَّم. يَدُلُّ هذا على أنَّ مَن بينَهما(3) مِن الأنبياءِ بشَّروا به أيضًا.

أما فى الملأِ الأعلَى، فقد كان أمرُه مشهورًا، مذكورًا معلومًا، مِن قَبْلِ خَلْقِ آدمَ، عليه الصلاةُ والسلامُ، كما قال الإمامُ أحمدُ(4): حدَّثَنا عبدُ الرحمنِ ابنُ مَهْدِىٍّ، حدَّثَنا معاويةُ بنُ صالحٍ، عن سعيدِ بنِ سُوَيْدٍ الكلبىِّ(1)، (5)عن عبدِ الأعلَى بنِ هلالٍ السُّلَمِىِّ، عن العِرْباضِ بنِ سارِيَةَ، قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إنِّى عبدُ اللَّهِ، خاتَمُ النَّبيِّين، وإنَّ آدمَ لَمُنْجَدِلٌ فى طِينتِه، وسأُنَبِّئُكم بأولِ ذلك، دعوةُ أبى إبراهيمَ، وبِشارةُ عيسى بِى، ورُؤْيَا أُمِّى التى رَأَتْ، وكذلك أُمَّهاتُ النَّبيِّين(6) تَرَيْنَ(7)». وقد رواه اللَّيثُ(8)، عن معاويةَ بنِ صالحٍ، وقال: إن أمَّه رأتْ - حينَ وضَعَتْه - نورًا أضاءَتْ منه قصورُ الشامِ(5).

(1 - 1) سقط من: 91، ص.

(2) سقط من: الأصل.

(3) أى إبراهيم وعيسى، عليهما السلام.

(4) فى المسند 4/127. وإسناده ضعيف، إلا إن له شاهدًا بيعضه. ذكره الألبانى فى (السلسلة الصحيحة 1546).

(5 - 5) سقط من: 91، ص.

(6) فى الأصل، م: «المؤمنين». والمثبت من المسند.

(7) سقط من: م.

(8) أحمد فى المسند 4/127.

(1) وقال الإمامُ أحمدُ أيضًا[2] : حدَّثَنا عبدُ الرحمنِ ، حدَّثَنا منصورُ بنُ سعدٍ ، عن بُدَيلِ بنِ مَيْسَرَةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ شَقِيقٍ ، عن مَيْسَرَةَ الفَجْرِ ، قال : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، متى كنتَ[3] نبيًّا ؟ قال : « وآدمُ بينَ الرُّوحِ والجسدِ » . تَفَرَّدَ بهن أحمدُ .

وقد رواه عُمَرُ بنُ أحمدَ بنِ شاهينَ ، فى كتابِ « دلائِلِ النُّبُوَّةِ »[4] مِن حديثِ أبى هريرةَ ، فقال[5] : حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ عبدِ العزيزِ - يَعْنِى أبا القاسِمِ البَغَوِىَّ - حدَّثَنا أبو همامٍ الوليدُ بنُ مسلمٍ ، عن الأَوزاعِىِّ ، حدَّثَنى يحيى ، عن أبى سَلَمَةَ ، عن أبى هريرةَ قال : سُئِلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : متى وجَبَتْ لك النبوةُ ؟ قال : « بيْنَ خَلْقِ آدمَ [٢/٣٢ظ] ونَفْخِ الرُّوحِ فيه » . ورواه من وجهٍ آخرَ عن الأَوزاعىِّ به[5] ، وقال : « وآدمُ مُنْجَدِلٌ فى طِينَتِه » .

ورُوِىَ عن البَغَوِىِّ أيضًا[6] ، عن أحمدَ بنِ المِقْدَامِ ، عن بَقِيَّةَ ، عن[7] سعيدِ ابنِ بَشِيرٍ ، عن قَتَادَةَ ، عن أبى هريرةَ مرفوعًا ، فى قولِ اللَّهِ تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ ﴾ [الأحزاب : ٧] ، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « كُنْتُ أوَّلَ النَّبِيِّينَ فى الخَلْقِ وآخِرَهم فى البعثِ » (1) .

(١ - ١) سقط من : ٩١، ص .

(٢) أحمد فى المسند ٥/ ٥٩. قال الهيثمى فى المجمع ٨/ ٢٢٣: رواه أحمد والطبرانى ، ورجاله رجال الصحيح .

(٣) كذا فى الأصل ، م . وفى المسند : « كتبت » .

(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٢/ ١٣٠، من طريق الوليد بن مسلم به .

(٥) الدر المنثور ٥/ ١٨٤.

(٦) أخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة (٣) من طريق بقية به . ضعفه الألبانى فى (السلسلة الضعيفة ٦٦١) .

(٧) فى الأصل ، م : « بن » . وهو تصحيف ، وبقية هو ابن الوليد ، وسعيد بن بشير هو الأزدى . انظر تهذيب الكمال ٤/ ٩٢، ١٠/ ٣٤٨.

(1) ومن حديثِ ابنِ[2] مُزَاحِمٍ[3]، عن قيسِ بنِ الربيعِ، عن جابرٍ، عن الشَّعْبِيِّ، عن ابنِ عباسٍ، قيل: يا رسولَ اللَّهِ، متى كنتَ نبيًّا؟ قال: «وآدمُ بينَ الرُّوحِ والجسدِ»(1).

وأما الكُهّانُ مِن العربِ، فأَتَتْهم به الشياطينُ مِن الجنِّ، ممَّا تَسْتَرِقُ مِن السمعِ، إذ كانت[4] لا تُحْجَبُ عن ذلك بالقذفِ بالنجومِ، وكان الكاهنُ والكاهنةُ لا يَزالُ يَقَعُ منهما بعضُ ذِكْرِ أمورِه، ولا يُلقِي العربُ لذلك فيه بالًا، حتى بعَثَه اللَّهُ تعالى، ووقَعَت تلك الأمورُ التى كانوا يَذْكُرون فعَرَفوها، فلمَّا تقارَبَ أمرُ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وحضَر زمانُ مبعثِه، حُجِبَتِ الشياطينُ عن السمعِ، وحِيلَ بينَها وبينَ المقاعدِ التى كانت تقْعُدُ لاسْتِراقِ السمعِ فيها، فرُمُوا بالنجومِ، فعَرَفَتِ الجنُّ[5] أنَّ ذلك لِأَمرٍ حدَث مِن أمرِ اللَّهِ، عزَّ وجلَّ. قال[6]: وفى ذلك أنْزَل اللَّهُ على رسولِه ﷺ: ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١، ٢]. إلى آخرِ السورةِ. وقد ذكَرْنا تفسيرَ ذلك كلِّه فى كتابِنا «التفسيرِ»[7]، وكذا قولُه تعالى[8]: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ

(١ - ١) سقط من: ٩١، ص.

(٢) فى م: «أبى». وهو نصر بن مزاحم. انظر لسان الميزان ٦/ ١٥٧.

(٣) أخرجه العقيلى فى الضعفاء الكبير (١٨٩٩). بإسناده إلى ابن عباس.

(٤) بعده فى الأصل، م، ص: «وهى».

(٥) فى ا ٩، م، ص: «الشياطين».

(٦) أى ابن إسحاق فى سيرته ص ٩١.

(٧) التفسير ٨/ ٢٦٥، ٢٦٦.

(٨) التفسير ٧/ ٢٧٢ - ٢٨٦.

﴿ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝٢٩ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ الآيات [الأحقاف: ٢٩، ٣٠]. ذكَرْنا تفسيرَ ذلك كلِّه هناك.

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[1]: حدَّثني يعقوبُ بنُ عُتْبَةَ بنِ المُغِيرَةِ بنِ الأَخْنَسِ، أنَّه حُدِّثَ أنَّ أولَ العربِ فَزِعَ للرَّمْيِ بالنجومِ حينَ رُمِي بها هذا الحيُّ مِن ثَقِيفٍ، وأنَّهم جاءُوا إلى رجلٍ منهم، يُقالُ له: عمرُو بنُ أُمَيَّةَ، أحدِ بني عِلَاجٍ، وكان أَدْهَى العربِ[2] وأَنْكَرَها رأيًا[2]، فقالوا له: يا عمرُو، ألم تَرَ ما حدَث في السماءِ مِن القَذْفِ بهذه النُّجومِ؟ قال: بلى، فانظروا، فإنْ كانت معالمُ النُّجومِ التي يُهْتَدَى بها في البرِّ والبحرِ، ويُعْرَفُ بها الأَنْوَاءُ، مِن الصيفِ والشتاءِ، لِمَا يُصْلِحُ الناسَ في معايِشِهم، هي التي يُرْمَى بها، فهو واللَّهِ طَيُّ الدُّنيا، وهلاكُ هذا الخَلْقِ، وإن كانت نجومًا غيرَها، وهي ثابتةٌ على حالِها، فهذا لأمرٍ أرادَ اللَّهُ به هذا الخَلْقَ [3]فانْظُرُوا ما[3] هو؟

وقال ابنُ إسحاقَ[4]: وحدَّثني بعضُ أهلِ العلمِ، أَنَّ امرأةً مِن بني سَهْمٍ، يقالُ لها: الغَيْطَلَةُ. كانت كاهنةً في الجاهليةِ، جاءَها صاحبُها ليلةً مِن الليالي، فانْقَضَّ تحتَها، ثم قال: أَدْرِ ما أَدْرِ، يومُ عَقْرٍ ونَحْرٍ. فقالت قريشٌ حينَ بلَغَها

---

(١) سيرة ابن إسحاق ص ٩٢، ٩٣، وسيرة ابن هشام ١/ ٢٠٦، ٢٠٧.

(٢ - ٢) في م: «أمكرها». وأنكرها رأيا: أهداها رأيا؛ من النُّكْر، بالضم، وهو الدهاء والفطنة. القاموس المحيط (ن ك ر).

(٣ - ٣) في النسخ: «فما». والمثبت من سيرة ابن إسحاق ص ٩٣.

(٤) سيرة ابن إسحاق ص ٩١، ٩٢، وسيرة ابن هشام ١/ ٢٠٨.

ذلك : ما يُرِيدُ ؟ ثم جاءَها ليلةً أخرَى ، فانْقَضَّ تحتَها ، ثم قال : شُعُوبٌ ، ما شُعُوبٌ ؟ يُصْرَعُ فيه كَعْبٌ لجُنُوب[1] . فلمَّا بلَغ ذلك قريشًا قالوا : ماذا يُريدُ ؟ إنَّ هذا لِأمرٍ هو كائنٌ ، فانظُروا ما هو . فما عَرَفوه حتى كانت وقعةُ بدرٍ وأُحُدٍ بالشِّعبِ ، فعَرَفوا أنه كان الذى جاءَ به إلى صاحبتِه .

[٢/٣٣و] قال ابنُ إسحاقَ[2] : وحدَّثنى علىُّ بنُ نافعٍ الجُرَشِىُّ ، أنَّ جَنْبًا - بَطْنًا من اليمنِ - كان لهم كاهِنٌ فى الجاهليةِ ، فلَمَّا ذُكِرَ أمرُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وانتَشَرَ فى العربِ ، قالت له جَنْبٌ : انظُرْ لنا فى أمرِ هذا الرجلِ . واجْتَمَعوا له في أسفلِ جَبَلِه ، فنزَل إليهم حينَ طَلَعتِ الشمسُ ، فوقَفَ لهم قائمًا مُتَّكِئًا على قَوْسٍ له ، فرَفَعَ رأسَه إلى السماءِ طويلًا ، ثُم جَعل يَنْزُو[3] ، ثم قال : أيُّها الناسُ ، إنَّ اللَّهَ أكْرَمَ محمدًا واصْطَفاه ، وطَهَّرَ قلبَه وحَشَاه ، ومُكْثُه فيكم أيُّها الناسُ قليلٌ . ثُم اشْتَدَّ فى جَبَلِه راجعًا مِن حيثُ جاءَ . ثُم ذكَر ابنُ إسحاقَ قصةَ سَوادِ ابنِ قَارِبٍ[4] ، وقد أَخَّرْناها إلى هَواتِفِ الجانِّ .

---

(١) فى ا ٩، ص : « بجنوب » . وفى م : « الجنوب » . وفى سيرة ابن هشام : « لجوب » . وكعب ، هو كعب بن لؤى ، والذين صرعوا ببدر من قريش معظمهم من كعب بن لؤى . وجنوب : جمع جنب .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٢٠٩.

(٣) ينزو : يثب .

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٢٠٩، ٢١٠.

فَصْلٌ

قال ابنُ إسحاقَ[١]: وحَدَّثَنى عاصمُ بنُ عُمَرَ بنِ قتادةَ، عن رجالٍ مِن قومِه، قالوا: إنَّ مِمَّا دَعَانا إلى الإسلامِ - مع رحمةِ اللَّهِ تعالى وهُدَاه لنا - ما كنا نَسْمَعُ مِن رجالٍ[٢] مِن يهودَ، وكُنَّا أهلَ شِرْكٍ، أصحابَ أوثانٍ، وكانوا أهلَ كتابٍ، عندَهم عِلْمٌ ليس لنا، وكانت لا يزالُ بيننا وبينَهم شرورٌ، فإذا نِلْنَا منهم بعضَ ما يَكْرَهُون، قالوا لنا: إنه قد تَقَارب زمانُ نبيٍّ يُبْعَثُ الآن، نَقْتُلُكم معه قَتْلَ عادٍ وإرَمَ. فكنا كثيرًا ما نَسْمَعُ ذلك منهم، فلما بعَث اللَّهُ رسولَ اللَّهِ ﷺ، أجَبْناه حينَ دَعَانا إلى اللَّهِ، وعَرَفنا ما كانوا يَتَوَعَّدُونَنا به، فبادَرْناهم إليه، فآمَنَّا به وكَفَروا به، ففينا وفيهم نزَلَت هذه الآيةُ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩].

وقال وَرْقاءُ، عن ابنِ أبى نَجِيحٍ، عن عليٍّ الأَزْدِيِّ: كانت اليهودُ تقولُ: اللهمَّ ابْعَثْ لنا هذا النبيَّ، يَحْكُمُ بيننا وبينَ الناسِ. يَسْتَفْتِحون به؛ أى يَسْتَنْصِرونَ به. رواه البَيْهَقِىُّ[٣].

---

(١) المصدر السابق ١/ ٢١١.

(٢) فى م: «رجل».

(٣) دلائل النبوة للبيهقى ٢/ ٧٦.

ثم روَى[1] مِن طريقِ عبدِ الملكِ بنِ هارونَ بنِ [2]عَنْتَرَةَ[3]، عن أبيه عن جَدِّه[2]، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ، عن ابنِ عباسٍ، قال: كانتِ اليهودُ بخيبرَ تقاتِلُ غَطَفَانَ، فكلَّما الْتَقَوْا، هُزِمَت يهودُ خَيْبَرَ، فعاذَتِ اليهودُ بهذا الدعاءِ، فقالوا: اللهم إنّا[4] نسْأَلُك بحقِّ محمدٍ النبيِّ الأُمِّيِّ، الذى وعَدتنا أن تُخْرِجَه لنا[4] فى آخِرِ الزمانِ، إلَّا نَصَرْتَنا عليهم. قال: فكانوا إذا الْتَقَوْا دَعَوْا بهذا الدعاءِ، فهَزموا غَطَفَانَ، فلَمَّا بُعِثَ النبىُّ ﷺ كفروا به، فأَنْزَل اللَّهُ، عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية. وروَى عطيةُ عن ابنِ عباسٍ نَحْوَه[5]. ورُوِىَ عن عِكْرِمَةَ مِن قولِه نحوُ ذلك أيضًا.

وقال ابنُ إسحاقَ[6]: وحدَّثنى صالحُ بنُ إبراهيمَ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ، عن محمودِ بنِ لَبِيدٍ، عن سلمةَ بنِ سلامةَ[7] بنِ وَقْشٍ - وكان مِن أهلِ بدرٍ - قال: كان لنا جارٌ مِن يهودَ، فى بنى عبدِ الأَشْهَلِ. قال: فخرَج علينا يومًا من بيتِه، حتى وقَف على بنى عبدِ الأَشْهَلِ. قال سلمةُ: وأنا يومئذٍ أَحْدَثُ مَن فيه سِنًّا، علىَّ بُرْدَةٌ[8] لى، مُضْطجِعٌ فيها بفناءِ أهلى، فذكَر القيامةَ،

---

(1) المصدر السابق ٢/ ٧٦، ٧٧.
(٢ - ٢) سقط من: ص.
(3) فى الأصل، م: «عنبرة».
(4) سقط من: م.
(5) دلائل النبوة للبيهقى ٢/ ٧٧.
(6) سيرة ابن إسحاق ص ٦٣، ٦٤. وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٢١٢.
(7) فى الأصل، م: «سلام».
(8) فى الأصل، م: «فروة».

والبعْثَ ، والحسابَ ، والميزانَ ، والجنةَ ، والنَّارَ . قال : فقال ذلك لقومٍ أهلِ شِرْكٍ ، أصحابِ أوثانٍ ، لا يَرَوْنَ أنَّ بَعْثًا كائنٌ بعدَ الموتِ ، فقالوا له : وَيْحَكَ يا فلانُ ، أوَ تَرَى هذا كائنًا ، أنَّ الناسَ يُبْعَثون بعدَ موتِهم [٣٣/٢ظ] إلى دارٍ فيها جنةٌ ونارٌ ، يُجْزَوْن فيها بأعمالِهم ؟ قال : نعم ، والذى يُحْلَفُ به . ويَوَدُّ[(١)] أنَّ له بحَظِّه[(٢)] من تلك النَّارِ أعْظَمَ تنُّورٍ فى الدارِ ، يُحْمُونَه ، ثم يُدخِلونه إياه ، فيُطيِّنونَه[(٣)] عليه ، بأنْ يَنْجُوَ[(٤)] مِن تلك النارِ غدًا . قالوا له : ويحَكَ يا فلانُ ، فما آيةُ ذلك ؟ قال : نبيٌّ مبعوثٌ من نحوِ هذه البلادِ . وأشارَ بيدِه إلى نحوِ مكةَ واليمنِ . قالوا : ومتى تُراه ؟ قال : فنظَرَ إلىَّ ، وأنا مِن أَحْدَثِهم سِنًّا ، فقال : إنْ يَسْتَنْفِدْ هذا الغلامُ عمرَه ، يُدْرِكْه . قال سلمةُ : فواللَّهِ ما ذهَبَ الليلُ والنهارُ ، حتى بعَثَ اللَّهُ رسولَه ﷺ ، وهو حيٌّ بينَ أَظْهُرِنا ، فآمَنَّا به ، وكفَر به بَغْيًا وحسدًا . قال : فقلنا له : وَيْحَكَ يا فلانُ ، ألستَ بالذى قلتَ لنا فيه ما قلتَ ؟ قال : بلى ، ولكنْ ليس به . (٥)رواه أحمدُ[(٦)] ، عن يعقوبَ ، عن أبيهِ ، عن ابنِ إسحاقَ[(٧)] . ورواه البَيْهَقِيُّ[(٨)] ، عن الحاكِمِ بإسنادِه ، مِن طريقِ يونسَ بنِ بُكَيْرٍ(٥) .

---

(١) فى ص : « أود » . والضمير عائد على اليهودى .

(٢) فى م ، ص : « تحطة » .

(٣) فى الأصل ، م : « فيطبقونه » .

(٤) فى م : « ينجون » .

(٥ - ٥) سقط من : ١ ٩ ، ص .

(٦) أحمد فى المسند ٣/ ٤٦٧ . قال الهيثمى فى المجمع ٨/ ٢٣٠ : رواه أحمد والطبرانى ... ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق ، وقد صرح بالسماع .

(٧) فى الأصل ، م : « عباس » . وهو تحريف . والمثبت من المسند .

(٨) فى دلائل النبوة ٢/ ٧٨ ، ٧٩ .

ورَوَى أبو نُعَيْمٍ فى «الدلائلِ»[(١)]، عن عاصمِ بنِ عمرَ بنِ قتادَةَ، عن محمودِ بنِ لَبِيدٍ، عن محمدِ بن مَسْلَمَةَ[(٢)]، قال: لم يكنْ فى بنى عبدِ الأَشْهَلِ إلَّا يَهوديٌّ واحدٌ، يقالُ له: يُوشَعُ. فسَمِعْتُه يقولُ- وإنى لَغلامٌ في إزارٍ-: قد أَظَلَّكم خروجُ نبيٍّ يُبْعَثُ مِن نحوِ هذا البيتِ- ثُم أشارَ بيدِه إلى بيتِ اللَّهِ- فمَن أَدْرَكَه فلْيُصَدِّقْه. فبُعِثَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، فأسْلَمنا وهو بينَ أَظْهُرِنا لم يُسْلِمْ، حسدًا وبَغْيًا. وقد قدَّمنا حديثَ أبى سعيدٍ، عن أبيه، فى إخْبَارِ يُوشَعَ هذا عن خروجِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وصفتِه، ونعتِه، وإخْبَارِ الزُّبَيْرِ بنِ باطَا، عن ظهورِ كوكبِ مولِدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ[(٣)].

قال ابنُ إسحاقَ[(٤)]: حدثنى عاصمُ بنُ عُمَرَ بنِ قتادةَ، عن شيخٍ من بنى قُرَيْظَةَ، قال لى: هل تَدْرِى عَمَّ كان إسلامُ ثَعْلَبَةَ بنِ سَعْيَةَ، وأُسَيْدِ بنِ سَعْيَةَ، وأَسَدِ بنِ عُبَيْدٍ، نَفَرٍ من بنى هَدْلٍ، إخوةِ بَنِى قُرَيْظَةَ، كانوا معهم فى جاهِلِيَّتِهم، ثم كانوا سادتَهم فى الإسلامِ؟ قال: قلتُ: لا. قال: فإنَّ رجلًا من اليهودِ، مِن أرضِ الشامِ يقالُ له: ابنُ الهَيِّبَانِ. قَدِمَ علينا قبلَ الإسْلامِ بسِنِينَ، فَحَلَّ بينَ أَظْهُرِنا، لا واللَّهِ ما رأَيْنا رجلًا قطُّ لا يُصَلِّى الخمسَ أَفْضَلَ منه، فأقام عندَنا، فكنا إذا قَحَط عنا المطرُ، قلنا له: اخْرُجْ يا ابنَ الهَيِّبَانِ فاسْتَسْقِ لنا. فيقولُ: لا واللَّهِ، حتى تُقَدِّمُوا بينَ يَدَىْ مَخْرَجِكُم صَدَقةً. فنقولُ

---

(١) لم نجده فى نسخة مختصر الدلائل التى لدينا.

(٢) فى الأصل، م، ص: «سلمة».

(٣) بعده فى م، ص: «ورواه الحاكم عن البيهقى بإسناده، من طريق يونس بن بكير عنه». وهو خطأ وتكرار.

(٤) سيرة ابن إسحاق ص ٦٤، ٦٥. وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٢١٣، ٢١٤.

له : كم؟ فيقولُ : صاعًا مِن تمرٍ ، أو مُدَّيْنِ مِن شَعيرٍ . قال : فنُخْرِجُها ، ثم يَخْرُجُ بنا إلى ظاهِرِ حَرَّتِنا[1] ، فيَسْتَسقِى لنا ، فواللَّهِ ما يَبْرَحُ مجلسَه حتى يَمُرَّ السحابُ ، ونُسْقَى ، قد فَعَل ذلك غيرَ مرةٍ ، ولا مرتين ، ولا ثلاثٍ . قال : ثم حضَرَتْه الوفاةُ عندَنا ، فلمَّا عرَف أنَّه ميتٌ قال : يا معشَرَ يهودَ ، ما تَرَوْنه أَخْرَجَنى مِن أرضِ الخَمرِ والخَمِيرِ إلى أرضِ البُؤْسِ والجوعِ؟ قال : قلنا : أنت أعلمُ . قال : فإنِّى إنَّما قَدِمْتُ هذه البلدةَ ، أتوَكَّفُ خروجَ نبيٍّ ، قد أظلَّ زمانُه ، هذه البلدةُ مُهَاجَرُه ، فكنتُ أَرْجُو أنْ يُبْعَثَ فأَتَّبِعَه ، وقد أَظَلَّكم زمانُه ، فلا تُسْبَقُنَّ إليه يا معشرَ يهودَ ، فإنه يُبْعَثُ بسَفْكِ الدماءِ ، وسَبْيِ الذَّرَارِىِّ مِمَّن[2] خالَفَه ، فلا يَمْنَعنَّكم ذلك منه . فلما بُعِثَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وحاصَرَ بَنِى قُرَيْظَةَ ، قال هؤلاء الفتيةُ - وكانوا شَبَابًا أَحْدَاثًا - : يا بنى قُرَيْظَةَ ، واللَّهِ إنه لَلنَّبِىُّ الذى كان[3] عَهِدَ إليكم فيه [٣٤/٢و] ابنُ الهَيِّبَانِ . قالوا : ليس به . قالوا : بلى واللَّهِ ، إنَّه لهو بصِفَتِه . فنَزَلوا فأَسْلَموا ، فأَحْرَزُوا دماءَهم وأموالَهم وأَهْلِيهِم .

قال ابنُ إسحاقَ : فهذا ما بَلَغَنا عن أخبارِ يهودَ .

قلتُ : وقد قَدَّمنا فى قدومِ تُبَّعٍ اليَمَانِىِّ - وهو أبو كَرِبٍ تُبَّانُ أَسْعَدَ - إلى المدينةِ[4] ، ومُحَاصرتِه إيَّاها ، وأنَّه خَرج إليه ذانِكَ الحَبْرَانِ مِن اليهودِ ، فقالا له : إنَّه لا سبيلَ لك عليها ، إنها مُهَاجَرُ نَبِىٍّ يكونُ فى آخرِ الزمانِ . فَثَناه ذلك عنها .

---

(١) فى الأصل ، م : « حرثنا » .

(٢) فى الأصل ، م : « فيمن » ، وفى ص : « فمن » .

(٣) سقط من : الأصل ، م .

(٤) انظر ما تقدم فى صفحة ١٢٤ - ١٢٦ .

وقد روَى أبو نُعيمٍ فى «الدلائلِ»[1]، من طريقِ الوليدِ بنِ مسلمٍ، حدَّثنا محمدُ بنُ حمزةَ بنِ يوسفَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ سَلامٍ، عن أبيهِ، عن جَدِّه، قال عبدُ اللَّهِ بنُ سَلامٍ: إن اللَّهَ لما أرادَ هُدَى زَيْدِ بن سُعْنَةَ[2]، قال زيدٌ: لم يَبْقَ من علاماتِ النبوَّةِ شىءٌ إلَّا وقد عَرَفْتُها فى وجهِ محمدٍ ﷺ حينَ نَظَرْتُ إليه، إلَّا اثْنَتَيْن لم أَخْبُرْهما منه؛ يَسْبِقُ حِلْمُه جَهْلَه، ولا يَزِيدُ شدةُ الجهلِ عليه إلا حِلْمًا. قال: فكنتُ أَتَلَطَّفُ له، لِأَنْ أُخالِطَه، فأَعْرِفَ حِلْمَه وجهلَه. فذكَر قصةَ إسلافِه للنبىِّ ﷺ مالًا فى تَمْرٍ، قال: فلَمَّا حلَّ الأجلُ أَتَيْتُه، فأخذتُ بمَجَامِعِ قميصِه وردائِه، وهو فى جِنازةٍ مع أصحابِه، ونظرتُ إليه بوجهٍ غليظٍ، وقلتُ: يا محمدُ، أَلَا تَقْضِينِى حَقِّى؟ فواللَّهِ ما عَلِمْتُكم بَنِى عبدِ المُطَّلِبِ لَمُطْلٌ. قال: فنظَر إلىَّ عمرُ، وعيناه تَدُورانِ فى وجهِه كالفَلَكِ المُسْتديرِ، ثم قال: يا عدوَّ اللَّهِ، أتقولُ لرسولِ اللَّهِ ﷺ ما أَسْمَعُ، وتَفْعَلُ ما أَرَى؟ فوالذى بَعَثَه بالحقِّ، لولا ما أُحاذِرُ فَوْتَه[3]، لَضَرَبْتُ بسَيْفِى رأسَكَ. ورسولُ اللَّهِ ﷺ يَنْظُرُ إلى عُمَرَ فى سكونٍ وتُؤَدَةٍ وتَبَسُّمٍ، ثم قال: «أنا وهو كنا أَحْوَجَ إِلَى غيرِ هذا منك يا عُمَرُ؛ أَنْ تَأْمُرَنِى بحُسْنِ الأداءِ، وتَأْمُرَه بحُسْنِ التِّبَاعَةِ[4]، اذْهَبْ به يا عُمَرُ، فاقْضِه حَقَّه، وزِدْ عِشرين صاعًا مِنْ تَمْرٍ». فأَسْلَمَ زيدُ بنُ سُعْنَةَ[2]، رضِىَ اللَّهُ عنه، وشَهِدَ بقيَّةَ المَشاهِدِ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ، وتُوفِّىَ عامَ تَبُوكَ، رَحِمَه اللَّهُ.

---

(١) دلائل النبوة (٤٨).

(٢) فى م: «سعية».

(٣) فى الأصل، م: «لومه». وفى ص: «قومه». والفوت: السبق.

(٤) التباعة: طلب الدَّيْن.

ثم ذكر ابنُ إسحاقَ رَحِمَه اللَّهُ، إسلامَ سَلْمَانَ الفارسيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عنه وأَرْضَاه، فقال[1] : حدَّثَنى عاصمُ بنُ عمرَ بنِ قتادةَ الأَنْصارىُّ، عن محمودِ بن لَبيدٍ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ، قال: حَدَّثَنى سلمانُ الفارسىُّ مِن فيه، قال: كنتُ رجلًا فارسيًّا مِن أهلِ أَصْبَهَانَ، مِن أهلِ قريةٍ يقالُ لها: جَىٌّ. وكان أبى دِهْقَانَ قرْيتِه، وكنتُ أحبَّ خلقِ اللَّهِ إليه، لم يَزَلْ حبُّه إيَّاىَ حتى حَبَسَنِى فى بيتِه، كما تُحْبَسُ الجاريةُ، واجتَهَدتُ فى المجوسيَّةِ، حتى كنتُ قَطِنَ[2] النارِ التى يُوقِدُها، لا يَتْرُكُها تَخْبُو ساعةً. قال: وكانت لأبى ضَيْعَةٌ عظيمةٌ. قال: فشُغِلَ فى بُنْيَانٍ له يومًا، فقال لى: يا بُنَىَّ، إنى قد شُغِلْتُ فى بُنْيانِى هذا اليومَ عن ضَيْعَتِى، فاذهبْ إليها، فاطَّلِعْها. وأَمَرَنى فيها ببعضِ ما يُرِيدُ، ثم قال لى: ولا تَحْتَبِسْ عنى، فإنَّك إنِ احْتَبَسْتَ عنى، كنتَ أَهَمَّ إلىَّ مِن ضَيْعَتِى، وشَغَلْتَنِى عن كلِّ شىءٍ مِن أَمْرِى. قال: فخرجتُ أريدُ ضَيْعَتَه التى بَعَثَنى إليها، فمرَرْتُ بكنيسةٍ من كنائسِ النَّصارى، فسَمِعْتُ أصواتَهم فيها وهم يُصَلُّون، وكنتُ لا أَدْرِى ما أَمْرُ الناسِ؛ لحبْسِ أبى إيَّاىَ فى بيتِه، فلما سَمِعْتُ أصواتَهم، دخلتُ عليهم، أَنْظُرُ ما يَصْنَعون [٢/٣٤ظ]، فَلَمَّا رأيتُهم، أَعْجَبَتْنِى صلاتُهم، ورَغِبْتُ فى أمرِهم، وقلتُ: هذا واللَّهِ خيرٌ مِن الدينِ الذى نحنُ عليه. فواللَّهِ ما بَرِحْتُهم حتى غرَبَتِ الشمسُ، وتركتُ ضَيْعَةَ أبِى، فلم آتِها،

---

(١) سيرة ابن إسحاق ص ٦٦ - ٧٠. وانظر سيرة ابن هشام ٢١٤/١ - ٢٢١. قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٩/ ٣٣٦: رواه أحمد كله، والطبرانى فى الكبير، بنحوه بأسانيد، وإسناد الرواية الأولى عند أحمد والطبرانى رجالها رجال الصحيح غير محمد بن إسحاق، وقد صرح بالسماع، وإسناد الرواية الثانية انفرد بها أحمد، ورجالها رجال الصحيح غير عمرو بن أبى قرة الكندى وهو ثقة، ورواه البزار.
وهو عند أحمد فى المسند ٤٤١/٥ - ٤٤٤. وفى المعجم الكبير للطبرانى (٦٠٦٥).
(٢) قطن النار: خازنها وخادمها.

ثم قلتُ لهم : أين أَصْلُ هذا الدينِ؟ قالوا : بالشامِ . فرجَعْتُ إلى أبى ، وقد بَعث فى طَلَبِى ، وَشَغلْتُه عن أمرِه كلِّه ، فلما جِئتُه قال : أى بُنَىَّ ، أين كنتَ ، ألم أَكنْ عَهِدْتُ إليك ما عَهِدْتُ ؟ قال : قلتُ : يا أَبَتِ ، مررتُ بأُناسٍ يُصَلُّون فى كنيسةٍ لهم ، فأَعْجَبَنى ما رأيتُ مِن دينِهم ، فواللَّهِ ما زلْتُ عندَهم حتى غرَبَتِ الشمسُ . قال : أىْ بُنَىَّ ، ليس فى ذلك الدينِ خيرٌ ، دينُك ودينُ آبائِك خيرٌ منه . قال : قلت له[(1)] : كلَّا واللَّهِ ، إنه لخيرٌ من دِينِنا . قال : فخافَنِى ، فجعَل فى رِجلِى قَيْدًا ، ثم حبَسَنى فى بيتِه . قال : وبعثتُ إلى النصارَى ، فقلتُ لهم : إذا قَدِمَ عليكم رَكْبٌ مِن الشامِ فأَخْبِرونى بهم . قال : فقَدِمَ عليهم رَكْبٌ مِن الشامِ (٢تُجَّارٌ مِن٢) النصارَى ، فأَخْبَرونى بهم ، فقلتُ لهم[(1)] : إذا قَضَوْا حوائجَهم ، وأَرَادوا الرَّجْعَةَ إلى بلادِهم ، فآذِنُونى . قال : فلَمّا أرَادوا الرَّجْعَةَ إلى بلادِهِمْ أَخْبَرُونى بِهم ، فأَلْقَيْتُ الحديدَ مِن رِجْلى ، ثُم خَرَجتُ معهم ، حتى قَدِمْتُ الشامَ ، فَلَمّا قَدِمْتُها ، قلت : مَن أَفْضَلُ أهلِ هذا الدينِ عِلْمًا ؟ قالوا : الأُسْقُفُّ فى الكنيسةِ . قال : فجئتُهُ ، فقلتُ له : إنى قد رَغِبتُ فى هذا الدينِ ، وأَحْبَبْتُ أن أكونَ معك ، وأَخْدُمَك فى كنيستِك ، وأَتَعَلَّمَ منك ، وأُصَلِّىَ معك . قال : ادْخُلْ . فدَخَلْتُ معه ، فكان رجلَ سَوْءٍ ، يأْمُرُهم بالصدقةِ ، ويُرغِّبُهم فيها ، فإذا جَمَعُوا له شيئًا منها[(1)] ، كَنَزَه لنفسِه ، ولم يُعْطِه المساكينَ ، حتى جمَعَ سَبْعَ قِلَالٍ مِن ذهبٍ ووَرِقٍ . قال : وأَبْغَضْتُه بُغْضًا شديدًا ؛ لِمَا رأيتُه يَصْنَعُ ، ثُم مات ، واجْتَمَعَتْ له النّصارَى ليَدْفِنوه ، فقلتُ

---

(١) سقط من : الأصل ، م .

(٢ - ٢) فى الأصل ، م : « فجاءونى » .

لهم : إنَّ هذا كان رجلَ سَوْءٍ ، يأْمُرُكم بالصدقةِ ويُرَغِّبُكم فيها ، فإذا جِئتُموه بها اكْتَنَزَها لنفسِه ، ولم يُعْطِ المساكينَ منها شيئًا . قال : فقالوا لى : وما عِلْمُك بذلك ؟ قال : قلتُ لهم : أَنَا أَدُلُّكم على كَنْزِه . قالوا : فَدُلَّنا عليه . قال : فأَرَيْتُهم موضِعَه ، فاستَخْرَجوا سَبْعَ قِلَالٍ مملوءةً ذهبًا ووَرِقًا ، فلمَّا رَأَوْها قالوا : لا نَدْفِنُه أبدًا . قال : فصَلَبُوه ورَجَمُوه بالحجارةِ ، وجاءُوا برجلٍ آخَرَ ، فجَعَلُوه[1] مكانَه . قال : يقولُ سلمانُ : فما رأيتُ رجلًا لا يُصَلِّى الخَمْسَ أَرَى أنه أَفْضَلُ منه ، و[2] أَزْهدُ فى الدنيا ، ولا أَرْغَبُ فى الآخرةِ ، ولا أَدْأَبُ ليلًا ونهارًا . قال : فأَحْبَبْتُه حُبًّا لم أُحِبَّ شيئًا قَبْلَه[3] . قال : فأَقَمْتُ معه زمانًا ، ثُم حضَرتْه الوفاةُ ، فقلتُ له : إنِّى قد كنتُ معك ، وأَحْبَبْتُك حُبًّا لم أُحِبَّه شيئًا قَبْلَك ، وقد حضَرَك ما تَرَى مِن أمرِ اللَّهِ تعالى ، فإلى مَن تُوصِى بى ، وبمَ تَأْمُرُنى به ؟ قال : أىْ بُنَىَّ ، واللَّهِ ما أَعْلَمُ اليومَ أحدًا على ما كنتُ عليه ، لقد هلَك الناسُ ، وبَدَّلوا ، وتَرَكوا أَكْثَرَ ما كانوا عليه ، إلَّا رجلًا بالمَوْصِلِ ، وهو فلانٌ ، وهو على ما كنتُ عليه ، فالْحَقْ به . قال : فلمّا مات ، وغُيِّبَ ، لَحِقْتُ بصاحِبِ المَوْصِلِ ، فقلت : يا فلانُ ، إنَّ فلانًا أَوْصَانِى عندَ موتِه أنْ أَلْحَقَ بك ، وأَخْبَرَنى أنَّك على أمرِه . فقال لى : أقِمْ عندِى . فأَقَمْتُ عندَه ، فوجدتُه خيرَ رجلٍ ، على أمرِ صاحبِه ، فلم يَلْبَثْ أنْ ماتَ ، فلَمّا حَضَرَتْه الوفاةُ ، قلتُ له : يا فلانُ ، إنَّ فلانًا [4]أَوْصَى بى[4] إليك ، وأَمَرَنى باللُّحوقِ بك ، وقد حَضَرَك مِن أمرِ اللَّهِ ما تَرَى ، فإلى مَن تُوصِى

---

(١) فى م : « فوضعوه » .

(٢) ليست فى النسخ . والمثبت من السيرة .

(٣) بعده فى م : « مثله » .

(٤ - ٤) فى الأصل ، ا ٩، ص : « أوصانى » .

بى ، وبِمَ تَأْمُرُنى ؟ قال : يا بُنَىَّ ، [٣٥/٢و] واللَّهِ ما أَعْلَمُ رجلًا على مِثْلِ ما كنَّا عليه ، إلَّا رجلًا بنَصِيبِينَ ، وهو فلانٌ ، فالْحَقْ به . فلما مات وغُيِّب ، لحِقتُ بصاحِبِ نَصِيبِينَ ، فأخْبَرْتُه خبَرى ، وما أمَرَنى به صاحِبَاىَ[١] ، فقال : أَقِمْ عندى . فأقمتُ عندَه ، فوجدتُه على أمرِ صاحِبَيْه[٢] ، فأقمتُ مع خيرِ رجلٍ ، فواللَّهِ ما لَبِثَ أنْ نزَل به الموتُ ، فلما حُضِرَ ، قلتُ له : يا فلانُ ، إنَّ فلانًا كان أَوْصَى بِى إلى فلانٍ[٣] ، ثُم أَوْصَى بى فلانٌ إليك ، فإلى مَن تُوصِى بى ، وبِمَ تَأْمُرُنى ؟ قال : يا بُنَىَّ ، واللَّهِ ما أَعْلَمُه بَقِىَ أحدٌ على أمرِنا آمُرُك أنْ تَأْتِيَه ، إلَّا رجلًا بِعَمُّورِيَّةَ مِن أرضِ الرُّومِ ، فإنه على مِثْلِ ما نحن عليه ، فإن أَحْبَبْتَ فائْتِه ، فإنَّه على أمرِنا . فلما ماتَ وغُيِّب ، لَحِقْتُ بصاحبِ عَمُّورِيَّةَ ، فأَخبرتُه خَبَرِى ، فقال : أَقِمْ عندِى . فأقمتُ عندَ خيرِ رَجُلٍ ، على هَدْيِ أصحابِه وأمرِهم . قال : واكتَسَبْتُ ، حتى كانت لى بقراتٌ وغُنَيْمةٌ . قال : ثُم نَزَل بِهِ أمرُ اللَّهِ ، فَلَمّا حُضِرَ ، قلتُ له : يا فلانُ ، إنِى كنتُ مع فلانٍ ، فأَوْصَى بى إلى فلانٍ ، ثُم أَوْصَى بى فلانٌ إلى فلانٍ[٣] ، ثُم أَوْصَى بى فلانٌ إليكَ ، فإلى مَن تُوصِى بى ، وبِمَ تَأْمُرُنِى ؟ قال : أى بُنَىَّ ، واللَّهِ ما أَعْلَمُه[٤] أَصْبَحَ أحدٌ على مِثْلِ ما كنَّا عليه مِن الناسِ آمُرُك أن تَأْتِيَه ، ولكنه قد أَظَلَّ زمانُ نبىٍّ ، وهو[٥] مبعوثٌ بدينِ إبراهيمَ ، يَخْرُجُ بأرضِ العربِ ، مُهاجَرُه إلى أرضٍ[٦] بينَ حَرَّتَيْنِ ، بينَهما نَخْلٌ ،

---

(١) فى الأصل، ا ٩، ص: «صاحبى».
(٢) فى الأصل، ا ٩: «صاحبه».
(٣) بعده فى م: «ثم أوصى بى فلان إلى فلان».
(٤) فى م: «أعلم».
(٥) سقط من: م.
(٦) فى م: «الأرض».

به علاماتٌ لا تَخْفَى ، يَأْكُلُ الهَدِيَّةَ ، ولا يَأْكُلُ الصدقَةَ ، بينَ كَتِفَيْه خاتَمُ النبوةِ ، فإنِ استطعتَ أنْ تَلْحَقَ بتلك البلادِ فافْعَلْ . قال : ثُم مات وغُيِّبَ ، ومكَثْتُ بِعَمُّورِيَّةَ ما شاء اللَّهُ أن أمْكُثَ ، ثُم مَرّ بى نَفَرٌ مِن كَلْبٍ تُجَّارٌ ، فقلتُ لهم : احْمِلُونى إلى أرضِ العربِ ، وأُعْطِيَكم بَقَراتِى هذه وغُنَيْمَتِى هذه . قالوا : نَعَم . فأعْطَيْتُهُمُوها وحَمَلُونى معهم ، حتى إذا بَلَغُوا وادِىَ القُرَى ، ظَلَمُونى ، فباعُونِى مِن رجلٍ يهودىٍّ عبدًا ، فكنتُ عندَه ، ورأيتُ النخلَ ، فرَجَوْتُ أنْ يكونَ البلدُ الذى وصَف لى صاحِبى ، (1) ولم يَحِقَّ فى نَفْسِى (1) ، فبَيْنَا أنا عندَه ، إذْ قَدِمَ عليه ابنُ عَمٍّ له ، مِن بَنِى قُرَيْظَةَ مِن المدينةِ ، فابْتَاعَنِى منه ، فاحْتَمَلنِى إلى المدينةِ ، فواللَّهِ ما هو إلَّا أن رأيتُها ، فعَرَفْتُها بِصِفَةِ صاحِبى لها ، فأقمتُ بها ، وبُعِثَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فأقامَ بمكةَ ما أقامَ ، لا أَسْمَعُ له بذِكْرٍ ؛ مِمّا أنَا فيه مِن شُغْلِ الرِّقِّ ، ثُم هاجَرَ إلى المدينةِ ، فواللَّهِ إنِّى لَفِى رأْسِ (2) عَذْقٍ لسيدِى ، أَعْمَلُ فيه بعضَ العملِ ، وسيدى جالسٌ تحتى إذْ أَقْبَلَ ابنُ عَمٍّ له حتى وَقَف عليه ، فقال : يا فلانُ ، قاتَلَ اللَّهُ بَنِى قَيْلَةَ (3) واللَّهِ إنَّهم الآن لَمُجْتَمِعون بقِبَاءَ على رجلٍ قَدِم عليهم مِن مكةَ اليومَ ، يَزْعُمُون أنه نبىٌّ . قال سلمانُ : فلَمّا سَمِعْتُها ، أَخَذَتْنِى العُرَوَاءُ (5) ، حتى ظننتُ أنِّى ساقطٌ على سيدى ، فنَزَلْتُ عن النَّخْلةِ ، فجعلتُ أقولُ لابنِ عَمِّه : ماذا تقولُ ؟ ماذا تقولُ ؟ فغَضِبَ سيدِى ،

(1 - 1) سقط من : ا 9 . ويحق : يثبت ، ويَصْدُق .

(2) سقط من : الأصل ، ا 9 ، ص . والعَذْق : النخلة بحملها . الوسيط (ع ذ ق) .

(3) فى ص : « ابن قيلة » . وقيلة هى أم الأوس والخزرج . انظر سيرة ابن هشام 1/ 218 .

(4) سقط من : الأصل ، م .

(5) فى الأصل ، م : « الرِّعدة » . والعرواء : الرعدة من البرد والانتفاض ، فإن كان مع ذلك عرق فهى الرُّحَضاء . سيرة ابن هشام 1/ 219 .

فلكَمَنى لكْمَةً شَديدةً ، ثُم قال : ما لَكَ ولهذا ؟ أَقْبِلْ على عَمَلِك . قال : قلتُ : لا شيءَ ، إنَّما أردتُ أنْ أَسْتَثْبِتَه[1] عمّا قال . قال : وقد كان عندى شيءٌ قد جَمَعْتُه ، فَلمّا أَمْسَيْتُ أخذتُه ، ثُم ذهبتُ به إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وهو بقِبَاءَ ، فدخلتُ عليه ، فقلتُ له : إنه قد بَلَغَنى أنَّك رجلٌ صالحٌ ، ومعك أصحابٌ لك غرباءُ ذَوُو حاجةٍ ، وهذا شيءٌ كان عندِى للصدقةِ ، فرأيتُكم أحقَّ به مِن غيرِكم . قال : فقرَّبْتُه إليه ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ ، لأصحابِه : « كُلُوا » . وأَمْسَكَ [٣٥/٢ظ] يَدَه ، فلم يَأْكُلْ ، فقلتُ فى نفسِى : هذه واحدةٌ . ثُم انْصَرَفْتُ عنه ، فجمعتُ شيئًا ، وتَحَوَّلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، إلى المدينةِ ، ثُم جِئْتُه ، فقلتُ له : إنِّى قد رأيتُك لا تأْكُلُ الصدقَةَ ، وهذه هدِيَّةٌ أَكْرَمْتُك بها . قال : فأَكَل رسولُ اللَّهِ ﷺ ، منها ، وأمَر أصحابَه ، فأكَلُوا معه . قال : فقلتُ فى نفسِى : هاتان ثِنْتَانِ . قال : ثُم جِئْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، وهو ببَقِيعِ الغَرْقَدِ ، قد تَبِعَ جِنازةَ رجلٍ مِن أصحابِه ، وعلىَّ[2] شَمْلَتَان لى ، وهو جالسٌ فى أصحابِه ، فسلمتُ عليه ، ثُم استَدْبَرْتُه أَنْظُرُ إلى ظهرِه ، هل أَرَى الخاتَمَ الذى وصَف لى صاحبى ؟ فلمَّا رَآنى رسولُ اللَّهِ ﷺ ، اسْتَدْبَرْتُه ، عرَف أنِّى أَسْتَثْبِتُ فى شيءٍ وُصِفَ لى ، فألْقَى رداءَه عن ظهرِه ، فنَظَرْتُ إلى الخاتَمِ ، فعَرَفْتُه ، فأَكْبَبْتُ عليه أُقَبِّلُه وأَبْكِى ، فقال لى رسولُ اللَّهِ ﷺ : « تَحَوَّلْ » . فتحَوَّلْتُ بينَ يدَيه ، فَقَصَصْتُ عليه حَدِيثِى كما حَدَّثْتُك يا ابنَ عباسٍ ، فأَعْجَبَ رسولَ اللَّهِ ﷺ أنْ يَسْمَعَ ذلك أصحابُه . ثُم شغَل سلمانَ الرقُّ ، حتى فاتَه مع رسولِ اللَّهِ

---

(١) فى الأصل : « أستبينه » .

(٢) فى م : « عليه » .

ﷺ بَدْرٌ وأُحُدٌ . قال سلمانُ : ثُم قال لى رسولُ اللَّهِ ﷺ : « كاتِبْ يا سلمانُ » . فكاتَبْتُ صاحبى على ثلثِمائةِ نخلةٍ أُحْيِيها له بالفَقِيرِ[1] ، وأربعين أُوقِيَّةً ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ لأصحابِه : « أَعِينُوا أَخَاكم » . فأَعَانُونى بالنخلِ ؛ الرجلُ بثلاثين وَدِيَّةً[2] ، والرجلُ بعشرين وَدِيَّةً ، والرجلُ بخَمْسَ عَشْرَةَ وَدِيَّةً ، والرجلُ بعَشْرٍ ، يُعِينُ الرجلُ بقَدْرِ ما عندَه ، حتى اجْتَمَعَتْ لى ثلثُمائةِ وَدِيَّةٍ ، فقال لى رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اذهبْ يا سلمانُ فَفَقِّرْ لها ، فإذا فَرَغْتَ ، فأْتِنِى أَكُنْ أنَا أَضَعُها بيدِى » . قال : فَفَقَّرْتُ ، وأعانَنِى أصحابى ، حتى إذا فَرَغْتُ ، جِئْتُه فأَخْبَرْتُه ، فخرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ معى إليها ، فجعَلْنا نُقَرِّبُ إليه الوَدِىَّ ، ويَضَعُه رسولُ اللَّهِ ﷺ بيدِه ، حتى إذا فَرَغْنا ، فوالذى نفسُ سلمانَ بيدِه ، ما ماتَتْ منها وَدِيَّةٌ واحدةٌ ، فأَدَّيْتُ النخلَ ، وبَقِىَ علىَّ المالُ ، فأُتِىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ بمِثْلِ بيضةِ الدجاجةِ مِن ذهبٍ ، مِن بعضِ المعادِنِ[3] ، فقال : « ما فعَل الفارسىُّ المُكاتَبُ ؟ » قال : فدُعِيتُ له ، قال : « خُذْ هذه فأَدِّها مما عليك يا سلمانُ » . قال : قلتُ : وأين تَقَعُ هذه يا رسولَ اللَّهِ مما علىَّ ؟ قال : « خُذْها ، فإن اللَّهَ سيُؤَدِّى بها عنك » . قال : فأَخَذْتُها ، فوَزَنْتُ لهم منها - والذى نفسُ سلمانَ بيدِه - أربعين أوقيةً ، فأَوْفَيْتُهم حقَّهم ، وعَتَقَ سلمانُ ، فشَهِدتُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ الخَنْدَقَ حُرًّا ، ثُم لم يَفُتْنِى معه مَشْهَدٌ .

---

(١) الفقير : البئر التى تُغرس فيها الفسيلة . اللسان (ف ق ر) .

(٢) الودية : فسيلة النخل .

(٣) المعادن : جمع مَعْدِن ، وهو موضع استخراج الجوهر من ذهب ونحوه . الوسيط (ع د ن) .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وحدَّثنى يَزِيدُ بنُ أبى حبيبٍ ، عن رجلٍ مِن عبدِ القَيْسِ ، عن سَلْمَانَ ، أنه قال : لَمّا قلتُ : وأين تَقَعُ هذه مِن الذى علىَّ يا رسولَ اللَّهِ ﷺ ؟ أخَذَها رسولُ اللَّهِ ﷺ فقَلَّبَها على لسانِه ، ثُم قال : « خُذْها ، فأَوْفِهم منها » . فأخَذْتُها فأَوْفَيْتُهم منها حقَّهم كلَّه ؛ أربعين أُوقيَّةً .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[2] : حدَّثنى عاصمُ بنُ عُمَرَ بنِ قَتَادةَ ، حدَّثنى مَن لا أَتَّهِمُ ، عن عُمَرَ بنِ عبدِ العزيزِ بنِ مَرْوَانَ ، قال : حُدِّثْتُ عن سلمانَ ، أنه قال لرسولِ اللَّهِ ﷺ حينَ أخْبَرَه خبرَه[3] أنَّ صاحبَ عَمُّورِيَّةَ قال له : ائْتِ كذا وكذا مِن أرضِ الشامِ ، فإن بها رجلًا بينَ غَيْضَتَيْنِ[4] ، [٢/٣٦و] يَخْرُجُ كلَّ سنةٍ مِن هذه الغَيْضَةِ مُسْتَجِيزًا[5] ، يَعْتَرِضُه ذوُو الأَسْقامِ ، فلا يَدْعُو لأَحدٍ منهم إلَّا شُفِىَ ، فاسْأَلْه عن هذا الدِّينِ الذى تَبْتَغِى ، فهو يُخْبِرُك عنه . قال سلمانُ : فخرَجْتُ حتى جِئْتُ حيثُ وصَف لى ، فوجدتُ الناسَ قد اجْتَمَعُوا بمَرْضَاهم هناك ، حتى خرَج[6] لهم تلك الليلةَ ، مُسْتَجِيزًا مِن إحدَى الغَيْضَتَيْن إلى الأخرَى ، فغَشِيَه الناسُ بمَرْضَاهم ، لا يَدْعُو لمريضٍ إلَّا شُفِىَ ، وغَلَبُونى عليه ، فلم أَخْلُصْ إليه ، حتى دخَل الغَيْضَةَ التى يُرِيدُ أنْ يَدْخُلَ ، إلّا مَنْكِبَه . قال : فتَنَاوَلْتُه ، فقال : مَن هذا ؟ والْتَفَتَ إلىَّ . قال : قلتُ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ ، أَخْبِرْنى عن الحَنِيفِيَّةِ دينِ إبراهيمَ . قال : إنَّك لَتَسْأَلُ عن شىءٍ ما يَسْأَلُ عنه الناسُ اليومَ ، قد

---

(١) سيرة ابن إسحاق ص ٧١، وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٢٢١.

(٢) سيرة ابن إسحاق ص ٧٠، ٧١. وانظر سيرة ابن هشام ١/ ٢٢١، ٢٢٢.

(٣) سقط من : م .

(٤) الغيضة : الموضع يكثر فيه الشجر ويلتفّ .

(٥) سقط من : الأصل .

(٦) فى الأصل ، م : « يخرج » .

أَظَلَّك زمانُ نبيٍّ يُبْعَثُ بهذا الدينِ مِن أهلِ الحرمِ، فأْتِه فهو يَحْمِلُك عليه. ثُم دَخَل. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ لسلمانَ: «لَئِنْ كنتَ صدَقْتَنِى يا سلمانُ، لقد لَقِيتَ عيسى ابنَ مريمَ». هكذا وقَع فى هذه الروايةِ، وفيه رجلٌ مُبْهَمٌ، وهو شيخُ عاصمِ بنِ عُمَرَ بنِ قَتادَةَ، وقد قيلَ: إنَّه الحسنُ بنُ عُمَارَةَ. ثُم هو مُنْقَطِعٌ، بل مُعْضَلٌ بينَ عُمَرَ بنِ عبدِ العزيزِ وسلمانَ، رَضِىَ اللَّهُ عنه. وقولُه: «لئِنْ كنتَ صدَقْتَنِى يا سلمانُ، لقد لَقِيتَ عيسى ابنَ مريمَ». غريبٌ جدًّا، بل مُنْكَرٌ، فإنَّ الفترةَ أقلُّ ما قيل فيها: إنَّها أربعُمِائَةِ سنةٍ. وقيل: ستُّمِائَةِ سنةٍ بالشمسيةِ. وسلمانُ أكثرُ ما قيل: إنَّه عاشَ ثَلثَمِائَةِ سنةٍ وخمسين سنةً. وحكى العباسُ بنُ يزيدَ البَحْرَانىُّ[1] إجماعَ مشايخِه على أنه عاشَ مائتين وخمسين سنةً. واخْتَلَفوا فيما زادَ إلى ثَلثِمائَةٍ وخمسين سنةً. فاللَّهُ أعلمُ.

والظاهرُ أنه قال: «لقد لَقِيتَ وَصِىَّ عيسى ابنِ مريمَ». فهذا ممكنٌ، [2]إذ قد يكونُ ذاك عَمَّرَ دهرًا طويلًا، وسلمانُ عَمَّرَ بعدَه دهرًا آخرَ. واللَّهُ أعلمُ[2] بالصوابِ.

وقال السُّهَيْلِىُّ[3]: الرجلُ المُبْهَمُ هو الحسنُ بن عمارةَ، وهو ضعيفٌ، وإنْ صحَّ لم يَكُنْ فيه نكارةٌ؛ لأنَّ ابنَ جريرٍ ذكَر أنَّ المسيحَ نزلَ مِن السماءِ بعدَما رُفِع، فوجَد أمَّه وامرأةً أخرَى يَبْكِيان عندَ جِذْعِ المَصلوبِ، فأخْبَرَهما أنه لم يُقْتَلْ، وبعَث الحوارِيِّين بعدَ ذلك[4]. قال: وإذا جازَ نزولُه مرةً، جازَ نزولُه

---

(١) ذكره ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢١/ ٤٥٩.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، م.

(٣) الروض الأنف ٢/ ٢٤٥.

(٤) انظر ما تقدم فى ٢/ ٥١٤ .

مِرارًا ، ثُم يكونُ نزولُه الظاهرُ حينَ يَكْسِرُ الصليبَ ، ويقْتُلُ الخنزيرَ ، ويَتزَوَّجُ حينئذٍ امرأةً مِن بنى جُذَامٍ ، وإذا مات ، دُفِن فى حجرةِ روضةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ .

وقد روَى البَيْهَقِىُّ فى كتابِ « دلائلِ النبوةِ »[1] قِصةَ سلمانَ هذه ، مِن طريقِ يونسَ بنِ بُكَيْرٍ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ كما تَقَدَّم . ورَوَاها أيضًا[2] عن الحاكمِ ، عن الأَصَمِّ ، عن يَحْيَى بنِ أبى طالبٍ ، حدَّثَنا علىُّ بنُ عاصِمٍ ، حدَّثنا حاتِمُ بنُ أبى صَغِيرَةَ[3] ، عن سِمَاكِ بنِ حَرْبٍ ، عن زيدِ[4] بنِ صَوْحَانَ ، أنَّه سَمِعَ سلمانَ يُحَدِّثُ كيف كان أولُ إسلامِه . فذَكَرَ قصةً طويلةً ، وذكَر أنَّه كان مِن رامْهُرْمُزَ ، وكان له أَخٌ أكبرُ منه غَنِىٌّ ، وكان سلمانُ فقيرًا فى كَنَفِ أخيه ، وأن ابنَ دِهْقَانِها كان صاحبًا له ، وكان يَخْتَلِفُ معه إلى مُعَلِّمٍ لهم ، وأنَّه كان يَخْتَلِفُ ذلك الغلامُ إلى عُبَّادٍ مِن النصارَى فى كهفٍ لهم ، فسأَله سلمانُ أنْ يَذْهَبَ به معه إليهم ، فقال له : إنك غلامٌ ، وأَخْشَى أن تَنُمَّ عليهم ، فيَقْتُلَهم أبى . فالْتزَمَ له أنْ لا يكونَ منه شىءٌ يَكْرَهُه ، فذهَب به معه ، فإذا هم ستةٌ - أو سبعةٌ - كأنَّ الرُّوحَ قد خرَجَت منهم ؛ مِن العبادةِ ، يَصُومُون النهارَ ، وَيقُومُون الليلَ ، يَأْكُلُون الشجرَ وما وجَدُوا ، فذكَر عنهم أنَّهم [٣٦/٢ظ] يُؤْمِنُون بالرسلِ المُتَقَدِّمِين ، وأنَّ عيسى عبدُ اللَّهِ ورسولُه وابنُ أَمَتِه ، أيَّدَه بالمعجزاتِ ، وقالوا له : يا غلامُ ، إنّ لك ربًّا ، وإنَّ لك مَعَادًا ، وإنَّ بينَ يَدَيْك جنةً ونارًا ، وإنَّ هؤلاء

---

(١) الدلائل ٩٢/٢ - ٩٧.

(٢) دلائل النبوة للبيهقى ٨٢/٢ - ٩٢.

(٣) فى الأصل ، م ، ص : « صفرة » . وهو حاتم بن مسلم ، أبو يونس القشيرى ، وأبو صغيرة أبو أمه ، وقيل : زوج أمه . انظر تهذيب الكمال ٥/ ١٩٤.

(٤) فى الأصل ، م : « يزيد » .

القومَ الذين يَعْبُدُون النيرانَ أهلُ كفرٍ وضلالةٍ ، لا يَرْضَى اللَّهُ بما يَصْنَعُون ، وليسوا على دِينٍ[1] ، ثُم جعَل يَتَرَدَّدُ مع ذلك الغلامِ إليهم ، ثُم لَزِمَهم سلمانُ بالكُلِّيَّةِ ، ثُم أَجْلَاهم مَلِكُ تلك البلادِ - وهو أبو ذلك الغلامِ الذى صَحِبَه سلمانُ إليهم - عن أرضِه ، واحْتَبَسَ الملكُ ابنَه عندَه ، وعرَض سلمانُ دينَهم على أخِيه ، الذى هو أكبرُ منه ، فقال : إنى مُشْتَغِلٌ بنَفْسِى فى طلبِ المعيشةِ . فارتحَلَ معهم سلمانُ ، حتى دخلوا كنيسةَ المَوْصِلِ ، فسَلَّمَ عليهم أهْلُها ، ثُم أَرَادوا أنْ يَتْرُكُونى عندَهم ، فأَبَيْتُ إلَّا صُحْبَتَهم ، فخَرَجُوا حتى أَتَوْا واديًا بينَ جبالٍ ، فتَحدَّر إليهم رهبانُ تلك الناحيةِ يُسَلِّمُون عليهم ، واجْتَمَعُوا إليهم ، وجَعَلُوا يَسْأَلُونهم عن غَيْبَتِهم عنهم ، ويَسْأَلُونهم عنِّى ، فيُثْنُون علىَّ خيرًا ، وجاء رجلٌ مُعَظَّمٌ فيهم فَخطَبَهم ، فأَثْنَى على اللَّهِ بما هو أَهْلُه ، وذكَر الرسلَ وما أُيِّدُوا به ، وذكَر عيسى ابنَ مريمَ ، وأنَّه كان عبدَ اللَّهِ ورسولَه ، وأمَرَهم بالخيرِ ، ونَهَاهم عن الشرِّ ، ثُم لَمَّا أَرَادوا الانصرافَ ، تَبِعَه سلمانُ ولَزِمَه . قال : فكان يَصُومُ النهارَ وَيقُومُ الليلَ مِن الأحَدِ إلى الأحَدِ الآخرِ[2] ، فيَخْرُجُ إليهم ، ويَعِظُهم ، ويَأْمُرُهم ، ويَنْهَاهم ، فمكَث على ذلك مدةً طويلةً ، ثُم أرادَ أنْ يَزُورَ بيتَ المَقْدِسِ ، فصَحِبَه سلمانُ إليه . قال : فكان فيما يَمْشِى ، يَلْتَفِتُ إلىَّ ويُقْبِلُ علىَّ ، فيَعِظُنى ويُخْبِرُنى أنَّ لى ربًّا ، وأنَّ بينَ يَدَىَّ جنةً ونارًا وحسابًا ، ويُعَلِّمُنى ، ويُذَكِّرُنى نحوَ ما كان يُذَكِّرُ القومَ يومَ الأحدِ ، حتى[2] قال فيما يقولُ لى : يا سلمانُ ، إنَّ اللَّهَ سوف يَبْعَثُ رسولًا اسمُه أحمدُ ، يَخْرُجُ مِن

---

(١) فى م : « دينه » .

(٢) سقط من : الأصل ، م .

تِهَامَةَ ، يَأْكُلُ الهَدِيَّةَ، ولا يَأْكُلُ الصدقَةَ ، بينَ كَتِفَيْه[1] خاتَمُ النبوةِ[2] ، وهذا زمانُه الذى يَخْرُجُ فيه قد تَقارَبَ ، فأمّا أنا فإنِّى شيخٌ كبيرٌ ، ولا أَحْسَبُنى أُدْرِكُه ، فإنْ أَدْرَكْتَه أنت فصَدِّقْه واتَّبِعْه . قلتُ له : وإنْ أَمَرَنى بتَرْكِ دينِك وما أنتَ عليه ؟ قال : وإن أمَرَك ؛ فإنَّ الحقَّ فيما يَجِيءُ به ، ورِضَا الرحمنِ فيما قال . ثم ذكَر قُدُومَهما إلى بيتِ المقدسِ ، وأنَّ صاحبَه صلَّى فيه هلهنا وهلهنا ، ثُم نامَ ، وقد أَوْصَاه أنَّه إذا بلَغ الظلُّ مكانَ كذا ، أن يُوقِظَه ، فترَكَه سلمانُ حينًا آخرَ أَزْيَدَ ممَّا قال ؛ ليَسْتَرِيحَ ، فلَمّا استيْقَظَ ذكرَ اللَّهَ ولَام سلمانَ على ترْكِ ما أمَرَه به مِن ذلك ، ثُم خرَجَا مِن بيتِ المقدسِ ، فسأَله مُقْعَدٌ ، فقال : يا عبدَ اللَّهِ ، سألتُك حينَ دَخَلْتَ[3] ، فلم تُعْطِنى شيئًا ، وها أَنَا أَسْأَلُك . فنظَر فلم يَجِدْ أحدًا ، فأخَذ بيدِه وقال : قُمْ بسمِ اللَّهِ . فقامَ وليس به بَأْسٌ ولا قَلَبَةٌ[4] ، كأنَّما نُشِطَ مِن عِقَالٍ ، فقال لى : يا عبدَ اللَّهِ ، احْمِلْ علىَّ مَتَاعِى ؛ حتى أَذْهَبَ إلى أهلى فأُبَشِّرَهم . فاشْتَغَلْتُ به ، ثُم أَدْرَكْتُ الرجلَ فلم أَلْحَقْه ، ولم أَدْرِ أين ذهَبَ ، وكُلَّما سألتُ عنه قومًا قالوا : أمامَك . حتى لَقِيَنى رَكْبٌ مِن العربِ مِن بنى كلبٍ ، فسأَلْتُهم ، فلمَّا سَمِعُوا لُغَتِى[5] ، أَنَاخَ رجلٌ منهم بعيرَه ، فحمَلَنى خَلْفَه ، حتى أَتَوْا بى بلادَهم ، فباعُونى ، فاشْتَرَتْنى امرأةٌ مِن الأنصارِ ، فجعَلَتْنِى فى حائطٍ لها ، وقَدِمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ . ثُم ذكَر ذَهَابَه [٣٧/٢و] ، إليه بالصدقةِ

(١) فى ص : « يديه » .
(٢) سقط من : الأصل ، ا ٩ ، ص .
(٣) فى الأصل ، م : « وصلت » .
(٤) قلبة : داء ، وألم من علة .
(٥) فى ص : « الفتى » .

والهديَّةِ ؛ ليَسْتَعْلِمَ ما قال صاحبُه ، ثُم تَطَلَّبَ النظرَ إلى خاتَمِ النبوةِ ، فلمَّا رآهُ ، آمَنَ مِن ساعتِه ، وأخْبَرَ رسولَ اللَّهِ ﷺ خبرَه الذى جرَى له . قال : فأمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ أبا بكرٍ الصديقَ ، فاشْتَراه مِن سيدتِه ، فأعْتَقَه . قال : ثُم سألْتُه يومًا عن دينِ النصارَى فقال : « لا خيرَ فيهم » . قال : فوقَع فى نفسِى مِن أولئك الذين صَحِبْتُهم ، ومِن ذلك الرجلِ الصالحِ الذى كان معى ببيتِ المقدسِ ، فدَخَلَنى مِن ذلك أمرٌ عظيمٌ ، حتى أَنْزَل اللَّهُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [المائدة: ٨٢] ، فدَعانى رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فجِئْتُ وأنا خائفٌ ، فجلستُ بينَ يَدَيْه ، فقرأ : بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ الآيات . ثُم قال : « يا سلمانُ ، أولئك الذين كنتَ معهم وصاحبُك ، لم يَكُونوا نصارَى ، كانوا مسلِمين » . فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، والذى بعَثَك بالحقِّ ، لَهُوَ أمَرَنى باتِّبَاعِك ، فقلتُ له : وإنْ أمَرَنى بتَرْكِ دينِك وما أنتَ عليه ؟ قال : نَعَمْ ، فاتْرُكْه ، فإنَّ الحقَّ وما يَرْضَى اللَّهُ فيما يَأْمُرُك . وفى هذا السياقِ غرابةٌ كثيرةٌ ، وفيه بعضُ المُخالَفةِ لسياقِ محمدِ بنِ إسحاقَ ، وطريقُ محمدِ بنِ إسحاقَ أَقْوَى إسنادًا ، وأحسنُ اقْتِصاصًا ، وأقربُ إلى ما رَواه البخاريُّ فى « صحيحِه »[1] ، مِن حديثِ مُعْتَمِرِ بنِ سليمانَ بنِ طَرْخَانَ التَّيْمِيِّ ، عن أبيه ، عن أبى عثمانَ النَّهْدِيِّ ، عن سلمانَ الفارسيِّ ، أنَّه تداوَلَه بضعةَ عَشَرَ ، مِن رَبٍّ إلى رَبٍّ . أىْ ؛

---

(١) البخارى (٣٩٤٦) .

مِن مُعَلِّمٍ [(١] إلى مُعَلمٍ [١)] ، ومُرَبٍّ إلى مِثْلِه . واللَّهُ أعلمُ .

قال السُّهَيْلِيُّ [(٢)] : [(٣] تَدَاوَلَه ثلاثون سيِّدًا ، مِن سيدٍ إلى سيدٍ . فاللَّهُ أعلمُ [٣)] .
وكذلك استَقْصَى قصةَ إسلامِه ، الحافظُ أبو نُعَيْمٍ فى « الدلائلِ » [(٤)] ، وأَوْرَدَ لها أسانيدَ وألفاظًا كثيرةً ، وفى بعضِها أنَّ اسمَ سيدتِه التى كاتَبَتْه ، حُلَيْسَةُ [(٥)] . فاللَّهُ أعلمُ .

(١ - ١) سقط من : ا ٩، ص .
(٢) الروض الأنف ٢/ ٣٤٢.
(٣ - ٣) سقط من : ص .
(٤) دلائل النبوة (١٩٩) .
(٥) فى م : « حلبسة » .

ذكرُ أخبَارٍ غريبةٍ فى ذلك

وقال أبو نُعيمٍ فى « الدلائلِ »[2] : حدَّثَنا سليمانُ بنُ أحمدَ ، حدَّثنا محمدُ ابنُ زكريَّا الغَلَابِىُّ ، حدَّثَنا العلاءُ بنُ الفضلِ بنِ عبدِ الملكِ بنِ أبى سَوِيَّةَ[1] المِنْقَرِىُّ ، حدَّثَنا عَبَّادُ بنُ كُسَيْبٍ ، عن أبيه ، عن أبى عِتْوَارَةَ الخُزَاعىِّ ، عن سِعْرِ[3] بنِ سَوَادَةَ العامرىِّ ، قال : كنتُ عَسِيفًا[4] لعَقِيلَةٍ[5] مِن عقائلِ الحىِّ ، أَرْكَبُ لها الصَّعْبَ والذَّلُولَ ، لا أُبْقِى[6] مِن البلاد مَطْرَحًا[7] أَرْجُو رِبْحًا فى مَتْجَرٍ ، إلَّا أَتَيْتُه ، فانصرفتُ مِن الشامِ بخُرْثَةٍ[8] وأثاثٍ ، أُريدُ به كُبَّةَ[9] المَوْسِمِ ودَهْمَاءَ[10] العربِ ، فدخلتُ مكةَ بليلٍ مُسْدِفٍ[11] ، فأقمتُ حتى تَعَرَّى عنى قميصُ الليلِ ، فرفعتُ رأسى ، فإذا قِبَابٌ مُسَامِتَةٌ[12] شَعَفَ[13] الجبالِ ، مَضْرُوبَةٌ

---

(١) فى الأصل : « سومة » . وفى ا ٩ : « سويد » . وفى م : « السوية » .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤١٣/٢٠ ، من طريق علاء بن الفضل المنقرى به .

(٣) فى الأصل : « سعيد » . وفى م ، ص : « سعير » .

(٤) فى م : « عشيقا » . والعسيف : الأجير .

(٥) العقيلة من النساء : الكريمة المخدرة .

(٦) فى الأصل : « ألتق » ، وفى ا ٩ : « أسمع » ، وفى ص : « أليق » .

(٧) فى م : « مسرحا » . والمطرح : المكان البعيد .

(٨) فى الأصل : « بحرسة » . وفى م : « بحرت » . والخرثة : أردأ المتاع .

(٩) فى الأصل : « كبد » . والكبة بالفتح : الزحام ، وبالضم : الجماعة من الناس .

(١٠) الدهماء : العدد الكثير وجماعة الناس .

(١١) مسدف : مظلم .

(١٢) مسامتة من سامَتَه : قابله ووازاه وواجهه .

(١٣) الشعف : جمع شَعَفَة ، والشعفة من كل شىء أعلاه .

بأَنْطَاعِ[1] الطائفِ، وإذا جزائرُ تُنْحَرُ، وأُخرَى تُسَاقُ، وإذا أَكَلَةٌ وحَثَثَةٌ على الطُّهَاةِ يقولون: أَلَا عَجِّلُوا أَلَا عَجِّلُوا، وإذا رجلٌ يَجْهَرُ على نَشَزٍ[2] مِن الأرضِ يُنَادِى: يا وفدَ اللَّهِ، مِيلُوا إلى الغَدَاءِ. وأُنَيْسانٌ[3] على مَدْرَجَةٍ يقولُ: يا وفدَ اللَّهِ، مَن طَعِمَ [٣٧/٢ظ] فلْيَرُحْ[4] إلى العَشَاءِ. فجَهَرَنى[5] ما رأيتُ، فأقبَلْتُ أُرِيدُ عَمِيدَ القومِ، فعرَف رجلٌ الذى بى، فقال: أمامَك. وإذا شيخٌ كأنَّ فى خَدَّيْه الأَسَارِيعَ[6]، وكأنَّ الشِّعْرَى تَوَقَّدُ فى جَبِينِه، قد لَاثَ[7] على رأسِه عِمامةً سوداءَ، قد أَبْرَز مِن مِلَائِها جُمَّةً فَيْنَانَةً[8] كأنَّها سَماسِمُ[9] - قال فى بعضِ الرواياتِ: تحتَه كُرْسِيُّ سَاسَمٍ[10] - ومِن دونِهما نُمْرُقَةٌ، بيدِه قضيبٌ يَتَخَصَّرُ به، حولَه مشايخُ جِلَّةٌ[11] نواكِسُ الأذقانِ، ما منهم أحدٌ يُفِيضُ بكلمةٍ، وقد كان نَمَى إلىَّ[12] حَبْرٌ مِن أَحْبَارِ[12] الشامِ، أنَّ النبىَّ الأُمِّىَّ هذا أوانُ نُجُومِه، فَلَمّا رأيتُه ظننتُه ذلك، فقلتُ: السلامُ عليك يا رسولَ اللَّهِ. فقال: مَهْ مَهْ، كلّا، وكأنْ قد وَلَّيْتَنِى إيّاه! فقلتُ: مَن هذا الشيخُ؟ فقالوا: هذا أبو

---

(١) الأنطاع: جمع نطع؛ وهو بساط من الأديم.
(٢) النشز: ما ارتفع وظهر من الأرض.
(٣) أُنيسان: تصغير إنسان.
(٤) فى الأصل: «فليبرح».
(٥) جهر الشىء فلانا: عظُم فى عينه وراعه جماله وهيئته. الوسيط (ج هـ ر).
(٦) الأساريع: طرائق الذهب.
(٧) لاث العمامة على رأسه: لفَّها وعَصَبها.
(٨) فينانة: يُقال: شَعْرٌ فينان: طويل حَسَن.
(٩) السماسم: عيدان السمسم.
(١٠) فى الأصل، م، ص: «سماسم». والساسم: شجر أسود كالآبنوس.
(١١) فى م: «جلس». وجلة: شيوخٌ مسانٌّ.
(١٢ - ١٢) فى ا ٩، م، ص: «خبر من أخبار».

نَضْلَةَ ، هذا هاشمُ بنُ عبدِ مَنَافٍ . فوَلَّيْتُ وأنا أقولُ : هذا واللَّهِ المجْدُ ، لا مَجْدُ آلِ جَفْنَةَ . يَعْنِى ملوكَ عربِ الشامِ ، مِن غَسّانَ ، كان يقالُ لهم : آلُ جَفْنَةَ . وهذه الوظيفةُ التى حكَاها عن هاشمٍ هى الرِّفادةُ ، يَعنِى : إطعامَ الحجيجِ زمنَ المَوْسِمِ .

وقال أبو نُعَيْمٍ[1] : حدَّثنَا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ جعفرٍ ، حدَّثَنا محمدُ بنُ يَحيى ، حدَّثَنا سعيدُ بنُ عثمانَ ، حدَّثَنا علىُّ بنُ قُتَيْبَةَ الخُراسانىُّ ، حدَّثَنا خالدُ ابنُ إلياسَ ، عن أبى بكرِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى الجَهْمِ ، عن أبيه ، عن جَدِّه ، قال : سَمِعْتُ أبا طالبٍ ، يُحَدِّثُ عن عبدِ المُطَّلِبِ ، قال : بيْنَا أنا نائمٌ فى الحِجْرِ ، إذْ رأيتُ رُؤْيَا هالَتْنِى ، ففَزِعْتُ منها فَزَعًا شديدًا ، فأَتَيْتُ كاهنةَ قريشٍ ، وعلىَّ مُطْرَفُ[2] خزٍّ ، وجُمَّتِى تَضْرِبُ مَنْكِبَىَّ ، فلمَّا نظرَتْ إلىَّ ، عرَفَتْ فى وجْهِى التغَيُّرَ ، وأنا يومئذٍ سيِّدُ قومِى ، فقالت : ما بالُ سيدِنا قد أَتَانَا متغيِّرَ اللونِ ؟ هل رَابَه مِن حِدْثَانِ الدهرِ شىءٌ ؟ فقلتُ لها : بلى . وكان لا يُكَلِّمُها أحدٌ مِن الناسِ ، حتى يُقَبِّلَ يدَها اليُمنَى ، ثُم يَضَعَ يَدَه على أُمِّ رأسِها ، ثُم يَذْكُرَ حاجتَه ، ولم أفعلْ ؛ لأَنِّى كبيرُ قَومِى ، فجلستُ فقلتُ : إنِّى رأيتُ الليلةَ وأنا نائمٌ فى الحِجْرِ ، كأَنَّ شجرةً نَبَتَتْ[3] قد نالَ رأسُها السماءَ ، وضَرَبَتْ بأغصانِها المشرقَ والمغربَ ، وما رأيتُ نورًا أَزْهَرَ منها ، أعظمَ مِن نورِ الشمسِ سبعين ضِعْفًا ، ورأيتُ العربَ والعجمَ ساجِدِين لها ، وهى تَزْدادُ كلَّ ساعةٍ عِظَمًا ونورًا

---

(١) دلائل النبوة (٥١) .

(٢) المطرف ، بضم الميم وكسرها : رداء أو ثوب من خزٍّ مربَّع ذو أعلام .

(٣) فى الأصل ، م : « تنبت » .

وارتفاعًا، ساعةً تَخْفَى وساعةً تَزْهَرُ، ورأيتُ رَهْطًا مِن قريشٍ قد تَعَلَّقُوا بأغصانِها، ورأيتُ قومًا مِن قريشٍ يُرِيدُون قطعَها، فإذا دَنَوْا منها، أَخَّرَهم شابٌّ لم أَرَ قطُّ أحسنَ منه وجهًا، ولا أَطْيَبَ منه ريحًا، فيَكْسِرُ أَظْهُرَهم، ويَقْلَعُ أَعْيُنَهم، فرفعتُ يَدِى لأَتَناولَ منها نَصِيبًا، (١)فمنَعَنِى الشابُّ(١)، فقلتُ: لمَنِ النصيبُ؟ فقال: النصيبُ لهؤلاء الذين تَعَلَّقُوا بها وسَبَقُوك إليها. فانْتَبَهْتُ مَذْعُورًا فَزِعًا. فرأيتُ وجهَ الكاهنةِ قد تَغَيَّرَ، ثُم قالت: لَئِنْ صَدَقَتْ رُؤْياك، لَيَخْرُجَنَّ مِن صُلْبِك رجلٌ يَمْلِكُ المشرقَ والمغربَ، ويَدِينُ له الناسُ. ثُم قال - يَعْنِى عبدَ المطلبِ - لأبى طالبٍ: لَعَلَّك تكونُ هذا المولودَ. قال: فكان أبو طالبٍ يُحَدِّثُ بهذا الحديثِ، بعدمَا وُلِدَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، وبعدمَا بُعِثَ. ثُم قال: كانت الشجرةُ - واللَّهُ أعلمُ - أبا القاسمِ الأمينَ، فيقالُ لأبى طالبٍ: ألَا تُؤْمِنُ؟ فيقولُ: السُّبَّةُ والعارُ.

وقال أبو نُعَيْمٍ[٢]: حدَّثَنا سليمانُ بنُ أحمدَ، حدَّثَنا محمدُ بنُ زكريَّا الغَلابىُّ حدَّثَنا العباسُ بنُ بَكَّارٍ [٣٨/٢و] الضَّبِّىُّ، حدَّثَنا أبو بكرٍ الهُذَلِىُّ، عن عِكْرِمَةَ، عن ابنِ عباسٍ، قال: قال العباسُ: خرجتُ فى تجارةٍ إلى اليَمَنِ فى رَكْبٍ، منهم أبو سفيانَ بنُ حَرْبٍ، فقَدِمْتُ اليمنَ، فكنتُ أَصْنَعُ يومًا طعامًا، وأَنْصَرِفُ بأبى سفيانَ وبالنَّفَرِ، ويَصْنَعُ أبو سفيانَ يومًا، ويفعلُ مِثْلَ ذلك، فقال لى فى يَوْمِى الذى كنتُ أَصْنَعُ فيه: هل لك يا أبا الفَضْلِ أن تَنْصَرِفَ إلى بَيْتِى، وتُرْسِلَ إلىَّ غَدَاءَك؟ فقلتُ: نَعَمْ. فانصرفتُ أنا والنَّفَرُ إلى بيتِه،

(١ - ١) سقط من: الأصل، ا ٩، ص.

(٢) لم نجده فى مختصر دلائل النبوة لأبى نعيم.

وأرسلتُ إلى الغداءِ، فلمَّا تَغدَّى القومُ، قاموا واحْتَبَسَنِى، فقال: هل عَلِمْتَ يا أبا الفَضْلِ، أن ابنَ أخيك يَزْعُمُ أنَّه رسولُ اللَّهِ؟ فقلتُ: أىَّ بَنِى أخى؟ فقال أبو سفيانَ: إيَّاىَ تَكْتُمُ؟! وأىُّ بَنِى أخيك يَنْبَغِى أنْ يقولَ هذا، إلّا رجلٌ واحدٌ؟! قلتُ: وأيُّهم على ذلك؟ قال: هو محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ. فقلتُ: قد فَعَل؟ قال: بلى، قد فَعَل. وأخْرَجَ كتابًا[1] مِن ابنِه حَنْظَلَةَ بنِ أبى سفيانَ، فيه: أُخْبِرُك أنَّ محمدًا قامَ بالأبْطَحِ، فقال: «أنا رسولُ اللَّهِ، أدْعُوكم إلى اللَّهِ، عزَّ وجلَّ». فقال العباسُ: قلتُ: لعَلَّه[2] يا أبا حَنْظَلَةَ صادِقٌ. فقال: مَهْلًا يا أبا الفَضْلِ، فواللَّهِ ما أُحِبُّ أنْ يقولَ مِثْلَ هذا، إنِّى لا أَخْشَى أنْ يكونَ علىَّ ضَيْرٌ مِن هذا الحديثِ يا بنى عبدِ المطلبِ، إنَّه واللَّهِ ما بَرِحَتْ قريشٌ تَزْعُمُ أنَّ لكم هَنَةً وهَنَةً، كلُّ واحدةٍ منهما غايةٌ، لَنَشَدْتُك يا أبا الفَضْلِ، هل سَمِعتَ ذلك؟ قلتُ: نَعَمْ، قد سَمِعْتُ. قال: فهذه واللَّهِ شُؤْمَتُكم. قلتُ: فَلعَلَّها يُمْنَتُنا. قال: فما كان بعدَ ذلك إلَّا لَيَالٍ، حتى قَدِمَ عبدُ اللَّهِ بنُ حُذافَةَ بالخبرِ وهو مؤمنٌ، ففَشَا ذلك فى مجالسِ اليمنِ، وكان أبو سفيانَ يَجْلِسُ مجلسًا باليمنِ، يَتَحَدَّثُ فيه حَبْرٌ مِن أحبارِ اليهودِ، فقال له اليهودىُّ: ما هذا الخبرُ؟ بَلَغَنِى أنَّ فيكم عَمَّ هذا الرجلِ الذى قال ما قال؟ قال أبو سفيانَ: صَدَقُوا، وأنَا عَمُّه. فقال اليهودىُّ: أخو أبيه؟ قال: نَعَمْ. قال: فحدِّثْنى عنه. قال: لا تَسْأَلْنِى، ما أُحِبُّ أنْ يَدَّعِىَ هذا الأمرَ أبدًا، وما أُحِبُّ أنْ أَعِيبَه، وغيرُهُ خيرٌ منه. فرأَى اليهودىُّ أنَّه يُغَمِّضُ[3] عليه، ولا يُحِبُّ أنْ يَعِيبَه، فقال

---

(١) بعده فى م: «باسمه».

(٢) فى م: «أجده».

(٣) فى الأصل: «لا يغمض»، وفى م: «لا يغمس». وغمَّض الكلامَ: جعَله غامضًا.

اليهوديُّ : ليس به ، لا[1] بَأْسَ على اليهودِ ، وتوراةِ موسى . قال العباسُ : فنادَانِى الحَبْرُ ، فجِئْتُ ، فخرَجْتُ حتى جلستُ ذلك المجلسَ مِن الغَدِ ، وفيه أبو سفيانَ بنُ حَرْبٍ والحبْرُ ، فقلتُ للحَبْرِ : بَلَغنى أنَّك سألتَ ابنَ عَمِّى عن رجلٍ منّا ، زعَم أنَّه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فأَخْبَرَك أنَّه عَمُّه ، وليس بعَمِّه ، ولكن ابنَ عمِّه ، وأنا عَمُّه وأخو أبيه . قال : أخو أبيه ؟ قلتُ : أخو أبيه . فأقْبَلَ على أبى سفيانَ ، فقال : صدَق ؟ قال : نَعَمْ ، صدَق . فقلتُ : سَلْنِى ، فإنْ كَذبْتُ فلْيَرُدَّه علىَّ . فأَقْبَلَ علىَّ فقال : نَشَدْتُك ، هل كان لابنِ أخيك صَبْوَةٌ أو سَفَهَةٌ ؟ قلتُ : لا وإلهِ عبدِ المُطَّلِبِ ، ولا كذَب ولا خانَ ، وإنْ كان اسمُه عندَ قريشٍ الأمينَ . قال : فهل كتَب بيدِهِ ؟ قال العباسُ : فظَنَنْتُ أنه خيرٌ له أنْ يَكْتُبَ بيدِه ، فأَرَدْتُ أنْ أقولَها ، ثُم ذكَرتُ مكانَ أبى سفيانَ ، [2]أنَّه مُكَذِّبِى ورَادٌّ[2] علىَّ ، فقلت : لا يَكْتُبُ . فوَثَب الحَبْرُ ، [3]وترَك رِدَاءَه[3] ، وقال : ذُبِحَتْ يهودُ ، وقُتِلَتْ يهودُ . قال العباسُ : فلَمّا رَجَعْنا إلى منزِلِنا ، [٢/٣٨ظ] ، قال أبو سفيانَ : يا أبا الفَضْلِ ، إنَّ اليهودَ تَفْزَعُ مِن ابنِ أخيك ! قلتُ : قد رأيتَ ما رأيتَ ، فهل لك يا أبا سفيانَ أنْ تُؤْمِنَ به ، فإنْ كان حقًّا ، كنتَ قد سبَقْتَ ، وإن كان باطلًا ، فمعك غيرُك مِن أكْفَائِك . قال : لا أُؤْمِنُ به حتى أَرَى الخَيلَ فى كَدَاءٍ[4] . قلتُ : ما تقولُ ؟ قال : كلمةٌ جاءَتْ على فَمِى ، إلا أنِّى أعْلَمُ أنَّ اللَّهَ لا يَترُكُ خيلًا تَطْلُعُ مِن كَدَاءٍ . قال العباسُ : فَلَمّا اسْتَفْتَحَ رسولُ اللَّهِ ﷺ

---

(١) سقط من : م .

(٢ - ٢) فى م : « يكذبنى ويرد » .

(٣ - ٣) فى م : « نزل رداؤه » .

(٤) جبل بمكة .

مكةَ ، ونظَرْنا إلى الخيلِ وقد طَلَعَتْ مِن كَدَاءٍ ، قلتُ : يا أبا سفيانَ ، تَذْكُرُ الكلمةَ ؟ قال : إى واللَّهِ ، إنّى لَذاكِرُها ، فالحمدُ للَّهِ الذى هَدَانى للإِسلامِ . وهذا سياقٌ حسنٌ ، عليه البهاءُ والنورُ وضياءُ الصدقِ ، وإن كان فى رجالِه مَن هو مُتَكَلَّمٌ فيه . واللَّهُ أعلمُ .

وقد تَقَدَّم ما ذَكَرْناه فى قصةِ أبى سفيانَ مع أميةَ بنِ أبى الصَّلْتِ[1] ، وهو شَبِيهٌ بهذا البابِ ، وهو مِن أَغْرَبِ الأخبارِ ، وأحسنِ السياقاتِ ، وعليه النورُ . وسيَأتِى أيضًا قصةُ أبى سفيانَ مع هِرَقْلَ ملكِ الرومِ ، حينَ سأَله عن صفاتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وأحوالِه ، واسْتِدْلَالُه بذلك على صدقِه ونبوتِه ورسالتِه . وقال له : قد كنتُ أَعْلَمُ أنّه خارجٌ ، ولكنْ لم أكنْ أَظُنُّ أنّه فيكم ، ولو أَعْلَمُ أنّى أَخْلُصُ إليه ، لَتَجَشَّمْتُ لُقِيَّهُ ، (٢ولو كنتُ عندَه لَغَسَلْتُ عن قَدَمَيْه٢) ، ولَئِنْ كان ما تقولُ حقًّا ، لَيَمْلِكَنَّ موضعَ قدمَىَّ هاتين . وكذلك وقَع ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

وقد أَكْثَرَ الحافظُ أبو نُعَيْمٍ مِن إيرادِ الآثارِ والأخبارِ ، عن الرهبانِ والأحبارِ والعربِ ، فأَكْثَرَ وأَطْنَبَ ، وأَحْسَنَ وأَطْيَبَ ، رَحِمَه اللَّهُ ، ورَضِىَ عنه .

---

(١) تقدم فى صفحة ٢٧٦ .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

قصّةُ عمرِو بنِ مُرَّةَ الجُهَنِىّ

قال الطَّبَرانِىُّ[1] : حدَّثَنا علىُّ بنُ إبراهيمَ الخُزاعِىُّ الأهْوازِىُّ ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ داودَ بنِ دِلْهاثٍ[2] بنِ إسماعيلَ بنِ عبدِ اللَّهِ بن شُرَيحِ بنِ ياسرِ بنِ سُوَيْدٍ صاحبِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، حدَّثَنا أبى ، عن أبيه دلهاثٍ ، عن أبيه إسماعيلَ ، أنَّ أباه عبدَ اللَّهِ حدَّثَه عن أبيه ، أنَّ أباه ياسرَ بنَ سُوَيْدٍ حدَّثه عن عمرِو بنِ مُرَّةَ الجُهَنِىِّ قال : خرَجْتُ حاجًّا فى جماعةٍ مِن قومى فى الجاهليَّةِ ، فرأيْتُ فى نَومى وأنا بمكَّةَ ، نُورًا ساطعًا مِن الكعبةِ حتى وصَلَ إلى جبلِ يَثْرِبَ وأشْعَرِ جُهَيْنَةَ[3] ، فسمِعْتُ صوتًا بينَ النورِ وهو يقولُ : انقشَعَتِ الظَّلْماءُ ، وسَطَعَ الضياءُ ، وبُعِثَ خاتمُ الأنبياءْ . ثُم أضاءَ إضاءةً أُخرى ، حتّى نظَرْتُ إلى قصورِ الحِيرةِ وأَبْيَضِ[4] المدائنِ ، وسمعْتُ صوتًا مِن النورِ وهو يقولُ : ظَهَرَ الإِسلامْ ، وكُسِّرَتِ الأصنامْ ، ووُصِلتِ الأرحامْ . فانتبهْتُ فَزِعًا ، فقلتُ لقومى : واللَّهِ لَيَحْدُثَنَّ لهذا الحىِّ مِن قريشٍ حَدَثٌ . وأخبَرْتُهم بما رأيْتُ ، فلمّا انتَهَيْنا إلى بلادِنا جاءَنى رجلٌ يُقالُ له : أحمدُ ، قد بُعِثَ فأتَيْتُه فأَخبَرْتُه بما رأَيْتُ ، فقال : « يا عمرُو بنَ مُرَّةَ ، أنا النبىُّ المُرْسلُ إلى العبادِ كافَّةً . أَدْعُوهم إلى الإِسلامِ ، وآمُرُهم بحَقْنِ الدِّماءِ وصِلَةِ الأرحامِ ، وعِبادةِ اللَّهِ ورَفْضِ الأصنامِ ، وحجِّ

---

(١) ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٨/٢٤٤ - ٢٤٦، وعزاه إلى الطبرانى . وأخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/٦٠٨ مخطوط ، من طريق عبد الله بن داود بن دلهاث به .

(٢) فى الأصل : « دلهات » . وانظر لسان الميزان ٣/ ٢٨٣.

(٣) أشعر جهينة : جبل . قال ابن السِّكِّيت : الأشعر جبل جهينة . معجم البلدان ١/ ٢٧٩.

(٤) الأبيض : قصر للأكاسرة .

البيتِ، وصِيامِ شهرِ رمضانَ مِن اثْنَيْ عشَرَ شهْرًا، فمَن أجابَ فله الجنةُ، ومَن عَصَى فله النارُ. فآمِنْ باللَّهِ[1] يا عمرُو، يُؤَمِّنْك اللَّهُ مِن هَوْلِ جَهَنمَ». فقلْتُ: أَشهدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وأنَّك رَسولُ اللَّهِ، آمنْتُ بما جِئْتَ مِن حلالٍ وحرامٍ، وإن رَغَم[2] ذلك كثيرًا مِن الأَقْوامِ [٢/٣٩و]. ثُم أَنْشدتُه أبياتًا قُلْتُها حينَ سمِعْتُ به؛ وكان لنا صنمٌ، وكان أبي سادنًا له[3]، فقُمْتُ إليه فكسَرْتُه، ثُم لَحِقْتُ بالنبيِّ ﷺ، وأنا أقولُ:

شَهِدْتُ بأنَّ اللَّهَ حَقٌّ وأنَّني ... لآلهةِ الأَحْجارِ أولُ تارِكِ

وشمَّرْتُ عن ساقِ الإزارِ مُهاجِرًا ... إليكَ أَجوبُ القَفْرَ بعدَ الدَّكادِكِ[4]

لأَصْحَبَ خيرَ الناسِ نَفْسًا ووالدًا ... رسولَ مليكِ الناسِ فوقَ الحبائِكِ[5]

فقال النبيُّ ﷺ: «مَرْحبًا يا عمرُو بنَ مُرَّةَ». فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، ابْعَثْني إلى قَوْمي؛ لعلَّ اللَّهَ يَمُنُّ عليهم بي، كما مَنَّ عليَّ بك. فبَعَثَنِي إليهم، وقال: «عليك بالرِّفْقِ والقَوْلِ السَّديدِ، ولا تَكُنْ فَظًّا، ولا مُتَكَبِّرًا ولا حَسُودًا». فذكَر أنَّه أَتَى قومَه، فدَعاهم إلى ما دَعاه إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ، فأسلَموا كلُّهم إلَّا رجلًا واحدًا منهم، وأنَّه وَفَدَ بهم إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ،

---

(١) سقط من: ا ٩، م، ص.

(٢) رغم فلانًا: أذلَّه وكسَره.

(٣) سادن: خادم.

(٤) الدكادك: جمع دَكْدك - بفتح الدال وكسرها - ودَكْداك: ما تكبَّس واستوى من الرمل، أو ما التبد منه بالأرض. أو هي أرض فيها غِلَظ. القاموس المحيط (د ك ك).

(٥) الحبائك: الطُّرُق، واحدتها حبيكة، يعني بها السماوات لأن فيها طرق النجوم. اللسان (ح ب ك).

فرَحَّبَ بهم وحيَّاهم، وكَتَب لهم كتابًا هذه نُسْخَتُه: «بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ، هذا كتابٌ مِن اللَّهِ على لسانِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، بكتابٍ صادقٍ، وحقٍّ ناطقٍ، مع عمرِو بنِ مُرَّةَ الجُهَنِيِّ لجُهَيْنَةَ بنِ زيدٍ: إنَّ لكم بطونَ الأرضِ وسهولَها، وتِلاعَ[1] الأَوْدِيَةِ وظُهُورَها، تَزْرَعُونَ نبَاتَه وتَشرَبون صافِيَه، على أن تُقِرُّوا بالخُمْسِ، وتُصَلُّوا صَلاةَ الخَمْسِ، وفى التَّبِيعةِ والصُّرَيْمَةِ[2] إن اجْتَمَعَتا شاتان[3]، وإن تَفَرَّقَتا شاةٌ شاةٌ، ليس على أهلِ المِيرَةِ[4] صَدَقةٌ، [5]ولا على الواردةِ لبقةٌ[5]». وشَهِد على نَبِيِّنا ﷺ، مَن حَضَرَ مِن المُسْلِمِينَ بكتابِ قَيْسِ ابنِ شمَّاسٍ. وذكَر شِعْرًا قاله عمرُو بنُ مُرَّةَ فى ذلك، كما هو مبسوطٌ فى «المُسْنَدِ الكبيرِ»، وباللَّهِ الثِّقةُ، وعليه التُّكلانُ.

وقال اللَّهُ تعالى[6]: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧]. قال [7]كثيرٌ مِن المُفَسِّرينَ[7]: لمَّا أخَذَ اللَّهُ مِيثاقَ بنى آدمَ يومَ قال[8]: ﴿أَلَسْتُ

---

(١) التلاع: جمع تَلْعة: ما ارتفع من الأرض وما انهبط منها - ضدٌّ. ومسيل الماء. وما اتسع من فوَّهة الوادى. والقطعة المرتفعة من الأرض. القاموس المحيط (ت ل ع).

(٢) التبيعة: التَّبِيع: الفَحْل من ولد البقر. والأنثى تَبِيعة. والصُّرَيْمَة: تصغير الصِّرْمة وهى القطيع من الإبل والغنم، وقيل: هى من العشرين إلى الثلاثين والأربعين، والمراد بها فى الحديث من مائة وإحدى وعشرين شاة إلى مائتين.

(٣) سقط من النسخ. والمثبت من تاريخ دمشق.

(٤) الميرة: الإبل التى تحمل الطعام ونحوه مما يُجلب للبيع؛ أى لا يكون فيها زكاة لأنها عوامل.

(٥ - ٥) فى الأصل: «ليس للورد اللبقة». فى ا ٩، م، ص: «ليس الوردة اللبقة»، والمثبت من تاريخ دمشق.

(٦) التفسير ٦/ ٣٨٣.

(٧ - ٧) فى الأصل، م: «كثيرون من السلف».

(٨) سقط من: الأصل، م. وانظر التفسير ٣/ ٥٠٠ - ٥٠٦.

﴿ بِرَبِّكُمْ ﴾ [الأعراف: ١٧٢] أخَذَ مِن النَّبِيِّين ميثاقًا خاصًّا؛ وأكَّدَ مع هؤلاء الخمسةِ، أُولِى العزمِ أصحابِ الشرائعِ الكِبارِ، الذين أولُهم نوحٌ وآخرُهم محمدٌ، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليهم أَجْمَعِين.

وقد روَى الحافظُ أبو نُعَيْمٍ[(١)] فى كتابِ «دلائلِ النُّبُوَّةِ» مِن طُرُقٍ، عن الوليدِ بنِ مسلمٍ، حدَّثَنا الأَوْزاعِىُّ، حدَّثَنا يَحْيَى بنُ أبى كَثيرٍ، عن [(٢)]أبى سَلَمةَ[(٢)]، عن أبى هريرةَ: سُئِلَ النبىُّ ﷺ: متى وَجَبَتْ لك النبوةُ؟ قال: «بينَ خَلْقِ آدمَ وَنَفْخِ الرُّوحِ فِيه». وهكذا رَواه الترمذىُّ[(٣)] مِن طريقِ الوليدِ بنِ مسلمٍ، وقال: حَسَنٌ غريبٌ مِن حديثِ أبى هريرةَ، لا نَعْرِفُه إلَّا مِن هذا الوجهِ.

وقال أبو نُعَيْمٍ[(٤)]: حدَّثَنا سُلَيمانُ بنُ أحمدَ، حدَّثَنا يَعقوبُ بنُ إسحاقَ بنِ الزُّبَيْرِ الحَلَبِىُّ، حدَّثَنا أبو جعفرٍ النُّفَيلىُّ[(٥)]، حدَّثَنا عمرُو بنُ واقدٍ[(٦)]، عن عُرْوَةَ ابنِ رُوَيْمٍ، عن الصُّنابحىِّ، قال: قال عُمَرُ: [(٧)]يا رسولَ اللَّه[(٧)]، متى جُعِلْتَ نبيًّا؟ قال: «وآدمُ مُنجَدِلٌ فى الطِّينِ». ثُم رَواه[(٨)] مِن حديثِ نصرِ بنِ مُزاحِمٍ، عن قَيْسِ بنِ الرَّبيعِ، عن جابرٍ الجُعْفِىِّ[(٩)]، عن الشَّعْبِىِّ، عن ابنِ عبّاسٍ، قال:

---

(١) الدلائل لأبى نعيم (٨).
(٢ - ٢) سقط من الدلائل. وانظر تهذيب الكمال ٣١/ ٥٠٦، ٣٤/ ٣٧٦.
(٣) الترمذى (٣٦٠٩). صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٨٥٦).
(٤) ذكره السيوطى فى الخصائص ١/ ٤، وعزاه إلى أبى نعيم.
(٥) فى الأصل، ا ٩: «النبيل». وانظر تهذيب الكمال ١٦/ ٨٨.
(٦) فى الأصل: «وافد». وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ٢٨٦.
(٧ - ٧) سقط من: ص.
(٨) عزاه السيوطى فى الخصائص ١/ ٤، إلى أبى نعيم.
(٩) فى الأصل: «الجحفى».

قيل : يا رسولَ اللَّهِ ، متى كنتَ نبيًّا ؟ قال : « وآدمُ بينَ الرُّوحِ والجسَدِ » [٢/ ٣٩ظ] . وفى الحديثِ الذى أورَدْناه[1] فى قصةِ آدمَ ، حينَ استخرجَ اللَّهُ مِن صُلْبِه ذُرِّيَّته خَصَّ الأنبياءَ بنورٍ بينَ أعيُنِهم . والظاهرُ ، واللَّهُ أعلمُ ، أنَّه كان على قَدْرِ منازِلِهم ورُتَبِهم عندَ اللَّهِ . وإذا كان الأَمْرُ كذلك ، فنورُ محمدٍ ﷺ ، كان أظهرَ وأكبرَ وأعظمَ منهم كلِّهم . وهذا تنويهٌ عظيمٌ ، وتنبيهٌ ظاهرٌ على شرَفِه وعُلُوِّ قَدْرِه . وفى هذا المعنى ، الحديثُ الذى قال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثَنا[3] عبدُ الرحمنِ بنُ مهـدىٍّ ، حدَّثَنا معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن سعيدِ بنِ سُوَيدٍ الكَلْبِىِّ ، عن [4]عبدِ الأَعْلَى[4] بنِ هلالٍ السُّلَمِىِّ ، عن العِرْباضِ بنِ سارِيَةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنِّى عندَ اللَّهِ لَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وإنَّ آدمَ لَمُنْجَدِلٌ فى طِينتِه ، وسأُنَبِّئُكم بأَوَّلِ ذلك ؛ دعوةُ أبى إبراهيمَ ، وبشارةُ عيسى بى ، ورؤيا أُمِّى التى رأَتْ ، وكذلك أمهاتُ الأنبياءِ[5] يَرَيْنَ » . ورَواه اللَّيْثُ[6] وابنُ وَهْبٍ[7] و[8] عبدُ الرحمنِ بنُ مهدىٍّ[9] ، و[10]عبدُ اللَّهِ[10] بنُ صالحٍ[11] ، عن معاويةَ بنِ صالحٍ ،

---

(١) تقدم ١/ ٢٠٥.
(٢) تقدم تخريجه ٢/٤٨٨ ، ٤٨٩ . وانظر (السلسلة الصحيحة ١٨٥٦) .
(٣) بعده فى الأصل : « محمد بن » .
(٤ - ٤) فى المسند : « عبد اللَّه » . وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ٥٥٠.
(٥) فى الأصل ، م ، ص : « المؤمنين » .
(٦) تقدم تخريجه فى صفحة ٤٩٧ .
(٧) ومن طريق ابن وهب ، أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢١/ ٩٩.
(٨) فى ا ٩، م ، ص : « عن » .
(٩) ومن طريق عبد الرحمن بن مهدى ، أخرجه البيهقى فى الدلائل ١/ ٨١.
(١٠ - ١٠) فى الأصل : « عبد الرحمن » .
(١١) ومن طريق عبد اللَّه بن صالح ، أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢١/ ٩٩، والبيهقى فى الدلائل ٢/ ١٣٠.

وزاد : « إنَّ أُمَّه رأَتْ حينَ وضَعَتْه نُورًا أضاءَتْ منه قُصورُ الشامِ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[(١)] : حدَّثَنا عبدُ الرحمنِ ، حدَّثَنا منصورُ بنُ سَعْدٍ[(٢)] ، عن بُدَيْلٍ[(٣)] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ شَقيقٍ ، عن مَيْسَرَةَ الفجرِ ، قال : قُلْتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، متى كُتِبْتَ[(٤)] نبيًّا ؟ قال : « وآدمُ بينَ الرُّوحِ والجسدِ » . [(٥)]إسنادُه جَيِّدٌ أيضًا . وهكذا روَاه إبراهيمُ بنُ طَهْمانَ وحَمَّادُ بنُ زيدٍ وخالدٌ الحَذَّاءُ ، عن بُدَيلِ ابنِ مَيْسَرَةَ به[(٦)] . ورَواه أبو نُعَيْمٍ[(٧)] ، عن محمدِ بنِ عمرَ بنِ أَسلَمَ ، عن محمدِ ابن بكرِ بن عمرِو الباهِلِيِّ ، عن شَيْبانَ ، عن الحَسَنِ بنِ دِينارٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ شَقِيقٍ[(٨)] عن مَيْسَرَةَ الفجرِ ، قال : قُلْتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، متى كُنْتَ نَبيًّا ؟ قال : « وآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ والجَسَدِ »[(٥)] .

وقال الحافظُ أبو نُعَيْمٍ[(٩)] في كتابه « دلائل النبوةِ » : حدَّثَنا أبو عمرِو بنُ حَمدانَ ، حدَّثَنا الحسنُ بنُ سُفيانَ ، حدَّثَنا هِشَامُ بنُ عَمَّارٍ ، حَدَّثَنا الوليدُ بنُ مُسلمٍ ، عن خُلَيْدِ بنِ دَعْلَجٍ ، وسعيدٌ عن قَتادةَ ، عن الحَسَنِ ، عن أبي هريرةَ ، عن النبيِّ ﷺ ، في قولِه تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ ﴾

---

(١) تقدم تخريجه في صفحة ٤٩٨ .

(٢) في الأصل ، م : « سعيد » . وانظر تهذيب الكمال ٥٢٧/٢٨.

(٣) في الأصل : « مؤمل » .

(٤) في الأصل ، م ، ص : « كنت » .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل .

(٦) وأخرج متابعة إبراهيم بن طهمان وخالد الحذاء ، ابنُ سعد في طبقاته ٥٩/٧، ٦٠.

(٧) ذكره السيوطي في الخصائص ٣/١ ، وعزاه لأبي نعيم .

(٨) في الأصل ، م ، ص : « سفيان » .

(٩) ذكره السيوطي في الدر المنثور ١٨٤/٥ ، وعزاه لأبي نعيم .

[الأحزاب : ٧] . قال : « كنتُ أولَ النَّبِيِّينَ فى الخَلْقِ وآخِرَهم فى البعثِ » . ثُم رَواه[1] مِن طريقِ هشامِ بنِ عَمَّارٍ ، عن بَقِيَّةَ ، عن سعيدِ بنِ بَشِيرٍ[2] ، عن قتادةَ ، عن الحسنِ ، عن أبى هريرةَ مرفوعًا مِثْلَه .

[3]وقد رَواه مِن طريقِ سعيدِ بنِ أبى عَرُوبةَ وشَيْبانَ ، عن قتادةَ قال : ذُكِرَ لنا أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، قال مِثْلَه[3] . وهذا أثبتُ وأصحُّ . واللَّهُ أعلمُ .

وهذا إخبارٌ عن التنويهِ بذِكْرِه فى الملأ الأعْلى ، وأنَّه معروفٌ بذلك بينَهم بأنَّه خاتَمُ النَّبيِّين وآدَمُ لم يُنْفَخْ فيه الرُّوحُ ؛ لأنَّ عِلْمَ اللَّهِ تعالى بذلك سابقٌ قبْلَ خَلْقِ السَّماواتِ والأَرْضِ لا مَحالَةَ ، فلم يَبْقَ إلَّا هذا الذى ذَكرْناه مِن الإعلامِ به فى الملأ الأعلى . واللَّهُ أعلمُ .

وقد أورَدَ أبو نُعَيمٍ[4] مِن حديثِ عبدِ الرَّزَّاقِ ، عن مَعْمَرٍ ، عن هَمَّامٍ ، عن أبى هريرةَ ، الحديثَ المُتَّفَقَ عليه[5] : « نحن الآخِرون السابقون يومَ القيامةِ ، المَقْضِىُّ لهم قبلَ الخلائقِ ، بَيْدَ أنَّهم أُوتوا الكِتابَ مِن قبلِنا وأُوتِيناه مِن بعدِهم » . وزاد أبو نُعَيمٍ فى آخِرِه : فكان ﷺ ، آخِرَهم فى البَعْثِ وبه خُتِمَتِ النبوَّةُ ، وهو السابقُ يومَ القيامةِ ؛ لأنَّه أولُ مكتوبٍ فى النبوّةِ والعهدِ . ثُم قال[6] : ففى هذا الحديثِ الفضيلةُ لرسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ لِمَا أَوْجبَ اللَّهُ له النبوّةَ قبلَ

---

(١) الدلائل لأبى نعيم (٣) .
(٢) فى الأصل : « يسير » . وفى م : « نسير » . وفى ص : « بشر » . وانظر تهذيب الكمال ١٠/ ٣٤٨.
(٣ - ٣) سقط من : الأصل .
(٤) الدلائل لأبى نعيم (١١) .
(٥) البخارى (٢٣٨) . مسلم (٨٥٥) .
(٦) أى أبو نعيم .

تَمامِ خلْقِ آدمَ . ويَحْتَمِلُ أن يكونَ هذا الإيجابُ هو ما أعلَمَ اللَّهُ ملائكتَه ما سَبَقَ فى عِلْمِه وقَضائِه ، مِن بِعْثتِه له فى آخِرِ الزمانِ . وهذا الكلامُ يُوافِقُ ما ذكَرْناه . ولِلَّهِ الحمدُ .

ورَوَى الحاكمُ[1] فى « مُستدرَكِه » مِن حديثِ عبدِ الرحمنِ بنِ زيدِ بنِ أَسْلَمَ ، وفيه كلامٌ ، عن أبيه ، عن جَدِّه ، عن عمرَ بنِ الخَطّابِ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لمَّا اقْترَفَ آدمُ الخطيئةَ ، قال : يا ربِّ ، أسأَلُك بحقِّ محمدٍ إلَّا غفَرْتَ لى . فقال اللَّهُ : يا آدمُ ، كيف عرَفْتَ محمدًا [٢/ ٤٠و] ولم أَخلُقْه بعدُ ؟ فقال : يا ربِّ ؛ لأنَّك لمَّا خلَقْتَنى بيدِك ونفَخْتَ فِيَّ مِن رُوحِك ، رفَعْتُ رأسى فرأَيْتُ على قوائمِ العرشِ مكتوبًا : لا إلهَ إلا اللَّهُ ، محمدٌ رسولُ اللَّهِ . فعَلِمْتُ أنَّك لم تُضِفْ إلى اسمِك إلَّا أَحَبَّ الخَلْقِ إليك . فقال اللَّهُ : صدَقْتَ يا آدمُ ، إنَّه لَأَحَبُّ الخَلْقِ إلَيَّ ، وإذ قد سأَلْتَنى بحقِّه ، فقد غفَرْتُ لك ، ولولا محمدٌ ما خلَقْتُك » . قال البَيْهَقِىُّ[2] : تفرَّدَ به عبدُ الرحمنِ بنُ زيدِ ابنِ أَسْلَمَ ، وهو ضعيفٌ . واللَّهُ أعلمُ .

وقد قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [آل عمران :

---

(١) فى المستدرك ٢/ ٦١٥. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد. وقد تعقَّبه الذهبى فقال: قلت: بل موضوع، وعبد الرحمن واهٍ. وهو كما قال. موضوع (السلسلة الضعيفة ٢٥).

(٢) الدلائل للبيهقى ٥/ ٤٨٩.

٨١، ٨٢] ، قال عليُّ بنُ أبى طالبٍ وعبدُ اللَّهِ بنُ عبّاسٍ[(١)] ، رَضِى اللَّهُ عنهما : ما بعَثَ اللَّهُ نبيًّا مِن الأنبياءِ إلَّا أخَذَ عليه الميثاقَ ؛ لئِنْ بُعِثَ محمدٌ ﷺ ، وهو حيٌّ ، ليُؤْمِنَنَّ به ولَيَنصُرَنَّه[(٢] وأمَرَه أن يأْخُذَ الميثاقَ على أُمَّتِه ؛ لئِن بُعِثَ محمدٌ ، وهم أحياءٌ ليُؤْمِنُنَّ به ولَيَنصُرُنَّه[٢)] .

وهذا تنويهٌ وتنبيهٌ على شَرَفِه وعَظَمتِه فى سائرِ المِلَلِ وعلى ألسنةِ الأنبياءِ ، وإعلامٌ لهم ومنهم برسالَتِه فى آخِرِ الزمانِ ، وأنَّه أكرمُ المُرْسَلين وخاتَمُ النَّبِيِّين . وقد أَوْضَحَ أمرَه وكشَفَ خَبَرَه وبيَّنَ سِرَّه ، وجَلَّى مجْدَه ومولِدَه وبلَدَه ، إبراهيمُ الخليلُ فى قولِه ، عليه السَّلامُ ، حينَ فرَغَ مِن بناءِ البيتِ : ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٩] ، فكان أولُ بيانِ أمْرِه على الجَلِيَّةِ والوُضوحِ بينَ أهلِ الأرضِ ، على لِسانِ إبراهيمَ الخليلِ[(*)] أكرمِ الأنبياءِ على اللَّهِ بعدَ محمدٍ ، صلواتُ اللَّهِ عليه وسلامُه عليهما وعلى سائرِ الأنبياءِ . ولهذا قال الإمامُ أحمدُ[(٣)] : حدَّثَنا أبو النَّضْرِ ، حدَّثَنا[(٤)] الفَرَجُ ، يَعْنِى ابنَ فَضالةَ ، حدَّثَنا لُقْمانُ ابنُ عامرٍ ، سمِعْتُ أبا أُمامةَ ، قال : قُلْتُ : يا نبيَّ اللَّهِ ، ما كان بَدْءُ أمْرِك ؟ قال : « دَعوةُ أبى إبراهيمَ ، وبُشْرَى عيسى ، ورأَتْ أُمِّى أنَّه خَرَجَ منها نورٌ أضاءتْ منه قُصورُ الشامِ » . تفرَّد به الإمامُ أحمدُ ، ولم يُخرِجْه أحدٌ مِن

---

(١) تقدم فى صفحة ٤٩٦ .

(٢ - ٢) سقط من : ١ ٩، ص .

(*) إلى هنا تنتهى النسخة الثانية من الجزء الرابع من نسخة أحمد الثالث ، والمشار لها بـ (ا ٩) .

(٣) تقدم تخريجه ٤٨٨/٢ ، ٤٨٩ .

(٤) بعده فى ص : « أبو » .

أصحابِ الكُتُبِ السِّتَّةِ . (١ ورَوَى الحافظُ أبو بكرِ بنُ أبى عاصمٍ[٢] فى كتابِ « المَوْلِدِ » ، مِن طريقِ بَقِيَّةَ ، عن صفوانَ بنِ عَمرٍو ، عن حُجْرِ بنِ حُجْرٍ ، عن أبى مَرْيَمَ أنَّ أعرابيًّا ، قال : يا رسولَ اللَّهِ ، أىُّ شىءٍ كان أولَ أمْرِ نُبُوَّتِك ؟ فقال : « أخَذَ اللَّهُ منِّى المِيثاقَ كما أخَذَ مِن النَّبيِّين مِيثاقَهم ، ورأَتْ أُمُّ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى مَنامِها ، أنَّه خرَج مِن بينِ رِجْلَيْها سِراجٌ أضاءتْ له قُصورُ الشامِ » ١) .

وقال الإمامُ محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ يَسارٍ[٣] : حدَّثنى ثَوْرُ بنُ يزيدَ ، عن خالدِ ابنِ مَعْدانَ ، عن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أنَّهم قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، أخبِرْنا عن نفسِك . قال : « دعوةُ أبى إبراهيمَ ، وبُشْرَى عيسى ، ورأَتْ أُمِّى حينَ حَمَلَتْ ، كأنَّه خرَجَ منها نورٌ أضاءتْ له بُصْرَى مِن أرضِ الشامِ » . إسنادُه جيِّدٌ أيضًا ، وفيه بشارةٌ لأهلِ مَحَلَّتِنا أرضِ بُصْرَى[٤] أنَّها أولُ بُقْعةٍ (٥ مِن أرضِ ٥) الشامِ خَلَصَ إليها نورُ النبوَّةِ ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ ، ولهذا كانتْ أولَ مدينةٍ فُتِحَتْ مِن أرضِ الشامِ ، وكان فتْحُها صُلْحًا فى خلافةِ أبى بكرٍ ، رَضِى اللَّهُ عنه ، كما سيأْتِى بيانُه . وقد قَدِمها رسولُ اللَّهِ ﷺ ، مرَّتين ؛ فى صُحْبةِ عمِّه أبى طالبٍ ، [٢/٤٠ظ] وهو ابنُ اثْنَتَىْ عَشْرةَ سنةً ، وكانتْ عندَها قصةُ بَحِيرَى الراهبِ ، كما بيَّنَّاه ، والثانيةُ ، ومعه مَيْسَرَةُ مَولَى خديجةَ فى تِجارةٍ لها ، وبها مَبْرَكُ الناقةِ التى يُقالُ : إنَّ[٦] ناقةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، برَكَتْ عليه فأثَّر ذلك فيها

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) أخرجه ابن أبى عاصم ، من الطريق المذكور ، فى السنة (٤٠٨) . (إسناده ضعيف) .

(٣) تقدم فى ٢/ ٤٨٨، ٤٨٩.

(٤) بعده فى م ، ص : « و » .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل .

(٦) فى الأصل ، م : « لها » .

فيما، يُذْكَرُ. ثُم نُقِل وَبُنِيَ عليه مَسجِدٌ مشهورٌ اليومَ. وهى المدينةُ التى أضاءتْ أَعناقُ الإبلِ عندَها، مِن نورِ النارِ التى خرجَتْ مِن أرضِ الحجازِ، سنةَ أربعٍ وخَمْسِينَ وسِتِّمائةٍ[1]، وَفْقَ ما أخبَرَ به رسولُ اللَّهِ ﷺ، فى قوله: «تَخرُجُ نارٌ مِن أرضِ الحجازِ، تُضىءُ لها أعناقُ الإبلِ ببصْرَى»[2]. وسيأْتِى الكلامُ على ذلك فى مَوْضِعِه، إن شاء اللَّهُ، وبه الثِّقَةُ وعليه التُّكْلَانُ.

وقال اللَّهُ تعالى[3]: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الآية [الأعراف: ١٥٧].

قال الإمامُ أحمدُ[4]: حدَّثَنا إسماعيلُ، عن الجُرَيْرِىِّ، عن أبى صَخْرٍ العُقَيْلِىِّ: حدَّثَنى رجلٌ مِن الأعرابِ قال: جلَبْتُ جَلوبةً إلى المدينةِ فى حياةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فلمَّا فرَغْتُ مِن بَيعِى، قلْتُ: لأَلْقَيَنَّ هذا الرجلَ فَلأَسمَعَنَّ منه. قال: فتلَقَّانى بينَ أبى بكرٍ وعمرَ يَمشُون، فتَبِعْتُهم حتى أتَوْا على رجلٍ مِن اليهودِ ناشرَ التوراةِ يقرؤُها، يُعَزِّى بها نفسَه عن ابنٍ له فى الموتِ كأحسنِ الفِتْيانِ وأَجمَلِهم، فقالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنْشُدُك بالذى أَنْزَلَ التوراةَ، هل تَجِدُ[5] فى

---

(١) سقط من: ص.

(٢) البخارى (٢٩٠٢، ٧١١٨).

(٣) التفسير ٣/ ٤٨١ - ٤٨٨.

(٤) أحمد فى المسند ٥/ ٤١١. قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٨/ ٢٣٤: رواه أحمد، وأبو صخر لم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٥) فى الأصل، م: «تجدنى».

كِتابِك ذا، صفتِى ومَخْرَجى؟» فقال برأسِه هكذا، أى: لا. فقال ابنُه: إىْ، والذى أَنزَلَ التوراةَ، إنَّا لَنَجِدُ فى كتابِنا صِفتَك ومَخرجَك، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وأنَّك رسولُ اللَّهِ. فقال: «أقيموا اليهودىَّ عن أخيكم». ثُم وَلِى كفْنَه والصلاةَ عليه. و[1] هذا إسنادٌ جيِّدٌ، وله شاهدٌ[2] فى «الصحيحِ»[3] عن أنسِ ابنِ مالكٍ، رَضِىَ اللَّهُ عنه.

وقال أبو القاسمِ البَغَوِىُّ[4]: حدَّثَنا عبدُ الواحدِ بنُ غِياثٍ، أبو بحرٍ، حدَّثَنا عبدُ العزيزِ بنُ مسلمٍ، حدَّثَنا عاصمُ بنُ كُلَيْبٍ، عن أبيه، عن الفَلَتانِ[5] بنِ عاصمٍ، وذكَرَ أنَّه[6] خالُه، قال: كنتُ جالسًا عندَ النبىِّ ﷺ، إذ شَخَصَ بَصرُه إلى رجلٍ، فإذا يهودىٌّ عليه قميصٌ وسراويلُ ونَعْلانِ. قال: فجَعَلَ النبىُّ ﷺ يُكلِّمُه، وهو يَقولُ: يا رسولَ اللَّهِ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَشْهَدُ أنِّى رسولُ اللَّهِ؟» قال: لا. قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أتقرأُ التوراةَ؟» قال: نَعَم. قال: «أَتَقْرَأُ الإنجيلَ؟» قال: نَعَمْ. قال: والقرآنُ[7] لو تَشاءُ قرأْتُه. فقال النبىُّ ﷺ: «فبِم تَقْرَأُ التوراةَ والإنجيلَ، أتجدُنى نبيًّا؟» قال: إنَّا نَجِدُ نَعْتَك ومَخْرَجَك، فلمَّا خرَجْتَ رجَوْنا أن تَكونَ فينا، فلمَّا رأيْناك عرَفنا[8] أنَّك لَسْتَ

---

(١) سقط من: م.

(٢) فى الأصل، م: «شواهد».

(٣) البخارى (١٣٥٦، ٥٦٥٧).

(٤) ومن طريق البغوى، أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٤١٥.

(٥) فى م: «الصلتان». وفى ص: «العلتان».

(٦) فى الأصل، م: «أن».

(٧) بعده فى الأصل، ص: «قال و». وبعده فى م: «قال: لا، و». والمثبت من تاريخ دمشق.

(٨) فى الأصل، م: «عرفناك».

به . قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ولِمَ يا يهوديُّ ؟ » قال : إنَّا نَجِدُه مكتوبًا[1] ، يَدْخُلُ مِن أُمَّتِه[2] سبعون ألفًا بغيرِ حسابٍ ، ولا نَرى معك إلا نفرًا يسيرًا . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ أُمَّتى لَأكثرُ مِن سبعين ألفًا وسبعين ألفًا » . هذا حديثٌ غريبٌ مِن هذا الوجهِ ، ولم يُخْرِجوه [٢/ ٤١و] . وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[3] ، عن سالمٍ مولى عبدِ اللَّهِ بنِ مُطيعٍ ، عن أبى هريرةَ ، قال : أتى رسولُ اللَّهِ ﷺ يهودَ ، فقال : « أَخْرِجُوا أعلمَكم » . فقالوا : عبدُ اللَّهِ بنُ صُورِيا . فخلَا به رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فناشَدَه بدينِهِ ، وما أنْعَمَ اللَّهُ به عليهم ، وأطعَمَهم مِن المَنِّ والسَّلْوَى ، وظلَّلَهم به مِن الغمامِ : « أتَعْلَمُنى رسولَ اللَّهِ ؟ » قال : اللهمَّ نَعَم ، وإنَّ القومَ لَيَعرِفون ما أَعْرِفُ ، وإنَّ صِفتَك ونَعْتَك لَمُبَيَّنٌ فى التَّوْراةِ . ولكنَّهم حسَدوك . قال : « فما يَمنَعُك أنت ؟ » قال : أَكْرَهُ خِلافَ قَومى ، وعسى أن يَتَّبِعوك ويُسْلِموا فأُسْلِمَ . وقال سَلَمةُ بنُ الفَضْلِ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ[4] ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ[5] ، عن عِكْرِمةَ ، عن ابنِ عبَّاسٍ ، أنَّه كان يَقولُ : كتَبَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، إلى يهودِ خَيْبَرَ : « بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، مِن محمدٍ رسولِ اللَّهِ صاحبِ موسى ، وأخيه ، والمُصَدِّقِ بما جاء به موسى ، ألا إنَّ اللَّهَ قال لكم : يا مَعْشَرَ يهودَ وأهلَ التَّوْراةِ ، و[6] إنَّكم تجِدون ذلك فى كِتابِكم : إنَّ محمدًا : ﴿ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا

---

(١) سقط من : ص .

(٢) بعده فى الأصل ، م : « الجنة » .

(٣) ومن طريق ابن إسحاق ، أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٤١٧، ٤١٨.

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٥٤٤، ٥٤٥.

(٥) فى الأصل : « بكر » . وانظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٤٠٩.

(٦) سقط من : الأصل ، م .

سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح: ٢٩]. وإنِّى أَنْشُدُكم باللَّهِ وبالذى أُنزِلَ عليكم، وأنشُدُكم بالذى أَطْعَمَ مَن كان قبلكم مِن[1] أسباطِكم، المنَّ والسَّلْوَى، وأَنْشُدُكم بالذى أَيْبَسَ البحرَ لآبائِكم حتّى أنجاكم مِن فرعونَ وعملِهِ، إلَّا أخبرْتُمونا: هل تَجِدُون فيما أَنْزَلَ اللَّهُ عليكم، أن تُؤْمِنُوا بمحمدٍ؟ فإن كنتُم لا تَجِدُون ذلك فى كِتابِكم، فلا كُرْهَ عليكم، قد تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِن الغيِّ، وأَدعُوكم إلى اللَّهِ وإلى نبيِّه ﷺ».

وقد ذكَرَ[2] إسحاقُ بنُ بِشْرٍ[3] فى كتابِ «المبتدأ» عن سعيدِ بنِ بَشِيرٍ، عن قتادةَ، عن كعبِ الأحبارِ، ورَوَى غيرُه[4]، عن وَهْبِ بنِ مُنَبهٍ، أَنَّ بُخْتُ نَصَّرَ بعدَ أن خرَّبَ بيتَ المَقْدِسِ واستذلَّ بنى إسرائيلَ بسبعِ سنين، رأَى فى المنامِ رؤيا عظيمةً هالتْه، فجمَعَ الكَهَنَةَ والحُزاةَ[5]، وسألَهم عن رُؤْياه تلك، فقالوا: لِيَقُصَّها المَلِكُ حتى نُخْبِرَه بتأويلها. فقال: إنِّى أُنسِيتُها، وإن لم تُخْبِرونى بها إلى ثلاثةِ أيّامٍ، قتَلْتُكم عن آخِرِكم. فذَهبوا خائفين وَجِلين مِن

---

(١) بعده فى الأصل، م: «أسلافكم و».

(٢) بعده فى م، ص: «محمد بن». وانظر سير أعلام النبلاء ٩/ ٤٧٧.

(٣) فى م: «يسار». وانظر المصدر السابق. والحديث أخرجه من طريق إسحاق بن بشر، أبو نعيم فى الدلائل (٤٤).

(٤) أورده السيوطى فى الخصائص ١/ ٢٣، ٢٤. وقال: أخرجه أبو نعيم، عن كعب ووهب بن منبه.

(٥) فى م: «والحزار». وفى ص: «والحراء». والحُزاة: جمع حازٍ، وهو الذى ينظر فى الأعضاء وفى خِيلان الوجه يتكهَّن.

وعيدِه . فسمِع بَذلك دانْيالُ ، عليه السَّلامُ ، وهو فى سِجْنِه ، فقال للسجَّانِ : اذهَبْ إليه ، فقُل له : إنَّ هـٰهنا رجلًا عندَه عِلْمُ رُؤْياك وتأويلُها . فذَهَبَ إليه فأَعْلَمه فطلَبَه ، فلمّا دخَلَ عليه لم يَسْجُدْ له ، فقال له : ما منَعَك مِن السجودِ لى ؟ فقال : إنَّ اللَّهَ آتانى عِلْمًا[1] ، وأمَرنى أن لا أَسجُدَ لغيرِه . فقال له بُخْتُ نَصَّرُ : إنِّى أُحِبُّ الذين يُوفون لِأرْبابِهم بالعهودِ ، فأَخبِرْنى عن رُؤْيایَ . فقال له دانيالُ : رأيتَ صَنَمًا[2] عظيمًا ، رِجْلاه فى الأرضِ ورأسُه فى السَّماءِ ، أعلاه مِن ذهبٍ ، ووسَطُه مِن فِضَّةٍ ، وأسفلُه مِن نُحاسٍ ، وساقاه مِن حديدٍ ، ورِجْلاه مِن فَخَّارٍ ، فبَيْنَا أنت تَنظُرُ إليه قد أَعجَبَك حُسنُه وإحكامُ صَنْعَتِه ، قذَفَه اللَّهُ بحجَرٍ مِن السماءِ ، فوقَعَ على قِمَّةِ[3] رَأسِه ، حتى طحَنه ، واختَلَط ذهَبُه وفِضَّتُه ونُحاسُه وحديدُه وفَخَّارُه ، حتّى تَخَيَّلَ إليك[4] أنَّه لو اجْتَمَعَ جَمِيعُ[5] الإنْسِ والجنِّ على أن يُميِّزوا بعضَه مِن بعضٍ ، لم يَقْدِروا على ذلك . ونظَرْتَ إلى الحجَرِ الذى قُذِفَ به ، يَرْبُو ويَعْظُمُ وَينْتَشِرُ ، حتَّى مَلأَ الأرضَ كُلَّها ، فصِرْتَ لا تَرَى إلَّا الحجرَ والسَّماءَ . فقال له بُخْتُ نَصَّرُ : صدَقْتَ ، [٢/ ٤١ظ] هذه الرُّؤْيا التى رأَيْتُها ، فما تَأويلُها ؟ فقال دانيالُ : أمَّا الصَّنمُ فأُمَمٌ مختلِفةٌ ؛ فى أولِ الزمانِ وفى وسَطِه وفى آخِرِه ؛ وأمَّا الحجرُ الذى قُذِفَ به الصَّنَمُ ، فدِينٌ يَقْذِفُ اللَّهُ به هذه الأمَمَ فى آخِرِ الزمانِ فيُظْهِرُه عليها ، فيَبعَثُ اللَّهُ نبيًّا أميًّا مِن العربِ ، فيُدَوِّخُ

---

(١) بعده فى الأصل، م: «وعلمنى».
(٢) فى ص: «جسما».
(٣) سقط من: ص.
(٤) فى الأصل، م: «لك».
(٥) سقط من: الأصل، م.

به الأمَمَ والأديانَ ؛ كما رأيتَ الحجرَ دَوَّخَ أصنافَ الصنمِ ، ويَظْهَرُ على الأَدْيانِ والأُممِ ، كما رأيْتَ الحجرَ ظَهَر على الأرضِ كلِّها ، فيُمَحِّصُ اللَّهُ به الحقَّ ويُزْهِقُ به الباطلَ ، ويَهْدِى به أهلَ الضَّلالةِ ، ويُعَلِّمُ به الأُمِّيِّين ، ويُقَوِّى به الضَّعَفَةَ ويُعِزُّ به الأَذِلَّةَ ، ويَنصُرُ به المُسْتَضْعَفِين . وذكَرَ تمامَ القصةِ فى إطلاقِ بُخْتُ نَصَّرَ بنى إسرائيلَ على يَدَىْ دانيالَ ، عليه السَّلامُ . وذكَرَ الوَاقِدِىُّ بأسانيدِه ، عن المُغيرةِ ابنِ شُعبةَ ، فى قصةِ وُفودِه على المُقَوقِسِ مَلِكِ الإسْكَنْدَرِيَّةِ وسؤالِه له عن صِفاتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، قريبًا مِن سؤالِ هِرَقْلَ لأبى سُفيانَ صَخْرِ بنِ حَرْبٍ ، وذكَرَ أنَّه سأَلَ أساقِفَةَ النَّصارَى فى الكنائسِ عن صِفةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وأخبَرُوه عن ذلك ، وهى قصةٌ طويلةٌ ذكَرَها الحافظُ أبو نُعَيْمٍ[1] فى « الدلائلِ » . وثَبَتَ فى « الصحيحِ »[2] أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، مرَّ بمِدْراسِ[3] اليهودِ ، فقال لهم : « يا مَعْشَرَ اليهودِ ، أَسْلِموا فوالذى نفسى بيدِه ، إنَّكم لَتَجِدون صِفتى فى كُتُبِكم » . الحديثَ .

وقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثَنا موسى بنُ داودَ ، حدَّثَنا فُلَيْحُ بنُ سُلَيْمانَ ، عن هِلالِ بنِ علىٍّ ، عن عَطاءِ بنِ يَسارٍ ، قال : لَقِيتُ عبدَ اللَّهِ بنَ عمرِو بنِ العاصِ ، فقلتُ : أخبِرْنى عن صِفةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فى التوراةِ . فقال : أَجَلْ ، واللَّهِ إنَّه لموصوفٌ فى التوراةِ بصِفتِه فى القرآنِ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٤٥] . وحِرزًا للأُمِّيِّين ، و[5] أنت عبدى

---

(١) الدلائل لأبى نعيم (٤٥) .

(٢) البخارى (٣١٦٧، ٦٩٤٤، ٧٣٤٨) .

(٣) المدراس : الموضع يُدرَس فيه كتاب اللَّه ، ومنه مِدراس اليهود . الوسيط (د ر س) .

(٤) أحمد فى المسند ٢/ ١٧٤. (إسناده صحيح) .

(٥) سقط من : الأصل ، م .

ورسولى ، سمَّيْتُك المتوكِّلَ ، لا فَظٌّ ولا غليظٌ ولا سَخَّابٌ[1] بالأسواقِ ، ولا يَدْفَعُ بالسيِّئةِ السيِّئةَ ولكن يَعفُو ويَغْفِرُ ، ولن يَقبِضَه اللَّهُ حتَّى يُقِيمُوا المِلَّةَ العَوْجاءَ ، بأن يقولوا : لا إلهَ إلا اللَّهُ . يَفْتَحُ به أَعْيُنًا عُمْيًا وآذانًا صُمًّا وقلوبًا غُلْفًا . ورواه البُخارِيُّ[2] ، عن محمدِ بنِ سِنانٍ العَوْفِيِّ ، عن فُلَيْحٍ به . ورواه[3] أيضًا عن عبدِ اللَّهِ[4] - قيل : ابنُ رجاءٍ . وقيل : ابنُ صالحٍ - عن عبدِ العزيزِ بنِ أبِى سَلَمةَ ، عن هلالِ بنِ (5) عَلِيٍّ به (5) ، ولفظُهُ قريبٌ مِن هذا وفيه زِيادةٌ . ورواه ابنُ جريرٍ[6] مِن حديثِ فُلَيْحٍ ، عن هِلالٍ ، عن عَطاءٍ ، وزاد : قال عطاءٌ : فلَقِيتُ كَعْبًا فسأَلْتُه عن ذلك ، فما اختَلَفَ حَرْفًا . وقال[7] فى البُيُوعِ : وقال سعيدٌ ، عن هلالٍ ، عن عَطاءٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ سَلَامٍ . قال الحافظُ أبو بكرٍ البَيْهَقِيُّ[8] : أخبَرَناه أبو الحسينِ بنُ المُفضِّلِ[9] القَطَّانُ ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ جعفرٍ ، حدَّثَنا يَعقوبُ بنُ سُفيانَ ، حدَّثَنا أبو صالحٍ ، حدَّثَنا اللَّيْثُ ، حدَّثنى خالدُ بنُ يزيدَ ، عن سعيدِ بنِ أبى هلالٍ ، (10) عن هلالٍ (10) بنِ أُسامَةَ ، عن عَطاءِ ابنِ يسارٍ ، عن ابنِ سَلَامٍ ، أنَّه كان يقولُ : إنَّا لنَجِدُ صفةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ : إنَّا

---

(١) فى م : « صخاب » . بعده فى النسخ : « فى » . والمثبت من المسند .
(٢) البخارى (٢١٢٥) .
(٣) البخارى (٤٨٣٨) .
(٤) انظر الفتح ٨/ ٥٨٥.
(٥ - ٥) فى الأصل ، م : « علوية » . وانظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٣٤٣.
(٦) فى تفسير الطبرى ٩/ ٨٣.
(٧) أى البخارى (٢١٢٥) معلقا . قال الحافظ فى الفتح ٤/ ٣٤٣: وطريقه هذه وصلها الدارمى فى مسنده . انظر سنن الدارمى ١/ ٥.
(٨) الدلائل للبيهقى ١/ ٣٧٦.
(٩) فى الدلائل للبيهقى : « الفضل » .
(١٠ - ١٠) سقط من النسخ . والمثبت من الدلائل . وانظر تهذيب الكمال ١١/ ٩٤.

أرسلْناك شاهدًا ومبشِّرًا ونذيرًا وحِرْزًا للأُمِّيِّينَ، أنت عبدى ورسولى، سمَّيتُه المُتوكِّلَ ليس بَفظٍّ ولا غَليظٍ ولا سَخَّابٍ[1] فى الأسواقِ، ولا يَجْزِى السيِّئةَ بمثلِها، ولكن يَعفُو ويَتَجاوَزُ، ولن أَقْبِضَه حتى يُقِيمَ[2] المِلَّةَ العوجاءَ [٢/ ٤٢و] بأن يشهدوا أن لا إلهَ إلَّا اللَّهُ، يَفْتَحُ به أعْيُنًا عُمْيًا وآذانًا صُمًّا وقلوبًا غُلْفًا. قال عَطاءُ بنُ يَسارٍ[3]: وأخبَرَنى اللَّيْثِيُّ أنَّه سمِعَ كَعبَ الأحبارِ يَقُولُ مِثْلَ ما قال ابنُ سلَامٍ.

قلتُ: وهذا عن عبدِ اللَّهِ بنِ سلَامٍ أشْبَهُ، ولكنَّ الرِّوايةَ عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو أكثرُ، معَ أنَّه كان قد وَجَدَ يومَ اليَرْموكِ زامِلَتَيْن مِن كُتُبِ أهلِ الكتابِ، فَكان يُحَدِّثُ منهما كثيرًا، وليُعْلَمَ أنَّ كثيرًا مِن السلفِ كانوا يُطلِقُون التَّوْراةَ على كُتُبِ أهلِ الكتابِ، فهى عندَهم أعَمُّ مِن التى أَنزَلها اللَّهُ على موسى، وقد ثَبَتَ شاهدُ ذلكِ مِن الحديثِ[4].

وقال يُونُسُ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ[5]، حدَّثنى محمدُ بنُ ثابتِ بنِ شُرَحْبِيلٍ[6]، عن أمِّ الدَّرْداءِ، قالتْ: قُلْتُ لِكَعْبِ الأحبارِ: كيف تَجِدون صفةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى التَّوْراةِ، قال: نَجِدُه محمدٌ رسولُ اللَّهِ، اسمُه المُتوكِّلُ، ليس بفَظٍّ ولا غليظٍ ولا سخَّابٍ[7] فى الأسواقِ، وأُعْطِىَ

---

(١) فى م: «صخاب».
(٢) بعده فى النسخ: «به». والمثبت من الدلائل.
(٣) أخرجه عن عطاء، البيهقى فى الدلائل ١/ ٣٧٦.
(٤) انظر حديث عبد اللَّه بن عمرو المتقدم فى صفحة ٥٤٤ .
(٥) ومن طريق يونس، أخرجه البيهقى فى الدلائل ١/ ٣٧٦، ٣٧٧.
(٦) بعده فى النسخ: «ابن أبى أوفى». وهو خطأ. انظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٥٥٠.
(٧) فى م: «صخاب».

المفاتيحَ، فيُبَصِّرُ اللَّهُ به أعيُنًا عُورًا، ويُسمِعُ آذانًا وُقْرًا، ويُقيمُ به أَلْسُنًا مُعْوَجَّةً، حتى يَشهدوا أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وحْدَه[1] لا شريكَ له، يُعينُ[2] المظلومَ ويَمْنَعُه. وقد رُوِىَ عن كعبٍ مِن غيرِ هذا الوجهِ[3]. وقد روَى البَيْهَقِىُّ[4]، عن الحاكمِ، عن أبى الوليدِ الفقيهِ، عن الحسنِ بنِ سُفْيانَ، حدَّثَنا عُقْبَةُ[5] بنُ مُكْرِمٍ، حَدَّثَنا أبو قَطَنٍ عمرُو بنُ الهيثمِ، حدَّثَنا حَمْزةُ[6] الزيَّاتُ، عن سُلَيمانَ الأَعمشِ، عن علىِّ بنِ مُدْرِكٍ، عن أبى زُرْعَةَ، عن أبى هريرةَ: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ [القصص: ٤٦] قال: نُودوا: يا أمةَ محمدٍ، استجبْتُ لكم قبلَ أن تَدعُونى، وأعطَيْتُكم قبلَ أن تَسأَلونى. وذكَرَ وهبُ بنُ مُنَبِّهٍ[7]، أنَّ اللَّهَ تعالى أَوْحَى إلى داودَ فى الزَّبُورِ: يا داودُ إنَّه سيَأْتِى مِن بعدِك نبىٌّ اسمُه أحمدُ، ومحمدٌ، صادقًا، سيِّدًا، لا أَغضَبُ عليه أبدًا، ولا يُغْضِبُنى[8] أبدًا، وقد غَفَرْتُ له، قبلَ أن يَعْصِيَنى، ما تقدَّمَ مِن ذنبِه وما تَأَخَّرَ، وأُمَّتُه مَرْحُومةٌ، أَعْطَيْتُهم مِن النوافلِ مِثْلَ ما أعْطيتُ الأنبياءَ، وافْتَرَضْتُ[9] عليهم الفرائضَ التى افْتَرَضْتُ على الأنبياءِ والرُّسُلِ، حتى يَأْتُونى يومَ القيامةِ ونورُهم مِثْلُ نورِ الأنبياءِ. إلى أن قال: يا داودُ، إِنِّى فضَّلْتُ محمدًا وأُمَّتَه على الأُمَمِ كلِّها.

---

(١) فى الأصل، م: «واحد».

(٢) بعده فى الأصل، ا ٩، م: «به».

(٣) أخرجه عن كعب، البيهقى فى الدلائل ١/ ٣٧٧.

(٤) الدلائل للبيهقى ١/ ٣٨١.

(٥) فى الأصل، م: «عتبة». وانظر تهذيب الكمال ٢٠/ ٢٢٦.

(٦) بعده فى الأصل، م: «بن». وانظر تهذيب الكمال ٧/ ٣١٤.

(٧) أخرجه البيهقى فى الدلائل ١/ ٣٨٠.

(٨) فى الأصل: «يعصينى».

(٩) فى الأصل، م: «فرضت».

والعِلْمُ بأنَّه موجودٌ فى كُتُبِ أهلِ الكتابِ، معلومٌ مِن الدينِ ضرورةً، وقد دلَّ على ذلك آياتٌ كثيرةٌ فى الكتابِ العزيزِ، تكلَّمْنا عليها فى مواضِعِها، ولِلَّهِ الحمدُ. فمِن ذلك قولُه[1]: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٥٢ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴾ [القصص: ٥٢، ٥٣]. وقال تعالى[2]: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٦]. وقال تعالى[3]: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾ [الإسراء: ١٠٧، ١٠٨] أى إن كان وَعْدُ[4] ربِّنا بوجودِ محمدٍ وإرسالِه، لكائنٌ لا محالةَ، فسُبحانَ القديرِ على ما يشاءُ، الذى[5]، لا يُعْجِزُه شىءٌ. وقال تعالى[6] إخبارًا عن القِسِّيسِين والرُّهْبانِ: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [المائدة: ٨٣]، وفى قصَّةِ النَّجاشِىِّ وسَلْمانَ وعبدِ اللَّهِ [٢/ ٤٢ظ] بنِ سَلَامٍ وغيرِهم، كما سيأتِى، شواهدُ كثيرةٌ لهذا المعنى، ولِلَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ.

وذكَرْنا فى تضاعيفِ قَصصِ الأنبياءِ، ما تقدَّمَ الإشارةُ إليه مِن وَصْفِهم لِبعْثةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، ونَعْتِه وبلَدِ مولدِه، ودارِ مُهاجَرِه، ونَعْتِ أُمَّتِه، فى قِصَّةِ

---

(١) التفسير ٦/ ٢٥٣، ٢٥٤.
(٢) التفسير ١/ ٢٨٠، ٢٨١.
(٣) التفسير ٥/ ١٢٥، ١٢٦.
(٤) فى الأصل، م: «وعدنا».
(٥) سقط من: الأصل، م.
(٦) التفسير ٣/ ١٥٩.

مُوسى [1]وشعيا وأَرْمِيا ودانْيالَ وغيرِهم[1] ، وقد أخبرَ اللَّهُ تعالى عن آخِرِ أنبياءِ بنى إسرائيلَ وخاتَمِهم عيسى ابنِ مَرْيَمَ ، أنَّه قام فى بنى إسرائيلَ خطيبًا قائلًا لهم : ﴿ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾ [الصف : ٦] . وفى الإنجيلِ البشارةُ بالبَارَقليطِ[2] ، والمرادُ به[3] محمدٌ ﷺ .

وروَى البَيْهَقِيُّ[4] ، عن الحاكمِ ، عن الأصَمِّ ، عن أحمَدَ بنِ عبدِ الجبّارِ ، عن يُونُسَ بنِ بُكَيْرٍ ، عن يُونُسَ بنِ عمرٍو ، عن العَيْزارِ بنِ حرْبٍ[5] ، عن عائشةَ ، رَضِى اللَّهُ عنها ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، قال : « مكتوبٌ فى الإنجيلِ : لا فَظٌّ ، ولا غليظٌ ، ولا سخّابٌ[6] فى الأسواقِ ، ولا يَجْزِى بالسيئةِ مثلَها ، بل يَعْفُو ويَصْفَحُ » .

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[7] : حدَّثنا فَيْضٌ البَجَلىُّ ، حدَّثنا سلّامُ ابنُ مِسكينٍ ، عن مُقاتِلِ بنِ حَيَّانَ ، قال : أَوْحَى اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، إلى عيسى ابنِ مَرْيَمَ : جُدَّ فى أمرِى ، واسمَعْ وأَطِعْ يا ابنَ الطاهرةِ[8] البِكْرِ البَتُولِ ، أنا خَلقْتُك مِن غيرِ فَحْلٍ فجعَلْتُك آيةً للعالَمِينَ ، فإيَّاىَ فاعْبُدْ ، فَبَيِّنْ لأَهلِ سُورانَ بالسُّرْيانيَّةِ ، بَلِّغْ مَن بينَ يديك ، أنِّى أنا الحقُّ القائمُ الذى لا أزولُ صَدِّقوا بالنبىِّ

(١ - ١) فى ص : « وشعيب وغيرهما » .

(٢) فى م : « الفارقليط » .

(٣) سقط من : الأصل ، م .

(٤) الدلائل للبيهقى ١/ ٣٧٧، ٣٧٨.

(٥) فى الدلائل : « حريث » .

(٦) فى م : « صخاب » .

(٧) المعرفة والتاريخ ٣/ ٣٣٩.

(٨) فى الأصل ، ص : « الطاهر » .

الأُمِّىُّ العربىُّ صاحبِ الجمَلِ والمِدْرعَةِ والعِمامةِ ، وهى التَّاجُ ، والنعلينِ والهِراوةِ ، وهى القضيبُ ، الجعدُ الرَّأسِ ، الصَّلْتُ الجبينِ[1] المقرونُ الحاجبيْنِ ، الأَنجَلُ العينيْن[2] ، الأَهْدَبُ الأَشْفارِ[3] ، الأدعَجُ العينين[4] ، الأَقْنَى الأَنفِ[5] ، الواضحُ الخدَّيْنِ ، الكَثُّ اللِّحْيةِ ، عَرَقُه فى وجهِه كاللؤلؤِ ، ريحُ المِسْكِ يَنضَحُ منه ، كأنَّ عُنقَه إبريقُ فِضَّةٍ ، وكأنَّ الذَّهبَ يَجْرى فى تراقِيه[6] ، له شَعَراتٌ مِن لَبَّتِه إلى سُرَّتِه ، تَجْرِى كالقضيبِ ، ليس فى بَطْنِه شَعْرٌ غيرُه ، شَثْنُ[7] الكَفِّ والقَدَمِ ، إذا جاء مع الناسِ غَمَرَهم ، وإذا مشَى كأنَّما يَتَقَلَّعُ مِن الصَّخْرِ ويَتَحَدَّرُ[8] مِن صَبَبٍ[9] ، ذو النَّسْلِ القليلِ ، وكأنَّه أرادَ الذكورَ مِن صُلْبه . هكذا رواه البَيْهَقِىُّ[10] فى « دلائلِ النبوةِ » منِ طريقِ يَعقوبَ بنِ سُفيانَ . وروَى البَيْهَقِىُّ[11] ، عن عُمَرَ[12] بنِ الحكمِ بنِ[13] رافعِ بنِ سِنانٍ ، حدَّثنى بعضُ

---

(١) الصلت الجبين : الصَّلْت ؛ الواضح فى سعةٍ وبريق .

(٢) الأنجل العينين : المُتَّسِع العينين .

(٣) الأهدب الأشفار : طويلُها والهُدْب : شعر شَفْر العين . والشفر : هو حرف الجفن الذى ينبت عليه الهدب .

(٤) الأدعج العينين : التى اشتدّ سوادها وبياضها واتَّسعتْ .

(٥) الأقنى الأنف : الذى ارتفع وسط قصبته وضاق منخراه .

(٦) التراقى : جمع تَرْقوة ، وهى عظمة مشرفة بين ثُغرة النحر والعاتق .

(٧) الشثن : الغليظ الخشن .

(٨) يتحدَّر : ينزل من عُلْو إلى سُفْلٍ .

(٩) الصَّبب : ما انحدر من الأرض .

(١٠) الدلائل للبيهقى ١/ ٣٧٨، ٣٧٩.

(١١) الدلائل للبيهقى ١/ ٣٨٢، ٣٨٣.

(١٢) فى النسخ : « عثمان » . والمثبت من الدلائل . وانظر تهذيب الكمال ٢١/ ٣١٠.

(١٣) فى ص : « عن » . وانظر المصدر السابق.

عُمُومتى وآبائى ، أنَّهم كانت عندَهم وَرَقةٌ يَتوارَثُونها فى الجاهليَّةِ حتى جاءَ اللَّهُ بالإِسلامِ ، وهى[(1)] عندَهم ، فلمَّا قَدِمَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ ، المدينةَ ، ذكَرُوها له ، وأتَوْه بها ، مكتوبٌ فيها : بسمِ اللَّهِ وقولُه الحقُّ وقولُ الظالمينَ فى تَبابٍ ، هذا الذِّكْرُ لأُمَّةٍ تَأْتِى فى آخِرِ الزمانِ ، يُسَبِّلون[(2)] أَطرافَهم ، ويَأْتَزِرونَ[(3)] على أوساطِهم ، ويَخُوضون البحورَ إلى أعدائِهم ، فيهم صلاةٌ لو كانتْ فى قومِ نوحٍ ما أُهْلِكوا بالطُّوفانِ ، وفى عادٍ ما أُهْلِكوا بالرِّيحِ ، وفى ثمودَ ما أُهلِكوا بالصَّيْحةِ . بسمِ اللَّهِ وقولُه الحقُّ وقولُ الظالمين فى تَبابٍ . ثُم ذكَرَ قِصَّةً أُخرى ، قال : فعَجِبَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، لمَّا قرَأْتُ عليه ؛ لِمَا[(4)] [٤٣/٢و] فيها .

وذكَرْنا عندَ قولِه تعالى فى سورةِ « الأعرافِ » : ﴿ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ [الأعراف : ١٥٧] قِصةَ هِشامِ بنِ العاصِ الأُمويِّ ، حينَ بعثَه الصِّدِّيقُ فى سَرِيَّةٍ إلى هِرَقْلَ يَدْعوه إلى اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ . فذَكَرَ أنَّه أخْرَج لهم صُوَرَ الأنبياءِ فى رَبْعةٍ[(6)] ، مِن آدمَ إلى محمدٍ ، صلواتُ اللَّهِ عليه وسلامُه عليهم أجمعين ، على النَّعْتِ والشَّكْلِ الذى كانوا عليه . ثُم ذَكَرَ أنَّه لمَّا أخرَجَ صورةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، قام قائمًا إكرامًا له . ثُم جلَسَ وجعَلَ يَنظُرُ إليها ويتأمَّلُها . قال : فقُلنا له : مِن أين لك هذه الصورُ[(7)] ؟ فقال : إنَّ آدمَ سأَلَ

---

(١) فى الأصل : « بقى » . وفى م : « بقيت » .
(٢) فى الأصل ، م : « ليبلون » .
(٣) فى الأصل ، م : « يوترون » .
(٤) سقط من : م .
(٥) التفسير ٤٨١/٣ - ٤٨٤ .
(٦) فى الأصل ، م : « رقعة » . والربعة : إناء مربع .
(٧) فى الأصل ، م : « الصورة » .

ربَّه أن يُرِيَه[1] الأنبياءَ مِن وَلَدِه[2] ، فأنزَلَ عليه صُوَرَهم ، فكان فى خِزانةِ آدمَ ، عليه السَّلامُ ، عندَ مَغرِبِ الشمسِ ، فاستَخْرَجَها ذو القَرْنَيْنِ ، فدفَعَها إلى دانيالَ . ثُم قال[3] : أمَا واللَّهِ ، إنَّ نَفْسِى[4] طابتْ بالخروجِ مِن مُلْكى ، وإنِّى كنتُ عبدًا لأَشَرِّكم مَلَكةً حتى أموتَ . ثُم أجازَنا فأحسنَ جائزتَنا وسرَّحَنا . فلمَّا أتيْنا أبا بكرٍ الصِّـدِّيقَ ، فحدَّثْناه بما رأيْنا وما أَجازنا وما قال لنا . قال : فبكَى [5]أبو بكرٍ[5] ، وقال : مِسكينٌ ، لو أراد اللَّهُ به خيرًا لَفَعَل . ثُم قال : أخبَرَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ ، أنَّهم واليهودَ يَجِدون نَعْتَ محمدٍ عندَهم . روَاه الحاكمُ بطولِه[6] . ورَواه البَيْهَقِىُّ[7] فى « دلائلِ النبوةِ » .

وقال الأُمَوىُّ : حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ ، عن[8] زيادٍ ، عن ابن إسحاقَ . قال : وحدَّثَنى يَعقوبُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرِ بنِ عمرِو بن أُمَيَّةَ ، عن أبيه ، عن جَدِّه عمرِو بنِ أُميةَ ، قال : قدِمْتُ برقيقٍ مِن عندِ النَّجاشِىِّ أَعْطانِيهم ، فقالوا لى : يا عمرُو ، لو رأَيْنَا رسولَ اللَّهِ لَعَرَفْناه مِن غيرِ أن تُخْبِرَنا . فمرَّ أبو بكرٍ ، فقُلْتُ : أهو هذا ؟ قالوا : لا . فمرَّ عُمَرُ ، فقلْتُ : أهو هذا ؟ قالوا : لا . فدَخَلْنا الدارَ فمرَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فنادَوْنى : يا عمرُو ، هذا رسولُ اللَّهِ ﷺ . فنظَرْتُ فإذا هو

---

(١) بعده فى م : « جميع » .

(٢) فى م : « ذلك » . وفى ص : « ذريته » .

(٣) أى هرقل .

(٤) بعده فى الأصل ، م : « قد » .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، م .

(٦) بعده فى النسخ : « فليكتب هلهنا من التفسير » .

(٧) الدلائل للبيهقى ١/٣٨٥ - ٣٩٠ . قال ابن كثير فى التفسير ٣/ ٤٨٤ : هكذا أورده الحافظ الكبير البيهقى عن الحاكم إجازة ، وإسناده لا بأس به . وذكره الحافظ فى الإصابة ٦/٥٤٢ بنحوه . وعزاه للبيهقى .

(٨) فى م : « بن » .

هو ، مِن غيرِ أن يُخْبِرَهم به أحدٌ ، عرَفوه بما كانوا يَجِدونه مكتوبًا عندَهم . وقد تقدَّم إنذارُ سَبأٍ لقومِه وبشارتُه لهم بوجودِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، في شِعْرٍ أَسْلَفْناه في تَرْجَمتِه ، فأَغْنَى عن إعادتِه[1] . وتَقدَّمَ قَوْلُ الحَبْرَيْنِ مِن اليهودِ لتُبَّعٍ اليمانيِّ ، حينَ حاصَرَ أهلَ المدينةِ : إنّها مُهاجَرُ نبيٍّ يكونُ في آخرِ الزمانِ . فرَجَع عنها ونظَمَ شِعْرًا يتضمَّنُ السَّلامَ على النبيِّ ﷺ[2] .

---

(1) تقدم في صفحة ١٠٧ .

(2) تقدم في صفحة ١٢٤ - ١٢٧ .

قِصَّةُ سَيفِ بنِ ذى يَزَنَ

الحِمْيَرِىّ[1] ، وبِشارَتُه بالنبىّ الأُمّـىّ[1]

وقال الحافظُ أبو بكرٍ محمدُ بنُ جعفرِ بنِ سهلٍ الخرائطىُّ ، فى كتابِهِ « هواتفِ الجانِّ »[2] : حدَّثَنا علىُّ بنُ حَرْبٍ ، حدَّثَنا أحمدُ بنُ عثمانَ بنِ حَكِيمٍ ، حدَّثَنا عمرُو بنُ بكرٍ - هو ابنُ بَكَّارٍ القَعْنَبِىُّ - عن أحمدَ بنِ القاسمِ ، عن محمدِ بنِ السائبِ الكَلْبِىِّ ، عن أبى صالحٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عبّاسٍ ، قال : لمّا ظهَر سيفُ بنُ ذى يَزَنَ - قال ابنُ[3] المُنذِرِ : واسمُه النُّعْمانُ بنُ قَيْسٍ - على الحَبَشةِ ، وذلك بعدَ مولدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، بسَنَتَيْنِ ، أَتَتْه وفودُ العربِ وشُعَراؤُها ، تُهَنِّئُه ، وتَمْدَحُه ، وتَذْكُرُ ما كان مِن حُسْنِ [٢/ ٤٣ظ] بلائِه ، وأَتَاه فيمَن أَتَاه وَفْدُ[4] قُرَيشٍ ؛ فيهم عبدُ المُطَّلِبِ بنُ هاشمٍ ، وأُمَيَّةُ بنُ عبدِ شمسٍ[5] وعبدُ اللَّهِ بنُ جُدْعَانَ ، وخُوَيْلِدُ بنُ أَسَدٍ ، فى أُناسٍ مِن وُجوهِ قريشٍ ، فقَدِموا عليه صَنْعَاءَ ، فإذا هو فى رَأْسِ غُمْدَانَ ، الذى ذكَره أُمَيَّةُ بنُ أبى الصَّلْتِ[6] :

---

(١) سقط من : م .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٤٤١ - ٤٤٥، من طريق أبى بكر الخرائطى به . وأخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٢/ ٩ - ١٤، من طريق آخر .

(٣) فى ص : « أبو » .

(٤) فى الأصل ، م : « وفود » .

(٥) بعده فى م : « أبى عبد الله » .

(٦) عزاه ابن إسحاق إلى أبيه أبى الصلت بن أبى ربيعة الثقفى ؛ انظر سيرة ابن هشام ١/ ٦٦، ضمن قصيدة يمدح فيها سيف بن ذى يزن . وجزم بذلك ابن قتيبة فى الشعر والشعراء ١/ ٤٦١، ٤٦٢ .

واشرَبْ هَنيئًا عليكَ التّاجُ مُرتَفِعًا في رأسِ غُمدانَ دارًا منك مِحْلالَا

فدَخَل عليه الآذِنُ، فأخبَرَه بمكانِهم فأذِنَ لهم، فدَنا عبدُ المُطَّلِبِ، فاستأْذَنَه في الكَلامِ، فقال له: إنْ كنتَ ممَّن يَتَكلَّمُ بينَ يَدَيِ الملوكِ[1]، فقد أَذِنّا لك. فقال له عبدُ المُطَّلِبِ: إنَّ اللَّهَ قد أَحَلَّك، أيُّها الملِكُ مَحَلًّا رفيعًا، صَعْبًا منيعًا، شامخًا باذخًا، وأَنْبَتَك مَنبِتًا طابتْ أَرُومَتُه، وعَزَّتْ[2] جُرْثُومَتُه[3]، وثَبَتَ أصلُه، وبَسَقَ[4] فرعُه، في أكرمِ مَوطِنٍ، وأطيبِ مَعْدِنٍ، فأنت - أَبَيْتَ اللَّعْنَ - مَلِكُ العربِ، وربيعُها الذي تَخْصَبُ به البِلادُ، ورأسُ العربِ الذي له تَنقادُ، وعمودُها الذي عليه العِمادُ، ومَعْقِلُها الذي يَلْجَأُ إليه العِبادُ، سَلَفُك خيرُ سَلَفٍ، وأنت لنا منهم خيرُ خَلَفٍ، فلن يَخْمُدَ مَن هم سلَفُه، ولن يَهلِكَ مَن أنت خَلَفُه، ونحن أيُّها الملِكُ أهلُ حَرَمِ اللَّهِ وسَدَنَةُ بَيْتِه، أَشْخَصَنا إليك الذي (٥ أَبْهَجَنا مِن كَشْفِك ٥) الكَرْبَ الذي قد فَدَحَنا، وفدُ التهنئةِ لا وفدُ المَرْزِئَةِ. قال: وأَيُّهم أنت أيُّها المتكلِّمُ؟ قال: أنا عبدُ المُطَّلِبِ بنُ هاشمٍ. قال: ابنُ أُخْتِنا؟ قال: نَعَمْ. قال: ادْنُ. فأَدْناه، ثُم أَقْبَلَ عليه وعلى القومِ، فقال: مَرْحبًا وأهلًا، وناقةً ورَحْلًا، ومُستناخًا سَهْلًا، ومَلِكًا رِبَحْلًا[6]، يُعْطِي عَطاءً جَزْلاً، قد سَمِعَ الملِكُ مقالتَكم، وعَرَف قَرابتَكم، وقَبِلَ وسيلتَكم، فأنتم أهلُ

---

(١) سقط من النسخ. والمثبت من تاريخ دمشق والدلائل.
(٢) في م: «عذيت».
(٣) الجرثومة: الأصل.
(٤) بسَق: تمَّ ارتفاعه. وبسق الرجُلُ: علا ذكْرُه في الفضل.
(٥ - ٥) في م: «أبهجك من كشف».
(٦) الربحل: الكثير العطاء.

الليلِ والنهارِ ، ولكم الكرامةُ ما أَقَمْتُم ، والحِباءُ[1] إذا ظَعَنْتُم . ثُم أُنْهِضُوا إلى دارِ الكَرامةِ والوفودِ ، فأقاموا شهرًا لا يَصِلون إليه ، ولا يَأْذَنُ لهم بالانصرافِ ، ثُم انْتَبَهَ لهم انْتِباهةً ، فأَرْسَلَ إلى عبدِ المُطَّلِبِ ، فأَدنى مَجْلِسَه وأَخْلَاه ، ثُم قال : يا عبدَ المُطَّلِبِ ، إنِّى مُفْضٍ إليك مِن سرِّ عِلْمى ، ما أنْ لو يكونُ غيرُك لم أَبُحْ به ، ولكنِّى رَأَيْتُك مَعْدِنَه ، فأَطْلَعْتُك طَلِيعَه ، فلْيَكُنْ عندَك مَطْوِيًّا حتى يَأْذَنَ اللَّهُ فيه ، فإنَّ اللَّهَ بالغُ أمْرِه ؛ إنِّى أَجِدُ فى الكتابِ المكنونِ ، والعِلمِ المخزونِ ، الذى اخْتَرْناه لأنفُسِنا ، واحْتَجَبْناه[2] دونَ غيرِنا ، خيرًا[3] عظيمًا ، وخطرًا جسيمًا ، فيه شرَفُ الحياةِ ، وفضيلةُ الوَفاةِ ، للناسِ عامَّةً ، ولرَهْطِك كافَّةً ، ولك خاصَّةً . فقال عبدُ المُطَّلِبِ : أيُّها الملِكُ ، مِثْلُك سَرَّ وبَرّ ، فما هو ؟ فِدَاك أهلُ الوَبَرْ ، زُمَرًا بعدَ زُمَرْ . قال : إذا وُلِد مولودٌ[4] بتِهَامةْ ، غُلامٌ (5به علامةْ5) ، بينَ كَتِفَيْه شامَةْ ، كانتْ له الإمامةْ ، ولكم به الزعامةْ ، إلى يومِ القيامةْ . قال عبدُ المُطَّلِبِ : أَبَيْتَ اللَّعْنَ ، لقدْ أُبْتُ بخيرِ ما آبَ به وافدٌ ، ولولا هَيْبَةُ المَلِكِ وإجلالُه وإعظامُه ، لَسَأَلْتُه مِن سارِّه[6] إيَّاى ما أَزْدَادُ به سرورًا . قال ابنُ ذى يَزَنَ : هذا حينُه الذى يُولَدُ فيه ، أو قد وُلِدَ ، واسمهُ محمدٌ ، يَمُوتُ أبوه وأمُّه ، ويَكْفُلُه جَدُّه وعَمُّه ، ولَدْناه مِرارًا ، واللَّهُ باعثُه جِهارًا ، وجاعلٌ له منَّا أنصارًا ، يُعِزُّ بهم أولياءَه ، ويُذِلُّ بهم أعداءَه ، ويَضْرِبُ بهم الناسَ عن عُرْضٍ ، ويَسْتَبِيحُ بهم كرائمَ الأرضِ ، يَكْسِرُ

---

(١) الحباء : العطاء .

(٢) فى م : « احتجناه » .

(٣) فى الأصل ، م : « خبرا » .

(٤) سقط من : م .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ص .

(٦) فى الأصل ، ص : « إساره » . وفى م : « بشارته » . والمثبت من تاريخ دمشق ، والدلائل .

الأوثانَ ، ويُخْمِدُ النيرانَ ، ويَعْبُدُ الرحمنَ ، ويَدْحَرُ الشيطانَ ، قولُه فَصْلٌ ، وحُكمُه عَدْلٌ ، يَأْمُرُ بالمعروفِ ويَفْعَلُه ، ويَنْهَى عن المنكَرِ ويُبْطِلُه . فقال عبدُ المُطَّلِبِ : أيُّها الملكُ ، عزَّ جَدُّك [٢/٤٤و] وعَلَا كَعْبُك ، ودام مُلْكُك ، وطالَ عُمْرُك ، (١فهذا نِجَارِى١) ، فهل المَلِكُ سارِّنِى بإفصاحٍ ، فقد وَضَّحَ لى بعضَ الإِيضاحِ . فقال ابنُ ذى يَزَنَ : والبيتِ ذى الحُجُبِ ، والعلاماتِ على النُّقُبِ ، إنَّك يا عبدَ المُطَّلِبِ ، لجَدُّه غيرَ كَذِبٍ . فَخرَّ عبدُ المُطَّلِبِ ساجدًا ، فقال : ارْفَعْ رأسَك ، ثَلَجَ صَدْرُك ، وعَلَا أمرُك ، فهل[٢] أَحْسَسْتَ شيئًا مما ذكَرْتُ لك ؟ فقال : أيُّها المِلكُ ، كان لى ابنٌ ، وكنتُ به مُعْجَبًا وَعليه رفيقًا ، فزوَّجْتُه كريمةً مِن كرائمِ قومِه ؛ آمنةَ بنتَ وهبٍ ، فجاءتْ بغلامٍ ، سَمَّيْتُه محمدًا ، فماتَ أبوه وأمُّه ، وكفَلْتُه أنا وعمُّه . قال ابنُ ذى يَزَنَ : إنَّ الذى قلتُ لك كما قلتَ ؛ فاحتفِظْ بابنِك ، واحْذَرْ عليه اليهودَ ، فإنَّهم له أعداءٌ ، ولن يَجْعَلَ اللَّهُ لهم عليه سبيلًا ، واطْوِ ما ذكَرْتُ لك دونَ هؤلاء الرَّهْطِ الذين معك ، فإنِّى لستُ آمَنُ أنْ تَدْخُلَهم[٣] النَّفاسَةُ ، مِن أن تكونَ لكم[٤] الرياسةُ ، فيطْلُبُون له الغوائلَ ، ويَنْصِبون له الحَبائلَ ، فهم فاعِلُون أو أبناؤُهم ، ولولا أنِّى أَعْلَمُ أنَّ الموتَ مُجْتاحِى قبلَ مَبْعَثِه ، لسِرْتُ بخَيْلِى ورَجِلى ، حتَّى أُصَيِّرَ(٥ يثربَ دارَ مُلْكِى٥) ، فإنِّى أَجِدُ فى الكتابِ الناطقِ ، والعِلْمِ السابِقِ ، أنَّ يثربَ استحكامُ أمْرِه ، وأهلَ

(١ - ١) سقط من : الأصل ، ص . والنجار : الأصل والحَسَب . الوسيط (ن ج ر) .

(٢) فى الأصل : « فقد » .

(٣) فى الأصل : « يدخل لهم » . وفى م : « تدخل لهم » .

(٤) فى الأصل : « لهم » .

(٥ - ٥) فى م : « بيثرب دار مملكته » .

نُصْرتِه، وموضِعُ قبرِه، ولولا أنِّى أَقِيه الآفاتِ، وأَحْذَرُ عليه العاهاتِ، لأَعْلَنْتُ - على حَدَاثةِ سِنِّهِ - أمْرَه، ولأَوْطأْتُ، على[1] أَسْنانِ العربِ عَقِبَه، ولكنِّى صادِفٌ ذلك إليك، عن غيرِ تقصيرٍ بمَن معك. قال: ثُم أمَرَ لكلِّ رجلٍ منهم بعَشَرَةِ أَعْبُدٍ وعَشْرِ إماءٍ، وبمائةٍ مِن الإبلِ، وحُلَّتَيْنِ مِن البُرُودِ، وبخمسةِ أرطالٍ من الذَّهبِ، وعَشَرَةِ أرطالِ فضةٍ، وكَرِشٍ[2] مملوءٍ عنبرًا، وأمَرَ لعبدِ المُطَّلِبِ بعَشَرَةِ أضعافِ ذلك، وقال له: إذا حالَ الحَوْلُ فأْتِنى. فمات ابنُ ذى يَزَنَ قبلَ أنْ يَحُولَ الحَوْلُ، فكان عبدُ المُطَّلِبِ كثيرًا ما يَقولُ: لا يَغْبِطْنى رجلٌ منكم بجزيلِ عطاءِ المَلِكِ، فإنَّه إلى نَفادٍ، ولكن لِيَغْبِطْنى بما يَبْقَى لى، ولِعَقِبى مِن بعدى، ذِكْرُه وفَخْرُه وشَرَفُه. فإذا قيل له: متى ذلك؟ قال: سيُعْلَمُ ولو بعدَ حينٍ. قال: وفى ذلك يقولُ أُمَيَّةُ بنُ عبدِ شمسٍ:

جَلَبْنا النُّصْحَ تَحْقُبُه المطايا ... على أَكْوارِ[3] أجمالٍ[4] ونُوقِ

مُغَلْغِلَةٌ[5] مَراتِعُها تُعَالِى[6] ... إلى صَنْعاءَ مِن فَجٍّ عميقِ

تَؤُمُّ بنا ابنَ ذى يَزَنٍ ويُغْرِى ... بذاتِ بُطونِها ذَمُّ الطريقِ

وتَرْعَى مِن مَخائِلِه بُروقًا ... مُواصِلةَ الوميضِ إلى بُروقِ

---

(1) ليست فى النسخ. وأثبتناها من تاريخ دمشق والدلائل.

(2) فى الأصل: «كوش». والكرش: وعاء الطِّيب.

(3) تحقبه: تحمله. أكوار: جمع كَوْر؛ وهى الجماعة الكثيرة من الإبل.

(4) أجمال: جمع جَمَل.

(5) فى م: «مقلقة». ومغلغلة: مسرعة.

(6) فى ص: «تقالى». وتُعالى: تصعد.

فلمّا واقَعَتْ[1] صَنْعاءَ حلَّتْ بدارِ المُلْكِ والحَسَبِ العتيـقِ[2]

وهكذا روَاه الحافظُ أبو نُعَيْمٍ فى « الدلائلِ »[3] ، مِن طريقِ عمرِو بن بَكْرِ[4] ابنِ بَكّارٍ القَعْنَبِىِّ به[5] . ثُم قال أبو نُعَيْمٍ[6] : أُخْبِرْتُ عن أبى الحَسَنِ علىِّ بنِ إبراهيمَ بنِ عبدِ اللَّهِ[7] بنِ محمدِ بنِ عبدِ العزيزِ بنِ عُفَيرِ بنِ عبدِ العزيزِ بنِ الصَّقْرِ[8] بنِ عُفَيرِ بنِ زُرْعةَ بنِ سيفِ بنِ ذى يَزَنَ ، حدَّثنى أبى أبو يَزَنَ إبراهيمُ ، حدَّثَنا عمِّى أحمدُ بنُ محمدٍ أبو رَجَاءٍ[9] ، حدَّثَنا عَمِّى محمدُ بنُ عبدِ العزيزِ ، حدَّثَنى عبدُ العزيزِ بنُ عُفَيْرٍ ، عن أبيه ، عن زُرْعَةَ بنِ سَيْفِ بنِ [٤٤/٢ظ] ذى يَزَنَ الحِمْيَرِىِّ قال : لمّا ظَهَرَ جَدِّى سَيْفُ بنُ ذى يَزَنَ على الحَبَشَةِ . وذكَره بطولِه .

وقال أبو بكرٍ الخَرَائِطِىُّ[10] : حدَّثَنا أبو يُوسُفَ يَعقُوبُ بنُ إسحاقَ القُلُوسِىُّ ، حدَّثَنا العَلاءُ بنُ الفَضْلِ بنِ أبى سُوَيَّةَ ، أخبرَنى أبى ، عن أبيه عبدِ الملكِ بنِ أبى سُوَيَّةَ ، عن جَدِّه أبى سُوَيَّةَ ، عن أبيه خليفةَ قال : سأَلْتُ محمدَ

---

(١) فى الأصل ، م : « واصلت » . وواقعتْ : قارَبَتْ .
(٢) فى الأصل ، م : « العريق » .
(٣) دلائل النبوة لأبى نعيم (٥٠) .
(٤) فى م : « بكير » . وكذا فى الدلائل .
(٥) سقط من : الأصل ، م .
(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٤٤٥، والبيهقى فى الدلائل ٩/٢ - ١٤، من طريق أبى يزن إبراهيم بن عبد الله بن محمد الحميرى به .
(٧) فى الأصل ، م : « عبد ربه » .
(٨) فى الأصل : « السقر » . وفى م : « السفر » .
(٩) فى الأصل : « رخى » . وبعده فى الأصل ، م : « به » .
(١٠) ذكره السيوطى فى الخصائص ٢٣/١. وعزاه للخرائطى .

ابنَ عثمانَ بنِ ربيعةَ بنِ سواةَ بنِ خَثْعَمِ بنِ سعدٍ فقلتُ : كيف سَمّاك أبوك محمدًا ؟ فقال : سألْتُ أبى عمّا سألْتنى عنه ، فقال : خرَجْتُ رابعَ أربعةٍ مِن بنى تَميمٍ أنَا منهم ، وسُفيانُ بنُ مُجاشِعِ بنِ دارِمٍ ، وأسامةُ بنُ مالكِ بنِ جُندُبِ[(1] بنِ العقيدِ[1)] ، ويزيدُ بنُ ربيعةَ بنِ كنانةَ بنِ حَرْبوصِ بنِ مازنٍ ، ونحن نريدُ ابنَ جَفْنَةَ مَلِكَ غسّانَ ، فلمّا شارَفْنا الشامَ نزَلْنا على غَديرٍ عليه شجراتٌ ، فتحدَّثْنا ، فسَمِعَ كلامَنا راهبٌ ، فأَشْرَفَ علينا ، فقال : إنَّ هذه لغةٌ ما هى بلُغَةِ هذه البلادِ . قلنا : نَعَمْ ، نحن قومٌ مِن مُضَرَ . قال : من أىِّ المُضَرِيِّين[(2)] ؟ قلنا : مِن خِنْدِفٍ . قال : أمَا إنَّه سيُبْعَثُ وشيكًا نبىٌّ ، خاتَمُ النَّبِيِّين ، فسارِعوا إليه ، وخُذوا بحظِّكم منه تَرْشُدُوا . فقُلْنا له : ما اسمُه ؟ قال : اسمُه محمدٌ . قال : فرَجَعْنا مِن عندِ ابنِ جَفْنَةَ ، فوُلِدَ لكلِّ واحدٍ منا ابنٌ ، فسمَّاه محمدًا . يَعْنِى ، أنَّ كلَّ واحدٍ منهم ، طَمِعَ فى أنْ يكونَ هذا النبىُّ المبشَّرُ به ولدَه .

وقال الحافظُ أبو بكرٍ الخَرائِطِىُّ[(3)] : حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى سَعدٍ ، حدَّثَنا حازمُ بنُ عِقَالٍ[(4] بنِ الزهرِ[4)] بنِ حَبيبِ بنِ المنذرِ بنِ أبى الحُصَيْنِ بنِ السَّمَوْأَلِ ابنِ عادِيَاءَ ، [(1] حدَّثَنى جابرُ بنُ حيرانَ[(5)] بنِ جميعِ بنِ عثمانَ بنِ سِمَاكِ بنِ الحُصَيْنِ بنِ السَّمَوْأَلِ بنِ عادِيَاءَ[1)] قال : لمّا حضَرَتِ الأوسَ بنَ حارثةَ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ عمرِو بنِ عامرٍ الوفاةُ ، اجتمَعَ إليه قومُه مِن غسَّانَ فقالوا : إنَّه قد حضَرَ[(6)] مِن

(1 - 1) سقط من : الأصل ، وفى ص : « بن العير » .

(2) فى م : « المضرين » .

(3) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه 3/ 456 ، 457 ، من طريق أبى بكر الخرائطى به .

(4 - 4) سقط من : الأصل .

(5) فى م : « جدان » .

(6) فى م : « حضرك » .

أمرِ اللَّهِ ما تَرى ، وقد كنَّا نَأْمُرُك بالتَّزْويجِ فى شبابِك فَتأْبَى ، وهذا أخوك الخَزْرَجُ له خَمسةُ بنِينَ ، وليس لك ولدٌ غيرُ مالكٍ . فقال : لن يَهْلِكَ هالِكٌ ، ترَك مِثلَ مالكٍ ، إنَّ الذى يُخرِجُ النارَ مِن الوثِيمةِ[1] ، قادرٌ أن يَجْعَلَ لمالكٍ نَسْلًا ، ورِجالًا بُسْلًا ، وكلٌّ إلى الموتِ . ثُم أقْبَلَ على مالكٍ وقال : أىْ بُنَىَّ ، المنيَّةُ ولا الدَّنِيَّةُ ، العِقابُ ولا العِتابُ ، التجلُّدُ ولا التَّلَدُّدُ ، القبرُ خيرٌ مِن الفقرِ ، إنَّه مَن قَلَّ ذَلَّ ، ومَن[2] كَرَّ فَرَّ ، و[2] مِن كَرَمِ الكريمِ الدَّفْعُ عن الحريمِ ، والدهْرُ يومان ، فيومٌ لك ، ويومٌ عليك ، فإذا كان لك فلا تَبْطَرْ ، وإذا كان عليك فاصْطَبِرْ ، وكِلاهما سيَنْحَسِرُ ، ليس يُفْلِتُ[3] منهما المَلِكُ المُتَوَّجُ ، ولا اللئيمُ المُعَلْهَجُ[4] ، سَلِّمْ ليومِك حِيَالَ[5] رَبِّك . ثُم أنْشَأَ يقولُ :

شهِدْتُ السبايا[6] يومَ آلِ مُحَرِّقٍ وأَدْرَكَ عُمْرِى[7] صيحةَ اللَّهِ فى الحِجْرِ

فلم أرَ ذا مُلْكٍ مِن الناسِ واحدًا ولا سُوقَةً إلَّا إلى الموتِ والقَبْرِ

فعَلَّ الذى أَرْدَى ثَمودًا وجُرْهُمًا سَيُعْقِبُ لى نَسْلًا على آخِرِ الدهرِ

تَقَرُّ بهم مِن آلِ عمرِو بنِ عامرٍ عُيُونٌ لَدَى الداعِى إلى طَلَبِ الوَتْرِ

فإن لم تَكُ الأيامُ أَبْلَيْنَ جِدَّتِى وشَيَّبْنَ رأسى والمَشِيبُ مع العُمْرِ

---

(١) الوثيمة : الحجارة .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ص ، وتاريخ دمشق .

(٣) فى م : « يثبت » .

(٤) فى ص : « المعلج » . والمعلهج : الرجل الأحمق اللئيم . اللسان (علهج) .

(٥) فى الأصل ، م : « حياك » .

(٦) فى الأصل : « السرايا » .

(٧) فى الأصل ، م : « أمرى » .

(البداية والنهاية ٣٦/٣)

[٤٥/٢و] فإنَّ لنا ربًّا عَلا فوقَ عَرْشِه   عَليمًا بما يَأْتِى مِن الخيرِ والشرِّ

ألم يَأْتِ قَوْمى أنَّ للَّهِ دعوةً   يَفوزُ بها أهلُ السعادةِ والبِرِّ

إذا بُعِثَ المْبعوثُ مِن آلِ غالِبٍ[(١)]   بمكَّةَ فيما بينَ مكَّةَ والحِجْرِ

هنالك فَابْغُوا نَصْرَه ببلادِكم   بَنِى عامرٍ إنَّ السعادةَ فى النَّصْرِ

قال: ثُم قَضَى مِن ساعتِه.

---

(١) فى الأصل: «هاشم».

بابٌ فى هَواتفِ الجانّ ،

(١وهو(٢) ما أَلْقَتْه الجانُّ على أَلْسِنَةِ الكُهّانِ، ومسموعًا مِن الأوثانِ١)

قال البخاريُّ(٣) : حدَّثنا يحيى بنُ سليمانَ الجُعْفِيُّ ، حدَّثنِى ابنُ وَهْبٍ ، حدَّثَنِى عُمَرُ(٤) - وهو ابنُ(٥) محمدِ بنِ زيدٍ - أنَّ سالمًا حدَّثَه ، عن عبدِ(٦) اللَّهِ ابنِ عُمَرَ قال : ما سمعتُ عُمَرَ يَقولُ لشىءٍ قطُّ : إنِى لَأَظُنُّه . إلَّا كان كما يَظُنُّ ، بينما عمرُ بنُ الخطَّابِ جالسٌ ، إذْ مَرَّ به رجلٌ جميلٌ ، فقال : لقد أَخْطَأَ ظنِّى ، أو إنَّ هذا على دِينِه فى الجاهِلِيَّةِ ، أو لقد كان كاهنَهم ، علىَّ الرجُلَ . فدُعِىَ به ، فقال له ذلك ، فقال : ما رأيتُ كاليومِ اسْتُقْبِلَ به (٧رجلًا مسلمًا٧) . قال : فإنِّى أَعْزِمُ عليك إلَّا ما أَخْبَرْتَنى . قال : كنتُ كاهنَهم فى الجاهليةِ . قال : فما أَعْجَبُ ما جاءَتْك به جِنِّيَّتُك ؟ قال : بينمَا أنا يومًا فى السوقِ ، جاءَتْنِى أَعْرِفُ فيها الفَزَعَ ، فقالتْ :

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) سقط من : الأصل .

(٣) البخارى (٣٨٦٦) .

(٤) فى م : «عمرو» .

(٥) سقط من : م .

(٦) فى الأصل : «عبيد» .

(٧ - ٧) فى إحدى روايات البخارى «رجل مسلم» . انظر الفتح ٧/ ١٧٩ .

ألم تَـرَ الجِنَّ وإبـلاسَـهـا ويَأسَـهـا مِـن بعـدِ إنْكـاسِـهـا

ولُحوقَها بالقِلاصِ وأَحْلَاسِها

قال عمرُ : صدَقَ ، بينَما أنا نائمٌ عندَ آلهتِهم ، إذ جاءَ رجلٌ بعِجْلٍ فذبَحَه ، فصرَخ به صارخٌ ، لم أَسْمَعْ صارخًا قطُّ أشدَّ صَوْتًا منه ، يقولُ : يا جَلِيح[1] ، أَمْرٌ نَجِيح ، رَجُلٌ فَصِيح ، يقولُ : لا إلهَ إلَّا اللَّهُ . فوثَب القومُ ، فقلْتُ : لا أَبْرَحُ حتى أَعْلَمَ ما وراءَ هذا . ثُم نادى : يا جَلِيح ، أمرٌ نَجِيح ، رجلٌ فصيح ، يَقولُ : لا إلهَ إلَّا اللَّهُ . فقُمْتُ ، فما نَشِبْنا أنْ قِيلَ : هذا نبيٌّ . تَفرَّد به البخاريُّ .

وهذا الرجلُ هو سَوادُ بنُ قاربٍ الأَزْدِيُّ ، ويُقالُ : السَّدُوسِيُّ . مِن أهلِ السَّراةِ ، مِن جبالِ البَلْقَاءِ ، له صُحْبةٌ ووِفادةٌ . قال أبو حاتِمٍ وابنُ مَنْدَه : روى عنه سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ ، وأبو جَعْفَرٍ محمدُ بنُ عليٍّ . وقال البخاريُّ[2] : له صُحْبةٌ . وهكذا ذكَرَه في أسماءِ الصَّحابةِ أحمدُ ابنُ رَوْحٍ البَرْذَعِيُّ الحافظُ ، والدَّارَقُطْنِيُّ[3] ، وغيرُهما . وقال الحافظُ عبدُ الغَنِيِّ بنُ سعيدٍ المِصْرِيُّ : سَوَادُ ابنُ قاربٍ بالتخفيفِ . وقال عثمانُ الوقَّاصِيُّ ، عن محمدِ بنِ كَعْبٍ القُرَظِيِّ : كان مِن أشرافِ أهلِ اليمنِ . ذكَرَه أبو نُعَيْمٍ[4] في « الدلائلِ » . وقد رُوِيَ حديثُه مِن وجوهٍ أُخَرَ[5] ، مُطَوَّلةٍ بأَبسَطَ[6] مِن روايةِ البخاريِّ .

---

(١) الجليح : الوقح المكافح بالعداوة .

(٢) التاريخ الكبير ٤/ ٢٠٢.

(٣) كما أورد ذلك القول للدارقطني ، الحافظ ابن حجر في الإصابة ٣/ ٢١٩.

(٤) الدلائل لأبي نعيم (٦٢) .

(٥) انظر الفتح ٧/ ١٧٩. قال الحافظ ابن حجر : وهذه الطرق يقوى بعضها ببعض .

(٦) في الأصل ، م : « بالبسط » .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[1] : حدَّثنى مَن لا أَتَّهِمُ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ كَعْبٍ مولى عثمانَ بنِ عفَّانَ ، أنَّه حدَّثَ أنَّ عمرَ بنَ الخطَّابِ [٤٥/٢ظ] رَضِىَ اللَّهُ عنه ، بينما هو جالسٌ فى الناسِ ، فى مسجدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، إذ أقبلَ رجلٌ مِن العربِ داخلَ المسجدِ يريدُ عُمَرَ بنَ الخطابِ ، فلمَّا نظَرَ إليه عمرُ ، قال : إنَّ الرجلَ لَعَلَى شِرْكِه ما فارَقه بعدُ . أو لقد كان كاهِنًا فى الجاهليةِ . فسلَّم عليه الرجلُ ثُم جلَسَ ، فقال له عمرُ : هل أسلَمْتَ ؟ قال : نعم ، يا أميرَ المؤمنين . قال : فهل كنتَ كاهِنًا فى الجاهليةِ ؟ فقال الرجلُ : سبحانَ اللَّهِ ، يا أميرَ المؤمنين ، لقد خِلْتَ فِىَّ ، واستقبلْتَنى بأمْرٍ ما أراك قلتَه لأحدٍ مِن رَعِيَّتِك منذُ وُلِّيتَ مَا وُلِّيتَ . فقال عمرُ : اللهمَّ غَفْرًا ، قد كنَّا فى الجاهليةِ على شرٍّ مِن هذا ، نَعبُدُ الأصنامَ ، ونَعتنِقُ الأوثانَ ، حتى أكرَمَنا اللَّهُ برسولِه وبالإِسلامِ . قال : نَعَمْ واللَّهِ يا أميرَ المؤمنين ، لقد كنتُ كاهنًا فى الجاهليةِ . قال : فأَخْبِرْنى ما جاء به صاحبُك . قال : جاءنى قبلَ الإِسلامِ بشهرٍ أو شَيْعِه[2] ، فقال :

ألم تَـرَ إلـى الجنِّ وإبلاسِـهـا ، وإيـاسِـهـا مِـن ديـنِـهـا ،
ولُحُوقِها بالقِلاصِ[3] وأَحْلاسِـها[4]

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٢٠٩، ٢١٠.
(٢) شيعه : شيع الشىء : شبهه والمقارب له . الوسيط (ش ى ع) .
(٣) القلاص جمع القلوص ، وهى من الإبل الفتية المجتمعة الخَلْق . الوسيط (ق ل ص) .
(٤) الأحلاس جمع حِلْس ، وهو كساء على ظهر البعير تحت البرذعة . القاموس المحيط (ح ل س) .

قال ابنُ إسحاقَ : هذا الكلامُ سَجْعٌ ، و[1] ليس بشِعْرٍ . [2] قال عبدُ اللَّهِ بنُ كعبٍ [2] :

فقال عمرُ عندَ ذلك يُحَدِّثُ الناسَ : واللَّهِ ، إنِّى لَعِندَ وَثَنٍ مِن أوثانِ الجاهليةِ ، فى نَفَرٍ مِن قُرَيْشٍ قد ذبَحَ له رجلٌ مِن العربِ عِجْلًا ، فنحن نَنتظِرُ قَسْمَه أن يَقْسِمَ لنا منه ، إذ سَمِعْتُ مِن جَوْفِ العِجْلِ صَوْتًا ، ما سمِعْتُ صوتًا ، قطُّ أشدَّ منه ، وذلك قُبَيْلَ الإسلامِ بشهرٍ أو شَيْعِه [3] ، يقولُ : يا ذَرِيح ، أمرٌ نَجِيح ، رجلٌ يصِيح ، يقولُ : لا إلهَ إلا اللَّهُ . قال ابنُ هِشامٍ [4] : ويُقالُ : رجلٌ يَصِيحْ ، بلسانٍ فصِيحْ ، يَقولُ : لا إلهَ إلا اللَّهُ . قال : وأنشدَنى بعضُ أهلِ العِلْمِ بالشِّعْرِ :

عجِبْتُ للجِنِّ وإبلاسِها ... وشدِّها العِيسَ بأحلاسِها

تَهْوِى إلى مكةَ تَبْغِى الهُدَى ... ما مُؤْمِنو الجنِّ كأنجاسِها

وقال الحافظُ أبو يَعْلَى المَوصِلِيُّ [5] : حدَّثَنا يَحْيى بنُ حُجْرِ بنِ النُّعمانِ السامِيُّ [6] ، حدَّثَنا علِيُّ بنُ منصورٍ الأنبارِيُّ ، عن محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ الوقَّاصيِّ ، عن محمدِ بنِ كعبٍ القُرَظيِّ ، قال : بينَما عمرُ بنُ الخطَّابِ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، ذاتَ يومٍ جالسٌ ، إذ مرَّ به رجلٌ ، فقيل : يا أميرَ المؤمنين ، أتَعْرِفُ هذا

---

(١) سقط من : م ، ص .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ص .

(٣) فى ص : « سبعة » .

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٢١١ .

(٥) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٢٥٢ ، من طريق أبى يعلى .

(٦) فى النسخ : « الشامى » . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر الأنساب ٣/ ٢٠٣ .

المارَّ؟ قال: ومَن هذا؟ قالوا: هذا سَوادُ بنُ قاربٍ الذى أَتاه رَئِيُّه[(1)] بظهُورِ رسولِ اللَّهِ ﷺ. قال: فأَرْسَلَ إليه عُمَرُ، فقال له: أنت سَوَادُ بنُ قاربٍ؟ قال: نَعَمْ. [(2)] قال: أنت الذى أتاك رَئِيُّك بظهورِ النبىِّ ﷺ؟ قال: نعم[(2)]. قال: فأنت على ما كنتَ عليه مِن كِهانتِك؟ قال: فغضِبَ. وقال: ما استَقْبَلَنى بهذا أحدٌ منذُ أسلَمْتُ، يا أميرَ المؤمنين. فقال عمرُ: يا سبحانَ اللَّهِ، ما كنّا عليه مِن الشركِ أعظمُ ممَّا كنتَ عليه مِن كِهانتِك، فأَخْبِرْنى بإتْيانِك[(3)] رَئِيُّك بظهورِ رسولِ اللَّهِ ﷺ. قال: نعم، يا أميرَ المؤمنين، بينَما أنا ذاتَ ليلةٍ بينَ النائمِ واليَقْظانِ، إذ أتانى رَئِيِّى فضرَبَنى برِجْلِه، وقال: قُمْ يا سَوادُ بنَ قاربٍ، واسمَعْ مقالتى واعقِلْ إن كنت تَعِقلُ، إنَّه قد بُعِثَ رسولٌ، مِن لُؤَىٍّ بنِ غالبٍ، يَدْعُو إلى اللَّهِ وإلى عِبادتِه، ثُم أنشأَ يَقولُ:

[٤٦/٢و] عَجِبْتُ لِلجنِّ وتَطْلابِها ... وشَدِّها العِيسَ بأقتابِها[(4)]

تَهْوِى إلى مكَّةَ تَبْغِى الهُدَى ... ما صادِقُ الجنِّ ككذَّابِها

فارْحَلْ إلى الصفوَةِ مِن هاشمٍ ... ليسَ قُداماها كأَذنابِها

قال: قلتُ: دَعْنى أنامُ فإنِّى أمسَيْتُ ناعسًا. قال: فلمَّا كانتِ الليلةُ الثانيةُ، أتانى فضَربَنى برِجْلِه، وقال: قمْ يا سَوادُ بنَ قاربٍ واسمَعْ مَقالتى، واعقِلْ إن كنتَ تعقِلُ؛ إنَّه بُعِثَ رسولٌ مِن لُؤَىٍّ بنِ غالبٍ، يَدْعُو إلى اللَّهِ وإلى

---

(١) فى ص: «آية».

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، م.

(٣) فى الأصل، م: «ما أنبأك».

(٤) العيس جمع أعيس، وهو الكريم من الإبل. أو الذى يخالط بياضه شقرة. الوسيط (ع ى س). والأقتاب جمع القتب وهو الرحل الصغير على قدر سنام البعير. الوسيط (ق ت ب).

عبادتِه ، ثُم أنشَأَ يقولُ :

عَجِبْتُ للجنِّ وتَخْيارِها[1] وشدِّها العِيسَ بأَكْوارِها[2]

تَهْوِى إلى مكَّةَ تَبْغِى الهُدى ما مؤمنو الجنِّ ككُفّارِها

فارْحَلْ إلى الصَّفوةِ مِن هاشمٍ بينَ رَوابِيها وأحْجارِها

قال : قلتُ : دعْنى أنامُ ، فإنِّى أمسيتُ ناعسًا . فلمَّا كانتِ الليلةُ الثالثةُ ، أَتانى فضرَبَنى برِجْلِه ، وقال : قمْ يا سوادُ بنَ قاربٍ ، فاسمَعْ مَقالتى ، واعقِلْ إن كنتَ تَعْقِلُ ، إنَّه قد بُعِثَ رسولٌ مِن لُؤَىِّ بنِ غالبٍ ، يَدْعُو إلى اللَّهِ وإلى عبادتِه . ثُم أنشأَ يَقولُ :

عَجِبْتُ للجنِّ وتَحساسِها وشدِّها العِيسَ بأحلاسِها

تَهْوِى إلى مكَّةَ تبغِى الهُدَى ما خَيِّرُ الجنِّ كأنجاسِها

فارْحَلْ إلى الصفوةِ مِن هاشمٍ واسمُ بعينَيك إلى رأسِها

قال : فقمتُ ، وقلتُ : قد امتحنَ اللَّهُ قلبى . فرَحَّلْتُ ناقتى ، ثُم أتيتُ المدينةَ ، يعنى مكَّةَ ، فإذا رسولُ اللَّهِ ﷺ فى أصحابِه ، فدنَوْتُ ، فقلتُ : اسمَعْ مقالتى ، يا رسولَ اللَّهِ . قال : هاتِ . فَأَنْشَأْتُ أقولُ :

أَتانى نَجِيِّى بعدَ [3]هَدْءٍ ورقْدةٍ[3] ولم يكُ فيما قد تَلَوْتُ بكاذبِ

ثلاثَ ليالٍ قولُه كلَّ ليلةٍ أتاكَ رسولٌ مِن لُؤَىِّ بنِ غالبِ

---

(١) فى الأصل : « تختارها » . وفى م : « تحيارها » .
(٢) الأكوار جمع الكُور ، وهو الرَّحْل ، أو الرحل بأداته . الوسيط (ك و ر) .
(٣ - ٣) فى الدلائل : « ليل وهجعة » .

فشمَّرْتُ عن ذَيلِى[1] الإزارَ ووسَّطَتْ ... بِىَ الذِّعْلِبُ[2] الوَجْناءُ[3] غُبْرَ السباسِبِ[4]

فأَشهدُ أنَّ اللَّهَ لا شىءَ غيرُه ... وأنَّك مأمونٌ على كلِّ غالبِ

وأنَّك أدنى المرسَلين[5] وسيلةً ... إلى اللَّهِ يا بنَ الأَكرمِين الأَطايبِ

فمُرْنا بما يَأْتِيك يا خيرَ مَن مَشَى ... وإن كان فيما جاءَ شَيْبُ الذَّوائبِ

وكنْ لى شفيعًا يومَ لا ذو شفاعةٍ ... سِواكَ بمُغْنٍ عن سَوادِ بنِ قاربِ

[٤٦/٢ظ] قال: ففرِحَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وأصحابُه بمقالتِى فرَحًا شديدًا، حتّى رُئِىَ الفرَحُ فى وجوهِهم. قال: فوثَبَ إليه عمرُ بنُ الخطابِ فالتزَمَه[6]، وقال: قد كنتُ أَشْتَهِى أن أَسْمَعَ هذا الحديثَ منك، فهل يَأْتيك رَئِيُّك اليومَ؟ قال: أمَّا منذُ قَرَأْتُ القرآنَ فلا، ونِعْمَ العِوَضُ كتابُ اللَّهِ مِن الجِنِّ. ثُم قال عمرُ: كنّا يومًا فى حَىٍّ مِن قريشٍ، يُقالُ لهم: آلُ ذَرِيحٍ، وقد ذبَحُوا عِجْلًا لهم والجزَّارُ يُعالِجُه، إذ سمِعْنا صوتًا مِن جَوْفِ العِجْلِ، ولا نَرَى شيئًا، قال: [7]يا آلَ[7] ذَرِيح، أمرٌ نَجِيح، صائحٌ يَصِيح، بلسانٍ فَصِيح، يَشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ. وهذا منقطِعٌ مِن هذا الوجهِ، ويَشْهَدُ له روايةُ البخارىِّ[8]. وقد تَساعدوا على أنَّ السامعَ الصوتَ مِن العجلِ هو عمرُ بنُ الخطابِ. واللَّهُ أعلمُ.

---

(١) فى الدلائل: «ساقى».

(٢) الذعلب: الناقة السريعة.

(٣) الوجناء: العظيمة الوجنتين.

(٤) السباسب جمع السبسب، وهى المفازة. الوسيط (س ب س ب).

(٥) فى ص: «الرسل».

(٦) فى الأصل: «فأكرمه».

(٧ - ٧) سقط من: الأصل.

(٨) تقدم تخريجها فى صفحة ٥٦٣ .

وقال الحافظُ أبو بكرٍ محمدُ بنُ جعفرِ بنِ سَهلٍ الخَرَائِطىُّ[1] فى كِتابِهِ الذى جمعَه فى هواتفِ الجانِّ: حدَّثَنا أبو مُوسى عِمرانُ بنُ مُوسى المؤَدِّبُ، حدَّثَنا محمدُ بنُ عمرانَ بنِ محمدِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ أبى ليلى، حدَّثَنا سعيدُ بنُ عُبَيْدِ[2] اللَّهِ الوصَّافىُّ[3]، عن أبيه، عن أبى جعفرٍ محمدِ بنِ علىٍّ، قال: دخَلَ سَوادُ بنُ قاربٍ السَّدوسِىُّ على عمرَ بنِ الخطابِ، رَضِىَ اللَّهُ عنه، فقال: نَشَدْتُك باللَّهِ، يا سوادُ بنَ قاربٍ، هل تُحْسِنُ اليومَ مِن كِهانتِك شيئًا؟ فقال: سبحانَ اللَّهِ، يا أميرَ المؤمنين، ما استقبلْتَ أحَدًا مِن جُلَسائِك بمثْلِ ما استقبَلْتَنِى بهِ. قال: سبحانَ اللَّهِ، يا سَوادُ، ما كنَّا عليه مِن شِرْكِنا أعظمُ ممَّا كنتَ عليه مِن كِهانتِك، واللَّهِ، يا سَوادُ، لقد بَلَغَنِى عنك حديثٌ إنَّه لَعجبٌ مِن العجَبِ[4] قال: إىْ واللَّهِ، يا أميرَ المؤمنين، إنَّه لَعَجَبٌ مِن العجبِ[4]. قال: فحدِّثْنيه. قال: كنتُ كاهنًا فى الجاهليةِ، فبينا أنا ذاتَ ليلةٍ نائمٌ إذْ أتانى نَجِيِّى فَضرَبنى[5] برِجْلِه، ثُم قال: يا سَوادُ، اسمَعْ أَقُلْ لك. قلتُ: هاتِ. قال:

عَجِبْتُ للجِنِّ وأنجاسِها ... ورَحْلِها العِيسَ بأحلاسِها

تَهْوِى إلى مكَّةَ تَبْغِى الهُدَى ... ما مؤمنوها مثلَ أرجاسِها

فارْحَلْ إلى الصفوةِ مِن هاشمٍ ... واسْمُ بعينَيْكَ إلى رأسِها

قال: فنِمْتُ، ولم أَحْفِلْ بقولِه شيئًا، فلمّا كانتِ الليلةُ الثانيةُ أتانى،

---

(١) ذكره السيوطى فى الخصائص ١/ ١٠٣. وعزاه للخرائطى.

(٢) فى الأصل: «عبد». وانظر تهذيب الكمال ٢٦/ ٢٢٩.

(٣) فى الأصل، م: «الوصابى».

(٤ - ٤) سقط من: الأصل.

(٥) سقط من: ص.

فضرَبنى برِجْلِه ، ثُم قال لى : قُمْ ، يا سَوادُ بنَ قاربٍ ، اسمَعْ أَقُلْ لك . قلت : هاتِ . قال :

عَجِبْتُ لِلجِنِّ وتَطْلابِها ... وشدِّها[1] العِيسَ بأقتابِها

تَهْوِى إلى مكَّةَ تَبْغِى الهُدَى ... ما صادقُ الجنِّ ككذَّابِها

فارْحَلْ إلى الصفوةِ مِن هاشمٍ ... ليس المقاديمُ كأذنابِها

قال : فحرَّكَ قولُه منى شيئًا ، ونمْتُ ، فلمَّا كانتِ الليلةُ الثالثةُ أتانى ، فضرَبنى برِجْلِه ، ثُم قال : يا سوادُ بنَ قاربٍ ، أتَعقِلُ أم لا تَعقِلُ ؟ قلت : وما ذاك ؟ قال : ظَهَرَ بمكةَ نَبيٌّ يَدْعو إلى عبادةِ اللَّهِ فالحَقْ به ، اسْمَعْ أَقُلْ لك . قلت : هاتِ . قال :

[٤٧/٢و] عَجِبْتُ للجنِّ وتَنفارِها ... ورَحْلِها العيسَ بأكوارِها

تَهْوِى إلى مكَّةَ تَبْغِى الهُدَى ... ما مُؤْمِنُو الجِنِّ ككفَّارِها

فارْحَلْ إلى الصفوةِ مِن هاشِمٍ ... بينَ رَوابيها وأَحجارِها

قال : فَعلِمْتُ أنَّ اللَّهَ قد أَراد بى خيرًا ، فقمْتُ إلى بُرْدَةٍ لى ففتَقْتُها وَلَبِسْتُها ، ووضَعْتُ رِجْلى فى غَرْزِ رِكابِ النّاقةِ ، وأقبَلْتُ حتى انتَهَيْتُ إلى النبىِّ ﷺ ، فعَرَضَ[2] علىَّ الإسلامَ فَأَسْلَمْتُ ، وأَخْبَرْتُه الخبرَ ، فقال : « إذا اجتَمَعَ المسلمون فأخْبِرْهم » . فلمّا اجتَمَعَ المسلمون قُمْتُ ، فقُلْتُ :

---

(١) فى الأصل : « رحلها » .

(٢) فى الأصل : « فأعرض » .

أتانى نَجِيِّى بَعْدَ هَدْءٍ ورَقْدةٍ ولم يَكُ فيما قد بَلَوْتُ[1] بكاذِبِ

ثَلاثَ ليالٍ قولُه كلَّ ليلةٍ أتاك رسولٌ مِن لُؤَىِّ بنِ غالبِ

فشمَّرْتُ عن ساقى الإِزارَ ووَسَّطَتْ بِىَ الذِّعْلِبُ الوَجْناءُ غُبْرَ السَّباسبِ

وأعلَمُ أنَّ اللَّهَ لا ربَّ غيرُه وأنَّك مأمونٌ على كلِّ غالبِ

وأنَّكَ أَدْنى المُرْسَلين وَسِيلةً إلى اللَّهِ يا بنَ الأكرَمِينَ الأَطايبِ

فمُرْنا بما يَأْتيكَ يا خيرَ مُرْسَلٍ وإن كانَ فيما جاءَ شَيْبُ الذَّوائبِ

قال : فسُرَّ المسلمون بذلك . فقال عمرُ : هل تُحِسُّ اليومَ منها بشىءٍ ؟ قال : أمَّا مُذْ علَّمَنِىَ اللَّهُ القرآنَ ، فلا .

وقد رواه محمدُ بنُ السائبِ الكَلْبِىُّ ، عن أبيه ، عن عمرَ بنِ حفصٍ ، قال : لمَّا ورَدَ سَوادُ بنُ قاربٍ على عُمَرَ ، قال : يا سوادُ بنَ قاربٍ ، ما بَقِى مِن كِهانتِك ؟ فغَضِبَ ، وقال : ما أظُنُّك ، يا أميرَ المؤمنين ، استقبَلْتَ أحدًا مِن العربِ بِمثلِ هذا . فلمّا رأى ما فى وجهِه مِن الغضبِ ، قال : انْظُرْ ، سَوادُ ، لَلَّذى كُنَّا عليه قبلَ اليوم مِن الشركِ أعظمُ . ثُم قال : يا سَوادُ ، حدِّثْنى حَدِيثًا كنتُ أشْتَهِى أَسْمَعُه منك . قال : نَعَمْ ، بَيْنا أنا فى إِبلٍ لى بالسَّراةِ ليلًا ، وأنا نائمٌ ، وكان لى نَجِىٌّ[2] مِن الجنِّ[2] فأَتَانى فضرَبَنى برِجْلِه ، فقال لى : قُم ، يا سَوادُ ابنَ قاربٍ ، فقد ظهَرَ بِتِهامَةَ نَبِىٌّ يَدْعُو إلى الحقِّ وإلى طريقٍ مستقيمٍ . فذكَرَ القصةَ كما تقدَّمَ ، وزادَ فى آخِرِ الشِّعْرِ :

---

(١) فى ص : « تلوت » .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل.

وكُن لى شفيعًا يومَ لا ذو قَرابةٍ   سِواك بمُغْنٍ عن سوادِ بنِ قاربِ

فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «سِرْ فى قومِك وقلْ هذا الشِّعْرَ فيهم».

ورواه الحافظُ ابنُ عساكرَ، مِن طريقِ سليمانَ بنِ عبدِ الرحمنِ[1]، عن الحكَمِ بنِ يَعْلَى بنِ عطاءٍ المُحارِبىِّ، عن عبَّادِ بنِ عبدِ الصمدِ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ، قال: أخبرَنى سَوادُ بنُ قاربٍ الأَزْدِىُّ، قال: كنتُ نائمًا على جبلٍ مِن جبالِ السَّراةِ، فأتَانى آتٍ فضرَبنى برِجْلِه. وذكَرَ القِصَّةَ أيضًا.

ورواه أيضًا مِن طريقِ محمدِ بنِ البراءِ، عن أبى بكرِ بنِ عيَّاشٍ[2]، عن أبى إسحاقَ، عن البراءِ، قال: قال سَوادُ بنُ قاربٍ: كنتُ نازلًا بالهِندِ [٤٧/٢ظ] فجاءنى رَئِيِّى ذاتَ ليلةٍ. فذكَرَ القصةَ. وقال بعدَ إنشادِ الشِّعرِ الأخيرِ: فضحِكَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، حتَّى بَدَتْ نواجذُه، وقال: «أفلَحْتَ يا سَوَادُ».

وروى الحافظُ أبو نُعَيْمٍ[3]، مِن حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عَقيلٍ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ، قال: إنَّ أولَ خبرٍ كان بالمدينةِ بمَبْعَثِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، أنَّ امرأةً بالمدينةِ كان لها تابعٌ مِن الجنِّ، فجاء فى صورةِ طائرٍ أبيضَ، فوَقَع على حائطٍ لهم، فقالتْ له: لِمَ لا تَنْزِلُ إلينا، فتُحَدِّثَنا ونُحَدِّثَك، وتُخْبِرَنا ونُخْبِرَك؟ فقال لها: إنَّه قد بُعِثَ نبىٌّ بمكَّةَ، حرَّمَ الزِّنا ومنَعَ منَّا القَرارَ.

وقال الوَاقِدِىُّ[4]: حدَّثَنى عبدُ الرحمنِ بنُ عبدِ العزيزِ، عن الزُّهْرِىِّ، عن

---

(١) ومن طريق سليمان بن عبد الرحمن، أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٢٥٣.

(٢) ومن طريق أبى بكر بن عياش، أخرجه البيهقى فى الدلائل ٢/ ٢٤٨.

(٣) الدلائل لأبى نعيم (٥٦).

(٤) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ١/ ١٦٧ بإسناده، من طريق عاصم بن عمر بن قتادة، عن على بن الحسين بنحوه.

عَلِيِّ بنِ الحُسَيْنِ ، قال : إنَّ أولَ خَبَرٍ قدِمَ المدينةَ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أنَّ امرأةً تُدْعَى فاطمةَ ، كان لها تابعٌ ، فجاءها ذاتَ يومٍ ، فقام على الجدارِ ، فقالت : ألَا تَنْزِلُ ؟ فقال : لا ، إنَّه قد بُعِثَ الرسولُ الذى حرَّمَ الزِّنا .

وأرسَلَه بعضُ التَّابِعينَ أيضًا ، وسمّاه بابنِ لَوْذانَ ، وذكَرَ أنَّه كان قد غاب عنها مُدَّةً ، ثُم لمَّا قَدِم عاتَبَتْه ، فقال : إنِّى جئتُ الرسولَ فسَمِعْتُه يُحَرِّمُ الزِّنا ، فعليكِ السَّلامُ .

وقال الوَاقِدِىُّ[1] : حدَّثَنى محمدُ بنُ صالحٍ ، عن عاصمِ بنِ عمرَ بنِ قَتادةَ ، قال : قال عثمانُ بنُ عفَّانَ : خرجْنا فى عِيرٍ إلى الشامِ ، قبلَ أن يُبْعَثَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فلمّا كنّا بأفواهِ الشّامِ ، وبها كاهنةٌ ، فتعرَّضَتْنا ، فقالت : أتانى صاحبى ، فوقَفَ على بابى ، فقلتُ : ألا تَدْخُلُ ؟ فقال : لا سبيلَ إلى ذلك ، خرَجَ أحمدُ ، وجاء أمرٌ لا يُطاقُ . ثُم انصرَفْتُ فرجَعْتُ إلى مكَّةَ ، فوجدْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ قد خرَجَ بمكةَ ، يَدْعُو إلى اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ .

وقال الوَاقِدِىُّ[2] : حدَّثَنى محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، عن[3] الزُّهْرِىِّ ، قال : كان الوحىُ يُسْمَعُ ، فلمّا كان الإسلامُ مُنِعوا ، وكانتِ امرأةٌ مِن بنى أسدٍ ، يُقالُ لها : سُعَيرَةُ . لها تابعٌ مِن الجنِّ ، فلمَّا رأَى الوحىَ لا يُستطاعُ ، أتاها فدَخَل فى صدْرِها ، فضجَّ فى صَدْرِها ، فذهَبَ عَقْلُها ، فجعَلَ يقولُ مِن صَدْرِها : وُضِعَ العِناق ، ومُنِعَ الرِّفاق ، وجاء أمرٌ لا يُطاق ، و[4] أَحمدُ حرَّمَ الزِّنا .

---

(١) ومن طريق الواقدى ، أخرجه أبو نعيم فى الدلائل (٥٨) .

(٢) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ١/١٦٧ بنحوه ، من طريق آخر عن الزهرى .

(٣) سقط من : م .

(٤) فى ص : « خرج » .

وقال الحافظُ أبو بكرٍ الخَرائِطِيُّ[1] : حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ البَلَوِيُّ ، بمِصْرَ ، حدَّثَنا عُمارةُ بنُ زيدٍ ، حدَّثَنا عِيسَى بنُ يَزيدَ ، عن صَالحِ بنِ كَيْسانَ ، عمَّن حدَّثَه ، عن مِرْداسِ بنِ قيسٍ الدَّوْسِيِّ[2] ، قال : حضَرْتُ النبيَّ ﷺ - وقد ذُكِرَتْ عندَه الكِهانةُ ، وما كان مِن تغييرِها عندَ مَخْرَجِه - فقُلْتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، قد كان عندَنا مِن[3] ذلك شيءٌ أُخبِرُك أنَّ جاريةً منَّا ، يُقالُ لها : الخَلَصَةُ . لم يُعْلَمْ عليها إلَّا خيرًا ، إذ جاءَتْنا ، فقالتْ : يا معشَرَ دَوْسٍ ، العَجَبُ العَجَبُ لِمَا أَصابنى ، هل عَلِمْتُم إلَّا خيرًا ؟ قُلْنا : وما ذاك ؟ قالتْ : إنِّى لَفى غَنَمِى إذ غَشِيَتْنى ظُلمةٌ ، ووجدْتُ كحِسِّ الرجلِ مع المرأةِ ، فقد خشِيتُ أن أكونَ قد حَبِلْتُ ، حتى إذا دَنَتْ ولادتُها وضَعَتْ غلامًا أغضَفَ[4] له أُذنانِ كأذنَيِ الكلبِ ، فمكثَ فينا حتى إنَّه لَيَلْعَبُ مع الغِلْمانِ [٤٨/٢و] إذ وثَبَ وثبةً ، وألقى إزارَه ، وصاح بأعلى صوتِه ، وجعَلَ يقولُ : يا وَيْلة يا وَيْلة ، يا عَوْلة يا عَوْلة ، يا وَيْلَ غَنْم[5] ، يا وَيْلَ فَهْم ، مِن قابسِ النارِ ، الخيلُ ، واللَّهِ ، وراءَ العَقَبةِ ، فيهن فِتْيانٌ حِسانٌ نَجبةٌ . قال : فركِبْنا وأخذْنا الأداةَ[6] ، وقلنا : يا ويلَكَ ، ما تَرَى ؟ فقال : هل[7] مِن جاريةٍ طامثٍ ؟ فقلنا : ومَن لنا بها ؟ فقال شيخٌ مِنّا : هى واللَّهِ عندى عفيفةُ الأمِّ . فقلنا : فعجِّلْها . فأَتى بالجاريةِ وطلَعَ

---

(١) ومن طريق الخرائطى ، أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٤٥١.

(٢) فى النسخ : « السدوسى » . والمثبت من مصدر التخريج . وانظر أسد الغابة ٥/ ١٤١.

(٣) فى الأصل ، م : « فى » .

(٤) أغضف : المتثنى والمسترخى الأذنين .

(٥) بنو غنم : قبيلة من تغلب ، وهو غنم بن تغلب بن وائل . اللسان (غ ن م) .

(٦) الأداة : الآلة الصغيرة . وهى فى النسخ : « للأداة » . والمثبت من مصدر التخريج .

(٧) سقط من : الأصل ، ص .

الجبلَ، وقال للجاريةِ: اطرَحِي ثوبَكِ، واخرُجى فى وجوهِهم. وقال القومُ: اتَّبِعُوا أثرَها. وقال لرجلٍ منا يُقالُ له: أحْمَرُ[1] بنُ حابسٍ[2]: يا أحْمَرُ بنَ حابسٍ، عليك أوَّلُ فارسٍ. فحمَلَ أحْمَرُ، فطعَنَ أولَ فارسٍ، فصرعَه، وانهزموا فغَنِمْناهم. قالوا[3]: فابتَنَيْنا عليهم بَيْتًا، وسمَّيْناه ذا الخَلَصَةِ، وكان لا يَقولُ لنا شيئًا إلا كان كما يَقولُ، حتى إذا كان مَبْعَثُك، يا رسولَ اللَّهِ، قال لنا يومًا: يا مَعْشَرَ دَوْسٍ، نَزَلتْ بنو الحارثِ بنِ كعبٍ، فاركبوا[4]. فرَكِبْنا، فقال لنا: أكْدِسوا[5] الخيلَ كَدْسًا، احْشُوا القومَ رَمْسًا[6]، الْقَوْهم[7] غَدِيَّةً، واشرَبوا الخمرَ عَشِيَّةً. قال: فلَقِيناهم، فهزَمونا وغلَبونا، فرجَعْنا إليه، فقلنا: ما حالُك، وما الذى صنَعْتَ بنا؟ فنظَرْنا إليه، وقد احمرَّتْ عيناه، وانتصَبَتْ[8] أُذُناه وانبرَمَ غَضْبانَ حتَّى كاد أن يَنفَطِرَ، وقام فركِبْنا واغتَفَرْنا هذه له، ومكَثْنا بعدَ ذلك حينًا، ثُم دَعانا، فقال: هل لكم فى غَزْوةٍ تَهَبُ لكم عِزًّا، وتَجْعَلُ لكم حِرْزًا، ويَكونُ فى أيديكم كَنْزًا؟ فقُلْنا: ما أحْوَجَنا إلى ذلك. فقال: اركَبوا. فركِبْنا، فقلنا: ما تَقولُ؟ فقال: بنو الحارثِ بنِ

---

(1) فى م: «أحمد».

(2) بعده فى ص: «فقال».

(3) فى م: «قال».

(4) سقط من: م، ص.

(5) أى اجعلوها تزدحم. الوسيط (ك د س).

(6) فى ص: «رأسا».

(7) فى م: «أنقوهم».

(8) فى ص: «وابيضت». وكذا فى تاريخ دمشق.

مَسْلَمَةَ . (١ ثُم قال : قِفوا . فوَقَفْنا ١) ، ثُم قال : عليكم بفَهْم . ثُم قال : ليس لكم فيهم ذم ، عليكم بمُضَرَ ، هم أربابُ خيلٍ ونَعَم . ثُم قال : لا ، رَهطُ دُرَيْدِ ابنِ الصِّمَّة ، قليلُ العددِ وَفِيُّ الذِّمَّة . ثُم قال : لا ، ولكن عليكم بكَعْبِ بنِ ربيعة ، (٢ واشكروها صنيعة ٢) عامرِ بنِ صَعْصَعَة ، فلْيَكُنْ بهم الوقيعة . قال : فلَقِيناهم فهزَمونا وفضَحونا ، فرجَعْنا وقلنا : ويْلَك ، ماذا تَصْنَعُ بنا ؟ قال : ما أَدْرِى ، كذَبَنى الذى كان يَصدُقُنى ، اسْجُنونى فى بيتى ثلاثًا ، ثُم أْتُونِى . ففعَلْنا به ذلك ، ثُم أَتَيْناه [٣] بعدَ ثالثةٍ ، ففَتَحْنا عنه ، فإذا هو كأنَّه جَمْرةُ [٤] نارٍ ، فقال : يا مَعْشَرَ دَوْسٍ ، حُرِسَتِ السَّماء ، وخرَجَ خيرُ الأنبياء . قلنا : أين ؟ قال : بمكةَ ، وأنا مَيِّتٌ ، فادفِنونى فى رَأْسِ جَبلٍ ، فإنِّى سوف أَضْطَرِمُ نارًا ، وإن ترَكْتُمونى كنتُ عليكم عارًا ، فإذا رأيتُم اضْطِرامى [٥] وتلهُّبى ، فاقْذِفونى بثلاثةِ أحجارٍ ، ثُم قولوا مع كلِّ حَجرٍ : باسْمِك اللهمَّ . فإنِّى أَهْدَأُ وأُطْفَأُ . قال : وإنَّه مات ، فاشتَعَلَ نارًا ، ففعَلْنا به ما أمَرَ ، وقذَفْناه بثلاثةِ أحجارٍ ، نقولُ مع كلِّ حجرٍ : باسْمِكَ اللهمَّ . فخَمَدَ وطَفِئَ ، وأَقَمْنا حتى قَدِمَ علينا الحاجُّ ، فأَخبَرونا بمبعثِك يا رسولَ اللَّهِ . غريبٌ جدًّا .

وروَى الوَاقِدِيُّ [٦] عن [٧] ابنِ أبى ذِئْبٍ ، عن مُسْلمِ بنِ جُندُبٍ ، عن النَّضْرِ

(١ - ١) سقط من : الأصل .
(٢ - ٢) فى الأصل ، م : « أسكنوها ضيعة » .
(٣) فى ص : « أتينا » .
(٤) فى الأصل ، م : « حجرة » .
(٥) فى ص : « اضطرابى » .
(٦) أخرجه ابن سعد فى الطبقات ١/ ١٦١، من طريق الواقدى به .
(٧) بعده فى م : « أبيه عن » .

ابنِ سُفْيانَ[1] الهُذَلِيِّ ، عن أبيه ، قال : خرجْنا فى عِيرٍ لنا إلى الشامِ ، فلمّا كنا بين الزَّرْقَاءِ ومَعانٍ قد عرَّسْنا مِن الليلِ ، فإذا بفارسٍ يَقولُ ، وهو بينَ السماءِ والأرضِ : أيُّها النِّيامُ هُبُّوا ؛ فليس هذا بحِينِ رُقادٍ ، قد خرَجَ أحمَدْ ، وطُرِّدَتِ الجِنُّ كلَّ مَطْرَدْ . [٤٨/٢ظ] ففزِعْنا ، ونحن رُفقةٌ حزَاوِرَةٌ[2] ، كلُّهم قد سَمِعَ بهذا ، فرجَعْنا إلى أهلِنا ، فإذا هم يَذْكُرُون اختِلافًا بمكةَ بينَ قريشٍ ، فى نبىٍّ قد خرَجَ فيهم مِن بنى عبدِ المُطَّلِبِ ، اسمُه أحمدُ . ذكَرَه أبو نُعَيْمٍ[3] .

وقال الخَرَائِطِىُّ[4] : حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ البَلَوِىُّ ، بمِصْرَ ، حدَّثَنا عُمارةُ ابنُ زيدٍ ، حدَّثَنى عُبَيْدُ[5] اللَّهِ بنُ العلاءِ ، حدَّثَنى يَحْيَى بنُ عُرْوَةَ ، عن أبيه ، أنَّ نفرًا مِن قريشٍ ، منهم وَرَقةُ بنُ نَوْفَلِ بنِ أسدِ بنِ عبدِ العُزَّى بنِ قُصَىٍّ ، وزيدُ بنُ عمرِو بنِ نُفَيْلٍ ، وعُبَيْدُ[6] اللَّهِ بنُ جَحْشِ بن رِئابٍ ، وعثمانُ بنُ الحُوَيْرِثِ[7] ، كانوا عندَ صَنمٍ لهم يَجْتَمِعون إليه ، قد اتَّخَذوا ذلك اليومَ مِن كلِّ سنةٍ عِيدًا ، كانوا يُعَظِّمونَه ويَنْحَرُون له الجَزُورَ ، ثُم يَأْكُلونَ ويَشْرَبون الخمرَ ويَعْكُفُون عليه ، فدخَلوا عليه فى الليلِ ، فَرَأَوْه مَكْبوبًا على وجهِه ، فأَنكروا ذلك ، فأَخَذُوه فرَدُّوه إلى حالِه ، فلم يَلْبَثْ أنِ انْقَلَبَ انقلابًا عنيفًا ، فأَخَذُوه فردُّوه إلى حالِه ، فانقَلَبَ

---

(١) فى ص : « سليمان » .

(٢) فى م ، ص : « حزورة » . وفى الطبقات : « جرارة » . وهى الجماعة الكثيرة . وحزاورة : جمع الحَزَوَّر ، وهو الغلام الذى شب وقوى . اللسان (ح ز ر) .

(٣) أخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة (٥٩) ، من طريق ابن أبى ذئب به .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٤٢٣ ، من طريق الخرائطى به .

(٥) فى م ، ص : « عبد » .

(٦) فى الأصل ، م : « عبد » .

(٧) فى ص : « الحارث » .

الثالثةَ ، فلمَّا رأَوْا ذلك اغتمُّوا له وأعظَمُوا ذلك ، فقال عثمانُ بنُ الحُوَيْرِثِ : ما له قد أكثرَ التَّنَكُّسَ ، إنَّ هذا لِأَمْرٍ قد حدَثَ . وذلك فى الليلةِ التى وُلِدَ فيها رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فجعَلَ عثمَانُ يَقولُ :

أيَا صنمَ العيدِ الذى صُفَّ حولَه صَنادِيدُ وَفدٍ مِن بعيدٍ ومِن قُرْبِ

تَكَوَّسْتَ[1] مغلوبًا فما ذاكَ قُلْ لنا أذاكَ سفيهٌ أم تكَوَّسْتَ[1] للعَتْبِ

فإن كانَ مِن ذَنْبٍ أَتَيْنا فإنَّنا نَبوءُ بإقرارٍ ونَلْوِى عن الذَّنْبِ

وإن كنتَ مغلوبًا تكَوَّسْتَ[1] صَاغِرًا فما أنتَ فى الأوثانِ بالسيِّدِ الربِّ

قال : فأخَذُوا الصَّنَمَ ، فرَدُّوه إلى حالِه ، فلمّا استَوَى ، هَتَفَ بهم هَاتِفٌ مِن الصَّنمِ ، بصوتٍ جَهِيرٍ ، وهو يَقولُ :

تَـرَدَّى لمولـودٍ أنـارتْ بـنـورِه جميعُ فِجاجِ الأَرْضِ فى الشَّرْقِ والغَرْبِ

وخَرَّتْ له الأوثانُ طُرًّا وأُرْعِدَتْ قلوبُ ملوكِ الأرضِ طُرًّا مِن الرُّعبِ

ونارُ جميعِ الفُرْسِ باختْ[2] وأظلَمَتْ وقد باتَ شاهُ الفرسِ فى أعظمِ الكَرْبِ

وصُدَّتْ عن الكُهَّانِ بالغيبِ جِنُّها فلا مُخْبِرٌ عنهم بحقٍّ ولَا كِذْبِ

فَيالَ قُصَىٍّ إرجِعوا عن ضلالِكم وهُبُّوا إلى الإِسلامِ والمنزلِ الرَّحْبِ

قال : فلمّا سمِعوا ذلك خلَصُوا نَجِيًّا ، فقال بعضُهم لبعضٍ : تَصادَقُوا ، ولْيَكْتُمْ بعضُكم على بعضٍ . فقالوا : أَجَلْ . فقال لهم وَرَقَةُ بنُ نَوْفلٍ :

---

(١) فى الأصل ، م : « تنكست » . وتكوَّس : انقلب .

(٢) فى الأصل : « ناخت » . وباخت النار : سكنتْ وفَتَرتْ . اللسان (ب و خ) .

تَعلَمُون - واللَّهِ - ما قَوْمُكُم على دينٍ، ولقد أخطَئُوا الحُجَّةَ وتَرَكُوا دِينَ إبراهيمَ، ما حَجَرٌ تُطِيفون به لا يَسْمَعُ ولا يُبْصِرُ، ولا يَنْفَعُ ولا يَضُرُّ؟ يا قومِ، التمِسُوا لأنفسِكم الدِّينَ. قال: فخرَجوا عندَ ذلك يَضْرِبون فى الأرضِ، ويَسأَلُون عن الحنيفيَّةِ دينِ إبراهيمَ، [٢/٤٩و] عليه السَّلامُ، فأمَّا ورَقةُ بنُ نَوْفَلٍ، فتنصَّرَ وقرَأَ الكُتُبَ، حتى عَلِمَ عِلْمًا، وأمَّا عُثمانُ بنُ الحُوَيْرِثِ، فَصار إلى قَيْصَرَ، فتَنَصَّرَ وحسُنَتْ منزلتُه عندَه، وأمَّا زيدُ بنُ عمرِو بنِ نُفَيلٍ، فأراد الخروجَ فحُبِسَ، ثُم إنَّه خرَجَ بعدَ ذلك، فضرَبَ فى الأرضِ، حتى بلَغَ الرَّقَّةَ مِن أرضِ الجزيرةِ، فلَقِيَ بها راهبًا عالِمًا، فأخبرَه بالذى يَطلُبُ، فقال له الراهبُ: إنَّك لَتطْلُبُ دِينًا ما تَجِدُ مَن يَحْمِلُك عليه، ولكن قد أَظَلَّك زمانُ نبيٍّ يَخرُجُ مِن بلدِك، يُبْعَثُ بدينِ الحنيفيَّةِ. فلمَّا قال له ذلك، رجعَ يُرِيدُ مكةَ، فغارتْ عليه لَخْمٌ فقتَلوه. وأمَّا عُبَيْدُ[1] اللَّهِ بنُ جَحْشٍ، فأقام بمكةَ حتى بُعِثَ النبيُّ ﷺ، ثُم خرَجَ مع مَن خرَجَ إلى أرضِ الحَبَشةِ، فلمّا صارَ بها، تنصَّرَ وفارقَ الإسلامَ، فكان بها حتى هلَكَ هنالك نَصْرانيًا. تقدَّمَ فى ترجمةِ زيدِ بنِ عمرِو بنِ نُفَيْلٍ له شاهدٌ[2].

وقد قال الخَرائِطِيُّ[3]: حدَّثَنا أحمدُ بنُ إسحاقَ بنِ صالحٍ أبو بكرٍ الورَّاقُ، حدَّثَنا عمرُو بنُ عثمانَ، حدَّثنى أبى، حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ العزيزِ، حدَّثنى محمدُ بنُ عبدِ العزيزِ، عن الزُّهْرِيِّ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أنسٍ السُّلَمِيِّ، عن العباسِ بنِ مِرْداسٍ، أنَّه كان بغَمْرةٍ[4] فى لِقاحٍ له نصفَ النهارِ، إذ طلَعَتْ عليه

(١) فى م: «عبد».

(٢) انظر ما تقدم فى صفحة ٣١٥.

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٦/ ٤١٠، من طريق الخرائطى به.

(٤) فى الأصل: «بعير»، وفى م، ص: «يعر». والمثبت من رواية محمد بن عوف الطائى فى تاريخ دمشق ٤١١/٢٦. وفيها: وقال فيه: ...، وغمرة: موضع بالحجاز فى طريق مكة.

نَعامةٌ بيضاءُ، عليها راكبٌ، عليه ثيابٌ بيضٌ[1] مثلُ اللبنِ، فقال: يا عبّاسُ بنَ مِرْداسٍ، ألم تَرَ أنَّ السَّماءَ كفَتْ أَحراسَها، وأَنَّ الحربَ تجرَّعَتْ أنفاسَها، وأنَّ الخيلَ وضعتْ أحلاسَها، وأَنّ الذى[2] نزَلَ بالبِرِّ والتَّقْوى، يومَ الاثنينِ ليلةَ الثُّلاثا، صاحبُ الناقةِ القَصْوَا. قال: فرَجَعْتُ مَرْعُوبًا قد راعنى ما رأيتُ وسمِعْتُ، حتى جئْتُ وثَنًا لنا يُدْعَى الضِّمارَ[3]، وكنّا نَعْبُدُه ونُكَلَّمُ مِن جوفِه، فكنَسْتُ ما حَوْلَه، ثُم تَمَسَّحْتُ به وقبَّلْتُه، فإذا صائحٌ مِن جوفِه يَقولُ:

قلْ للقبائلِ مِن سُلَيْمٍ كُلِّها ... هلكَ الضِّمارُ وفازَ أهلُ المسجدِ

هلَكَ الضِّمارُ وكان يُعبَدُ مَرَّةً ... قبلَ الكِتابِ إلى النبىِّ محمدِ

إنَّ الذى وَرِثَ النبوَّةَ والهُدَى ... بعدَ ابنِ مَرْيَمَ مِن قريشٍ مهتدِ

قال: فخرَجْتُ مرعوبًا حتى أتَيْتُ قومى، فقصَصْتُ عليهم القصةَ، وأخبرْتُهم الخبرَ، وخرَجْتُ فى ثلثِمِائةٍ مِن قومى مِن[4] بنى حارثَةَ[5]، إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، وهو بالمدينةِ، فدخَلْنا المسجِدَ، فلمّا رآنى رسولُ اللَّهِ ﷺ، قال لى: «يا عبّاسُ، كيف كان إسلامُك؟» فقصَصْتُ عليه القِصَّةَ. قال: فسُرَّ بذلك، وأسلَمْتُ أنا وقومى.

وروَاه الحافظُ أبو نُعَيْمٍ[6] فى «الدلائلِ» مِن حديثِ أبى بكرِ بنِ أبى

---

(١) فى الأصل، م: «بياض».
(٢) فى الأصل، ص: «الدين». وكذا فى تاريخ دمشق.
(٣) فى م: «الضماد».
(٤) سقط من: م.
(٥) فى تاريخ دمشق: «جارية». وانظر الإصابة لابن حجر ٣/ ٦٣٣.
(٦) لم نجده فى مختصر الدلائل.

عاصمٍ، عن عمرِو بنِ عثمانَ به. ثم روَاه[1] أيضًا مِن طريقِ الأَصْمَعِىِّ، حدَّثَنى الوَصَّافِىُّ[2]، عن منصورِ بنِ[3] المُعْتَمِرِ، عن قَبِيصةَ بنِ عمرِو بن إسحاقَ الخُزاعِىِّ، عن العباسِ بنِ مِرْداسٍ السُّلَمِىِّ، قال: أولُ إسلامى، أنَّ مِرْداسًا أبى لمَّا حضَرتْه الوفاةُ، أَوْصانى بصنَمٍ له يُقالُ له: ضِمارٌ. فجعلْتُه فى بيتٍ، [٢/ ٤٩ظ] وجعَلْتُ آتيه كلَّ يومٍ مَرَّةً، فلمّا ظهَرَ النبىُّ ﷺ، سَمِعْتُ صوتًا مُرْسَلًا فى جوفِ الليلِ راعَنى، فوثَبْتُ إلى ضِمارٍ مستغيثًا، فإذا بالصوتِ مِن جوفِه، وهو يَقولُ:

قُلْ للقبيلةِ مِن سُلَيْمٍ كُلِّها ... هلَكَ الأَنيسُ وعاش أهلُ المسجدِ
أَودَى ضمارُ وكان يُعْبَدُ مَرَّةً ... قبلَ الكتابِ إلى النبىِّ محمدِ
إنَّ الذى ورِثَ النبوةَ والهُدَى ... بعدَ ابنِ مَرْيَمَ مِن قريشٍ مهتدِ

قال: فكتَمْتُه[4] الناسَ، فلمَّا رجعَ الناسُ مِن الأَحزابِ، بَيْنا أنا فى إِبِلى بطرَفِ العَقِيقِ مِن ذاتِ عِرْقٍ راقدًا، سمِعْتُ صوتًا، وإذا برجلٍ على جَناحِ نَعامةٍ، وهو يَقولُ: النُّورُ الذى وقَعَ[5] لَيْلَةَ الثلاثاءِ، مع صاحبِ الناقةِ العَضْباءِ، فى ديارِ إخوانِ[6] بنى العَنْقاءِ. فأَجابه هاتفٌ مِن شِمالِه، وهو يَقولُ:

---

(١) دلائل النبوة لأبى نعيم (٦٦).
(٢) سقط من: الأصل، ص.
(٣) سقط من النسخ. والمثبت من الدلائل.
(٤) فى الأصل، ص: «فكتمه».
(٥) بعده فى الدلائل: «ليلة الاثنين و».
(٦) فى ص: «أخوال».

بَشِّرِ الجِنَّ وإبلاسَها[1] أن وضَعَتِ المَطِىُّ أحلاسَها
وكَلَأَتِ السَّماءَ أحراسُها

قال: فوثَبْتُ مَذْعورًا، وعلِمْتُ أَنَّ محمدًا مُرْسَلٌ، فركِبْتُ فَرَسى واحتَثَثْتُ السَّيْرَ، حتّى انتَهَيْتُ إليه فبايَعْتُه، ثُم انصَرَفْتُ إلى ضِمارٍ فأَحْرَقْتُه بالنارِ، ثُم رَجَعْتُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، فأنشَدْتُه شِعْرًا أقولُ فيه:

لَعَمْرُك إِنِّى يومَ أَجْعَلُ جاهلًا ضِمارًا لِربِّ العالَمِينَ مُشارِكَا
وتَرْكِى رسولَ اللَّهِ والأوسَ حولَه أولئك أنصارٌ له ما أولئِكَا
كتاركِ سَهْلِ الأرضِ والحَزْنَ يَبْتَغى لِيَسْلُكَ فى وَعْثِ[2] الأُمورِ المسالِكَا
فآمَنْتُ باللَّهِ الذى أنا عَبْدُه وخالفْتُ مَن أَمْسَى يُرِيدُ المهالِكَا
ووجَّهْتُ وَجْهِىَ نحْوَ مكةَ قاصدًا أُبايِعُ نبىَّ الأَكرمينَ المبارَكا
نبىٌّ أَتانا بعدَ عِيسى بناطقٍ مِن الحقِّ فيه الفَصْلُ فيه كذلِكَا
أمينٌ عَلى الفُرقانِ[3] أَوَّلُ شافعٍ وأوّلُ مبعوثٍ يُجيبُ الملائِكَا
تَلافَى عُرَى الإسلامِ بعدَ انتقاضِها فأَحْكَمَها حتَّى أقامَ المَناسِكَا
عَنَيْتُكَ يا خيرَ البريّةِ كلِّها تَوَسَّطْتَ فى الفرعَين والمجدِ مالِكَا

---

(١) أبلس: سكت غما.
(٢) الوعث: هو كل أمر شاق من تعب وغيره. الوسيط (ع ث ث).
(٣) فى الأصل، م: «القرآن».

وأنتَ المُصَفَّى مِن قُرِيشٍ إذا سَمَتْ ... على ضُمْرِها[1] تَبقَى القرونَ المُبارَكا

إذا انتسَبَ الحَيَّانِ كَعْبٌ ومالكٌ ... وجَدْناكَ مَحْضًا والنساءَ العَوارِكا

قال الخَرائِطِيُّ[2]: وحدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ البَلَوِيُّ بِمِصْرَ، حدَّثَنا عُمارةُ ابنُ زيدٍ، حدَّثَنا إسحاقُ بنُ بشرٍ وسَلَمةُ بنُ الفَضْلِ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ، حدَّثَنى شيخٌ مِن الأنصارِ يُقالُ له: (3)عبدُ اللَّهِ بنُ(3) محمودٍ مِن آلِ محمدِ بنِ مَسْلَمةَ، قال: بلَغنى أنَّ رجالًا مِن خَثْعَمٍ كانوا يقولون: إنَّ مِمَّا دعانا إلى الإِسلامِ أنَّا كنَّا قومًا[4] نَعْبُدُ الأوْثانَ، فبينا نحن ذاتَ يومٍ عندَ وَثَنٍ لنا، إذ أَقْبَلَ نفرٌ يَتَقاضَونَ إليه، يَرْجُون الفَرَجَ مِن عندِه، لشيءٍ شَجَرَ بينَهم، إذ هتَفَ [٢/ ٥٠و] بهم هاتفٌ (5)مِن الصنمِ، فجعَلَ(5) يَقولُ:

يا أيُّها الناسُ ذَوُو الأجسامِ ... مِن بينِ أشياخٍ إلى غلامِ

ما أنتم وطائشُ الأحلامِ ... ومُسْنِدُ الحُكْمِ إلى الأصنامِ

أكلُّكم فى حيرةِ النُّيامِ ... أمْ لا تَرَوْن ما أَرَى[6] أمامِى

مِن ساطعٍ يَجْلُو دُجَى الظَّلامِ ... قد لاحَ للناظرِ مِن تِهامِ

ذاك نبيٌّ سيِّدُ الأنامِ ... قد جاء بعدَ الكُفْرِ بالإسلامِ

---

(١) الضمر: الهزال. القاموس المحيط (ض م ر).

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣/ ٤٥٠، من طريق الخرائطى به.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

(٤) فى ص: «يوما».

(٥ - ٥) سقط من: الأصل، م.

(٦) فى الأصل، م: «الذى».

أَكْـرَمـه الـرحـمـنُ مِـن إمـامِ ومِـن رسـولٍ صـادقِ الـكـلامِ
أعْدَلَ ذى حُكْمٍ مِن الأَحكامِ[1] يَـأْمُـرُ بـالـصَّـلاةِ والـصِّـيـامِ
والـبِـرِّ والـصِّـلاتِ لـلأَرحـامِ ويَـزْجُـرُ الـنـاسَ عـن الآثـامِ
والـرِّجْـسِ والأوثـانِ والحرامِ مِـن هـاشـمٍ فـى ذِرْوَةِ الـسَّـنـامِ
مُسْتَعْـلِنًا فى البلـدِ الحـرامِ[2]

قال : فلمَّا سمِعْنا ذلك تفرَّقْنا عنه ، وأتَيْنا النبىَّ ﷺ ، فأسلَمْنا .

وقال الخَرَائِطِىُّ[3] : حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ البَلَوِىُّ ، حدَّثَنا عُمَارةُ ، حدَّثَنى عُبَيْدُ اللَّهِ ابنُ العَلاءِ ، حدَّثَنا محمدُ بنُ عكبرٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ أَنَّ رَجُلًا مِن بنى تميمٍ ، يُقالُ له : رافعُ بنُ عُمَيْرٍ . وكان أَهدى الناسِ للطريقِ وأَسْراهم بِليلٍ ، وأهجَمَهم على هَوْلٍ ، وكانتِ العربُ تُسَمِّيه لذلك دُعْمُوصَ العربِ ؛ لهدَايتِه وجراءتِه على السَّيْرِ ، فذكَرَ عن بَدْءِ إسلامِه ، قال : إنِّى لأَسِيرُ برَمْلِ عالجٍ ذاتَ ليلةٍ ، إذ غلَبَتنى النومُ ، فنزَلْتُ عن راحلتى وأنَخْتُها ، وتوسَّدْتُ ذِراعَها ونِمْتُ ، وقد تعوَّذْتُ قبلَ نومى ، فقلتُ : أعوذُ بعظيمِ هذا الوادى مِن الجنِّ مِن أن أُوْذَى أو أُهاجَ . فرأَيْتُ فى مَنامى رجلًا شابًّا يَرْصُدُ ناقتى ، وبيدِه حَرْبةٌ يُريدُ أن يَضَعَها فى نَحْرِها ، فانتبَهْتُ لذلك فَزِعًا ، فنظَرْتُ يمينًا وشِمالًا ، فلم أَرَ شيئًا ، فقلتُ : هذا حُلْمٌ . ثُمَّ عُدْتُ فغفَوْتُ ، فرأَيْتُ فى مَنامى مِثْلَ رُؤْياىَ الأُولى ، فانتبَهْتُ ،

---

(١) فى الأصل : « الحكام » .

(٢) وتتمته فى تاريخ دمشق :

* أزكى الصلاة عليه والسلام *

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٢٧٢، إلى الخرائطى .

فدُرْتُ حَوْلَ ناقتى ، فلم أَرَ شيئًا ، وإذا ناقتى تُرْعِدُ ، ثُم غَفَوْتُ ، فرأَيْتُ مِثْلَ ذلك ، فانتبَهْتُ فرأيتُ ناقتى تَضْطَرِبُ ، والتَفَتُّ فإذا أنا برجلٍ شابٌّ كالذى رأيتُ فى المنامِ بيدِه حَرْبةٌ ، ورجلٌ شيخٌ مُمْسِكٌ بيدِه يَرُدُّه عنها ، وهو يَقولُ :

يا مالكُ بنَ مُهَلْهِلِ بنِ دِثارِ   مَهْلًا فِدًى لك مِئْزَرِى وإزارِى

عن ناقةِ الإِنسىِّ لا تَعْرِضْ لها   واختَرْ بها ما شِئْتَ مِن أَثْوارِى

ولقد بَدا لىَ منكَ ما لم أَحْتَسِبْ   أَلَّا رَعَيْتَ قَرابتى وذِمارى

[٢/٥٠و] تَسْمُو إليهِ بِحَرْبةٍ مسمومةٍ   تبًّا لِفِعْلِكَ يا أبا الغَفَّارِ

لولا الحياءُ وأنَّ أهلَكَ جِيرَةٌ   لَعَلِمْتَ ما كَشَّفْتَ مِن أَخبارِى

قال : فأجابه الشابُّ ، وهو يقولُ :

أَأَرَدْتَ أن تَعْلُو وتَخْفِضَ ذِكْرَنا   فى غيرِ مُزْرِيةٍ أبا العَيْزارِ

ما كانَ فيهم سيِّدٌ فيما مَضَى   إنَّ الخِيارَ هُمو بنو الأخيارِ

فاقصِدْ لقَصْدِك يا مُعَكْبِرُ إنَّما   كان المجيرُ مُهَلْهِلَ بنَ دثارِ

قال : فبينَما هما يَتنازَعانِ ، إذ طلَعَتْ ثلاثةُ أَثوارٍ مِن الوَحْشِ ، فقال الشيخُ للفتى : قُمْ يا ابنَ أختِ ، فخُذْ أيَّها شِئْتَ فِداءً لناقةِ جارى الإِنسىِّ . فقام الفَتَى فأَخَذَ منها ثَوْرًا وانصرَفَ . ثم التفَتَ إلىَّ الشيخُ ، فقال : يا هذا ، إذا نزَلْتَ واديًا مِن الأَوديةِ فخِفْتَ هَوْلَه ، فقل : أعوذُ باللَّهِ ربِّ محمدٍ مِن هَوْلِ هذا الوادى . ولا تَعُذْ بأحدٍ مِن الجنِّ ، فقد بطَلَ أَمْرُها . قال : فقُلْتُ له : ومَن محمدٌ هذا ؟ قال : نبىٌّ عربىٌّ ، لا شَرْقِىٌّ ولا غربىٌّ ، بُعِثَ يومَ الاثنينِ . قلتُ :

وأين مَسْكَنُه؟ قال: يَثْرِبُ ذاتُ النخلِ. قال: فرَكِبْتُ راحِلَتِى حِينَ برَقَ لِىَ الصبحُ، وجدَدْتُ السيرَ حتى تَقَحَّمْتُ المدينةَ، فرآنى رسولُ اللَّهِ ﷺ، فحدَّثَنى بحديثِى قبلَ أن أَذْكُرَ له منه شيئًا، ودعَانى إلى الإسلامِ، فأسلَمْتُ. قال سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ: وكنَّا نَرى أنَّه هو الذى أنزَلَ اللَّهُ فيه: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

(١) وروى الخرائِطِىُّ، مِن طريقِ إبراهيمَ بنِ إسماعيلَ بنِ أبى حَبيبةَ(٢) عن داودَ ابنِ الحُصَيْنِ(٣)، عن عِكْرِمةَ، عن ابنِ عباسٍ، عن علىٍّ، قال: إذا كنتَ بوادٍ تَخافُ السَّبُعَ، فقل: أعوذُ بدانيالَ والجُبِّ، مِن شرِّ الأسدِ.

ورَوَى البَلَوِىُّ، عن عُمارةَ بنِ زيدٍ، عن إبراهيمَ بنِ سعدٍ، عن محمدِ بن إسحاقَ، حدَّثنى يَحْيى بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ، عن أبيه، عن ابنِ عباسٍ قِصَّةَ قتالِ علىٍّ الجِنَّ بالبئرِ ذاتِ العَلَمِ التى بالجُحْفَةِ، حينَ بَعَثَه رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، يَسْتَقِى لهم الماءَ فأرادوا مَنْعَه، وقطَعُوا الدَّلْوَ، فنزَلَ إليهم، وهى قِصَّةٌ مُطَوَّلَةٌ مُنكرةٌ جدًّا. واللَّهُ أعلمُ(١).

وقال الخَرَائِطِىُّ(٤): حدَّثنى أبو الحارثِ محمدُ بنُ مُصْعَبٍ الدِّمَشْقِىُّ

(١ - ١) سقط من: الأصل.

(٢) فى النسخ: «حنيفة». والمثبت من التهذيب.

(٣) فى الأصل، م: «الحسين». وانظر تهذيب الكمال ٨/ ٣٧٩.

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ٦٣٥ مخطوط. عن الخرائطى به.

وغيرُه ، حدَّثَنا سليمانُ ابنُ بنتِ شُرَحْبِيلِ الدِّمَشْقِيُّ ، حدَّثَنا عبدُ القُدُّوسِ[(1] بنُ الحَجَّاجِ[1)] ، حدَّثَنا مُجالدُ[(2)] بنُ سعيدٍ ، عن الشَّعبِيِّ ، عن رجلٍ ، قال : كنتُ في مَجْلِسِ عمرَ بنِ الخطابِ ، وعندَه جماعةٌ مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ ، يَتَذاكَرون فضائلَ القُرآنِ ، فقال بعضُهم : خواتيمُ سُورةِ « النَّحْلِ » . وقال بعضُهم : سورةُ « يس » . وقال عليٌّ : فأين أنتم عن فضيلةِ آيةِ الكُرْسِيِّ ؟ أمَا إنَّها خَمْسون[(3)] كلمةً ، في كلِّ كلمةٍ ، سبعون[(4)] بَرَكةً . قال : وفي القومِ عمرُو بنُ مَعْدِي كَرِبَ لا يُحِيرُ جوابًا ، فقال : أينَ أنتم عن بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ؟ فقال عمرُ : حدِّثْنا يا أبا ثورٍ . قال : بَينا أنا في الجاهليةِ ، إذ جَهَدَني الجوعُ ، فأقحَمْتُ فَرسي[(5)] البرِّيَّةَ ، فما أصبتُ إلا بَيضَ النعامِ ، فبينَا أنا أسيرُ ، إذا أنا بشيخٍ عربيٍّ في خَيْمةٍ ، وإلى جانبِه جاريةٌ كأنَّها شمسٌ طالعةٌ ، ومعه غُنَيْماتٌ له ، فقُلْتُ له : استَأْسِرْ[(6)] ، ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ . فرفَعَ رأسَه إليّ ، وقال : يا فَتَى ، إن أردْتَ قِرًى فانزِلْ ، وإن أردْتَ مَعونةً أَعنّاك . فقلت له : استَأْسِرْ . فقال :

عَرضْنا عَليكَ النُّزْلَ منّا تَكرُّمًا ... فَلم تَرْعَوِى جَهْلًا كَفِعلِ الأَشائمِ
وَجِئتَ بِبُهتانٍ وزورٍ ودونَ ما ... تَمنَّيتَهُ بالبَيضِ حَزُّ الحلاقمِ[(7)]

(1 - 1) سقط من : ص .
(2) في الأصل ، م : « خالد » .
(3) في الأصل ، م : « سبعون » .
(4) سقط من : م .
(5) بعده في م : « في » .
(6) استأسره : أخذه أسيرا . واستأسر له : استسلم لأسره . الوسيط (أ س ر) . وهو هنا يطلب منه أن يستسلم له .
(7) في الأصل ، م : « الغلاصم » . والحلاقم : جمع حلقوم . والمعنى : أنك جئت بالبهتان والزور ، وأن ما تمنيته بالبيض - وهي ساحته أو جاريته - دونَه الموتُ وقطعُ الرقاب .

[٥١/٢و] قال : ووثَب إلىَّ وَثْبةً ، وهو يَقولُ : بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ . فكأنِّى مَثَلْتُ تحتَه ، ثُم قال : أَقْتُلُك أمْ أُخَلِّى عنك ؟ قلتُ : بل خلِّ عنى . قال : فَخلَّى عنى . ثُم إنَّ نَفْسِى حدَّثتْنى[1] بالمعاوَدةِ . فقلتُ : استأْسِرْ ، ثَكِلَتْك أمُّك . فقال :

بِبِسمِ اللَّهِ والرَّحمنِ فُزْنا ... هُنالكَ والرحيمِ به قَهَرْنا

وما تُغنى جَلادَةُ ذى حِفاظٍ ... إذا يومًا[2] لمعركةٍ بَرزْنا

ثُم وثَبَ إلىَّ[3] وثبةً كأنِّى مَثَلْتُ تحتَه . فقال : أَقْتُلُك أمْ أُخَلِّى عنك ؟ قال : قلت : بل خلِّ عنى . فخلَّى عنى ، فانطلَقْتُ غيرَ بعيدٍ ، ثُم قُلْتُ فى نفسى : يا عمرُو ، أَيَقْهَرُك هذا الشيخُ ، واللَّهِ لَلموتُ خيرٌ لك مِن الحياةِ . فرجَعْتُ إليه ، فقلتُ له : استأْسِرْ ، ثَكِلَتْك أمُّك . فوَثَبَ إلىَّ وثبةً ، وهو يَقولُ : بِسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ . فكأنِّى مثَلْتُ تحتَه . فقال : أَقْتُلُك أم أخلىِّ عنك ؟ قلت : بل خَلِّ عنّى . فقال : هَيْهاتَ ، يا جاريةُ ، ائتينى بالمُدْيةِ . (٤فأتَتْه بالمُدْيةِ٤) ، فجَزَّ ناصيتى ، وكانتِ العربُ إذا ظَفِرَتْ برجلٍ فجَزَّتْ ناصيتَه استعبَدَتْه ، فكنتُ معه أَخْدِمُه مُدَّةً ، ثُم إنه قال : يا عمرُو ، أريدُ أن تَرْكَبَ معى البرِّيَّةَ وليس بى منك وَجَلٌ ، وإنِّى ببسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ لَواثقٌ . قال : فسِرْنا حتى أَتَيْنا واديًا أَشِبًا[5] مُهَوِّلًا مُغوِّلًا ، فنادى بأعلى صوتِه : بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ . فلم يَبْقَ

---

(١) فى الأصل ، م : « جاذبتنى » .
(٢) فى الأصل : « قوم » .
(٣) فى الأصل ، م : « لى » .
(٤ - ٤) سقط من : الأصل .
(٥) أشبا : ملتف الشجر حتى لا مجاز فيه . اللسان (أ ش ب) .

طيرٌ فى وَكْرِه إلَّا طارَ، ثم أعاد الصوتَ[1]، فلم يَبْقَ سَبُعٌ فى مَرْبِضِه إلَّا هربَ، ثُم أعادَ الصوتَ، فإذا نحن بحَبَشِيٍّ قد خرَجَ علينا مِن الوادى كالنَّخلةِ السَّحوقِ، فقال لى: يا عمرُو، إذا رأيتَنا قد اتَّحَدْنا، فقلْ: غلَبَه صاحبى ببسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ. قال: فلمَّا رأيتُهما قد اتَّحَدَا، قلتُ: غلَبه صاحبى باللَّاتِ والعُزَّى. فلم يَصْنَعِ الشيخُ شيئًا، فرجَعَ إلىَّ، وقال: قد علِمْتُ أنَّك قد خالفْتَ قولى. قلتُ: أجَلْ، ولستُ بعائدٍ. فقال: إذا رأيتَنا قد اتَّحَدْنا، فقلْ: غَلَبَهُ صاحبى بِبسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ. [2]فقلتُ: أجَلْ. فلمَّا رأيتُهما قد اتَّحَدَا، قلتُ: غلبه صاحبى بِبِسْمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ[2]. قال[3]: فاتَّكَأَ عليه الشيخُ فبَعَجَه بسيفِه، فاشتَقَّ جوفَه[4] فاستخرَجَ منه شيئًا، كهيئةِ القِنديلِ الأسودِ، ثُم قال: يا عمرُو، هذا غِشُّه وغِلُّه. ثُم قال: أتدْرِى مَن تلك الجاريةُ؟ قلتُ: لا. قال: تلك الفارعةُ[5] بنتُ السليلِ الجُرْهُمِىِّ، [6]وكان أبوها[6] مِن خِيارِ الجِنِّ، وهؤلاء أهلُها وبنو عمِّها، يَغزُونِى منهم كلَّ عامٍ رجلٌ، يَنْصُرُنى اللَّهُ عليه بِبسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ. ثُم قال: قد رأيتَ ما كان منى إلى الحبَشِىِّ، وقد غلَبَ علىَّ الجوعُ فَأْتِنِى بشىءٍ آكُلُه. فأقحَمْتُ بفرسى البَرِّيَّةَ، فما أَصبْتُ إلا بيضَ النعامِ، فأتَيتُه به فوجَدْتُه نائمًا، وإذا تحتَ

---

(١) فى الأصل، م: «القول».

(٢ - ٢) سقط من: ص.

(٣) سقط من: الأصل، م.

(٤) فى الأصل، م: «بطنه».

(٥) فى ص: «القارعة».

(٦ - ٦) سقط من: الأصل، م.

رأْسِه شىءٌ كَهيئةِ الخشبةِ ، فاستلَلْتُه[1] ، [٢/١٥ظ] فإذا هو سيفٌ عَرْضُه شِبرٌ فى سبعةِ أشبارٍ ، فضرَبْتُ ساقَيْه ضَرْبةً أبَنْتُ السَّاقَيْنِ مع القَدَمينْ ، فاسْتَوى على فَقارِ[2] ظهْرِه ، وهو يَقولُ : قاتلَك اللّهُ ، ما أَغْدَرَك ، يا غَدَّارُ . قال عُمرُ : ثُم ماذا صنَعْتَ ؟ قُلْتُ : فلم أَزَلْ أَضْرِبُه بسيفى حتى قطَّعْتُه إِرْبًا إِرْبًا . قال : فوجَمَ لذلك ، ثُم أنشأَ يَقولُ[3] :

بالغدرِ نِلْتَ أخا الإِسلامِ عن كَثَبٍ ... ما إن سمِعْتُ كَذا في سالِفِ العَرَبِ

والعُجْمُ تأنَفُ مما جئتَه كَرَمًا ... تبًّا لِمَا جئتَه فى السيِّدِ الأَرِبِ

إنِّى لأَعجَبُ أنَّى نِلْتَ قِتْلَتَهُ ... أم كيفَ جازاك عندَ الذَّنبِ لم تَنُبِ

قِرْمٌ عَفا عنكَ مَرَّاتٍ وقد عَلِقَتْ ... بالجسمِ منكَ يداه موضِعَ العَطَبِ

لو كنتُ آخُذُ فى الإِسلامِ ما فَعَلوا ... فى الجَاهليّةِ أهلُ الشِّرْكِ والصُّلُبِ

إذًا لنالتْكَ مِن عدلْى مُشَطِّبةٌ[4] ... تَدْعُو لذائِقِها بالويْلِ والحَرَبِ

قال : ثُم ما كان مِن حالِ الجاريةِ ؟ قُلْتُ : ثُم إنِّى أتيتُ الجاريةَ ، فلّما رأَتْنى ، قالتْ : ما فعَلَ الشيخُ ؟ قُلْتُ : قَتلَه الحبشىُّ . فقالتْ : كذَبْتَ ، بل قَتلْتَه أنت بغَدْرِك . ثُم أَنشَأَتْ تقولُ :

عينُ[5] جُودِى للفارسِ المغوارِ ... ثُم جُودى بواكِفاتٍ[6] غِزارِ

---

(١) فى ص : « فاستلبته » .

(٢) فى م : « قفا » .

(٣) يعنى : عمر ، رضى اللّه عنه .

(٤) يقال : شطب السيفُ جسمَه . أى ترك فيه أثرا . وشطب اللحم : شرَّحه . الوسيط (ش ط ب) .

(٥) فى م : « يا عين » .

(٦) يقال : وكَفَت العين بالدمع . أى أسالته . الوسيط (و ك ف) .

لا تَمَلِّى البكاءَ إذْ خانكِ الدَّ   هْرُ بوافٍ حقيقةً صبّارِ

وتَقِيٍّ وذى وَقارٍ وحِلْمٍ   وعديلِ الفَخارِ يومَ الفَخارِ

لَهْفَ نفسى على بقائِك عمرُو   أَسْلَمَتْكَ الأعمارُ للأقدارِ

ولعَمْرِى لو لم تَرُمْه بغدرٍ   رُمتَ ليثًا بصارمٍ[1] بتّارِ

قال: فأحفَظَنى[2] قولُها، فاستلَلْتُ سيفى، ودخَلْتُ الخيمةَ لأَقْتُلَها، فلم أرَ فى الخيمةِ أحدًا، فاستَقْتُ الماشيةَ وجئتُ إلى أهلى.

وهذا أثرٌ عجيبٌ، والظاهرُ أنَّ الشيخَ كان مِن الجانِّ، وكان ممَّن أَسْلَمَ وتعلَّمَ القرآنَ، وفيما تعلَّمه ﴿بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ﴾. وكان يَتَعَوَّذُ بها.

وقال الخرائِطِيُّ: حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ البَلَوِيُّ، حدَّثَنا عُمارةُ بنُ زيدٍ، قال: حدَّثَنى عبدُ اللَّهِ بنُ العلاءِ، عن هشامِ بنِ عُروةَ، عن أبيه، عن جَدَّتِه أسماءَ بنتِ أبى بكرٍ، قالت: كان زيدُ بنُ عمرِو بنِ نُفَيْلٍ، ووَرَقَةُ بنُ نَوْفَلٍ يَذكُرانِ أنَّهما أَتَيا النجاشيَّ بعدَ رجوعِ أَبْرهةَ مِن مكةَ، قالا: فلمّا دخَلْنا عليه، قال لنا: اصْدُقانى أيُّها القُرَشِيَّانِ، هل وُلِدَ فيكم مولودٌ أرادَ أبوه ذَبْحَه، فضرَبَ عليه بالقِداحِ فسلِمَ، ونُحِرَتْ عنه إبلٌ كثيرةٌ؟ قلنا: نَعَمْ. قال: فهل لكما عِلْمٌ به، ما فَعَلَ؟ قلنا: تزوَّجَ امرأةً يُقالُ لها: آمنةُ بنتُ وَهْبٍ. ترَكَها حاملًا وخرَجَ. قال: فهل تَعْلَمانِ [٥٢/٢و] وُلِدَ أمْ لا؟ قال وَرَقةُ بنُ نَوْفلٍ: أُخْبِرُك أيُّها

---

(١) فى م: «كصارم».

(٢) أحفظَه: أغضبه. الوسيط (ح ف ظ).

الملِكُ أنى[1] ليلةً قد بِتُّ عندَ وثَنٍ لنا كُنَّا نُطِيفُ به ونَعْبُدُه، إذ سمِعْتُ مِن جَوْفِه هاتفًا يَقولُ:

وُلِدَ النبيُّ فذلَّتِ الأملاكُ [2]ونأَى[2] الضلالُ وأَدْبرَ الإِشراكُ

ثُم انتكَسَ الصَّنَمُ على وجهِه. فقال زيدُ بنُ عمرِو بنِ نُفَيْلٍ: عندى كخبرِه أيُّها الملِكُ. فقال: هاتِ. قال: إنِّى[3] فى مِثْلِ هذه الليلةِ التى ذكَرَ فيها حديثَه، خرَجْتُ مِن عندِ أهلى وهم يَذْكُرون حَمْلَ آمنةَ، حتى أتيْتُ جَبَلَ أبى قُبَيْسٍ، أريدُ الخَلْوَ فيه لأَمْرٍ رابَنى، إذ رأَيْتُ رجلًا يَنْزِلُ مِن السماءِ له جَناحان أخْضَرانِ، فوقَفَ على أبى قُبَيْسٍ، ثُم أشرَفَ على مكةَ، فقال: ذَلَّ الشيطانْ، وبطَلتِ الأوثانْ، و[4] وُلِدَ الأمينُ. ثُم نشَرَ ثوبًا معَه، وأهْوَى به نحْوَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ، فرأَيْتُه قد جلَّلَ ما تحتَ السماءِ[5]، وسطَعَ نورٌ كاد أن يَخْتَطِفَ بَصَرى، وهالَنى ما رأَيْتُ، وخفَقَ الهاتفُ بجَناحَيْه، حتى سقَطَ على الكعبةِ، فسطَعَ له نورٌ أشرَقَتْ له تِهامةُ. وقال: ذَكَتِ[6] الأرضُ، وأَدَّت رِبيعَها. وأَوْمَأَ إلى الأَصْنامِ التى كانتْ على الكعبةِ فسقَطَتْ كلُّها. قال النَّجاشِيُّ: وَيْحَكما! أُخْبِرُكما عمّا أصابنى؛ إنِّى لَنائِمٌ فى الليلةِ التى ذكرْتُما فى قُبَّةٍ وقتَ خَلْوتى، إذْ خرَجَ علىَّ مِن الأرضِ عُنُقٌ ورأسٌ، وهو يَقولُ: حلَّ الوَيْلُ بأصحابِ الفيلْ،

---

(١) فى ص: «فى».

(٢ - ٢) فى ص: «فر».

(٣) فى م: «أنا».

(٤) سقط من: م.

(٥) جلل ما تحت السماء: عمَّه. الوسيط (ج ل ل).

(٦) فى ص: «ذلت».

رمَتْهم طيرٌ أبابيلْ ، بحجارةٍ من سِجِّيلْ ، هلَكَ الأشرَمْ ، المعتدِى المجْرِمْ ، وُلِدَ النبىُّ الأمىُّ ، المكىُّ الحرَمىُّ ، مَن أجابَه سَعِدْ ، ومَن أباه عَنَدْ[1] .

ثُم دخَلَ الأرْضَ فغابَ ، فذَهَبْتُ أَصِيحُ ، فلم أُطِقِ الكلامَ ، ورُمْتُ القيامَ ، فلم أُطِقِ القيامَ ، فصرَعْتُ القُبةَ بيَدِى ، فسمِعَ بذلك أهلى فجاءُونى ، فقلتُ : احجُبُوا عنى الحَبَشةَ . فحجَبوهم عنى ، ثُم أُطْلِقَ عن لِسانى ورِجْلى[2] .

وروَى الحافظُ أبو القاسمِ ابنُ عساكرَ[3] فى «تاريخِه» فى ترجمةِ الحارثِ ابنِ هانئ بنِ المُدْلِجِ بنِ المِقدادِ بنِ زَمِلِ بنِ عمرِو العُذرىِّ ، عن أبيه ، عن جدِّه ، عن أبيه ، عن زَمِلِ بنِ عمرِو العُذْرِىِّ ، قال : كان لبنى عُذْرَةَ صنَمٌ يُقالُ له : حَمامٌ . وكانوا يُعَظِّمونه ، وكان فى بنى هندِ بنِ حرامِ بنِ ضِنَّةَ[4] بنِ عبدِ بنِ كَثِيرِ بنِ عُذْرَةَ ، وكان سادنُه رجلًا يُقالُ له : طارقٌ . وكانوا يَعْتِرون[5] عندَه ، فلمّا ظهَر رسولُ اللَّهِ ﷺ ، سمِعْنا صوتًا يَقولُ : يا بنى هِندِ بنِ حرام ، ظهَرَ الحقُّ وأَوْدَى[6] حَمام[7] ، ودفَعَ الشِّرْكَ الإسلام . قال : ففزِعْنا لذلك وهالنا ، فمَكَثْنا أيامًا ، ثُم سمِعْنا صوتًا ، وهو يَقولُ : يا طارقُ يا طارقْ ، بُعِثَ النبىُّ

---

(١) فى م ، ص : «عتد» . وعند : خالف الحق ورده وهو يعرفه .

(٢) بعده فى م ، ص : «وسيأتى إن شاء اللَّه تعالى فى قصة المولد رؤيا كسرى فى سقوط أربع عشرة شُرافة من إيوانه وخمود نيرانه ورؤيا موبذانه وتفسير سطيح لذلك على يدى عبد المسيح» . وقد تقدمت هذه الموضوعات المذكورة فى صفحة ٣٩٤.

(٣) تاريخ دمشق ١١/ ٤٨٩. وأخرجه ابن سعد فى الطبقات ١/ ٣٣٢، من طريق مدلج بن المقداد ، وأبى زفر الكلبى به .

(٤) فى الأصل : «صبية» . وفى م : «ضبة» .

(٥) يعترون من عتر ، والعتيرة ذبيحة كانوا يذبحونها لآلهتهم فى الجاهلية . الوسيط (ع ت ر) .

(٦) أودى : هلك .

(٧) فى م : «صمام» .

الصادقْ ، بوحيٍ ناطقْ ، صدَعَ صادعٌ بأرضِ تِهامةْ ، لناصِرِيهِ السَّلامةْ ، ولخاذِلِيه الندامةْ ، هذا الوداعُ منى إلى يومِ القِيامةْ . قال زَمِلٌ : فوقَعَ الصنمُ لوجهِه . قال زَمِلٌ[1] : فابتَعْتُ راحلةً ، ورحَلْتُ حتى أتيْتُ النبىَّ ﷺ مع نفرٍ مِن قومى ، وأنشدْتُه شِعرًا قلتُه :

[٥٢/٢ ظ] إليكَ رسولَ اللَّهِ أعمَلْتُ[2] نَصَّها ... وكلَّفتُها حَزْنًا وقَوْزًا[3] مِن الرمْلِ

لِأنصُرَ خيرَ الناسِ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ... وأعقِدَ حبلًا مِن حِبالِك فى حَبْلى

وأَشهدَ أنَّ اللَّهَ لا شىءَ غيرُه ... أَدينُ له[4] ما أَثْقَلتْ قَدَمى نَعْلى

قال : فأسلَمْتُ وبايَعْتُه[5] ، وأخبَرْناه بما سمِعْنا ، فقال : « ذاك مِن[6] كلامِ الجِنِّ » . ثُم قال : « يا مَعْشَرَ العربِ ، إنِّى رسولُ اللَّهِ[7] إلى الأنامِ كافَّةً ، أَدْعُوهم إلى عِبادةِ اللَّهِ وحْدَه ، وأنِّى رسولُه وعبدُه ، وأن يَحُجُّوا البيتَ ، ويصُومُوا شَهْرًا مِن اثنَىْ عشَرَ شَهْرًا ، وهو شَهْرُ رَمضانَ ، فمنْ أجابنى ، فله الجنَّةُ نُزُلًا ، ومَن عَصانى كانتِ النارُ له مُنقَلَبًا » . قال[8] : فأسلَمْنا وعقَدَ لنا لِواءً ،

---

(١) سقط من : م .
(٢) فى الأصل : « أعلمت » .
(٣) فى الأصل وفى تاريخ دمشق : « وفورا » . وفى م : « وغورا » . وفى ص : « وقورا » . والمثبت من طبقات ابن سعد . والحزن : الغليظ من الأرض . والقَوْز : الكثيب العالى من الرمل . والمعنى : أنه تكلف الصعاب ليأتى النبى ويمدحه بهذه الأبيات .
(٤) فى الأصل ، م : « به » . وسقط من : ص . والمثبت من تاريخ دمشق والطبقات .
(٥) فى الأصل : « تابعته » .
(٦) سقط من : الأصل .
(٧) بعده فى الأصل ، م : « إليكم و » .
(٨) فى الأصل : « قالوا » .

وكتَبَ لنا كِتابًا نُسْخَتُه : « بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، مِن محمدٍ ، رسولِ اللَّهِ ، لزَمِلِ [1] بنِ عمرٍو ومَن أسلَمَ معه خاصَّةً ، إنِّى بَعَثْتُه إلى قومِه عامدًا ، فمَن أسلَمَ ففى حِزْبِ اللَّهِ ورسولِه ، ومَن أَبَى فله أمانُ شَهْرَيْن ، شهِدَ علىُّ بنُ أبى طالبٍ ، ومحمدُ بنُ مَسْلَمَةَ [1] الأنصارىُّ » . ثُم قال ابنُ عساكرَ : غريبٌ جِدًّا .

وقال أبو نُعَيْمٍ [2] فى كتابِ « دلائلِ النبوةِ » : حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ جعفرٍ ، حدَّثَنا عبدُ الرحمنِ بنُ الحسنِ ، حدَّثَنا علىُّ بنُ حربٍ ، حدَّثَنا أبو المنذرِ هشِامُ بنُ محمدِ بنِ السائبِ ، عن أبيه ، عن عبدِ اللَّهِ العُمانىِّ [3] ، قال : كان منّا رَجُلٌ يُقالُ له : مازِنُ بنُ الغَضوبةِ [4] . يَسْدُنُ صنمًا بقريةٍ يُقالُ لها : سمايا . مِن عُمانَ ، وكانتْ تُعَظِّمُه بنو الصامتِ وبنو حُطامةَ ومَهْرةُ ، وهم أخوالُ مازنٍ ، أمُّه زينبُ بنتُ عبدِ اللَّهِ بنِ ربيعةَ بنِ حويصٍ [5] أحدِ بنى نُمْرانَ . قال مازنٌ : فعتَرْنا يومًا عندَ الصنمِ عَتيرةً ، وهى الذبيحةُ ، فسمِعْتُ صوتًا مِن الصنمِ يَقولُ : يا مازنُ ، اسمَعْ تُسَرّ ، ظهَرَ خيرٌ وبطَنَ شَرّ ، بُعِثَ نبىٌّ مِن مُضَرْ ، بدِينِ اللَّهِ الأكبرْ ، فدَعْ نحيتًا مِن حجرْ ، تَسْلَمْ مِن حَرِّ سَقَرْ . قال : ففزِعْتُ لذلك [6] فزَعًا شديدًا [6] . ثُم عتَرْنا بعدَ أيامٍ عَتيرةً أُخرى ، فسمِعْتُ صوتًا مِن الصنمِ يَقولُ : أَقبِلْ إلىَّ أَقْبِلْ ، تَسْمَعْ ما لا تَجْهَلْ ، هذا نبىٌّ مُرْسَلْ ، جاء بحقٍّ مُنْزَلْ ، فآمِنْ به

(١ - ١) سقط من : ص .
(٢) الدلائل لأبى نعيم (٦٣) .
(٣) فى الدلائل : « المعافى » .
(٤) فى م : « العضوب » ، وفى ص : « الغضرية » .
(٥) فى م : « خويص » .
(٦ - ٦) سقط من : ص .

كى تَعْدِلْ ، عن حرِّ نَارٍ تُشْعَلْ ، وَقودُها الجَنْدَلْ[1] . قال مازنٌ : فقلتُ : إنَّ هذا لَعَجَبٌ ، وإنَّ هذا لخَيْرٌ يُرادُ بى . وقدِمَ علينا رجلٌ مِن الحِجازِ ، فقلت : ما الخَبَرُ وراءَك ؟ فقال : ظَهَرَ رجلٌ يُقالُ له : أحمدُ . يَقولُ لِمَن أتَاه : « أَجيبُوا داعىَ اللَّهِ » . فقلتُ : هذا نبأُ ما سمِعْتُ . فثُرْتُ إلى الصَّنمِ فكسَّرْتُه جُذاذًا ، وركِبْتُ راحلتى حتَّى قدِمْتُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فشرَحَ اللَّهُ [2]صدرى للإسلامِ[2] ، فأسلَمْتُ ، وقلْتُ :

كسَرْتُ بَاجِرَ أجذاذًا وكان لنا ... رَبًّا نُطيفُ به ضلًّا بتَضلالِ

بالهاشمىِّ[3] هَدانا[4] مِن ضَلالتِنا ... ولم يكنْ دِينُه منّى على بالِ

[٥٣/٢و] يا راكبًا بلِّغَنْ عَمْرًا وإخوتَه[5] ... أنّى لِمَنْ قالَ ربى باجرٌ قالِ[6]

يَعْنِى بَعْمرٍو الصّامتَ ، وإخوتِه حُطامةَ . فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إنِّى امرُؤٌ مُولَعٌ بالطَّرَبِ وبالهَلوكِ[7] مِن النساءِ ، وشُرْبِ الخمرِ ، وألَحَّتْ علينا السِّنونَ ، فأذهبْنَ الأموالَ وأهزَلْنَ السَّرارىَّ[8] ، وليس لى ولدٌ ، فادْعُ اللَّهَ أن يُذهِبَ عنِّى ما أجِدُ ، ويأتينا بالحَيَا[9] ، ويهَبَ لى ولدًا . فقال النبىُّ ﷺ : « اللهمَّ أَبْدِلْه

---

(١) الجندل : الحجارة .

(٢ - ٢) فى ص : « لى الإسلام » .

(٣) فى م : « فالهاشمى » .

(٤) بعده فى ص : « اللَّه » .

(٥) فى النسخ : « إخوتها » . والمثبت من الدلائل .

(٦) قالٍ ؛ أى مبغض .

(٧) الهلوك من النساء : الساقطة منهن . الوسيط (هـ ل ك) .

(٨) السرارىّ : جمع سُرِّيَّة ، وهى الأَمَة .

(٩) يأتينا بالحيا : يأتينا بالرخاء .

بالطَّرَبِ قراءةَ القرآنِ، وبالحرامِ الحلالَ، وبالإثمِ وبالعَهْرِ عِفَّةً، وآتِه بالحيا، وهَبْ له ولدًا». قال: فأذهَبَ اللَّهُ عنِّى ما أجِدُ، وأُخْصِبَتْ عُمانُ، وتزوَّجْتُ أربعَ حرائرَ، وحَفِظْتُ شَطْرَ القرآنِ، ووَهَبَ اللَّهُ لى حيَّانَ بنَ مازنٍ. وأنشأَ يَقولُ:

إليكَ رسولَ اللَّهِ خَبَّتْ[1] مَطِيَّتى ... تجوبُ الفيافى مِن عُمانَ إلى العَرْجِ

لِتَشْفَعَ لى يا خيرَ مَن وَطِئَ الحَصَى ... فيَغْفِر لى ربى فأرْجِعَ بالفَلْجِ[2]

إلى مَعْشَرٍ خالفْتُ فى اللَّهِ دينَهم ... فلا رأيُهم رأيى ولا شَرْجُهم شَرْجى[3]

وكنتُ امْرَأً بالخَمْرِ والعَهْرِ مُولَعًا ... شبابىَ حتى آذنَ الجِسْمُ بالنَّهْجِ[4]

فبدَّلَنى بالخمرِ خَوفًا وخَشْيةً ... وبالعَهْرِ إحصانًا فحصَّنَ لى فَرْجى

فأصبحْتُ هَمِّى فى الجِهادِ ونِيَّتى[5] ... فللَّهِ ما صَوْمِى وللَّهِ ما حَجِّى

قال: فلمّا أتيْتُ قومى أنَّبونى، وشَتَمونى، وأمَرُوا شاعرًا لهم فهجَانى، فقلتُ: إن ردَدْتُ عليه، فإنَّما أهْجُو نَفْسى، فرَحَلْتُ عنهم، فأتَتْنِى منهم زُلفةٌ[6] عظيمةٌ وكنتُ القَيِّمَ بِأمورِهم، فقالوا: يا بنَ عَمٍّ، عِبْنا عليك أمرًا وكَرِهْنا ذلك، فإن أبيْتَ ذلك فارْجِعْ وقُمْ بأُمورِنا، وشأْنُك وما تَدِينُ به. فرجَعْتُ معَهم، وقُلْتُ:

---

(١) فى ص: «حثت». وخب الفرس: نقل أيامنه وأياسره جميعا فى العدو. الوسيط (خ ب ب).

(٢) الفلج: الظفر.

(٣) ولا شرجهم شرجى: المشارجة: المشابهة. القاموس المحيط (ش ر ج). ولعل المراد: لا يشبهوننى.

(٤) النهج: البلى.

(٥) فى ص: «رميتى».

(٦) الزُّلفة من أزْلَف، إذا جمعَ. يعنى أتاه جمعٌ كثير من قومه.

لَبُغْضُكُمْ عِندَنَا[1] مُرٌّ مَذَاقتُه وبُغْضُنا عندَكم يا قومَنا لَبَنُ

لا يَفطِنُ الدهرُ إن بُثَّتْ معائبُكم وكلُّكم حينَ يُنْثَى[2] عَيْبُنا فَطِنُ

شاعرُنا مُفْحَمٌ[3] عنكم وشاعرُكم في حدبِنا مُبلِغٌ في شَتْمِنا لَسِنُ

ما في القلوبِ عليكم فاعلَموا وَغِرٌ وفى قلوبِكمُ البغضاءُ والإِحَنُ[4]

قال مازنٌ: فهَداهم اللَّهُ بعدُ إلى الإِسلامِ جميعًا.

(5)وقال سعيدُ بنُ يَحْيَى بنِ سعيدٍ الأُمَوِيُّ[6] في «مَغازِيه»: حدَّثَنى محمدُ ابنُ سعيدٍ، يَعْنِى عمَّه، قال: قال مُحمدُ بنُ المُنْكَدِرِ: إنَّه ذُكِرَ لى عن ابنِ عباسٍ، قال: هتَفَ هاتفٌ مِن الجنِّ على أبى قُبَيْسٍ، فقال:

قَبَّحَ اللَّهُ رَأْيَكم آلَ فِهْرِ ما أَرَقَّ[7] العقولَ والأفهامَ[8]

حِينَ تَعصِى لِمَن يَعيبُ عَلَيها دِينَ آبائِها الحُماةِ الكِرامِ

[٢/٥٣ظ] خالَفَ[9] الجِنُّ جِنُّ[10] بُصْرَى عليكم ورجالَ النَّخيلِ والآطامِ[11](5)

---

(١) فى ص: «عنا».
(٢) فى النسخ: «يثنى». والمثبت من لسان العرب. وينثى العيب: يُظْهر ويُشاع. اللسان (ن ث ا).
(٣) المفحم: العاجز أمام الحجة. الوسيط (ف ح م).
(٤) الإحن: جمع إحنة، وهى الحقد والضِّغْن. الوسيط (أ ح ن).
(٥ - ٥) سقط من: ص.
(٦) وأخرجه أبو نعيم بسنده فى الدلائل (٦٠). بمعناه.
(٧) فى النسخ: «أدق». والمثبت من الدلائل.
(٨) فى البيت عيب وهو الإقواء.
(٩) فى الأصل: «خالف».
(١٠) فى الأصل: «حين».
(١١) الآطام: الحصون، أو البيوت المرتفعة. الوسيط (أ ط م).

(1)تُوشِكُ الخيلُ أن تَرَوْها(2) تَهادَى(3) تَقْتُلُ القومَ فى حَرامٍ بِهامِ
هَلْ كريمٌ منكمُ لَهُ نفسُ حرٍّ ماجِدُ الوالدَيْنِ(4) والأَعْمامِ
ضارِبٌ ضَرْبةً تكونُ نَكالًا ورَواحًا مِن كُربةٍ واغتمامِ

قال ابنُ عباسٍ : فأصبحَ هذا الشِّعرُ حديثًا لأهلِ مكةَ يَتَناشَدونه بينَهم ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « هذا شيطانٌ يُكَلِّمُ الناسَ فى الأوثانِ ، يُقالُ له : مِسْعَرٌ . واللَّهُ مُخزيهِ » . فمَكَثوا ثلاثةَ أيامٍ فإذا هاتفٌ يَهْتِفُ على الجَبَلِ يَقولُ :

نحن قتلْنا فى ثلاثٍ مِسْعَرَا إذْ سفَّهَ الجنَّ وسَنَّ المُنكَرَا
قنَّعْتُه سَيفًا حُسامًا مُشْهَرَا بشتمِهِ نبيَّنا المُطَهَّرا

فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « هذا عِفريتٌ مِن الجنِّ ، اسمُه سَمْجٌ(5) ، آمَنَ بى سَمَّيْتُه عبدَ اللَّهِ ، أخبرَنِى أنَّه فى طلبِه ثلاثةَ أيامٍ » . فقال عليٌّ : جزاه اللَّهُ خيرًا ، يا رسولَ اللَّهِ(1) .

وقد رَوَى الحافظُ أبو نُعَيْمٍ(6) فى « الدلائلِ » قال : حدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ ابنِ جعفرٍ ، حدَّثَنا أبو الفضلِ محمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ مُوسَى بنِ أبى حَرْبٍ الصَّفّارُ ، حدَّثَنا عبّاسُ بنُ الفرَجِ(7) الرِّياشىُّ(8) ، حدَّثَنا سليمانُ بنُ عبدِ العزيزِ بنِ

(1 - 1) سقط من : ص .
(2) فى م ، ص : « تردها » .
(3) فى الأصل : « نهارا » .
(4) فى الأصل : « الجدين » .
(5) كذا فى النسخ وفى الدلائل : « سمحج » . ولعله الصواب ، انظر الإصابة ٣/١٧٦ .
(6) لم نجده فى مختصر دلائل أبى نعيم ، الذى بين أيدينا .
(7) فى الأصل ، ص : « الفرح » .
(8) فى الأصل : « الرياسى » .

أبي ثابتٍ ، عن أبيه ، عن عبدِ الحميدِ بنِ بَهْرَامٍ ، عن شَهْرِ بنِ حَوْشَبٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن سعدِ بنِ عُبادَةَ ، قال : بَعَثَنى رسولُ اللَّهِ ﷺ ، إلى حَضْرَمَوتَ فى حاجةٍ قبلَ الهجرةِ ، حتى إذا كنتُ فى بعضِ الطريقِ ساعةً مِن الليلِ ، فسمِعْتُ هاتفًا يَقولُ :

أبا عَمْرٍو تَناوَبَنى[1] السُّهودُ ... وراحَ النومُ وامتنَعَ الهُجُودُ

لِذِكْرِ عِصابةٍ سَلَفوا وبادوا ... وكلُّ الخَلْقِ قَصْرُهمُ يَبيدُ

تولَّوْا وارِدِينَ إلى المنايا ... حِياضًا ليسَ مَنهلَها الورودُ

مضَوْا لسبيلِهمْ وَبقِيتُ خَلْفًا ... وَحيدًا ليس يُسْعِفُنى[2] وحيدُ

سُدًى[3] لا أستطيعُ علاجَ أَمْرٍ ... إذا ما عالَجَ الطِّفلُ الوليدُ

فَلَأْيًا[4] ما بقِيتُ إلى أناسٍ[5] ... وقد باتتْ بِمَهْلِكِها ثَمودُ

وعادٌ والقرونُ بذى شُعوبٍ ... سَواءٌ كلُّهم إِرَمٌ حَصيدُ

قال : ثُم صاحَ به آخَرُ : يا خَرْعَبْ[6] ، ذهَبَ بك العجَبْ ، إنَّ العجَبَ كلَّ العَجَبْ ، بينَ زُهْرةَ ويثْرِبْ . قال : وما ذاك يا شاحبْ ؟ قال : نبىُّ السَّلام ، بُعِثَ بخيرِ الكلام ، إلى جميعِ الأنام ، فاخْرُجْ مِن البلدِ الحرام ، [٢/ ٥٤و] إلى

---

(١) فى النسخ : « ناوبنى » . وأثبتنا التاء ليستقيم الوزن .

(٢) فى ص : « يستفضى » .

(٣) فى ص : « سيدى » .

(٤) اللأى : الشدة . يقال : لأيًا عرفت الشىء . أى بعد مشقة . الوسيط (ل أ ى) .

(٥) سقط من : الأصل .

(٦) الخرعب : الطويل اللحيم . القاموس المحيط (خرعب) .

نخيلٍ وآطام . قال : ما هذا النبيُّ المرْسَلْ ، والكِتابُ المُنْزَلْ ، والأُمِّيُّ المُفَضَّلْ ؟ قال : رجلٌ مِن ولدِ[1] لُؤَيِّ بنِ غالبِ بنِ فِهْرِ بنِ مالكِ بنِ النَّضْرِ بنِ كِنانةَ . قال : هيهاتَ ، فاتَ عن هذا سِنِّى ، وذهَبَ عنه زَمَنى ، لقد رأَيْتُنى والنَّضْرَ بنَ كِنانةَ نَرْمِى غرضًا واحدًا ، ونَشْرَبُ حَلَبًا[2] باردًا ، ولقد خرَجْتُ به مِن دَوحة[3] فى غَداةٍ شَبِمَة[4] وطلَعَ مع الشمسِ وغرَبَ معها ، يَرْوِى ما يَسْمَعُ ، ويُثْبِتُ ما يُبْصِرُ ، ولئن كان هذا مِن وَلدِه لقد سُلَّ السيف ، وذهَبَ الخوف ، ودُحِضَ الزِّنا ، وهلَكَ الرِّبا . قال : فأَخْبِرْنى ما يَكونُ ؟ قال : ذهبَت السَّرّاءُ[5] والمجاعة[6] ، والشِدّةُ والشَجاعة ، إلَّا بقيةً فى خُزاعة ، وذهبت الضَّرَّاءُ والبُؤْس ، والخلُقُ المَنْقوس[7] إلا بقّيةً مِن[8] الخزرجِ والأَوْس ، وذهَبَتِ الخُيَلاءُ والفخر ، والنَّميمةُ والغَدْر ، إلا بقيةً فى بنى بكر - يعنى بَكْرَ[9] بنَ هَوازِنَ - وذهَبَ الفعلُ المُنَدِّمْ ، والعمَلُ المُؤَثِّمْ ، إلا بقيَّةً فى خَثْعَمْ . قال : أخبِرْنى ما يكونُ ؟ قال : إذا غُلِبتِ البَرَّةُ[10] ، ولُطِمتِ[11] الحُرَّة ، فاخرُجْ مِن بلادِ الهجرة ، وإذا كُفَّ

---

(١) فى ص : « بنى » .
(٢) الحلب : اللبن .
(٣) فى الأصل : « دومة » .
(٤) فى الأصل : « شبه » . وفى ص : « شيمة » . والشبمة : الباردة .
(٥) فى م ، ص : « الضراء » . بعده فى الأصل ، م : « والبؤس » .
(٦) فى الأصل : المخادعة .
(٧) فى م ، ص : « المنفوس » . ونقس بين القوم : أفسد .
(٨) فى ص : « فى » .
(٩) سقط من : الأصل ، م .
(١٠) البرة : عَلَمٌ للبِرّ . وهو علم جنس مثل أسامة علم لجنس الأسد .
(١١) فى م ، ص : « كظمت » .

السَّلام، وقُطِعَتِ الأَرحام، فاخْرُجْ مِن البلدِ الحَرام. قال: أخبِرْنى ما يَكونُ؟ قال: لولا أُذُنٌ تَسْمَع، وعينٌ تَلْمَع، لأَخبَرْتُك بما يُفْزِع. ثُم قال:

لا مَـنـامٌ هـدَّأْتَـه بـنـعـيـمِ　　　يا ابنَ غوطٍ ولا صباحٌ أتانا[1]

قال: ثُم صَرْصَرَ صَرْصَرَةً كأنَّها صَرْصَرةُ حُبْلَى، فذَهَبَ الفجرُ، فذهَبْتُ لأَنْظُرَ فإذا عَظايةٌ[2] وثُعبانٌ ميِّتان. قال: فما عَلِمْتُ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ، هاجَرَ إلى المدينةِ إلّا بهذا الحديثِ. ثُم روَاه عن محمدِ بنِ جعفرٍ، عن إبراهيمَ بنِ عليٍّ، عن النَّضْرِ بنِ سَلمةَ، عن حَسّانَ بنِ عُبادَةَ[3] بنِ مُوسى، عن عبدِ الحميدِ ابنِ بَهْرَامٍ، عن شَهْرٍ، عن ابنِ عباسٍ، عن سعدِ بنِ عُبادةَ، قال: لمّا بايَعْنا رسولَ اللَّهِ ﷺ، بَيْعةَ[4] العَقَبَةِ، خرجْتُ إلى حَضْرَموْتَ لبعضِ الحاجةِ[5]، قال: فقَضَيْتُ حاجَتى، ثُم أَقبلْتُ حتى إذا كنتُ ببعضِ الطريقِ نِمْتُ، ففَزِعْتُ مِن الليلِ بصائحٍ يَقولُ:

أبا عَـمرٍو تَـنـاوَبَـنـى الـسُّـهـودُ[6]　　　وراحَ الـنـومُ وانـقـطَـعَ الـهُـجـودُ

وذَكَر مِثْلَه بطُولِه.

وقال أبو نُعَيْمٍ: حَدَّثَنا [7]عُمرُ بنُ[7] محمدِ [8]بنِ جَعْفَرٍ[8]، حَدَّثنا إبراهيمُ بنُ

---

(١) فى الأصل: «أمانا».
(٢) عظاية: دويبة.
(٣) فى ص: «عباد».
(٤) فى الأصل، م: «ليلة».
(٥) فى الأصل، م: «الحاج».
(٦) فى الأصل: «الشهود».
(٧ - ٧) سقط من: م. وفى الأصل: «محصر بن».
(٨ - ٨) سقط من: ص.

عليٌّ ، حدَّثنا النَّضْرُ بنُ سَلمةَ ، حَدَّثنا أبو غَزِيَّةَ[1] ، محمدُ بنُ موسى ، عن العَطّافِ بنِ خالدٍ[2] الوابِصِيِّ[3] ، عن خالدِ بنِ سعيدٍ ، عن أبيه ، قال : سَمِعتُ تميمًا الدَّارِيَّ يقول : كُنتُ بالشّامِ حين بُعِث النَّبىُّ ﷺ ، فخَرَجْتُ لبعضِ حاجَتِى ، فأدْرَكَنِى الليلُ ، فقلتُ : أنا فى جِوارِ عظيمِ هذا الوادِى الليلةَ . قال : فلمَّا أخَذْتُ مَضْجَعِى ، إذا أنا بمُنادٍ يُنادِى ، لا أَراه : عُذْ باللَّهِ ، فإنَّ الجِنَّ لا تُجِيرُ أحدًا على اللَّهِ . فقُلتُ : ايمُ اللَّهِ تقولُ ؟ فقال : قد خَرَج رسولُ الأُمِّيِّين رسولُ اللَّهِ ، وصَلَّيْنا خَلْفَه بالحَجُونِ ، فأسْلَمْنا واتَّبَعْناه ، وذَهَب [٢/ ٥٤ظ] كَيْدُ الجِنِّ ورُمِيَتْ بالشُّهُبِ ، فانطَلِقْ إلى محمدٍ ، رسولِ ربِّ العالَمِين ، فأسْلِمْ . قال تميمٌ : فلمَّا أصْبَحْتُ ذَهَبتُ إلى دَيْرِ أيُّوبَ ، فسألتُ راهِبًا وأخْبَرْتُه الخَبَرَ . فقال الرّاهِبُ : قد صَدَقُوكَ ، يَخْرُجُ مِن الحَرَمِ ، ومُهاجَرُه الحرَمُ ، وهو خيرُ الأنبياءِ ، فلا تُسْبَقْ إليه . قال تميمٌ : فتَكَلَّفْتُ الشُّخُوصَ ، حتى جئتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فأسْلَمْتُ .

وقال حاتمُ بنُ إسماعيلَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ يزيدَ الهُذَلِيِّ[4] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ ساعِدَةَ الهُذَلِيِّ ، عن أبيه قال : كُنّا عندَ صَنَمِنا سُواعٍ ، وقد جَلَبْنا إليه غَنَمًا لنا ، مائتَىْ شاةٍ قد أصابَها جَرَبٌ ، فأدنَيْناها منه ، لنَطْلُبَ بَرَكَتَه ، فسَمِعتُ مُنادِيًا مِن جَوْفِ الصَّنَمِ يُنادِى : قد ذَهَب كيدُ الجِنِّ ، ورُمِينا بالشُّهُبِ لنَبِىٍّ اسمُه أحمدُ .

---

(١) سقط من : الأصل . وفى ص : « عربة » . وانظر لسان الميزان ٥/ ٣٩٨.
(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١١/ ٧٣، من طريق العطاف بن خالد به .
(٣) فى م ، ص : « الوصابى » . وانظر تهذيب الكمال ٢٠/ ٨٣.
(٤) فى ص : « الذهلى » .

قال : فقُلْتُ : غَوَيْتُ[١] واللَّهِ . فصَرَفْتُ وجهَ غَنَمِى مُنْجِدًا[٢] إلى أهلى[٣] ، فلَقِيتُ رَجُلًا فَخَبَّرَنى بظُهُورِ النبىِّ ﷺ . ذَكَرَه أبو نُعَيْمٍ هكذا مُعَلَّقًا[٤] ، ثُمَّ قال[٥] : حَدَّثَنا عُمرُ بنُ محمدِ بنِ جَعْفَرٍ ، حَدَّثَنا إبراهيمُ بنُ السِّنْدِىِّ ، حَدَّثَنا النَّضْرُ بنُ سَلمةَ ، حَدَّثَنا محمدُ بنُ سَلمةَ[٦] المَخْزُومِىُّ ، حَدَّثَنا يحيى ابنُ سُلَيمانَ ، عن حَكِيمِ بنِ عطاءٍ الظَّفَرِىِّ[٧] - من بنى سُلَيْمٍ ، مِن وَلَدِ راشِدِ بنِ عبدِ رَبِّه - عن أبيه ، عن جدِّه ، عن راشدِ بنِ عبدِ ربِّه قال : كان الصَّنَمُ الذى يُقالُ له : سُواعٌ . بالمَعْلَاةِ مِن رُهاطٍ[٨] ، تَدِينُ له هُذَيْلٌ وبنو ظَفَرِ بنِ سُلَيْمٍ ، فأَرْسَلَتْ بنو ظَفَرٍ راشِدَ بنَ عبدِ ربِّه بهَدِيَّةٍ مِن سُلَيْمٍ إلى سُواعٍ . قال راشِدٌ : فأَلْقَيْتُ مع الفجرِ إلى صَنَمٍ قَبْلَ صنمِ سُواعٍ ، فإذا صارِخٌ يَصْرُخُ مِن جَوْفِه : العَجَبُ كلَّ العجَبْ مِن خُرُوجِ نبىٍّ مِن بنى عبدِ المُطَّلِبْ ، يُحَرِّمُ الزِّنا والرِّبا والذَّبْحَ للأَصْنامِ ، وحُرِسَتِ السَّماءُ ورُمِينا بالشُّهُبْ ، العَجَبُ كلَّ العجَبْ . ثُمَّ هَتَفَ صنمٌ آخرُ مِن جوفِه : تُرِكَ الضِّمارُ[٩] وكان يُعْبَدْ ، خَرَج أحمدْ ، نَبِىٌّ يُصَلِّى الصلاةَ ، ويَأْمُرُ بالزَّكاةِ

---

(١) فى طبقات ابن سعد ، كما سيأتى تخريجه : « غُبِّرت » .
(٢) فى الطبقات : « منحدرًا » . وأَنْجَد الرجل : انحدر عائدًا إلى أهله .
(٣) فى الأصل ، ص : « أهله » .
(٤) وأخرجه ابن سعد موصولًا فى طبقاته ١/ ١٦٨، من طريق عبد الله بن يزيد الهذلى بنحوه .
(٥) أى أبو نعيم ، دلائل النبوة (٦٨) .
(٦) فى م : « مسلمة » .
(٧) فى الدلائل : « الصقرى » . وذكَر محقِّقه فى الحاشية أن الصواب « السلمى » . وهو عند ابن حجر فى الإصابة ٢/ ٤٣٤: « السلمى » كذلك .
(٨) فى م ، ص : « راهط » .
(٩) فى الأصل ، ص : « الضماد » . والضمار : اسم وثن .

والصِّيام، والبِرِّ والصِّلاتِ للأرْحام. ثُمَّ هَتَف مِن جوفِ صنمٍ آخَرَ هاتِفٌ يقولُ:

إنَّ الذى وَرِثَ النُّبُوَّةَ والهُدَى بعدَ ابنِ مريمَ مِن قُرَيشٍ مُهْتَدِ

نبىٌّ[1] يُخَبِّرُ بما قَدْ[2] سَبَقْ وبما يَكُونُ [3]مِنَ الغَدِ[3]

قال راشِدٌ: فألْفَيْتُ سُواعًا مع الفجرِ وثَعْلبانِ يَلْحَسانِ ما حَوْلَه، ويَأْكُلان ما يُهدَى له، ثُمَّ يُعَرِّجانِ[4] عليه ببَوْلِهما. فعِندَ ذلِك يقولُ راشدُ بنُ عبدِ ربِّه:

أرَبٌّ يَبُولُ الثُّعْلُبانِ برأْسِهِ لقد ذَلَّ مَن بالَتْ عليه الثَّعالِبُ

وذلك عندَ مَخْرَجِ النبىِّ ﷺ، ومُهاجَرِه[5] إلى المدينةِ، وتسامع الناسُ به، فخَرَج راشدٌ حتى أتى النَّبىَّ ﷺ، المدينةَ، ومعه كلبٌ له، واسمُ راشِدٍ يومَئِذٍ: ظالمٌ، واسمُ كلبِه: راشدٌ، فقال له النبىُّ ﷺ: «ما اسمُكَ؟» قال: ظالمٌ. قال: «فما اسمُ كلْبِكَ؟». قال: راشدٌ. قال: «اسْمُكَ رَاشدٌ، واسْمُ كَلْبِكَ ظَالمٌ»، وضَحِكَ النبىُّ ﷺ. وبايَعَ النبىَّ ﷺ، وأقام بمكَّةَ معه، ثُمَّ طَلَب [٢/٥٥و] من رسولِ اللَّهِ ﷺ قَطِيعَةً برُهاطٍ[6]، ووَصَفَها له، فأقْطَعَه رسولُ

---

(١) بعده فى الأصل، م: «أتى».

(٢) سقط من: م، ص.

(٣ - ٣) فى الأصل، م: «اليوم حقًّا أو غدٍ».

والبيتان بهذه الصورة؛ الأول من بحر الكامل. والثانى لا يستقيم كله على بحرٍ واحد، وبما أثبتناه يصبح الشطر الأول من البيت من بحر المتقارب، والشطر الثانى من مجزوء الكامل.

(٤) فى الأصل، م: «يعوجان».

(٥) فى الدلائل: «ومجازه».

(٦) هنا وفيما يأتى، فى م: «وهاط».

اللَّهِ ﷺ بالمَعْلاةِ مِن رُهاطٍ شَأْوَ الفرسِ[1] ، ورَمْيَتُه[2] ثَلاثُ مرَّاتٍ بحَجَرٍ ، وأعطاه إداوَةً مملُوءَةً مِن ماءٍ ، وتَفَل فيها ، وقال له : « فَرِّغْهَا في أعْلَى القَطِيعَةِ ، ولا تَمْنَعِ النَّاسَ فُضُولَها[3] » ، ففعَلَ ، فجَعَلَ الماءَ مَعِينًا يَجرِى[4] إلى اليومِ ، فغَرَسَ عليها النَّخْلَ . ويُقالُ : إنَّ رُهاطًا كلَّها تَشْرَبُ منه ، فسَمّاها الناسُ ماءَ الرسولِ ﷺ . وأهلُ رُهاطٍ يَغْتَسِلُون بها ، وبَلَغَتْ رَمْيَةُ راشِدِ الرَّكِيبَ[5] الذى يُقالُ له : رَكِيبُ[6] الحجرِ . وغَدا راشِدٌ على سُواعٍ فكَسَرَه .

وقال أبو نُعَيْمٍ[7] : حَدَّثَنا سُلَيمانُ بنُ أحمدَ ، حَدَّثَنا علىُّ بنُ إبراهيمَ الخُزاعِىُّ الأهْوازِىُّ ، حَدَّثنا أبو محمـدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ داوُدَ بنِ دِلْهاثِ بنِ إسماعيلَ (8بنِ عبدِ اللَّهِ8) بنِ مسرعِ[9] بنِ ياسرِ بنِ سُوَيْدٍ صاحبِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، حَدَّثَنا أبى ، عن أبيه دِلْهاثٍ ، عن أبيه إسماعيلَ ، أنَّ أباه عبدَ اللَّهِ حَدَّثَه ، عن أبيه مسرعِ بنِ ياسرٍ ، أنَّ أباه ياسرًا حَدَّثَهَ عن عَمْرِو بنِ مُرَّةَ الجُهَنِىِّ ، أنَّه كان يُحَدِّثُ ، قال : خَرَجْتُ حاجًّا فى جماعةٍ مِن قومى فى الجاهِلِيَّةِ ، فرَأَيْتُ

---

(١) الشأو : الشوط . والمراد هنا المساحة التى يقطعها الفرس فى شوط .

(٢) فى الدلائل : « ورمية » .

(٣) فى م ، ص : « فضلها » .

(٤) فى الأصل : « محمرا » . وفى ص : « مجمرا » . وعند أبى نعيم : « مُجِمَّة » أى كثيرة .

(٥) فى م ، ص : « الركب » .

(٦) فى م : « ركب » . وفى ص : « ركبت » .

(٧) وأخرجه بنحوه من طريق عبد اللَّه بن داود بن دلهاث ، ابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٣/ ٦٠٨، ٦٠٩ . مخطوط . وقال الأزدىُّ ، كما فى لسان الميزان ، فى ترجمة داود بن دلهاث : داود عن آبائه ؛ لا يصح حديثه ، لسان الميزان ٢/ ٤١٧.

(٨ - ٨) زيادة لازمة سقطت من النسخ . وانظر لسان الميزان ٣/ ٢٨٣.

(٩) هنا وفيما يأتى ، فى الأصل : « سرع » .

فى المنامِ، وأنا بمكَّةَ، نُورًا ساطِعًا مِن الكعبةِ، حتى أضاءَ فى جبلِ يَثْرِبَ، وأشْعَرِ جُهَيْنَةَ[١]، فسَمِعْتُ صوتًا فى النُّورِ وهو يقولُ: انْقَشَعَتِ الظَّلْماء، وسَطَع الضِّياء، وبُعِث خاتَمُ الأنبياء. ثُمَّ أضاءَ إضاءَةً أُخرَى، حتى نَظَرتُ إلى قُصُورِ الحِيرَةِ وأبيضِ المَدائِنِ، فسَمِعْتُ صوتًا فى النُّورِ وهو يقولُ: ظَهَر الإسلام، وكُسِرتِ الأصنام، ووُصِلَتِ الأرْحام. فانْتَبَهْتُ فَزِعًا، فقُلْتُ لقومى: واللَّهِ لَيَحْدُثَنَّ فى هذا الحىِّ مِن قُرَيشٍ حَدَثٌ. وأخْبَرْتُهم بما رأيتُ، فلمَّا انْتَهَيْنا إلى بلادِنا، جاءَنا رجُلٌ، فأخْبَرَنا أنَّ رجُلًا يُقالُ له: أحمدُ، قد بُعِث، فأتَيْتُه فأخْبَرْتُه بما رأيتُ، فقال: «يا عَمْرُو بنَ مُرَّةَ، إنِّى المُرْسَلُ إلَى العِبادِ كَافَّةً، أدْعُوهُم إلَى الإسْلَامِ، وآمُرُهُم بِحَقْنِ الدِّماءِ، وصِلَةِ الأرْحامِ، وعِبادَةِ اللَّهِ، ورَفْضِ الأصْنامِ، وحَجِّ البَيْتِ، وَصِيامِ شَهْرِ رَمَضَانَ؛ شَهْرٍ مِن اثْنَىْ عَشَرَ شَهْرًا، فَمَنْ أجَابَ، فَلَهُ الجَنَّةُ، ومَنْ عَصَى، فَلَهُ النَّارُ، فآمِنْ يا عَمْرُو بْنَ مُرَّةَ، يُؤَمِّنْكَ اللَّهُ مِنْ نارِ جَهَنَّمَ». فقُلْتُ: أشْهَدُ أن لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وأنَّكَ رسولُ اللَّهِ، آمَنْتُ بكُلِّ ما جِئتَ به مِن حَلالٍ وحَرامٍ، وإن أرْغَمَ ذلك كثيرًا مِن الأقوامِ. ثُمَّ أنْشَدْتُه أبياتًا قُلْتُها حينَ سَمِعْتُ به، وكان لنا صَنَمٌ وكان أبى سادِنًا له، فقُمتُ إليه فكَسَرْتُه، ثم لَحِقْتُ النبىَّ ﷺ، وأنا أقُولُ:

شَهِدتُ بأنَّ اللَّهَ حَقٌّ وأنَّنِى ... لآلِهَةِ الأحْجارِ أوَّلُ تارِكِ

فشَمَّرْتُ عن ساقى إزارَ مُهاجِرٍ ... إليكَ أدِبُّ الغَوْرَ[٢] بَعْدَ الدَّكادِكِ[٣]

---

(١) أشعر جهينة: جبل.

(٢) الغَوْر: كلُّ مُنخفِض من الأرض.

(٣) الدكادك: جمع دَكْدَك ودَكْداك؛ وهو ما تكبَّس واستوى من الرمل، أو ما التبد منه بالأرض، أو أرض فيها غِلَظ.

لأَصْحَبَ خَيْرَ النّاسِ نَفْسًا ووالِدًا رَسُولَ مَلِيكِ النَّاسِ فوقَ الحَبائِكِ[1]

فقال النَّبِيُّ ﷺ: «مرحبًا بك يا عَمْرُو بْنَ مُرَّةَ». فقُلْتُ: يا رسولَ اللَّهِ، بأبى أنت وأُمِّى، ابْعَثْ بى إلى قومى، [٥٥/٢ظ] لعلَّ اللَّهَ أن يَمُنَّ بى عليهم، كما مَنَّ بك علىَّ. فبَعَثَنِى إليهم وقال: «عَلَيْكَ بِالقَوْلِ السَّدِيدِ، ولا تَكُنْ فَظًّا، ولا مُتَكَبِّرًا، ولا حَسُودًا». فأَتَيْتُ قومى، فقُلْتُ لهم: يا بَنِى رِفاعَةَ، ثُمَّ يا بنى جُهَيْنَةَ، إنِّى رسولٌ مِن رسولِ اللَّهِ إليكم، أَدْعُوكم إلى الجَنَّةِ، وأُحَذِّرُكم النَّارَ، وآمُرُكم بحَقْنِ الدِّماءِ، وصِلَةِ الأَرْحامِ، وعِبادَةِ اللَّهِ، ورَفْضِ الأَصْنامِ، وحَجِّ البيتِ، وصِيامِ شهرِ رَمَضانَ؛ شهرٍ من اثْنَىْ عَشَرَ شهرًا، فمَن أجاب فله الجَنَّةُ، ومَن عَصَى فله النَّارُ، يا مَعْشَرَ جُهَيْنَةَ، إن اللَّهَ، وله الحمدُ، جَعَلَكم خِيارَ مَن أنتم منه، وبَغَّض إليكم فى جاهِلِيَّتِكم ما حَبَّب إلى غيرِكم مِن الرَّفثِ؛ لأَنَّهم كانوا يَجْمَعُون بين الأُخْتَيْنِ، ويَخْلُفُ الرَّجُلُ على امرأةِ أبيه، والتِّراتِ[2] فى الشهرِ الحَرامِ، فأَجِيبُوا هذا النبىَّ المُرْسَلَ ﷺ، مِن بَنِى لُؤَىِّ بنِ غالِبٍ، تنالوا شَرَفَ الدُّنيا وكرامةَ الآخِرةِ، سارِعُوا سارِعُوا فى ذلك؛ تكنْ لكم فضيلةٌ عندَ اللَّهِ. فأجابُوا إلَّا رَجُلًا منهم، قام فقال: يا عَمرُو ابنَ مُرَّةَ، أَمَرَّ اللَّهُ عليك عَيْشَك، أتأمُرُنا أن نَرْفُضَ آلهتَنا، ونُفَرِّقَ جماعَتَنا، بمُخالَفَةِ دِينِ آبائِنا إلى ما يَدْعُو هذا القُرَشِىُّ مِن أهلِ تِهامَةَ؟! لا، ولا مرحبًا ولا كَرامَةَ. ثُمَّ أنشَأ يقولُ:

---

(١) الحَبائِك: الطُّرُق، واحدتها حَبِيكة، يعنى بها السماوات لأن فيها طرق النجوم.

(٢) التِّرات: جمع تِرة؛ وَتَرَه تِرةً: قَتَل حَمِيمه.

إن ابـنَ مُـرَّةَ قـد أتـى بمـقـالـةٍ   ليستْ مقالةَ مَن يُريدُ صَلاحَا

إنّـى لأحْـسَـبُ قـولَـهُ وفَـعـالَـهُ   يومًا وإن طالَ الزَّمانُ رِياحا

أَتُسَفِّهُ الأشياخَ مِمَّن قد مَضَى   مَن رامَ ذلكَ لا أصابَ فلَاحا

فقال عَمْرُو بنُ مُرَّةَ : الكاذِبُ مِنِّى ومنك أمَرَّ اللَّهُ عَيْشَه ، وأبْكَمَ لِسانَه ، وأكْمَهَ بَصَرَه . قال عَمرُو بنُ مُرَّةَ : واللَّهِ ما مات حتى سَقَط فُوهُ ، وكان لا يَجِدُ طَعْمَ الطَّعامِ ، وعَمِىَ وخَرِسَ . وخَرَج عَمْرُو بنُ مُرَّةَ ومَن أسْلَم مِن قومِه ، حتى أتَوُا النبىَّ ﷺ ، فرَحَّبَ بهم وحَيَّاهم[1] ، وكَتَب لهم كِتابًا هذه نُسْخَتُه : « بِسمِ اللَّهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ . هذا كتابٌ مِن اللَّهِ على لسانِ رسولِ اللَّهِ ، بكتابٍ صادِقٍ ، وحقٍّ ناطِقٍ ، مع عَمْرِو بنِ مُرَّةَ الجُهَنِىِّ لجُهَيْنَةَ بنِ زيدٍ ، إنَّ لكم بُطُونَ الأرضِ وسُهُولَها ، وتِلاعَ[2] الأوْدِيَةِ وظُهُورَها ، تَرْعَوْن نباتَه ، وتَشرَبُون صافِيَه ، على أن تُقِرُّوا بالخُمْسِ ، وتُصَلُّوا الصَّلَواتِ الخَمْسِ . وفى التَّبِعَةِ[3] والصُّرَيْمَةِ[4] شاتانِ إنِ اجْتَمَعَتا وإنْ تَفَرَّقَتا ، فشَاةٌ شَاةٌ . ليس على أهلِ المِيرَةِ[5] صَدَقَةٌ ، [6]ولا على الوارِدَةِ لبقةٌ[6] » . وشهِد مَن حَضَرَنا مِن

---

(١) فى م : « وحباهم » .

(٢) التلاع : جمع تَلْعَة ، وهى : ما ارتفع من الأرض . ومسيل الماء من أعلى إلى أسفل . وما اتسع من فم الوادى . الوسيط (ت ل ع) .

(٣) التَّبِعَة : التَّبِيع : الفحل من ولد البقر . والأُنثى تبيعة .

(٤) الصُّرَيْمَة : تصغير الصِّرْمة ، وهى القطيع من الإبل والغنم ، وقيل : هى من العشرين إلى الثلاثين والأربعين ، والمراد بها فى الحديث من مائة وإحدى وعشرين شاة إلى مائتين . لسان العرب (ص ر م) .

(٥) الميرة : الإبل التى تحمل الطعام ونحوه مما يُجلب للبيع ؛ أى لا يكون فيها زكاة لأنها عوامل .

(٦ - ٦) فى الأصل : « ليس الوردة الليقة » . وفى م : « ليس الوردة اللبقة » . وفى ص : « ليس للوردة اللبقة » . والمثبت من تاريخ دمشق .

المسلمين بكتابِ قَيْسِ بنِ شَمَّاسٍ ، رَضِىَ اللَّهُ عنهم . وذلك حينَ يقولُ عَمرُو ابنُ مُرَّةَ :

ألم تـرَ أنَّ الـلَّـهَ أَظـهَـرَ دِيـنَـهُ	وبيَّـنَ بُرهـانَ الـقُـرانِ لـعـامِـرِ
كتابٌ مِنَ الرحمنِ نورٌ لجَمْعِنا	وأحلافِنا فى كُلِّ بادٍ وحاضِرِ
إلى خيرِ مَن يَمْشِى على الأرضِ كُلِّها	وأَفْضَلِها عندَ اعْتِكارِ الضَّرائرِ[1]
أَطَعْنا رسولَ اللَّهِ لمَّا تَقَطَّعَتْ	بُطُونُ الأعادِى[2] بالظُّبَا والخواطِرِ[2]
[٢/٥٦و] فنحنُ قَبِيلٌ قد بُنِى المجدُ حَولَنا	إذا اجْتُلِيَتْ[3] فى الحربِ هامُ الأكابِرِ
بنو الحربِ نَفْرِيها[4] بأيْدٍ طويلةٍ	وبيضٍ تَلأْلأْ[5] فى أكُفِّ المَغَاوِرِ
تَرَى حَولَه الأنصارَ تَحْمِى أمِيرَهم	بسُمْرِ العَوالِى[6] والصِّفاحِ البَواتِرِ[7]
إذا الحربُ دارتْ عندَ كلِّ عظيمةٍ	ودارتْ رَحاها باللُّيُوثِ الهَواصِرِ[8]

---

(١) فى الأصل ، م : « الصرائر » . واعتكارُ الضرائر : اخْتِلاطُها ؛ والضَّرائر : الأمور المختلفة . اللسان (ع ك ر) .

(٢ - ٢) فى الأصل : « بالضبار الخواطر » ، وفى ص : « بالضيا الخواطر » . والظُّبَا جمع ظُبَةٍ ، وهى حَدُّ السيف والسِّنان ونحوه . والخواطر ؛ يُقال : خطران الرُّمح . أى ارتفاعُه وانخفاضه للطَّعْن ، فهو يعنى بالخواطر هنا الرماح .

(٣) فى م : « اجتلبت » . وفى ص : « اختلبت » .

(٤) فى ص : « نقريها » . ونَفْرِيها ، من قولهم : فلان يَفرِى الفَرِىَّ ؛ إذا أجاد عملَه وأتى فيه بالعجيب .

(٥) تلأْلأْ : أى تتلألأ . وسُكنت للوزن .

(٦) العوالى جمع عالية ، وهى النصف الذى يلى السِّنان من القناة ، وهى الرُّمح . ويعنى بها هنا الرماح .

(٧) الصِّفاح : جمع صَفْح ، وهى فى السيف عَرْضه ، ويعنى هنا بها السيوف . والبواتر : القواطع .

(٨) الهواصر : الكواسر ؛ من هَصَر الشىءَ ، إذا كَسَرَه .

تَبَلَّجَ[1] منهُ اللَّوْنُ وازدادَ وجهُهُ كَمِثْلِ ضِياءِ البدْرِ بينَ الزَّواهِرِ

وقال أبو عثمانَ سعيدُ بنُ يحيى الأُمَوِيُّ فى « مغازِيه » : حَدَّثَنا عبدُ اللَّهِ ، حَدَّثَنا أبو عبدِ اللَّهِ ، حَدَّثَنا المُجالِدُ بنُ سعيدٍ والأَجْلَحُ ، عن الشَّعْبِيِّ ، حَدَّثَنِى شيخٌ مِن جُهَيْنَةَ قال : مَرِض مِنَّا رجُلٌ مرضًا شديدًا ، فَثَقُلَ حتى حَفَرْنا له قبرَه ، وهيَّأْنا أمره ، فأُغْمِىَ عليه ، ثُم فَتَح عَيْنَيْه وأفاق ، فقال : أَحَفَرْتُم لى ؟ قالوا : نعم . قال : فما فَعَل الفَضْلُ[2] ؟ وهو ابنُ عَمٍّ له . قلنا : صالِحٌ ، مَرَّ آنفًا يَسأَلُ عنك . قال : أَمَا إِنَّه يُوشِكُ أن يُجْعَلَ فى حُفْرَتى ، إِنَّه أتانى آتٍ حينَ أُغْمِىَ علىَّ ، فقال : ابْكِ هُبَلْ ، أَمَا تَرَى حُفرَتَك تُنْتَثَلْ[3] ، وأُمُّك قد كادتْ تَثْكَلْ ؟ أرأَيْتَك إن حَوَّلْناها عنك بالمِحوَلِ ، ثُم مَلَأْناها بالجَنْدَلْ[4] ، وقَذَفْنا فيها الفضلْ ، الذى مَضَى فأَجْزَأَك ، وظَنَّ أن لن يَفْعَلْ[5] . أَتَشْكُرُ لرَبِّك ، وتُصَلّ ، وتَدَعُ دِينَ مَن أَشْرَكَ وضَلّ ؟ قال : قُلْتُ : نعم . قال : قُمْ ، قد بَرِئْتَ . قال : فبَرِئَ الرَّجُلُ ، ومات الفضلُ ، فجُعِلَ فى حُفْرَتِه . قال الجُهَنِىُّ : فرأيتُ الجُهَنِىَّ بعد ذلك يُصَلِّى ، ويَسُبُّ الأَوْثانَ وَيقَعُ فيها .

وقال الأُمَوِىُّ[6] : حَدَّثَنا عبدُ اللَّهِ ، قال : بَيْنَما عُمرُ بنُ الخَطَّابِ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، فى مَجْلِسٍ يَتَحَدَّثُون عن الجِنِّ ، فقال خُرَيْمُ بنُ فاتِكٍ الأَسْدِىُّ : أَلا

---

(١) تَبَلَّج ، من قولهم : تبلَّج الصُّبح . أى إذا أسْفَرَ فأنار .

(٢) هنا وفى الموضعين التاليين ؛ فى م ، ص : « الفصل » . وضبطت فى ص بضم الفاء وفتح الصاد .

(٣) تُنتثل : يُستَخرَج ترابُها .

(٤) الجَنْدَل : الحجارة .

(٥) فى ص : « تفعل » .

(٦) وأخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٤٨/١٦ - ٣٥٠ . بإسنادين بنحوه . من حديث خريم .

أُحَدِّثُكَ كيف كان إسلامى ؟ قال : بلى . قال : إنِّى يومًا فى طَلَبِ ذَوْدٍ لى ، أنا منها على أثَرٍ ، تَنْصَبُ وتَصْعَدُ ، حتى إذا كُنتُ بأبْرَقِ العراقِ ، أنَخْتُ راحِلَتِى ، وقُلْتُ : أعُوذُ بعظيمِ هذه البلدةِ ، أعوذُ برئيسِ هذا الوادِى . فإذا بهاتِفٍ يَهْتِفُ بى :

وَيْحَكَ عُذْ باللَّهِ ذى الجَلالِ والمجَدِ والنَّعْماءِ[1] والإِفضالِ

ثُمَّ اتْلُ آياتٍ مِن الأنْفالِ ووَحِّدِ اللَّهَ ولا تُبالى

قال : فذُعِرْتُ ذُعرًا شديدًا ، ثُمَّ رَجَعْتُ إلى نَفْسِى فقُلتُ :

يا أيُّها الهاتِفُ ما تقولُ أرَشَدٌ عِندَكَ أم تَضْلِيلُ

بَيِّنْ هَداكَ اللَّهُ ما الحَوِيلُ[2]

قال : فقال :

هذا رسولُ اللَّهِ ذو الخيراتِ بِيثربٍ يَدْعُو إلى النَّجاةِ

يَأمُرُ بالبِرِّ وبالصَّلاةِ ويَزَعُ[3] النَّاسَ عن الهَنَاتِ

قال : قُلْتُ له : واللهِ لا أبْرَحُ حتى آتِيَه وأُومِنَ به . فنَصَبْتُ رِجلى فى غَرْزِ راحِلَتى وقُلْتُ :

أرْشِدْنى أرْشِدْنى هُدِيتا لا جُعْتَ ما عِشتَ ولا عَرِيتا

ولا بَرِحتَ سيِّدًا مَقِيتا لا تُؤثِرِ الخيرَ الذى أُتِيتا

---

(١) فى الأصل ، م : « والعلياء » .

(٢) الحَوِيل : المرَام .

(٣) فى الأصل : « يردع » .

علـى جَمِيـعِ الجِـنِّ ما بَقِـيتا

[٢/٥٦ظ] فقال :

صاحَبَكَ اللَّهُ وأدَّى رَحْلَكا وعَظَّمَ الأجْرَ وعافَى نَفْسَكا

آمِنْ به أفْلَجَ[1] رَبِّى حَقَّكا وانْصُرْهُ [2]أعَزَّ ربِّى[2] نَصْرَكا

قال : قُلْتُ : مَن أنـت ، عافاك اللَّهُ ، حتى أُخْبِرَه إذا قَدِمتُ عليه ؟ فقال : أنا [3]مالِكُ بنُ مالِكٍ[3] ، وأنا نقيبُه على جِنِّ نَصِيبِينَ ، وكَفَيْتُ إبِلَك حتى أَضُمَّها إلى أهْلِك ، إن شاءَ اللَّهُ . قال : فخَرَجْتُ حتى أتَيْتُ المدينةَ يومَ الجمعةِ ، والنّاسُ أرْسَالٌ[4] إلى المسجدِ ، والنَّبِىُّ ﷺ ، على المِنْبَرِ كأنَّه البدرُ يَخْطُبُ النّاسَ ، فقُلتُ : أُنِيخُ على بابِ المسجدِ حتى يُصَلِّىَ ، وأدْخُلُ عليه فأُسَلِّمُ وأُخْبِرُه عن إسلامى . فلمَّا أنَخْتُ ، خَرَجَ إلَىَّ أبو ذَرٍّ ، فقال : مرحبًا وأهلًا وسهلًا ، قد بَلَغَنا إسلامُك ، فادْخُلْ فصَلِّ . ففَعَلْتُ ، ثُمَّ جئتُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فأخْبَرَنِى بإسلامِى ، فقُلْتُ : الحمدُللَّهِ . قال : « أما إنَّ صاحِبَك قد وَفَّى لك ، وهو أهْلُ ذَلِك ، وأدَّى إبِلَكَ إلى أهْلِكَ » .

[5]وقد رَواه الطَّبَرانىُّ فى ترجمةِ خُرَيْمِ بنِ فاتِكٍ ، مِن « مُعْجَمِه الكبيرِ »[6][5]

---

(١) فى ص : « أفلح » . وأفْلَج اللَّهُ حُجَّتَه : أظهرها وأثبتها . وأفلجَ فُلانًا على خَصْمه : غَلَّبه وفَضَّلَه عليه .

(٢ - ٢) فى م ، ص : « نصرا عزيزا » .

(٣ - ٣) فى م : « ملك بن ملك » . وهو مالك بن مالك الجِنِّى . انظر ترجمته فى أُسْد الغابة ٥/ ٤٧، ٤٨. والإصابة ٥/ ٧٤٦، ٧٤٧.

(٤) أرسال جمع رَسَل؛ وهم الجماعة من الناس .

(٥ - ٥) سقط من : ص .

(٦) المعجم الكبير (٤١٦٥). وفى سنده محمد بن إبراهيم الشامى ، وهو كذاب . انظر الضعفاء والمتروكين لابن الجوزى ٣/ ٣٨ .

(١) قائلًا : حَدَّثَنا الحسينُ بنُ إسحاقَ اليسيرىُّ ، حَدَّثَنا محمدُ بنُ إبراهيمَ الشَّامِىُّ ، حَدَّثَنا عبدُ اللَّهِ بنُ موسى الإسْكَنْدَرِىُّ ، حَدَّثَنا محمدُ بنُ إسحاقَ ، عن سعيدِ ابنِ أبى سعيدٍ المَقْبُرِىِّ ، عن أبى هُرَيرةَ قال : قال خُرَيْمُ بنُ فاتِكٍ لعُمرَ بنِ الخطَّابِ : يا أميرَ المؤْمِنين ، ألا أُخْبِرُك كيف كان بَدْءُ إسلامى ؟ قال : بلى . فذَكَرَه ، غيرَ أنَّه قال : فخَرَج إلىَّ أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ فقال : ادْخُلْ ، فقد بَلَغَنا إسلامُك . فقُلْتُ : لا أُحسِنُ الطُّهورَ ، فَعَلَّمْنى . فدَخَلْتُ المسجدَ ، فرَأَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، كأنَّه البدرُ ، وهو يقولُ : « ما مِنْ مُسْلِمٍ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضوءَ ، ثُم صَلَّى صَلَاةً يَحْفَظُها وَيَعْقِلُها ؛ إلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ » . فقال لى عُمرُ : لَتَأْتِيَنِّى على هذا ببيِّنَةٍ ، أو لأُنَكِّلَنَّ بك . فشَهِد لى شيخُ قُرَيشٍ عثمانُ بنُ عفَّانَ ، فأجاز شَهادَتَه . ثُمَّ رَواه عن محمدِ بنِ عثمانَ بنِ أبى شَيْبَةَ[٢] ، عن محمدِ بنِ تَشْنيمٍ[٣] ، عن محمدِ بنِ خَلِيفَةَ ، عن (٤) الحسنِ بنِ محمدٍ (٤) ، عن أبيه قال : قال عُمرُ بنُ الخطَّابِ لخُرَيمِ بنِ فاتِكٍ : حَدِّثْنى بحديثٍ يُعْجِبُنِى . فذَكَر مِثْلَ السِّياقِ الأَوَّلِ سَواءً (١) .

وقال أبو نُعَيْمٍ[٥] : حَدَّثَنا سُلَيمانُ بنُ أحمدَ ، حَدَّثنا أبو عبدِ الملكِ أحمدُ بنُ إبراهيمَ القُرَشِىُّ الدِّمَشْقِىُّ ، حَدَّثنا سليمانُ بنُ عبدِ الرحمنِ ابنُ بنتِ شُرَحْبيلٍ ، حَدَّثَنا إسماعيلُ بنُ عَيَّاشٍ ، عن يحيى بنِ أبى عَمرٍو الشَّيْبَانِىِّ ، عن عبدِ اللَّهِ ابن

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) المعجم الكبير (٤١٦٦) . وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٨/ ٢٥١، بعد عزوه للطبرانى : وفيه من لم أعرفهم .

(٣) فى الأصل ، م : « تيم » . والمثبت من المعجم الكبير .

(٤ - ٤) فى الأصل ، م : « محمد بن الحسن » . والمثبت من المعجم الكبير .

(٥) أخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة (٦٩) .

الدَّيْلَمِيِّ قال: أتَى رجلٌ ابنَ عبَّاسٍ فقال: بَلَغَنا أنَّك تَذْكُرُ سَطِيحًا، تَزْعُمُ أنَّ اللَّهَ خَلَقَه، لم يَخْلُقْ مِن وَلَدِ آدَمَ شيئًا يُشْبِهُه؟ قال: نعم، إنَّ اللَّه خَلَق سَطِيحًا الغَسَّانِيَّ لحمًا على وَضَمٍ[1]، ولم يَكُنْ فيه عَظْمٌ[2] ولا عَصَبٌ، إلَّا الجُمجُمةُ والكَفَّانِ، وكان يُطْوَى مِن رِجْلَيْه إلى تَرْقُوَتِه كما يُطوَى الثَّوبُ، ولم يَكُنْ فيه شيءٌ يَتَحَرَّكُ إلَّا لسانُه، فلمَّا أراد الخُرُوجَ إلى مكَّةَ، حُمِل على وَضَمِه فأُتِي به مكَّةَ، فخَرَجَ إليه أربعةٌ مِن قُرَيشٍ؛ عبدُ شَمْسٍ، وهاشمٌ، ابنا عبدِ مَنافِ [٢/ ٥٧و] ابنِ قُصَيٍّ، والأحْوَصُ بنُ فِهْرٍ، وعَقِيلُ بنُ أبى وَقَّاصٍ، فانْتَمَوْا إلى غيرِ نَسَبِهم، وقالوا: نحن أُناسٌ مِن جُمَحَ أتَيْناك؛ بَلَغَنا قُدُومُك، فرَأَيْنا أنَّ إتْيانَنا إيَّاك حقٌّ لك واجبٌ علينا. وأهْدَى إليه عَقِيلٌ صَفِيحَةً هِندِيَّةً[3]، وصَعْدَةً رُدَيْنِيَّةً[4]، فوُضِعَتْ على بابِ البيتِ الحَرامِ لِيَنْظُرُوا؛ أهل يَراها سَطِيحٌ أمْ لا. فقال: يا عَقِيلُ، ناوِلْنِى يَدَك. فناوَلَه يَدَه، فقال: يا عَقِيلُ، والعالمِ الخَفِيَّةْ، والغافِرِ الخَطِيَّةْ، والذِّمَّةِ الوَفِيَّةْ، والكعبةِ المَبْنِيَّةْ، إنَّك لَجَاءٍ بالهَدِيَّةْ؛ الصَّفِيحَةِ الهِندِيَّةْ، والصَّعْدَةِ الرُّدَيْنِيَّةْ. قالوا: صَدَقْتَ يا سَطِيحُ. فقال: والآتِى بالفَرَحْ، وقَوْسِ قُزَحْ، وسائرِ الفرحْ[5]، واللَّطِيمِ[6] المُنْبَطِحْ، والنَّخْلِ والرُّطَبِ والبَلَحْ، إنَّ الغُرابَ حيثُ مَرَّ سَنَحْ، فأخْبَرَ أنَّ القومَ ليسوا مِن جُمَحْ، وأنَّ نَسَبَهم مِن قُرَيْشٍ

---

(١) الوَضَم: ما وَقَيْتَ به اللحمَ عن الأرضِ من خشَبٍ أو حصيرٍ.

(٢) فى الأصل: «لحما».

(٣) الصفيحة الهندية: السيف العريض، منسوب إلى الهند.

(٤) الصَّعْدَة: القناة. وهى الرُّمح الأجوف، وقيل: القناة تنبت مُسْتَوِيَة لا تحتاج إلى تثقيف. والرُّدَيْنِيَّة: نِسبةٌ؛ زعموا أنها منسوبة إلى امرأة السَّمْهَرِىِّ تُسمَّى رُدَيْنَة، وكانا يُقوِّمان القَنَا بخطِّ هَجَرَ. اللسان (ر د ن).

(٥) فى الدلائل: «القرح».

(٦) اللَّطيم من الخيل؛ الذى يأخذ خَدَّيْه بياضٌ.

ذى البطحْ . قالوا : صَدَقْتَ يا سَطِيحُ ، نحن أهلُ البيتِ الحرامِ ، أتَيْناك لنَزُورَك ؛ لِمَا بَلَغَنا مِن عِلْمِك ، فأخْبِرْنا عمَّا يكونُ فى زمانِنا هذا ، وما يكونُ بعدَه فلعلَّ أن يكونَ عِندَك فى ذلك عِلْمٌ . قال : الآنَ صَدَقْتم ، خُذُوا مِنِّى ؛ مِن[1] إلهامِ اللَّهِ إيَّاىَ ؛ أنتم يا مَعْشَرَ العربِ فى زمانِ الهَرَمْ ، سواءٌ بَصائِرُكم وبصائرُ العَجَمْ ، لا عِلْمَ عِندَكم ولا فَهمْ ، ويَنْشَأُ[2] من عَقِبِكم [3]ذوُو فَهمْ[3] ، يَطْلُبُون أنواعَ العِلمْ ، فيَكسِرُون الصَّنَمْ ، ويَبْلُغُون[4] الرَّدمْ ، ويَقْتُلُون العجمْ ، يَطْلُبُون الغُنمْ . قالوا : يا سَطِيحُ ، فمَن يكونُ أولئك ؟ فقال لهم : والبيتِ ذِى الأرْكانِ ، والأَمْنِ والسكان ، لَيَنْشَؤُنَّ مِن عَقِبِكم وِلْدان ، يَكسِرُون الأوثان ، ويُنكِرُون عبادةَ الشَّيطان ، ويُوَحِّدُون الرحمن ، ويَنْشُرُون دِينَ الدَّيَّان ، يُشرِفُون البُنْيان ، [5]وَيستَفْتُون الفِتْيان[5] . قالوا : يا سَطِيحُ ، مِن نَسْلِ مَن يكونُ أولئِك ؟ قال : وأشْرَفِ الأشرافِ ، والمُفضِى[6] للإسرافِ[7] ، والمُزَعزِعِ الأحْقافِ[8] ، والمُضعِفِ الأضعافِ[9] ، لَيَنْشَؤُنَّ آلالاف ، مِن عبدِ شَمْسٍ وعبدِ مَناف ، نُشُوءًا يكونُ فيه اخْتِلاف . قالوا : يا سَوْأَتاهُ ، يا سَطِيحُ ، فما[10] تُخْبِرُنا مِن العلمِ بأمرِهم ، ومِن

---

(١) فى الأصل ، م : « ومن » .
(٢) فى الأصل : « وتنسوا » . وفى ص : « وينشر » .
(٣ - ٣) فى الأصل : « دونهم » .
(٤) فى الدلائل : « ويتبعون » .
(٥ - ٥) فى الدلائل : « ويقتنون القيان » .
(٦) فى الأصل : « والعصى » .
(٧) فى م ، ص : « للإشراف » .
(٨) فى الأصل : « الأحفاف » . وفى الدلائل : « الأخفاف » .
(٩) فى م ، ص : « لاضعاف » . وفى الدلائل : « للأضعاف » .
(١٠) فى م ، ص : « مما » .

أيِّ بلدٍ يَخرُجُ أولئك ؟ فقال : والباقِي الأَبَدْ ، والبالِغ الأَمَدْ ، ليَخْرُجَنَّ مِن ذا البلدْ ، فتًى يَهدى إلى الرَّشَدْ ، يَرْفُضُ يَغُوثَ والفندْ ، يَبْرأُ مِن عبادةِ الضُّدَدْ ، يَعْبُدُ ربًّا انْفَرَدْ ، ثُمَّ يَتَوَفَّاه اللَّهُ محمودًا ، من الأرضِ مفقودًا ، فى السماءِ مشهودًا ، ثُمَّ يلِى أمْرَه الصِّدِّيقْ ، إذا قَضَى صَدَقْ ، وفى رَدِّ الحُقُوقِ لا خَرِقٌ ولا نَزِقْ[1] . ثُمَّ يَلِى أمْرَه الحَنِيف ، مُجَرِّبٌ غِطْرِيف ، ويَتْرُكُ قولَ العَنِيف ، قد [2]ضافَ المضِيف[2] ، وأحْكَمَ[3] التَّحْنِيف[4] . ثُمَّ يَلِى أمرَه داعيًا[5] لأمرِه مُجَرِّبًا ، فيجْتَمِعُ له جُمُوعًا وعُصَبًا ، فيَقْتُلُونَه نِقْمَةً عليه وغَضَبًا ، فيُؤْخَذُ الشيخُ فيُذْبَحُ إرَبًا ، فيَقُومُ به رجالٌ خطباءُ ثُمَّ يَلِى أمرَه النَّاصِرْ ، يَخلِطُ الرَّأْىَ برَأْىِ النَّاكِرْ[6] ، يُظهِرُ فى الأرضِ العَساكِرْ[7] ، ثُمَّ يَلِى بعدَه ابنُه ، يَأْخُذُ جمعَه ويقلُّ حَمْدُه ، ويَأْخُذُ المالَ ، ويَأْكُلُ[8] وحدَه ، ويُكْثِرُ[9] المالَ لعَقِبِه[10] مِن بعدِه . ثُمَّ يَلِى مِن [11]بعدِه عِدَّةُ مُلوك ، لا شَكَّ الدَّمُ فيهم مَسْفُوك[12] ، ثُمَّ[11] يَلِى مِن بَعْدِهم الصُّعْلُوك

(١) خَرِق : من الخُرْق ؛ وهو الحُمْق وعدم إحسان التصرف فى العمل والأمور . ونَزِق : من النَّزْق ؛ وهو التقدُّم بخفَّةٍ والوثوب ، أو الطيش عند الغضب .

(٢ - ٢) فى الأصل : « صاف الضيف » . وفى ص : « صاف المصيف » .

(٣) فى الدلائل : « وأكرم » .

(٤) فى الأصل : « التخفيف » . والتحنيف ، يعنى به هنا : المَيْل إلى الخير .

(٥) فى الأصل : « دراعا » .

(٦) فى م : « المناكر » .

(٧) فى الدلائل : « الفساد » .

(٨) فى الدلائل : « ويأكله » .

(٩) فى الدلائل : « ويكنز » .

(١٠) فى الأصل ، م : « بعقبه » .

(١١ - ١١) سقط من : الأصل .

(١٢) إلى هنا انتهى السياق عند أبى نعيم فى الدلائل ، وقال : « وذَكَرَ القصة » .

يَطْوِيهِم[1] كطَىِّ الدُّرْنُوك[2] ، [٥٧/٢ظ] ثُمَّ يَلِى مِن بعدِه عظهور ، يُقْصِى الخَلْقَ[3] ، ويُدْنِى مُضَرْ[4] يفْتَتِحُ الأرضَ افْتِتاحًا مُنكَرًا . ثُمَّ يَلِى قصيرُ القامَةْ ، بظَهْرِه عَلامةْ ، يَمُوتُ موتًا وسلامةْ . ثُمَّ يَلِى قليلًا باكرْ ، فيَتْرُكُ المُلكَ بائرْ[5] ، ثُمَّ[6] يَلِى أخوه بسُنَّتِه سابرْ[7] ، يَخْتَصُّ بالأموالِ والمَنابرْ ، ثُمَّ يَلِى مِن بعدِه أهْوَجْ ، صاحبُ دُنيا ونَعِيمٍ مُخْلِجْ ، يَتَشَاوره[8] مَعاشِرُه وذَوُوه ، يَنْهَضُون إليه يَخْلَعُونَه بأخْذِ المُلكِ ويَقْتُلُونَه ، ثُمَّ يلى أمرَه مِن بعدِه[9] السابعْ ، يَتْرُكُ المُلكَ مَحَلًّا[10] ضائِعْ ، بَنُوه فى مُلْكِه كالمشوهِ جائعْ[11] ، عندَ ذلك يَطْمَعُ فى المُلكِ كلُّ عُرْيان ، ويَلِى أمرَه اللَّهْفان . يُرضِى نِزارًا جَمْعُ قَحْطان ، إذا الْتَقَيا بدِمَشْقَ جَمْعان بينَ بُنْيانَ[12] ولُبنان ، يُصَنَّفُ اليمنُ يومَئذٍ صِنْفان ؛ صِنفُ المسرةِ[13] ، وصِنفُ المَخْذُول . لا تَرَى إلا حِباءً محلول ، وأسيرًا مغلول ، بين القِرابِ

---

(١) فى الأصل : « يطاهم » . وفى ص : « يطؤهم » .

(٢) الدُّرنُوك : ضربٌ من الثِّياب أو البُسُط له خَمْلٌ قصير كخملِ المناديل . اللسان (درنك) .

(٣) فى الأصل ، م : « الحق » .

(٤) فى الأصل ، م : « مصر » .

(٥) فى الأصل : « ثاير » .

(٦) سقط من : م .

(٧) فى ص : « ساير » .

(٨) فى الأصل : « يناوره » . وفى ص : « تشاوره » .

(٩) فى الأصل ، ص : « بعد » .

(١٠) فى الأصل : « نحلا » . وفى ص : « مخلا » .

(١١) فى م ، ص : « جامع » .

(١٢) بنيان : قرية باليمامة ينزلها بنو سعد بن زيد مناة بن تميم . وبنيان أيضًا : رُسْتاق – وهو السَّوادُ – بين فارس وأصبهان وخوزستان . معجم البلدان ١/ ٧٤٨، ٧٤٩.

(١٣) فى م ، ص : « المشورة » .

والخُيُول، عندَ ذلك تُخْرَبُ المَنازِلُ [1]وتُسْلَبُ الأرامِلُ[1] وتُسقِطُ الحَوامِلُ، وتَظْهَرُ الزَّلازِلُ، وتَطْلُبُ الخِلافَةَ وائِلُ، فتَغْضَبُ نِزار، فتُدْنِى العبيدَ والأشرار، وتُقصِى الأمْثالَ والأخْيار، وتَغْلُو الأسعار فى صَفَرِ الأصْفار، يَغُلُّ[2] كُلُّ جبَّارٍ[3] منه، ثُمَّ يَسِيرُون إلى خَنادِقَ وإنَّها ذاتُ أشعارٍ وأشجار، تَصُدُّ[4] له الأنهار، ويَهزِمُهم أوَّلَ النَّهار، تَظْهَرُ الأخيار، فلا يَنْفَعُهم نوْمٌ ولا قَرار، حتى يَدْخُلَ مِصرًا مِن الأمصارِ، فيُدْرِكَه القَضاءُ والأقْدار. ثُمَّ يَجِىءُ الرُّماة، تَلُفُّ مُشاة، لقَتْلِ الكُماة[5]، وأسْرِ الحُماة. ومَهْلِكُ[6] الغُواة، هنالك يُدْرَكُ فى أعْلَى المياه. ثُمَّ يبورُ الدِّينُ، وتُقْلَبُ الأمور، وتُكْفَرُ الزَّبُور، وتُقْطَعُ الجُسُور، فلا يُفلِتُ إلَّا مَن كان فى جزائِرِ البُحُور، ثُمَّ تَبُورُ الحُبوب، وتَظْهَرُ الأعاريب، ليس فيهم مُعِيب، على أهلِ الفُسُوقِ والرِّيب، فى زمانٍ عَصِيب، لو كان للقومِ حَياءٌ، وما تُغْنِى المُنَى. قالوا: ثُمَّ ماذا يا سَطِيحُ؟ قال: ثُمَّ يَظْهَرُ رجُلٌ مِن أهلِ اليمنْ، كالشَّطَنْ[7]، يُذهِبُ اللَّهُ على رأسِه الفِتَنْ.

وهذا أثرٌ غريب كَتَبْناه لغَرابَتِه، وما تَضَمَّن مِن الفتنِ والملاحمِ. وقد تَقَدَّم قِصَّةُ شِقٍّ وسَطِيحٍ مع رَبِيعَةَ بنِ نَصْرٍ مَلِكِ اليمنِ[8]، وكيف بَشَّرا بوجُودِ رسولِ

(١ - ١) سقط من: الأصل.
(٢) فى م: «يقتل».
(٣) فى م: «حيا».
(٤) فى الأصل: «فصد». وفى ص: «نضد».
(٥) فى الأصل: «الحماة». والكماة: جمع كَمِىٍّ؛ وهو الشجاع أو لابس السلاح.
(٦) فى م، ص: «وتهلك».
(٧) الشَّطَن: يعنى به القوس. والشطن: الحبل الطويل الشديدُ الفَتْل، يُستقَى به وتُشَدُّ به الخيل.
(٨) تقدم فى صفحة ١١٧ - ١٢١.

اللَّهِ ﷺ ، وكذلك تَقَدَّم قِصَّةُ سَطِيحٍ مع ابنِ أُخْتِه عبدِ المسيحِ[1] ، حينَ أَرْسَلَه مَلِكُ بَنِى ساسانَ ، لارْتِجاسِ الإِيوانِ ، وخُمُودِ النِّيرانِ ، ورؤيا المُوبَذَانِ[2] ، وذلك ليلةَ مَولِدِ الذى نُسِخ بشَرِيعتِه سائِرُ الأَدْيانِ .

(١) تقدم فى صفحة ٣٩٦- ٣٩٨.

(٢) الموبذان : فقيه الفُرس وحاكم المجوس.



فهرس

الجزء الثالث من البداية والنهاية

الموضوع	الصفحة

تم بحمد الله وتوفيقه الجزء الثالث

ويليه الجزء الرابع ، وأوله :

باب كيف بدأ الوحى إلى رسول الله ﷺ



رقم الإيداع ٥٢٨٢/١٩٩٧ م

I.S.B.N : 977 - 256 - 151 - 4